

الفن العسكري السوفييتي

مراحل تطوره الرئيسية من كوتوزوف حتى جوكوف



دمشق ــ أوتوستراد المزة
هاتف
٢٤٤١٢٦ ــ ٢٤٣٩٥١ ــ ٢١٣٨٢١
تلكس: ٤١٢٠٥٠
ص.ب: ١٦٠٣٥
العنوان البرقي
طلاسدار
TLASDAR

ريع الدار مخصص
لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السوري.

الفن العسكري السوفييتي

الطبعة الاولى
١٩٨٨



دكتوراه في العلوم العسكرية

الفن العسكري السوفييتي

مراحل تطوّره الرئيسيّة
من كوتوزوف حتى جوكوف

الغلاف من تصميم الفنان محمد القاضي

«لايمكن فهم الحرب دون فهم العصر»

ف . إ . لينين

«دون نبراس التاريخ يسبح التكتيك في دياجير الظلام»

آ . ف . سوفوروف

«تزايدت في الظروف الحديثة أهمية دراسة التاريخ العسكري... فهو يكشف قوانين العمل العسكري واتجاهات تطوره . وهو يحذر من الأخذ بالأباطيل المختلفة ، والشطط ، ويدخل عنصر الخبرة العملية في الاستدلال ، ويمنحنا مادة غنية للتوصل إلى الاستنتاجات النظرية» .

ماريشال الاتحاد السوفييتي

آ . آ . غريتشكو



مقدمة

في تاريخ الإنسانية المتطاول في أحقاب الزمن وقعت حروب كثيرة، تتابعت واختلفت حسب الأهداف، والرقعة، والخسائر البشرية، والتدمير والتقويض، والتخريب، وحسب النتائج والتأثير على التطور الاجتماعي. كانت وستبقى كافة الحروب من حيث الجوهر والماهية استمراراً للسياسة بوسائط العنف المسلح، بغض النظر عن الظروف التاريخية، وأسباب حدوثها، وأهدافها وطرائقها، ووسائط خوضها، ونتائجها. لذلك فإن الحرب ـ أي حرب ـ هي ظاهرة سياسية ـ اجتماعية قبل كل شيء.

ان الأصول الاقتصادية، والأهداف السياسية للحرب، وأسبابها، ودورها في حياة المجتمع شديدة التباين. ومن أجل الفهم الصحيح للحرب، يجب أن نأخذ كل حرب على انفراد، ونعمل على تحديد طبيعتها الاجتماعية ـ السياسية. ونعني بذلك تحديد الطبقات التي تخوضها، وتحديد الظروف التاريخية التي استدعتها.

ترى الفلسفة العلمية الحديثة أن الحروب من حيث طبيعتها الاجتماعية، تكون حروباً مشروعة وحروباً غير مشروعة، وحروباً تقدمية، وحروباً رجعية، وحروباً من أجل تحقيق سيطرة طبقة ما، أو قومية ما وحروباً من أجل إسقاطها.

إن الحروب الشعبية باسم الحرية والتقدم الاجتماعي، وتحرير الأرض المحتلة، والتحرر الوطني وحماية الاستقلال ضد الاعتداء والعدوان، هي حروب مشروعة وتقدمية. أما الحروب

التي يستعر أوارها من أجل احتلال الدول والشعوب الأخرى واستعبادها، ومن أجل إجهاض النضال التحرري ومن أجل الاستعمار، والاستعباد، وخنق الثورات، وإطلاق يد الرجعية، هي حروب غير مشروعة. مثل هذه الحروب تعتبر استمراراً لسياسات الدول الأمبريالية، الموجهة من أجل إيقاف مسيرة التطور الاجتماعي القانوني، والقضاء على حركة الشعوب التائقة للسير على طريق التقدم الاجتماعي.

لقد كانت الطبقات المستغِلة المسيطرة هي التي تعمل على إشعال نار الحروب، وقدح زنادها.

مع تطور المجتمعات الطبقية أصبحت الحروب أكبر من حيث الرقعة، ومن حيث تعداد المشاركين فيها ضمن القوات المسلحة، وأكثر تأثيراً على مصائر الشعوب. لقد اكتسبت الحروب في العصر الأمبريالي طابعاً عالمياً.

رغم تدني إمكانات الأمبريالية في القيام بالأعمال العدوانية بعد الحرب العالمية الثانية، فقد بقيت طبيعتها كما كانت في السابق. في الظروف الحديثة يشعل الأمبرياليون، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، أوار الحروب الأمبريالية الصغيرة ضد الشعوب المناضلة في سبيل التحرر من ربقة الاستعمار. وتسعى أوساط عدوانية، امبريالية سعياً حثيثاً لوضع خطط حرب نووية عالمية جديدة ضد دول المعسكر الاشتراكي. وغيرها من الدول التي تسير في طريق التطور التقدمي. لقد أصبحت الحرب في زمننا حتمية ولا يمكن تجنبها. وما بقيت الأمبريالية فستبقى تربة صالحة لإشعال نار الحرب.

ان الحروب تتعلق بالجيوش، وهي سلاحها الرئيسي من أجل خوضها. الجيش، مثل الحرب، ظهرا في مرحلة انقسام المجتمع إلى طبقات. ومع ظهور الدول أصبح الجيش أهم مؤسسة في الحكومة. وأصبح الجيش سلاحاً لسياسة الطبقات المسيطرة. كان الجيش دوماً وما زال يحمل طابعاً طبقياً ظهر شيئاً فشيئاً مع استكمال عُدَدِهِ وعُدَّتِهِ وتنظيمه، وظهر أيضاً في مبادىء تعليم القوات وتربيتها، وفي المحافظة على الدور القيادي للطبقة المسيطرة.

يحدد الطابع الطبقي للجيش مباشرة وفقاً لطابع النظام الاجتماعي والسياسي للدولة.

لقد كانت الجيوش، كافة الجيوش، حتى ظهور التكوين الاشتراكي، والدول البرجوازية الحديثة، ومازال بعضها، واسطة لاستعباد الطبقة العاملة، وسلاحاً للعدوان، واستعباد الشعوب الأخرى.

لقد ظهرت جيوش جديدة على طرف نقيض للجيوش المستغِلّة، هي جيوش الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي، حيث أصبحت مع الزمن جيوشاً شعبية مشبعة بروح التآخي والصداقة بين الشعوب الاشتراكية، والعون الأخوي للشعوب التي تناضل في سبيل التحرر الطبقي، والقومي.

تبرهن لنا دراسة التاريخ العسكري، أن اختلاف الحروب وتعقيدها، باعتبارها ظاهرة اجتماعية تاريخية، كانت وستبقى دوماً خاضعة للقوانين الموضوعية.

ان نظرية العمل العسكري، هي المضمون الأساسي للعلم العسكري، والتي نتوصل إليها بكشف قوانين الحرب ومعرفتها، وطرائق إعدادها وخوضها.

يعتبر العلم العسكري الحديث منظومة من المعارف المتعلقة بطبيعة الحرب وقوانينها، واعداد القوات المسلحة والدولة للحرب وطرائق خوضها. يدرس علم الحرب قوانين الحرب التي تعكس مقدار علاقة سير الحروب ومصيرها بالسياسة والاقتصاد، وعلاقة الإمكانات العسكرية للجانبين المتحاربين بإمكاناتهما النفسية ـــ السياسية والعلمية ـــ التقنية، والعمليات الأساسية لإعداد الحرب وخوض غمارها، التي يحددها اتساع رقعتها، ووضعية الجانبين المتحاربين، ووسائط الصراع المسلح.

يعتبر فن الحرب والتاريخ العسكري، وأسس بناء القوات المسلحة، ونظرية التعليم والتربية، الخ، أجزاء لا تتجزأ من العلم العسكري.

فن الحرب

فن الحرب، من أهم حقول العلم العسكري. وقد ولد عندما ذر قرن الحرب لأول مرة. وهو يتطور حسب تطور طرائق الانتاج. وهو الأساس النظري والتطبيقي لتحضير وخوض

المعركة والعملية، والحرب بالكامل. يتألف فن الحرب من الاستراتيجية، وفن العمليات، والتكتيك.

الاستراتيجية:

الاستراتيجية أعلى مجالات فن الحرب، وتشمل نظريات إعداد القوات المسلحة للحرب وتطبيقاتها، وتخطيط الحرب وخوضها، والعمليات الاستراتيجية، واستخدام أنواع القوات المسلحة والسيطرة عليها، والمسائل المتعلقة بتأمين الأعمال العسكرية.

فن العمليات:

يدرس فن العمليات طرائق وأشكال إعداد وخوض العمليات المشتركة، والمستقلة، والأعمال القتالية للجحافل العملياتية لأنواع القوات المسلحة.

التكتيك:

ويهتم بمسائل تحضير المعركة وخوض غمارها من قبل الوحدات، والقطعات، والتشكيلات، لمختلف صنوف القوات وأنواع القوات المسلحة.

تقوم بين الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك علاقة وشيجة متبادلة. تنفذ الأعمال التكتيكية للقوات دوماً لصالح العمليات، وتوجه من قبل فن العمليات. وفي الوقت نفسه يشمل فن العمليات مسائل تنظيم العمليات وخوضها، لتحقيق أهداف استراتيجية محددة. بالتالي تحتل الاستراتيجية بالنسبة إلى فن العمليات والتكتيك مكان السيادة، والقيادة. كما لا يخفى في الوقت نفسه أنه دون تنفيذ المهام التكتيكية والعملياتية بنجاح، لا يمكن بلوغ الأهداف الاستراتيجية للحرب. وهكذا فإن كافة الأجزاء المكونة لفن العمليات تتعاضد مع بعضها تعاضداً وثيقاً، وتتآزر ويكمل بعضها بعضاً، فتصبح قادرة على التنفيذ الأكمل للمهام الواقعة على عاتق فن العمليات.

يتطور فن العمليات حسب مستوى الانتاج، والاقتصاد، وطبيعة النظام الاجتماعي

المطابق لها. لذلك تعتمد دراسة مسائل تطور طرائق خوض الأعمال القتالية والحرب بالكامل، على قاعدة طرائق الانتاج الموجودة.

مادة تاريخ فن الحرب

تمكّننا دراسة تاريخ فن العمليات من كشف ومعرفة القوانين الموضوعية، التي تحدد تطور طرائق خوض الأعمال القتالية.

يتطور فن الحرب ويترقى باستمرار. تتطور حتى مبادئه الأساسية التي تحافظ على وظيفته عموماً لمدة طويلة جداً. فمثلاً مبدأ التوزيع غير المتساوي للقوى في الجبهة، يجب أن يتحقق في الحياة بصورة بديعة، بما يتطابق مع الظروف التاريخية الحقيقية والموقف. لذلك يتعين على الضباط الأمراء والقادة، في كافة المستويات، أن يتفهموا باستمرار أنه يجب ألاّ يألفوا حل مهماتهم بأساليب اليوم الجديدة، اذا لم تفتح خبرة الأمس عيونهم على عدم صحة الطرائق القديمة في العمل.

ان المحاولات التي يبذلها المنظرون العسكريون في النظام الأمبريالي لجعل فن العمليات عبارة عن مجموعة من الأمثلة، وثمرة قوانين، وقواعد، ومبادىء أبدية، هي باطلة بصورة مطلقة. إن مهمة العلم العسكري، وفن العمليات الرئيسية، هي صياغة طرائق خوض الحرب، التي تتجاوب إلى حد كبير مع المواقف التاريخية الحديثة، والتي تؤمن كسب الحرب بأقل الخسائر البشرية والمادية.

يعتبر مرشداً في هذا المجال فن العمليات في إحدى أكبر وأعظم دول العالم من الناحية العسكرية ـــ ألا وهو الاتحاد السوفييتي، حيث يعرف العالم قاطبة النجاحات العظيمة التي حققتها الدولة الاشتراكية الأولى في العالم في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الحلبة الدولية، وفي داخل الدولة.

يجب أن توجه عناية كبرى للخبرة الشاملة لخوض أعمال القتال التي امتلكتها القوات المسلحة السوفييتية في الحرب العالمية الثانية، التي حملت على عاتقها الثقل الرئيسي في تطوير

وإغناء القواعد الجديدة لفن العمليات السوفييتي والذي أمكن التحقق منه عملياً. من الطبيعي أن لا تكون ولادة فن العمليات السوفييتي قد جاءت من الفراغ والخواء، وهي ليست بنت ساعتها. لقد احتوت داخلها على أفضل النظريات الطليعية، وعلى تطبيقات مختلف الدول، وكانت لها قوانينها التاريخية بقوة خصائص التطور الاقتصادي والجغرافي، والقومي. لذلك سننظر في هذا الكتاب إلى فن الحرب السوفييتي بما يتطابق مع التصنيف المرحلي التاريخي العلمي العام للأحداث الحقيقية، التاريخية العسكرية، والحقائق، ومع مراعاة التسلسل الزمني (الكرونولوجي). لذلك فقد أوليت عناية كبيرة لسير الأعمال القتالية، ولكشف قوانين تطور فن الحرب، بدءاً من عصر انتصار الرأسمالية وتطورها حتى أيامنا هذه.

إن أهم الأحداث في بداية القرن التاسع عشر هي حرب عام ١٨١٨ التي يُطلق عليها الروس الحرب الوطنية، التي خاضتها روسيا ضد فرنسا. حتى ذلك الزمن، وتحت تأثير الثورة الفرنسية البرجوازية ١٧٨٩ ــ ١٧٩٤، حدثت في الاستراتيجية والتكتيك في كثير من الجيوش تغييرات كثيرة. بدأ استكمال القوات المسلحة في معظم الدول على أساس الخدمة العسكرية الإجبارية، فكثر تعدادها، وأسلحتها، وخاصة بالمدفعية. لقد تقدمت البنية التنظيمية للجيوش: أخذت تبني تشكيلات مثل الفرقة والفيلق، القادرين على تنفيذ المهام المعقدة القتالية. وبدأ تطوير الأركان كهيئة قيادة للقوات. وأصبحت أخطر مهمة للعمل القتالي هي سحق العدو، وليس احتلال أراضيه، ومواصلاته، وقلاعه. لقد لعب دوراً كبيراً في وضع الطرائق الجديدة للأعمال القتالية في هذه الحرب، القائد العبقري الروسي الفيلد مارشال م. ي. كوتوزوف.

لقد حاول المنظرون الأمبرياليون، وما يزالون، البرهنة على أن تطور فن الحرب هو تحصيل حاصل لعبقرية القادة الممتازين. إلا أن هذه القناعات المثالية غير صحيحة، وهذا أمر يجب أن نملك القناعة التامة حوله، لأنه يتحكم في سير الحرب ومصيرها بصورة حاسمة، كما تتوقف عليها مصالح الجماهير الشعبية، وفي نهاية المطاف يتوقف النصر على الروح المعنوية، والممارسة القتالية والمبادأة الابداعية التي يتحلى بها الضباط والجنود. لذلك فإن فن الحرب،

عندنا ولدى السوفييت، ليس سلبياً تجاه الدور الهام الذي يلعبه القائد العسكري، الذي بفضل أعماله يتطور فن الحرب. يتصف العمل العسكري بأنه يتطلب من القائد العسكري قرارات دقيقة وسريعة، وروحاً تنظيمية خاصة ودأباً، ووحدة الإرادة. وتلعب البطولة والشخصية المتميزة دوراً هاماً في حياة المجتمع عندما نفهم فهماً صحيحاً شروط تطور المجتمع، وطرائق تغيير هذه الظروف نحو الأفضل.

ان تطور تكتيك القوات في عصر الرأسمالية سرعان ما أظهر مراحل التكتيك الخطي، وتكتيك الأرتال والترتيب المنتشر، وسلاسل الرماة، وأسبقية الفتح الذي كان يتقنه الجنود الروس، والضباط الطلائعيون.

تحولت الرأسمالية في حدود القرنين التاسع عشر والعشرين في مرحلتها الأخيرة إلى الأمبريالية.

لقد تضاعف تعداد الجيوش بسرعة، وظهرت إمكانية تجهيزها بكميات هائلة من الأسلحة المخزنة. كما أن تطوير طرق المواصلات ووسائط الاتصال الفنية وسّعتْ إمكانات المناورة، وأظهرت إمكانية توسيع رقعة الأعمال القتالية.

تابعت أشكال الأعمال القتالية القديمة التحسن، وظهرت أنواع جديدة منها، مثل العملية الجيشية والجبهية. وكان تطور التكتيك يسير باتجاه صياغة طرائق خوض المعركة المشتركة. إن اشتراك روسيا في بداية القرن العشرين، في حربين كبيرتين: الحرب الروسية ــ اليابانية، والحرب العالمية الأولى، جعل الجيش الروسي يساهم بصورة محدودة في التطوير التالي لفن الحرب. والمشكلة الرئيسية لكافة الجيوش التي شاركت في هاتين الحربين، كانت مشكلة خرق مواضع الدفاع القوية التحصين والتي لم تستطع الحرب العالمية الأولى ايجاد الحلول الكاملة لها. مع ظهور الدبابات، والطائرات، وزيادة أعداد الأسلحة الجماعية بدأت تظهر تراتيب القتال الجماعية التي أطلق عليها تسمية «التكتيك الجماعي».

وبانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا، التي وقعت بين ٧ ــ ٨

تشرين الثاني عام ١٩١٧، تحددت بدايات مرحلة سوفييتية جديدة في تاريخ فن الحرب لهذه البلاد. إلاّ أن فن الحرب السوفييتي لم يتشكل في معزل عن تاريخ فن الحرب القديم. تعتبر القوات المسلحة السوفياتية الوارث الشرعي لكل ما هو طليعي وتقدمي في كل ما تشكل أثناء عملية التطور الطويل لفن الحرب الروسي والعالمي.

بدأ فن الحرب السوفييتي بالتكون في الحرب الأهلية والتدخل العسكري في روسيا. لقد استمرت هذه الحرب ثلاثة أعوام، وانتهت بالنصر الحاسم الكامل للجيش الأحمر. لقد كان هذا النصر أول هزيمة عسكرية للأمبريالية العالمية في الاتحاد السوفييتي.

لقد صيغت القواعد المنهجية الأساسية لفن العمليات السوفييتي من قبل زعيم الدولة الاشتراكية الأولى في العالم ف. ي. لينين، الذي ساهم مساهمة عظيمة في تطوير كل العلم العسكري السوفييتي. لقد تحلّى بروح فنية عظيمة في اختبار أنواع الأعمال الاستراتيجية: الهجوم والدفاع، وفي تحقيق مبدأ تكثيف القوى والوسائط في الاتجاهات الأكثر أهمية، وفي تحديد الخطر الرئيسي، واتجاه الضربة الرئيسية. وفي تحضير الاحتياطات الاستراتيجية واستخدامها. لقد أدى القائد السوفييتي البارز م. ف. فرونزه دوراً كبيراً في تطوير فن الحرب السوفييتي في سني الحرب الوطنية، وفي المرحلة التالية، وفي تعميم خبرات الحروب الماضية، وفي صياغة أسس النظريات العسكرية. كما ساهم مساهمة عظيمة في تطور فن الحرب السوفييتي كل من ك. و. فوردشيلوف، م. ن. توخاتشفسكي، و ب. م. شايوشينكوف وغيرهم من القادة العسكريين، والمنظرين، والمُطبِّقين العسكريين. في بداية العشرينيات برز فن العمليات ضمن فن الحرب السوفييتي في حقل مستقل. أما في السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية فقد ظهرت في الاتحاد السوفييتي نظرية العملية العميقة التي تعتبر مكسباً كبيراً في العمل العسكري.

وهكذا كان فن الحرب السوفييتي حتى بداية الحرب الوطنية العظمى بالنسبة للاتحاد السوفييتي ١٩٤١ـــ ١٩٤٥، ضمن الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ـــ ١٩٤٥، قد تشكل ضمن منظومة متناسقة من الآراء المتعلقة بخوض الحرب، والعملية، والمعركة.

ان الحرب الوطنية العظمى في الاتحاد السوفييتي، التي بدأتها الأمبريالية الألمانية وحلفاؤها، كانت محكاً حقيقياً للدولة السوفييتية ومرحلة هامة من مراحل التطور اللاحق لفن الحرب. كانت هذه الحرب محاولة ثانية للأمبريالية العالمية لتدمير الدولة الاشتراكية الأولى في العالم بالقوة العسكرية. وانتهت بالنصر المؤزر للاتحاد السوفييتي وبهزيمة أعتى جيش في العالم الرأسمالي ألا وهو جيش ألمانيا النازية، الذي كان يعتمد على الكمون الحربي الاقتصادي لأوروبا كلها تقريباً.

اكتسبت القوات المسلحة في سني الحرب الوطنية العظمى أثمن الخبرات في خوض كافة أنواع الأعمال القتالية. كانت هذه الخبرة القتالية معيناً لا ينضب لتدريب كوادر الجيش السوفييتي وغيرها من الجيوش في العالم، بما في ذلك القوات المسلحة العربية السورية. لأن الهزيمة التي حاقت بألمانيا النازية والعسكرياتية اليابانية، في أعوام ١٩٤١ــ ١٩٤٥، برهان لا يقبل الشك على المستوى الرفيع الذي بلغه فن الحرب السوفييتي وتفوقه على فن الحرب لدى الدول الرأسمالية. لقد حقق القادة الكبار في هذه الحرب، مثل غ. ك. جوكوف، و س. م. شتيمنكو، و ف. ي. تشويكوف، و أ. أ. غريتشكو وغيرهم، ظروفاً طيبة لتطوير فن الحرب.

أثر تطور الاقتصاد، والتقدم التقني العاصف، الذي حدث في النصف الثاني من هذا القرن، تأثيراً حاسماً في تغيير وسائط الصراع المسلح وطرائقه. في أيامنا هذه ان ايجاد الحلول لمسائل المفاجأة، وتنظيم العملية والمعركة في مرحلة بداية الحرب، واختيار اتجاه الضربات الرئيسية، والتكثيف واستخدام المناورة، وتنظيم الدفاع، والقيادة، يزداد تعقيداً باستمرار. ان أي خطأ في تقدير الموقف الاستراتيجي، وأي بطء في اتخاذ القرار، سواء في بداية الحرب أو بعد نشوبها، يسبب كارثة محققة.

عندما ندرس تاريخ فن الحرب، يجب الإنطلاق من فكرة ان ذلك ليس من أجل الحصول على نماذج جاهزة من الماضي العسكري من أجل التطبيق العملي، إنما من أجل خلق تفكير مبدع، والذي هو جزء لا يتجزأ من صفات العاملين في الحقل العسكري، وجمع العبر

والإستنتاجات المستخلصة من التاريخ مع المشاكل المعاصرة. تتطلب الثورة في العمل العسكري جرأة في الفكر، والتقدم المستمر إلى الأمام، وإقداماً، وابداعاً في التوصل إلى الحلول الناجعة للمشاكل الجديدة في النظريات العسكرية.

لذلك فإن الدراسة العميقة لتاريخ فن الحرب، وخاصة فن الحرب السوفييتي، ستوسع دائرة معارف الضباط في الجيش العربي السوري والجيوش العربية الأخرى، وستدفعهم إلى الفهم الصحيح الخلاق لقوانين تطور فن الحرب، وإلى التوصل إلى حل المهام بصورة عملية، التي يدفعنا إليها التطور العاصف للعمل العسكري في المرحلة التاريخية الحديثة.



الفصل الأول

تطوّر فن الحرب في روسيا في العصر الرأسمالي

«إذا كان الروس سيقاتلون واثقين من قادتهم وشرف شعبهم، فالمجد الأزلي سيكون رفيقهم ومصيبة دهياء ستنزل بساح المعتدي، على روسيا المقدسة التي يحرسها الله بعنايته».

المارشال م.ي. كوتوزوف

يُؤثّر على تطوّر فن الحرب عوامل كثيرة، فهو يترقّى أثناء عملية تطور المجتمع وتبدّل التكوينات الاجتماعية — الاقتصادية، ويتحقق عملياً ويغتني بالخبرات الجديدة، غالباً، أثناء الحرب. واستناداً إلى الخبرة التاريخية توصّل علماء الاجتماع في الماضي، منذ منتصف القرن التاسع عشر، إلى استنتاج أن العنصر المؤثّر في تطوير فن الحرب كان وما يزال هو طريقة الانتاج. إذ إن لها تأثيراً حاسماً على هذا الفن، بصورة غير مباشرة، عبر الأسلحة التي تتسلح بها القوات، وعبر طبيعة المجموعات البشرية المشاركة في الحرب وخصائصها. كما أن لخصائص التطور التاريخي للدولة، وكذلك البيئة الجغرافية، دوراً هاماً في التأثير على فن الحرب والتسليح وتنظيم الجيش. وللقدرات الشخصية للقادة تأثير كبير على مستوى تطوّر القوى المنتجة للدولة.

لذا، يجب أن تعتمد دراسة مسائل تاريخ فن الحرب على المبادىء العلمية العامة للمراحل التاريخية للبشرية المعتمدة في العالم التاريخي المعاصر. ويمكننا بالاستناد إلى التكوينات الاجتماعية — الاقتصادية التي عرفتها البشرية تقسيم تاريخ فن الحرب إلى المراحل الرئيسية التالية:

— فن الحرب في المجتمع القديم.
— فن الحرب في المجتمع الاقطاعي.
— فن الحرب في المجتمع الرأسمالي.
— فن الحرب في المجتمع الاشتراكي.

إن أكبر التبدلات الحقيقية في فن الحرب قد حدثت في عصر التطور الاجتماعي — الاقتصادي الرأسمالي. لكن القواعد المحدّدة التي صاغتها الانسانية في هذه المرحلة لم تفقد أهميتها في أيامنا هذه، وما زالت تستخدم في النظريات العسكرية والتطبيق العملي في أغلب الجيوش المعاصرة؛ لذلك فإن وجهة النظر هذه سيكون لها أهمية معينة في كافة البحوث المتعلقة بتطوّر فن الحرب السوفييتي.

١ ـــ ١ ـــ الظروف الاجتماعية ـــ الاقتصادية

تكوّنت طريقة الانتاج الرأسمالي في قلب الاقطاعية. وحسب مدى تطوّر التجارة، كان يتشكل السوق العالمي. كما أن تحسّن التداول النقدي خلق، شيئاً فشيئاً، طبقة جديدة هي الطبقة الرأسمالية. وسُمّي العصر الرأسمالي في التاريخ العالمي بالتاريخ الجديد، حيث بدأ منذ الثورة الانكليزية عام ١٦٤٠ ـــ ١٦٤٩. إلاّ أن تطوّر المجتمع الرأسمالي توقف على وجه البسيطة مع انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧. وتنقسم هذه الفترة إلى مرحلتين:

ـــ مرحلة توطيد الرأسمالية وانتصارها (١٦٤٠ ـــ ١٨٧٠).

ـــ مرحلة تقهقر الرأسمالية وانحطاطها (١٨٧١ ـــ ١٩١٧).

انتصرت الرأسمالية في البداية في أكثر دول أوروبا تطوّراً، من الناحية الاقتصادية، وهي انكلترا والأراضي الواطئة. لذلك اصطُلح في علم التاريخ أن انتصار الثورة البورجوازية في انكلترا، في منتصف القرن السابع عشر، يُعتبر حداً فاصلاً بين تاريخ القرون الوسطى والتاريخ الجديد، وأن هذا الانتصار قد أثّر على تطوّر الدول الأخرى. ولم يتم الانتقال من الاقطاعية إلى الرأسمالية في وقت واحد في مختلف الدول. ولقد تمّ التكوين أو التشكيل الرأسمالي في معظم دول القارة الأوروبية وأمريكا الشمالية في المرحلة الواقعة بين الثورتين الانكليزية والفرنسية؛ أي في المرحلة الممتدة من منتصف القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر. وبعد فترة وجيزة من الزمن انتصر النظام البورجوازي في ألمانيا، وايطاليا، وأصبحت كمّونة باريس عام ١٨٧١ حداً فاصلاً بدأت به مرحلة تقهقر الرأسمالية.

ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وصلت الرأسمالية إلى أعلى وآخر مراحلها، ألا وهي الأمبريالية. وهكذا فقد انقضى، منذ توطّد النظام الرأسمالي في انكلترا وحتى العصر الأمبريالي، قرنان ونصف القرن. وحدث للقوى المنتجة في المجتمع، خلال ذلك كله، تطوّرات هائلة، وتبدّل النظام السياسي في كثير من الدول، وتغيّرت الخريطة السياسية في العالم عدة مرات.

وتُعتبر الرأسمالية، بالمقارنة بالنظام الاقطاعي السابق، تطوراً أكثر رفعة وتقدمية في المجتمع البشري. إذ أدّت الجماهير الشعبية العريضة دوراً حاسماً في الثورات البورجوازية، حيث حطّمت هذه الجماهير هيكل العلاقات الاقطاعية ومهّدت الطريق للتطوير السريع للقوى المنتجة. إلا أن تقدمية الرأسمالية كانت محدودة تاريخياً، لأن هذا النظام كان قائماً على بعض الخصائص، إذ لم يستطع القضاء على الفوارق الطبقية، واستغلال الانسان للإنسان. وكان الربح بالنسبة للبورجوازي الذي امتلك معظم أدوات ووسائل الانتاج، الهدف الرئيسي من عملية الانتاج كلها. فالمنافسة الاقتصادية، والصراع على أسواق تصريف الانتاج، ومناطق النفوذ، وعلى الموارد الخام، وعلى اليد العاملة الرخيصة، كانت تتحول إلى نزاعات حادّة، وإلى صدامات عسكرية بين الدول الرأسمالية.

لقد أنجبت الرأسمالية الحرب التي ليست إلاّ المحصلة المباشرة للتناقضات الداخلية التي لا مجال فيها للتسويات في إطار المجتمع البورجوازي، وأدّت في تاريخ الحرب دوراً خطيراً.

ان ولادة الرأسمالية وتطويرها يرتبطان بصورة لا جدال فيها بالصراع الدولي على الأرباح ، وبعمليات تكديس رؤوس الأموال على حساب استغلال العمال في بعض الدول وعن طريق احتلال الأراضي الشاسعة في معظم قارات العالم وتحويلها إلى مستعمرات .

لقد حصلت أخصّ التغييرات في الخارطة السياسية للعالم منذ عصر بداية تكدّس رؤوس الأموال ، والنهب الاستعماري ؛ أي منذ بداية الاكتشافات الجغرافية العظمى حيث أصبحت البرتغال واسبانيا أعظم دولتين استعماريتين عالميتين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . أما في بداية القرن السابع عشر فقد انتزعت هولندا زمام زعامة الاستعمار لفترة زمنية معينة ، حيث احتلت حتى منتصف القرن السابع عشر معظم المستعمرات البرتغالية في الشرق . ومنذ النصف الثاني للقرن السابع عشر أخذت انكلترا تعمل بنشاط للحصول على المستعمرات ، وأصبحت اعتباراً من عصر الرأسمالية أكبر دولة استعمارية عُظمى في العالم . فخاضت صراعات مسلّحة طويلة (في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) مع فرنسا ، ممّا زاد من مساحة مستعمراتها على حساب فرنسا وهولندا ، واسبانيا ، والبرتغال ، واحتلت الهند في منتصف القرن التاسع عشر . ومنذ عام ١٨٤٠ ــ ١٨٤٢ خاضت وحدها حرباً ضد الصين ، وحرباً أخرى منذ عام ١٨٥٦ ــ ١٨٦٠ إلى جانب فرنسا دُعيت «بحرب الأفيون» ، وأجبرتها على توقيع معاهدة ضَمِنت لها احتلال مقاطعة سيان غان (هونغ كونغ) ؛ واحتلت فرنسا في الوقت نفسه الجزائر ١٨٣٠ ــ ١٨٤٨ وفيتنام ١٨٥٠ ــ ١٨٨٠ في القرن التاسع عشر ، وفرضت حمايتها على كمبوديا عام ١٨٦٣ وعلى لاووس عام ١٨٩٥ .

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر دخلت الولايات المتحدة الأمريكية حلبة الصراع على المستعمرات ، فاخترعت نظرية مونرو «أمريكا للأمريكيين» ؛ مما يعني حق الاستغلال الاحتكاري لدول أمريكا اللاتينية . وفي الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر اقتطعت الولايات المتحدة الأمريكية قسماً كبيراً من المكسيك وضمته إليها ، معتبرة أن هذا العمل داخلي لا يجوز أن يتدخّل فيه أحد عملاً بمبدأ مونرو .

وأصبحت روسيا في ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر بلد الرّق الاقطاعي ، إلا أنه في الوقت نفسه كان التبادل السلعي ــ النقدي في طريق التطور ، ونضج نموذج الحياة الرأسمالية فيها ، حيث ظهر سوق عموم روسيا ، ونمت بسرعة كميات الصناعات اليدوية . وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وصلت روسيا إلى المكان الأول في أوروبا بالنسبة لكميات المعدن المسبوك . ووقعت في القرن الثامن عشر انتفاضات شعبية كثيرة ، كان أكبرها وأهمها انتفاضة بوغاتشيف في الأعوام ١٧٧٣ ــ ١٧٧٥ ، التي أدّت إلى أزمة النظام الاقطاعي وكانت سبباً في تدمير مرتكزات الاقطاعية في روسيا . وقد أنهى قانون الاصلاح لعام ١٨٦١ عملية استبدال النظام الاقطاعي بالنظام الرأسمالي في روسيا .

ونجم عن توطيد الرأسمالية نمو سريع في القوى المنتجة ، إلاّ أن تطورها لم يكن متساوياً لأن الرأسمالية أحدثت تناقضات طبقية ، واقتصادية وسياسية وطنية حادّة ، وأزمات وحروباً مدمّرة .

وهذا القانون في التطوّر كان منطبقاً على روسيا أيضاً، بغض النظر عن أنها في أعوام ١٧٨٩ ــ ١٨٦١ تابعت تكوينها كدولة اقطاعية ــ مطلقة لأن اقتصادها كان يحوي عناصر الانتاج الرأسمالي.

كانت الأسلحة والتجهيزات اللازمة للجيش الروسي تُعدّ في المؤسسات الضخمة الخاصة بالأسلحة الخفيفة، والمدفعية، ومؤسسات إنتاج البارود وغيرها. ولم يكن مُمكناً إمداد مثل هذا الجيش العرمرم بأسلحة موحّدة وتجهيزات موحّدة دون قاعدة من الانتاج الرأسمالي. فإذا كانت في روسيا في نهاية القرن السابع عشر ٢٠ ورشة ضخمة فقد أصبحت في عام ١٧٢٥ مئتين وثلاثين، وأصبحت في نهاية القرن الثامن عشر ٣٠٠٠. وعلى التوالي تنامت طرائق رأسمالية جديدة في الانتاج وأخذت في الانتشار والاتساع شيئاً فشيئاً.

إن ظهور طرائق جديدة في الانتاج الصناعي، وتطوّر العلم والتكنولوجيا مكّنا من تطوير الأسلحة القديمة وتصميم أسلحة جديدة. ففي عام ١٧٥٧ تمّ إدخال المدفعية القذافة الطويلة في تسليح الجيش الروسي، وهي التي أُطلق عليها تسمية «وحيد القرن» وبقيت أكثر من ١٠٠ عام. وكان عيار هذه المدفعية يتراوح بين ٣ أرطال وحتى ٢ بود[1]، وحجرة التلقيم ذات قطع ناقص وطويلة، وسبطانته من عشرة عيارات. ومن خصائص هذا المدفع إطلاق النيران بكافة أنواع الذخائر: الكلل ، والقنابل، وكرات الرصاص. ويتميّز هذا المدفع، بالنسبة إلى المدافع الأخرى التي تعادله من حيث العيار، بأن وزنه أقل بضعفين، ومدى نيرانه أطول بضعفين، وهذه الميزة الأخيرة للمدفع الروسي مكّنت المدفعيين الروس من إطلاق النيران على العدو فوق رؤوس القوات الروسية نفسها. ولقد دخل هذا المدفع الروسي في تسليح كل من الجيش الروسي، والنمساوي.

وفي ذلك الزمن كانت المدفعية الحديثة هي المدفعية الملساء السبطانة، وقد طُبقت في الجيش الروسي منذ عام ١٨٠٥، وأوردنا معطياتها الرئيسية في الجدول (رقم ١).

لقد أكّدت هذه المدفعية نوعيتها القتالية العالية خلال الحرب الوطنية عام ١٨١٢. وفي منتصف القرن التاسع عشر حلّت المدفعية المُحلزنة محلّها، وكان ذلك انقلاباً في تطوير المدفعية. أما فكرة تصميمها فقد وُلدت منذ القرن السابع عشر، وظهرت أولى نماذجها في روسيا أولاً، وما زالت هذه النماذج موجودة حتى الآن. وكان عيارها ٧ر١ بوصة، وتُعبّأ حشوتها في مخزن المدفع. كذلك المدفع الفولاذي نموذج ١٦١٥ الذي يحتوي على عشرة خطوط حلزنة لولبية ويُعبّأ من الفوهة.

لقد بدأ تجهيز الجيوش الكثيفة منذ القرن التاسع عشر، وتطلّب تنظيم الانتاج الواسع العريض للأسلحة الخفيفة والمدفعية والذخيرة العائدة لها وغيرها من التجهيزات؛ لذلك فقد جرى في روسيا توحيد نماذج الأسلحة بهدف تسهيل عملية صنعها في مختلف المؤسسات في عام ١٨٠٨ ــ ١٨٠٩. فمثلاً كانت كافة البنادق الملساء السبطانة التي يسلح بها المشاة الروس وغيرها من صنوف القوات ذات عيار ٦٨ر١٧ ملم.

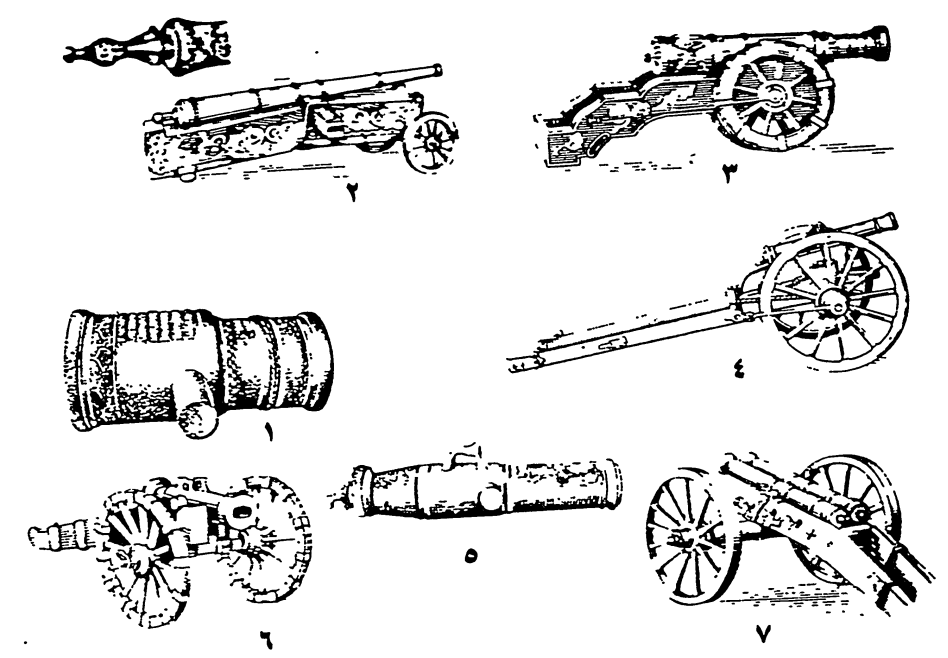
---

(١) وحدة وزن استخدمت في روسيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا في القرن الثاني عشر وتساوي ٤٠ رطلاً أو ٣٨ر١٦ كغ. وقد أُلغي بقانون عام ١٩٢٤م. ويقصد من قياس العيار بالرطل والبود هو وزن القذيفة التي تنطلق من السبطانة.

(الجدول رقم ١)

المعلومات التكتيكية ـــ التقنية للمدفعية الميدانية
والفوجية المزوّدة بسبطانة ملساء للجيش الروسي
في بداية القرن التاسع عشر

نوع المدفعية	العيــار (مـم)	وزن الكـلة (د/رطل)	مدى الرمـي (كم)	ســرعة الرمي (طلقة/د)
طويل ٣ أرطال	٧٦ تقريباً	٣	١	١
طويل ٦ أرطال	٩٥ تقريباً	٦	١ر٥	١
طويل ١٢ رطلاً	١٢٠ تقريباً	١٢	٢	١
قذاف نصف ثقيل	١٥٠ تقريباً	٢	١ر٣	١



(الشكل رقم ١) ـــ مدفعية روسية من القرن السابع عشر وحتى النصف الأوّل من القرن التاسع عشر.

١ ـــ هاون برونزي؛ ٢ ـــ مدفع حديدي من القرن ١٧؛ ٣ ـــ قذاف من القرن ١٧؛ ٤ ـــ مدفع طويل رطلي للأفواج؛ ٥ ـــ نموذج من المدافع الوحيدة القرن؛ ٦ ـــ «القذاف السري» قام بتصميمه شوفالوف عام ١٧٥٤؛ ٧ ـــ مدفع فوج طراز «توأمي».

ورغم أن النماذج الأولى من الأسلحة المُحلزنة ظهرت منذ القرن الثامن عشر ، لكنها لم تُنتَج في حينها بسبب صعوبات حلزنتها ؛ لذلك لم تنتشر انتشاراً كاملاً حتى منتصف القرن التاسع عشر .

إن اكتشاف الزناد والكبسولة في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، باعتبارهما واسطة لاشتعال الشحنة والظرف الورقي (في الستينيات) ومن بعده الظرف المعدني الموحد ، وتحسين الارتاج وتصميم المغلاق ، سهّلت عملية إملاء الأسلحة ورفعت من سرعة رميها . إلا أن إعادة تسليح الجيوش والأساطيل بالمدفعية والبنادق الطويلة والقصيرة لم تتم إلا في الستينيات من القرن التاسع عشر ، عندما وصل مستوى تطوّر الانتاج والتقدم العلمي ــ التقني إلى المستوى الذي يؤمّن الظروف المناسبة لتصميمها وإنتاجها بكميات كبيرة . وفي بداية القرن التاسع عشر صُمّمت وأُدخلت في التسليح الصواريخ التي تعمل بالبارود ، وهي ذات تصميمات مختلفة استخدمت في عدد من الحروب والمواقع .

لذا ، فإن التنامي السريع للقوى الانتاجية ، والتغيرات التي حدثت في بُنى المجتمع كانت سبباً في التغييرات الجذرية في بناء القوات المسلحة وطرائق خوض الحروب . وكانت القوات المسلحة للدول الرأسمالية تحافظ على بعض الخصائص التي كانت تتّسم بها مستويات التطور الاجتماعي والاقتصادي المختلفة ، والتقاليد الوطنية ، والشروط الجغرافية ، الخ ... بالإضافة إلى أن الجيوش البورجوازية كافة كانت تمر بمراحل التطور التاريخي نفسها ، مما يفسّر وحدة قاعدتها وأساسها الاجتماعي ــ الاقتصادي ، وسماتها الطبقية .

١ ــ ٢ ــ فن الحرب في روسيا في مرحلة توطّد وانتصار الرأسمالية في روسيا ١٨٠٠ ــ ١٨٧٠ م

لقد كَثُرت الحروب في العصر الرأسمالي مثلما كَثُرت في العصور الوسطى ، إلا أن حروب الدول البورجوازية تختلف من حيث الرقعة ، ومن حيث سماتها السياسية بصورة متميزة عن الصدامات والغزوات الاقطاعية .

فالعوامل الداخلية التي كانت تُسرِّع وقوع التغيرات الجذرية في حقل العمل العسكري هي دائماً وأبداً الأحداث الضخمة في حياة المجتمع . ففي هذه المرحلة التاريخية بقيت تلك العوامل محصورة بين الثورة الصناعية الانكليزية والثورة البورجوازية الفرنسية .

١ ــ ٢ ــ ١ ــ تأثير الثورتين الصناعية الانكليزية والبورجوازية الفرنسية على تطوّر فن العمليات الروسي

غيّرت الثورتان ، الصناعية الانكليزية والبورجوازية الفرنسية ١٧٨٩ ــ ١٧٩٤ ، العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في كثير من بلدان أوروبا ، وكان لهما تأثيرات عميقة في مجرى التاريخ العالمي . وتلخّص جوهر الثورة الصناعية في الانتقال من الانتاج اليدوي إلى الانتاج الآلي . وإثر هذا التحوّل حدث

نموّ هائل لإمكانات الصناعة، وفي النهاية **ظهرت الطبقات** الرئيسية في المجتمع الرأسمالي ومنها طبقتا البروليتاريا الصناعية، والبورجوازية. فكانت الوظيفة التاريخية للثورة البورجوازية الفرنسية هي هدم النظام الاقطاعي في فرنسا كلها، وتفجير سلطة نفوذ الاقطاع في كثير من البلدان الأوروبية.

لقد أدّى هذان الحدثان الكبيران دوراً بارزاً في تطوّر العمل العسكري حيث تبدّلت أولاً مبادىء استكمال القوات المسلّحة، لأن المفارز القليلة العدد التي كانت موجودة سابقاً في العصر الاقطاعي، والتي كانت تؤلف الجيش المرتزق، لم تكن في حالة تقدر معها على تلبية الأهداف العسكرية والسياسية للدول الضخمة التي تركّزت ذلك الحين. كما أدّى انتصار الرأسمالية إلى إلغاء النظام الارتزاقي وإلى إقامة الخدمة العسكرية الإلزامية. فالانتقال إلى استكمال الجيش من المجندين في الخدمة العسكرية الإلزامية كان أوّل عمل قامت به الثورة البورجوازية الفرنسية، فقد أمنت بواسطته جيشاً كبيراً من طينة واحدة من الناحيتين الوطنية والقومية. وكانت الدعوة للخدمة الإلزامية تشمل كافة الرجال الخاضعين لشروط سني الدعوة لمدة قصيرة من الزمن تتراوح بين ٢ ـــ ٦ أعوام. وهكذا كان التدريب العسكري يشمل معظم المجندين الإلزاميين؛ فاستطاعت فرنسا تجميع أعداد كبيرة من الاحتياطيين لزيادة تعداد أفراد الجيش في مرحلة الحرب.

وكان الجيش الروسي وقتذاك يختلف اختلافاً كبيراً عن جيوش أوروبا الغربية من حيث طريقة استكمال الجيش. ففي روسيا، مع بداية القرن الثامن عشر، كان يطبّق نظام القرعة العسكرية لاستكمال القوات ولأداء الخدمة العسكرية، ولكن نظام الخدمة العسكرية الإلزامية لعموم روسيا لم يطبّق إلا في عام ١٨٧٤ عند القيام ببعض الاصلاحات البورجوازية العسكرية. ولم تتوقف الأسلحة والتجهيزات القتالية للقوات في العصر الرأسمالي عن التحسن، وتزايدت باستمرار فاعليتها القتالية، ممّا مكّن تطور القوى المنتجة من مضاعفة كميات الأسلحة ورفع مستوى جودتها.

لقد اعتورت البنية التنظيمية للقوات المسلحة في العصر الرأسمالي تغييرات مبدئية، حيث شُكّلت لأول مرة في التاريخ الجيوش والأساطيل العاملة الثابتة، وانقسم جيش المشاة إلى ثلاثة أصناف من صنوف القوات (المشاة، والفرسان، والمدفعية) ومصالح مثل: الهندسة، المؤخرة وغيرها. وكانت المشاة الصنف الرئيسي من صنوف القوات، وحتى نهاية القرن الثامن عشر كان الفوج في كافة الجيوش هو الوحدة التنظيمية الرئيسية، وكان تعداده ١٢٠٠ ـــ ١٥٠٠ عسكري. وكان تشكيل الجيوش الكثيفة سبباً في التغييرات التنظيمية، حيث أصبح الجيش يتألف من تشكيلات تكتيكية ثابتة هي: الفرق والفيالق، وتتألف بدورها من حيث القوام من كافة صنوف القوات القادرة على تنفيذ المهمات القتالية بصورة مستقلة. وكانت فرقة المشاة في روسيا ذات تنظيم ثابت وتتألف من ثلاثة ألوية مشاة ولواء مدفعية ومن كوكبة إلى كوكبتي فرسان شُكّلت عام ١٨٠٦. ولم يكن في روسيا سابقاً فرق ذات قوام ثابت. وفي الوقت نفسه تقريباً شُكّلت الفرق والفيالق باعتبارها أعلى شكل تنظيمي للمشاة. كما شكّلت الجيوش الأخرى فرقاً وفيالق ولم يكن ذلك يقتصر على الجيشين الفرنسي والروسي.

كان الجحفل من الناحيتين التكتيكية والتنظيمية يحتوي على صنوف القوات الرئيسية ضمن الفيالق

والفرق حسب شروط خوض المعركة التي كانت تتطلب تأمين التعاون الوثيق بين كافة صنوف القوات. بالإضافة إلى ذلك، كان تشكيل الفرق والفيالق ذات القوام الثابت، مع وجود أركان خاصة بها، خطوة كبيرة ليس فقط في تطوير الشكل التنظيمي للقوات بل وأيضاً في إيجاد كافة الحلول لمشاكل قيادة الجيش الكثيف العدد.

وفي بداية القرن التاسع عشر أُدْخِلَ التنظيم الفرقي والفيلقي في الفرسان، باعتبار أن الطريقة الرئيسية للاستخدام القتالي للفرسان كان تشكيل احتياطات قوية منها لتوجيه ضربات حاسمة أثناء المواقع.

وكانت سرايا المدفعية بقوام ٦ ـــ ١٢ مدفعاً هي الوحدة التكتيكية الأساسية من المدفعية. وفي بداية القرن التاسع عشر جعلت وحدات المدفعية من الناحية الإدارية ضمن لواء بحيث كان اللواء يتألف من ٥ سرايا ذات ١٢ مدفعاً في كل منها. وفي نهاية عام ١٨١١ شُكّل في قوام الجيش الروسي لأول مرة فرقة مدفعية تتألف من ١٤ سرية مدفعية كانت تدخل في قوام احتياطي الفيلق؛ وبالرغم من أنها لم تستخدم في المعركة كتشكيل موّحد الهدف، فإن تشكيلها كان إرْهاصاً للتطور القادم بالنسبة للأشكال التنظيمية للمدفعية التي تؤمن استخدامها بكثافة في المعركة.

إن تغيّر شروط الصراع المسلح وطبيعته الذي حدث في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر كان له تأثير على تطوير القوات الهندسية. فتضاعُف حجم أعمال الهندسة لتأمين أعمال قتال المشاة والمدفعية والفرسان، كان السبب في تضخم أعداد القوات الهندسية. وهكذا فإذا كان في الجيش الروسي كله في القرن الثامن عشر ٦ سرايا فقد وصلت في نهايته إلى ١٥ سرية وأصبحت في منتصف القرن التاسع عشر ٥٠ سرية تقريباً. وبعد حرب ١٨١٢ شُكّلت في الجيوش، وبالأخص في الجيش الروسي، كتائب الهندسة والنقابين بمعدل كتيبة لكل فيلق.

بهذا الشكل كانت التغيرات في طرائق خوض الأعمال القتالية في بداية القرن التاسع عشر سبباً في حدوث تغييرات ملموسة وحقيقية في أشكال تنظيم القوات.

لقد تطلب التحوّل، الذي بدأ في نهاية القرن الثامن عشر، إلى التكتيك الجديد إعادة بناء كافة أنظمة التعليم والتربية العسكرية للقوات. كما تطلب التكتيك الجديد تعليم القوات ليس فقط النظام المنضم وإصلاء نيران موجهة إلى العدو، وخوض معركة بالسلاح الأبيض، بل وأيضاً إجراء المناورة في أرض المعركة، والتمكن من التعاون مع الصديق في المعركة. وقد أدّى نابليون الأول دوراً عظيماً في تحسين أشكال التدريب القتالي ومناهجه، حيث أقام في فرنسا معسكرات تدريب كثيرة، كان يتم فيها تدريب كافة الصنوف أثناء الصيف.

كما ساهم القائدان الروسيان «سوفوروف» و «كوتوزوف» مساهمة عظيمة في إدخال أشكال التعليم والتثقيف الجديدين في الجيش الروسي، وكانا أول من قام بتعليم القوات كل ما هو مطلوب للحرب.

وينص نظام القتال الذي وُضع موضع التطبيق عام ١٨١١ على أن الدور الحاسم في المعركة تؤديه الروح المعنوية العالية، كما نص على فكرة المزج بين التعليم والتربية عند تدريب القوات.

وتطلّب ازدياد عدد العسكريين في الجيش، وزيادة حركتها ومناورتها تغيير أشكال قيادة القوات ومناهجها. وفي بداية القرن التاسع عشر، وبسبب الأخذ بمركزية القيادة، ازداد الدور الذي تؤديه الأركان أهمية في قيادة القوات. وأخذت تُشكّل الأركانات في القوات المسلحة والفيالق والفرق على حد سواء.

أما في ميدان نظريات قيادة القوات وتطبيقاته فكان للجيش الروسي القدح المعلّى، حيث شُكّلت الأركانات باعتبارها هيئات قيادة، وذلك قبل الغرب بوقت طويل. ولقد أدّى نظام القيادة الذي صدر عام ١٨١٢، والذي عرّف الأركان بأنها «المؤسسة التي تقوم بقيادة جيش عامل كبير»، دوراً كبيراً في إعادة تنظيم قيادة الجيش الروسي. وكان هذا النظام يتطرّق إلى حقوق كافة هيئات القيادة والأركان وواجباتها، بدءاً من القائد العام وحتى قائد الفرقة، ونظام استكمال ملاكات الأركان وخدمات الضباط فيها.

وأثّر تغيّر الظروف الاجتماعية ــ الاقتصادية، والشروط المادية التقنية لخوض الصراع المسلح في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر، تأثيراً كبيراً على التطور اللاحق لطرائق خوض أعمال القتال والحرب بالكامل.

وانهارت سيطرة الجيوش المرتزقة في أوروبا الغربية بالدرجة الأولى، والاستراتيجية المناورة، والحدودية التي كانت قد مهّدت إلى تغطية كافة الاتجاهات، وطرق الحركة المحتملة لجيش العدو بعد الثورة البورجوازية الفرنسية.

كما رسمت السمات الرئيسية الاستراتيجية للجيوش الكثيفة التي وجدت خلال القرنين الثامن والتاسع عشر بفضل القائد الفرنسي نابليون والقائدين الروسيين: أ. سوفوروف و م. كوتوزوف. وكان الهجوم النوع الرئيسي للأعمال القتالية. فحسمية الأهداف السياسية كانت تشترط بالضرورة حسمية الصراع المسلح وعنفه، والتي أصبحت تسعى بالدرجة الأولى إلى سحق القوى الحيّة للعدو بالقضاء عليها في موقعة عامة واحدة. وأصبحت المناورة تستخدم لتشكيل أفضل تجميع ملائم من أجل التدمير الحاسم للعدو.

واستبدل التوضع الشريطي (الحدودي) للقوات بمركزتها على الاتجاهات الحاسمة، وقد حدث ذلك لأول مرة من قبل الجيش الفرنسي في موقعة جيماب عام ١٧٩٢، حيث أظهر الفرنسيون تفوقاً كبيراً في القوى على أحد الاتجاهات مكّنهم من إلحاق الهزيمة بالجيش النمساوي، وتحرير الأراضي الواطئة بكاملها.

وخلال فترة من الزمن كانت المبادىء الاستراتيجية الجديدة قد وضعت موضع الاستخدام في جيوش أخرى. والحق يُقال إن ذلك لم ينفّذ فوراً بل بصورة بطيئة، ومتدرجة، لأن الاستراتيجية الجديدة تطلّبت مقدمات اجتماعية ــ اقتصادية مطابقة لها لا بدّ منها.

وكان ظهور الجيوش الكثيفة في نهاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر السبب في التخلص من التكتيك الخطّي الذي كان مصير الموقعة يقرر فيه، قبل كل شيء، من قبل نيران البنادق والمدفعية التي كانت تتمركز في أرض منبسطة مكشوفة داخل خطين أو ثلاثة خطوط من القوات، وحلّ محله تكتيك

الأرتال والنظام المنتشر. وظهرت بعض عناصر الطريقة الجديدة في شن المعركة (مثل استخدام النظام المنتشر، والرتل، والهجوم بالسلاح الأبيض) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في الجيش الروسي. كما استخدم الجيش الفرنسي في حروب الثورة، في نهاية القرن الثامن عشر، بصورة نهائية، تكتيك الأرتال بالمشاركة مع النظام المنتشر. وكانت الطريقة الجديدة لخوض المعركة تقوم على تشكيلات الرماة مع أرتال المشاة. وبمثل هذه البُنية في تراتيب القتال كان مصير المعارك والمواقع يحدّد بالضربات المباشرة بحراب قوى المشاة الرئيسية المنتظمة داخل الأرتال وليس بالنيران كما كان الأمر في التكتيك الخطي.

هكذا اكتسبت المعركة طابعاً جديداً حاسماً. فأصبحت القوات المنتظمة في أرتال صغيرة (كتائب وسرايا) قادرة على النزال في الموقعة على أرض وعرة، وتركيز الجهود على الاتجاهات الرئيسية وعلى تغذية الضربات من العمق، وعلى تنفيذ المناورة المرنة ومطاردة العدو. وكان اتساع عمق توضّع القوات يتزايد بشكل جادّ، وأعطيت أهمية كبيرة للاحتياطات. فكانت المسافة بين خط الرمي والاحتياطات تصل، غالباً، إلى ثلاثة كيلو مترات أو أكثر، وأصبحت الحاجة ماسّة إلى القرارات المتحلية بروح المبادأة التي يتخذها القادة العسكريون وحتى العسكريين بمفردهم.

كما يجب ألاّ يغيب عن بالنا أن هذا التكتيك كانت تشوبه عيوب جوهرية، أهمها أن القوات التي كانت تنتظم في الأرتال تعرّضت لخسائر فادحة من نيران المدفعية والبنادق، بالإضافة إلى أن قوى المشاة. الرئيسية كان يصعب عليها المزج بين المناورة بالنيران والمهاجمة، لأن المدفعية كانت تحضّر النيران لهجوم بالسلاح الأبيض ولكنها لم تستطع دعمها بعد ذلك.

ومن أكثر الأحداث جسامة في تاريخ العالم وفي تاريخ فن الحرب، خلال القرن التاسع عشر، كانت الحرب الوطنية الروسية عام ١٨١٢ ضد فرنسا النابليونية.

١ ــ ٢ ــ ٢ ــ فن الحرب الروسي في الحرب الوطنية الروسية عام ١٨١٢ م

كانت الحرب الوطنية الروسية عام ١٨١٢ نتيجة تناقضات سياسية واقتصادية عميقة بين فرنسا البورجوازية وروسيا الاقطاعية ــ الرقّية. وتعاظمت هذه التناقضات بالحروب العدوانية التي شنّها نابليون الأول الذي كان يحضّر الحملة ضد روسيا، والتي يهدف منها استعباد الشعب الروسي، وتحويل روسيا إلى مستعمرة لفرنسا البورجوازية. لقد نظر الشعب الروسي إلى غزو جيش نابليون لبلاده كنير عبودي أجنبي مضاف إلى الظلم الذي كان يسومه إياه سادته من ملاك الأراضي. وكانت حرب ١٨١٢ بالنسبة لفرنسا حرباً احتلالية غير مشروعة. أما بالنسبة إلى روسيا فقد كانت حرباً مشروعة وطنية ــ تحريرية. وتقسم هذه الحرب إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: منذ لحظة هجوم الجيش الفرنسي على روسيا وحتى انتقال الجيش الروسي إلى الهجوم العام المعاكس، أي من ٢٤ حزيران وحتى ٢ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٨١٢.

المرحلة الثانية: منذ بدء تحوّل الجيش الروسي إلى الهجوم المعاكس حتى تدمير الجيش النابليوني والانسحاب خارج الحدود الدولية الروسية، أي من ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) وحتى ١٤ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨١٢.

قوى الطرفين وخططهما الاستراتيجية

حتى عام ١٨١٢ كان نابليون سيّد أوروبا الغربية كلها، تقريباً، بعد الحروب الاحتلالية التي خاضها ضدها. وكان تعداد سكان امبراطورية نابليون ٧٥ مليون نسمة، وهو يعادل نصف سكان أوروبا في بدء القرن التاسع عشر. وبعد الانتصارات العظيمة التي حققها جيشه بات نابليون واثقاً من الانتصار على العالم خلال «خمس سنوات» كما قال: «سأكون سيد العالم ولم يبقَ غير روسيا، ولكنني سأقضي عليها».

لقد حاربت روسيا ضد فرنسا والدول التابعة لها دون أي حليف تعتمد عليه. وكان نابليون الأول قد أخضع الامبراطورية النمساوية الضخمة وبروسيا وغيرهما من الدول، وأرغمها على أن تضع تحت تصرفه ٣٠ فيلقاً يتألف كل منها من ٢٠ ألف عسكري، وأعدّ نابليون العدّة للحرب ضد روسيا بكل عناية. وفي الجدول (رقم ٢) نبيّن معطيات حقيقية عن نسبة القوى بين الطرفين حتى لحظة بدء الحرب. ويمكننا أن نرى من خلال هذا الجدول أن «الجيش العظيم» الذي خصصه نابليون للهجوم على روسيا كان يملك تفوقاً في نسبة القوى في كافة الدلالات، بالاضافة إلى اتساع رقعة الجبهة التي كانت تنتشر فيها القوات الروسية. وكان كل شيء لصالح فرنسا بضعفين تقريباً. أما على اتجاه الضربة الرئيسية فقد كان جيش نابليون يملك تفوقاً بثلاثة أضعاف.

وكانت النواحي القوية في الجيش الفرنسي هي: تعداده الضخم بالأفراد، وامتلاكه للخبرة القتالية، وتأمينه الجيّد فنياً ومادياً، وثقته بأنه الجيش الذي لا يقهر، بالاضافة إلى أن الجيش كان بقيادة نابليون العبقري. أما الناحية السلبية في جيش نابليون فكانت احتواءه على جنسيات مختلفة، إذ كان يتألف من الفرنسيين والايطاليين، والألمان، والنمساويين، والبولنديين، والهولنديين، وغيرها من القوات، بينما كان الجيش الروسي يحارب دون حلفاء ولكن جنوده كانوا من جنسية واحدة وطينة واحدة.

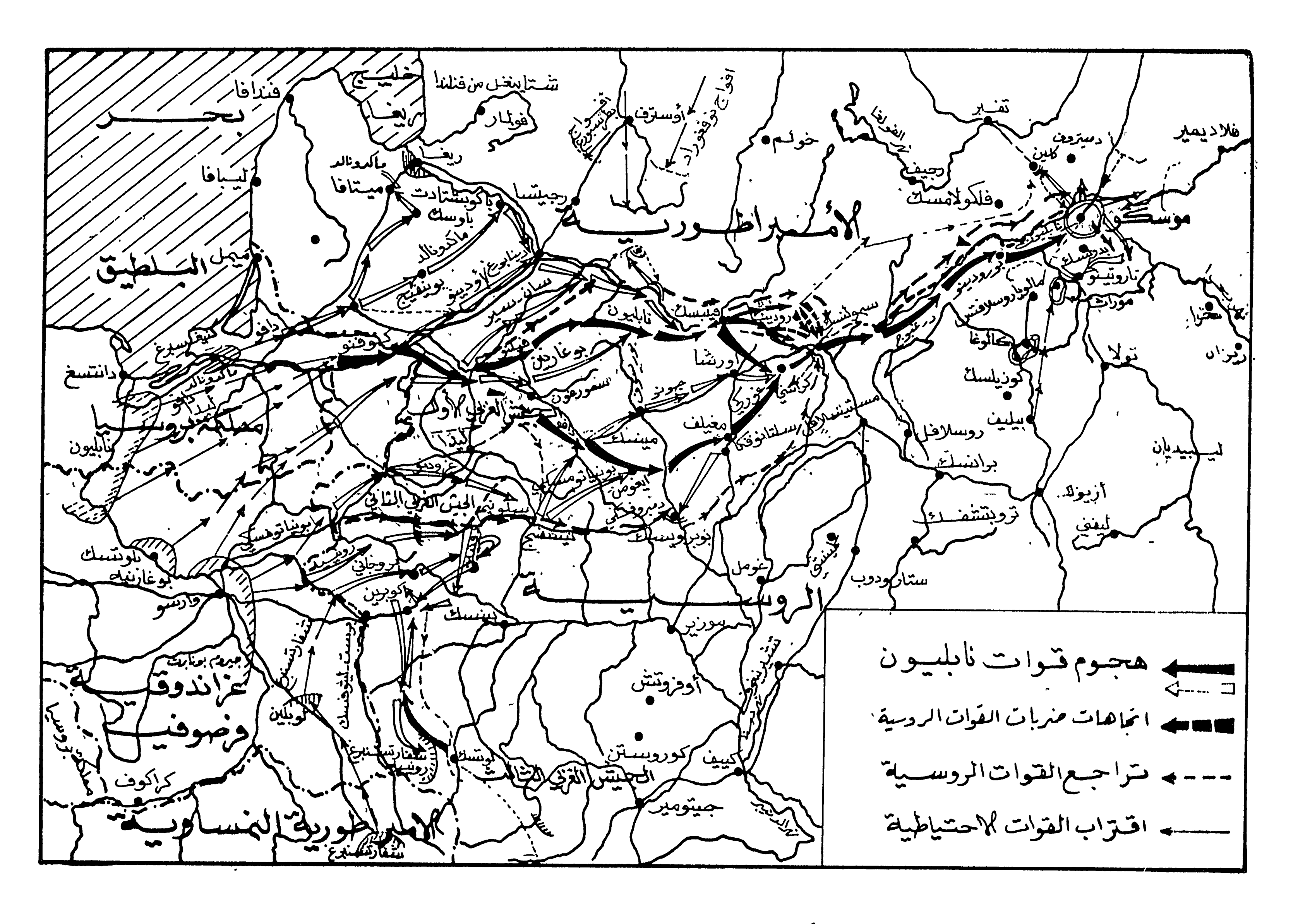
حُشدت حتى بدء الهجوم ٣ جيوش فرنسية على الحدود الغربية، كان تعدادها بين ٢٢٠ ألفاً و ٢٤٠ ألف جندي مع ٩٤٢ مدفعاً. أما القوات الروسية فقد كانت منتشرة في كافة الحدود ولم يكن ممكناً، بسبب سوء وسائط النقل، تجمعها وتنقلها بسرعة إلى مسرح الأعمال الحربية. وكانت القوات الروسية التي تغطي الحدود الغربية متمركزة في ثلاث مناطق، وغطّت الطرق الرئيسية المؤدّية إلى بطرسبرغ وموسكو وكييف (الشكل رقم ٢).

كان الجيش الأول الروسي بقوام ٦ فرق مشاة وثلاثة فيالق فرسان، بيّنا عددها وأسلحتها في الجدول

(رقم ٢)، مكوّنة القوى الرئيسية. وكانت تتمركز بين مدينتي راسنيين وديلا، وكان بقيادة الجنرال م. ب. باركلاي دوتوللي.

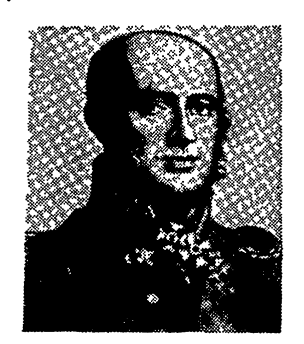
(الجدول رقم ٢)
نسبة قوى الجيشين الروسي والفرنسي
حتى بداية الحرب عام ١٨١٢

الموضوع	الجيش الروسي	الجيش الفرنسي	نسبة قوى الطرفين
تعداد الجيش العام	٦٠٠ر٠٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠	١ / ٢
تعداد الجيشين المتقابلين	٢٢٠ر٠٠٠ ــ ٢٤٠ر٠٠٠	٦٠٨ر٠٠٠	١ / ٢ر٥
عدد الفيالق في الجيشين :			
الفار	ــ	١	
مشاة	١١	١٢	
فرسان	٥	٤	
عدد المدافع	٩٤٢	١٣٧٢	١ / ١ر٥
تجميع القوات :			
ــ التجميع الأول			
البشر	١١٠ر٠٠٠ ــ ١٢٧ر٠٠٠ شخص		١ / ١ر٧
المدافع	٥٥٨	٥٢٧	١ر٠٥ / ١
القائد	باركلاي دوتوللي	نابليون	
ــ التجميع الثاني			
البشر	٤٥٠٠٠ ــ ٤٨٠٠٠	٨٢٠٠٠	١ / ١ر٧
المدافع	٢١٦	٢٠٨	١ / ١ر٠٤
القائد	باغراتيون	بوغارن	
ــ التجميع الثالث			
البشر	٤٣٠٠٠ ــ ٤٦٠٠٠	٧٨٠٠٠	١ / ١ر٧
المدافع	١٦٨	١٥٩	١ر٠٥ / ١
القائد	تورموسوف	جيرون	
جبهة توضع القوات (كم)	٦٠٠	٣٠٠	



(الشكل رقم ٢) ـــ الحرب الوطنية العظمى عام ١٨١٢.

باركلاي دوتوللي :



ولد باركلاي دوتوللي في ١٧٦١/١٢/٢٧ وتوفي في ١٨١٨/٥/٢٦ ، وهو جنرال روسي برتبة فيلد مارشال . كان بطل الحرب الوطنية عام ١٨١٢ ، شارك في الحروب ضد تركيا وسويسرا وفرنسا ، وقد أظهر في المعارك براعة شخصية ومواهب عالية في القيادة . كان وزير دفاع روسيا ، حيث بذل جهوداً كبيرة لتقوية الجيش الروسي ، وشكّل الفيالق الروسية ، وأعدّ أنظمة عسكرية جديدة ، وحسّن التدريب العسكري ، وإمداد القوات ، واتخذ تدابير مناسبة لزيادة تعداد الجيوش الروسية كلها ، وقام ببناء قلاع جديدة على الاتجاهات الاستراتيجية الهامة ، واستطاع أثناء الحرب قيادة أعمال الجيش الغربي الأول في موقعة بورودينو ، وأبدى شجاعة فائقة وفناً رفيعاً في قيادة القوات . وبعد وفاة م . ي . كوتوزوف عام ١٨١٣ قاد بنجاح الأعمال القتالية لكل الجيوش الروسية وأجهز على جيش نابليون المهزوم .

وكان الجيش الغربي الثاني يتألف من فيلقي مشاة وفيلق فرسان ، والمفرزة الأولى المؤلفة من ٩ ألوية قوزاق بقيادة الجنرال ب . ي . باغراتيون ، وقد تمركز بين نهري نسمان وبوغ .

ب . ي . باغراتيون :



ولد ب . ي . باغراتيون عام ١٧٦٥ وتوفي في ١٨١٢/٩/٢٤ ، وهو قائد روسي ، جنرال في قوات المشاة ، وبطل الحرب الوطنية عام ١٨١٢ . بدأ حياته العسكرية رقيباً وهو في سن ١٧ عاماً . شارك في حملات معارك كثيرة وأظهر شجاعة شخصية وبسالة وإقداماً . أصبح عميداً وهو في سن الـ ٣٤ . عُيّن قائداً للجيش الثاني قبل حرب عام ١٨١٢ ، بسبب ما كان يتوقعه من هجوم الجيش الفرنسي على روسيا . وقد وضع خطة كانت تنص على إعداد الجيش الروسي مسبقاً لصد العدو المعتدي . وقام في أثناء حرب عام ١٨١٢ بإجراء مناورة لجيشه لاتقاء الضربة التي وجّهها الجيش الفرنسي لتشكيل من جيش م . ب . باركلاي دوتوللي ، إذ مكّن ذلك من تعزيز القدرة القتالية للقوات الروسية وإحباط فكرة نابليون العامة في سحق الجيش الروسي في النطاق الحدودي على أجزاء . وكان باغراتيون المنظم العبقري لحركات الأنصار في هذه الحرب ، مستفيداً من شعبيته واحترامه في القوات بسبب قدراته العسكرية ، وشجاعته الشخصية وعلاقته الحميمة بمرؤوسيه وعنايته بشؤونهم . ولقد أغنى ب . ي . باغراتيون الفن الحربي في زمنه بخبرة القيام بمعارك الطلائع والمؤخرات والمناورات الحربية في أشدّ المواقف القتالية تعقيداً ، وباستخدام المناهج التقدمية في تعليم القوات وتربيتها ، وتوفي أثناء موقعة بورودينو .

كان الجيش الغربي الثالث بقيادة أ . ب . تورموسوف ، وكان يتألف من ثلاثة فيالق مشاة وفيلق فرسان ومفرزة سريعة الحركة (طيارة) تتألف من ٩ ألوية قوزاق . وقد احتشد في منطقة مدينة لوتسك مغطياً اتجاه كييف .

كانت المسافة على طول الجبهة بين الجيوش الثلاثة ٦٠٠ كم، وكانت تفصلها عن بعضها فرج واسعة منعت أي تعاون بينها. وكان وضع الجيش الروسي صعباً بسبب عدم وجود قيادة موحّدة له.

وكانت الخطة الاستراتيجية لنابليون الأول تقوم على تحقيق انتصار ضد الجيش الروسي في وقت قصير، وهزمه في موقعة واحدة أو موقعتين عامتين واحتلال موسكو وإجبار روسيا على الاستسلام.. وكان القائد الفرنسي اعتماداً على تفوقه وتبعثر الجيش الروسي يدأب على منع اتصال الجيشين الروسيين الأول والثاني وضرب كل جيش على حدة. ولهذه الغاية بدأت الكتلة الرئيسية للقوات الفرنسية من بروسيا الشرقية تعبر نهر نيمان جنوب مدينة كوفنو (كانت تدعى سابقاً مدينة كاوناس) حتى وصلت إلى المجنبة اليمنى للقوات الروسية في منطقة مدينة فيلنو. ولقد أمّنت هذه المناورة تفوق القوى الفرنسية على الاتجاه الرئيسي وهدّدت بقطع كافة المواصلات الروسية شمال منطقة بوليسيا وفتحت أقصر طريق إلى موسكو.

أما الخطة الاستراتيجية الروسية لخوض الحرب فكانت قد وضعت من قبل الجنرال البروسي ك. فوليا الذي كان يخدم في الجيش الروسي؛ وخلافاً لرغبة وزير الحرب م. ب. باركلاي دوتوللي والجنرالات الروس صدّق القيصر ألكسندر الأول على خطة مستشاره العسكري ك. فوليا التي كانت خطة خاطئة في أساسها. وتنص هذه الخطة على أنه في حالة مهاجمة الفرنسيين الجيش الغربي الأول يتعين على م. ب. باركلاي دوتوللي الانسحاب إلى معسكر دريسا المحصن ومشاغلة العدو حتى وصول الجيش الثاني الغربي بقيادة باغراتيون، الذي سيقوم بأعمال قتالية ناجحة في ميمنة القوات الفرنسية المهاجمة ومؤخرتها. وكان معسكر دريسا، الذي يقع قرب مدينة دريسا على شاطىء النهر غرب دفينا، بعيداً عن طريق موسكو وبطرسبرغ، هو في الحقيقة فخّ للجيش الروسي وليس للجيش الفرنسي. ومثل هذه الخطة لخوض الحرب كانت ستعرّض الجيش الروسي للسحق مرة واحدة.

وهكذا وجدت روسيا نفسها وكذلك الجيش الروسي حتى بداية الحرب في موقف غير ملائم؛ كما وجدت نفسها وجهاً لوجه تكافح ضد كل القارة الأوروبية. وكان الجيش الروسي متخلّفاً عن العدو من حيث العدد. واحتلت روسيا وضعاً استراتيجياً غير ملائم، ولم يكن لديها احتياطات، وقيادة موحّدة. وكانت خطة الحرب المصدّقة غير ملائمة، وكان تطبيقها سيضع الجيش الروسي في وضع صعب معقّد.

المرحلة الأولى من الحرب الوطنية عام ١٨١٢

بدأت الحرب في ليل ٢٤ حزيران (يونيو) عام ١٨١٢ عندما بدأ الجيش الفرنسي بعبور نهر نيمان، وكان في ذلك الوقت واقعاً على الحدود الدولية. وكان يهدف نابليون من ذلك أخذ زمام المبادرة الاستراتيجية بيده. وتحت ضغط قوى العدو المتفوّقة في العدد اضطر الجيشان الروسيان الأول والثاني إلى الانسحاب بصورة متمادية إلى عمق البلاد، فانسحب الجيش الأول إلى معسكر دريسا حسب خطة ك. فوليا. ونتيجة لهذا الانسحاب أصبحت الفرجة بين الجيشين الأول والثاني حوالي ٢٠٠ كم. وقد جدّت

القوى الرئيسية للجيش الفرنسي للدخول في هذه الفرجة، فاحتلت القوات الفرنسية مدينة مينسك يوم ٨ تموز (يوليو)، وأصبح الجيش الروسي تحت خطر التدمير الحقيقي مرة واحدة. وعندما كشف م. ب. باركلاي دوتوللي الفكرة الاستراتيجية للعدو لم يوقف جيشه في معسكر دريسا، بل أوقف فيلقاً على نهر دفينا لتغطية طريق بطرسبرغ، ووجّه جهوده الرئيسية نحو فيتبسك للالتحام مع جيش باغراتيون، وأصبح تراجع الجيشين يتم في اتجاهات ملائمة.

كان المسير التراجعي للجيش الغربي الثاني بقيادة باغراتيون نموذجاً مثالياً لمناورة القوات ببراعة في أكثر المواقف القتالية تعقيداً؛ فقد حققه بسرعة ٤٠ كم وأكثر في اليوم، مع التأثير المستمر على العدو في المجنبة والمؤخرة، ذلك العدو المتفوّق في العدد والعدّة. وبفضل المعارك في مؤخرة العدو والمناورة البارعة التي أظهرها الجيشان الروسيان استطاع الجيشان الاتحاد في سمولنسك مع محافظة القوى الرئيسية على قدرتها القتالية. وخلال ٣٨ يوماً تراجع الجيش الأول ٥٠٠ كم وتراجع الجيش الثاني ٧٥٠ كم.

في الوقت نفسه أوقع فيلق مفرزة حرس مؤخرة الجيش الأول الروسي الغربي إصابات فادحة في فيلق الجنرال الفرنسي ن. أودينو، وأوقف العدو عن متابعة الهجوم باتجاه مدينة بطرسبرغ. كما دافع الجيش الغربي الثالث للجنرال توراسوف، بعد معارك عنيفة، عن نهر سطير في منطقة مدينة لوتسكا.

كانت نتائج المعارك في مرحلة بداية الحرب غير متوقعة لنابليون الأول، حيث كان مجمل خسائر الجيش الفرنسي حتى ذلك الحين ١٥٠ ألف شخص بين قتيل وجريح ومفقود وعدد كبير من الأحصنة. وانخفضت القدرة القتالية لدى الجنود الفرنسيين وتناقصت انضباطيتهم، وانتشرت بينهم أعمال السلب، فتباطأت وتائر هجومهم. وبذلك أصبح نابليون مضطراً في ٢٩ تموز (يوليو) لإعطاء الأمر بتوقف الجيش لفترة ٧ ـــ ٨ أيام للاستراحة بسبب تفوّق العدو مرة ونصف في القوى، وكان الجنرال باركلاي دوتوللي ضد اقتراح الجنرال باغراتيون بمصادمة العدو في موقعة عامة في سمولنسك. وقد قرّر مغادرة المدينة ومتابعة الانسحاب. ومن أجل تغطية الانسحاب والدفاع عن سمولنسك توقف فيلق رايفك وفرقة نفروفسك، واستطاعا بعد أن خاضا موقعة مرّة في أيام ١٦، ١٧، ١٨ آب (اغسطس) أن يمنعوا العدو من احتلال سمولنسك. وكانت كافة الهجمات الفرنسية تؤدي إلى خسائر فادحة في صفوفهم وإلى فشل ذريع. وعندما أصبحت القوات الروسية في مأمن من الخطر غادرت قوات التغطية سمولنسك بأمر من القائد. ولقد برهنت هذه الموقعة أن القوات الروسية، ببساطة، لم تتراجع فقط بل إنها وجّهت إلى العدو ضربات موجعة أنهكت قواه.

كان تسليم مدينة سمولنسك والانسحاب لاحقاً باتجاه موسكو دليلاً على عدم سلامة سير الأعمال الحربية. وتحت ضغط الرأي العام اضطر ألكسندر الأول لتعيين م. ي. كوتوزوف قائداً للجيش الروسي، وهو تلميذ آ. ف. سوفوروف، وكان قائداً محنكاً عركته المعارك وتمرّس بالحروب. وكان اسم كوتوزوف شعبياً في الجيش الروسي ومنح رتبة جنرال فيلد مارشال في ٣١ آب (اغسطس) عام ١٨١٢.

كوتوزوف ميخائيل ايللريانوفيتش :



ولد كوتوزوف ميخائيل ايللريانوفيتش في ١٧٤٥/٩/١٦ وتوفي في ١٨١٣/٤/٢٨ . وهو قائد روسي عظيم . جنرال فيلد مارشال . ولد في مدينة بطرسبرغ (مدينة لينينغراد الحالية) في عائلة يعمل رئيسها مهندساً عسكرياً برتبة جنرال . أنهى في عام ١٧٥٩ مدرسة الهندسة ــ المدفعية ، وبعد التخرج بقي فيها للتعليم وبقي طيلة ٥٤ عاماً يخدم في الجيش الروسي .

كان للحرب التركية ــ الروسية منذ عام ١٧٦٨ التي خدم فيها كوتوزوف كضابط ميدان وضابط أركان ، أهمية كبيرة في خلق شخصيته القيادية ، حيث اكتسب خبرات قتالية عظيمة وشارك في العديد من المواقع القتالية كما أظهر مواهبه القيادية المليئة بالإقدام والحيوية والمبادهة . ففي السابعة والثلاثين من عمره نال رتبة جنرال ، ومنذ عام ١٧٧٦ عمل تحت إمرة القائد الروسي العام الجنرال يسيموسي ألكسندر فاسيليفتش سوفوروف ، واكتسب على يديه خبرات قتالية تقدمية وخاض معه كثيراً من الحملات والمواقع .

كان أحد أبرز الرجال في زمانه . وكان يتقن الفرنسية والألمانية والانكليزية والبولندية والتركية ، وذا ثقافة رفيعة حيث حصل على حنكة ومعرفة سياسية واسعة ، وكانت مواهبه التنظيمية الفائقة قد جعلته على قدر كبير من الحنكة السياسية والعمل الحكومي ، كما كان مربياً عظيماً للأجيال . وفي عام ١٧٩٢ عُيّن مبعوثاً فوق العادة في تركيا ، كما أُرسل في بعثة دبلوماسية إلى بروسيا ، ثم عُيّن مديراً للمدرسة البرية العسكرية ، وعمل كثيراً من أجل تحسين مستوى التدريب القتالي للضباط : درّس التكتيك والتاريخ العسكري ، وربّى لدى الضباط الشعور الرفيع بالواجب والشجاعة والمبادهة في المعركة . وعُيِّن عدة سنوات قائداً عسكرياً لمناطق : ليتوفسك ، بطرسبرغ ، وكييف . ومنذ عام ١٨٠٤ ترأس كوتوزوف الجيش الروسي الذي أُرسل إلى النمسا لمحاربة القوات الفرنسية . كما عُيِّن في مرحلة أزمة ضخمة ، كان يمرّ بها الجيش الروسي في المرحلة الأخيرة من الحرب الروسية ــ التركية ١٨٠٦ ــ ١٨١٢ ، قائداً عاماً للجيش المالدافي وطرد الأتراك من الدوناي .

في عام ١٨١١ استطاع أن يوقّع مع تركيا معاهدة سلام ملائمة لروسيا . وبفضل هذه المعاهدة لم تتمكن تركيا من مشاركة نابليون الأول في حملته على روسيا .

وبسبب نجاحه في قيادة الجيش الروسي في حرب ١٨١٢ مُنح أعلى أوسمة وميداليات الجيش الروسي . إلا أن صحته ساءت بسبب الحملات والمعارك التي خاضها ، وتوفي عام ١٨١٣ في المدينة الألمانية بونتسلاو ودُفن في لينينغراد .

استلم قيادة الجيش الروسي في ٢٩ آب (اغسطس) عام ١٨١٢ في مدينة تشاريفارزايميش . وكان

الموقف معقّداً وصعباً للغاية، حيث كانت القوى الرئيسية للجيش تنسحب، وكان العدو قد توغّل في روسيا وأصبح على بعد ١٨٠ كم من موسكو.

كانت الفكرة العامة الاستراتيجية لكوتوزوف تقوم على سدّ طريق موسكو في وجه الفرنسيين الذي أصبح جوهر الاستراتيجية الفرنسية كما هو بالنسبة لاستراتيجية كوتوزوف. وكان نابليون الأول يسعى بكل الوسائل لاحتلال موسكو وسحق الجيش الروسي في الطريق إليها. أما كوتوزوف فقد كان يهدف إلى استنزاف الجيش الفرنسي بالمعارك حتى موسكو العاصمة الروسية القديمة. وبعد أن درس كوتوزوف الموقف وجد أن المواضع التي تشغلها القوات الروسية غير ملائمة، وقوى الجيش غير كافية لملاقاة العدو والاصطدام به، فأمر القوات الروسية بالانتقال إلى الشرق على عدة ممرات وأوقفها عند ضيعة بورودينو من أجل سدّ طريق موسكو على جيش نابليون. وفي ٧ أيلول (سبتمبر) عام ١٨١٢ حدثت موقعة عامة عند بورودينو على بعد ١٢٠ كم من موسكو. وقد وضع فيها كل من القائدين العظيمين جهده، وفهمها كل منهما فهماً مختلفاً. وأحب التأكيد هنا على السمات المميزة للفن الاستراتيجي لكل منهما: لقد نظر كوتوزوف إلى موقعة بورودينو كإحدى الموقعات الحاسمة التي وقع مثلها أثناء الحرب. وكان مقتنعاً أنه مع ظهور الجيوش الكثيفة لم يعد ممكناً حسم الحرب كلها في موقعة عامة واحدة. لذلك فقد أخضع أمر استخدام قواه إلى مهمّة كسب الحرب بالكامل. أما في هذه الموقعة، بالذات، فقد كانت غايته إبادة أفضل كوادر الجيش الفرنسي، وتغيير نسبة القوى العامة لصالح الروس إلى أن تحين الفرصة الملائمة للقيام بالهجوم المعاكس العام. أما نابليون فقد كان يرى في موقعة بورودينو العامة واسطة لتقرير مصير الحرب بكاملها، لذلك فإنه أمر باستخدام كل القوى لمهمة كسب هذه الموقعة العامة وحدها.

لقد تحشّد في بورودينو من الطرفين ٢٥٥ ــ ٢٦٥ ألف جندي موزعين على الجيوش حسب الجدول (رقم ٣).

تدل المعطيات التي أوردناها في الجدول (رقم ٣) أن التفوق بالقوى والوسائط كان لصالح القوات الفرنسية على القوات الروسية.

ولن نتوقف هنا لدراسة سير الأعمال القتالية في موقعة بورودينو، بل سنعمد إلى دراسة المراحل الهامة والرئيسية في فن عملياتها.

لقد برهنت هذه الموقعة أن تكتيك الأرتال الفعّال والنظام المنتشر حلّ محلّ التكتيك الخطي التقليدي، وكان للضربات المباشرة بالسلاح الأبيض أهمية حاسمة ضد صفوف المشاة المتراصة والفرسان. أما المدفعية الكثيرة النوع والعدد فقد كانت تمهّد بنيرانها للهجمات أو تساعد على صد الهجمات المعادية عند الدفاع.

وبيّنا تراتيب قتال القوات الروسية في الشكل (رقم ٣) وكان عميقاً وثابتاً، وأمّن إمكانية المناورة. وكان العمق العام للتراتيب القتالي يصل إلى ٤ كم.

(الجدول رقم ٣)

توزيع القوى في موقعة بورودينو

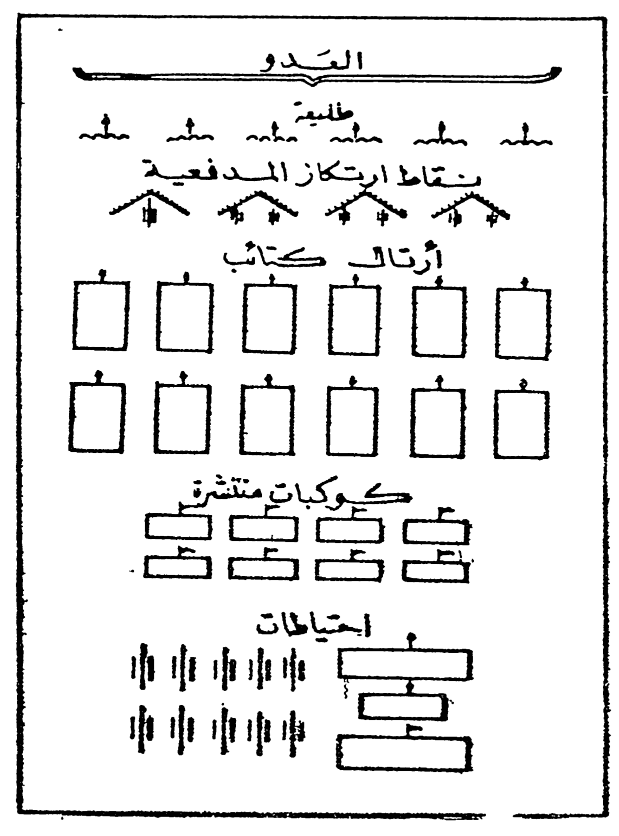
الدلالات	جيش كوتوزوف	جيش نابليون	نسبة قوى الطرفين
١ ــ تعداد القوات	١٢٠٫٠٠٠	١٣٥٫٠٠٠	١ / ١٢ر١
منها: مشاة	٧٢٫٠٠٠	٩٠٫٠٠٠	١ / ٢٥ر١
فرسان	١٧٫٠٠٠	٢٩٫٠٠٠	١ / ٧ر١
قوات أخرى	١٤٫٠٠٠	١٦٫٠٠٠	١ / ١ر١
٢ ــ عدد المدافع	٦٤٠	٥٨٧	١ / ١ر١

تعتبر موقعة بورودينو نموذجاً كلاسيكياً لموقعة دفاعية فعّالة. فقد كان الجيش الروسي بقيادة كوتوزوف قد رفع تكتيك المناورة إلى درجة رفيعة عالية وجَوَّدَهُ أحسَنَ تَجْويد، حيث استخدم المناورة بالقوات على نطاق واسع، سواء من العمق أو بالجبهة، مركزاً الجهود على القطاعات الحاسمة في الموقعة؛ وقد لعبت الاحتياطات العامة والخاصة دوراً كبيراً في المواقع. فكان كوتوزوف، في المرحلة المناسبة، يُجري مناورة بالفرسان على مجنبة القوات الفرنسية، فيوقف هؤلاء هجومهم. وكانت القطعات الروسية وهي تصدّ الهجمات المتتابعة تقوم بهجمات معاكسة ليس فقط في جبهة العدو بل على مجنبتيه أيضاً.

إن موقعة بورودينو مثال على مزج الضربات بالسلاح الأبيض بالنيران والمناورة. وكانت نموذجاً لأسلوب ذلك الزمان في الاستخدام الكثيف للمدفعية من كلا الطرفين (٧٠٠ مدفع كانت تصلي نيرانها المتواصلة من الطرفين في وقت واحد). وفي قطاع واحد من الأرض مساحته ٥ر١ كم ركّز الروس ٣٠٠ مدفع وحتى ١٨ ألف جندي، وركّز نابليون الأول ٤٠٠ مدفع و٤٥ ألف جندي. إن مثل هذه الكثافة بالمدفعية والجنود لم تكن معروفة سابقاً في تكتيك الأرتال والنظام المنتشر. فلقد وسّعت هذه الموقعة دور المدفعية، وأظهرت أهمية دور نظام المدفعية داخل نقاط الاستناد التي استخدمها الروس. وقد خسر الجيش الفرنسي

في الصراع على المرتفعات المتحكمة في أرض بورودينو ٧٠٪ من مجموع الخسائر التي حدثت في الموقعة كلها.

إن النظرة المختلفة التي كان يلقيها كل من هذين القائدين العظيمين على دور موقعة بورودينو ومكانها في مصير الحرب العام واختلاف أهدافهما التي وضعها كل منهما نصب عينيه، حددت مصير هذه الموقعة. ولم يحقق نابليون هدفه في سحق الجيش الروسي في هذه الموقعة وتقرير مصير الحرب كلها، بينما استطاع الجيش الروسي صدّ كافة ضربات الفرنسيين وحافظ على مواقعه. لقد خسر نابليون في موقعة بورودينو ٥٨ ألف رجل منهم ٤٧ جنرالاً أو ٤٣ر٣٪ من جيشه بين قتيل وجريح؛ فحرّك قواته إلى مواقع الانطلاق، وترك المواقع التي دفع قيمتها دماء غزيرة. كما كانت خسائر القوات الروسية أيضاً هائلة، فقد قتل وجرح ٤٤ ألف شخص أو ٣٤ ـــ ٣٥٪ من كامل القوى الروسية.



(الشكل رقم ٣) ـــ تراتيب قتال القوات الروسية في موقعة بورودينو.

استمرت معركة بورودينو ١٢ ساعة. فنابليون الذي دوّخ أوروبا واحتل، تقريباً، كل أصقاعها لم يستطع أن ينفّذ في موقعة بورودينو أي مهمة من المهام التي وضعها لنفسه. ونابليون الأول الذي كان يبحث عن موقعة حاسمة، فإذا به يتلقى نتائج لم تخطر على باله وحَصَدَ نتائج غير التي كان يتوقعها. وفي رأيي أن الموقعة انتهت بانتصار التكتيك، وفشلت خطة نابليون الاستراتيجية.

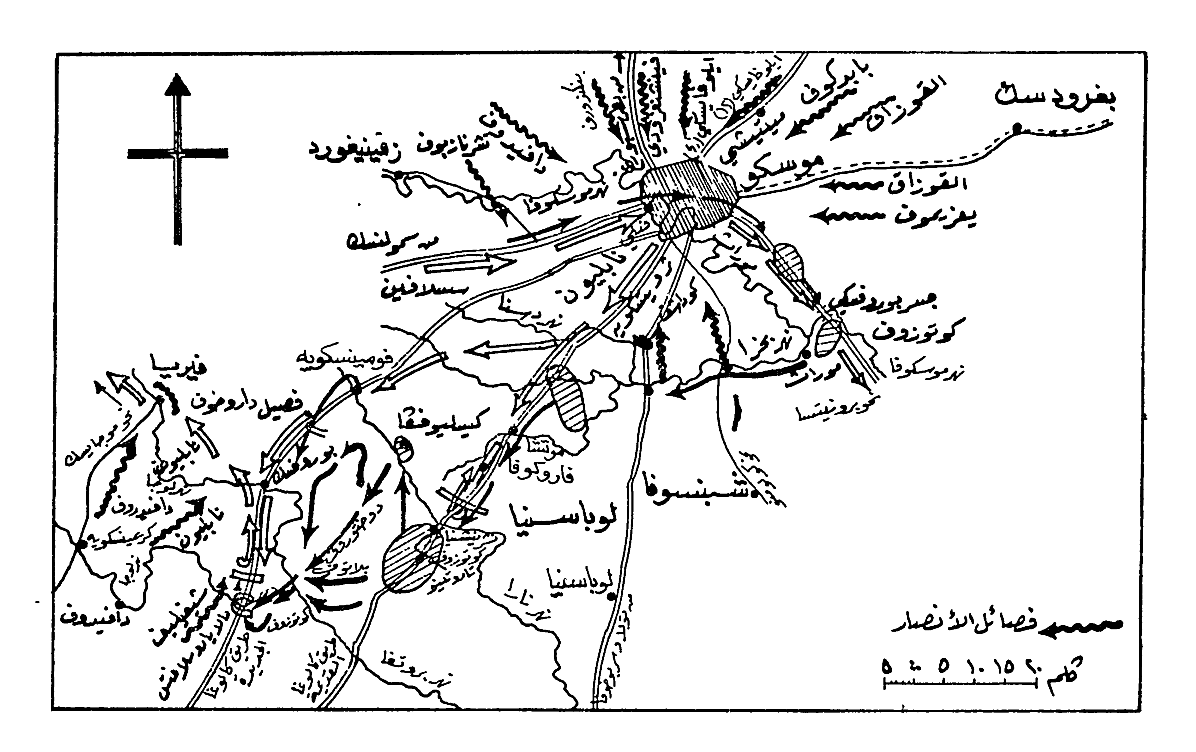
وبعد أن اطّلع كوتوزوف على المعلومات المتعلقة بخسائر الجيش الروسي تراجع عن فكرة متابعة الموقعة

في صباح اليوم التالي . وكان أحد أسباب ذلك التراجع انسحاب الاحتياطات المدرّبة إلى موسكو . فأمر جيشه بالانسحاب من أجل المحافظة عليه ، واستكماله بالرجال والعدد ، وجعل نابليون يزيد من بُعْدِ مواصلاته ، وفي نهاية المطاف تشكيل شروط أفضل ملاءمة للانتقال إلى الهجوم العام المعاكس .

وفي ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٨١٢ جمع كوتوزوف أعضاء المجلس العسكري في قرية فيلي قرب موسكو ، من أجل المحافظة على القدرة القتالية للجيش والإسراع بإرسال الاحتياطات ، وطالب بترك موسكو دون قتال معلّلاً قراره قائلاً : «إذا خسرنا موسكو فإننا بذلك لا نخسر روسيا . إن أول واجب علينا هو المحافظة على الجيش والاقتراب من القوات التي تأتي إلينا للدعم . ان تسليم موسكو سنعده ليكون قبراً للعدو» .

لقد أدرك نابليون صعوبة الوضع الذي صار إليه الأمر ، ولكنه كان يعتقد أن احتلال موسكو سيمكّنه عن طريق الدبلوماسية من عقد اتفاق سلام ، وبذلك يحفظ جيشه ويعود إلى باريس ظافراً .

وكان الجيش الروسي ، في ذلك الوقت ، قد اختطّ ممرين على طريق ـــ يازان ، ثم انعطف بشكل غير متوقّع من العدو إلى الغرب حتى وصل إلى نهر نارا وتوقف عند قرية تاروتينو .



(الشكل رقم ٤) ـــ مناورة تاروتينو للجيش الروسي. معركة تاروتينو وموقعة مالاياروسلافتش في تشرين الأول ـــ اكتوبر عام ١٨١٢

كان المسير ـــ المناور للجيش الروسي من ابتداع كوتوزوف ، وقد نفذ بفن رفيع وسرّي بالنسبة للفرنسيين . وبقي نابليون أسبوعين وهو يجهل مكان وجود الجيش الروسي . وكان من نتيجة مناورة تاروتينو

للجيش الروسي إبعاد هذا الجيش عن تلقي ضربات العدو ممّا أدى إلى خلق ظروف ملائمة لتحضير الهجوم المعاكس العام.

يعتبر المسير ــ المناور الجانبي إلى تاروتينو نموذجاً لامعاً من فن الحرب السوفييتي. فقد بدّل بصورة جذرية كامل الموقف الاستراتيجي لصالح الجيش الروسي، وعزز إمكاناته في الأعمال الهجومية الفعّالة، حيث وضعت التجميعات الرئيسية للقوات الفرنسية في موسكو وكل خطوط المواصلات من موسكو وحتى سمولنسك لمسافة تزيد عن ٤٠٠ كم تحت تهديد ضربات الروس. كما وقع الجيش الفرنسي في موسكو ضمن طوق محاصر من كافة الجهات ومنعه من القيام بالمناورة وبالأعمال القتالية. وكانت كل الطرق إلى الجنوب مُغلقة وهي الطريق المأهولة للحصول على الأغذية والأعلاف. كما ظهرت بوضوح في مرحلة تاروتينو القوة الانتصارية لاستراتيجية كوتوزوف وهي تسليم موسكو لتكون مقبرة للمعتدي، وقد اكتسبت هذه الاستراتيجية طبيعتها الخاصة بخوض حرب شرعية، وحرب تحريرية في الوقت نفسه.

نفذت في معسكر تاروتينو المحصن تدابير تحضيرية وتنظيمية هامة تؤمن تحول الجيش الروسي إلى الأعمال الهجومية الفعالة. كما نُفذت إحدى أكبر المهام الاستراتيجية أهمية، وهي تحقيق التفوق على العدو بالقوى حتى وصل التعداد العام الرئيسي للجيش إلى ١٢٧ ألفاً من العسكريين وتضاعف عدد المدافع. كذلك بلغ عدد الأحصنة ثلاثة أضعاف ونصف أكثر من العدد الذي يحوز عليه العدو. كما وصل عدد الأشخاص المنضمين إلى وحدات شبه عسكرية إلى ١٠٠ ألف شخص، أحاطت بموسكو بنصف دائرة. وأنهى كوتوزوف في تاروتينو وضع خطة تطويق وسحق وتحطيم الفرنسيين بين نهري غربي دفينا والدنيبر.

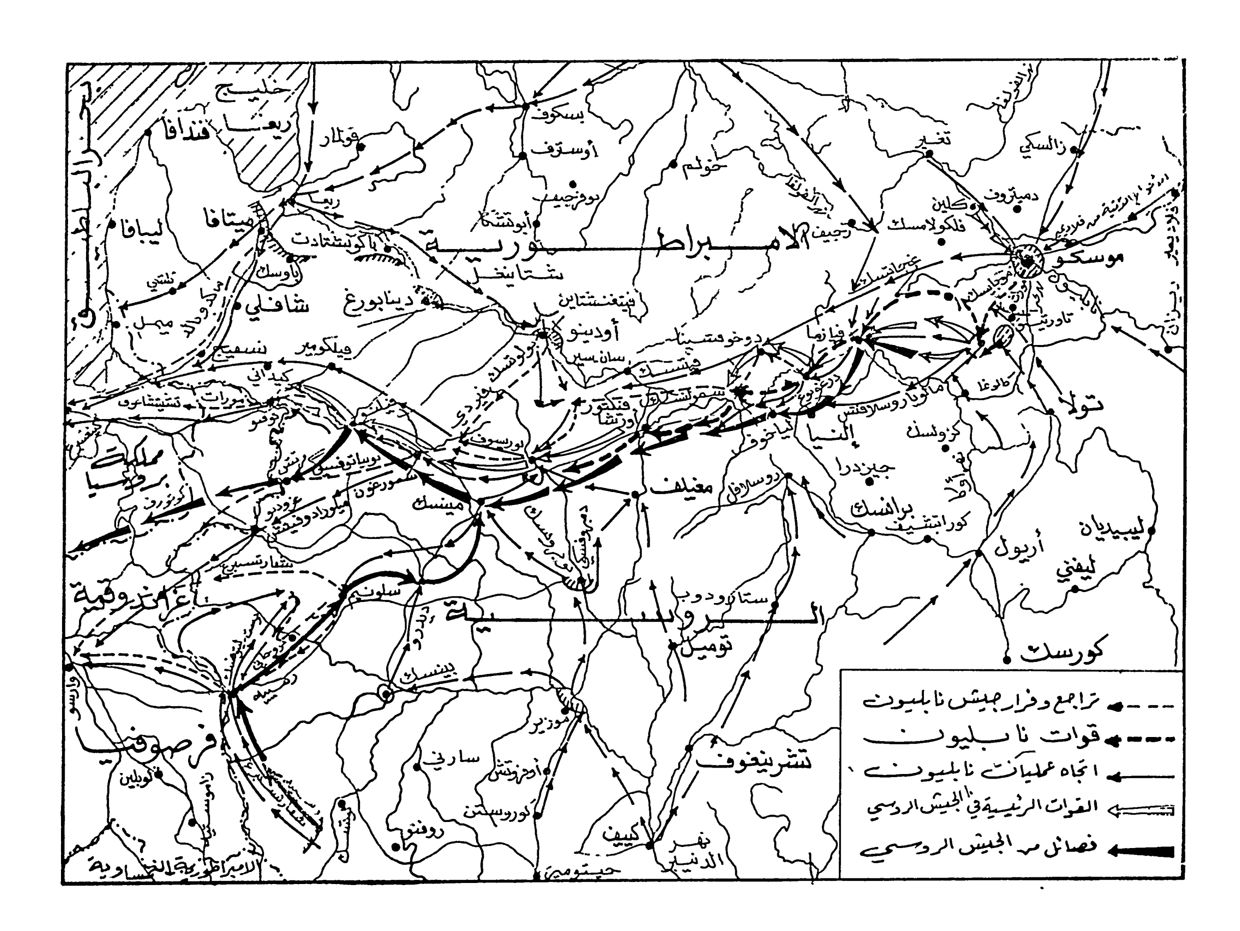
المرحلة الثانية من الحرب الوطنية عام ١٨١٢

في بداية شهر تشرين الأول (اكتوبر) انتقلت القوات الروسية التي اشتد ساعدها إلى الهجوم المعاكس العام الحاسم. وفي ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) تركت القوى الرئيسية للجيش الروسي أماكن تمركزها من منطقة تاروتينو وهاجمت بصورة مفاجئة مقدمة الجيش الفرنسي وقضت على ٢٠ ألف رجل فيها، كانت تتمركز على بعد ٦٠ كم من موسكو على نهر تشرنيشنيا؛ وبعد أن تلقى نابليون أنباء معركة تاروتينو اضطر في ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) لمغادرة موسكو، محاولاً عبور أماكن توضّع القوات الروسية عبر مالاياروسلافتش والاختراق حتى كالوغ وتوجيه جيشه عبر طريق سمولنسك، وهو طريق التفافي في المنطقة الجنوبية لم تشملها الحرب سابقاً.

تحرك الجيش الروسي لقطع الطريق على العدو، حيث نشبت في ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) موقعة بين مقدمتي الجيشين في ضواحي ياروسلافتش. وحتى نهاية النهار التحمت القوى الرئيسية للجانبين.، فاحتلت القوات الروسية موضعاً للموقعة العامة، إلا أن هذه الموقعة لم تحدث رغم أن نابليون الأول كان دوماً يبحث عن موقعة عامة ولكنه لم يعد واثقاً من نجاحها، فنكص عن خوض الموقعة وأمر الجيش بالعودة إلى طريق سمولنسك: لقد سطّر نابليون بهذا القرار أمر هزيمته النهائية بنفسه. إذ إن مناورة الجيش الروسي قرب ياروسلافتش كان مكتوباً لها النصر لو أنها وقعت. ولكنها على كل حال نقلت زمام المبـادرة

الاستراتيجية إلى الجيش الروسي، وبقي محافظاً عليها حتى القضاء النهائي على العدو. كما اكتسبت الأعمال القتالية منذ ذلك الحين طابعاً فعّالاً خاصاً وفتحت الباب على مصراعيه لطرائق فعّالة في الصراع المسلح مثل الملاحقة المتوازية للعدو وتطويق قواته.

وكان هجوم الجيش الروسي ضد قوات نابليون حاسماً وموجهاً نحو تدميره، ودأب كوتوزوف على العمل من أجل «عدم طرد» جيش الامبراطور الفرنسي من روسيا بل تدميره والقضاء عليه قضاء مبرماً في الأرض الروسية نفسها. وقد كتب القائد كوتوزوف أن: «أحد أهدافنا الرئيسية لكافة أعمالنا هي مطاردة العدو حتى آخر طاقات إمكاناتنا» ويوضح (الشكل رقم ٥) طبيعة الهجوم الأصيل، والفعّال للجيش الروسي في المتابعة المتوازية. وبهذه الطريقة في العمل كانت القوى الروسية الرئيسية تتحرك بشكل موازٍ للجيش الفرنسي واضعة إياه دوماً تحت خطر الضربات الجانبية، واحتلال طرق الانسحاب. وكان على الفرنسيين الانسحاب دون توقف خوفاً من قطعهم بعضهم عن البعض الآخر، في الوقت الذي كانت فيه قوات روسية قليلة تلاحق جيش نابليون بالمقارنة مع الجيش الفرنسي. كما كانت المفارز الجيشية، ومفارز الأنصار المشكلة من الفلاحين تهاجم مجنبات الجيش الفرنسي المنسحب باستمرار أثناء الليل وخلال النهار ومن الجانبين على حدّ سواء.



(الشكـــل رقـــم ٥) ــ الحرب الوطنيـــة العظمـــى عام ١٨١٢. طرد جيش نابليـــون من روسيـــا ٦/١٨ ــ ١٨١٢/١٢/١٤.

وكانت إحدى السمات المميزة لأعمال القوات الروسية في مرحلة الملاحقة دأبها باستمرار على إجبار الفرنسيين على خوض معارك الاستنزاف والإنهاك، مع الحيلولة دون نشوب موقعة كبيرة بين الجيشين. فمثل هذه الطريقة في العمل تثبت أن كوتوزوف أخضع التكتيك للاستراتيجية وأخضع الاستراتيجية للسياسة؛ كما فهم هذا القائد العظيم ورجل الدولة المحنّك أنه بسحق جيش نابليون الذي غزا روسيا لن تنتهي الحرب مع فرنسا، لذلك كان يقتصد بالقوى أثناء ملاحقة العدو محاولاً المحافظة على الجيش للأعمال القتالية المقبلة.

وكانت أكبر المعارك معركة مدينة فيازما ومعركة أخرى قرب ضيعة كراسنا. ففي الموقعة الأولى خسر نابليون ٩ آلاف قتيل وجريح، وفي الثانية خسر ٦ آلاف، ووقع ٢٦ ألفاً في الأسر، كما أنه خسر معظم مدفعيته تقريباً.

كان نابليون وهو يتراجع إلى مدينة بوريسوف على نهر بيريزينا. تتزايد خسائره باستمرار ويدخل شيئاً فشيئاً في «التطويق». وقد استطاع كوتوزوف سدّ طريق الانسحاب على نابليون من أجل القضاء المبرم على جيشه. واستمرت المعركة على نهر بيريزينا من ٢٦ ـــ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) حيث تلقّى جيش نابليون الضربة القاضية الأخيرة التي خسر في نهايتها ٣٠ ألف شخص. واستطاع نابليون اجتياز النهر إلى الضفة المقابلة لنهر بيريزينا، والخروج من الطوق مع ٩ ـــ ١٠ آلاف شخص، وإنقاذ نفسه من الوقوع في الأسر، والهروب والنجاة بنفسه من قبضة روسيا بسبب عدم حسمية الضابطين البروسيين: ب. خ. فيتغينشتاين، وب. ف. تشيتشاغوف وجبنهما. وقد خسر نابليون في روسيا ٥٧٠ ألف رجل، وفَقَد معظم ما يملكه جيشه من أحصنة ومدفعية.

وفي الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٨١٣ هنّأ كوتوزوف الجيش الروسي على طرد العدو من الأرض الروسية ودعاه إلى «القضاء النهائي على العدو في أرضه نفسها» أي في الأرض الفرنسية. وبدأ الجيش الروسي الحملة الأوروبية التي انتهت عام ١٨١٤.

وبهذا يكون الجيش الروسي وكذلك الشعب قد ذادا في نضالهما مع أقوى المعتدين عن حياض الوطن وحطما حلم نابليون في السيطرة على العالم. واستطاع كوتوزوف القائد العظيم أن يجعل أحلام نابليون في تنصيب نفسه ملكاً للعالم كله تنهار، وذلك بأمره الجيش الروسي بمتابعة الهجوم للقضاء عليه في الأرض الفرنسية نفسها. وبذلك أدّى الشعب الروسي والجيش مهمتهما الأساسية في تحرير أوروبا الغربية من العبودية النابليونية.

١ ـــ ٢ ـــ ٣ ـــ حركة الأنصار في حرب عام ١٨١٢ م

حركة الأنصار التي يطلقون عليها حرب الأنصار، هي صراع مسلّح تخوضه الجماهير الشعبية من أجل حرية وطنها واستقلاله، أو من أجل التحويل الاجتماعي، ويتم ذلك في أرض احتلها العدو. ففي روسيا كانت هذه الحركة تتم، غالباً، على يد الفلاحين المسلحين، وبعد ذلك أصبحت تقوم بها مفارز خاصة من

الجيش الروسي ضد المحتلين الفرنسيين، وبالتحديد ضد قوات نابليون ولقطع طرق مواصلاته. وقد ظهرت في حركة الأنصار الانعكاسات الشرعية الطابع للحرب الوطنية عام ١٨١٢، حيث بدأت في ليتفيا وروسيا البيضاء بعد انسحاب الجيش الروسي. ففي المراحل الأولى ظهرت الحركة وكأنها تهدف إلى الحيلولة دون وصول الأعلاف إلى خيول الجيش الفرنسي وبالتالي الأغذية، والتدمير الشامل لاحتياطات هذه الأنواع من الإمدادات.

ومع وصول الجيش الفرنسي إلى سمولنسك ثم بعدها إلى موسكو وكالوج، اتّخذت حركة الأنصار أبعاداً عريضة، حيث انتسب الفلاحون في معظم المناطق الروسية إلى مفارز الأنصار المسلحة بالرماح والسيوف والبنادق، وكانت تهاجم مجموعات صغيرة من الجنود الفرنسيين، وعربات الأرزاق، وتخرب طرق المواصلات. ووصل تعداد المفرزة من ٣ إلى ٦ آلاف شخص. ونالت مفارز أنصار غ. م. كورينا، وس. اميليانوف، وف. كوجنوي وغيرها شهرة واسعة في روسيا.

ولم تكن الحكومة العنصرية الروسية لتثق بحركة الأنصار. ولكن بسبب ارتفاع الروح الوطنية لبعض الجنرالات التقدميين من أمثال ب. ي. باغراتيون وم. ب. باركلاي دوتوللي وغيرهما، فقد أصبحوا من أنصار تنظيم مفارز الأنصار. وقدّر القائد العام للجيش الروسي م. ي. كوتوزوف كفاح الأنصار الشعبي تقديراً عظيماً، حيث وجد فيه قوة عظيمة قادرة على إيقاع خسائر فادحة في صفوف العدو. كما شجع دوماً وبكل الوسائل تشكيل مفارز جديدة وأعطى التعليمات المتعلقة بتسليحها، وتدريبها على تكتيك كفاح الأنصار.

وبعد توقف القوات الروسية في موسكو كانت جبهة حركة الأنصار قد اتّسعت إلى حد كبير. إلا أن كوتوزوف أخضعها لفكرته العامة الاستراتيجية وأعطاها طابعاً تنظيمياً، ممّا أدّى إلى تشكيل مفارز خاصة من القوات النظامية للجيش الروسي كانت تعمل بأساليب الأنصار. وقد شُكّلت أولى هذه المفارز، التي يبلغ تعدادها ١٣٠ شخصاً، في نهاية شهر آب (اغسطس) عام ١٨١٢، بفكرة جريئة من أحد أبطال الحرب، المقدّم د. ف. دافيدوف. وأصبح في شهر أيلول (سبتمبر) قوام جيش مفارز الأنصار ٣٦ فوج قوزاق، و٧ أفواج فرسان، و٥ أفواج مشاة، و٥ كوكبات، و٣ كتائب، وكانت هذه المفارز بقيادة ضباط أمراء وقادة وأعوان، علماً بأن أغلب مفارز الفلاحين كانت قد تشكلت بهدوء ثم دخلت في مفارز الجيش أو تعاونت معها بصورة وثيقة.

وشاركت في حركة الأنصار تشكيلات مستقلة من المتطوعين الروس، وهي وحدات مؤقتة مُحاربة تشكلت على يد القوات النظامية لمقارعة الجيش الفرنسي. وكانت ترأس تنظيمات التطوّع الشعبي لجنة خاصة قامت بوضع نظام للتطوع والإمداد، ونظام مالي. وكان معظم المتطوعين من الفلاحين في سن ١٧ ـــ ٤٥ عاماً. وقد أسندت قيادتها إلى ضباط مُحالين على التقاعد، وإلى بعض المدنيين. كما كانت تُجرى دورات خاصة لرؤساء المفارز وقادة الأفواج.

لقد تمّ تسليح المتطوعين في البداية بالأسلحة البيضاء: الحراب والفؤوس والسيوف، ولكن في نهاية

عام ١٨١٢ كان جميع المتطوعين يملكون بنادق . كما نُظِّمت لهم دروس في العمل العسكري قام بها ضباط الصف، وجنود ذوو خبرة بالتدريب في القطعات النظامية للجيش الروسي. وكانت الوحدة الرئيسية للمتطوعين الشعبيين : أفواج المشاة ٢٥٠٠ شخص وخيالة ٥٠٠ ــ ١٤٠٠ شخص. كما شكلوا مفارز إطعام تتألف من ٨٢٠ شخصاً. وقد تمّ في روسيا كلها تشكيل ٨٢ فوجاً من المشاة، و ٣٠ مفرزة، و ٢٥ فوج خيالة، مجموعها ٢٧٢ر١٠٠ شخص. وكذلك ٧٠ فوج خيالة قوزاق متطوعين بلغ عددهم ٥٢١٠٠ شخص. وكانت هذه الوحدات مساعدة للجيش الروسي العامل. وقد وصل التعداد العام للتطوع الشعبي للأعمال القتالية ضمن قوام الجيش إلى ما يزيد عن ٣٢٠ ألفاً. ولو أضفنا إلى ذلك المتطوعين الداخليين الذين ينفذون مهام حراسة الموجودات، والمواصلات، وبعض المناطق الغنية بالأعلاف والأرزاق، لوصل عددهم إلى أكثر من ٤٢٠ ألفاً.

وشارك المتطوعون بنشاط في حماية مدن سمولنسك وفي بورودينو وغيرها من الموقعات، وفي محاصرة قوات نابليون في موسكو، كما ساهموا في معارك كثيرة ضد الفرنسيين في الأراضي الروسية وفي حملات الجيش الروسي خارج الحدود الروسية في عامي ١٨١٣ ــ ١٨١٤.

لقد أسند كوتوزوف إلى مفارز الأنصار أقوى المهام في التعاون مع الجيش الروسي العامل وفي توجيه الضربات إلى الحاميات المستقلة والاحتياطات الفرنسية. وخسر نابليون خلال خمسة أسابيع بعد موقعة بورودينو بسبب الضربات التي كالها الأنصار ٣٠ ألف شخص. كما شاركت مفارز الأنصار القوات الروسية في ملاحقة وتدمير الجيش الفرنسي على طول طرق انسحابه، وقدمت مساعدة كبيرة للجيش الروسي في سحق قوات نابليون، وطردها من الأرض الروسية.

١ ــ ٢ ــ ٤ ــ فن الحرب في مرحلة حرب القرم ١٨٥٢ ــ ١٨٥٦ م

في منتصف القرن التاسع عشر سيطرت على أكبر الدول الأوروبية استراتيجيات وآراء، ومبادىء تستند إلى خبرات الحروب النابليونية، وهي نظرية الموقعة العامة الشاملة. بينما أثّـرتْ التغيرات الاجتماعية ــ الاقتصادية والمادية ــ التقنية لخوض الصراع المسلّح في بروز مهام جديدة لفن الحرب. كما شكّل تزايد تعداد الجيوش، وإمكانات استخدام السكك الحديدية، والبرق للأغراض العسكرية، ظروفاً موضوعية جديدة من أجل زيادة رقعة الحرب.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حدثت تطورات وتحسينات في أسلحة الرمي النارية، فقد اكتشف في ذلك الوقت البارود غير الدخاني ليزيد من سرعة رمي الأسلحة، وأمديتها. وسلحت المشاة بكميات كبيرة من الأسلحة المحلزنة. وبدأ في روسيا في عام ١٨٥٤ إنتاج المسدسات المحلزنة ذات الكبسولة، كما تزايد دور النيران في المواقع إلى حد كبير. وأثبتت الخبرات أن الأرتال يمكن أن تدمّر بكاملها بنيران المدفعية وأسلحة الرمي الصغيرة حتى في لحظة التقرب من العدو. بالإضافة إلى أن تأثير الأسلحة الجديدة على فن الحرب لم تكن قد درسته الجيوش الكثيفة بعد، تقريباً، ولم يُحسب حسابه. وسعى القادة

الكبار في منتصف القرن التاسع عشر لتكرار استراتيجية نابليون الأول وأساليبه في الحرب، متجاهلين الظروف الجديدة وإمكانات خوض الحرب.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر مدة طويلة. وكانت القوانين الموضوعة لتطور العمل العسكري أقوى من محدودية العسكريين البورجوازيين، كما ظهر عدم تطابق طرائق خوض الصراع المسلح مع الظروف الجديدة والوسائط التقنية في حرب القرم ١٨٥٣ ـــ ١٨٥٦ التي شنتها روسيا ضد أربع دول هي: بريطانيا العظمى، وفرنسا، وتركيا، ومملكة سردينيا من أجل السيطرة على الشرق الأدنى. وفي منتصف القرن التاسع عشر عززت الدول الرأسمالية الأوروبية، وخاصة فرنسا وبريطانيا العظمى، توسّعها في الشرق الأدنى من أجل الاستيلاء على أسواق جديدة، والحصول على المستعمرات. إلا أنّ هذه السياسة التوسعية لاقت مقاومة من روسيا التي كانت تسعى إلى الدفاع عن مصالحها الاقتصادية والسياسية في منطقة البحر الأسود، وتقوية مواقعها في البلقان، وما وراء القفقاس. وقامت الرجعية التركية بتشجيع من الدبلوماسيين الأوروبيين بإحياء خطط سلخ القرم والقفقاس عن روسيا. وهكذا أصبحت حرب القرم سواء لروسيا أو لأعداء روسيا غير شرعية، وذات طابع احتلالي.

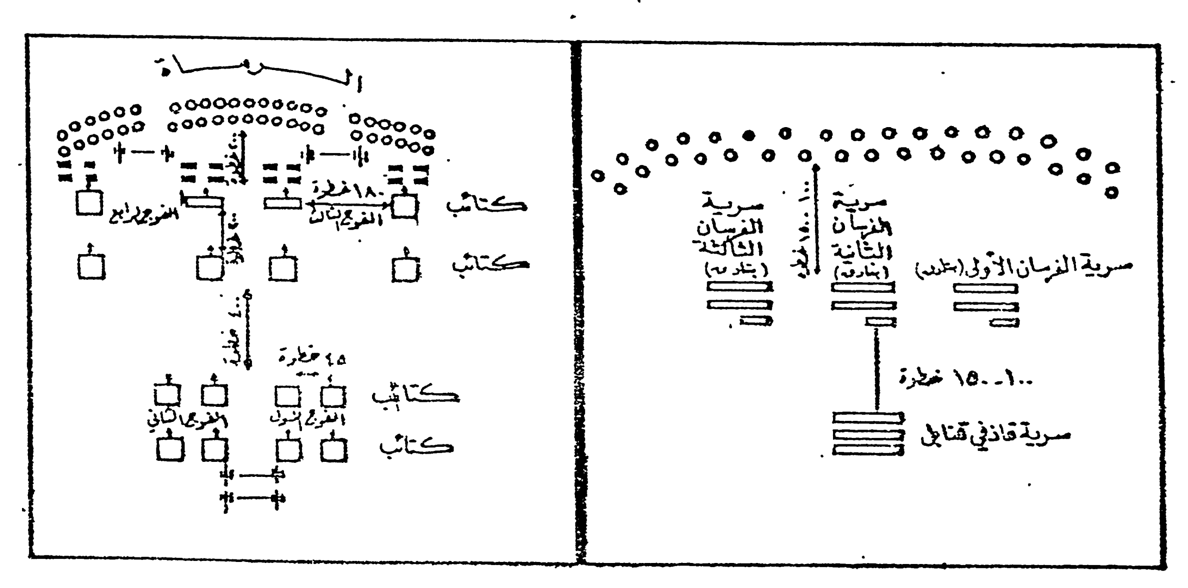
وأثناء خوض الأعمال القتالية كان فن الحرب مستمراً في التقدم والارتقاء، فقد أصبحت أشكال خوض الحرب متخلّفة عن المبادىء الجديدة. وكان على روسيا أن تخوض الحرب ضد الدول المتحالفة التي يبلغ تعداد أفراد جيوشها مليون جندي، في حين لم يصل تعداد الجيش الروسي إلى ٧٠٠ ألف شخص. وفي هذه المرحلة بالذات كانت روسيا متخلفة، إلى حد كبير، عن دول أوروبا الغربية في حقل العتاد الحربي. وكان أسطولها يتألف من سفن تقادم عليها الزمن، وكان الجيش مزوّداً بأسلحة ملساء ذات مدى زمني قصير بينما كان الحلفاء، على الأغلب، يملكون أسلحة محلزنة.

وظهرت في حرب القرم الأهمية العظيمة للوسائط الفنية الجديدة مثل السكك الحديدية، والسفن البخارية والبرق. وكانت السكك الحديدية لبريطانيا العظمى وفرنسا تصل بين المناطق الوسطى والموانىء، كما أمّن وجود أعداد كبيرة من السفن، التي تعمل على البخار، عملية إنزال قوات كبيرة، ووسائط الإمداد في مسارح الحرب. كما أن عدم وجود اتصال بالسكك الحديدية بين وسط روسيا وجنوبها كان السبب الرئيسي في التحشيد البطيء للقوات الروسية في القرم وفي الصعوبات الهائلة في إمدادها، وفي نقل الاحتياطات. أما أمر استخدام التلغراف من أجل قيادة الأعمال الحربية في أراضٍ واسعة فمشابه لذلك. ولم يتم مد خط برقي بين وسط روسيا والقرم إلا في نهاية الحرب.

كان سير الحرب كلها مرحلة هامة من مراحل تطور القوى والوسائط القتالية لفن الحرب البري والبحري على حد سواء. فقد استخدمت فيها، لأوّل مرة، على نطاق واسع وشامل، الأسلحة المحلزنة. كما كانت حرب القرم دفعة قوية لتطوير المدفعية وأسلحة الرمي، والألغام. وعلى أساس خبرات الحرب بدأت كافة الدول الانتقال من الأسلحة الملساء إلى المحلزنة ومن السفن الشراعية الخشبية إلى السفن البخارية المدرّعة، كما أضيف الكثير إلى تكتيك القوات البرية، والتأمين التحصيني والهندسي للقوات. وتطلبت هذه الحرب إعادة النظر في كثير من قواعد فن الحرب التي تتلاءم مع متطلبات ذلك الزمن. كما تعرض تكتيك

الأرتال الضاربة إلى أزمة حقيقية . ولم يلقَ اتخاذ بنية أرتال الكتائب (كما في الشكل رقم ٦) نجاحاً في مناطق نيران الأسلحة المحلزنة الكثيفة .

كان رتل الكتيبة كبيراً ، وغرضاً ملائماً للعدو تَحمَّل خسائر فادحة في الهجوم والدفاع على حد سواء . ففي موقعة نهر آلما التي وقعت يوم ٢٠ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٥٤ وتحت تأثير نيران المشاة الانكليز والفرنسيين ، والبنادق المحلزنة التي سلّحوا بها ، انقسمت الأرتال الروسية بصورة عفوية ، والتجأ الجنود إلى تضاريس الأرض يحتمون فيها من رصاصات العدو . وفي موقعة انكرمانسك في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٤ كانت عدة أفواج تهاجم مواقع الانكليز ، فانتشرت دون خطة مسبقة على شكل سلاسل من أجل اجتياز مناطق نيران المدفعية والبنادق ، بأقل الخسائر . وبهذا الشكل ولدت زيادة مدى وكثافة نيران العدو ترتيب قتالي جديد هو خط المشاة . ويتعين علينا هنا أن نلاحظ حقيقة هامة هي أن خط المشاة قد اكتشف من قبل الجنود . ولم يعترف القادة الكبار ، مباشرة ، بالأهمية الايجابية لهذا النوع الجديد من تراتيب القتال . ولم تلقَ عناصر التكتيك الجديد ، وتكتيك خط المشاة خلال عشرة ـــ خمسة عشر عاماً من نهايتها تطوراً لاحقاً واعترافاً رسمياً من قبل أي جيش من الجيوش بما في ذلك الجيش الروسي ، من أجل الإقلال من الخسائر نوعاً ما ، وزيادة مناورة الوحدات ، انتقلت القوات إلى أرتال السرايا مما أدى إلى عدم حصول تغييرات مبدئية في طرائق خوض المعركة .



(الشكل رقم ٦) ـــ تراتيب قتال المشاة الروسية في حرب القرم

إن زيادة دقة ، ومدى ، وكثافة الرمي في حرب القرم جعل القوات تنتشر على مسافة كبيرة من العدو ، وازداد دور التمهيد الناري للهجمة بصورة كبيرة .

ولوحظ أيضاً عدم التطابق بين نيران البنادق والمدفعية ، إذ أصبحت المدفعية الملساء متخلّفة عن أسلحة المشاة الجديدة المحلزنة نتيجة للخسائر الهائلة التي لحقت بجنود وخيالة المدفعية .

كذلك ولدت في حرب القرم أشكال خوض الحرب الموضعية . وكان دفاع القوات الروسية في مدينة

سيباستوبول منسقاً في العمق بحيث جعلها مختلفة عن البُنى الدفاعية السابقة للمدن. وأظهرت نقاط الاستناد القوية التي أقيمت حول هذه المدن أنها تقاوم الاقتحام، ونيران المدفعية وتؤمّن النضال ضد مدفعية العدو. لذلك فإن القيادة الانكليزية ـــ الفرنسية التي كانت تملك تفوقاً كبيراً على المدافعين عن المدينة، مدينة سيباستوبول، والوسائط لم تستطع عزلها بصورة كاملة. وقد حافظت المدينة طيلة الحرب على اتصال مع المؤخرة، وتلقّت الإمدادات اللازمة. بذا يكون تكتيك المعركة الدفاعية قد تغيّر تحت تأثير الأسلحة الجديدة. حتى إن موقعة نهر آلما برهنت على أن أرتال المشاة المتوضعة بصورة مكشوفة تعتورها خسائر فادحة. كما برهنت أعمال الدفاع عن مدينة سيباستوبول عن عدم ثبات الملاجىء الترابية المكدّسة التي لم تكن تصمد تحت تأثير نيران مدفعية العدو. فمن أجل مضاعفة ثبات الدفاع وتقليل الخسائر، أصبحت القوات الروسية تحتمي بالجبهة بخط من المنشآت التحصينية ضمن منظومة المخابىء الميدانية مثل الحفر الجماعية، وممرات المواصلات بينها. بالإضافة إلى ذلك أُقيم خلف الخط الرئيسي من التحصينات ملاجىء ومخابىء في الأماكن التي كانت تتمركز فيها الاحتياطات، وحاز المدافعون عن مدينة سيباستوبول قصب السبق في إقامة حفر الرمي واستخدام نظام الخنادق عند الدفاع عن المواقع الدفاعية. ووضعت القوات الروسية التي استطاعت خرق النيران في استخدام الخنادق، بداية لمنهج خوض الحرب بالطريقة المواضعية. كما بُني التجهيز الهندسي للدفاع، على مبادىء المهندسين العسكريين الروسيين الشهيرين آ. ي. توتلييبنا، وآ. زتوليا كوف.

فبهذا الشكل أصبح الدفاع أكثر عمقاً وأصبح مقاوماً لضربات أنواع مختلفة وكثيرة من المدفعية، والمشاة الكثيفة، بالإضافة إلى أن ثبات الدفاع ورسوخه قد زادا من وزن السجايا المعنوية ـــ القتالية للقوات قبل كل شيء. فكان الجنود والبحارة الروس بقيادة قادة موهوبين من أمثال: ف. أ. كارينلوف، وب. س. ماخيموف، وف. س. ايستومين وغيرهم خلال أحد عشر شهراً (٣٤٩ يوماً) يدافعون بنجاح عن سيباستوبول، بغض النظر عن التفوق الشديد لجيش العدو في العَدَد والعُدد.

ومكن التطوّر السريع للقوى المنتجة من تطوير الأسطول البحري العسكري: ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر كان بناء السفن الخشبية الشراعية المسلحة بأعداد كبيرة بالمدفعية ما زال قائماً على قدم وساق، عندما أخذت السفن القتالية البخارية المحركات في الظهور. وقبيل بداية الحرب كان الأسطول الروسي يملك ١٦ فرقاطة شراعية لمقاومة قوات المشاة في المناطق القريبة من الشواطىء. وبمبادأة من الأميرال ث. أ. كوردنيلوف بدأ في روسيا عام ١٨٥٢ بناء أول سفن خطوط مروحية. لذا، فإن حرب القرم، التي استخدمت فيها السفن الشراعية والبخارية على حد سواء بصورة واضحة، أثبتت تفوق السفن البخارية على غيرها من السفن. فكانت موقعة سينوب البحرية الناجحة في شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٨٥٣ آخر موقعة كبيرة للأساطيل الشراعية.

وبعد ٥ سنوات من حرب القرم قُضي، نهائياً، على بقايا النظام الاقطاعي في روسيا تحت ضغط الجماهير الشعبية. وأدّى ذلك إلى إلغاء القانون الاقطاعي الذي حوّل جزءاً من الملكية إلى الفلاحين. وأصبحت روسيا، نهائياً، على طريق التطور الرأسمالي.

وخلال فترة الستينيات ــ السبعينيات من القرن التاسع عشر أجرى وزير الحرب الروسي الجنرال ــ فيلد مارشال ميللوتين إصلاحات عديدة في الجيش الروسي، ممّا أدّى إلى إجراء تغييرات في البنية التنظيمية للجيش الروسي تتلاءم مع وسائط الصراع المسلح الجديدة التي ظهرت أثناء حرب القرم. فكانت هذه الاصلاحات موجّهة نحو تحويل الجيش الروسي إلى جيش كثيف. لذلك فقد شملت تنظيمه وطرائق استكماله، وقيادته وتسليحه، وإعداد كوادر الضباط وتعليم وتربية القوات وغيرها من المسائل. كما شملت إعادة تنظيم الجيش تشكيل القوات الاحتياطية إلى جانب الملاكات الأصلية بالقدر الذي أمّن نشرها زمن الحرب، ممّا جعل الجيش النظامي يحتفظ بالحد الأدنى زمن السلم، وأمّن تجهيز أعداد كبيرة من الاحتياطات المدرّبة.

ومن أجل تحسين القيادة، ولتخليص وزير الحرب من إعطاء القرارات الإدارية ذات الطابع المحلي، تمّ تشكيل خمس عشرة منطقة عسكرية في روسيا خلال عامي ١٨٦٢ ــ ١٨٦٤. وأصبحت كافة القوات والمؤسسات العسكرية الموجودة ضمن حدود المنطقة العسكرية تابعة لقيادة المنطقة. وفي عام ١٨٦٨ سُنّت قواعد جديدة حول القيادة الميدانية للقوات زمن الحرب، قضت على عيوب كثيرة ظهرت في التنظيم القديم. وأثناء عملية الإصلاح شُكِّلَتْ الأركان العامة للجيش الروسي، فكانت جواباً على تعقّد مهام القيادة، كما شُكلت قيادة عامة للمدفعية، ووسعت شبكة المدارس العسكرية، والاكاديميات العسكرية، وأصبحت تولي معظم اهتمامها للتدريب العملي للضباط. وتناول الاصلاح، أيضاً، مسائل تعليم الجيش الموجهة نحو تعليم القوات على كل ما هو ضروري للحرب على الأغلب ــ مع اعتبار خبرات الحرب ــ بسبب التغيرات في التكتيك، التي استدعتها عمليات تحسين وسائط الصراع. وأُعدت أنظمة جديدة وإرشادات للقوات.

كما استدعى اتّساع رقعة الصراع المسلح ظهور ضرورة التدريب الخاص للقادة والضباط في المستويات العليا. لذلك بدأت في الأكاديميات الروسية الدراسة المنهجية لطرائق التدريب وخوض الأعمال القتالية للفيالق والجيوش. وحسّنت مهارات الضباط الأمراء والقادة قوات الجيش حسب طريقة اللعبة الحربية على الخرائط، وكذلك عند إجراء المناورات. وتدرّب الجيش الروسي على الانتشار في زمن الحرب وفي فترات المناورات الميدانية ومشاريع الأسطول. فأصبح هذا الجيش، بعد الاصلاحات التي أُدخلت عليه، أكثر عصرية، كما ازدادت قدرته القتالية.

ومن أجل إعطاء محصلة عن المرحلة التاريخية لا بدّ من الإشارة إلى أن مرحلة انتصار وتوطد دعائم الرأسمالية، كانت أيضاً مرحلة الانتصار الحاسم لفن الحرب البورجوازي على فن الحرب الاقطاعي، كما وجد ذلك تعبيراً عنه في حقل النظريات والتطبيقات العسكرية، حيث تطوّرت النظرية العسكرية السوفييتية في الصراع المتوتر بين أنصار النظام العسكري الروسي وبين أنصار فن الحرب الروسي التقدمي الجديد، وظهرت الآراء الجديدة التقدمية في ذلك الزمن حول المسائل الجذرية للاستراتيجية والتكتيك وتنظيم وتدريب القوات في مؤلفات القادة العظام أمثال: كوتوزوف، وكورونيلوف، وناضيموف، وليبرا وغيرهم. وحلّ مكان المبادىء العائدة للاستراتيجية الحدودية والتكتيك الخطي، مبادىء تمثّل الفكر العسكري التقدمي، أي

مبادىء الهجوم الجريء الحاسم، وتركيز القوى على الاتجاهات الحاسمة واستخدام المناورة، والهجمات بالسلاح الأبيض وتحسين التجهيز الهندسي لأرض المعركة، وتربية الجندي على الشعور الوطني، وحلّ مسائل المهام القتالية بروح الابداع والمبادهة والإقدام. وبفضل فعالية عدد كبير من القادة الروس العظام والعلماء العسكريين ونشاطهم، تقدّم فن الحرب السوفييتي حتى وصل إلى أعلى شأو في تطوّره، وأثّر تأثيراً كبيراً على تحسين أشكال الصراع المسلّح في العديد من دول أوروبا الغربية.

١ ــ ٣ ــ فن الحرب الروسي في مرحلة تقهقر الرأسمالية وانحطاطها ١٨٧١ ــ ١٩٠٠ م

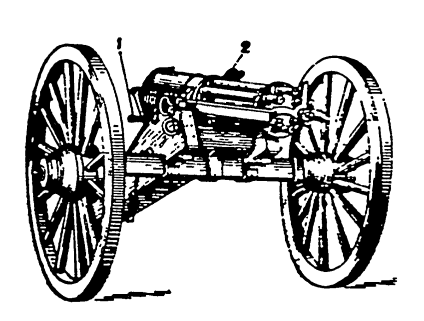
خلال فترة الخمسينيات ــ الستينيات من القرن التاسع عشر أنهت انكلترا الانقلاب الصناعي، وانتقلت فرنسا إلى أشكال جديدة من الانتاج الصناعي. وحتى السبعينيات من القرن التاسع عشر وصلت الرأسمالية في معظم دول أوروبا الغربية إلى أعلى مراحل تطورها وأخذت تنتقل إلى الامبريالية. ولو قدرنا مكتسبات الدول الأوروبية من التطور الاقتصادي، والفلسفة التقدمية وعلم الاجتماع في ذلك الزمن، للاحظنا أن النجاحات السابقة قد أُحرزت بفضل استخدام البخار والآلات، إلا أنها تراجعت بالمقارنة مع الارتفاع الهائل للانتاج في مرحلة ١٨٥٠ ــ ١٨٧٠. ومع ارتفاع أرقام استيراد وتصدير البضائع والمواد الخام ارتفاعاً عالياً بالنسبة للصناعة، وارتفاع الثروات التي دخلت أيدي الأثرياء الرأسماليين، والقوة العاملة البشرية التي تمركزت في المدن الكبيرة نتيجة لهذه التغيرات، والنمو الاقتصادي والعسكري للدول الرأسمالية العظمى، تزايد تعداد العاملين في الجيش وتحسّنت أسلحتهم.

وبعد إلغاء قانون الاقطاع عام ١٨٦١ تطوّرت الرأسمالية في روسيا بسرعة كبيرة قبل الثمانينيات، ممّا أدّى إلى انقلاب صناعي وانتقال العمل اليدوي إلى المرتبة الثانية بعد أن حلّ محلّه الانتاج الآلي. وأدّى التطوّر السريع في الانتاج الصناعي وإدخال تقنيات جديدة، كمقدمات مادية ــ تقنية، إلى تحسينات جذرية في الأسلحة وإعادة تسليح الجيش بأعتدة قتالية جديدة. ومنذ عام ١٨٦٧ بدأ تسليح الجيش الروسي بالمدافع المحلزنة التي كانت تعبّأ من جانب المغلاق، وفاقت القذائف، ذات الأشكال الانسيابية الطويلة، القذائف الكروية للمدفعية الملساء مرتين ونصف حجماً، و٢ ــ ٣ مرات بالمدى وخمس مرات بالنسبة إلى تركيز الرمي. وفي عام ١٨٧١ صمّم المخترع موزر بندقية قصيرة ذات عيار ٧٫٩٢ مم ومخزن لـ ٨ طلقات. فكان ذلك بداية لظهور نوع جديد من أنواع أسلحة المشاة الذي أصبح يطلق عليه اسم «السلاح المخزني». وظهر في روسيا أحد أفضل نماذج هذا النوع من الأسلحة، وهي البندقية التي صنعها الضابط الروسي س. ي. موسين والتي تميّزت بالخصائص التالية:

العيار: ٧٫٦٢مم، سرعة الرمي: ١٠ ــ ١٢ طلقة في الدقيقة، مدى الرمي: ٢٠٠٠ م، بالاضافة إلى خفة وزنها إذ أصبح لا يزيد عن ٤٫٥ كلغ، ولم يتعدّ طولها ١٫٦٦ م مع الحربة.

وأخذت الدول تصمّم وتجرّب نماذج جديدة من أسلحة الرمي الناري من أجل إجراء رمايات كثيفة تصل إلى أكثر من ٦٠٠ طلقة في الدقيقة. وقام المخترعون الروس في عام ١٨٧١ بصنع المدفع المؤلف من

عشر سبطانات وأطلقوا عليه اسم «القاذف» (كما في الشكل رقم ٧)، وكان مقدمة لاختراع الرشاش الذي ظهر بعد عامين على يد المخترع الروسي الشهير ك. بارافسكي ويتألف من ٦ سبطانات، وقد تمّ استخدام النموذجين في الحرب التركية ـــ الروسية.



(الشكل رقم ٧) ـــ القاذف السداسي السبطانات.

إن بُنية هذا المدفع قريبة من بنية الرشاش، كما أن آليته تلائم عمليات التزويد والرمي عن طريق التدوير بطاقة الانسان. إلا أن جَعْل هذه العمليات عن طريق آلية طاقة غازات البارود أدّى إلى تصميم الرشاش عام ١٨٨٣ الذي صمّمه رجل أميركي يدعى مكسيم. وكانت روسيا أول دولة سلّحت جيشها بالمدفع القذاف الميداني عام ١٨٩٥، عيار ١٥٢ مم. وفي العام نفسه اخترع البلجيكي ناغان مسدساً من حديد عيار ٧٫٦٢ مم مع طاحونة لـ ٧ قذائف تجاوز مدى الرمي به ١٠٠ م.

وكانت للحرب الفرنسية ـــ الروسية عام ١٨٧٠ ـــ ١٨٧١ أهمية كبيرة في تطوير فن الحرب في نهاية القرن التاسع عشر. وعندما نحلّل كامل سير الأعمال القتالية في الحرب يمكننا القول إنها كانت انقلاباً في تطوّر فن الحرب في الاستراتيجية؛ كما أكدت هذه الحرب الأهمية المتعاظمة للعاملين الاقتصادي والمعنوي على سير ومصير الحرب، وفي الزيادة الهائلة في رقعة الصراع المسلّح. وقد شاركت في الحرب من الطرفين قوى هائلة وصل تعدادها إلى مليونا شخص، ولكن سحق جيش ميداني للعدو لم يكن إيذاناً بالنصر في الحرب. لقد تغيرت طبيعة شن الحرب، وقدرة البلاد على تعويض الخسائر أثناء سير الحرب ونبذت استراتيجية «الحرب الخاطفة» التي تتم بموقعة أو موقعتين عامتين كالتي اعتمدها نابليون الأول.

كذلك أثبتت هذه الحرب مرة أخرى الأهمية العظيمة للعتاد القتالي المتقدم؛ وأن الاستخدام الكثيف لأسلحة أكثر تحسيناً في أرض المعركة قد أدّى مع إرادة القادة العظام للتصديق النهائي على عناصر التكتيك الجديدة بعد الحرب الروسية ـــ البروسية، وتمّ الاعتراف، نهائياً، أن البُنى الخطية وأرتال الكتائب والسرايا في كافة الجيوش لا تتطابق مع المعطيات والخصائص التكتيكية الفنية للأسلحة المحلزنة. وأصبح كل من الهجوم والمهاجمة في حقل النيران الفعّالة للبنادق يُشن من قبل خطوط الرماة. وبدأ الكفاح من أجل زيادة مدى التدمير للعدو المهاجم. كما أثبتت الحرب الفرنسية ـــ البروسية أن الحركة في الهجوم

تحت تأثير نيران أسلحة العدو الفردية ممكنة فقط في حالة الركض أو «الهرولة» من مخبأ إلى مخبأ أو من خط إلى آخر .

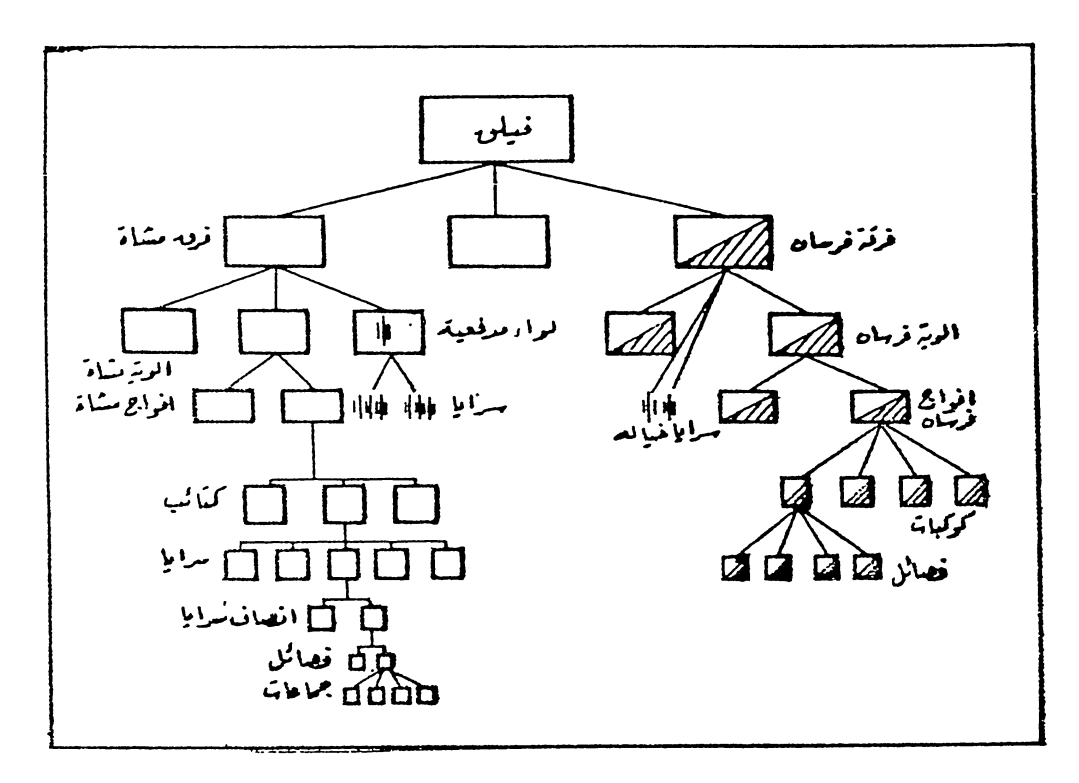
ان انتشار ملايين الأشخاص التابعين للجيوش في مسرح الأعمال الحربية يعلّل إمكانية شنّ الأعمال القتالية على جبهة عريضة تسمح بإجراء مناورة الإحاطة بالعدو . لذا ، ظهرت أمام الاستراتيجية مشكلة حيوية مثل دفع القوات نحو العدو الذي يحتل مواقع دفاعية بحيث تتعرض مجنبتا العدو في الوقت نفسه إلى الهجوم . فتزايد دور التعاون بين القطعات والوحدات وصنوف القوات والمدفعية والمشاة بصورة خاصة . كما تطلبت الطبيعة المعقّدة للمعركة تأمين قيادة ناجعة للقوات ، إلا أنه بسبب عدم وجود وسائل الاتصال الفنية الصالحة لشروط المعركة تعقّدت إمكانات تحقيق تعاون وثيق بين القوات وقياداتها . كذلك أثّرت الحرب الروسية ــ التركية عام ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨ تأثيراً كبيراً على تطور فن الحرب ، وعلى تنظيم التدريب القتالي للقوات ومناهجه مثل تأثير الحرب الفرنسية ــ البروسية في شروط تجهيز الجيشين بالأسلحة المحلزنة . وكانت آخر حدث عسكري كبير في القرن التاسع عشر .

وكان سبب بداية الحرب العصيان والثورات التي وقعت بين عامي ١٨٧٥ ــ ١٨٧٦ ضد السيطرة التركية في البوسنة والهرسك وبلغاريا ، وكذلك الأعمال القتالية في صربيه والجبال السوداء ضد تركيا . فقررت الحكومة الروسية العمل إلى جانب دول البلقان تحت شعار «حماية الأخوة السلاف» . إلا أن دوافع الحكومة القيصرية الروسية كانت دعم النضال العادل للشعوب السلافية في الحصول على الاستقلال الوطني من جهة والعمل على التوسع في منطقة البحر الأسود من جهة أخرى .

وحسب الخطة الاستراتيجية التي وضعها أستاذ (بروفسور) أكاديمية الأركان العليا ، أبوجايف ، انتشرت القوات الروسية في مسرحين حربيين يختلف أحدهما عن الآخر ، وهما : المسرح البلقاني والمسرح القفقازي . إذ إن الضربة الرئيسية التي وُجّهت في المسرح البلقاني كانت تهدف إلى احتلال القسطنطينية قبيل بداية الحرب ، وكان الجيش الروسي ، آنذاك ، منظّماً حسبما د ر مبيّن في (الشكل رقم ٨) وكان تعداده نحو ٢٦٠٠٠٠ رجل .

كانت تركيا قبل بداية الحرب متخلفة عن الدول الأخرى في الميادين كافة ، وكانت أسلحة وذخيرة الجيش التركي تستورد من دول أوروبا الغربية ، وأن ٧٠٪ من قوام مشاة الأتراك كانوا مسلحين بالبنادق المحلزنة السبطانة التي كانت تُدعى بـ « المرتينة » ولا يزيد مدى رمي التسديد فيها عن ١٨٠٠ قدم ، وكان قسم كبير من مدفعيتها الميدانية يملك مدافع طويلة محلزنة فولاذية تعبّـأ في مخزن المدفع .

وكانت خطة القيادة التركية ، آنذاك ، تقضي بالدفاع عن شواطىء نهر الدوناي وجبال البلقان ، وكان عدد الجيش ١٩٠٠٠٠ جندي . وكان اعتماد الأتراك على قلاع سيليتريا ، روشوك ، شوملاوفارنا في المناطق التي تمركزت فيها القوى الرئيسية للجيش . وفي اعتقادهم أنه بمجرّد التمسك بالقلاع يستطيعون تغطية الطرق المؤدية إلى المضيق ، وبالتالي تشكيل تهديد دائم ومستمر لمجنبات ومؤخرة القوات الروسية عند مهاجمتها وسط البلقان .



(الشكل رقم ٨) ــ تنظيم الجيش الروسي في الحرب الروسية ــ التركية ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨ .

وبغض النظر عن سير الأعمال القتالية في الحرب التي انتهت بسحق الجيش التركي ، لا بدّ من الإشارة إلى أنه كان للحرب التركية ــ الروسية أهمية كبرى في تطوير الاستراتيجية وتشكيل مقدمات فن حربي جديد ، كما أغنت هذه الحرب فن الحرب بفضل تنظيم التعاون الاستراتيجي والعملياتي للقوات التي تعمل على اتجاهات مختلفة ، والتي تعتمد على وسائط فنية جديدة ألا وهي الطرق الحديدية والبرق .

وقد أدّى تضخم أعداد القوات المسلحة واستخدام وسائط جديدة إلى زيادة رقعة الصراع المسلح وتعزيز عملية تحول المواقع إلى عمليات غير مستمرة في الزمن ومحدودة الرقعة .

وأفضل مثال على ذلك هي الأعمال القتالية التي قامت بها القوات الروسية عند اقتحام نهر الدوناي واجتياز جبال البلقان ، حيث ظهرت فيها السمات الرئيسية بصورة أكثر كمالاً في ذلك الوقت لولادة ما يسمّى بالعمليات .

وبتغيّر ظروف خوض الحرب ظهرت متطلبات جديدة أكثر رفعة للتحضير لها ، وأصبحت هناك ضرورة لا مفر منها وهي التخطيط لتعبئة الجيش ونشره استراتيجياً في مسارح الأعمال الحربية المحتملة حتى بداية الحرب ، مما أدّى إلى بزوغ دور الأركان العامة واتساع وظيفتها . وأثناء الحرب أدخلت القوات الروسية عناصر جديدة في التكتيك أغنت فن الحرب . فعند خوض الأعمال القتالية وخاصة في معارك «ليفن» وموقعة «شينوف» كان تكتيك خطوط المشاة قد تشكل نهائياً وأصبح الشكل الرئيسي للترتيب القتالي الذي يهاجم القطعات والوحدات . ويظهر الشكل (رقم ٩) تراتيب قتال الجيش الروسي .

سرية رمي (سرية الرماة)

سلاسل رماة السرايا المتراصة

السرية العاشرة السرية التاسعة

السرية الثانية عشرة السرية الحادية عشرة

الترتيب القتالي للكتيبة

سلاسل الرماة

الكتيبة الثالثة الكتيبة الثانية

سرية

الكتيبة الأولى (احتياطية)

الترتيب القتالي للفوج

(الشكل رقم ٩) ــ تراتيب قتال الجيش الروسي في الحرب الروسية ــ التركية ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨ .

استُخْدِمَتْ أرتالُ السّرايا ولكن من أجل التقدم ضمن قوام الاحتياطات أي في حقل بعيد عن فعالية النيران . وأثناء الهجوم وحسب التقرّب من العدو ، كانت الأرتال تتحول إلى خطوط الرماة (المشاة) من أجل تعزيزها قبل الهجوم .

أما الجديد في تكتيك المشاة فقد انحصر أيضاً في التكديس قبل الهجمة على خط الانطلاق قريباً من الهدف ضمن المخابىء والحفر ، والهجوم بإشارة عامة من خطوط الانطلاق . وحصلت تطوّرات مهمة على أشكال المحاصرة والتطويق وطرائقهما أثناء الأعمال القتالية للقوات الروسية في مدينة «ليفنا» ؛ إذ ظهر ازدياد أهمية التحصين الميداني في الهجوم والدفاع على حد سواء ، وتزايد دور المدفعية عند تحضير الهجوم على المواقع المحصّنة ، وصيغت طرائق جديدة لقيادة نيران المدفعية عند الرمي من مرابض مستورة . وبدا أن الهجوم دون تمهيد مدفعي منظّم ودعم ناري أصبح غير ممكن ؛ كما أثبتت الحرب أهمية دور النيران في المعركة وأصبحت المعركة ذات طابع ناري أكثر من السابق ، بالإضافة إلى تطور تكتيك خطوط الرماة (المشاة) . كذلك كانت الأعمال التطبيقية في الحرب الروسية ــ التركية ذات قيمة استثنائية ، إذ أعطت خبرات متنوعة في العمل ، فيما يسمى بالشروط والظروف الخاصة في الجبال واقتحام الأنهار الكبيرة . كما أن عملية اجتياز الموانع المائية كانت عملاً حاسماً ناجحاً بالإضافة إلى المفاجأة ، وسبق كل ذلك تحضير دقيق وشامل لاقتحام الدوناي بدأ قبل الحرب ، مما أمّن نجاح تنفيذ العمليات . ودرست الجيوش كافة خبرات اقتحام الجيش الروسي في الدوناي ، حيث أصبحت الطريقة التي تمّ بها الاقتحام المادة الرئيسية لصياغة الأسس النظرية لاقتحام الأنهار ، والأسس العملية للتدريب القتالي . كما أظهر الاستخدام الشامل للسلاح الجديد ، وتغير طبيعة وطرائق خوض الأعمال القتالية متطلبات رفيعة جديدة لقيادة القوات في المعركة ، وأصبحت الحاجة ماسة في شروط المعركة الطويلة ، والمتواترة ، للتنبؤ بتطورات المعركة مسبقاً ، وسرعة تقدير أهمية التغيرات التي تطرأ على المواقف القتالية وصحتها ، وكذلك القدرة على توجيه وإرشاد المرؤوسين إلى خطورة الموقف وتوجيه أعمالهم نحو تنفيذ المهمة العامة ، والتنظيم الدقيق ، أثناء سير المعركة للتعاون الوثيق بين صنوف القوات كافة ، والوحدات والقطعات ، والتشكيلات .

وأثناء سير الحرب التركية ـــ الروسية كانت الصياغة النهائية لتكتيك خطوط الرماة (المشاة) بمثابة مرحلة ختامية من مراحل تطور فن الحرب في مختلف الجيوش حتى عصر الأمبريالية :

١ ـــ ٤ ـــ خصائص فن الحرب في عصر الرأسمالية : القائد العسكري العظيم م . ي . كوتوزوف هو المؤسس لولادة فن الحرب

ساد النظام الاقطاعي حتى نهاية القرن الثامن عشر في القارة الأوروبية ، وحلّ الرأسماليون بعد نشوب الثورة البورجوازية محلّ الاقطاعيين ، واستبدلت الجيوش القديمة بجيوش بورجوازية جديدة تتوافق مع النظام الاقتصادي المنتصر في المجتمع .

ومع تطور الرأسمالية ، والانتاج ، والعتاد القتالي ، وبناء السكك الحديدية والسفن البخارية ، وخطوط البرق ، وظهور نماذج جديدة من الأسلحة ، حدثت تغيرات في فن الحرب .

ويوجد في تاريخ فن حرب الجيش الروسي منذ الثورة الفرنسية البورجوازية ، في نهاية القرن الثامن عشر حتى عصر الأمبريالية ، مرحلتان تفصل بينهما حرب القرم التي وقعت خلال أعوام ١٨٥٣ ١٨٥٦ .

بدأت المرحلة الأولى بإعلان الثورة الفرنسية البورجوازية عام ١٧٨٩ ـــ . . ١٧ ، حيث حصلت فيها تغيرات عميقة في طرائق خوض الأعمال القتالية ، وتزايدت أعداد الجيوش ، وجرى تجهيزها بالأسلحة ، وخاصة بالمدفعية ، وتحسنت البُنى التنظيمية للجيوش التي تجلت في بناء تشكيلين ثابتين من القوات هما : الفرقة والفيلق . والسمة المميزة لهذين التشكيلين الجديدين تتمثل في قدرتهما على حل المهام القتالية المعقدة بصورة مستقلة . كما تابعت الأركانات هذا التطور باعتبارها هيئات قيادة القوات . وأصبحت المهمة الرئيسية للأعمال القتالية هي سحق جيش العدو وليس احتلال أراضيه ، ومواصلاته ، وقلاعه . وقديماً كانت تتحقق المهام الاستراتيجية من الأعمال الهجومية الفعّالة ، وتحشيد القوى الرئيسية على الاتجاهات الحاسمة وسحق العدو والقضاء عليه في موقعة أو موقعتين عامتين . وكان الانتصار في مثل هذه المواقع يقرر مصير الحرب كلها .

وحدثت تغيرات خطيرة في التكتيك الذي أصبح يقوم على الحسمية وعلى ت كبل تفوق على العدو في القوى في القطا تار ، وعلى المناورة الجريئة والعميقة ، وفي تشكيل احتياطات قوية . وكانت المرحلة الحاسمة في المعركة هي الضربة المحكمة على الكتلة الرئيسية لأرتال المشاة بمشاركة النيران وباستخدام السلاح الأبيض ، وكانت هجمات المشاة تدعم نيران المدفعية والخيالة .

بدأ اتقان طرائق العمل العسكرية الجديدة في بداية القرن التاسع عشر ، الذي لعب فيه القائد الروسي الكبير م . ي . كوتوزوف دوراً كبيراً بفضل السلاح الروسي الممتاز في الحرب الوطنية عام ١٨١٢ . وكانت هذه الحرب إحدى أكبر الأحداث الهامة في بداية القرن التاسع عشر .

وبفضل الخبرة الكبيرة التي امتلكها كوتوزوف ، وبفضل التحسين المتواصل لمعارفه واطلاعاته أصبح

من أشهر القادة العسكريين الروس قبيل القرن الثامن عشر. فهو لم يكن قائداً من الطراز الأول فحسب، بل كان مبتدع الطرائق التقدمية لخوض الصراع المسلح، كما كان مفكراً عسكرياً فذاً، عبقرياً، استطاع حل أعقد وأصعب مشاكل النظريات العسكرية. وبقيت إنجازاته العملية نماذج كلاسيكية في حقلي الاستراتيجية والتكتيك.

ويجب علينا أولاً أن نبين أن أفكار كوتوزوف وآراءه قريبة جداً من المفاهيم الحديثة حول العلاقة بين السياسة والحرب: «الظروف السياسية تدل على صنف الحرب». وكانت هذه القاعدة مرشداً له في كافة أعماله. فالأهداف السياسية في الحرب ــ برأي كوتوزوف ــ تتحقق بالأعمال الهجومية الفعالة للجيش، وبالقضاء على العدو قضاء مبرماً. فمثلاً هو قد اعتبر أن تحرير روسيا من الجيش النابليوني ممكن فقط بتدمير هذا الجيش. وعلى ذلك يتوقف ــ كما قال ــ ليس مصير الشعب الروسي فحسب بل مصير كل شعوب أوروبا. كما فهم كوتوزوف بصورة صحيحة الطبيعة التحريرية الشرعية للحرب الوطنية عام ١٨١٢، والإمكانات العريضة المنبثقة عن ذلك للتطوير اللاحق لفن الحرب. وتحدث عن طبيعة الحرب، وكان في آرائه عنها روحاً تقدمية بالنسبة لذلك الزمان، سابقاً بذلك كافة المنظرين العسكريين والقادة الكبار في أوروبا الغربية، ورأى أن الحرب مرتبطة بحماية الوطن، وإذا كانت في سبيل استقلال الوطن يجب ألا تشنها الجيوش فحسب بل والشعوب أيضاً. واعتبر أن مشاركة الشعب بصورة فعّالة ضد العدو المعتدي ظاهرة شرعية قانونية كاملة. وتُعتبر أفكار كوتوزوف عن الدور الفعّال للشعب في هذه الحرب، وضرورة استخدام هذا العنصر أحد أهم قواعد آرائه العسكرية ــ النظرية. وقد وضع كوتوزوف أحد أهم القواعد الرئيسية النظرية لخوض حرب الأنصار وتطويع المتطوعين في كتاب لاقى انتشاراً واسعاً في عام ١٨١٢، ضمّنه تعليماته عن حرب الأنصار «كيف يعمل النصير». وتجد فيه نظرية كاملة عن حرب الأنصار. وقد أدّى هذا العمل العظيم خدمة جلّى في تطوير الفكر العسكري النظري الروسي.

وتحدّث كوتوزوف أيضاً عن أهمية الروح المعنوية للشعب والجيش في سحق المعتدي والانتصار عليه. وانطلاقاً من الخبرة العسكرية العظيمة وخبرات قيادة القوات بصورة مباشرة في أرض المعركة، توصل إلى استنتاج أن الشرط الحاسم للنصر في المعركة والموقعة والحرب بصورة كلية هو الروح المعنوية الرفيعة للقوات. وأثناء حديثه عن أهمية النظام والانضباط العسكري قال: «إن ذلك كله يصبح عديم القوة أو مشلولاً إذا لم يكن الضباط والجنود يملكون روحاً معنوية عالية».

وفي حرب عام ١٨١٢ اصطدمت سياستان واستراتيجيتان مختلفتا الطابع مطابقة لهاتين السياستين. فكانت الآراء الاستراتيجية لنابليون الأول تعبر عن المصالح الأمبريالية والعدوانية الفرنسية، بينما كان فن الاستراتيجية الروسي يعكس المصالح التحريرية للشعب الروسي. كما أن كوتوزوف رفض مبادىء نابليون العسكرية ورفض النسج على المنوال «الكلاسيكي» المعروف في أوروبا الغربية، بل وقدم منظومة رائعة، مبدئياً، لخوض الحرب. كذلك فهم كوتوزوف بصورة أعمق، وبثقة أشد من نابليون الأول، تلك التبدلات الهائلة التي حدثت في العمل العسكري، والتي يجب أن تتحول إلى تغيرات في طرائق خوض الحرب وأشكاله. ففي رسالة وجهها كوتوزوف في عام ١٨٠٥ إلى القيصر، ألكسندر الأول، عبّر عن

فكرة واضحة تقول: بأن مصير الحرب لا يمكن أن يتقرر بموافقة عامة واحدة. لقد كان هذا، في ذلك الزمن، شيئاً جديداً كل الجدة.

كانت استراتيجية كوتوزوف ضد التقليد المتّبع، ومبتكرة، وكانت ترتكز على الأشكال والطرائق الجديدة لخوض الحرب، وتتجاوب مع تغيرات الظروف التاريخية. لقد قاد الفيلد مارشال كوتوزوف القوات في مسارح أعمال حربية ضخمة، ويبّين الجدول (رقم ٤) أبعادها.

(الجدول رقم ٤)

تغيرات أبعاد مسارح أعمال الحرب التي شارك فيها الفيلد مارشال كوزوتوف

العام	مكان العمليات	اتساع رقعة العملية	
		الجبهة كم	العمق كم
١٨٠٥	براوناو اولوموتس	١٠٠	٤٠٠
١٨١١	الأعمال القتالية في الدوناي في الحرب الروسية ــ التركية	١٠٠٠	٥٠٠
١٨١٢	روسيا (الحرب ضد نابليون الأول)	١٤٠٠	٦٠٠ ــ ٨٠٠
١٨١٣	أوروبا الغربية (حملة الجيش الروسي الخارجية ضد نابليون الأول)	٦٠٠	١٠٠٠

إثر هذه التبدلات الأساسية في ظروف خوض الحرب، وبسبب الشروط غير الملائمة في مرحلتها الأولى، كانت استراتيجية كوتوزوف تتلمس الطرائق الأكيدة والوسائط الملائمة من أجل القضاء على تفوّق العدو، وهو يزج في الصراع تلك القوى، التي ستفضي بعد ذلك إلى النصر الاستراتيجي الأكيد، وإلى إحراز نجاحات سياسية كبيرة في الحرب. ولكن من الطبيعي أن يؤدي تعقّد الصراع المسلح إلى تعقّد القيادة الاستراتيجية. وكان على القائد العام أن يكون على معرفة تامة بالموقف القتالي وأن يزن جوانبه الإيجابية والسلبية كلها، وعبّر عن ذلك بقوله: «أنا كنت لمدة طويلة أُخضع للحسابات الوضع وأزنه بصورة جيدة». إذن كانت الدراسة الشاملة للموقف من كافة الوجوه، وتحليله بصورة عميقة، تقدّم له حلولاً استراتيجية معلّلة، ذات طابع تفكيري، عاكسة الدراسة الموضوعية للظروف الراهنة التي أشعلت نار الحرب.

لقد فهم كوتوزوف بصورة جيدة أن النصر على العدو لا يتحقق إلا بالأعمال الهجومية وسحق

قواته المسلحة، إلا أن المرونة كانت إحدى أهم خصائص استراتيجيته. وفي الظروف غير الملائمة من الصراع كان يلجأ، غالباً، إلى الدفاع الاستراتيجي وحتى إلى الانسحاب، ولكن الطابع المميّز لاستراتيجيته الدفاعية يجب أن تنتهي، دائماً، إلى أعمال هجومية أهم سماتها الفعالية. وقد وجد كل ذلك طريقه إلى التحقيق بحيث كانت كافة أعمال القوات الدفاعية والهجومية تحكمها قضية إحراز الأهداف الاستراتيجية الرئيسية، ألا وهي تدمير جيش العدو وسحق قواه الحية.

كان الهجوم العام المضاد، دائماً، وما زال الآن، شكلاً معقداً للغاية من أشكال الصراع المسلح. وكان الحل الناجح لهذه المعضلة المعقّدة إحدى أكبر مآثر كوتوزوف في الحرب الوطنية عام ١٨١٢ إذ استغرق تحضير الهجوم العام المعاكس شهراً ونصف. ومثل هذه النتيجة، والخبرة لم يشهدها فن الحرب الأوروبي الغربي. ويقدم لنا تحليل الأعمال القيادية لكوتوزوف البرهان تلو الآخر عن عبقريته في اختيار اتجاه الضربة الرئيسية، إذ كان الحل الناجح لمعضلة تحشيد قوى هائلة على الاتجاه الحاسم، إحدى السمات المتميزة والهامة لفنه.

لقد كانت تدابير تنظيم التعاون الاستراتيجي للقوات، مرتبطة بهذه المعضلة مباشرة. ففي ظروف الحروب في بداية القرن التاسع عشر كانت هذه المسألة معقّدة للغاية وكانت تُعقد ألوية النصر نتيجة للجهود العامة في الأعمال المتوافقة والمركزة نحو هدف معين. وفي تلك المرحلة ظهرت مبادىء ظاهرة جديدة في فن الحرب، ألا وهي العملية، حيث ظهر بعض عناصرها بصورة دقيقة لأول مرة في الموقعة التي نشبت بين الجيش الروسي بقيادة كوتوزوف والقوات التركية في سلوبادزي عام ١٨١١. وسبقت هذه الموقعة مناورة الجيش الروسي المعقدة التي نفذت على شكل انسحاب مخطّط مسبقاً إلى مواضع جديدة، وتنظيم تلك الموقعة والتحضير لها، وقيام قسم من القوى بمناورة إحاطة لمدة أربعة أيام مع اقتحام حاجز مائي ضخم مثل نهر الدوناي؛ وفي النهاية تحوّل القوى الرئيسية إلى الهجوم. وتعتبر كل هذه الأعمال المختلفة للقوات الروسية، في الحقيقة، عمليات كبرى من حيث المضمون.

لقد ظهرت عناصر هذه العمليات بصورة أكثر وضوحاً في الأعمال البطولية التي قام بها كوتوزوف في مرحلة الحرب الوطنية عام ١٨١٢، حيث قادت القيادة العليا وأركان الجيش الروسي في البداية أربعة جيوش. ولكن بعد الدمج أصبحت جيشين وفيلقاً مستقلاً (وهو في رأيي جيش كامل) ومفارز أنصار ومتطوعين. كما أدت هذه الظواهر إلى التسليم بأنه أثناء حرب عام ١٨١٢ ظهرت الحاجة إلى تولي كوتوزوف بنفسه قيادة أعمال القوات في اتجاهات مستقلة؛ وكانت هذه الاتجاهات العملياتية ثلاثة: اتجاه موسكو الأوسطي، اتجاه لينينغراد الشمالي، والاتجاه الجنوبي. ونجح هذا القائد العظيم في هذه المهمة بتفوّق، بعد توجيه وتنسيق أعمال التجمعات نحو أهداف تحقيق مهمة واحدة، ألا وهي سحق جيش نابليون الأول والقضاء عليه.

عمليات أربع ظهرت في مرحلة تحوّل القوات الروسية إلى الهجوم العام المعاكس. وأثناء مطاردة الجيش الفرنسي، حتى في بداية المطاردة، وضع كوتوزوف خطة تطويق وتدمير القوى الرئيسية للعدو عند

نهر بيريزين. وتتلخص الفكرة العامة للقائد الروسي: بأن تقوم القوى الرئيسية للجيش الروسي من الشرق بالهجوم، والقيام من الشمال بأعمال أُسندت إلى فيلق فيتفينشتاين، ومن الغرب والجنوب الغربي تطويق قوات نابليون الأول في النهاية بجيش تشيتشاغوف وقطع طرق الانسحاب على الجيش الفرنسي، الأمر الذي أمّن القضاء نهائياً على القوى الرئيسية الفرنسية. وقد خلقت دقة المهام التي أسندها كوتوزوف، والوضع العملياتي للقوات الروسية بالنسبة لجيش نابليون المنسحب، كافة المقدمات للتطويق الناجح للعدو والقضاء عليه.

كانت القوات الروسية من حيث مضمون الأعمال القتالية وشكلها في موقعة بيريزين، تخوض عملية نجمت في الأصل عن الخطة العامة للمطاردة. وقد احتوت هذه العمليات مواقع جزئية ومعارك كبيرة، ومناورات، وإعادة تجميع القوات التي قام فيها الروس في مناطق مختلفة، ولكنها جميعاً كانت تابعة للخطة العامة وبالتالي من أجل تحقيق هدف موحد. ونتيجة لهذه العملية استطاعت بقايا مهلهلة من «جيش التدخل» العظيم (حوالي ٩ آلاف شخص) وعلى رأسها نابليون، اختراق الطوق المضروب حولها والهروب من روسيا.

وهكذا، كانت الأعمال الاستراتيجية لكوتوزوف من حيث المضمون ومن حيث دائرة المسائل المحلولة أكبر بكثير وأكثر تنوعاً من المضامين التي أدخلها المنظرون الغربيون في هذا المفهوم. وتظهر أهميتها في القدرة على إدخال قوانين جديدة ظهرت في فن الحرب في الوقت المناسب، وفي الاستخدام الصحيح للإمكانات البشرية والمادية في الصراع المسلح. كما استطاع كوتوزوف كاستراتيجي، بفضل إمعانه بصورة عميقة في كافة تراكمات المواقف السياسية والعسكرية، اكتشاف ما هو رئيسي وحاسم فيها، وبالأخص اكتشاف الفكرة العامة للعدو. وبمعرفة الجوانب الضعيفة والقوية لدى العدو استطاع اتخاذ قرارات جريئة انطلاقاً من الظروف والإمكانات الحقيقية. كما أثّر فنه القيادي، وخبرته الاستراتيجية على وجه الخصوص، تأثيراً هائلاً على تطور فن الحرب العالمي.

لقد ساهم كوتوزوف مساهمة عظيمة في حقل التكتيك بالإضافة إلى مساهمته في حقل الاستراتيجية، حيث كانت آراؤه التكتيكية محصلة استيعابه التعميمات النظرية لكل ما هو تقدمي في فَنَّيْ الحرب السوفييتي والأجنبي على حد سواء. كما كان فن الحرب لديه شديد الاختلاف. فقد تميز بالحسم، والمرونة، والفعالية في كافة الأعمال القتالية، وفي استخدام مختلف أشكال المناورة، وبالاهتمام بالموقف الراهن، وهذا ما دفع بتكتيك الجيش الروسي إلى المكان الأول، مقابل تكتيك أوروبا الغربية وخاصة الجيش النمساوي. ففي عام ١٨٠٤ مثلاً دخلت روسيا في حلف للدفاع ضد نابليون الأول في أوروبا، وقام الجيش الروسي الذي كان يعد ٥٠ ألف شخص مع ٣٧٧ مدفعاً بقيادة كوتوزوف بمسير طوله ألف كيلو متر من روسيا إلى الحدود الشمالية للنمسا.

وقبيل ذلك الوقت كانت التجميعات النمساوية بقيادة ماكّ قد حاقت بها الهزيمة من قبل نابليون في أولم، وأصبح معها جيش كوتوزوف منفرداً في مواجهة العدو، الذي يملك تفوقاً هائلاً في القوى. وقام كوتوزوف من أجل الحفاظ على قواته في شهر تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٨٠٥ بمسير تراجعي مناور

لمسافة ٤٠٠ كم من بارنا وحتى أولوماوتز، وكان يُلْحِقُ من الخطوط الملائمة له الهزائم بالماريشال الفرنسي مورات في استيتين و. ي. ومورتي في دورنشتاين، وأنقذ قواته من تطويق ساحق. لقد أنقذ كوتوزوف الجيش الروسي من الانكسار والهزيمة، وذلك بفضل ما يتمتع به من كفاءة في الفن التكتيكي. وأصبح اصطلاح المسير ــ المناور خالداً في تاريخ الجيش الروسي وفن الحرب العالمي كنموذج للمناورة.

تعتبر موقعة روشوك، والأعمال القتالية لتطويق الجيش التركي في سلوبادزي، وموقعة بورودينو، درساً يبرهن على قدرة القوات الروسية في استخدام التكتيك بقيادة كوتوزوف لإحداث تغيرات لصالحه، تؤثر ليس فقط على مصير المواقع بل على الوضع الاستراتيجي العام في مسرح الأعمال الحربية. وفي فن التكتيك تمكّن كوتوزوف من إدخال تطورات مهمّة وتحسين التراتيب القتالية للجيش. وتمكن من استخدام صنوف القوات حسب إمكاناتها. وبذلك يكون فن الحرب الروسي قد تفوّق على فن الحرب الغربي.

كذلك شغلت مسائل تعليم وتربية القوات مكاناً كبيراً في التراث العسكري النظري لكوتوزوف، إذ كان يحث ضباطه وجنوده على تنفيذ عملية تعليم القوات في ظروف قريبة ومشابهة لظروف المواقف القتالية الحقيقية، رغم كافة الصعوبات التي يمكن أن تلاقيها القوات. كما يولي عناية كبيرة لمسائل الانضباط، ويطلق عليه تعبير «روح الخدمة العسكرية»، وطالب أن يكون في أساسه تربوياً.

ولو درسنا بعض المفاهيم الرئيسية للفعاليات العسكرية لهذا القائد الروسي العظيم، يمكننا القول إن آراءه من حيث ضخامتها، وعمليتها وجرأتها كانت أعمق وأوثق من آراء معاصريه من القادة الغربيين. فهي تقوم على الخبرة المتقدمة، والتفاني في سبيل شعبه، والشعور الرفيع بالمسؤولية أمام هذا الشعب. وما زال الكثير من المبادىء والأفكار التي اعتنقها كوتوزوف محافظة على قوتها حتى يومنا هذا، وهي مطبقة في معظم جيوش العالم.

في المرحلة الثانية من تاريخ فن الحرب في حرب القرم، تزايد عدد الأفراد في الجيوش، وتحسنت القواعد التقنية للحروب ووسائط الصراع المسلح، وأدّت بدورها إلى تغيرات لاحقة في الاستراتيجية والتكتيك، وأخذت الدول الكبرى تحشد في مسارح الأعمال الحربية جيوشاً بلغ تعدادها ملايين الرجال. فهذا الارتفاع في العدد والتغيرات التي طرأت على البنية التنظيمية ــ العضوية، وتكديس الاحتياطات المدرّبة مسبقاً مكّنت في زمن الحرب من نشر قوى هائلة، مما أثّر بصورة حقيقية على طرائق خوض الحرب، إذ كان الجانبان المتعاديان ــ كما كان الحال في الماضي ــ يسعيان بلا هوادة إلى النصر في الحرب بسحق الجيوش في موقعات ميدانية، إلا أن هزيمة جيش ميداني لم يكن يعني ــ كما كان سابقاً ــ انتصاراً كاملاً في الحرب.

وكان انتشار الأسلحة المحلزنة سبباً في تغيير حركية الجيش ومناورته، وفي تغيير طرائق وأشكال تمركز وانتشار القوات في خوض الحرب واستخدامها الاستراتيجي في مسارح الأعمال القتالية، وفي قيادة القوات، مما أدّى إلى زيادة دور النيران التي أصبحت شديدة الفعالية في المعركة.

وكان تركيب المراوح المدفعية في السفن مرحلة انعطاف جذري في الحرب البحرية، إذ أصبحت معه كافة السفن مُحوّلة على الطاقة البخارية.

وفي حروب النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة الحربين الروسية ـــ التركية والفرنسية ـــ البروسية، ظهرت بوادر عناصر العمليات، ألا وهي طرائق وأشكال عمل تجميعات الجيوش المنتشرة على اتجاهات عريضة والتي تنفذ المهام ضمن فكرة عامة موحّدة. وكانت الظروف المتغيرة للصراع المسلح سبباً في إسناد مهام جديدة من أجل تأمين مؤخرة القوات.

كذلك أصبحت الموقعات مرتبطة بنيران المدفعية المطلقة مباشرة من المسير دون أي توقف من أجل إعادة مركزة القوات بين المسير والمعركة. وبالنسبة للنيران والسلاح الأبيض أخذت النيران مكاناً في الصفوف الأولى لأنها أصبحت الواسطة الحاسمة للمعركة، إذ استبدل تكتيك خوض المعركة ببُنية متراصة بتكتيك صفوف الرماة. وكان تحشيد القوى الحية على اتجاه الضربة الرئيسية قد أصبح بديلاً عن الاستخدام الشامل للنيران. ولقد حدث ذلك بالتدريج تحت تأثير الأسلحة المحلزنة الجديدة، التي برزت قوتها، وإمكاناتها في البداية في حرب القرم ثم بعدها في الحرب الفرنسية ـــ البروسية وفي الحرب التركية ـــ الروسية.

وتحت تأثير السلاح الجديد تبدّل تكتيك المعركة الدفاعية وتطوّرت عناصر الدفاع الميداني. ومن أجل زيادة ثبات الدفاع ورسوخه مع تحصين المخابىء الأرضية الترابية أصبحت تحفر الحفر الجماعية، وبُنيت المخابىء والملاجىء، وارتفعت أهمية تجهيز الأرض ودور القوات الهندسية في كافة أنواع المعارك.

وأدّى اتساع دور النيران في المعركة، وانخفاض الوزن النوعي للخيالة ولدورها في المعركة إلى زيادة أهمية المدفعية. ومنذ بداية القرن التاسع عشر أصبحت المشاة صنف القوات الرئيسي، وظهرت قوات الاشارة وقوات السكك الحديدية.

إن تغيّر طرائق خوض الأعمال القتالية قد أثّر تأثيراً حاداً على الأشكال التنظيمية للقوات، ففي الجيش الروسي وفي الجيوش الأخرى أصبحت الفرقة هي التشكيل التكتيكي الرئيسي، وتضم في داخلها كافة الصنوف للقوات. ومن أجل تحسين عملية قيادة الفرق أخذت تنضم هذه الفرق إلى الفيلق، أما الفيالق فأصبحت تدخل ضمن الجحافل الجيشية. ونتيجة التزايد العددي لأفراد الجيوش واتّساع رقعة الموقعات وتعقد أشكال وطرائق خوض الأعمال القتالية ارتفعت بشدة متطلبات تنظيم قيادة القوات، حيث أصبحت الأركان هي الهيئة الرئيسية للقيادة.

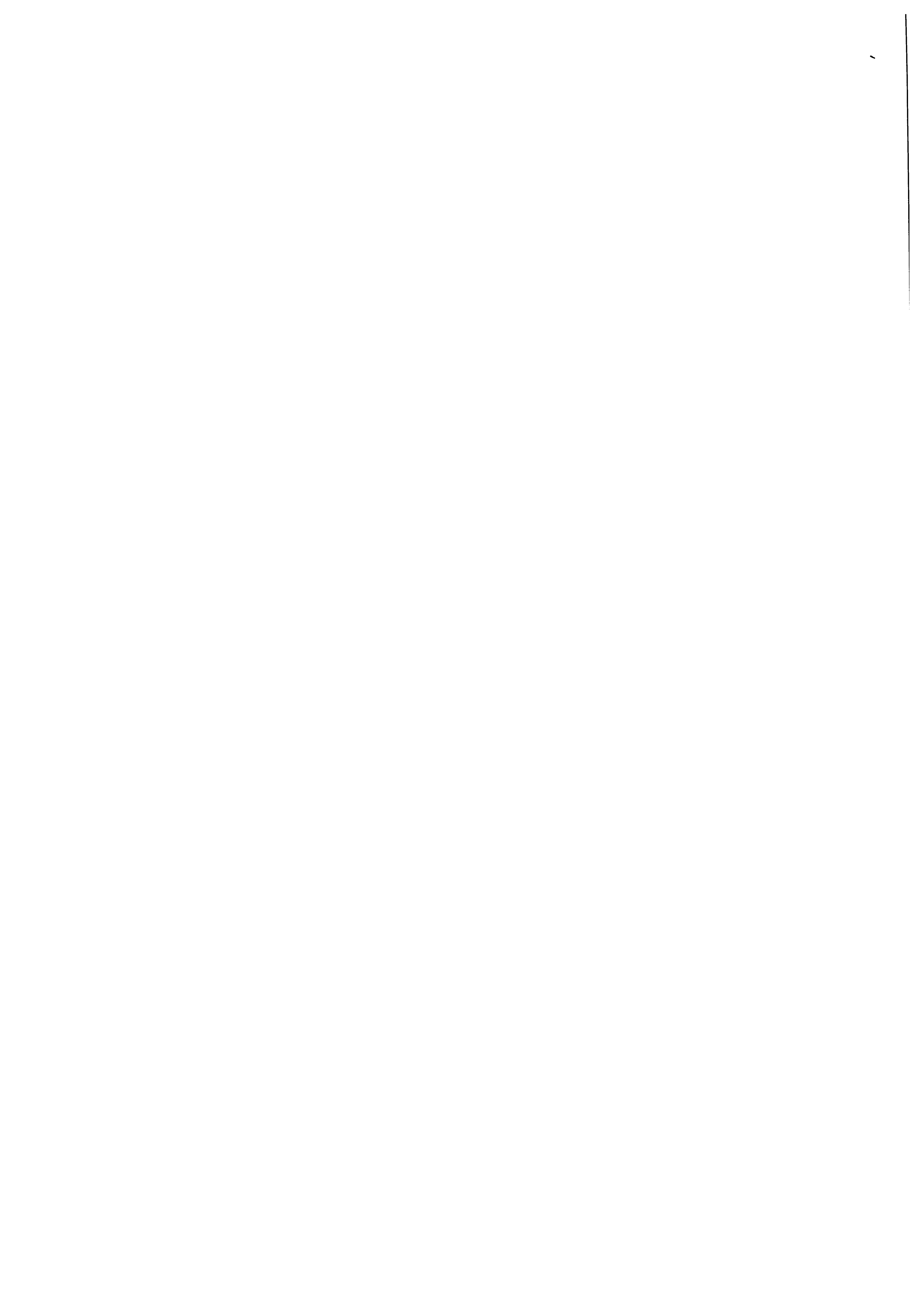
إن تغيّر طبيعة المعركة وطرائق خوضها تطلب باستمرار وثبات تصميم وسائط اتصال محسّنة وإدخالها على نطاق واسع في القوات، بما في ذلك إدخال البرق في المستوى التكتيكي للفرقة.

بهذا الشكل يكون اتساع الإمكانات الاقتصادية للدولة في العصر الرأسمالي قد أدّى إلى تصميم أسلحة جديدة للصراع المسلح وإلى تحسين قديمها. كما أدت بدورها إلى تغييرات حقيقية في طرائق الأعمال القتالية، وفي الاستراتيجية والتكتيك.

تطور فن الحرب الروسي
في عهد الاستعمار الأوروبي
١٩٠٠ ــ ١٩١٧ م

«انه لمن الخطأ الفادح عدم تقدير الخطر العسكري الذي تشكله الامبريالية حق قدره.....».

ف. إ. لينين



٢ ــ ١ ــ الظروف الاجتماعية ــ الاقتصادية

الاستعمار هو أعلى وآخر مستوى تبلغه الرأسمالية في تطورها . ولقد حدث التحول إلى الاستعمار في معظم بلدان العالم المتقدمة صناعياً ، وبخاصة في بلدان أوروبا الغربية ، في نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، عندما طرأت تبدّلات جوهرية على المجتمع الرأسمالي . وكانت سيطرة الاحتكارات قد تحققت حتى ذلك الحين في الدول الرأسمالية الرئيسية ، فاستطاعت أن تخضع المصادر الرئيسية التي يملكها المجتمع لإشرافها السياسي والاقتصادي . وللامبريالية سياسة دولية خاصة بها تنحصر في صراع الدول العظمى من أجل تقاسم العالم سياسياً واقتصادياً .

وإذا ما أردنا أن نصيغ تعريفاً مختصراً للامبريالية يمكن أن نَسِمَها بالرأسمالية الاحتكارية ، حيث إن أهم معالم الامبريالية هي تركيز رأس المال والانتاج الصناعي بشكل لم يعهد له مثيل ، والتحول من المزاحمة الحرة إلى سيطرة الاحتكارات .

ما إن حلّ القرن العشرين حتى كان قد تم عموماً اقتسام مناطق العالم بين الدول الاستعمارية الرئيسية . فتحوّلت الغالبية العظمى من البلدان الضعيفة اقتصادياً إلى مستعمرات ، أو طوِّقت بشبكات من الارتباط الاقتصادي والمالي والسياسي . إلاّ أن تقاسم مناطق العالم لم يكن نهائياً ، لأن من صفات الرأسمالية في العهد الاستعماري عدم تطورها المتساوق مع بعضها . ولا بد بمرور الزمن من أن يتبدّل تناسب القوى بين الدول الاستعمارية ، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث تناقض في تناسب القوى الجديد وخلاف حول توزع المستعمرات ومناطق النفوذ الذي حدث في السابق فيتطور إلى صراع من أجل إعادة اقتسام العالم . إن هذا الصراع ينسجم حكماً مع طبيعة الاستعمار وهو يتخذ شكل نزاعات عسكرية مدمرة وحروب عالمية . إذ يعتبر الصراع من أجل إعادة اقتسام العالم مجدداً أحد الملامح المميزة للاستعمار ويقوم غليه الأساس الاقتصادي للحروب العدوانية .

تحظى النزعة العسكرية في ظل الدول الاستعمارية بأعظم رعاية لها ــ فهي السياسة المفضلة التي تنهجها أكثر الدول تطوراً من الناحية الاقتصادية والتي تهدف إلى تعزيز القدرة الحربية للدولة واستعدادها لحرب أهم أهدافها الاحتلال والسيطرة.

وقد بلغت القوى المنتجة في عصر الاستعمار مستوى عالياً جداً بالمقارنة مع العهود السالفة. واتّسمت الحالة التي وصلت إليها في العقد الأول من القرن العشرين بنمو صناعي كبير واستخدام المكائن على نطاق واسع في جميع حقول الانتاج، مع استخدام وسائل النقل والاتصال الميكانيكية. واكتسبت الطاقة الكهربائية ومحركات الاحتراق الداخلي أهمية حاسمة إلى جانب المحركات البخارية. كما أن التحسن السريع الذي أصاب أعمال التعدين وتطوّر صناعة المكائن والصناعة الكيميائية وغيرها فتح آفاقاً لم يعهد لها مثيل من قبل أمام إنتاج الأدوات الصناعية بكميات هائلة. ورافق تطوير محرك الاحتراق الداخلي ظهور وسائط النقل: السيارات وتبعتها، من ثم، الطائرات والدبابات بعد ذلك بفترة وجيزة.

إن ظهور الاحتكارات الرأسمالية الضخمة التي تمتلك طاقات مالية وإنتاجية هائلة لم يؤدّ إلى زوال المنافسة، وإنما أعطاها أبعاداً أكثر عمقاً. ولا يقتصر الصراع من أجل الحصول على أسواق التصريف ومصادر الخامات وعلى مجالات استثمار رأس المال واليد العاملة الرخيصة في ظل الاستعمار على بعض أصحاب الرساميل والشركات فحسب، وإنما يتعداها إلى الاتحادات الاحتكارية الضخمة وإلى السلطات الاستعمارية بكاملها التي دأبها اقتسام العالم فيما بينها وتحقيق سيطرتها عليه.

وحتى العام ١٩٠٠ كانت أكبر الدول الاستعمارية تسيطر على ٥٥٪ من مساحة الأرض وعلى ٣٥٪ من تعداد سكانها (انظر الجدول رقم ٥).

كانت بريطانيا العظمى وحدها تضم تحت جناحها ربع مساحة المعمورة وربع سكانها، وتستغلها دونما هوادة حتى قيل «إن الامبراطورية البريطانية لا تغيب عنها الشمس». وتوضح المعطيات المذكورة في الجدول (رقم ٥) مدى جشع المصالح الاستعمارية في نهب البلاد والشعوب، مع العلم بأن هذه الناحية من صفات الاستعماريين مهما كانت قومياتهم. هذا، وإن تبدل تناسب القوى بين أكبر الدول الاستعمارية بنتيجة الفارق الكبير في تطوير كل منها أدّى إلى تأزم الصراع فيما بينها من أجل إعادة قسمة العالم الذي سبق لها توزعه فيما بينها.

وفي روسيا، حيث تحققت أيضاً نجاحات ضخمة في تطوير الاقتصاد، تفردت النزعة الاستعمارية في تطويرها من حيث كونها ما تزال مغلّفة بشبكة كثيفة من الرواسب الاقطاعية الارستقراطية. فقد حافظت على النظام القيصري وملكية الأراضي الشاسعة، والتفاوت الاجتماعي والقومي بين السكان والتمييز بين شعوب هذا البلد المترامية الأطراف وعوامل أخرى غيرها. ولقد أثرت البقايا الاقطاعية التي حافظت على وجودها في الصناعة والزراعة وعلى البناء الاجتماعي والحكومي وعلى الجيش بطبيعة الحال.

كان للظروف الاجتماعية ــ الاقتصادية السائدة في عهد الاستعمار تأثيرها العميق على طرائق الإعداد للحروب وأساليب خوضها. فازداد تعداد الجيوش كثيراً في هذه الفترة وبلغ عدد المعبئين

١٥ ــ ٢٠٪ من تعداد سكان البلاد، أي بمعدل ٤ ــ ٥ أضعاف ما كانت عليه في حروب القرن التاسع عشر. وظهر لأول مرة في تاريخ البشرية جيوش عاملة تضم عدة ملايين من الجنود. كما ازدادت أهمية الارتباط بين الجبهة والمؤخرة واعتمادهما على بعضهما البعض أكثر بكثير من السابق. وبلغ دور العامل الاقتصادي مبلغاً لم يعهده من قبل.

(الجدول رقم ٥)

الممتلكات الاستعمارية للدول الكبرى في العام ١٩٠٠

الدول الاستعمارية الرئيسية	الممتلكات الاستعمارية	
	المساحة (مليون كم^2)	السكان (مليون نسمة)
بريطانيا العظمى	٣٣	٣٦٨
فرنسا	١١	٥٠
ألمانيا	٢٫٦	١٢
الولايات المتحدة الأمريكية	١٫٩٠	٨٫٨
دول أخرى	١٤٫٥	٩١٫٢
المجموع بوحدة القياس	٦٣	٥٣٠
بالنسبة المئوية من مساحة الأرض الاجمالية وتعداد السكان	٥٥٪	٣٥٪

تحدث في ظل التقدم الصناعي تبدلات ضخمة في القاعدة التقنية للحرب، وفي وسائط خوض الصراع المسلح. ولقد أتاحت التطورات المستمرة في إنتاج الآلات والمكائن وتحسينها والكشوفات العلمية والتقنية الحديثة إمكانية إيجاد نماذج جديدة من الأسلحة والوسائط التقنية الأخرى المستخدمة في الأعمال الحربية. فقد هيّـأ إدخال البارود اللادخاني إلى جانب اختراع الطلقة الموحدة كل المقدمات اللازمة لاختراع السلاح الأوتوماتي (الآلي). فاستخدم الانكليز في حرب البوير ١٨٩٩ ـــ ١٩٠٢ وللمرة الأولى الرشاش المركب على قاعدة من طراز اكس ـــ مكسيم. كذلك استخدم الرشاش مكسيم في الجيش الروسي، بعد إدخال تحسينات عليه على يد أساطين صناعة الأسلحة الروسية، وذلك في الحرب الروسية ـــ اليابانية ١٩٠٤ ـــ ١٩٠٥، كما استخدمت في هذه الحرب وللمرة الأولى أيضاً الرشاشات الخفيفة (اليدوية).

أتاح استخدام الأظرفة النحاسية في المدفعية والطلقة الموحدة والسبطانات الفولاذية، إمكانية اختراع المدافع سريعة الطلقات من مختلف الأعيرة والأنظمة وبلغ مدى رميها ٦ ـــ ٨ كم. ولقد تميز استخدام المدفع الميداني الطويل السريع الطلقات من عيار ٣ بوصات (٧٦ر٢ مم) في تسليح الجيش الروسي بميزات قتالية عالية. وقد تم اختراع هذا المدفع في العام ١٩٠٠، وأدخلت عليه تحسينات في العام ١٩٠٢، وبقي في الاستخدام حتى العام ١٩٣٠ ليس في تسليح الجيش الروسي القديم فحسب بل وفي الجيش الأحمر من بعده أيضاً. وبلغ مدى رميه ثمانية كيلو مترات تقريباً مع سرعة رمي تعادل عشر طلقات في الدقيقة.

وإلى جانب زيادة سرعة رمي المدافع ومداها، تمكّن الفكر التقني العسكري من حل مشكلة أخرى هي الرمي غير المباشر (من مرابض مستورة). إن أسلوب الرمي هذا يعني مأثرة كبيرة جداً في تاريخ تطور المدفعية فيما يخص استخدامها القتالي. ولا بد من التنويه هنا إلى أن المعالجة العملية لأساليب رمي المدفعية على أهداف غير مرصودة كانت قد بدأت في الجيش الروسي منذ أواسط الستينيات من القرن التاسع عشر، وقبل أن تمارسها الجيوش الأخرى. ففي العام ١٨٨٢ ـــ على سبيل المثال ـــ صدر في بطرسبرغ كتاب وضعه النقيب في المدفعية الروسية ك. غوكا عنوانه «الرمي المستور لمدفعية الميدان». وقد عالج فيه، نظرياً، التجارب التي نفذت في هذا المجال. إلا أن طريقة الرمي الجديدة لم تصبح ممكنة إلا بعد اختراع قائس الزوايا والبانوراما[1] في العام ١٩٠٠. فكان المدفعيون الروس أول من استخدم في الحرب الروسية ـــ اليابانية الرمي من مرابض مستورة (غير المباشر). كما استخدم في هذه الحرب ـــ في الدفاع عن بور آرثر وللمرة الأولى أيضاً ـــ نوع جديد من التسليح المدفعي هو الهاونَ الذي صممه المدفعيان الروسيان س. ن. فاسيلييف ول. ن. غوبياتو.

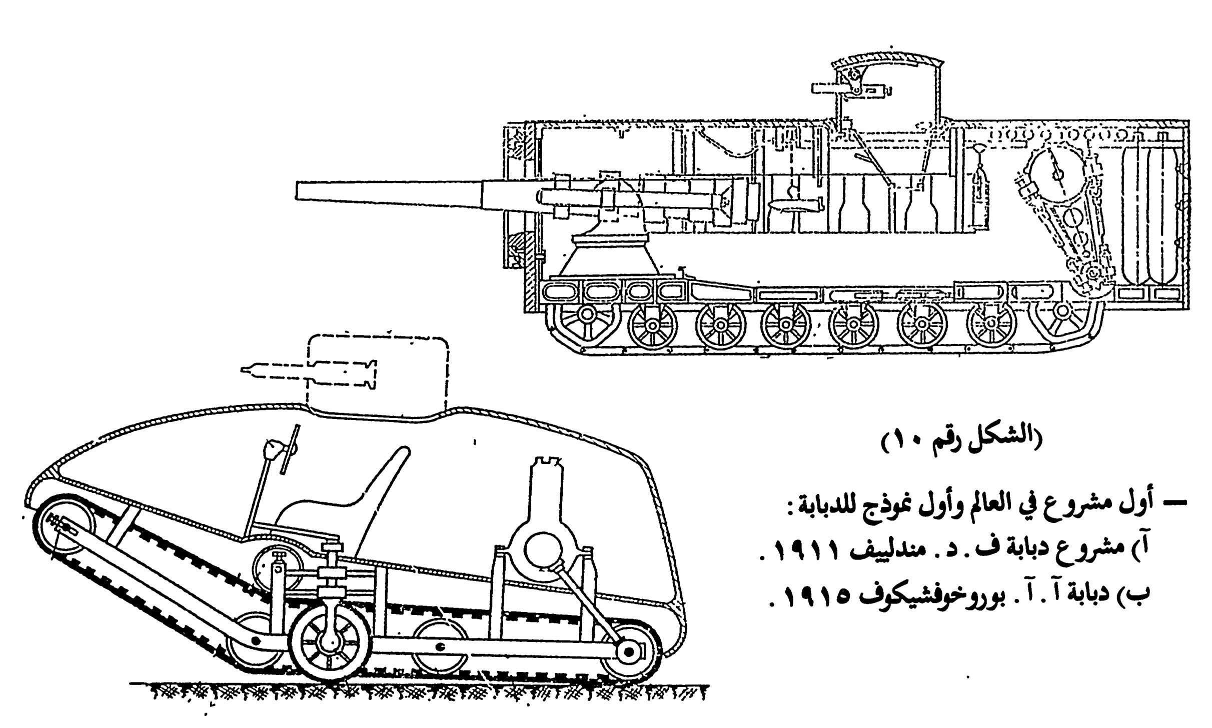
مع بداية القرن العشرين بدأ الطيران يتطور بسرعة، وموطنه روسيا والحق يقال. فقد كانت أول طائرة في العالم من صنع المصمم والمخترع الروسي آ. ف. موجايسكي، إذ ارتفعت طائرته التي يقودها الميكانيكي غولوبيف في الهواء واجتازت بعض الحقول وهي تطير فوقها، وذلك في الأول من شهر آب (أغسطس) من العام ١٨٨٢ في ضواحي بطرسبرغ. إلا أن المتفق عليه أن عام ولادة الطيران الحربي

---

(١) البانوراما ـــ جهاز التسديد البانورامي في المدفع.

هو ١٩١٠ ، نظراً لأن الطائرات اعتباراً من هذا الوقت صارت تساهم في المناورات الحربية . ولقد كانت الحرب بين ايطاليا وتركيا في العامين ١٩١١ ــ ١٩١٢ هي الحرب الأولى التي شاركت فيها الطائرات في تنفيذ الاستطلاع والقصف بالقنابل . وساهم الطيارون الروس لأول مرة في حرب البلقان ١٩١٢ ــ ١٩١٣ في قوام الجيش البلغاري مكوِّنين مفرزة جوية متطوعة .

في مستهل القرن العشرين وضعت نماذج أولية للدبابات ، ولم تلبث أن صنعت الدبابات ذاتها حتى بلغ تعدادها أرقاماً معتبرة جاوزت الآلاف . ففي العام ١٩١١ تقدم المهندس الروسي ف . د . مندلييف ــ وهو ابن العالم الكيميائي الشهير ــ باقتراح أول مشروع في العالم لمركبة مجنزرة قتالية صالحة للسير في مختلف الأراضي أطلق عليها فيما بعد اسم « الدبابة » ؛ وفي شهر آب (أغسطس) من العام ١٩١٤ اقترح المخترع آ . آ . بوروخوفشيكوف مشروع دبابة خفيفة مسلحة برشاش أسماها «فيزدخود» أي «السائرة في كل مكان» ؛ وفي ١٨ أيار من العام ١٩١٥ غادرت هذه المركبة ورشات الصنع في ريغا وبدأت التجارب عليها . ويعتبر هذا اليوم هو يوم ولادة الدبابة . فلقد اجتازت أول دبابة في العالم تلك التجارب بنجاح (الشكل رقم ١٠) واستطاعت هذه المركبة التحرك بسهولة خارج الطرق واجتياز قموع وحفر بعرض ١ر٢ م وعمق ٧ر٠ م وبلغت سرعتها حدود ٢٥ كم/سا .



(الشكل رقم ١٠)

ــ أول مشروع في العالم وأول نموذج للدبابة :
آ) مشروع دبابة ف . د . مندلييف ١٩١١ .
ب) دبابة آ . آ . بوروخوفشيكوف ١٩١٥ .

إلا أن الحكومة الروسية انساقت وراء النماذج الأجنبية فعرقلت تبني الدبابة الوطنية في تسليح الجيش .

مما سبق نجد أن الصناعة الامبريالية المتطورة أتاحت الإمكانات لتنظيم إنتاج الأسلحة والذخائر ومختلف أنواع التجهيزات الحربية بكميات وفيرة ، وازدادت كميات العتاد الموجود في التسليح بسرعة هائلة وتحسنت نوعيتها تحسناً جوهرياً . وخلال الخمس عشرة سنة الأولى من عصر الامبريالية كانت قد اخترعت

الرشاشات والهواون والمصفحات والطائرات والدبابات والغواصات والمواد الكيميائية السامة القتالية وكثير غيرها من وسائط الصراع المسلح، ووضعت قيد الاستعمال. وبما أن إنتاج الأسلحة والعتاد القتالي بكميات هائلة كان بحاجة إلى جهود الملايين من البشر فقد ازداد اعتماد الجبهة على المؤخرة اعتماداً كبيراً وتفاقم دور الاقتصاد والعامل المعنوي فيهما. وتحولت الحرب في عهد الامبريالية إلى تجربة صعبة وشاملة يعيشها كل طرف من الأطراف المتحاربة.

كانت أولى الحروب الاستعمارية الهادفة إلى إعادة توزيع بقاع الدنيا المقتسمة فعلاً بين أكبر الدول الرأسمالية هي الحروب الاسبانية ــ الامريكية ١٨٩٨، وحرب البوير ١٨٩٩ ــ ١٩٠٢. إلا أن الملامح الجديدة المميزة في تطور فن الحرب والتي لها علاقة باستخدام وسائط صراع أكثر اتقاناً، كانت تلك التي بزغت في الحرب الروسية ــ اليابانية ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ وفي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ بشكل خاص.

٢ ــ ٢ ــ الملامح الجديدة لفن الحرب في الحرب الروسية ــ اليابانية ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥م

نشبت **الحرب** الروسية ــ اليابانية في موقف دولي معقّد ناجم عن الصراع الذي كان قد بدأ في نهاية القرن **التاسع عشر** من أجل اقتسام أسواق التصريف ومصادر الخامات. وأصبح الشرق الأقصى حلبة الصراع الأشد ضراوة، وأخص بالذكر الصين التي وقعت فريسة تصادم المصالح المتناقضة للدول الاستعمارية العظمى.

كان سبب الحرب تعارض مصالح حكومة روسيا القيصرية مع مصالح الامبراطورية اليابانية التي كانت تسعى إلى جعل كوريا ومنشوريا ومناطق أخرى من الشرق الأقصى منستعمرات لها. كما كانت روسيا تهدف من وراء هذه الحرب إلى تحقيق غايات سياسية داخلية، مفترضة أن انتصارها الحتمي المقبل في الجبهة سيعزز من سلطة القيصرية داخل البلاد ويشغل الشعب عن الثورة التي توشك على الإندلاع.

وفي ليلة التاسع من شهر شباط (فبراير) من العام ١٩٠٤ قام رعيل من السفن اليابانية بهجوم غادر، ودونما إعلان الحرب، ضد سفن رعيل (عمارة) المحيط الهادىء الروسي التي كانت ترسو في المكلأ الخارجي لميناء بورت آرثر. فكان ذلك بداية الحرب الروسية ــ اليابانية.

لم تقدر روسيا قوى العدو حق قدرها وكان استعدادها للحرب سيّئاً. وكان الخط الحديدي الوحيد الذي يصل مركز البلاد مع مسرح الأعمال الحربية غير مستكمل البناء، وكذلك كان حال تحصينات القاعدة الأساسية للأسطول الروسي ــ قلعة بورت آرثر في الأراضي الصينية. وكان مجموع ما تملكه روسيا في الشرق الأقصى عند اندلاع الحرب حوالي مئة ألف جندي و١٤٨ مدفعاً و٨ رشاشات و٦٣ سفينة قتالية، هذا على الرغم من أن الجيش الروسي بأكمله كان يعد في هذه الفترة من الزمن مليوناً ومئة وخمسة وثلاثين ألف جندي. وكانت اليابان قد شكلت بمساعدة الولايات المتحدة وانكلترا

جيشاً عاملاً قوياً تعداده ٣٧٥ ألف شخص مع ١١٤٠ مدفعاً و١٤٧ رشاشاً، ووصلت بتعداده في نهاية الحرب إلى ٧٥٠ ألف شخص. وكان الأسطول الياباني يملك ٨٠ سفينة قتالية و٢٦٢ سفينة نقل.

كانت القوات المسلحة اليابانية مع بداية الحرب تتفوق على تجمع القوات الروسية في الشرق الأقصى بمعدل ثلاثة أضعاف بالأفراد وثمانية أضعاف بالمدفعية تقريباً و١٨ ضعفاً بالرشاشات و١٫٣ ضعف بالسفن.

كان في تسليح الجيش الروسي أفضل بندقية ذات مخزن عرفت في ذلك الحين من طراز ١٨٩١، كما كان يملك مدفعاً ميدانياً ممتازاً سريع الطلقات عيار ٧٦م من طراز ١٩٠٢. ولكن المدفعية الساحلية ومدفعية القلاع في الشرق الأقصى كانت من مدافع عفا عليها الزمن بينما كانت المدفعية الجبلية والرشاشات قليلة جداً.

وكان الأسطول الروسي في الشرق الأقصى أضعف بكثير من الأسطول الياباني سواء من حيث تعداد السفن أو من حيث ميزاتها التكتيكية التقنية، وبخاصة سرعة التحرك ومدى رمي المدافع.

حافظت اليابان خلال الحرب على زمام المبادأة في يدها في البحر والبر. وتقرر مصير الحرب في صراع مديد شديد استمر ثمانية أشهر من أجل قلعة بورت آرثر الساحلية وفي مواقع ضخمة، عددها ثلاث، جرت بين القوى الرئيسية للجيش الروسي والجيش الياباني.

أملت الحكومة الروسية في إحداث تحول في مجرى الحرب عن طريق نقل رعيل كبير من السفن كان قد شكل حديثاً في بحر البلطيق. إلا أن هذا الرعيل اصطدم في ٢٧ أيار (مايو) من العام ١٩٠٥ بقوى متفوقة جداً من الأسطول الياباني وسحق تماماً في مضيق تسوزيم. واضطرت الحكومة القيصرية أمام الهزائم العسكرية المتلاحقة التي مُني بها الجيش الروسي وتزايد أبعاد الحركة الثورية في روسيا إلى قبول الصلح بشروط غير ملائمة أملتها عليها الامبراطورية اليابانية والأمريكية. وكانت الأسباب الرئيسية لهزيمة روسيا ذلك النظام القيصري الرجعي الذي كان يقف حائلاً دون تطوير البلاد في جميع المجالات بما في ذلك المجال العسكري مع تخلف الاقتصاد والتنظيم الحربي، وكذلك الطرائق الفاشلة في قيادة القوات والاستراتيجية الدفاعية السلبية التي تبنتها القيادة العليا. كما لعب البعد الشاسع الذي يفصل مسرح العمليات الحربية عن المناطق المركزية في البلاد دوراً سلبياً في تلك الحرب.

وأثبتت الحرب الدور الحاسم للكمون العسكري الاقتصادي للبلاد والعامل المعنوي في تحقيق النصر.

كما ظهرت للعيان في أثناء الحرب الروسية ـ اليابانية ملامح كثيرة هامة لفن الحرب في عصر الامبريالية. إذ لوحظ في هذه الحرب اضطراد العتاد الحربي وتأثيره على أساليب خوض الصراع المسلح. فقد ساعدت السكك الحديدية ووسائط النقل البحرية في نقل أعداد ضخمة من القوات والعتاد إلى مسافات

كبيرة . كما أن ازدياد مدى عمل الأسطول البحري الحربي وتعاظم قوة نيران السفن وسرعة إبحارها وتصفيحها الواقي زاد في قيمة التفوق البحري وتطلب التنسيق بين أعمال الجيش والأسطول .

عبأت كل من روسيا واليابان خلال الحرب مليوناً ومئتي ألف رجل في قواتها المسلحة ، واستخدمت أثناء الحرب الروسية ــ اليابانية الرشاشات والمدافع سريعة الطلقات للمرة الأولى وعلى نطاق واسع ، وظهرت فيها الهواون والرشاشات الخفيفة والرمانات اليدوية ، وفيها اكتسبت أولى الخبرات في استخدام اللاسلكي لغايات حربية واستخدام مناطيد الرصد والمناوير الكاشفة كذلك .

برهنت الحرب الروسية ــ اليابانية على أن تزويد الجيوش الضخمة بأعداد كبيرة من المدفعية سريعة الطلقات والرشاشات ذات المخازن مع استخدام وسائط الاتصال الجديدة ، يعطي أعمال القتال أبعاداً كبيرة ويخرجها خارج أطر المعركة والموقعة . فقد تخللت الحرب عناصر كثيرة من مستوى عمليات الجيش والجبهة . ونفذت أعمال جيش واحد وبضعة جيوش أيضاً بموجب خطة واحدة وتحت إدارة واحدة ، كانت موجهة لتنفيذ مهمة عملياتية واحدة . وسعى كل طرف من الأطراف المتحاربة إلى تطبيق أشكال المناورة العملياتية كالالتفاف والاحاطة . واحتفظ الجانب المدافع باحتياطات لملاقاة المهاجم وصد هجومه ، كما أقام في مؤخرته مواضع دفاعية بشكل أعطى الدفاع عمقاً عملياتياً .

ذاع صيت الأعمال التي جرت على مشارف بورت آرثر وعلى بعض القطاعات الأخرى (عند لياويان على نهر شاهي) بولادة شكل جديد من الأعمال الدفاعية ــ هو الدفاع المواضعي الميداني . فامتدت المواضع الدفاعية عشرات الكيلو مترات واحتلتها القوات وجهزت فيها المساتر والملاجىء والخنادق والحواجز وغير ذلك من الموانع الصنعية .

كما أنشئت منظومة نيران تؤمن صد هجمات مشاة العدو الكثيفة . ولقد اكتسب مثل هذا الدفاع صفة الاستقرار وأعاق ضربات العدو من الجانب أو الالتفاف أو الاحاطة .

حدثت تبدلات هامة كذلك في التكتيك . فتعاظمت قوة النيران وفاعليتها إلى درجة أضحى معها استخدام كتل المشاة والخيالة المتراصة في المعركة أمراً مستحيلاً . وازدادت منطقة الرمي المجدي للمدفعية من ٢ ــ ٣ كم وحتى ٥ ــ ٦ كم . وكانت القوات عندما تدخل هذه المنطقة تضطر إلى استخدام التراتيب المنتشرة لتستطيع التقرب من العدو دونما خسائر إضافية . وأصبح الشكل الرئيسي لتراتيب قتال المشاة في منطقة نيران البنادق والرشاشات هو سلسلة الرماة . وتوجب على المشاة الآن أن تستجمع ما يكفي من قواها عند خط الانطلاق للاقتحام قبل أن تسدد الضربة بحرابها . وأصبحت المعركة الهجومية نتيجة لذلك ذات عمق كبير وتقسم إلى ثلاث فترات ، هي : التقرب والهجوم والاقتحام . ولكنه كان من الصعب تصوّر نجاح الاقتحام دون إبطال الوسائط النارية الأساسية لدى العدو بتمهيد مدفعي مضمون النتائج . وهكذا جمعت المعركة الهجومية بين عناصرها النيران والمناورة والصدمة وأصبحت تنفذ على عمق بضعة كيلو مترات . ومن أجل الإقلال من الخسائر الناجمة عن نيران العدو وتحقيق المفاجأة في الضربة ازداد اللجوء إلى المعارك الليلية .

وبرهنت الحرب، أيضاً، على أن مختلف التحصينات الترابية كالمنع (نقاط الاستناد) والاستحكامات وغيرها فقدت أهميتها باعتبارها لم تستطع الصمود أمام القوة النارية للمدفعية الحديثة. وكانت المشاة تتجنب النيران بالحفْر في الأرض، وأصبح النموذج الأساسي للمنشآت الهندسية في الدفاع الميداني هو مساند المشاة. كما ازداد العمق التكتيكي للدفاع بتأثير ازدياد قوة نيران البنادق والرشاشات والمدفعية. وأصبح الموضع الدفاعي يضم ٣ ــ ٤ خطوط من المساند وحواجز مختلفة، وبلغ العمق الإجمالي للموضع الدفاعي ٣ ــ ٤ كم.

لقد تطور تكتيك المدفعية تطوراً كبيراً في الحرب الروسية ــ اليابانية، وبدأ المدافعون الروس ولأول مرة في ظروف قتالية ينفذون الرمي من مرابض مستورة (الرمي غير المباشر). كما أتاح استخدام الاتصال السلكي تنظيم قيادة نيران المدفعية مركزياً في التشكيلات وفي الجيوش.

وازداد دور قوات الهندسة وتحسن تكتيكها كذلك. ولا بد من الإشارة إلى أن النواحي الجديدة الأساسية التي طرأت على تكتيكها هي تطبيق الدفاع المواضعي الميداني واستخدام الحواجز الشائكة والملاغم من مختلف الطرز واستخدام المناوير أيضاً.

كما لعبت الحرب الروسية ــ اليابانية دوراً هاماً في تطوير فن الحرب البحري. فقد كشفت هذه الحرب ضرورة المضي في زيادة سرعة السفن الحربية وقوة نيرانها وتدريعها الواقي، وزيادة حيويتها وقدرتها على البقاء في حال اصطدامها بلغم. وأكدت خبرة الحرب أن السلاح الرئيسي في الأسطول هي المدفعية بعيدة المدى وكبيرة العيار. واستخدمت الغواصات لأول مرة في الحرب من أجل القيام بدوريات وتنفيذ الاستطلاع. كما استخدمت الألغام من أجل إقامة حواجز موضعية عند مداخل الموانىء والقواعد. ودلّت الحرب على تزايد أهمية تعاون القوات البرية مع الأسطول البحري الحربي.

وأدخلت أشياء كثيرة جديدة على تكتيك الأسطول البحري الحربي، وبخاصة التناور (المراوغة). كما ظهرت في البحرية أيضاً مناورة الإحاطة التي وضع أسسها النظرية الأدميرال الروسي س. و. ماكاروف. وطبق التناور (المراوغة) في الموقعة البحرية بالشكل الذي يؤمن تنفيذ رمي التركيز على سفن الذيل المعادية في مختلف الأساطيل واستخدم فيما بعد على نطاق واسع في الحرب العالمية الأولى.

درس المفكرون العسكريون في معظم البلدان المتقدمة الحرب الروسية ــ اليابانية بعناية فائقة، وتمت الاستفادة من خبرتها في وضع الأنظمة الجديدة وفي التدريب القتالي للجيوش عشية الحرب العالمية الأولى.

٢ ــ ٣ ــ تطور فن الحرب في الحرب العالمية الأولى

٢ ــ ٣ ــ ١ ــ أسباب اندلاع الحرب وطبيعتها

الحرب العالمية الأولى هي حرب استعمارية دارت بين حلفين من الدول من أجل إعادة اقتسام العالم والمستعمرات ومناطق النفوذ ومناطق استثمار رأس المال، ومن أجل نهب الشعوب الأخرى. واندلعت نتيجة

تأزم التناقضات بين البلدان الرأسمالية. وقد أدّت طفرات التطور الاقتصادي غير المتكافىء التي هي من سمات عصر الاستعمار إلى تبدل تناسب القوى في الحلبة الدولية، فإذا كانت انكلترا، مثلاً، تشغل المرتبة الأولى في العالم من حيث حجم الانتاج الاقتصادي في العام ١٨٧٠ وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تليها في المرتبة الثانية، ومن ثم فرنسا في المرتبة الثالثة، فألمانيا في المرتبة الرابعة، فقد تبدّل الوضع كثيراً مع حلول عام ١٩١٣ حيث ارتقت الولايات المتحدة إلى المرتبة الأولى وتلتها ألمانيا في المرتبة الثانية ثم انكلترا التي جاءت في المرتبة الثالثة بينما اكتفت فرنسا بالمرتبة الرابعة. ونشب صراع شديد بين انكلترا وألمانيا حول أسواق التصريف.

كانت هنالك تناقضات حادة أيضاً بين البلدان الاستعمارية الأخرى. فلقد كانت فرنسا تسعى إلى تخليص ألمانيا منطقتي الألزاس واللورين والاستيلاء على منطقة السار. وكانت روسيا تنازع النمسا ـــ المجر وألمانيا السيادة على البلقان وتسعى إلى الاستيلاء على البوسفور والدردنيل. بينما كان الألمان يخططون للاستيلاء على المستعمرات الانكليزية والفرنسية وفرض سيطرتهم على منطقة البلطيق كلها وعلى بولونيا وأوكرانيا. في هذه الأثناء كانت بريطانيا قد وضعت في اعتبارها تحطيم منافستها الخطيرة ألمانيا عن طريق الحرب وكسب مستعمرات جديدة بذلك.

عدا ذلك، كانت الدوائر الحاكمة والمتنفذة في الدول الاستعمارية تأمل في أن تهيّىء لها الحرب ظروفاً ملائمة من أجل إحباط حركات التحرر الوطنية والثورية المتفاقمة. وهكذا كانت الأسباب الرئيسية للحرب العالمية الأولى ما يلي: التناقضات القائمة بين الاستعماريين وتنافسهم في سعيهم لإعادة اقتسام العالم، رغبة الحكومات والطبقات المسيطرة في إشغال العمال والكادحين عن الاهتمام بالنضال من أجل حقوقهم وتقدمهم الاجتماعي. ولقد اعتبرت هذه الحرب استمراراً للسياسة الخارجية والداخلية التي تنهجها الدول الاستعمارية.

سعت كل من ألمانيا وانكلترا في خضم استعداداتهما المسبقة للحرب من أجل إعادة اقتسام العالم إلى البحث عن حلفاء لهما. وقبل بداية الحرب بمدة طويلة كان هنالك تجميعان حربيان كبيران هما: ألمانيا والنمسا ـــ المجر وإيطاليا من جهة وتشكل بمجموعتها اتحاداً ثلاثياً، وانكلترا وفرنسا وروسيا من جهة أخرى وتشكل فيما بينها حلفاً عسكرياً أطلق عليه اسم «إنتانتا» (Entanta) «الوفاق الثلاثي». وانضم إلى هذين التجمعين الرئيسيين عشية الحرب وخلالها دول كثيرة بينما انحازت إيطاليا إلى جانب حلف «إنتانتا».

وبما أن الحرب كانت من أجل اقتسام العالم فقد شغلت اهتمام الامبرياليين من جميع البلدان حيث تورطت فيها ٣٨ دولة فاق عدد سكانها ملياراً ونصف المليار. وعبأت من الجيوش مجتمعة خلال سنوات الحرب ما يزيد تعداده عن ٧٣ مليون إنسان.

٢ ـــ ٣ ـــ ٢ ـــ تعداد القوات المسلحة وتجهيزها وتنظيمها قبل بدء الحرب

كانت القوات المسلحة الروسية والفرنسية والألمانية والنمساوية المجرية مستكملة على أساس التجنيد

(الجدول رقم ٦)

الدولة	تعداد السكان في العام ١٩١٤ (مليون نسمة)	القوات البرية والجوية													
		تعداد الجيوش (بالملايين)					الخسائر من القتلى (مليون شخص)	عدد المدافع				الطائرات		الدبابات
								الخفيفة		الثقيلة				
		في زمن السلم	مع بدء الحرب (بعد التعبئة)	في نهاية الحرب	مجموع ما عبيء في الحرب	النسبة المئوية من السكان		مع بدء الحرب	في نهاية الحرب	مع بدء الحرب	في نهاية الحرب	مع بدء الحرب	في نهاية الحرب	في نهاية الحرب
روسيا	١٨٠ر٦	١ر٤٢٣	٥ر٣٣٨	٧ر٠*	١٥ر٨	٨ر٧	٢ر١	٦٨٤٨	١٠٨٦٩	٢٤٠	١٤٣٠	٢٦٣	٧٠٠**	—
بريطانيا العظمى	٤٦ر٠	٠ر٤١١	١ر٠	٣ر٩	٤ر٩	١٠ر٧	٠ر٧	١٥٠٠	٧٠٠٠	٥٠٠	٤٠٠٠٠	٣٠	١٧٥٨	٣٠٠٠
فرنسا	٣٩ر٧	٠ر٨٨٣	٣ر٧٨١	٤ر٤٣	٦ر٨	١٧ر٠	١ر٤	٣٩٦٠	٦٤٨٠	٦٨٨	٥٧٤٠	١٥٦	٣٣٢١	٤٠٠٠
مجموع الاتفاق الثلاثي	٢٦٦ر٣	٢ر٧١٧	١٠ر١١٩	١٥ر٣٣	٢٧ر٥	١٠ر٣	٤ر٤	١٢٣٠٨	٢٤٣٤٩	١٤٢٨	١١١٧٠	٤٤٩	٥٧٧٩	٧٠٠٠
ألمانيا	٦٧ر٥	٠ر٧٦٨	٣ر٨٢٢	٧ر٦	١٤ر٠	٢٠ر٧	٢ر٠	٦٣٢٩	١١٢٠٠	٢٠٧٦	٦٨١٩	٢٣٢	٢٧٣٠	٧٠
النمسا ــ المجر	٥٢ر٧	٠ر٤٧٨	٢ر٣٠٠	٤ر٤٣	٩ر٠	١٧ر١	١ر٤	٣١٠٤	...	٥٠٦	...	٦٥	٦٢٢	—
مجموع الاتحاد الثلاثي	١٢٠ر٢	١ر٢٤٦	٦ر١٢٢	١٢ر٠٣	٢٣ر٠	١٩ر١	٣ر٤	٩٤٣٣	...	٢٥٨٢	...	٢٩٧	٣٣٥٢	٧٠

* في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩١٧

** في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧

الإلزامي الذي يتيح إيجاد قوات كثيرة مدربة عسكرياً وجيوش تعد الملايين ، يمكن الرجوع إلى قوامها في (الجدول رقم ٦) . أما الجيش الانكليزي فعلى الرغم من أنه قائم على مبدأ التطويع إلاّ أن تعداده كان كبيراً جداً أيضاً . وكانت مدة الخدمة الفعلية للجنود في جيوش الدول الرئيسية متساوية تقريباً وتبلغ ثلاث سنوات . (راجع الجدول رقم ٦) .

ويعتبر تنظيم القوات البرية في كلا الحلفين متشابهاً إلى حد كبير ، حيث كان يرتكز أساساً على النظام الفيتلقي . وكان الفيلق يتألف عادة من فرقتي مشاة ومدفعية الفيلق ومفرزة جوية من ٣ ـــ ٧ طائرات وفوج خيالة ووحدات من قوات الهندسة والاشارة . وكانت فرقة المشاة تتألف من لواءي مشاة (كل لواء منها يتألف من فوجين) ولواء (فوج) مدفعية ووحدات خيالة وقوات هندسة ومؤخرة . ويمكن الرجوع إلى تعداد فرقة المشاة وتسليحها في الجدول (رقم ٧) .

لم تكن أفواج المشاة تملك مدفعية خاصة بها . وكانت الكتيبة هي الوحدة الحسابية الأساسية ، وكانت تعد في الجيش الروسي ألف رجل وفيها أربع سرايا ، وفي كل سرية ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ رجلاً .

وكان أعلى تشكيل تكتيكي في الخيالة هو الفيلق ، مثلها في ذلك مثل المشاة ، وكان الفيلق يتألف من فرقتين من الخيالة أو ثلاث فرق أساس قوامها الأفواج . وكان في فرقة الخيالة الروسية أربعة أفواج تعدادها الإجمالي ٤٠٠٠ شخص وتتألف مدفعيتها من ١٢ مدفعاً ومفرزة خيالة نقابين ، الأمر الذي كان يمكنها من تنفيذ مهام قتالية مستقلة .

كان الجيش هو أعلى جحفل عملياتي ويتألف عادة من ٣ ـــ ٦ فيالق وفرقة خيالة واحدة أو بضع فرق . ولكن القوات المسلحة الروسية دخلت الحرب وهي موزعة إلى جحفلين جبهويين على الشكل التالي : الجبهة الشمالية ـــ الغربية وقوامها جيشان ، والجبهة الجنوبية ـــ الغربية وتضم أربعة جيوش .

استعارت دول أخرى هذه الخبرة أثناء الحرب فشكلت مجموعات جيوش لديها . وتابعت صنوف القوات التقليدية الثلاث ـــ المشاة والمدفعية والخيالة ـــ تطورها تحت تأثير العتاد القتالي المتزايد بسرعة . وبقيت المشاة الصنف الأساسي والرئيسي للقوات . وكانت تشكل ٧٠٪ من القوات البرية بينما كانت المدفعية تختص بحوالي ١٥٪ والخيالة في حدود ٨٪ وقوات الهندسة وغيرها حتى ٧٪ منها .

كانت مشاة الدول الأساسية المشتركة في الحرب مسلحة «ببواريد» تتراوح بين عيار ٦٢ر٧ مم و٨ مم ورشاشات متوسطة ذات مناصب يصل مدى رميها إلى ٣ كم . وكان يوجد في تسليح قطعات ووحدات مدفعية القوات مدافع من عيار ٧٥ ـــ ٧٧ مم وقذافات من عيار ١٠٥ ـــ ١٥٠ مم . ويبين (الشكل رقم ١١) النماذج الأساسية للمدفعية الروسية . كذلك كان يوجد في الفيلق الروسي كتيبة قذافات عيار ١٢٢ مم ١٢ مدفعاً ، بينما يوجد في الفرقة الألمانية كتيبة قذافات ١٠٥ مم ١٦ مدفعاً ، أما الفرقة الفرنسية فكانت تملك فوج مدافع من عيار ٧٥ مم ٤٨ مدفعاً .

(الجدول رقم ٧)

قوام فرقة المشاة لدى الدول الأساسية
في العام ١٩١٤

المشاة	أشخاص	كتائب	رشاشات	مدافع	قذافات	مدى رمي المدافع (كم)
روسية	٢١٠٠٠	١٦	٣٢	٤٨ (٧٦ مم)	—	٨
فرنسية	١٦٠٠٠	١٢	٢٤	٣٦ (٧٥ مم)	—	٥ر٦
ألمانية	١٦٦٠٠	١٢	٢٤	٥٤ (٧٧ مم)	١٨ (١٠٥ مم)	٨ر٧

كان تطور الطيران ــ الموضح تعداده في الجدول (رقم ٦) ــ ضعيفاً في بداية الحرب ولم تكن الطائرات مجهزة بالأسلحة. وكانت سرعة الطائرات بطيئة جداً ولا تتجاوز ٩٠ ــ ١٢٠ كم/سا.

وقد أعارت الدول المشتركة في الحرب اهتمامها الكبير إلى تطوير القوى البحرية الحربية. وكانت تعتبر أن القوة القتالية لأسطولها تتحدد بعدد السفن الثقيلة التي كانت تنضوي تحت لوائه من بوارج ثقيلة وطرادات ثقيلة وغيرها.

يستدل من الجدول السابق على أن أقوى أسطول قبل بدء الحرب كان الأسطول الانكليزي. ولم يمكن إنزال إلا القليل من السفن التي كانت قيد البناء إلى البحر خلال الحرب. إلا أن أساطيل الحلفاء «الانتانتا» كانت تملك تفوقاً كاسحاً على القوى البحرية الألمانية وحليفاتها أثناء الحرب، على وجه العموم، الأمر الذي أتاح «للأنتانتا» تحقيق السيطرة البحرية.

وبما أن الحرب الروسية ــ اليابانية ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ كانت قد كشفت سيئات خطيرة في منظومة استكمال القوات وتنظيم تدريبها القتالي وتزوّدها بالعتاد، وإعداد كادرات الضباط وغير ذلك من المسائل الأساسية في بناء القوات المسلحة في روسيا، فقد جرت في الفترة الممتدة ما بين العامين ١٩٠٥ ــ ١٩١٢ عدة إصلاحات متتابعة كانت غايتها إزالة تلك السيئات وتلافيها.

فخلال الفترة الواقعة بين العامين ١٩٠٥ ــ ١٩٠٨ أعيد تنظيم القيادة العسكرية المركزية:

(الجدول رقم ٨)

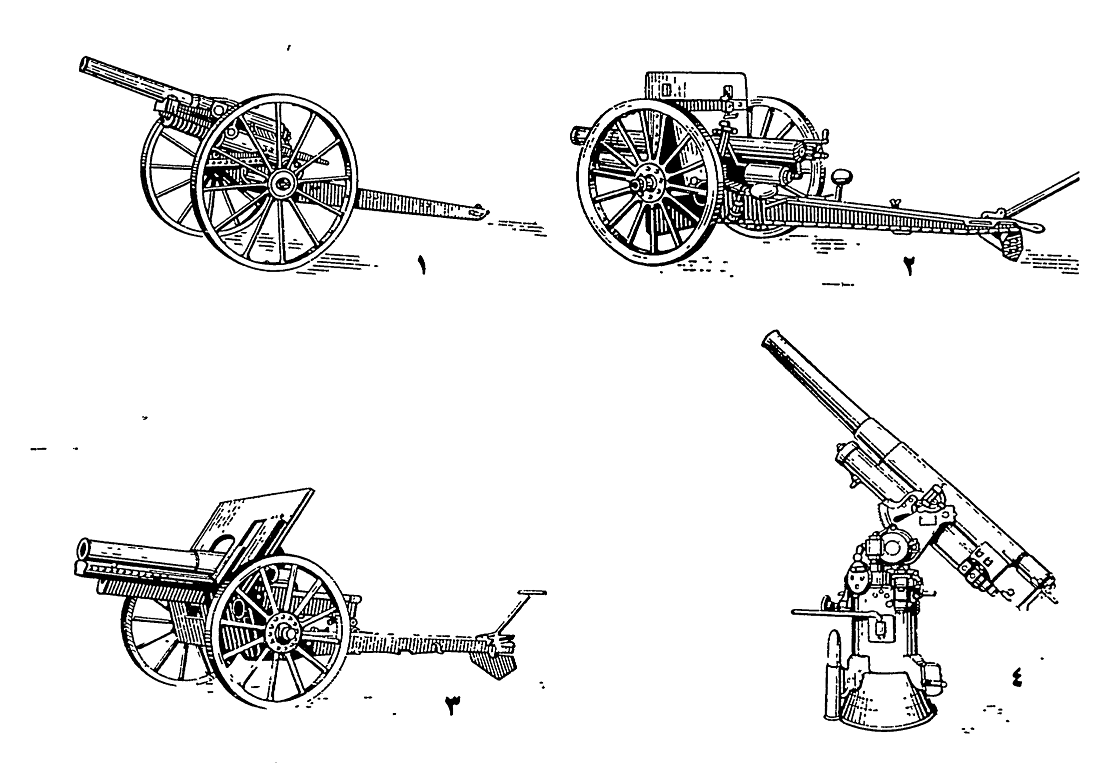
عدد السفن في أساطيل الدول

ملف السفن	روسيا	انكلترا	فرنسا	ايطاليا	ألمانيا	النمسا والمجر
سفن ثقيلة :						
بارجة ثقيلة	(٧) ٢	٢٠ (١٢)	٣ (٤)	٣ (٣)	١٥ (٥)	٣ (١)
دارعة (بارجة خفيفة)	٩	٤٠	٢٠	٩	٢٢	٩
طرادات :						
ثقيلة	(٤)	٩ (١)	—	—	٤ (٣)	—
مدرعة	٣	٢٥	١٨	٨	٧	٢
متوسطة	٣	١٧	—	٢	٥	١
خفيفة	٦ (١٠)	٣١ (٢٠)	—	٦	٣١ (٥)	٧
مدمرات ثقيلة	٩٣ (٤٥)	٢٥٦ (٢٩)	٨١ (٣)	٣٣ (١٦)	١٤٩ (٢٤)	١٨
مدمرات	٢٥	٣٣	١٧	٦٣ (٢)	٧٠	٥١
غواصات	٣٦ (١٩)	٧٦ (٢٣)	٦٢ (٩)	١٩ (٨)	٢٨ (٢٣)	٧ (٤)

ملاحظات : ١) أضيفت إلى قوام الأسطول الانكليزي السفن الكبيرة من أسطول استراليا وكندا.

٢) تدل الأرقام ضمن الأقواس على عدد السفن قيد البناء.

فشكلت قيادة عليا للأركان العامة مستقلة عن وزارة الدفاع ، وأوكلت إليها جميع المسائل المتعلقة بإعداد البلاد للحرب ، كما شكّل مجلس الدولة لشؤون الدفاع ، ولجنة التأهيل العليا ، والأركان العامة البحرية ، وأوجدت مناصب المفتشين العامين (للمشاة والخيالة وقوات الهندسة والمنشآت التعليمية) مستقلين أيضاً عن وزارة الدفاع . وسرح من الجيش حوالي سبعة آلاف ضابط لتجاوزهم السن أو لعدم لياقتهم للوظيفة القائمين بها .



(الشكل رقم ١١) ـــ المدفعية الروسية في فترة الحرب العالمية الأولى

١ ـــ مدفع بارانوف ٥ر٢ بوصة سريع الطلقات .
٢ ـــ مدفع ٧٦ مم سريع الطلقات طراز ١٩٠٢ .
٣ ـــ قذاف ميداني ١٢٢ مم سريع الطلقات طراز ١٩٠٢ .
٤ ـــ مدفع ٧٦ مم م / ط طراز ١٩١٥ .

وفي فترة الاصلاح التالية التي امتدت من العام ١٩٠٨ إلى العام ١٩١٢ اتخذت إجراءات مضطردة لزيادة المركزية في القيادة العسكرية : فضمت القيادة العليا للأركان العامة إلى وزارة الدفاع وأُلغي مجلس الدولة لشؤون الدفاع ، وأُعيد تنظيم إدارات المدفعية والهندسة والمنشآت التعليمية . كما جرى في هذه المرحلة إعادة تنظيم الجيش أيضاً : فأُلغيت القوات الاحتياطية وقوات القلاع الضعيفة من الناحية العسكرية والتي كانت تشكل ١٥٪ من تعداد الجيش الروسي كله ، وشكلت سبع فرق مشاة جديدة . وأدخلت إلى قوام فرق المشاة ألوية مدفعية في كل منها ٤٨ مدفعاً ، كما شكلت مدفعية فيلقية ومدفعية ميدانية ثقيلة ، وعززت قوات الهندسة وقوات الطرق الحديدية وقوات الاشارة . وفي عام ١٩١٠ جرى تبديل أماكن إقامة القوات في زمن السلم وكان هدفه زيادة عدد القوات المتمركزة في المناطق العسكرية المركزية . كما أدخلت منظومة استكمال

محلية في القسم الأوروبي من روسيا وأحدثت مناطق استعواض فيلقية وفرقية وفوجية ، الأمر الذي سهل عملية التعبئة . وفي عام ١٩١٢ وضع قانون جديد للتجنيد العسكري ، وطبقت سلسلة من الاجراءات التنظيمية الأخرى . وخلال العامين ١٩٠٩ ــ ١٩١٠ سلحت القوات بقذافات من عيار ١٢٢م و١٥٢م ومدافع من عيار ١٠٧م ، بينما أحدثت في الأفواج مفارز رشاشات مستقلة (بمعدل ٨ رشاشات على مناصب في كل منها) كما شكلت مفارز جوية في الفيالق . واعتباراً من العام ١٩١٠ وضعت قيد التطبيق مناهج تدريب جديدة للمدارس الحربية واستخدمت أنظمة جديدة كان هدفها تحسين نوعية إعداد الضباط ، وقد ساعدت فعلاً في رفع مستوى التدريب القتالي مع مراعاة خبرة الحرب ، فارتفعت القدرة القتالية للجيش الروسي نتيجة تلك الاصلاحات العسكرية على الرغم من عدم تلافٍ ، كلية ، الكثير من السلبيات التي كشفتها الحرب الروسية ــ اليابانية السابقة .

ويمكننا من خلال استخلاص نتائج الاستعداد للحرب العالمية الأولى ونتائج تأمين المصادر الاقتصادية والبشرية ، وتجهيز الأعتدة القتالية الخاصة بها ، التوصل إلى الخلاصة التالية : لقد كان كل واحد من الحلفين العسكريين السياسيين القائمين يملك قوى ووسائل ضخمة جداً ، وكانت ألمانيا هي الأكثر استعداداً للحرب إلا أنها كانت مستعدة لحرب قصيرة الأمد سريعة الجريان ، نظراً لأن هذه الدولة كانت تعاني نقصاً كبيراً بالأرزاق وببعض أنواع الامداد الأخرى على الرغم من امتلاكها لعتاد صناعي حربي متقدم .

وعلى وجه العموم فإن دول «الانتانتا» كانت هي التي تملك الاقتصاد الأقوى وذلك التفوق العددي بالقوى البشرية على كل من ألمانيا والنمسا والمجر إذا ما كان منطلقنا الحرب طويلة الأمد . هذا ، مع العلم بأن جيوش بلدان كلا الحلفين كانت متشابهة تقريباً في منظومة استكمالها وتنظيمها وعتادها القتالي وتسليحها .

٢ ــ ٣ ــ ٣ ــ الخطط الاستراتيجية لدى كل من الطرفين

كانت الدول الاستعمارية الكبرى واثقة ، بما تملكه من قوات مسلحة قوية ، من قدرتها على تحقيق النصر في مهل قصيرة وخلال بضعة أشهر من نشوب الحرب . ولكن نظراً للتناقضات الجوهرية والكبيرة التي كانت قائمة ، لا بين الاتحاد الثلاثي والحلفاء فحسب وإنما بين البلدان الحليفة داخل كل من هذين الحلفين أيضاً ، فقد وضعت كل دولة من هذه الدول خطتها الاستراتيجية مستقلة عن الأخرى ودون تنسيق وثيق مع حليفاتها . لذا ، لم يكن من النادر أن تبالغ كل منها في تقدير قواها وإمكاناتها الخاصة بينما تغفل تقدير الكمون الحربي والاقتصادي المعادي وما يتوفر لدى العدو من احتياطات كثيرة وصناعة متطورة . وبدلاً من أن يعمد المشاركون في كل حلف عسكري إلى تنسيق جهودهم وتنظيم التعاون الاستراتيجي بينهم كان كل منهم يسعى إلى إلقاء العبء الأكبر من المهام الحربية والمجهود الحربي على حلفائه . وعلى هذا الأساس كانت الدول الاستعمارية تبذل جهدها ، ما أمكنها إلى ذلك من سبيل ، للتهرب من تنفيذ ما التزمت به وتتوجس خيفة من نجاحات الدول الحليفة لها .

الخطة الاستراتيجية الألمانية : وضع الخطة رئيس الأركان العامة الجنرال ــ فيلد مارشال آ . شليفن ، وكان منطلقه فيها ضرورة تجنب خوض الحرب في آن واحد على جبهتين . وتنحصر الفكرة الأساسية للخطة في سحق الجيشين الفرنسي والانكليزي المتحشدين في فرنسا أولاً ومن ثم الجيش الروسي بالتتابع وبسرعة . ولقد افترضت الخطة أن يتم سحق فرنسا وانكلترا وروسيا في غضون شهرين إلى ثلاثة أشهر . على الرغم من أن خطة شليفن كانت تحتوي على عناصر إيجابية منها مراعاة المفاجأة ودور المبادرة الاستراتيجية والاختيار الصحيح لاتجاه الضربة الأساسية وحشد القوى على الاتجاه الحاسم ، إلا أنها كانت في أساسها معرضة للفشل لعدم مراعاتها تبدل ظروف خوض الحرب والدور المتعاظم للاقتصاد وازدياد حيوية الجيوش ، كما أنها لم تقدر إمكانات الخصم وقواه حق قدرها . كذلك لم تكن واقعية في حساباتها من حيث سحق جيش دولة كبرى مثل فرنسا في موقعة عامة واحدة .

الخطة الاستراتيجية النمساوية ــ المجرية : تقوم هذه الخطة على أساس خوض الحرب ، في جبهتين في آن واحد معاً ، ضد روسيا وضد الصرب في البلقان . كما لم تستبعد من حساباتها إمكانية تشكيل جبهة ضد إيطاليا . لقد وضعت هذه الخطة تحت ضغط ألمانيا وفيها مبالغة كبيرة في تقدير قوة الجيش وروحه المعنوية اللتين كانتا في مستوى منخفض جداً .

الخطة الاستراتيجية الروسية : وهي تعتبر انعكاساً لاستقلال روسيا السياسي والاقتصادي عن الحلفاء الغربيين . فقد توجب أن تشرع روسيا بالهجوم على بروسيا الشرقية بعد خمسة عشر يوماً من إعلان الحرب بغية اجتذاب قوى ألمانيا من الغرب وإضعاف ضربة القوات الألمانية الموجهة إلى الجيوش الفرنسية . ومن أجل تنفيذ هذه المهمة فتحت روسيا جيشين على الجبهة الشمالية ــ الغربية . ولكن المساعي الرئيسية للامبريالية الروسية كانت موجهة نحو غاليسيا والبلقان . لذا ، فقد نصّت الخطة الاستراتيجية للجبهة الجنوبية ــ الغربية على فتح أربعة جيوش ضد النمسا ــ المجر بمهمة تطويق القوات النمساوية ــ المجرية والألمانية الموجودة في غاليسيا وتدميرها .

وكان على الجيش الروسي الهجوم في آن واحد على اتجاهين استراتيجيين ، الأمر الذي لم يكن ليتفق إطلاقاً مع الإمكانات الاقتصادية والحربية للبلاد ولا يؤمن مسك زمام المبادرة الضرورية بشكل خاص في حال خوض الحرب ضد عدوين معاً في آن واحد . إن ذلك كله دليل على عدم واقعية الخطة الاستراتيجية الروسية التي كانت تنص على تحقيق النصر في مهل قصيرة على شاكلة خطط الدول الغربية أيضاً .

الخطة الاستراتيجية الانكليزية : ألقت هذه الخطة عبء الحرب كلها على عاتق جيوش الحلفاء وأعطت قواتها البرية دوراً مساعداً فقط ، مكرسة للعمل في القارة جيش حملة واحداً قوامه ست فرق وفرقة خيالة واحدة . ولقد نصّت فكرة الخطة على أن تكون المهمة الرئيسية المحافظة على السيطرة البحرية وتعزيزها ، بما لها في البحر من قوى تزيد عن مجموعة ما تملكه الدول المتحالفة مع ألمانيا مجتمعة . وهكذا عقدت انكلترا العزم على تحطيم خصمها الرئيسي ومنافسها الخطير ــ ألمانيا ــ بقوة ساعد حلفائها . ذلك أن المبدأ القائل : «قاتل بأيدي الآخرين» يعتبر الموجه الأساسي للاستراتيجية البريطانية .

الخطة الاستراتيجية الفرنسية : على الرغم من أن هذه الخطة نصت على الهجوم ضد الجيش الألماني ، إلاّ أنها كانت تعكس عدم ثقة القيادة الفرنسية بالنصر تحت تأثير الهزيمة التي مُنيت بها فرنسا في حرب السبعين (١٨٧٠ ــ ١٨٧١) . وتقوم هذه الخطة على عدم الانتقال إلى الأعمال الايجابية ضد الألمان إلاّ بعد أن تضطر ألمانيا إلى قذف قسم كبير من قواها ووسائطها إلى الجبهة الروسية .

وروعي فتح الجيوش الفرنسية على نسقين بحيث تفتح أربعة جيوش منها في النسق الأول ، وفي النسق الثاني جيش واحد . وعلّقت أعمال جيوش النسق الأول جميعها على أعمال العدو وعلى مكان تسديده ضربته الرئيسية . وبهذا الشكل ترك الفرنسيون زمام المبادرة للعدو دفعة واحدة بينما أحجموا بقواتهم تاركينها في حالة الترقب السلبي .

وفي الختام يمكن الاشارة إلى أن مضمون الخطط الاستراتيجية التي وضعتها الدول الامبريالية الرئيسية لنفسها كانت تنطوي على أخطاء جوهرية . فلم تضع دولة واحدة في اعتبارها ضرورة تعبئة الصناعة لتأمين حاجات الجبهة . وبُنيت الخطط كافة على أساس الحرب قصيرة الأمد التي تتأمن احتياجات الجبهة فيها على حساب المخزونات التعبوية المكدسة ، كما لم يقدر الدور الهام الذي يلعبه العامل المعنوي فيها حق قدره . كذلك بنت جميع الدول المتحاربة خططها على أساس الأعمال الهجومية فقط ، مع العلم بأن هذه الأعمال لم تكن مدروسة بدورها دراسة كافية ولم تكن مؤمنة بالقوى والوسائط الضرورية أيضاً .

برز الاعتماد على الحرب الخاطفة في خطط تجميع القوات التي وضعت والتي نصت كلها على الفتح في نسق واحد فقط . ولقد ارتكزت كل خطة منها على فكرة نابليون الأول القديمة حول إحراز النصر في مهل قصيرة وفي موقعة عامة واحدة أو عدة مواقع عامة .

لم ينفذ فتح القوات الاستراتيجي بكامله طبقاً لخطة الحرب المقررة قبل بداية الأعمال القتالية إلا من جانب ألمانيا فقط . ونظراً للاستقلال السياسي والاقتصادي الذي كانت تتمتع به روسيا منفصلة عن فرنسا وانكلترا فقد اضطر الجيش الروسي إلى الشروع في خوض أعمال القتال قبل أن ينتهي من الفتح الاستراتيجي الكامل . ولم يكن في حالة الجاهزية في لحظة بدء الأعمال النشيطة إلا ثلث القوات المسلحة الروسية مع عدم جاهزية مؤسسات المؤخرة إطلاقاً على وجه التقريب .

كان تناسب القوى التي يملكها كلا الحلفين على المسارح الرئيسية عند بدء الحرب متكافئاً تقريباً . فقد فتح حلف «إنتانتا» على المسرحين الغربي والشرقي مئة وسبعين فرقة ، بينما فتح التحالف الألماني مئة وسبعاً وستين فرقة . كذلك كانت قوى الطرفين في كامل المسرح الأوروبي الشرقي متكافئة تقريباً : فقد كان النمساويون والألمان يملكون حوالي سبعين فرقة بينما يملك الروس ثلاثاً وسبعين .

عندما تفتح القوات المسلحة في نسق استراتيجي واحد تكون للاحتياطات أهمية خاصة ، لأنه لا يمكن إحداث تبديل جوهري في التجميع الأساسي للقوات وتغذية الجهود من العمق إلا بوساطة هذه الاحتياطات . ومن هذه الناحية بالذات كانت وضعية الطرفين المتقاتلين غير متكافئة على الرغم من أن الاحتياطات التي خصصها كل من الحلفين لم تكن كبيرة . إذ إن الحلفاء (إنتانتا) ، وبخاصة روسيا ، كانوا

يملكون قدرة كبيرة على تغذية قوة الضربة عن طريق الفرق التي تأخر تشكيلها بسبب بطء التعبئة. وبالتالي فإن المصادر البشرية الكبيرة التي توفرت للحلفاء في خاتمة المطاف هيّأت المقدمات لتأمين تفوقهم البشري مع انتهاء التعبئة لديهم. كما كان الحلفاء يملكون أيضاً تفوقاً فيما يخص الامكانات الاقتصادية.

كان من نتائج نقص الاحتياطات المدربة في بداية الحرب والسعي إلى تنفيذ الأعمال ذات الطابع المناور فقط، أن ظهرت تلك الخاصة التي وسمت الحرب، وهي عدم وجود ولو جبهة متواصلة واحدة عند فتح القوات. كما أن السعي إلى تغطية الحدود كلها بالقوات أدّى في الوقت نفسه إلى نشر جيوش جميع الدول الرئيسية المشتركة في الحرب على جبهة عريضة نسبياً.

وبالتالي لم يكن الفتح الاستراتيجي لقوى الطرفين متناسباً مع خطة الحرب المتبناة التي وضعها الجميع على أساس هجومي.

٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ خصائص الأعمال الحربية وتطور فن الحرب في الحرب العالمية الأولى

يمكن تقسيم الحرب العالمية الأولى طبقاً لطبيعة خوضها إلى فترات ثلاث:

الفترة الأولى: فشل استراتيجية الحرب سريعة الجريان والانتقال من الأعمال ذات الطابع المناور إلى أشكال الصراع المواضعي، حملات العامين ١٩١٤ ــ ١٩١٥.

الفترة الثانية: حرب المواضع، خروج روسيا من الحرب نتيجة الثورة، حملات العامين ١٩١٦ ــ ١٩١٧.

الفترة الثالثة: التغلب على الدفاع المواضعي خلال الهجوم العام الشامل الذي شنه حلف «إنتانتا» وهزيمة ألمانيا عسكرياً تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ــ ١٩١٨.

كانت ألمانيا أول من أنهى استعداداته للحرب، فاستغلت الظروف المناسبة الاستراتيجية النابعة من عدم استعداد أعدائها وراحت تبحث جادة عن مسوغ للشروع في أعمال القتال. وهذا ما أتاحه لها مقتل ولي عهد النمسا والمجر الأمير (الدوق الأول فرانس فيرديناند) في سيراجيفو في الثامن والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩١٤ على يد بعض القوميين الصرب. وبعد الاتفاق مع ألمانيا سلمت النمسا والمجر انذاراً نهائياً إلى الصرب ومن ثم أعلنت الحرب عليها بعد شهر من ذلك (أي في ٢٨ تموز (يوليو) وقصفت مدينة بلغراد بالمدفعية.

اقترحت روسيا وبقية دول حلف «إنتانتا» أن تحلّ النمسا والمجر النزاع سلمياً، ولكن بعد أن باشرت هذه أعمالها الحربية أعلنت في ٣٠ تموز (يوليو) التعبئة العامة. وفي الأول من شهر آب (اغسطس) أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا وأتبعت ذلك بإعلان الحرب على كل من فرنسا وبلجيكا في اليوم الثالث من آب (اغسطس). هنا طلبت انكلترا من ألمانيا المحافظة على حياد بلجيكا، ولكنها تلقت رفضاً من جانب

ألمانيا فأعلنت عليها الحرب في الرابع من شهر آب (أغسطس). واندلعت نيران الحرب العالمية الأولى في بلدان أوروبا.

منذ اليوم الأول لإعلان الحرب والتعبئة العامة رسمياً وحتى زج القوى الرئيسية للأطراف المتحاربة في الصراع، جرت أعمال حربية تهدف إلى تغطية الفتح الاستراتيجي للقوات في مسارح الأعمال الحربية. وكانت هذه الأعمال في المسرح الأوروبي الغربي هجومية ذات أهداف محدودة، أما في المسرح الأوروبي الشرقي فكانت استطلاعية بقوى مجموعات كبيرة من الفرسان.

الفترة الأولى: فشل استراتيجية الحرب السريعة والانتقال من الأعمال ذات الطابع المناور إلى أشكال الصراع المواضعي، حملات العامين ١٩١٤ ــ ١٩١٥م

اتصفت حملة العام ١٩١٤ بتغلب صفة المناورة على أعمال القتال واتساع أبعاد العمليات والانهيار التام للخطط الاستراتيجية التي وضعت للحرب السريعة. واستمرت الفترة الابتدائية من الحرب ١٦ ــ ٢٠ يوماً من إعلانها، قامت خلالها الأطراف المتحاربة جميعها بتنفيذ التعبئة العامة والفتح الاستراتيجي لقواها الرئيسية.

بدأت الأعمال القتالية النشيطة في الغرب في الرابع من شهر آب (اغسطس) عام ١٩١٤ بدخول القوات الألمانية الأراضي البلجيكية. وأبدى البلجيكيون مقاومة شديدة إزاء القوات الألمانية مستفيدين من الخطوط الطبيعية والقلاع الموجودة لديهم، واستطاعوا تأخير تلك القوات أسبوعين كاملين، تمكن خلالهما جيشان فرنسيان من الوصول إلى الحدود الفرنسية البلجيكية، الأمر الذي أضاع على الألمان عامل المفاجأة.

كانت أضخم العمليات الاستراتيجية المنفذة على المسرح الغربي هي موقعة الحدود التي جرت بين الحادي والعشرين والخامس والعشرين من آب (اغسطس)، والموقعة التصادمية عند نهر المارن التي جرت ما بين الخامس والتاسع من شهر أيلول (سبتمبر) خلال هجوم الجيش الألماني على باريس. كذلك جرت أعمال قتالية في الفلاندر انتهت بانتهائها فترة المناورة في الحرب على المسرح الغربي وأقيمت جبهة من المواضع بطول ٧٠٠ كيلو متر امتدت من ساحل الفلاندر وحتى الحدود السويسرية. وتحصن الأعداء بالأرض بعد أن طوقوا خنادقهم ومساندهم بالأسلاك الشائكة.

لقد كانت ألمانيا بشكل خاص بأمس الحاجة إلى فترة التقاط الأنفاس هذه، لأن الموقف على الجبهة الروسية بدأ يتأزم، فقامت القيادة الألمانية بنقل جهودها نحو الشرق.

نفذت على مسرح الأعمال الحربية الأوروبي الشرقي الروسي خلال العام ١٩١٤ أربع عمليات حربية ضد القوات الألمانية والنمساوية ــ المجرية هي: عملية بروسيا الشرقية وعملية غاليسيا وعملية وارسو ــ ايفانغورود وعملية لودز. وكانت هذه العمليات كلها ذات طبيعة هجومية.

جرت عملية بروسيا الشرقية في الفترة بين ١٧ آب (اغسطس) و١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤. وبدأت بتوغل الجيش الروسي الأول في عمق بروسيا. وفي ٢٠ آب (اغسطس) عبر الجيش الروسي الثاني الحدود الدولية عند نهر ناريف. ويدل تناسب القوى والوسائط على أن الجيشين الروسيين كانا يملكان تفوقاً يعادل ضعفاً ونصف الضعف، وكان حرياً بالهجوم المنفذ أن يحقق أهدافه من حيث سحق الجيش الثامن الألماني طبقاً للإمكانات التي أتيحت للجيشين الروسيين. ولقد استطاع الجيشان الأول والثاني من الجبهة الشمالية ــ الغربية الروسية التوغل فعلاً في عمق الأراضي البروسية مسافة ٣٠ ــ ١١٠ كم حتى اليوم السادس والعشرين من شهر آب (اغسطس) نتيجة أعمالها الهجومية النشيطة، ولكن قيادة الجبهة الروسية عجزت عن السيطرة على قواتها ولم تستطع تنظيم التعاون فيما بينها، فانتهزت القوات الألمانية فرصة عدم تناسق أعمال الجيشين الروسيين واستفادت من الثغرة التي حدثت بينهما لتلحق بالجيش الروسي الثاني في البدء هزيمة منكرة، ولتردّ الجيش الأول ــ من ثم ــ إلى قواعد انطلاقه. وعلى الرغم من فشل عملية بروسيا الشرقية فقد قدّمت القوات الروسية فيها مساعدة للحلفاء لا تقدّر بثمن، لكونها اضطرت القيادة الألمانية إلى سحب فيلقين وفرقة خيالة واحدة من الغرب في خضم ملحمة المارن ونقلها على جناح السرعة إلى بروسيا الشرقية.

كانت أعمال الجبهة الروسية الجنوبية ــ الغربية أكثر نجاحاً عند تنفيذ عملية غاليسيا التي استمرت ثلاثة وثلاثين يوماً، من ١٨ آب (اغسطس) ولغاية ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤، وانتهت بسحق الجيوش النمساوية ــ المجرية. وبدأت العملية على جبهة امتدت ٣٢٠ كم في البدء ومن ثم اتسعت حتى بلغت أربعمئة كيلو متر. وساهمت فيها تسعة جيوش لكلا الطرفين معاً، أي ما مجموعه مئة فرقة مشاة وخيالة بلغ تعدادها حوالي مليوني شخص. تقدمت القوات النمساوية المجرية منذ أول العملية وحتى الرابع من أيلول (سبتمبر) على الجناح الأيمن للجبهة الجنوبية ــ الغربية، دافعة أمامها القوات الروسية مسافة ٧٥ ــ ١٠٠ كم. ولكن زج الجيش التاسع، الذي أعيد تشكيله من قبل الروس على هذا الجناح، مكنهم بالاشتراك مع جيوش النسق الأول من إلحاق هزيمة حاسمة بالعدو في معارك ضارية استمرت ستة أيام، تقهقر خلالها نحو الغرب مسافة ١٢٠ ــ ٢٠٠ كم ضمن نطاق يقارب في عرضه أربعمئة كيلو متر، وبعد ان فقدت القوات النمساوية المجرية نحو ٤٠٠ ألف شخص و٤٠٠ مدفع، أي ما يعادل نصف قوامها تقريباً، لم تعد قادرة على خوض أية أعمال هجومية دونما دعم من الألمان حتى نهاية الحرب. كذلك كانت خسائر الجيوش الروسية كبيرة جداً، نحو ٢٣٠ ألف شخص. كما امتصّت روسيا جميع مخزوناتها التعبوية المحدودة أيضاً فلم تعد تملك القوى لمتابعة تطوير النجاح.

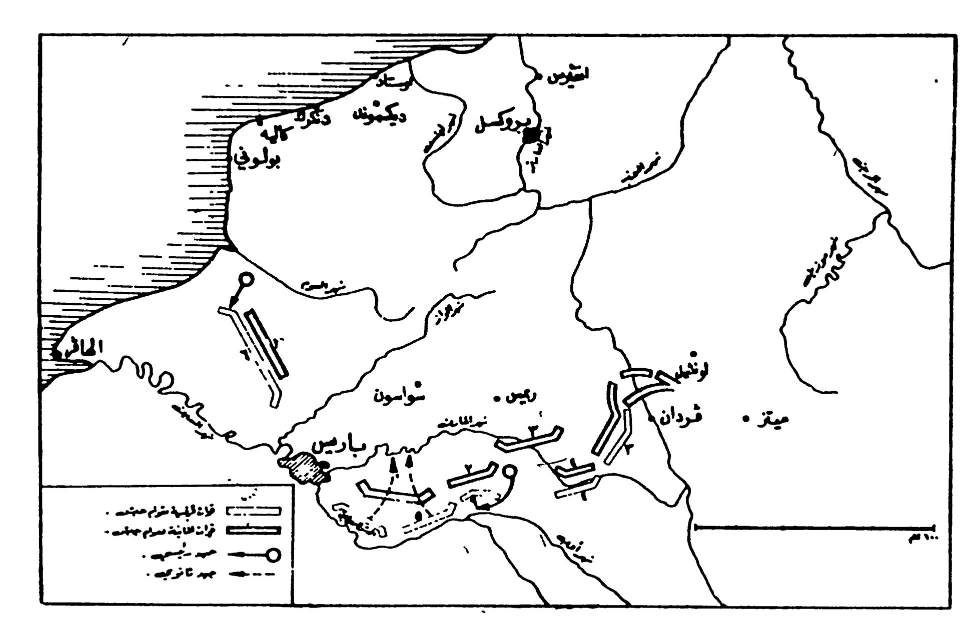
سعت القيادة العليا الألمانية إلى إيقاف تقهقر القوات النمساوية المحطّمة في عملية غاليسيا على المسرح الأوروبي الشرقي وتحطيم القوات الروسية المتقدمة، فشكلت من بقايا الجيش الثامن النمساوي والقوات الجديدة التي قذفت بها إلى هنا من المسرح الفرنسي جيشاً جديداً هو الجيش التاسع، وكلفته بمهمة تسديد ضربة معاكسة إلى جانب القوات الروسية المهاجمة ومؤخرتها. ولكن نظراً لإعادة تجميع

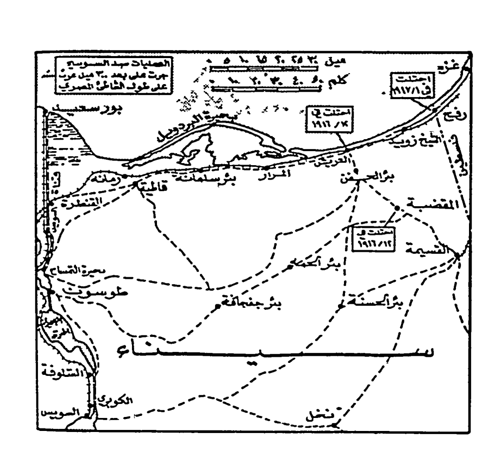
القوات الروسية في تلك الأثناء لم يعد بالإمكان تنفيذ تلك الخطة، وتحول الهجوم الألماني إلى ضربات سدّدت إلى كل من وارسو وايفانغورود وأطلق عليها اسم عملية وارسو ــ ايفانغورود، ٢٨ أيلول (سبتمبر) إلى ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ . جرت هذه العملية على جبهة عرضها ٣٠٠ كيلو متر بين أربعة جيوش روسية وجيشين معاديين، وامتدت ما يقارب الشهر ونصف الشهر. وأدت المعارك الضارية التي نشبت عند وارسو وايفانغورود إلى اندحار الجيش التاسع الألماني والجيش الأول النمساوي اللذين تعرضا لخطر التطويق والتدمير، وعندما أصبحت وضعية العدو صعبة للغاية بدأ بالتراجع على جبهة عريضة. وهنا لجأت القوات الألمانية ــ من أجل إعاقة الهجوم الروسي ــ إلى تعطيل السكك الحديدية وتخريب الطرق ونسف الجسور. وسرعان ما توقفت الجيوش الروسية عن المطاردة بسبب ضرورة تسوية أعمال المؤخرة وإصلاح ١٢٠ كيلو متراً من الطرق الحديدية وإمداد القوات بالذخائر والأرزاق. لقد كانت القوات الروسية بأمس الحاجة أيضاً إلى فترة توقف عملياتية، وانتهت بذلك العملية الثانية بنجاح بالنسبة لها.

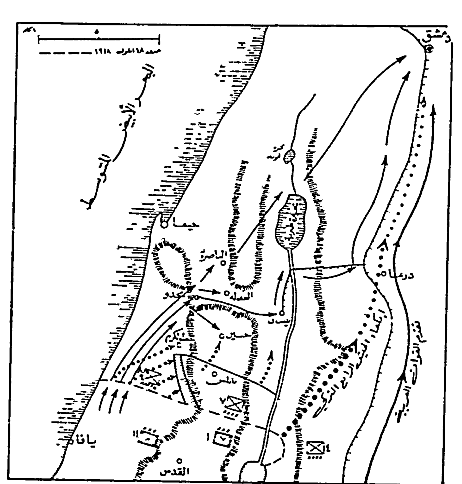
تميزت عملية وارسو ــ ايفانغورود بتنفيذ نقل قوات من كلتا الجبهتين وعلى مستوى ضخم نحو ايفانغورود ووارسو على الطرق الترابية وعلى الخطوط الحديدية جزئياً، وذلك أثناء هجوم العدو. كما اشتهرت أيضاً بإعاقة القوات الألمانية ــ النمساوية على نهر الفيستولا وبالهجوم التصادمي الذي شنته أربعة جيوش هي الجيوش الثاني والخامس والرابع الروسية والجيش التاسع الألماني. ولم يعكر هذا الفن الحربي الرفيع سوى عدم مقدرة القيادة الروسية على الاستفادة من الظروف الملائمة التي توفرت لها لتطويق الجيش التاسع الألماني وتدميره وتصفية حسابها كاملاً عن فشلها في عملية بروسيا الشرقية. لقد أبدت القوات الروسية مهارة قتالية عالية بإلحاقها هزيمة كبيرة بالجيش التاسع الألماني وانتزعت من أيدي العدو ذلك التأكيد الباطل «بمناعة الألمان ضد الهزيمة».

نفذت القوات الروسية عملية لودز في الفترة بين ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) و١٩ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩١٤، وخاض خلالها الطرفان أعمالاً هجومية نشيطة للغاية. إلا أن كلاً من الروس والألمان لم يستطع تنفيذ خططه بسبب الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها قيادتا الطرفين المتحاربين. وتعتبر عملية لودز طبقاً لأشكالها العملياتية من أعقد عمليات الحرب العالمية الأولى لأنها تضمّنت عمليات التفاف وتطويق ضخمة.

طغى لهيب الحرب حتى شمل الكثير من البلدان الأخرى الموجودة في آسيا وافريقيا. وتشكلت خلال الأعمال القتالية التي جرت في العام ١٩١٤ جبهات جديدة. فدخلت تركيا الحرب في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٤ إلى جانب بلدان الحلف المركزي، وبرز إلى الوجود مسرح عمليات الشرق الأوسط مع جبهات القفقاس والدردنيل وسورية وفلسطين والسويس والجزيرة العربية وما بين النهرين (أنظر الشكلين رقم ١٢ و١٣). وعندما أعلنت اليابان الحرب إلى جانب ألمانيا برز إلى الوجود مسرح عمليات الشرق الأقصى.







(الشكلين رقم ١٢ و١٣)ــ أعمال القتال في سورية وما بين النهرين وعلى الجبهات الأخرى (١٩١٤ــ١٩١٨).

في العام ١٩١٥ وقعت الأحداث الرئيسية في المسرح الأوروبي الشرقي حيث جرت أعمال حربية اتسمت بالضراوة، وشملت مساحات هائلة من الأراضي امتدت من مدينة ريغا وحتى الحدود الرومانية واستمرت حتى نهاية العام. أما في الغرب الأوروبي فقد اتصفت الحرب بطابعها المحدود، الأمر الذي ساعد القيادة العليا الألمانية على نقل قوات كبيرة إلى الجبهة الشرقية ونقل جهودها الرئيسية إلى هناك بغية إخراج روسيا من الحرب.

وبدأ كل من الطرفين المتقاتلين حملة العام ١٩١٥ وهو منهك تماماً: فقد أصبح اقتصادهما عاجزاً عن تأمين احتياجات الجبهة وبحاجة إلى إعادة بنائه طبقاً لمنظور الحرب طويلة الأمد. بينما تكبدت القوات خسائر فادحة بالأفراد (حتى بلغت هذه الخسائر في بعض القطعات ٥٠٪) وأصبحت بحاجة إلى استعواض، كما كانت تعاني من نقص في المدافع والذخائر بل وحتى في أسلحة المشاة.

امتنعت القيادة الانكلو ــ فرنسية في هذه الظروف عن القيام بأية أعمال حاسمة في الغرب، وألقي

عبء الصراع بكامله على القوات الروسية في الوقت الذي دارت فيه على المسرح الأوروبي الشرقي منذ شهر شباط (فبراير) وحتى شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٥ معارك ومواقع ضارية دامية. ونفذت روسيا في هذه الأثناء عمليات في شرقي بروسيا والكاربات وغاليسيا وبولونيا. ولكن الجيوش الروسية اضطرت إلى التخلي عن جزء من منطقة البلطيق وبولونيا وغاليسيا دون أن تحصل على أية مساعدة من الحلفاء الغربيين. وبالرغم من الظروف الصعبة التي جابهتها روسيا فقد فشلت ألمانيا في إخراجها من الحرب أو تطويق ولو جيش روسي واحد. وفي شهر تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩١٥ تحولت الجيوش النمساوية ـ الألمانية والروسية إلى الدفاع على جبهة متواصلة ولجأت إلى أشكال الصراع المواضعي بعد أن استنزفت وأنهكت تماماً.

انحصرت الأعمال البحرية في الفترة الأولى من الحرب في معارك منفصلة ساهمت بها قوى محدودة، إلى جانب زرع حواجز الألغام ومهاجمة المراكب التجارية. ووقفت قوى الأساطيل الرئيسية في قواعدها دونما عمل. إلا أن أعمال الغواصات كانت فعالة للغاية. فاتّبع للوقاية منها أسلوب مرافقة سفن النقل ضمن قوافل وإقامة الحواجز المضادة للغواصات (شباك وألغام) واستخدام قنابل الأعماق. واستطاعت انكلترا المحافظة على تفوقها في البلطيق كما استطاعت روسيا المحافظة على تفوقها في البحر الأسود.

تسببت التبدلات التي طرأت على الشروط الاقتصادية في عصر الامبريالية وتطور العتاد القتالي والأسلحة الجديدة في تحسن فن الحرب موضوعياً، وأصبحت أعمال القتال متميزة عن سابقاتها من جميع النواحي.

أما النتيجة الأساسية للفترة الأولى من الحرب فهي انهيار خطط الأطراف المتحاربة انهياراً تاماً، واعتبار الحسابات التي وضعت لحرب سريعة الجريان غير ممكنة التطبيق واكتساب الحرب طابع الإطالة.

لعبت الجبهة الروسية دوراً كبيراً في إفشال محاولة تدمير الجيوش الفرنسية في عمليات خاطفة. واعترف المارشال فوش بأن الجيش الروسي «بتدخله الفعال هذا اجتذب إليه قسماً كبيراً من قوى العدو مما أتاح لنا تحقيق النصر في المارن».

إن التناقضات السياسية التي كانت قائمة بين بعض المشاركين في الحلف الواحد لم تمكنهم من تحقيق التناسق في أعمالهم الاستراتيجية أثناء الصراع المسلح. لذلك لم يستطع حلف «إنتانتا» مثلاً الاستفادة استفادة كاملة من إمكاناته لإنتزاع زمام المبادرة من ألمانيا.

لقد دفنت الفترة الأولى من الحرب نهائياً ذلك المفهوم الاستراتيجي القديم حول إمكانية كسب الحرب بتدمير جيش العدو في موقعة عامة واحدة. وبرهنت خبرة القوات الروسية على أنه من المستحيل سحق الجيش كله في موقعة واحدة وعدم إمكانية تحقيق النصر الكامل على العدو عن طريق سحق جيشه فقط. إذ إن المستوى الذي توصلت إليه القوى المنتجة في تطورها يساعد في تجديد قوى الجيش المحطم في حقل المعركة وبسرعة نسبية.

ولا بد من الإشارة إلى أنه قد ابتُكرت في الفترة الأولى من الحرب أساليب جديدة في خوض أعمال

القتال . فقد شنّت الهجوم جحافل عملياتية ضخمة وعلى جبهة واسعة وعمق كبير . وظهرت الجبهة نتيجة لذلك في الجيش الروسي كجحفل استراتيجي جديد .

تطلب ازدياد أبعاد الصراع المسلح وازدياد تعقيد تنظيم التعاون بين الجيوش إدخال تعديلات على قيادة الجيوش : فبدأت تطبق منظومة السيطرة «القيادة العليا ــ الجبهة (مجموعة الجيوش) ــ الجيش» بدلاً من مبدأ «القيادة العليا ــ الجيش» ، وكان الجحفل من نوع «الجبهة» قد أحدث في الجيش الروسي قبل الحرب وأثبت جدواه خلالها .

كما كانت روسيا قبل الحرب بمدة قصيرة قد أوجدت نوعاً جديداً من الجيوش هو الجيش المستقل . وكان عبارة عن جحفل عملياتي مشترك من القوات البرية لا يدخل في قوام الجبهة ويخصص لتنفيذ العمليات على اتجاه عملياتي مستقل . وبلغ عدد هذه الجيوش ثلاثة : أحدها لحماية بتروغراد (بطرسبرغ) ، والثاني لتغطية الحدود الأولية الروسية مع رومانيا وساحل البحر الأسود ، والثالث لصد هجوم تركي محتمل في حال دخول تركيا الحرب إلى جانب الحلف الألماني ــ النمساوي .

ولم يقتصر الأمر على التخطيط لعمليات الجيوش أثناء مواقع الفترة الأولى من الحرب وإنما تعداها إلى عمليات الجبهة أيضاً . ولقد نفذت هذه وتلك في جميع مسارح الحرب واتسمت بطبيعتها المناورة ، إلى أقصى درجة . ولم يكن من النادر تنفيذ عمليات الجبهات (مجموعات الجيوش) في نطاق يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ٤٠٠ كم وعلى عمق حتى ٢٥٠ كم مع استمرارها مدة عشرة أيام وحتى ٢٠ يوماً . وكانت عملية الجيش تنفذ عادة في نطاق عرضه ٥٠ ــ ٨٠ كم .

كان الشكل الأساسي للمناورة العملياتية الإحاطة والالتفاف من جانب واحد أو من الجانبين لتطويق العدو وتدميره . ولكن لم يستطع أي من الطرفين تحقيق تطويق تجميعات عملياتية ــ استراتيجية ضخمة . ولم يكن يؤمن التفوق على اتجاهات الضربات الرئيسية بشكل حاسم ، ولم تكن تشكل أنساق لتطوير النجاح أو احتياطات قوية ، ولم تكن تؤمن العملية بقوى متحركة سريعة . كذلك لم تكن كتل الخيالة مُعدّة للقيام بدور القوات الحركية .

اتصفت فترة المناورة من الحرب بحدوث مواقع تصادمية . وكان الجانب الذي يسبق في الفتح وفي تنظيم التعاون المنسق ويستولي على زمام المبادرة ، يجني من وراء ذلك كله منافع القتال التصادمي .

وقد أثّر ازدياد دور النيران ، وبخاصة نيران الرشاشات ، على الأعمال التكتيكية التي كانت تخوضها القوات . فلم يعد باستطاعة المشاة الهجوم بسلاسل متراصة وأضحت مضطرة إلى اتخاذ الأرض واللجوء إلى الحفر بذاتها . ولكن المشاة لم تستخدم الرشاشات استخداماً كافياً أثناء هجومها وضمن تراتيب قتالها ، بينما لم تكن تملك مدفعية مرافقة في صفوفها .

لقد تضاعف دور نيران المدفعية أثناء المعركة الهجومية وتوجب عليها الآن أن تشق الطريق للمشاة وبرهنت المدفعية الثقيلة عن قوتها الجبارة بعد أن كان دورها غير ذي قيمة قبل الحرب .

وإذا كان الطيران قد استخدم في العام ١٩١٤ لتنفيذ الاستطلاع، أساساً، ولتصحيح رمايات المدفعية وتصوير مواضع العدو، فقد شُكّل في نهاية الفترة الأولى من الحرب طيران قاذف وطيران مقاتل، وزُوّدت الطائرات بأجهزة خاصة لتعليق القنابل وإسقاطها، ورُكّبت الرشاشات على المقاتلات بحيث يمكن الرمي بها من خلال شفرات المروحة، واتسعت حلقة المهام التي يمكن للطيران القيام بها بالتعاون مع صنوف القوات الأخرى.

كذلك شرع باستخدام سيارات النقل لتحريك القوات إلا أنه لم يتأكد فوراً تنظيم أرتال سيارات النقل الدائمة.

باءت محاولات سحق العدو بضربة مباشرة مسدّدة إلى جيوشه — كما كان يحدث بالماضي — بالفشل. فلقد أصبحت القوات المسلحة أكثر حيوية بفضل إمكانية استعواض خسائرها على حساب الاحتياطات المكدسة. وبرز نوع جديد من الدفاع على جبهة متواصلة بفضل منظومة المنشآت الهندسية والحواجز. وأصبحت الحرب ذات طابع مواضعي منذ منتصف شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩١٥ في الجبهات العظيمة الإتساع.

إن ضرورة إنشاء الخنادق والملاجيء وغيرها من التحكيمات أدّى إلى ازدياد دور قوات الهندسة زيادة بالغة وسريعة. ولم يثبت الدفاع في شكل نقاط استناد مستقلة كما كان محدداً في أنظمة ما قبل الحرب صلاحيته. وكانت القوات تنشيء في البدء دفاعاً خندقياً مؤلفاً من خط واحد من الخنادق ومن ثم تنشيء خطاً أو خطين آخرين، الواحد منها خلف الآخر.

ولقد تطلّب التحول من الحرب الحركية إلى حرب المواضع حل مسألة جديدة في الهجوم هي خرق الدفاع. فكان أن ولدت المناورة العملياتية ونظرية الخرق العملياتي في الحرب العالمية الأولى. حيث إن خرق دفاع العدو مرتبط بوجود الجبهات المواضعية المتواصلة، واعتبر مرحلة هامة في أية عملية هجومية. كما أن اختراق الدفاع تطلب تطبيق أشكال وأساليب مختلفة في القتال، كالخرق في قطاع ضيق والخرق على جبهة عريضة متواصلة والخرق في آن واحد على عدة قطاعات. واستخدمت القوات الألمانية في ٣١ كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٥ سلاحاً كيميائياً جديداً لأول مرة ضد القوات الروسية من أجل خرق دفاعها، هو القذائف المحشوة بالغازات الخانقة، بينما استخدمت في ١٢ أيار (مايو) هجوماً بالعبوات المملوءة بالغاز. كذلك نُفّذ هجوم ألماني بالغازات على الجبهة الأنكلو — فرنسية عند نهر الايبر في ٢٢ نيسان (ابريل)، وكانت نتيجة ذلك أن أصيب بالتسمم خلال خمس دقائق من إطلاق غازات الكلور خمسة عشر ألف إنسان، مات منهم خمسة آلاف شخص. ولقد خرقت ألمانيا بأعمالها هذه الاتفاق الدولي الذي كان قائماً والذي يحرم استخدام المواد السامة. ومنذ ذلك الوقت بدأت القوات تتراشق بالقنابل والقذائف التي تطلق الغازات السامة والغازات المسيلة للدموع. ولوقاية الأفراد من مفعول الغازات اخترع الأكاديمي الروسي ن. د. زيلينسكي القناع الواقي الفحمي الذي استخدمته القوات الروسية وغيرها بنجاح.

كذلك شاع استخدام الهواون والستائر الدخانية كسلاح ناجع في خرق الدفاع على نطاق واسع . ولكن على الرغم من المحاولات التي بذلت لاستخدام أنواع جديدة من الأسلحة ، بقيت مشكلة خرق الدفاع المواضعي في الحرب العالمية الأولى دونما حل . فقد كانت أساليب الاستيلاء على المواضع المحصّنة «تدريجياً» ، و«الواحد تلو الآخر» ، تكلف الكثير من الضحايا ، وتنفذ بإيقاعات منخفضة للغاية . وبذلك كان العدو يحصل على إمكانية حشد قواته وإيقاف المهاجمين على القطاعات التي تتعرض للضربة .

ظهر في التكتيك ترتيب قتال جديد هو «أمواج السلاسل» (انظر الشكل رقم ١٤) ، ولكن استخدام ترتيب القتال هذا لم يخلص الهجوم من الايقاعات المنخفضة والخسائر الكبيرة ، نظراً لأنه لا يملك قوة الصدمة والنار الضرورية . والأكثر من ذلك أن الأمواج الخلفية من المشاة المهاجمة كانت تتدافع مع الأمامية وتختلط بها ، فيزداد ترتيب القتال تراصاً ويصبح هدفاً جيداً لنيران رشاشات العدو ، بينما تبقى الرشاشات الثقيلة والهواون ، التي أصبحت وسائط نارية قوية جداً ، خلف المهاجمين ولا تستطيع تقديم أي دعم لهم .

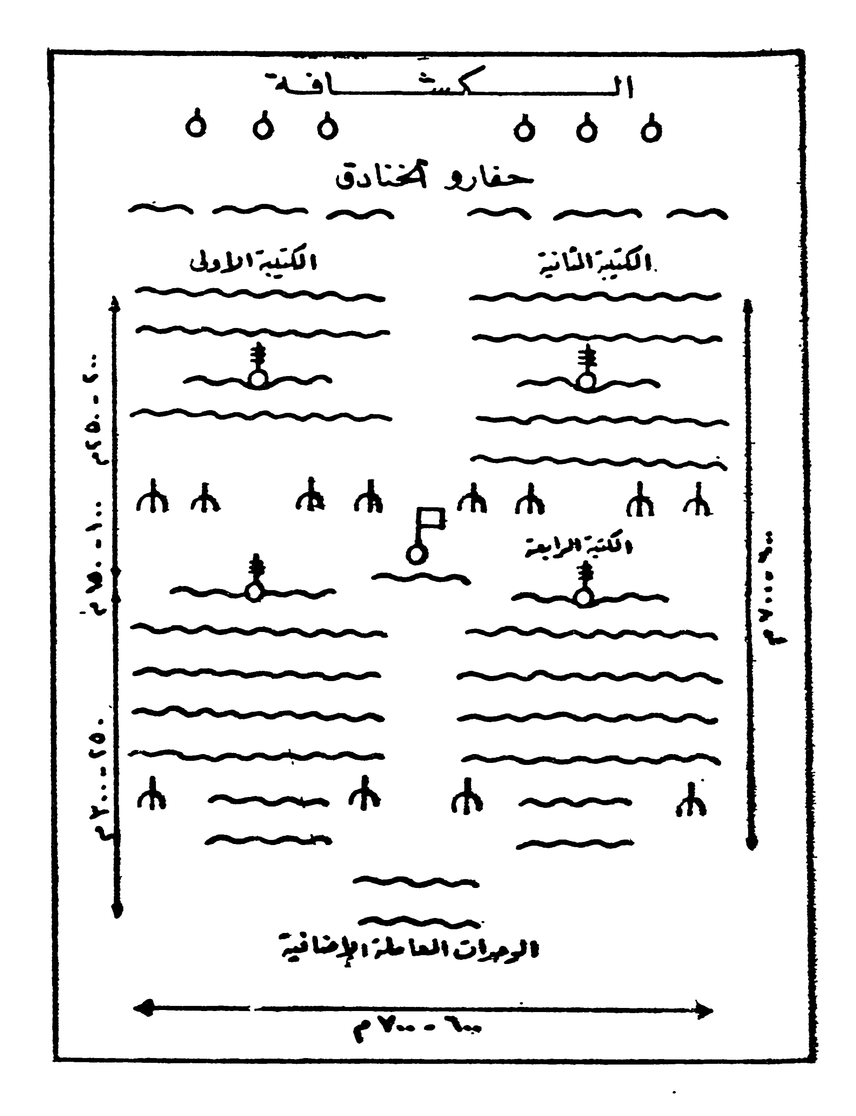
جرت تبدلات كثيرة في صفوف القوات البرية بسبب إدخال الرمانات اليدوية من النماذج الجديدة واستخدام رمانات البنادق ومدفعية الخنادق المعدّة للقتال القريب والهواون وقواذف القنابل . وكانت المدفعية تزداد عدداً باستمرار وبخاصة الثقيلة منها ، كما ازداد دور القذافات التي تستطيع تخريب المنشآت الدفاعية وإبطال القوى الحية في مساترها . وأسندت للمدفعية في هذه الأثناء مهمة جديدة هي إتقان أساليب تنفيذ رمي الإيقاف المتحرك .

وأصبح الدفاع في نهاية الفترة الأولى من الحرب يتألف من موضعين ، كما لم يعد مقتصراً على كونه مضاداً للمشاة وإنما أضحى مضاداً للمدفعية وللسلاح الكيميائي أيضاً . وأصبحت المنشآت الدفاعية الميدانية تحفر بعمق أكبر وتغطّى بالإسمنت المسلّح . وصارت القوات تجهز لتأمين هجوم المشاة رؤوس جسور هندسية خاصة للاقتحام أمام مواضعها بمسافة ١٥٠ ـــ ٢٠٠ متر . كما ولدت في المعارك الدفاعية عناصر التكتيك الجماعي : مجموعات مشاة صغيرة مع رشاشات وهواون ، تبدي مقاومة ضارية وعنيدة إزاء مشاة العدو ، وهي تحتمي من نيران مدفعيته في الحفر التي تصنعها القنابل وخلف الأغراض المحلية المختلفة .

الفترة الثانية : حرب المواضع ، خروج روسيا من الحرب نتيجة الثورة
حملات العامين ١٩١٦ ـــ ١٩١٧ م

ازدادت أبعاد الصراع المسلح في العام ١٩١٦ كثيراً ودارت رحى المعارك الدموية في آن واحد على كلا المسرحين الرئيسيين : الروسي والفرنسي . واشتد كذلك الصراع في البلقان وفي المسرح الايطالي . وكان الموقف الطارىء في العام ١٩١٦ في الخارج ملائماً نوعاً ما لألمانيا وحلفائها ، نظراً لأن جبهاتها جميعاً كانت

صامدة تماماً نتيجة النجاحات القتالية التي حققتها في العام ١٩١٥ . والواقع أنه على الرغم من جملة الانتصارات السابقة فقد كان وضع الحلف الثلاثي صعباً جداً : فهو لم يحقق هدفه الرئيسي أي إخراج روسيا من الحرب ، وتكبدت جيوشه خسائر هائلة بالأشخاص وبالعتاد ، واكتسبت الحرب طابع الإطالة . وهنا توجب على ألمانيا وحلفائها الاستمرار في الصراع على جبهتين بينما بدأت الطاقة العسكرية التقنية للجيوش الانكلو ــ فرنسية تتزايد بسرعة حتى فاقت ما تملكه ألمانيا . وأخذ تناسب القوى على الجبهات يتبدّل باستمرار لصالح الحلفاء الذين أصبحوا يملكون ٣٦٥ فرقة مقابل ٢٨٦ فرقة ألمانية ونمساوية ــ مجرية ؛ ووضعت الأحلاف المتحاربة لنفسها في الفترة الثانية من الحرب أهدافاً حاسمة . فنقلت القيادة الألمانية مجدداً جهودها الرئيسية إلى الغرب واضعة في اعتبارها إخراج فرنسا من الحرب . ولكن دول الحلفاء قرّرت تنسيق جهودها ، مراعية بذلك خبرة الحرب . وتلقى الجيش الروسي مهمة بدء الهجوم في أواسط شهر حزيران (يونيو) لاجتذاب قوى العدو إليه . بينما توجب على الجيوش الأنكلو ــ فرنسية خرق دفاع الألمان في الأول من تموز (يوليو) على نهر السوم وشن هجوم على نطاق واسع .



(الشكل رقم ١٤) ــ تراتيب القتال «موجات السلاسل» .

نفذت في الفترة الثانية من الحرب سلسلة من عمليات الجيوش والجبهات في كلا المسرحين، وكان أضخمها على المسرح الأوروبي الشرقي هجوم الجبهة الجنوبية ــ الغربية في الفترة بين حزيران (يونيو) وأيلول (سبتمبر) من العام ١٩١٦، وعلى المسرح الأوروبي الغربي هجوم جيوش الحلفاء في الفردان وعملية السوم.

كانت خطة هجوم الجيش الروسي تنص على تسديد الضربة الرئيسية بقوى الجبهة الغربية على اتجاه برلين. وخطّط بدء الهجوم في ١٥ حزيران (يونيو). إلا أن الوضع السيِّيء الذي وقع فيه الايطاليون نتيجة ضربة القوات النمساوية في هذه الأثناء، وبناء على إلحاح القيادة الفرنسية لتخفيف الضغط عن الجيش الفرنسي في الفردان، اضطرت القيادة الروسية إلى تبديل توقيتات بدء العمليات.

في ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٦ انتقلت قوات الجبهة الجنوبية ــ الغربية الروسية بقيادة الجنرال آ. آ. بروسيليف[1] إلى الهجوم. وكانت عملية الجبهة هذه قد خططت وأعدت بعناية تامة واعتبرت من أفضل عمليات الحرب العالمية الأولى وأدخلت أشياء جديدة كثيرة إلى فن الحرب.

وضع القائد العام للجبهة وأركانه خطة أصيلة لخرق دفاع القوات النمساوية ــ الهنغارية المواضعي. وكان الدفاع النمساوي مؤلفاً من ٢ ــ ٣ مواضع دفاعية عمقها الإجمالي يزيد عن ١٠ كم. وكان أقواها الموضع الأول الذي يتألف من ٢ ــ ٣ خطوط من المنشآت الدفاعية ــ مساند، وخنادق ونقاط نارية مستديمة. وكان يوجد أمام الموضع الأول ٢ ــ ٣ نطاقات من الحواجز الشائكة كل نطاق منها يتألف من ٤ ــ ١٠ صفوف من الأسلاك الشائكة أو القنافذ الشائكة. وكانت بعض الأسلاك الشائكة مكهربة وعلقت على بعضها قنابل ووزعت في أقسومات منها ملاغم ذاتية التفجير. وكانت الرشاشات والمشاة ورصاد المدفعية موجودة في بريجات من الإسمنت المسلح.

وعلى مسافة ٥ ــ ١٠ كم من النطاق الأول أعد نطاق دفاعي خلفي يتألف من خط من المساند المتقطعة تغطيها الحواجز الشائكة. ولقد جعل ذلك كله الدفاع النمساوي منيعاً بحيث لا يمكن خرقه إلا بقوى ضخمة وبأساليب جديدة ومعالجة خلاقة للمشكلة القائمة.

قرر بروسيلوف تسديد ضربة إلى العدو في عدة قطاعات مختلفة من جبهته العريضة والبالغة

---

(١) كان بروسيلوف ألكسي ألكسيفيتش (١٨٥٣/٨/٣١ ــ ١٩٢٦/٣/١٧) جنرال روسي وصاحب نشاط عسكري سوفييتي. التحق بالخدمة في الجيش منذ العام ١٨٧٢ وشارك في الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨. شغل منصب قائد فرقة وقائد فيلق ومعاوناً لقائد منطقة وارسو العسكرية. ومع بدء الحرب العالمية الأولى أصبح بروسيلوف قائد جيش. وفي أواسط شهر آذار ــ مارس عام ١٩١٦ عُيّن قائداً عاماً للجبهة الجنوبية ــ الغربية. كان بروسيلوف أحد القادة اللامعين البارزين في الحرب الأولى. وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في العام ١٩١٧ رفض قيادة القوات المضادة للثورة، والتحق بالجيش الأحمر في العام ١٩٢٠ وشغل فيه منصب رئيس المجلس الخاص الملحق بالقائد العام لجميع القوات المسلحة في الجمهورية السوفييتية ومفتش الخيالة في الجيش الأحمر ووظائف مسؤولة أخرى. وله مؤلف تاريخي عسكري عن الحرب العالمية الأولى.



٤٥٠ كيلو متراً في آن واحد. وقد كان حريّاً بهذا الأسلوب أن يحرم العدو من إمكانية تقديم قواه نحو مكان واحد من الجبهة، ويحرمه من إمكانية تحديد الضربة الرئيسية سلفاً. ولهذه الغاية تلقى قادة جيوشه في الجبهة الجنوبية ــ الغربية أمراً بأن يعدّ كل منهم قطاعاً واحداً للهجوم واختيار مثل هذه القطاعات لفيالق معينة لديهم. وحشد كل فيلق على القسم المختار له من القطاع معظم مدفعيته واحتياطاته لافتاً بذلك انتباه العدو.

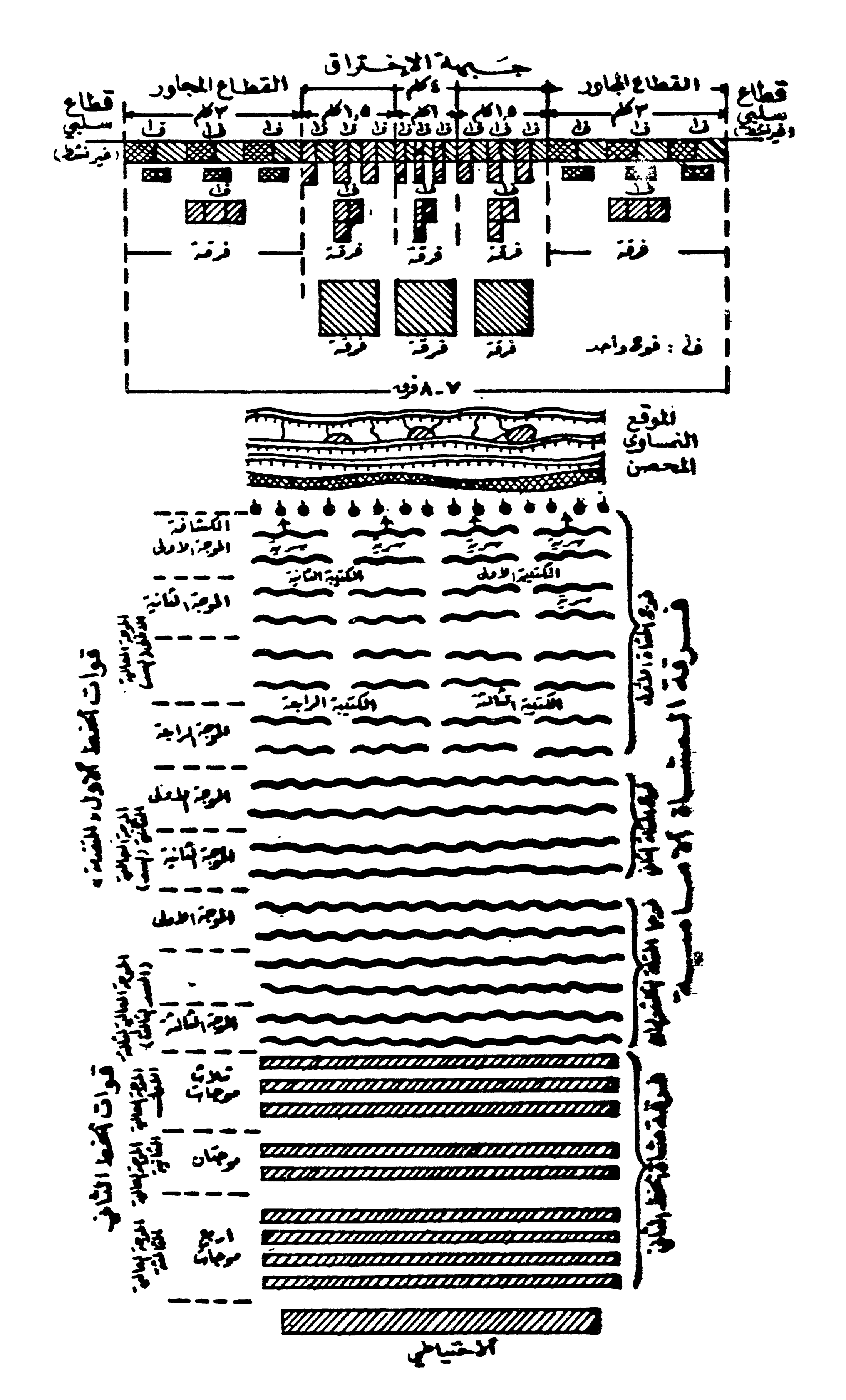
أبدى بعض الجنرالات الروس تشكيكهم في نجاح تطبيق مثل هذا الأسلوب في مهاجمة العدو وعلى عدة قطاعات بدلاً من ضربة واحدة بالقوى المتضافرة وبكامل المدفعية، إلاّ أن هذه الشكوك لم تكن في محلها كما حدث بعد ذلك. فقد سددت الجبهة الجنوبية ــ الغربية ضربتها الرئيسية بجيش واحد كان موجوداً على الجناح الأيمن للجبهة وسددت ضربات مساعدة ولكنها قوية بجيوشها الثلاثة الأخرى. كذلك توجب على كل فيلق ــ إذا لم يكن مستخدماً في تنفيذ الضربات الرئيسية ــ أن يقوم بهجوم جزئي. وكانت النتيجة أن واجهت جبهة دفاع العدو وعلى امتدادها الكبير كله هجمات في قطاعات مختلفة في آن واحد زادت عن عشر نقاط.

كان تفوق الجانب الروسي بالقوى غير كبير، مع أن العدو كان يملك عدداً أكبر من المدافع الثقيلة. واستمر الاستعداد للهجوم شهراً أو نصف الشهر وبعناية كبيرة مع مراعاة خبرة العمليات الهجومية المنفذة من قبل. ولعب الطيران هنا دوراً كبيراً، حيث تمّ بمساعدته تصوير مواضع العدو المحصنة ووضعت لها مخططات اطّلع عليها جميع الضباط وصفّ الضباط. وكانت القوات في خضم استعداداها للهجوم تعمل طبقاً «للإرشادات» خاصة حول تنفيذ الهجوم على المواضع المحصنة، وضعتها قيادة الجبهة وبعثت بها إلى القوات. ووضعت الجبهة والجيوش منظومة كاملة من الإجراءات الموجهة لتحقيق المفاجأة. وكان أهمها القيام بهجمات مفردة من قبل الجيوش الأربعة كلها. ولقد وقع العدو في التضليل من حيث تحديد اتجاه الضربة الرئيسية بينما كانت الأعمال الهندسية التحضيرية تنفذ في كل مكان. وتم صنع الكثير من أجل رفع الروح المعنوية للقوات. كما أعد ترتيب قتال خاص لقطعات المشاة وتشكيلاتها من أجل اختراق مواضع النمساويين المحصنة.

وتوجب أن تتألف تراتيب قتال الأفواج من ٣ ــ ٤ موجات تتتابع الواحدة خلف الأخرى على مسافة ١٥٠ ــ ٢٠٠م، وتضم كل موجة عادة سلسلة من سريتين. وخلف الموجة الأخيرة تأتي الاحتياطات وهي مخصصة لتطوير النجاح (انظر الشكل رقم ١٥).

كانت الموجة الأولى مخصصة للاستيلاء على الخطين الأول والثاني من المنشآت الدفاعية المعادية، وكانت الموجة الثانية مخصصة لاستعواض خسائر الموجة الأولى، أما الثالثة والرابعة فكانتا مخصصتين لمهاجمة التحصينات التي تلي.

استمرت العملية الهجومية للجبهة الجنوبية ــ الغربية طوال الصيف وحتى أوائل شهر



(الشكل رقم ١٥) ــ بنية ترتيب قتال القوات الروسية لدى خرق الموضع المحصن التمساوي.

أيلول (سبتمبر) . ولقد تميزت بتكرار الانتقال إلى الهجوم ثلاث مرات متتالية وبمعارك مستمرة ضد عدو يدافع بفاعلية شديدة . إلا أن الإعداد الدقيق وعامل المفاجأة واستخدام أسلوب جديد تماماً في تنفيذ العملية ــ ضربات في آن واحد على عدة قطاعات في نطاق طوله ٤٥٠ كلم ــ كل ذلك ساعد القوات الروسية في خرق دفاع العدو المواضعي القوي على كامل عمقه والتقدم مسافة ٨٠ ــ ١٢٠ كم . وخلال فترة الهجوم الروسي خسرت القوات الألمانية النمساوية حوالي ٥ر١ مليون شخص ، من بينهم أكثر من ٤٠٠ ألف أسير ، و٥٨١ مدفعاً و١٧٩٥ رشاشاً و٤٤٨ قاذف قنابل وهاون . أما خسائر الجبهة الجنوبية الغربية فبلغت ٥٠٠ ألف شخص . وبعد أن استنفدت قوات بروسيلوف طاقاتها الهجومية كاملة اضطرت للانتقال إلى الدفاع .

كانت عملية الفردان في الغرب نظيرة لأعمال قتال القوات الروسية وقد نفذتها ألمانيا على المسرح الانكلو ــ فرنسي . وتعتبر هذه العملية مثالاً لمحاولة اختراق دفاع مواضعي قوي في قطاع ضيق واحد من الجبهة باستخدام قوة نيران المدفعية . فقد توجب أن تقوم المدفعية التي بلغت كثافتها المتوسطة ٧٥ مدفعاً في الكيلو متر الواحد من الجبهة بتخريب مواضع العدو بالتتابع ، بينما توجب على المشاة احتلال تلك المواضع . ولقد اتضح فيما بعد أن مثل هذا الأسلوب في الخرق غير ناجح . إذ انحصرت أعمال القتال في الفردان ضمن قطاع محدود من الأرض : ١٥ ــ ٣٠ كم بالجبهة و١٠ كم في العمق . والواقع أن العملية كلها تحولت إلى معارك دموية منهكة في محاولة للتغلب على الدفاع . وذهب ضحية «مجزرة الفردان» ٦٥ فرقة فرنسية و٥٠ فرقة ألمانية . وخسر كلا الطرفين مليون شخص دون أن ينجح الألمان في خرق الدفاع على هذا النحو .

أما عملية القوات الانكلو ــ فرنسية في تموز (يوليو) ــ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٦ على نهر السوم فقد نفذت طبقاً لمبدأ اجتزاء دفاع العدو بالتتابع قطعة وراء قطعة ، في قطاع متواصل عرضه ٤٠ كم . وعلى الرغم من التفوق بالقوى والوسائط بمعدل ثلاثة أضعاف مع استخدام واسطة صراع جديدة في ١٥ أيلول (سبتمبر) هي الدبابات ، لم تستطع القوات الانكلو ــ فرنسية خلال أربعة أشهر ونصف الشهر سوى التقدم عشرة كيلو مترات ، خسرت خلالها ٨٠٠ ألف شخص بينما خسرت ألمانيا ٥٣٨ ألف شخص .

لم يتمكن واحد من الجانبين في عام ١٩١٦ من تحقيق خططه . وتكبدت الكتلة الألمانية ــ النمساوية خلال أعمال القتال خسائر فادحة وفقدت المبادرة الاستراتيجية ، فقررت ألمانيا الانتقال إلى الدفاع على كلا الجبهتين في عام ١٩١٧ واستجماع قواها لتجديد أعمالها النشيطة في عام ١٩١٨ .

مرت حملة العام ١٩١٧ في موقف اشتداد الأزمة الثورية . فلقد استثارت الحرب التي طال أمدها ازدياد النقمة الثورية والمضادة للحرب في صفوف الجماهير في جميع البلدان المتحاربة . وكان أهم حدث في عام ١٩١٧ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا ، وخروج روسيا من الحرب محبطة بذلك

خطط الحلفاء الذين وضعوا في اعتبارهم شن هجوم عام لتحطيم الحلف الألماني نهائياً. ولكن الأعمال الحربية في عام ١٩١٧ لم تكن ذات أبعاد كبيرة.

كانت النتيجة الأساسية للفترة الثانية من الحرب انتقال المبادرة الاستراتيجية إلى أيدي الحلفاء. كذلك تبين بأن خطط الطرفين غير قابلة للتنفيذ لكونها غير واقعية إلى حد ما ودون أهداف واضحة محددة، وتحولت جميع العمليات التي تم خوضها إلى أعمال قتالية ذات طابع تكتيكي. ولقد اعتبر خروج روسيا الثورة من الحرب في أساسه نتيجة عسكرية سياسية لهذه الفترة وكان له تأثيره الحاسم على مجرى الحرب اللاحق.

أما من وجهة نظر فن الحرب فقد رافق الفترة الثانية من الحرب ظهور مشكلة خرق جبهة الدفاع المواضعي. ولم يستطع لا الانكلو ـــ فرنسيين من جهة ولا الألمان من جهة أخرى حل هذه المشكلة ولو على قطاع واحد من الجبهة. وكانت القوات الروسية في الجبهة الجنوبية ـــ الغربية هي الوحيدة التي تمكنت ولأول مرة في الحرب العالمية الأولى من تحقيق خرق جبهة الدفاع المواضعي المعادي بفضل تطبيق طريقة جديدة في اختراق الدفاع بتسديد جملة من الضربات المتزامنة على جبهة عريضة.

واستمرت في الفترة الثانية من الحرب صياغة العملية بخطوطها العامة كظاهرة جديدة في فن الحرب. فظهرت مرحلة تحضيرية خاصة للعملية نتيجة الازدياد الحاد في أبعاد العملية وأهمية الإعداد المادي لها.

كذلك استمر إدخال التحسينات على الدفاع المواضعي، الأمر الذي برز قبل كل شيء في زيادة عمقه، حتى إنه كان ينشأ في العديد من الحالات نطاق دفاعي ثانٍ (خلفي) في العمق.

أما الاستخدام الكثيف لوسائط الصراع الفنية، والدبابات في طليعتها، فقد أتاح إحداث بعض التعديلات في أساليب عمل القوات في حقل المعركة. فبدأت قبل كل شيء تتبدل تراتيب القتال لأن نيران العدو القوية جعلت من المستحيل تحرك المشاة على شكل سلاسل وموجات. أما فحوى الترتيب القتالي الجماعي الجديد فهو شن المشاة هجومها بمجموعات ١ ـــ ٢ جماعة، تفتح في سلسلة عند الإنقضاض فقط.

كان الشيء الجديد في أعمال المدفعية استخدام الجيش الروسي للتمهيد المدفعي غير طويل الأمد، الأمر الذي ساعد إلى حد كبير في تحقيق المفاجأة في الهجوم. ولقد استفادت الجيوش الحليفة والمعادية لروسيا من الخبرة الروسية هذه في أثناء الحرب. كما شرع في استخدام رمي الإيقاف المتحرك لدعم هجوم المشاة أطلق عليه «السد الزاحف». كذلك توجب على المدفعية استخدام وسائط الصراع الكيميائية، وظهرت المدفعية المضادة للدبابات وولد الدفاع المضاد للدبابات أيضاً.

إن تضخم حجم استخدام الطيران طرح على جناح السرعة مشكلة الصراع ضده، سواء عن طريق

تغطية الأغراض البرية بالمدفعية المضادة للطائرات أو عن طريق تدمير الطائرات المعادية في الجو . وهكذا تفاقم الصراع ضد طيران العدو تدريجياً حتى أضحى مشكلة الصراع من أجل كسب السيطرة الجوية .

الفترة الثالثة من الحرب : التغلب على الدفاع المواضعي أثناء الهجوم العام للحلفاء واستسلام ألمانيا تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ــ ١٩١٨ م

انعكست تأثيرات ثورة اكتوبر الاشتراكية وخروج روسيا من الحرب على مجراها كله ، وعلى سياسة حلف «إنتانتا» والحلف الثلاثي الألماني وخططهما الاستراتيجية . إذ أحدثت الثورة الروسية أثراً عميقاً في تطور الحركة الثورية العالمية . فتفاقمت التناقضات الداخلية في بلدان الحلفاء ولم تعد شعوبها راغبة في المضي في تلك الحرب .

ومما يلفت الانتباه ، بشكل خاص في تطور فن الحرب في هذه الفترة ، هي عملية كامبري التي نفذت بقوى الجيش الثالث الانكليزي في الفترة بين ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ولغاية السابع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ . فقد حشدت القيادة الانكليزية سراً وتحت ستار دقيق من التمويه العملياتي تجميعاً قوياً في قطاع ضيق للخرق ١٢ كم ، وكان في حوزة هذا التجميع ما يزيد عن ألف مدفع وألف طائرة و٣٧٨ دبابة قتالية و٨٧ دبابة مساعدة . ولم ينفذ تمهيد مدفعي إمعاناً في تحقيق المفاجأة . فبدأت مهاجمة المواضع الألمانية بضربة كثيفة بالدبابات يدعمها سد زاحف بالمدفعية مع نشاط كثيف بالطيران . وتقدمت المشاة خلف الدبابات مباشرة . واستطاعت القوات الانكليزية خلال عشر ساعات من القتال التقدم إلى عمق عشرة كيلو مترات وخرق الدفاع التكتيكي ، إلا أنها لم تتمكن من تطوير الخرق والوصول إلى المجال العملياتي .

مع بداية العام ١٩١٨ ونظراً لخروج روسيا من الحرب أصبح لدى حلف «إنتانتا» في جبهاته كلها ٢٧٤ فرقة و١٥٤٣٩ مدفعاً و٣٧٨٤ طائرة و٨٩٣ دبابة ، بينما بلغ تعداد قوات الحلف الثلاثي الألماني ٣٧٠ فرقة و١٥٨٠٠ مدفع و٢٨٩٠ طائرة . ولم تكن ألمانيا تملك دبابات . وكان الحلفاء يملكون في المسرح الأوروبي الغربي من الحرب ١٨٠ فرقة بينما تملك ألمانيا ١٩٣ فرقة . واعتباراً من شهر آذار (مارس) من العام ١٩١٨ بدأت تفد إلى القارة الأوروبية أولى القوات الأمريكية .

دارت أحداث الحرب الأخيرة في العام ١٩١٨ في موقف سياسي ــ عسكري معقد . ففي النصف الأول من العام كانت المبادرة الاستراتيجية في يد ألمانيا إلى حين . ولكن الأمبريالية الألمانية اختارت طريق المغامرة فحاولت تخليص الجمهورية السوفييتية الفتية منطقة البلطيق وبيلوروسيا وأوكرانيا وما وراء القفقاس ، وإنهاء الحرب بنصر سريع وحاسم في الغرب في آن واحد . وهكذا أدّت العمليات الهجومية التي لجأت إليها الجيوش الألمانية في الغرب في ربيع وصيف العام ١٩١٨ إلى تطاول خط الجبهة . كما استنفدت ألمانيا في هذه العمليات جميع احتياطاتها ومواردها المادية كاملة وبدأ حلفها بالتمزق . ولما فقدت قواها المادية والمعنوية اللازمة للمضي في الحرب ، وتحت وطأة التراجع المستمر في الجبهة وظهور بوادر الثورة في داخل البلاد ، اضطرت

ألمانيا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ إلى توقيع شروط الاستسلام، منهية بذلك أكثر الحروب الدموية ضراوة حتى ذلك العهد هي الحرب العالمية الأولى.

تميزت الأعمال القتالية على المسرح الألماني الأوروبي الغربي في الفترة الختامية من الحرب بضراوتها الكبيرة، فقد شارك عشرون جيشاً في الصراع على جبهة امتدت أربعمئة كيلو متر، ومن بينها تسعة جيوش ألمانية وأحد عشر جيشاً للحلفاء، بلغ تعدادها الإجمالي ستة ملايين إنسان. وكان الهجوم الشكل الأساسي للعمليات بهدف خرق جبهة دفاع مواضعي. وسعى كل جانب من الجانبين إلى حل المشكلة باستخدام المدفعية والدبابات والطيران والسلاح الكيميائي بكثافة. وكان يوجد على الكيلو متر الواحد من جبهة الهجوم ٦٥ ــ ١٠٠ مدفع ونحو ١٤ دبابة. بينما بلغ العرض الإجمالي للهجوم ٦٠ ــ ٨٠ كيلو متراً.

إلا أن الميزات القتالية غير العالية التي اتصفت بها وسائط الصراع التقنية الجديدة، وعدم وجود نظريات حول استخدامها الصحيح، كانت السبب في عدم التوصل إلى حل كامل لمشكلة الخرق حتى نهاية الحرب. وكان الجانب المهاجم يحرز في أحسن الظروف نتائج تكتيكية جيدة ولكنه لم يكن بقادر على تطوير خرق الدفاع المواضعي حتى العمق العملياتي.

لقد برهن مجرى الحرب بوضوح، خاصة في الفترة الثالثة فيها، عن تعاظم أهمية الاحتياطات سواء في الهجوم لتغذية قوة الضربة من العمق، أو في الدفاع لصد ضربات العدو المهاجم. وكان النقص في الاحتياطات وانخفاض حركية القوات من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل العمليات الهجومية الألمانية كلها في العام ١٩١٨. ومن جهة أخرى فقد أدت محاولات خرق الدفاع المواضعي على قطاع واحد معزول من الجبهة إلى عدم تجميد احتياطات الجانب المدافع، بحيث كان باستطاعته المناورة بها بحرية وصد ضربات المهاجمين.

وازدادت في نهاية الحرب تعقيدات التأمين المادي للعمليات. وكان كلا الجانبين المتحاربين ينفذ أعمال التأمين المادي هذه في ظروف القصف الجوي الشديد.

هذا، ويجب أن يُعزى الفضل في بعض النجاحات التي حققتها قوات الحلفاء في عمليات النصف الثاني من العام ١٩١٨، وقبل كل شيء، إلى انخفاض القدرة القتالية للجيش الألماني انخفاضاً شديداً وإنهاك قواه إلى أقصى درجة.

٢ ــ ٤ ــ النتائج العامة للحرب العالمية الأولى

اندلعت الحرب العالمية الأولى في موقف كانت الرأسمالية تمرّ فيه بأزمة عامة. وكان أنِ ضخمت الحرب المقدمات الموضوعية للثورة. وأدّى انتصار الثورة في روسيا إلى إضعاف المنظومة الرأسمالية العالمية، كما كان لها تأثير هائل على الحركات الثورية العالمية كلها مستهلّة عصراً جديداً في تاريخ الانسانية.

استمرت الحرب أربع سنوات وثلاثة أشهر وعشرة أيام. وامتد لظاها حتى شمل أراضي أوروبا وروسيا وافريقيا. وتجاوز تعداد سكان البلاد التي تورّطت في الحرب العالمية الأولى ثلثي سكان العالم. وعبأت الدول المتحاربة أكثر من ٧٣ مليون إنسان. وأنتجت من أجل تسليحها ٢٧٫٦ ٣ مليون بندقية و٧٦٫١ مليون رشاش ونحو ١٥٢ ألف مدفع وما يقارب ١٨٢ ألف طائرة، و ٩٢٠٠ دبابة وغيرها الكثير الكثير من أنواع الأسلحة الأخرى. ولقد خربت أثناء الحرب مناطق شاسعة وأتلفت تماماً، وأغرقت آلاف السفن التجارية ومئات السفن الحربية. ومات في الجبهات ٩٫٥ مليون شخص وجرح ٢٠ مليون إنسان. وألحقت بألمانيا وحليفاتها في هذا الصدام المسلح الهائل بين الأحلاف الأمبريالية هزيمة ماحقة ولم تستطع الصمود في حرب طويلة الأمد.

لقد لعبت الجبهة الروسية دوراً كبيراً في هزيمة ألمانيا؛ إذ كانت تجتذب إليها طوال الحرب قوى ضخمة من ألمانيا وحليفاتها وكانت هي الجبهة الحاسمة حتى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧. ولقد اضطرت القيادة الألمانية تحت ضغط الأعمال النشيطة للقوات الروسية خلال الحرب إلى سحب قسم كبير من قواتها على الجبهة الفرنسية من أجل صد ضربات الجيوش الروسية، وذلك في أوج استعار المعارك الكبيرة عند نهر المارن والفردان ونهر السوم في الغرب.

وبعد أن خرجت روسيا من الحرب أيضاً بقيت القيادة الألمانية مضطرة إلى إبقاء ٨٧ فرقة من القوات النمساوية ــ الألمانية على تلك الجبهة بما في ذلك فرق الخيالة الألمانية كلها، الأمر الذي أضعف كثيراً قواها في الغرب. وكان ذلك من أهم الأسباب التي أدّت إلى فشل العمليات الهجومية الألمانية في الفترة الثالثة من الحرب على الجبهة الفرنسية وأدت في خاتمة المطاف إلى هزيمة ألمانيا.

انتهت الحرب ولم تجد أي من التناقضات التي كانت قائمة بين القوى الأمبريالية حلاً لها. فاستعر الصراع من أجل اقتسام الغنائم وإعادة توزيع عالم ما بعد الحرب. وأدّت شروط الصلح التي وضعت في فرساي ومنظومة العلاقات الدولية التي أقرت هناك إلى تعميق التناقضات الأمبريالية. فكانت بذلك أسباباً لنزاعات عسكرية جديدة. وسعى مصمّمو منظومة فرساي من الأمبرياليين كل ما في وسعهم لتوجيهها ضد روسيا السوفييتية وإيجاد رؤوس جسور حربية وأحلاف معادية للسوفييت. كما أحدثت تعديلات كبيرة في خريطة العالم السياسية فاختفت من الوجود تلك «المملكة الثنائية الموحدة» التي هي امبراطورية النمسا والمجر. ونشطت في أوروبا دول جديدة هي النمسا وهنغاريا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا.

لقد تسببت الحرب العالمية الأولى إلى جانب التحولات الجذرية في المجال السياسي في إحداث تبدلات عميقة في العمل العسكري، إذ ارتبطت التغيرات التي طرأت على تنظيم القوات وتناسب صنوفها بتحسن العتاد القتالي وازدياد تعداد الجيوش وظهور أساليب وأشكال جديدة في الصراع المسلح. وبرزت إلى الوجود في الحرب صنوف قوات جديدة إلى جانب الصنوف القديمة التقليدية أو جرى تطويرها أثناء ذلك. وبقيت المشاة الصنف الأساسي والأكثر عدداً في القوات البرية وكانت تشكل في نهاية الحرب حتى ٥٠٪ من

مجموع التعداد العام للقوات البرية، إلا أن تعدادها العام انخفض إجمالاً في كافة الجيوش بنسبة ٢٠ ــ ٢٢ بالمئة. كما ازدادت في الوقت نفسه القوة النارية لتشكيلات المشاة وقطعاتها ووحداتها نتيجة إدخال الكثير من الهواون والمدافع والرشاشات في تسليحها.

وازداد أثناء الحرب الوزن النوعي للمدفعية وبقيت الواسطة الضارية النارية الأساسية في القوات. فقد تضاعف تعداد المدفعية الخفيفة في روسيا مثلاً حتى نهاية الحرب بمعدل ١٫٦ مرة وتضاعف تعداد المدفعية الثقيلة فيها ست مرات. كما أحدثت المدفعية المضادة للطائرات والمدفعية المضادة للدبابات وأصبحت تستخدم على نطاق واسع في الحرب، حتى بلغت في الدول المتطورة نحو ٣٠٪ من القوام العام للقوات البرية. وشكلت في روسيا المدفعية الثقيلة ذات المهام الخاصة للمناورة بكتل المدفعية الضخمة واستخدامها مركزياً وبأعداد كبيرة، بينما شكلت لهذا الغرض في الدول الأخرى المدفعية احتياط القيادة العامة.

وتحولت القوات المدرعة إلى صنف مستقل وأخذ ينمو بسرعة فائقة، وأصبحت الدبابات سلاحه الرئيسي، ووضعت له الأشكال التنظيمية الأساسية (سرايا دبابات وكتائب دبابات وألوية دبابات) كما وضعت بعض مبادىء الاستخدام القتالي للدبابات وأدخلت تحسينات على مواصفاتها الفنية والتكتيكية، حتى إن سرعتها في نهاية الحرب بلغت ١٢ كم/ساعة وبلغ مدى عملها ١٥٠ كم.

تحول الطيران في نهاية الحرب إلى صنف قوات وكان له تأثيره الملحوظ على مجرى المعارك والعمليات. وصار يقسم إلى طيران استطلاع وطيران مقاتل وطيران قاذف وينفذ مهاماً مختلفة. وأضحت السيطرة في الجو شرطاً لا بد منه لنجاح العملية كلها.

استخدمت وسائط الصراع الكيميائية لأول مرة في جانب ألمانيا في نيسان (ابريل) عام ١٩١٥، وذلك خلافاً للقرار الخاص المتخذ في مؤتمر لاهاي الدولي حول «تحريم استخدام الغازات السامة». وكان أول الغازات السامة التي استخدمت هو غاز الكلور ومن بعده استخدم الفوسفن والايبريت وغيرهما من المواد السامة. وصنفت القذائف الكيميائية والألغام والقنابل الكيميائية واستخدمت على نطاق واسع. ونظراً لاستخدام وسائط الصراع الكيميائية فقد برزت ضرورة تنظيم وحدات خاصة من القوات الكيميائية وتنظيم خدمة الوقاية الكيميائية أيضاً.

لقد ولدت قوات السيارات أثناء الحرب، حيث ساعدت في تحسين عمل المؤخرة إلى درجة كبيرة وأمنت نقل القوات والحمولات والعتاد القتالي بسرعة وإلى مسافات كبيرة.

كذلك تطورت القوات الهندسية والقوى البحرية الحربية وتوصلت إلى أنواع جديدة من وسائط الصراع استدعت بدورها تعديل أساليب عملها. أما القوة الضاربة المخيفة سابقاً والتي هي الخيالة فقد فقدت دورها كواحد من صنوف القوات الأساسية وتضاءل تعدادها في القوات المسلحة إلى النصف أو الثلث.

وكان التطور الأكبر في الحرب العالمية الأولى من نصيب الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك.

الاستراتيجية العسكرية

قلبت الحرب، نهائياً، النظريات الاستراتيجية التي كانت سائدة على أساس خبرة القرن التاسع عشر حول تحقيق النصر بسحق قوى العدو في موقعة عامة واحدة أو عدة مواقع عامة متتابعة وباستخدام المخزونات التعبوية المكدسة لهذه الغاية سلفاً. وتبين بأن الجيوش أضحت تمتلك حيوية كبيرة، بحيث سرعان ما تجدد القوات التي تتعرض للهزيمة قواها وقدرتها القتالية على حساب الاحتياطات الاستراتيجية، وتنسيق جهود الجبهة والمؤخرة، وتنظيم التعاون بين أنواع القوات المسلحة، وتنسيق جهود القوات مع أعمال الحلفاء من الأمور البديهية.

إن ازدياد تعداد القوات المسلحة وأبعاد الصراع المسلح فرضت إدخال تبدلات هامة على منظومة القيادة الاستراتيجية وتنظيمها وبنائها وفق مخطط جديد هو: الهيئات الحكومية العليا ــ هيئة القيادة العامة ــ الجبهة (مجموعة الجيوش) ــ الجيش. وشكلت في نهاية الحرب القيادة العامة العليا الموحدة لقوات الحلفاء (إنتانتا)، إلا أن الفرص لم تتح لجمع الخبرة عن عمل هيئة القيادة الاستراتيجية هذه.

كما تطلبت الجيوش الكبيرة والجبهات المتواصلة وطبيعة الحرب طويلة الأمد ألا تكتفي الاستراتيجية بوضع خطط العمليات الأولى من الحرب وإنما تتجاوزها إلى خطط حملات كاملة أيضاً، وقيادة عمليات عدة جبهات (مجموعات جيوش) كذلك.

إلا أن علم الحرب لم يتوصل إلى حل جميع هذه المهام التي أسندت إلى الاستراتيجية خلال الحرب. واستمر المنظرون العسكريون يعملون من أجل حل الكثير من مشاكل الاستراتيجية الطارئة في فترة ما بعد الحرب.

فن العمليات

كان تطور فن العمليات نتيجة لتبدل طبيعة خوض أعمال القتال والحرب كلها ولتبدل ظروفها ووسائطها وأساليبها، ذلك التبدل الذي استدعاه بالضرورة تعاظم تعداد الجيوش واستخدام وسائط الصراع بكميات وفيرة.

ولقد صيغ مفهوم العمليات ومحتواه بالكامل خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك باعتباره مجموعة أعمال القتال والمناورات التي تخوضها تشكيلات وجحافل ضخمة من القوات المنتشرة على مساحات شاسعة والمنفذة في أوقات مختلفة، إلا أنها موحدة بفكرة عامة وموجهة نحو تحقيق غاية واحدة. ولكن أياً من الجيوش لم يعترف بفن العمليات أثناء الحرب كقسم مستقل من فن الحرب يهتم بدراسة مسائل إعداد العمليات وتنفيذها.

اكتسبت القوات المسلحة خلال الحرب العالمية الثانية خبرة عملية في إعداد العمليات الهجومية وتنفيذها. وشملت العمليات المناورة التي نفذت في الفترة الأولى من الحرب أبعاداً مساحية شاسعة. فقد

نفذت الجبهة (مجموعة الجيوش) هجومها في نطاق بلغ عرضه ٣٠٠ ــ ٤٠٠ كم وبلغ إيقاع هجومها المتوسط ٦ ــ ٨ كم في اليوم.

ولكن الأعمال المناورة لم تكن هي التقليد السائد في الفترة الأولى من الحرب، لأن الحرب اكتسبت في العام ١٩١٥ شكل الصراع المواضعي. وكانت المشكلة الرئيسية التي اعترضت فن العمليات في سنوات الفترة الأولى من الحرب هي مشكلة خرق الدفاع المواضعي المعادي، إذ كانت الجيوش تعد بالملايين وتملك من القوى ما يكفي لإقامة جبهات من المواضع المتواصلة ولكنها لم تكن تملك بعد الوسائط الضاربة القوية التي تستطيع بمساعدتها تحطيم ذلك الدفاع المواضعي. حتى إن الموقف في بعض الأحيان كان يجعل من الدفاع أقوى من الهجوم، بشكل واجه فيه فن الحرب «طريق المواضع المسدود». وهنا جربت صيغ مختلفة لتحقيق الخرق. الخرق في قطاع واحد ضيق (الفردان وكامبري) والخرق في قطاع عريض متواصل (السوم) وضربات شاطرة على عدة قطاعات (عملية الجبهة الجنوبية ــ الغربية الروسية). وكانت أفضل النتائج تلك التي حققتها القوات الروسية، إذ بلغت إيقاعات هجومها سبعة كيلو مترات في اليوم الواحد ولكنها كانت استثناء نادر الحدوث. ولم يعثر على حل جزئي لمشكلة الخرق إلا عند ظهور المدفعية الثقيلة والدبابات والطائرات القتالية في ميدان المعارك. ولكن الإمكانات القتالية المحدودة نسبياً التي كانت تملكها القوات في الهجوم في ظروف يتمتع بها الدفاع المواضعي باستقرار كبير، لم تمكن من حلِ مشكلة تطوير الخرق التكتيكي إلى خرق عملياتي حلاً كاملاً.

إن أهمية مشكلة الخرق والصعوبات التي اعترضت حلّها نبعت أساساً من ظهور منظومة للدفاع المواضعي المتواصل المنسق بالعمق مع منظومة نيران مطوّرة وتجهيز هندسي دقيق للأرض، مناسب لوسائط الصراع المسلح التي كانت مستخدمة أثناء الحرب العالمية الأولى. لذا، كانت القوات المدفعية تستغل جميع الوسائط النارية المتوفرة لديها لصدّ هجوم العدو وتسديد ضرباتها وهجماتها المعاكسة وتطبيق مختلف أشكال المناورة لتحقيق تلك الغاية. وكان الدفاع المبني وفق منظومة المناطق المحصنة، أي الذي يجمع بين المنشآت الدفاعية الميدانية والمستديمة، يتمتع بمناعة خاصة ويصعب التغلب عليه.

التكتيك

ازداد تكتيك خوض المعركة الهجومية والدفاعية تعقيداً بظهور الوسائط القتالية الجديدة. ففي بداية الحرب كانت المشاة هي القوة الحاسمة الرئيسية في المعركة. وكانت تشن هجومها وهي تنتظم في سلسلة من الرماة المتراصة جداً دون عمق (كانت الفرجة بين المقاتلين خطوة واحدة فقط). وعندما برزت جبهات المواضع المتواصلة ازداد دور المدفعية كثيراً أثناء المعركة، وأصبحت المشاة لا تشن هجومها إلاّ بعد تمهيد مدفعي طويل الأمد، وكان الهجوم نفسه مترافقاً مع رمي التركيز ورمي مدافع المرافقة وضربات الطيران الموجهة إلى مواضع العدو التي تهاجمها المشاة. وهنا تبدلت صيغة تراتيب قتال المشاة وزيد في عمقها، فأصبحت وحدات وقطعات المشاة تنتظم في الهجوم في عدة سلاسل من الرماة التي تنطلق منقضة على العدو الواحدة بعد الأخرى على شكل موجات متتابعة وفي حال مهاجمة مواضع محصّنة جداً كانت تتقدم صفوف الرماة مجموعات اقتحام.

كانت تشكيلات المشاة وقطعاتها تخوض الهجوم في قطاعات ضيقة عادة: الفرقة في نطاق عرضه ٢ كم والفوج ــ ١٠٠٠ ــ ١٢٠٠ م والكتيبة ٥٠٠ ــ ٦٠٠ م. وكانت مهامها غير عميقة وفي حدود ٢ ــ ٣ كم. ومع ظهور الدبابات ومدافع المرافقة راحت المشاة تتجمع حول هذه الوسائط الضاربة القوية، واضعة بذلك بداية أسلوب تكتيكي جديد ــ ترتيب القتال الجماعي الذي كان قادراً على المناورة في حقل المعركة بسرعة والتوغل إلى عمق كاف في دفاع العدو. وبعد أن أصبحت القوات مجهزة جيداً بالمدفعية والدبابات والطيران، أصبح بالإمكان إيجاد أسس لتكتيك المعركة المشتركة. وشرع لأول مرة باستخدام الكثير من وسائط الصراع المسلح وأساليبه في حقل المعركة وتطويرها فيما بعد إلى درجة كبيرة.

كذلك تطور كثيراً تكتيك المعركة الدفاعية. ففي بداية الحرب كان الدفاع غير عميق، وكان يكرس لصدّ هجمات المشاة فقط ويجهز بمساند فردية وجماعية. ومع تفاقم قوة نيران المدفعية وظهور وسائط الصراع الجديدة من طائرات ومواد سامة ودبابات ازداد عمق الدفاع التكتيكي وحسن التجهيز الهندسي للأرض وأدخلت تحسينات على بنية الدفاع. وما إن انتهت الحرب حتى كان الدفاع متعدد الأهداف أي أنه أصبح مضاداً للمشاة ومضاداً للمدفعية ومضاداً للكيمياء ومضاداً للدبابات ومضاداً للجو أيضاً.

ولم تكد تخمد أصداء آخر صليات المدافع في الحرب العالمية الأولى، ولم تكد شعوب الدول المتحاربة تشرع في تضميد جراحها حتى قذفت الأمبريالية الدولية بكامل قوة اقتصادها وجبروت آلتها الحربية لارتكاب جريمة جديدة ــ فشرعت بتدخلها المسلح ضد الجمهورية السوفييتية الفتية.

الفصل الثالث

تطور الفن العسكري السوفييتي خلال سنوات الحرب الأهلية والتدخل العسكري الأجنبي
١٩١٧ ـ ١٩٢٠ م

«لقد كانت الحروب الدولية تنتهي دوماً باتفاقيات بين الطبقات الحاكمة، عدا الحروب الأهلية التي توجه فيها الطبقة المضطهَدة جهودها نحو تدمير الطبقة المضطهِدة حتى النهاية، وتدمير الشروط الاقتصادية التي أوجدت هذه الطبقة».

ف. إ. لينين



٣ ـــ ١ ـــ الموقف العسكري السياسي

لقد افتتح انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة في روسيا عصراً جديداً في تاريخ الانسانية . فقبل عام ١٩١٧ كان النظام الرأسمالي يسيطر على العالم بأسره . كما أن الأمبرياليين لم يضطهدوا شعوبهم فقط ، بل وشعوب البلدان المستعمَرة والواقعة تحت حمايتهم في كل من آسيا وأفريقيا وفي منطقة الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية . إلا أن الثورة الاشتراكية في روسيا تمكنت من اختراق الجبهة المشتركة للأمبريالية ، ووضعت بداية لسقوط النظام الرأسمالي والاستعماري .

لقد أسفرت ثورة اكتوبر في روسيا ، عن سقوط نير الاستغلال الذي مارسه كل من البورجوازية والإقطاع ، وعن إقامة سلطة العمال والفلاحين ، وأخرجت البلاد من الحرب الأمبريالية ، كما انتهى عهد اللامساواة الوطنية في روسيا إلى الأبد . كما أن كافة الشعوب التي تقطن البلاد حصلت على إمكانية المشاركة الفعالة في بناء المجتمع الاشتراكي الجديد ، وتطوير ثقافتها الوطنية .

وبنتيجة قيام الثورة الاشتراكية ، انقسم العالم إلى نظامين متناقضين : النظام الاشتراكي ، والنظام الرأسمالي . كما أن ثورة اكتوبر دفعت بعجلة الأحداث التاريخية إلى الأمام ، وأحدثت تأثيراً عظيماً على واقع شعوب العالم ، وساعدت على تعزيز قوى الديمقراطية والتقدمية ، وتطوير حركات التحرر الوطني في العالم واتساعها . أي أن وطن اكتوبر العظيم أصبح الحصن الأمين لنضال كافة قوى التقدم من أجل إحداث التحولات الثورية في المجتمعات البشرية ومن أجل ترسيخ دعائم السلام .

لقد أصبحت الدولة السوفييتية المنارة والقوة العظيمة المؤيدة لكافة الشعوب المضطهَدة والمستعبدة في البلدان الرأسمالية والمستعمرة والمحمية . كما أن الثورة الاشتراكية المظفرة في روسيا ، زادت من قوة الأفكار الاشتراكية وتأثيرها ، وساعدت على تعاظم سمعة البلاد وهيبتها باستمرار على الحلبة الدولية .

إن الدولة الاشتراكية الأولى في العالم ، هي من حيث طبيعتها الاقتصادية والاجتماعية ، وأهدافها

ونزعاتها دولة محبة للسلام قبل كل شيء. فمنذ اللحظة الأولى لقيام الدولة السوفييتية، أصبحت سياسة السلام أساساً لسياستها العامة، كما أن «مرسوم السلام المشهور» كان أول إنجاز رسمي لنظام الحكم السوفييتي. وخلال الأشهر الأولى التي تلت ثورة اكتوبر، وضعت الحكومة السوفييتية خطط البناء السلمي للاشتراكية في البلاد. كما أن النضال الذي خاضته الدولة السوفييتية بعد ذلك من أجل سلام عادل وديمقراطي خلق لدى كافة الكادحين في بلدان العالم شعوراً عارماً بالتضامن مع الشعب السوفييتي.

إلا أن الأمبرياليين في كافة بلدان العالم، لم يستجيبوا للدعوة التي وجهتها بلاد السوفييت من أجل إقامة سلام ديمقراطي عادل على الفور. فالسلام ليس في مصلحة هؤلاء، طالما أنه لا يستجيب لرغبات البورجوازية ونواياها، الرامية إلى تحقيق هدفها الرئيسي، ألا وهو استعادة الأنظمة الرأسمالية القديمة في روسيا القيصرية. وهكذا، فقد غطت سماء الجمهورية السوفييتية الفتيّة سحب الحرب المشؤومة، وخيّم خطر حقيقي بتدخل عسكري أجنبي وحركات داخلية مضادة للثورة.

لقد حاولت الدول الرأسمالية بكل ما لديها من طرق وأساليب خنق النظام السوفييتي. وهنا يجب ألا ننسى بأن الدول الرأسمالية كانت تمتلك في ذلك الوقت موارد مادية وبشرية هائلة وجيوشاً نظامية جرارة. فمن المعلوم أنه في عام ١٩١٤، وعشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، بلغ تعداد المقاتلين في كافة بلدان العالم سبعة ملايين وأكثر. وفي عام ١٩٢١ وبعد التوقيع على معاهدة فرساي وتجريد جيوش البلدان المغلوبة من السلاح لم يتقلص التعداد الإجمالي لكافة جيوش الدول الرأسمالية بل على العكس من ذلك، أي إنه ازداد إلى حد كبير حتى بلغ أحد عشر مليون رجل.

في هذا الوقت بالذات، كانت الجمهورية السوفييتية الفتية تعاني من وضع اقتصادي صعب للغاية. فقد كان من نصيب بلاد السوفييت ١٦٪ من مساحة العالم، و٧٫٨٪ من سكانه وأقل من ٣٪ من الانتاج الصناعي العالمي؛ كما أن الاقتصاد الوطني في البلاد تقلص خلال سنوات الحرب العالمية الأولى إلى حد كبير، وأصيب بانهيار هائل. فقد عمّت الفوضى القطاع الصناعي وقطاع النقل كما أصيب الاقتصاد الزراعي بالشلل العام، وانتشرت المجاعة بين سكان المدن وفي المناطق الصناعية بصورة خاصة. وشهدت البلاد بأسرها انعطافاً كبيراً وحاسماً شمل نظام الدولة القديم، ونظام العلاقات الاقتصادية ـــ الاجتماعية. لكن النظام السوفييتي كان قد بدأ مسيرته المظفرة في كافة أنحاء البلاد على الرغم من هذه الظروف القاسية.

إن التحركات الأولى التي قامت بها الثورة المضادة من الداخل لم تلقَ الدعم والتأييد من قبل الجماهير الواسعة، وأخمدت على الفور، وبالوسائط السياسية بصورة عامة. كما تمّ صد العدوان الذي قامت به الأمبريالية الألمانية، وتمّ التوصل إلى هدنة مؤقتة، إستخدمت على نطاق واسع من أجل إقامة أسس الاقتصاد الاشتراكي وتعزيز مكتسبات الثورة. ولاحت في الأفق إمكانية إقامة سلام راسخ، والتخلص من التزامات الحرب العالمية الأولى، وتدعيم مرتكزات النظام السوفييتي، والتوجه نحو البناء الاقتصادي السلمي الهادف إلى الإسراع في تطوير اقتصاد البلاد بشكل عام.

إن مثل هذه الآفاق المستقبلية، أغضبت الأمبريالية العالمية التي لا تستطيع بأي حال من الأحوال

أن تهادن دولة العمال والفلاحين أو أن تطمئنّ على نفسها من وجود مثل هذه الدولة على قيد الحياة. فانسحاب روسيا من الحرب لم يكن في صالح الأمبريالية العالمية. فقد كتب رئيس الوزراء البريطاني، آنذاك، لويد جورج في مذكراته قائلاً: «إذا لم تشترك روسيا في الحرب، فإن الثورة فيها ستصبح أحد أهم العوامل التي تحدّد مصير الجماهير الشعبية في كافة البلدان، لأن هذه الجماهير والإنسانية جمعاء أخذت تتطلع نحو هذه الثورة وإنجازاتها». (لويد جورج: المذكرات العسكرية، إصدار عام ١٩٣٨، صفحة ٦٢).

لقد زاد الأمبرياليون من دعمهم للثورة المضادة داخل روسيا وقدموا المساعدة إليها بالأسلحة والمرتزقة، خوفاً من أن تصبح ثورة اكتوبر مثلاً يحتذى لدى الكادحين في البلدان الأخرى، الأمر الذي يهدد وجود النظام الرأسمالي بالذات. وفي الوقت نفسه بدأ الأمبرياليون بالتدخل السافر واستولوا على بعض المناطق الواقعة في شمال وجنوب وغرب وشرق البلاد السوفييتية، وطوّقوا من جميع الجهات دولة العمال والفلاحين الفتية وعزلوها عن العالم الخارجي. وهكذا أصبحت الدولة السوفييتية أمام حرب أهلية دامية وطويلة الأمد، تهدد مكتسبات الثورة وحرية واستقلال الشعوب التي تصبو إلى إقامة الدولة الاشتراكية الحرة.

لقد كانت الحرب الأهلية في روسيا أول حرب وطنية يخوضها الشعب من أجل حماية مكتسبات اكتوبر العظيم. ولم تكن تلك الحرب نتيجة حتمية للثورة الاشتراكية.

لقد كان الأمبرياليون الأمريكيون، والبريطانيون، والفرنسيون، والألمان واليابانيون وغيرهم المسؤولين عن اندلاع نار الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي، والمحرضين المباشرين لإخماد الثورة. كما أن الرأسماليين الروس والاقطاعيين تعاونوا مع هؤلاء الدخلاء؛ وقد ساعد التدخل العسكري الذي قامت به البلدان الرأسمالية الثورة المضادة في الداخل، وقدم إليها الدعم لجمع شملها من جديد وحشد قواها والتلاحم مع الثورة المضادة الخارجية، الأمر الذي أدّى إلى تشكيل جبهات متصلة ومتماسكة وأصبح ذلك العامل الحاسم في اندلاع الحرب الأهلية الروسية.

كانت الحرب الأهلية من وجهة نظر الكادحين في روسيا السوفييتية تحمل طابع الحرب العادلة. أما بالنسبة للثورة المضادة الروسية والأمبرياليين الغربيين، فإنها كانت حرباً غير عادلة وعدوانية وتهدف إلى منع اتساع رقعة الاشتراكية وامتدادها إلى البلدان الأخرى، وقمع هذه الثورة في مهدها.

وبعد أن قيّمت الحكومة السوفييتية الخطر العسكري الحقيقي، الكامن وراء هذا التدخل، دعت الشعب إلى تعبئة جميع قواه وجهوده لحماية الوطن الاشتراكي والدفاع عنه. ولهذه الغاية كان من الواجب تشكيل جيش حديث وقوي قادر على حماية مكاسب الكادحين والتصدي لكافة هجمات الأمبرياليين التي يشنونها ضد الوطن.

ولقد أشار زعيم الثورة ف. إ. لينين إلى ذلك بقوله: «إننا حماة الوطن لذلك فإننا ندعو إلى تشكيل جيش قوي ومتماسك، وتنظيم مؤخرة قوية للدفاع عن مكتسباتنا» (ف. إ. لينين، المجلد ٣٦، صفحة ٣٤٢).

٣ ـــ ٢ ـــ تأسيس القوات المسلحة السوفييتية

إن مسألة تأسيس القوات المسلحة للدولة وقوام هذه القوات ووظيفتها، كانت وما تزال تستأثر باهتمام الكثير من المفكرين منذ القدم وحتى يومنا هذا. لقد عولجت هذه المسألة في مؤلفات أرسطو طاليس، وهيجل، وتشيرنيشيفسكي وغيرهم من كبار المفكرين الاجتماعيين والسياسيين والعسكريين. كما تطرّق إلى هذه المسألة كبار العسكريين والمنظرين القدماء أمثال سون تصي، وماكيافيلي، وسوفورف وغ. لويد وغ. جومين، وكلاوزفيتز، وغ.أ. لير وغيرهم. لقد عبر هؤلاء عن عدد من الأفكار والأسس الصحيحة المتعلقة بماهية الجيش كأداة في يد الدولة. إلا أن الجيش كان في نظر الكثير من هؤلاء تنظيماً فوقياً يعلو على الطبقات الأخرى. ولم يتطرق هؤلاء إلى الأسباب والشروط التي كانت تحدد البُنية الاجتماعية والوظيفة الأساسية للجيش، كما أنهم أطنبوا في الحديث عن دور القادة وكبار الزعماء العسكريين البورجوازيين المعاصرين، وكانت نظرتهم إلى مسائل تأسيس الجيش وبُنيته الاجتماعية ـــ السياسية ووظيفته الأساسية ضيقة إلى حد كبير.

لقد وضع مؤسس الدولة السوفييتية في روسيا ف.إ. لينين بصورة صحيحة الحل العلمي والشامل لمسألة ماهية الجيش ووظيفته. إذ أكد على أن الجيش في المجتمع المتناقض ينشأ ويعمل كجهاز خاص لطبقة مسيطرة اقتصادياً وسياسياً بغية المحافظة على مصالح هذه الطبقة وتطبيق سياستها في التسلط وقهر الشعوب، ولذلك فإن الجيش لم يكن في يوم ما، في معزل عن السياسة. لقد علّل ف. ي. لينين، تعليلاً علمياً البرنامج العسكري للثورة الاشتراكية، ومبادىء التنظيم العسكري لدولة العمال (البروليتاريا) كجيش من طراز جديد يتميز إلى حد كبير عن القوات المسلّحة لدى الدول ذات الطبقات والمجتمعات المتناقضة. إن الجيش من الطراز الاشتراكي يتأسس في آن واحد مع ولادة النظام الاشتراكي ويقوم على أساس هذا النظام.

إن تاريخ بناء القوات المسلحة السوفييتي يعتبر مثالاً حيّاً على تأسيس الجيش الشعبي الحقيقي المدافع عن مصالح الشعب بأسره، والمشبع بروح الشعب واحترامه، واحترام شعوب البلدان الأخرى، والمدرك لواجبه الأممي تجاه الكادحين في كافة أنحاء العالم. لقد كانت القوات المسلحة السوفييتية أول جيش من طراز اشتراكي في العالم. كما أن تاريخ تأسيس هذه القوات وتطورها لا ينفصل عن تاريخ نضال الطبقة العاملة والكادحين في روسيا من أجل إسقاط نظام الرأسماليين والاقطاعيين وبناء أسس النظام الاشتراكي الحديث. ومع انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، ألقيت على عاتق الكادحين في روسيا مهمة حيوية وملحة للدفاع عن مكتسبات الجمهورية ومنجزاتها؛ وكان ذلك بمثابة مطلب موضوعي يهدف إلى إقامة أسس الاشتراكية وتطويرها. فقد كان على الشعب الروسي، بعد انتصار ثورته، أن يبني مجتمعاً جديداً ويدافع عنه في الوقت نفسه ضد أعداء الثورة. أي إنه يبني بيد ويقاتل باليد الأخرى ضد أعدائه في الداخل والأمبريالية العالمية التي تشن عليه الهجمات المتتالية. والجدير بالذكر أن وحدة الكلمة والحماسة الملتهبة وتصميم الجماهير على سحق العدو، كل ذلك لم يكن كافياً لحماية الوطن الاشتراكي من الأخطار المحدقة به. وهكذا كان على الشعب السوفييتي أن ينجز عملاً شاقاً لأمد طويل، بحيث يشمل كافة مجالات الحياة

الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعنوية ؛ أي تأسيس جيش حديث ، وتعزيز مؤخرة البلاد ، والنهوض بالاقتصاد الوطني ، وتأمين التعليم العام والعسكري للكادحين ، والانضباط الصارم والإعداد المعنوي والفكري لجميع المواطنين .

ومن أجل الشروع ببناء جيش من الطراز الحديث ، اعتمدت قيادة الدولة السوفييتية على ما لديها من خبرات وتجارب في مجال العمل العسكري وتشكيل القوات المسلحة للبروليتاريا على شكل مفارز وفصائل من الطبقة العاملة ، كانت قد شكلت خلال ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٨ ، وكذلك على شكل مفارز مسلحة من العمال المتطوعين والتي كانت قد ظهرت في روسيا بعد سقوط النظام القيصري في شباط (فبراير) عام ١٩١٧ ، وقد أطلق على هذه المفارز اسم الحرس الأحمر واعتبرت نواة للجيش الاشتراكي بالإضافة إلى تأسيس وتعزيز الحرس الأحمر ، ونفذت أعمال كبيرة من أجل استمالة جنود وبحارة الجيش القيصري للإنضمام إلى صفوف الثورة . ففي شهر تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩١٧ ، بلغ تعداد القوات المسلحة التي شكلتها الثورة في مدينة بتروغراد أكثر من ٢٠ ألف حرس أحمر و ٦٠ ألف بحار من أسطول البلطيق ونحو ١٥٠ ألف جندي من حامية بتروغراد .

لقد كانت مفارز الحرس الأحمر تشكل القوة الطليعية لانتفاضة اكتوبر ولإخماد الحركات الأولى المناهضة للثورة . إلا أن قلة تعداد هذه المفارز وتسليحها الضعيف وعدم كفاية تدريبها وتنظيمها ، كل ذلك كان يخلق صعوبات كبيرة أمام الحشد السريع للقوى المطلوبة وقيادة هذه القوى من أجل قمع المقاومة المتزايدة من جانب القوى المضادة للثورة والتي كانت تعتمد على دعم الدولة الأجنبية الأخرى وتأييدها . ولم تستطع الحكومة السوفييتية استخدام الجيش القديم من أجل الدفاع عن مكتسبات الثورة ، لأنه كان ما يزال واقعاً تحت تأثير الضباط والقادة الذين يقفون في صف أعداء النظام السوفييتي . وبالإضافة إلى ذلك فإن الجيش القديم كان قد فقد قدرته القتالية خلال الحرب العالمية الأولى .

في السابع من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ دعا المؤتمر الثاني لمجالس عموم روسيا الشعب إلى الدفاع عن مكتسبات اكتوبر بعد تسلم زمام السلطة في البلاد . وفي اليوم التالي ، وبناء على قرار المؤتمر شكلت لجنة الشؤون العسكرية والبحرية في مجلس مفوضي الشعب ، اعتباراً من شباط (فبراير) عام ١٩١٨ أطلق على هذه اللجنة اسم اللجنة الشعبية للشؤون العسكرية . لقد كان ذلك بمثابة أول إنجاز تشريعي على طريق بناء الجيش من الطراز الحديث . وقد قادت هذه اللجنة النضال ضد القوى المضادة للثورة . وفي الثاني عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ استطاعت القوى الثورية خلال المعارك التي دارت في مرتفعات بولكوف وعلى مشارف بتروغراد أن تلحق الهزيمة بقوات كيرينسكي ــ كراسنوف ، بعد أن تصدّت لأول حركة مسلّحة قامت بها الثورة المضادة ضد الدولة السوفييتية الفتية . وفي الوقت نفسه استطاعت مفارز الحرس الأحمر بالتعاون مع البحارة قمع الحركات التي قام بها طلاب الكليات العسكرية مثل كلية فلاديمير وكلية بافلوفسكي . ونتيجة لذلك فرّ من البلاد كيرينسكي رئيس الحكومة المؤقتة .

إن النظام السوفييتي الذي كان يعتمد على دعم غالبية الشعب وتأييده استطاع أن يبسط نفوذه في

البلاد بسرعة ، إلا أن الأرياف والمناطق النائية التي لجأت إليهما الثورة المضادة للثورة بعد أن سحقت في أواسط البلاد شهدت حركات مضادة للنظام الاشتراكي وفي الوقت نفسه ركزت الحكومة السوفييتية جهودها الرئيسية على سحق التجمعات الكبيرة للثورة المضادة في منطقة الدون حيث استولت قوات الجنرال كاليدين على مدينتي روستوف وتاغانروغ ، واتجهت نحو منطقة الدونباس ؛ كما أنها نشطت في مناطق أوكرانيا ، حيث أخذت الحكومة المناوئة للثورة ، والتي شُكّلت هناك من القوميين البورجوازيين ، بشن حملة شرسة ضد إقامة النظام الاشتراكي في تلك المناطق .

في النصف الثاني لشهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩١٧ ازداد الموقف الدولي تعقيداً ، بالنسبة لروسيا السوفييتية ، حيث ازداد خطر تدخل القوات الألمانية . وتحت ضغط من الدوائر الأمبريالية أوقفت الحكومة الألمانية محادثات السلام ، كما أن بريطانيا وفرنسا وقعتا في باريس على اتفاقية سرية لإسقاط النظام السوفييتي في روسيا وتقسيم البلاد إلى منطقة فرنسية (تضم روسيا البيضاء وأوكرانيا وشبه جزيرة القرم) ومنطقة بريطانية (تضم شمال القفقاس وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا) وأخذتا تحضران للتدخل العسكري . وهكذا ، فقد وحّدت الأمبريالية صفوفها لقمع النظام السوفييتي في مهده . وفي مطلع عام ١٩١٨ أصبح من الواضح أن قوات الحرس الأحمر التي شُكّلت خلال فترة التحضير للانتفاضة المسلحة عام ١٩١٧ ، وكذلك مفارز الجنود والبحارة الثوريين ، غير كافية للدفاع عن الدولة السوفييتية .

لقد دعا المؤتمر إلى تشكيل القوات المسلحة للدولة السوفييتية . ففي ٢٨ كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨ ، أصدر مجلس مفوضي الشعب مرسوماً يقضي بتشكيل الجيش الأحمر للعمال والفلاحين ، وفي ١١ شباط (فبراير) من العام نفسه أصدر المجلس مرسوماً آخر يقضي بتنظيم الأسطول الأحمر للعمال والفلاحين . وقد لعبت هيئة تأسيس الجيش الأحمر ، التي كانت قد شُكّلت من اللجنة الشعبية للشؤون العسكرية ، دوراً كبيراً في تأسيس الجيش الجديد والأسطول . وكانت الدولة السوفييتية أول دولة في التاريخ تعترف علانية بالطابع الطبقي لقواتها المسلحة المخصصة لقمع بقايا فلول النظام البائد والدفاع عن الوطن الاشتراكي . وبناء على المراسيم المتخذة فقد تمت تعبئة الجيش والأسطول من بين العسكريين المتطوعين ، أي من بين العمال والفلاحين الموالين للثورة بغض النظر عن قومياتهم وجنسياتهم .

لقد كان عسكريو الجيش والأسطول يحصلون على مهماتهم وطعامهم مجاناً ، وبالإضافة إلى ذلك يحصلون على مرتبات مالية محددة . كما أن الدولة السوفييتية أخذت على عاتقها أيضاً تأمين أفراد أسرهم القاصرين والعاجزين عن العمل . ولم يكن هناك طريق آخر لتشكيل القطعات القادرة على القتال في مثل تلك الظروف ؛ إذ إنه لم يكن بالإمكان وقتئذ تطبيق الخدمة العسكرية الإلزامية ، لأن جماهير الشعب كانت ما تزال منهكة بسبب الحرب الأمبريالية (العالمية الأولى) التي تحمّلت أوزارها القاسية ولمّا تقتنع بعد بضرورة الدفاع المسلح عن مكتسبات الثورة ، أضف إلى ذلك أن الدولة السوفييتية لم تتوفر لديها حتى ذلك الحين عناصر القيادة العسكرية المؤهلة وهيئاتها .

وفي ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، وفي مدينة بتروغراد بالذات ، تم تشكيل الفيلق الأول من أفراد الحرس الأحمر والعمال ومن بين جنود الأفواج الاحتياطية الأكثر وعياً وثورية . فكان هذا الفيلق أول

تشكيل في الجيش الثوري الجديد . كما أن كتائب المشاة كانت تشكل الوحدات المقاتلة الأساسية في هذا الفيلق ؛ وكان يضم في قوامه قطعات رشاشات ومدفعية ، ودراجات نارية وعربات نقل ومجموعات جوية ومجموعة أجهزة إضاءة . وسرعان ما تحول هذا الفيلق الذي اشتركت قطعاته مباشرة في الأعمال القتالية إلى مركز للتعبئة والتدريب السريع لصالح قطعات الجيش الأحمر .

وقد حذت موسكو وايفانوفو ــ فوزنيسينسكي وكازان وسامارا والمناطق الصناعية الأخرى حذو بتروغراد في تشكيل قطعات الجيش الأحمر وتشكيلاته ، كما بدأ العمل على تشكيل قطعات الجيش الجديد في الجبهات أيضاً . وانخرط جنود الجيش القديم في صفوف الجيش الأحمر بأعداد غفيرة ، كما انضم إلى صفوف الجيش الآلاف من البحارة الثوريين الذين شكلوا مجموعات القطارات المدرعة ومفارز الاستطلاع وقطعات الإنزال ، وكانوا يؤكدون دوماً على ولائهم للثورة .

لقد واجهت عملية بناء الجيش الأحمر النظامي مصاعب اقتصادية كثيرة حيث كان القسم الأكبر من المناطق الصناعية واقعاً تحت الاحتلال ؛ أما القسم الباقي في حوزة السلطة السوفييتية فقد كان قليل المردود لأن المعامل والمصانع العسكرية كانت معزولة عن المناطق الرئيسية التي تتوفر فيها المواد الخام والمحروقات ؛ وبالاضافة إلى ذلك كان الجيش يعاني من نقص كبير في المواد الأولية والوقود والتعيينات والألبسة . وفي نهاية عام ١٩١٧ كانت موجودات الأسلحة والذخائر المتبقية من الجيش القديم ضئيلة للغاية : نحو ١٨ ألف مدفع من عيارات مختلفة و٣٥ ألف رشاش و٥ ملايين بندقية و٣٣ مليون قذيفة و٢ر١ مليار طلقة . إلا أن القسم الأكبر منها كان قد فقد أثناء هجوم القوات الألمانية خلال شهر شباط (فبراير) عام ١٩١٨ ، كما استولى على بعض منها الحرس الأبيض المناوىء للثورة . وفي نهاية ١٩١٨ بلغ مجموع ما في حوزة القطعات العاملة للجيش الأحمر ١٧٠٠ مدفع ، وفي شهر أيار (مايو) عام ١٩١٩ أصبح العدد ٢٢٩٢ مدفعاً ، أما في نهاية عام ١٩٢٠ فقد أصبح ٢٩٦٤ مدفعاً .

لقد بدأت ولادة القوات المسلحة السوفييتية في الوقت الذي تعرضت فيه الجمهورية السوفييتية للغزو من جانب الأمبريالية الألمانية . ففي ١٨ شباط (فبراير) عام ١٩١٨ أوقف الأمبرياليون الألمان محادثات السلام الدائرة في مدينة بريست ، وشنوا هجومهم بقوات كبيرة على امتداد الجبهة . وكان ذلك الهجوم بداية للتدخل ضد روسيا السوفييتية ؛ وتبين على الفور ، كما توقع رئيس الدولة السوفييتية ف . إ . لينين ، أن الجيش القديم غير قادر على المقاومة إطلاقاً ، فقد تقدمت الفرق الألمانية في عمق البلاد دون توقف ، تقريباً ، وسقطت دفينزنسك ومينسك وبولوتسك والجزء الأكبر من أوكرانيا واستونيا ورتغيا . وقد حاولت القوات الألمانية المهاجمة باتجاه نارفا وبسكوف الاستيلاء على بتروغراد . وهكذا ، فقد أحدق خطر الموت بالجمهورية السوفييتية الفتية .

وفي ٢١ شباط (فبراير) عام ١٩١٨ ، وفي أعقاب التدخل الألماني ، أصدرت الحكومة السوفييتية إلى الشعب مرسوماً ــ نداء طلبت فيه من الجماهير حشد كافة قواها وتقديم إمكاناتها المتاحة لتشكيل الجيش الأحمر وحماية الوطن الاشتراكي من الخطر . فكان هذا المرسوم بداية للتطوع الشامل في صفوف القوات المسلحة السوفييتية وتشكيل العديد من القطعات الجديدة التي زجت في المعارك ضد القوات

الألمانية الغازية، واستطاعت في ٢٣ شباط (فبراير) أن توقف هجوم هذه القوات على مشارف بسكوف ونارفا.

وتخليداً لذكرى التعبئة العامة التي شملت القوى الثورية وانتفاضة الشعب الجماهيرية للدفاع عن وطنه، وكذلك تخليداً لذكرى المقاومة البطولية التي أبدتها المفارز الأولى للجيش الأحمر في التصدي للمحتلين الألمان، يحتفل الشعب السوفييتي في الثالث والعشرين من شهر شباط (فبراير) من كل عام بيوم الجيش السوفييتي والأسطول كعيد وطني وشعبي عظيم.

ففي معارك شباط (فبراير) عام ١٩١٨ كان الجيش الأحمر الفتيّ أضعف من قوات الدخلاء من الناحيتين الفنية والتنظيمية. ومع ذلك فإن المقاومة البطولية التي أبداها هذا الجيش في التصدي لعدو قوي ومتفوق أصبحت صفحة ناصعة في تاريخ القوات المسلحة للدولة السوفييتية.

وخلال الصراع ضد أعداء الثورة والتدخل الألماني الخارجي، قدم الدعم إلى روسيا السوفييتية الكادحون في بلدان كثيرة من العالم. والدليل الناصع على التضامن الأخوي في النضال من أجل حماية النظام السوفييتي كان يتمثل في تعزيز وتعميق الحركة الثورية بين صفوف العسكريين والمدنيين من غير السوفييت والقاطنين في روسيا خلال هذه الفترة. ففي نهاية عام ١٩١٧، وفي مدينة بتروغراد بالذات، شُكّلت الكتيبة الأجنبية الأولى؛ وفي المعارك التي دارت في ضواحي نارفا لوقف زحف الألمان الغزاة قاتلت مفارز من المقاتلين المجريين قتالاً بطولياً بقيادة بيلاكون وايرنييور؛ كما قاتلت مفارز من السلوفاك والتشيك في مناطق أوكرانيا ضد العصابات المناوئة للثورة.

لقد كان للانتصارات القتالية الأولى التي حققها الجيش الأحمر، دور عظيم في حياة بلاد السوفييت وتقرير مصير شعوبها. ولم تستطع حكومة كايزيروف الألمانية تحقيق أهدافها في تدمير الجمهورية الفتية. ولذلك فإنها اضطرت للتوقف عن مواصلة الهجوم وعقد اتفاقية السلام، عندما رأت أن الحرب ستطول وستكون في غير صالحها. وفي الثالث من شهر آذار (مارس) عام ١٩١٨، وقعت في مدينة بريست ليتوفيسك اتفاقية الصلح مع ألمانيا، تلك الإتفاقية القاسية على الدولة السوفييتية، والضرورية في الوقت نفسه، لإنقاذ منجزات الثورة من الضياع.

في الرابع من آذار (مارس) عام ١٩١٨ ومن أجل قيادة الأعمال الحربية وتنظيم الجيش، شكل المجلس العسكري الأعلى، الذي وضع خطة لتأسيس جيش قوامه ١٫٥ مليون رجل، وتنظيم التشكيلات حسب ملاكات موحدة ووضع خطة للإنتشار الاستراتيجي لهذه التشكيلات. ونظراً الى اتساع أبعاد الحرب الأهلية ومستوياتها، فإن مبدأ التطوع لاستكمال القوات أصبح غير قادر على تأمين احتياجات الجيش الجديد المراد تأسيسه والقادر على صد عدوان القوى المضادة للثورة من الداخل والخارج. وفي نهاية شهر نيسان (ابريل) عام ١٩١٨، كان تعداد الجيش ١٩٦ ألف رجل. ولذلك فإن الخدمة العسكرية الإلزامية أصبحت شرطاً هاماً وضرورياً لبناء ذلك الجيش النظامي الجماهيري. وهكذا، فقد طبقت الخدمة

الإلزامية بناءً على القرار الصادر عن اللجنة العسكرية المركزية في التاسع والعشرين من شهر أيار (مايو) عام ١٩١٨.

إن الانتقال إلى المبدأ الجديد في الاستكمال كان قد تحقق عن طريق تشكيل هيئات للقيادة العسكرية المحلية (الإقليمية)، وتطبيق قرار اللجنة العسكرية المركزية الصادر في ٢٢ نيسان (ابريل) عام ١٩١٨ بشأن التدريب العسكري العام، والعدول عن مبدأ الإنتقاء، والعمل على تعيين القادة في مناصبهم حسب الكفاءات. وقد لعبت الأركان العامة لعموم روسيا التي شكلت في ٨ أيار (مايو) عام ١٩١٨، بدلاً من هيئة عموم روسيا لتشكيل الجيش الأحمر، دوراً كبيراً في الانتقال إلى الخدمة العسكرية الإلزامية. فقد أخذت هذه الأركان على عاتقها كافة مسائل التعبئة والتشكيل وبناء القوات وتدريبها، كما أنها تولت مسائل إعداد الملاكات والأنظمة والتعليمات. وأصبحت المناطق العسكرية الداخلية وكافة هيئات القيادة العسكرية المحلية تابعة لهذه الأركان.

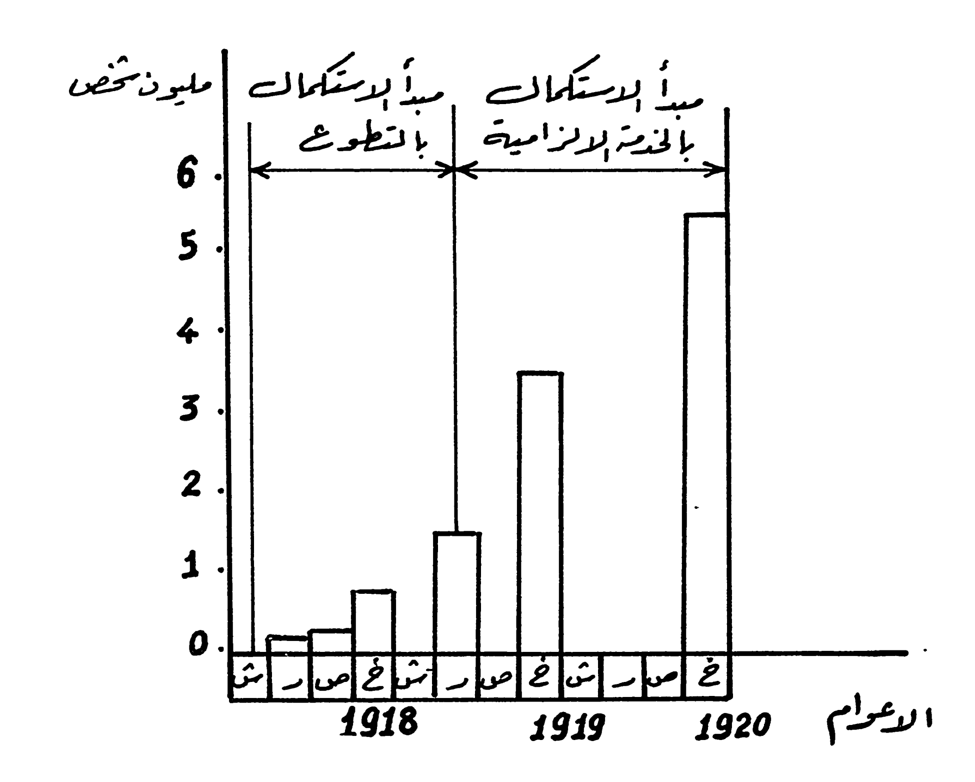
في الثاني من أيلول (سبتمبر) عام ١٩١٨، وفي الوقت نفسه الذي أعلن فيه عن أن البلاد تحولت إلى معسكر حرب، تم تشكيل المجلس العسكري الثوري للجمهورية بدلاً من المجلس العسكري الأعلى، وأصبحت قيادة الجيش العامل تتم عن طريق القائد العام لكافة القوات المسلحة في الجمهورية، الذي كان عضواً من أعضاء المجلس العسكري الثوري للجمهورية. وفي صيف وخريف عام ١٩١٨ بدأ تجميع القطعات والتشكيلات التابعة للجيش العامل في جحافل (جيوش ميدانية وجبهات) تحت قيادة المجالس العسكرية الثورية التي يتراوح قوام كل منها بين ثلاثة وأربعة أشخاص. وفي خريف عام ١٩١٩ كانت القوات المسلحة السوفييتية تعمل على سبع جبهات، قوام كل منها يتراوح بين جيشين وخمسة جيوش ميدانية.

ونظراً لاتساع أبعاد الحرب الأهلية تمّ في الثلاثين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨ تشكيل مجلس دفاع العمال والفلاحين برئاسة ف. إ. لينين. فكان هذا المجلس عبارة عن هيئة استثنائية في الدول السوفييتية، تتمتّع بكافة الحقوق والصلاحيات لتعبئةَ قوى البلاد ومواردها من أجل الدفاع عن الوطن.

إن هذا المبدأ الجديد لاستكمال القوات المسلحة استطاع أن يؤمن زيادة كبيرة في تعداد الجيش السوفييتي. ففي نهاية تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩١٨ ازداد تعداد هذا الجيش بمقدار أربعة أضعاف عمّا كان عليه في شهر أيار (مايو) من العام نفسه، أي إن هذا التعداد بلغ حوالي ٨٠٠ ألف رجل (انظر الشكل رقم ١٦).

كانت القوات البرية تشكل العمود الفقري للجيش الأحمر، وكانت القوات الأكثر عدداً من سواها نظراً لظروف الحرب وطبيعتها آنذاك. وقد ضمت هذه القوات المشاة والخيالة والمدفعية والقطعات الفنية. كما أن فرقة المشاة المؤلفة من ثلاثة ألوية في كل منها ثلاثة أفواج والتي قوامها يتراوح وسطياً بين

١٠ ــ ١٥ ألف رجل و ٢٠ ــ ٣٠ مدفعاً و ١٥٠ ــ ٢٠٠ رشاش، تعتبر أعلى تشكيل تكتيكي في الجيش السوفييتي . وقد ضمّت هذه الفرقة في قوامها أيضاً فوجاً من الخيالة .



(الشكل رقم ١٦) ــ بياني تطور تعداد الجيش الأحمر خلال سنوات الحرب الأهلية .

ش = شتاء؛ ر = ربيع؛ ص = صيف؛ خ = خريف .

إن الطبيعة المناورة للحرب الأهلية هي التي حدّدت الدور الكبير للخيالة في خوض العمليات العسكرية . إلا أنه حتى منتصف عام ١٩١٩ لم تولَ الأهمية اللازمة لتطوير الخيالة السوفييتية . فالجيش السوفييتي العامل كان يضم في قوامه خمس فرق خيالة فقط وبعض قطعات الفرسان المستقلة . ومنذ صيف عام ١٩١٩ ، وبعد أن قدرت الحكومة السوفييتية دور الخيالة حق قدره في الحرب المناورة، اتخذت قرارها بتنظيم تشكيلات جديدة من الخيالة .

كانت فرقة الخيالة تتألف من لواءين ــ ثلاثة ألوية ، في كل منها فوجان . أما تعداد الفرقة فقد بلغ وسطياً نحو ٨ آلاف رجل و ١٦ مدفعاً ؛ كما استخدمت القطارات والعربات المدرعة كواسطة للمناورة على نطاق واسع . وفي خريف عام ١٩٢٠ كان الجيش الأحمر يضم أكثر من مئة قطار مدرّع و ٥١ مفرزة مدرعة يضم كل منها أربع عربات مصفحة .

لقد كان الجيش المشترك هو الذي يضم في قوامه عدداً غير ثابت من الفرق والذي يتبدل قوامه تبعاً لأهمية الاتجاه العملياتي للجحفل العملياتي الأساسي للقوات البرية . كما أن الجبهة كانت تعتبر الجحفل الأعلى في قوام هذه القوات لأنها تضم عدداً من الجيوش وهي قادرة وبصورة مستقلة على تنفيذ المهام على

الاتجاه الاستراتيجي أو مسرح الأعمال الحربية. ولأول مرة في تاريخ التطبيق العملي العسكري تشكل جيوش الخيالة التي لعبت دوراً كبيراً في تنفيذ الأعمال المناورة على الجبهات الرئيسية للحرب الأهلية.

كان طيران الجيش الأحمر قليل العدد ومؤلفاً من مفارز جوية تدخل في قوام الجيوش الميدانية المشتركة؛ وعند الضرورة يمكن لهذه المفارز الجوية أن توحد جهودها للعمل على مستوى الجبهة. وفي شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩١٨ أصبح في حوزة الجيش الأحمر نحو ٤٣٥ طائرة و٢٦٩ طياراً و ٥٩ طياراً ـــ راصداً.

واستطاعت قوات التدخل العسكري الأجنبي عزل الجمهورية السوفييتية عن بحارها من الشمال والجنوب ومن الشرق الأقصى. أما الأسطول السوفييتي فلم يكن يتواجد إلا في بحر البلطيق. وهكذا فإن الموقف كان يفرض تشكيل أسطول صغير في بحر قزوين وتشكيل عدد آخر من الأساطيل الصغرى للعمل في البحيرات والأنهار. أما سفن أسطول البحر الأسود فقد أغرقت بناء على قرار من الحكومة السوفييتية خوفاً من الاستيلاء عليها كغنائم للعدو، كما أن الكثير من البحارة الذين شكلوا قطعات مستقلة قاتلوا على الجبهات البرية.

إن النقص الشديد في الكوادر القيادية المدربة كان من بين المصاعب الأساسية التي تواجه عملية تشكيل القوات المسلحة السوفييتية. فدون قادة مخلصين ومتعلمين تعليماً كافياً ومؤمنين بأهداف الثورة والشعب لا يمكن تأسيس الجيش الجديد وتنظيم تدريبه القتالي وتربيته السياسية. لذلك، فقد اختيرت الكوادر القيادية من بين صفوف العمال والفلاحين الكادحين ذوي الخبرة القتالية. وفي أثناء الحرب الأهلية أقيمت شبكة واسعة من المنشآت التعليمية العسكرية تشتمل على ٦ آكاديميات عسكرية وأكثر من ١٥٠ مدرسة ومركزاً للتدريب، استطاعت أن تُعِدَّ لصالح الجيش الأحمر ٦٠ ألف قائد من مختلف الإختصاصات.

لقد كان لمعالجة المسألة المتعلقة بالاستفادة من معلومات وخبرات ضباط الجيش القديم أهمية كبيرة في بناء الجيش الأحمر. فخلال الفترة ما بين ١٩١٨ و ١٩٢٠ تطوّع أو عُبّىء في الجيش الأحمر أكثر من ٤٤ ألف ضابط من مختلف الرتب. إلا أن بعض هؤلاء الضباط الذين تمت تعبئتهم في الجيش الجديد غدروا بالنظام السوفييتي وتحولوا إلى جانب العدو، لكن غالبية الإختصاصيين العسكريين من الجيش القديم خدموا في صفوف الجيش الأحمر والأسطول بشرف وإخلاص.

ونظراً لإلتحاق أعداد كبيرة من الضباط القدامى بالجيش السوفييتي الجديد، فقد شكل مجلس مفوضي الشعب السوفييتي في ربيع ١٩١٨ مركزاً لتدريب المفوضين العسكريين من أجل الإشراف على نشاطات هؤلاء الضباط القدامى في كل مكان.

وهكذا فإن قيادات القطعات والتشكيلات أصبحت تضم قادة ومفوضين مسؤولين بالتساوي عن

حالة القوات التابعة إليهم وعن تنفيذ المهام القتالية ؛ أما المشكلة الأصعب فكانت تتمثل في تنظيم إمداد الجيش الأحمر . فالمناطق التي احتلتها القوات الأجنبية وقوات الحرس الأبيض كانت تنتج قبل اندلاع الحرب الأهلية ٨٥٪ من فلزات الحديد ، و ٩٠٪ من الفحم الحجري المستخرج في روسيا ، وكافة إمدادات النفط والقطن تقريباً ، ونحو ٣/٤ الحديد الخام والفولاذ والسكر ومعظم غلال القمح . وهكذا فقد أصبحت المناطق الصناعية معزولة تماماً عن مصادر الإمداد الرئيسية ، كما أن المؤسسات الصناعية أصبحت متوقفة عن العمل تقريباً وأن نحو ٣٥٠٠ معمل أصبحت في الأراضي المحتلة من بين ٥٤٠٢ معمل كانت تنتج الأسلحة والمعدات العسكرية .

ومن أجل تعبئة كافة موارد البلاد وطاقاتها لأغراض الدفاع ، اتخذت الحكومة السوفييتية عدداً من التدابير الاستثنائية التي أطلق عليها اسم سياسة الشيوعية العسكرية . وبالإضافة إلى الصناعات الثقيلة فقد أقيمت الصناعات المتوسطة والخفيفة ، كما فرضت القيود على التجارة الخاصة ووضعت يدها على موارد الحبوب . إن مثل هذه السياسة الاقتصادية إضافة إلى الأعمال المتفانية التي قام بها الكادحون لصالح جبهات القتال ، مكّنت الجيش الأحمر من الصمود أمام زحف القوات الأجنبية والحرس الأبيض ومن ثم مهاجمة هذه القوات وسحقها .

لذا ، فإن التدابير التي اتخذتها الحكومة السوفييتية في الوقت المناسب ومع مراعاة خصائص تطور الدولة الاشتراكية الفتية وشروط الموقف الداخلي والخارجي ، ساعدت على تشكيل نوع جديد من القوات المسلحة خلال وقت قصير ، ألا وهو الجيش الأحمر للعمال والفلاحين القادر على حماية مكتسبات ثورة اكتوبر الاشتراكية .

٣ ـ ٣ ـ سحق التدخل العسكري الخارجي ، والثورة الداخلية المضادة

إن الحرب الأهلية هي صراع مسلح منظم من أجل السلطة بين الطبقات والفئات الاجتماعية داخل البلاد . لقد ظهرت الحروب الأهلية عبر التاريخ مع ظهور الطبقات والدول . فالخلافات في المجتمع المتناقض ، وفي المجالات الاجتماعية والاقتصادية يمكن أن تأخذ ، في مرحلة معينة ، شكل النزاع الاجتماعي الذي تزداد حدته حتى يتحول إلى صدام مسلح . أما الأسباب المولّدة للحرب الأهلية والظروف التي تتسع وتتطور فيها هذه الحرب ، وخصائص هذا النوع من الحروب ، فإنها تتحدد تبعاً لتوزع القوى الطبقية داخل البلاد وعلى الحلبة الدولية . وقد ترتبط الحروب الأهلية بالحروب بين الدول وبالصراع ضد تدخل خارجي وبحركات التحرر الوطني .

أما التاريخ المعاصر فإنه يتميز بالحروب الأهلية التي تتصارع فيها أطراف تمثلها الطبقات التقدمية والرجعية والطبقات المضطهَدة والمسيطرة ، وبالنسبة لعصر الأمبريالية فإنه يشهد حروباً أهلية تشمل البلاد بأسرها . وفي مثل هذه الحروب يمتلك كل طرف من الأطراف المتصارعة القوى والوسائط الخاصة به من

أجل خوض الأعمال الحربية وعناصر وهيئات قيادية سياسية وعسكرية . وأهم هذه الحروب تلك الحرب الأهلية التي حدثت في روسيا خلال الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢٠ .

ومن أجل تسهيل دراسة خصائص نشوء الفن العسكري السوفييتي وتطوره ، تقسم أحداث الحرب الأهلية في روسيا عادة إلى ثلاث مراحل رئيسية :

أولاً ، انتشار قوات التدخل العسكري للدول الأمبريالية واندلاع الحرب الأهلية ابتداء من أيار (مايو) ١٩١٨ حتى آذار (مارس) ١٩١٩ ، حيث تمّ بنجاح صدّ محاولات قوات التدخل والحرس الأبيض لتدمير النظام السوفييتي .

ثانياً ، الانتصارات الحاسمة على قوى التدخل المشتركة التابعة للقوات الأجنبية والثورة الداخلية المضادة ابتداء من آذار (مارس) ١٩١٩ حتى آذار (مارس) ١٩٢٠ ، حيث تعرض الجيش المناوىء للثورة بقيادة الأميرال كولتشاك العامل في شرقي البلاد وجيش الثورة المضادة الجنوبية بقيادة الجنرال دينيكين إلى السحق والتدمير بالكامل ، وفي الوقت ذاته دافعت قوات الثورة بنجاح عن مدينة بتروغراد الثائرة .

ثالثاً ، النضال ضد تدخل البورجوازية والإقطاعية البولونية وسحق آخر قوة للثورة المضادة الروسية ، أي جيش بارون فرانجيل في شبه جزيرة القرم الذي استمر من شهر نيسان (ابريل) وحتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ دخلت الجمهورية السوفييتية في مرحلة البناء الاشتراكي السلمي وبدأت بتسريح المعبئين في الجيش الأحمر والعودة إلى ملاك زمن السلم ، إلا أنه في بعض المناطق النائية من البلاد مثل جنوب القفقاس وآسيا والشرق الأقصى لم يتم السحق النهائي للحرس الأبيض وطرد القوات الداخلية إلا في الفترة ما بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٢ .

إن سبب اندلاع الحرب الأهلية هذه هو محاولة البورجوازية والاقطاعية في روسيا استعادة السلطة في البلاد عن طريق الصراع المسلح . غير أنها لم تستطع خوض الحرب ضد الشعب إلا بالمؤازرة الفعالة من جانب الأمبرياليين الأجانب ، كما أن البؤر الأولى للثورة المضادة ظهرت على مراحل وفي بعض المناطق من البلاد . ولذلك فقد تم القضاء عليها دون صعوبة وبقوى مفارز الحرس الأحمر والجنود البحارة الثوريين ، على الرغم من دعم الأمبريالية العالمية لهذه البؤر المضادة للثورة . وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ وفي منطقة ياصي عُقد اجتماع للممثلين العسكريين التابعين لبلدان التدخل وقيادة الجبهتين الجنوبية ــ الغربية والرومانية ، وقد أعدت في هذا الاجتماع خطة الأعمال الحربية في الجنوب ضد السلطة السوفييتية باشتراك القوات الرومانية في منطقة بيسارابيا ، والفيلق التشيكوسلوفاكي وقوات المجلس المركزي في أوكرانيا . وفي ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) أيضاً عقد اجتماع ضم رؤساء كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا ، اتخذ فيه القرار لتقديم الدعم إلى القوميين في مناطق جنوب القفقاس . وفي ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) قرر مؤتمر ممثلي بلدان التدخل الذي عقد في باريس ، إقامة الاتصال مع الحكومات الأوكرانية المضادة للثورة ومع الحكومات التي شكلت في مناطق القوزاق وسيبيريا والقفقاس وفنلندة . وفي اليوم التالي عقدت اتفاقية انكليزية ــ فرنسية حول تقرير مصير المناطق التي ستعمل فيها

القوات البريطانية والفرنسية ضمن الأراضي الروسية. وهكذا فقد استعدت هذه البلدان للتدخل آخذة بعين الاعتبار قمع الثورة الاشتراكية وتقسيم واستعمار روسيا في الوقت نفسه.

٣ ـ ٣ ـ ١ ـ بداية التدخل العسكري الخارجي واندلاع الحرب الأهلية أيار (مايو) ١٩١٨ ـ آذار (مارس) ١٩١٩ م

في الثالث من آذار (مارس) عام ١٩١٨ كانت الحكومة السوفييتية مرغمة على توقيع معاهدة للسلام مع حكومة كيزيروف الألمانية في مدينة بريست ـ ليتوفيسك، وذلك من أجل تأمين فترة السلم الضرورية للبلاد. وفي ربيع عام ١٩١٨ كان الموقف في البلاد متوتراً إلى حد كبير. فقد عمّ الجوع البلاد بأسرها، وفي القرى نشب الصراع الطبقي الشرس بين الفقراء وكبار الملاكين الذين أخذوا يقاومون السياسة التموينية للسلطة السوفييتية بقوة السلاح؛ كما نشط السماسرة والبورجوازيون الصغار من أجل توسيع القاعدة الاجتماعية المناسبة لعمل الثورة المضادة.

لقد أثار صلح بريست ـ ليتوفيسك غضب الأمبرياليين الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين واليابانيين على حد سواء. لذلك قرر هؤلاء تصعيد أعمالهم، والبدء بالتدخل العسكري ضد روسيا السوفييتية. وفي الخامس عشر من شهر آذار (مارس) عام ١٩١٨ عقد في لندن مؤتمر ضم رؤساء وزارات خارجية دول التدخل، واتخذ في هذا المؤتمر قرار حول «التدخل المشترك في روسيا الاشتراكية».

ومن أجل تطبيق هذا القرار نزلت خلال آذار (مارس) ونيسان (ابريل) عام ١٩١٨ قوات إنزال بريطانية وأمريكية وفرنسية في منطقتي مورمانشك ومنطقة فلاديفوستوك، وانضم إلى هذه القوات في شهر آب (اغسطس) فيلق الحملة الأمريكية وقطعات جديدة من القوات البريطانية والفرنسية والايطالية. وهكذا بدأ التدخل العسكري المكشوف للدول الأمبريالية الغربية واليابان ضد الجمهورية السوفييتية الفتية. لقد بدأ هذا التدخل دون إعلان رسمي للحرب وخفية عن شعوب هذه البلدان، كما أن الأهداف الأمبريالية لهذا التدخل أعلنت تحت ستار من البيانات الكاذبة حول رغبة «الحلفاء» في مساعدة الشعب الروسي للقضاء على «الفوضى» و «إنقاذ روسيا من الألمان». وفي منتصف شهر نيسان (ابريل) عام ١٩١٨ وتحت ضغط من الأمبريالية الدولية خرقت القوات الألمانية بنود اتفاقية الصلح واستولت على شبه جزيرة القرم، كما احتلت مدينة روستوفنا ـ دونا ونزلت في منطقة جورجيا أيضاً. وفي هذه الفترة بالذات تدخلت القوات التركية أيضاً في مناطق جنوب القفقاس.

كانت الفكرة الاستراتيجية للدول الأمبريالية والثورة المضادة في صيف عام ١٩١٨، تتمثل في الاستيلاء على المناطق الصناعية والزراعية الهامة في شرق وجنوب روسيا السوفييتية، وتضييق نطاق الجبهات حول مركز «عاصمة» الجمهورية السوفييتية، وعزلها نهائياً عن العالم الخارجي ومن ثم القضاء على الدولة السوفييتية الفتية.

استخدم الأمبرياليون الفيلق التشيكوسلوفاكي، الذي أعلن تمرده في نهاية شهر أيار (مايو)، كقوة

ضارية معادية للسوفييت . لقد تم تشكيل هذا الفيلق في روسيا إبان الحرب العالمية الأولى ممن بين التشيك والسلوفاك الذين وقعوا في الأسر ، وكانت الحكومة السوفييتية قد سمحت له بالتحرك عبر سيبيريا والشرق الأقصى إلى فرنسا للمشاركة في الحرب ضد ألمانيا .

وقد تسنَّى لستين قافلة من هؤلاء المتمردين ، بالتعاون مع الحرس الأبيض الروسي الذين انتشروا على طول امتداد السكة الحديدية من نهر الفولغا حتى فلاديفوستك ، الاستيلاء على قسم كبير من : بوفولفا والأورال ، وسيبيريا خلال شهري حزيران (يونيو) وتموز (يوليو) . والجدير بالذكر أن حوالي ربع الأسرى فقط من التشيك والسلوفاك انضموا طواعية إلى الجيش الأحمر وقاتلوا بتفانٍ وإخلاص للدفاع عن السلطة السوفييتية .

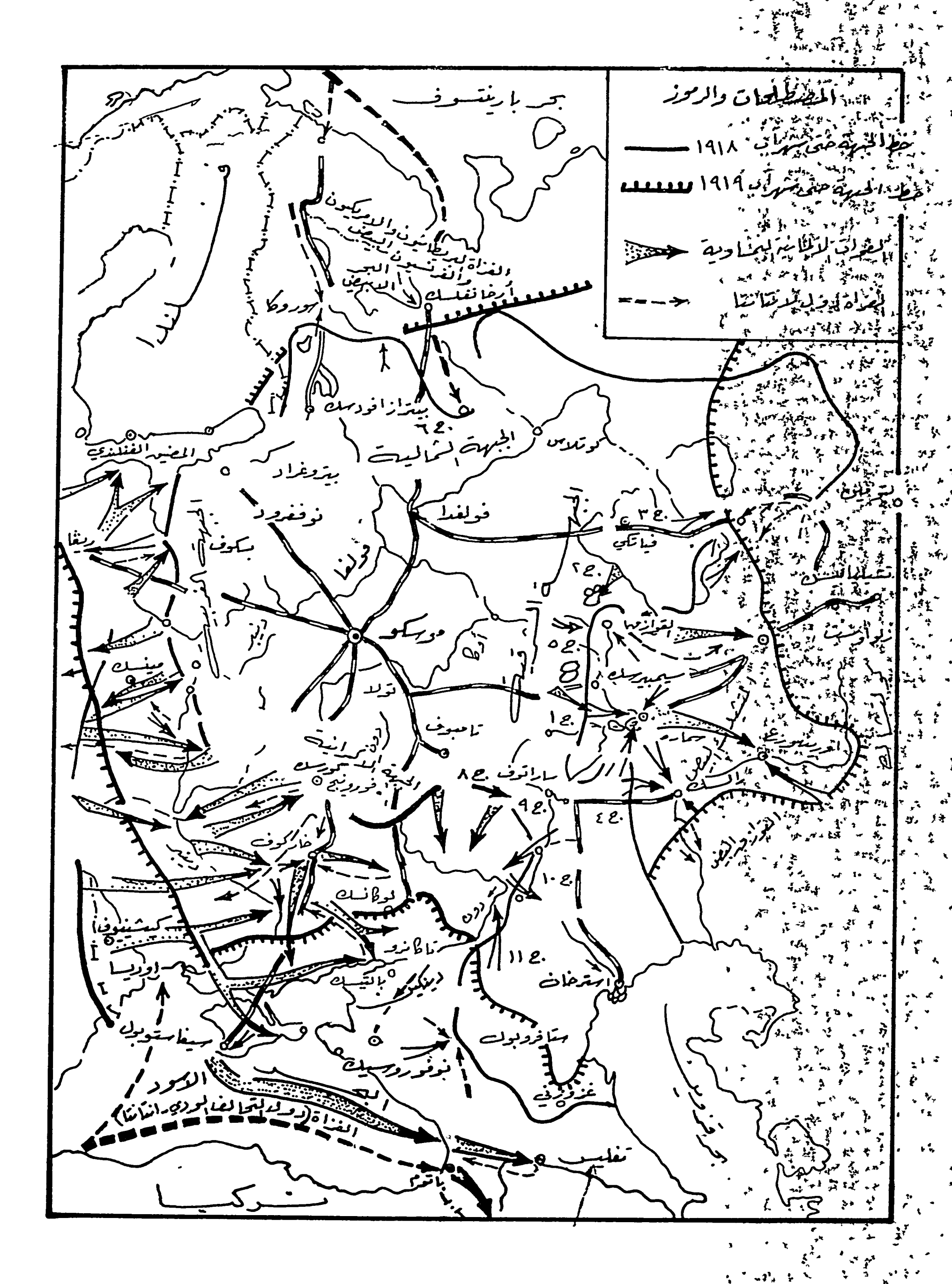
ومع حدوث العصيان في البلاد نشطت كافة القوى المضادة للنظام السوفييتي : كبار المزارعين وزعماء القوزاق ، والبيروقراطيون والبورجوازيون ، والاقطاعيون ، والضباط القيصريون من الجيش القديم . وبالاضافة إلى ذلك فقد ازداد حجم قوات التدخل التي نزلت في الأراضي السوفييتية زيادة كبيرة ، وأصبح الموقف الاستراتيجي في منتصف عام ١٩١٨ في غاية الصعوبة والتعقيد بالنسبة للجيش الأحمر ، لأن الجمهورية السوفييتية تعرضت لحصار اقتصادي وعسكري وأصبحت في مركز دائرة من الجبهات المشتعلة ، كما أن ثلاثة أرباع أراضي الجمهورية أصبح في أيدي قوات الثورة المضادة (الشكل رقم ١٧) ، وتوحدت الجهود المسلحة للدخلاء وجهود الثورة الداخلية المضادة في غاية أساسية واحدة . وفي المناطق المحتلة قام الدخلاء والحرس الأبيض بطرد المجالس المحلية «السوفييت» . وبأبشع الأعمال الوحشية والظلم والتعسف نُقل إلى السجون ومعسكرات الإعتقال في سيبيريا أكثر من ٨٠ ألف شخص ، من بينهم ٤٠ ألف على الأقل ماتوا أثناء التعذيب أو أعدموا .

كانت الحرب الأهلية تتطلب تعبئة كافة القوى والموارد ، وتسخير كل شيء في الحياة لصالح الدفاع عن الوطن السوفييتي ، وأصبحت الخدمة في الجيش الأحمر إلزامية لكافة الكادحين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٤٠ عاماً .

وفي صيف عام ١٩١٨ أصبحت الجبهة الشرقية هي الجبهة الرئيسية في تلك الحرب . وقد تشكلت هذه الجبهة لقيادة كافة القوى العاملة ضد المتمردين التشيكوسلوفاكيين والبورجوازيين وكبار الملاكين المتعاونين معهم. وكانت بمثابة أول جبهة سوفييتية تشكل خلال الصراع المسلح من أجل تنفيذ مهام عملياتية ـــ استراتيجية. وسرعان ما أرسلت إلى الشرق التعزيزات العسكرية من الشيوعيين المعبئين . وخلال المعارك شكلت أفواج وفرق وجيوش نظامية من بين فلول المفارز المبعثرة ، كما تم تشكيل الأسطول الحربي لنهر الفولغا . وفي نهاية صيف ذلك العام ، كان قد شكل في الجبهة الشرقية خمسة جيوش ميدانية ضمّت في قوامها حوالي ٧٠ ألف حربة وسيف و٢١٤ مدفعاً ، وكان في مواجهة هذه الجيوش القوى المعادلة تقريباً من جانب العدو . وفي أيلول (سبتمبر) عام ١٩١٨ شكلت الجبهتان الشمالية والجنوبية ومنطقة الدفاع الغربية ، تحولت هذه المنطقة إلى الجبهة الغربية في شباط (فبراير) عام ١٩١٩ . وهكذا فإن

تشكيل جحافل الجيوش والجبهات النظامية ومركزة قيادة القوات وتعزيز النظام والانضباط ، كل ذلك أدّى إلى زيادة سريعة في القدرة القتالية للجيش الأحمر .

وفي النصف الثاني من شهر آب (اغسطس) انتقلت قوات الجبهة الشرقية التي كانت تعمل في نطاق يزيد عرضه عن ألفي كيلو متر من الدفاع إلى الهجوم ، واستطاعت أن تحرر مدينة قازان بعد أن دحرت قوات العدو وطردتها من الفولغا نحو الأورال ، وكان ذلك نجاحاً هاماً أوجد تحولاً كبيراً في معنويات الجيش الأحمر مما دفعه للإنتقال إلى خوض الأعمال الحاسمة والمظفّرة .

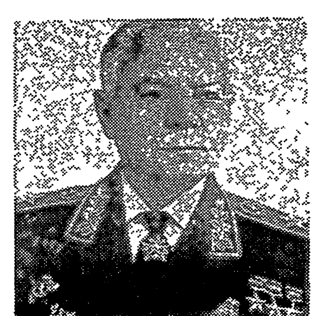


(الشكل رقم ١٧) ـــ الجمهورية السوفييتية ضمن طوق من الجبهات ، شباط (فبراير) ١٩١٨ ـــ آذار (مارس) ١٩١٩ .

إن تحرير بولفولفا على يد الجيش الأحمر خلق الشروط المؤاتية للمناورة بالقوات والعتاد القتالي ، كما أنه ساعد إلى حد كبير على تنظيم إمداد المناطق الوسطى من البلاد بالأرزاق والمحروقات . وفي الوقت نفسه كانت المعارك تدور في الشمال حيث استطاعت قوات الجبهة الشمالية بأعمالها الحاسمة أن تحبط خطط قوات التدخل التي كانت تحاول الإلتقاء مع الثورة المضادة في الشرق . وفي صيف وخريف عام ١٩١٨ كانت المعارك الطاحنة تدور في جنوب البلاد أيضاً ، إذ تمكّنت قوات الجبهة الجنوبية من صد محاولات جيش الدون المؤلف من جنود القوزاق البيض ، والرامية إلى احتلال مناطق فوردينج ، بالاشوف ، وتصاريتصين . وفي شمال القفقاس أوقفت قوات الجيش الأحمر تقدم الجيش الأبيض القوي ، المشكّل من المتطوعين ، الأمر الذي ساعد على تحسين الوضع الاستراتيجي للجمهورية السوفييتية .

لقد اشتد الصراع حول المدن الكبرى وعقد السكك الحديدية . كما أن التمسك بمدن تصاريتصين وكاميشين وبالاشوف حال دون التقاء قوات الحرس الأبيض العاملة في الشرق مع قوات الحرس الأبيض العاملة في الجنوب ، وساعد على تأمين نقل المواد الغذائية لإمداد المناطق الصناعية الوسطى التي تتضوّر جوعاً . كما أن المدافعين عن مدينة فولفي تصاريتصين الكبرى بقيادة ك . ي . فوروشيلوف أظهروا ضروباً خارقة في الصمود والثبات .

كلمنت يغريميوفيتس فوروشيلوف :



يعتبر كلمنت يغريميوفيتس فوروشيلوف (١٨٨١/٢/٤ــ١٩٦٩/١٢/٢) قائداً عسكرياً سوفييتياً وشخصية رسمية كبيرة ، وهو واحد من بين المؤسسين الأوائل للقوات المسلحة السوفييتية . لقد منح هذا القائد اللامع ــ مارشال الاتحاد السوفييتي . ولقب بطل الاتحاد السوفييتي مرتين ، كما منح لقب بطل العمل الاشتراكي . إن هذا القائد الذي خرج من بين صفوف العمال ، وأسهم بنشاط في الحركة الثورية الروسية ، مارس خلال الحرب الأهلية واعتباراً من عام ١٩١٨ قيادة مجموعة قوات تصاريتصين ، كما أنه قاد جيشاً ميدانياً ثم أصبح قائداً لإحدى الجبهات . وبعد الحرب الأهلية أصبح قائداً لمنطقة عسكرية ثم مفوض الدفاع في الاتحاد السوفييتي . وفي سنوات الحرب الوطنية العظمى أصبح عضواً في القيادة العامة العليا . وفي سنوات بعد الحرب أصبح نائباً لرئيس مجلس الوزراء السوفييتي ، ثم رئيساً لمجلس السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفييتي .

لقد قام ك . ي . فوروشيلوف بأعمال جسيمة في مجال تطوير القوات المسلحة السوفييتية ، وساهم مساهمة فعّالة في تطبيق الإصلاح العسكري ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ ، وأولى اهتمامه الكبير لتطوير العتاد الحربي ولدور العلم في خلق القدرة الدفاعية للبلاد ، كما أنه كتب عدداً من المؤلفات حول تعزيز القوات المسلحة السوفييتية ، وعند وفاته دفن في مقبرة الساحة الحمراء في موسكو .

كانت قطعات حامية تصاريتصين أول من نظم ونفذ التعاون بنجاح مع سفن أسطول نهر الفولغا خلال الحرب الأهلية من أجل الدفاع عن تلك المدينة الكبيرة ، فبعد إقامة منشآت دفاعية ميدانية على

مشارف المدينة استطاعت هذه القطعات أن تصد بنجاح هجومين كثيفين للعدو في شهر آب (اغسطس) وفي شهر تشرين الأول (اكتوبر)، ومن ثم انتقلت إلى الهجوم المعاكس. وقد لعب ي. ف. ستالين دوراً كبيراً في تنظيم الدفاع عن مدينة تصاريتصين ونقل المواد الغذائية إلى وسط البلاد، لأنه كان في هذه الفترة مشرفاً على أعمال التموين في جنوب روسيا وموجوداً في مدينة تصاريتصين ذاتها منذ مطلع شهر حزيران (يونيو) عام ١٩١٨. لقد ساعدت انتصارات الجيش الأحمر في صيف وخريف ١٩١٨ على تعزيز موقف الجمهورية السوفييتية، كما أن المحاولة الأولى للتدخل العسكري من جانب الأمبرياليين والحرس الأبيض كانت قد باءت بالفشل الذريع.

وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨ حدثت تبدلات هامة في الموقف السياسي والعسكري، حيث ساعد استسلام ألمانيا، في نهاية الحرب العالمية الأولى واندلاع الثورة فيها بعد الحرب، الجمهورية السوفييتية على إبطال الشروط الفاشية لمعاهدة بريست — ليتوفيسك، والبدء بتحرير المناطق التي يحتلها الأمبرياليون الألمان، إلا أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أصبحت روسيا السوفييتية وجهاً لوجه أمام دول التدخل التي قررت تصعيد تدخلها وتدمير النظام السوفييتي في روسيا. وقد اتفق حلف التدخل بموجب بند خاص من بنود الصلح مع ألمانيا على ضرورة تأخير موعد انسحاب القوات الألمانية من أوكرانيا وروسيا البيضاء ومنطقة البلطيق، آملين بذلك استبدال هذه القوات بقواتهم أو بقوات الحرس الأبيض القومية الموالية لهم، من أجل الإنقضاض على المناطق الجنوبية من روسيا ومن ثم الزحف السريع نحو الداخل ودخول موسكو.

وفي نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨ استولت القوات البريطانية — الفرنسية على كافة الموانىء الواقعة على شواطىء البحر الأسود وعلى شبه جزيرة القرم والمناطق الجنوبية من أوكرانيا. وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩١٨ ظهرت السفن البريطانية أيضاً في موانىء بحر البلطيق.

وبناء على طلب حلف التدخل بدأت الحكومة الألمانية بإجلاء قواتها من استونيا ولاتفيا واليتوانيا وبولونيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا، حيث تشكلت حكومات بورجوازية قومية. وبمساعدة حلف التدخل بدأت هذه الحكومات بتشكيل جيوشها من أجل قمع القوى الثورية المحلية والصراع ضد روسيا السوفييتية. وفي مورمانسك وارخانفيلسك وفلاديفوستك نزلت تشكيلات وقطعات بريطانية وأمريكية ويابانية جديدة، وازدادت حدة الصراع ضد هذه القوى الجديدة على كافة جبهات الوطن السوفييتي. ففي نهاية عام ١٩١٨ بلغ مجموع تعداد قوات التدخل ٤٠٠ ألف رجل منها ١٣٠ ألف رجل في شبه جزيرة القرم وجنوب أوكرانيا.

في هذا الوقت كانت جيوش الحرس الأبيض تضم في قوامها ٧٠٠ ألف رجل، أما الجيش الأحمر فكان قوامه لا يتعدّى ٨٠٠ ألف رجل. كما أن قواته الرئيسية كانت منشغلة على الجبهة الشرقية بينما كانت قوات التدخل والحرس الأبيض الأكثر قدرة على القتال محتشدة في جنوب روسيا.

لقد أخذ الخطر يهدد من جديد مصير المكتسبات الثورية للجمهورية السوفييتية. ولذلك فقد شكل

في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨ مجلس دفاع العمال والفلاحين برئاسة ف. إ. لينين من أجل الإشراف على عمليات الدفاع عن البلاد. وقامت هذه الهيئة الاستثنائية بتنسيق وتوجيه نشاطات المؤسسات المدنية والعسكرية وتأمين الوحدة بين الجبهة والمؤخرة.

لقد قرر الأمبرياليون الدخلاء توجيه الضربة الرئيسية من الجنوب وعلى الاتجاه العام نحو موسكو. وبذلك أصبحت الجبهة الجنوبية هي الجبهة الرئيسية في البلاد، إلا أن قوات التدخل لم تستطع التقدم في عمق البلاد إلاّ لمسافة ١٠٠ — ١٥٠ كم نتيجة لاصطدامها بالمقاومة الصلبة من جانب مفارز الأنصار فور نزول القوات وتوسيع رؤوس الجسور. وعلى أثر تصاعد الحركة الثورية في البلدان الرأسمالية واتساع التناقضات والخلافات بين الأمبرياليين أنفسهم، فإن الحكومات البورجوازية المتدخلة لم تستطع العمل بشكل منسق ومنتظم. كما أنه لم توجد وحدة وتعاون بين جنرالات وقادة الحرس الأبيض. كذلك استطاعت الجمهورية السوفييتية الاستفادة بمهارة من هذه التناقضات والخلافات في استراتيجية وتكتيك النضال ضد قوات التدخل والثورة المضادة الداخلية.

في هذا الموقف الناشيء أخذت القيادة السوفييتية تحشد قواها في بادىء الأمر لسحق جيوش الحرس الأبيض بعد أن منعتها من الالتقاء مع قوات التدخل، ومن ثم وجهت ضربة إلى قوات التدخل المتحالفة. ولذلك فقد أرسل عدد من الفرق وآلاف من المتطوعين نحو جنوب البلاد من المناطق الوسطى ومن الجبهة الشرقية. وفي شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٩ كبّدت الجبهة الجنوبية المستكملة بالاحتياطات جيش كراسنوف هزيمة منكرة وبدأت بتحرير الدونباس. كما أن قوات جبهة أوكرانيا التي شكلت مجدداً شنّت هجوماً قوياً، واستطاعت في مطلع شهر شباط (فبراير) أن تحرر أوكرانيا الجنوبية واندفعت نحو كييف.

لقد حاول الأمبرياليون الدخلاء بكل ما لديهم من قوى وجهود إيقاف هجوم الجيش الأحمر، إلا أن قوات التدخل أصيبت بهزائم متلاحقة خلال المعارك التي دارت في ضواحي خيرسون وأوديسا. واستطاعت المنظمات البلشفية السرية أن تقوم بأعمال الدعاية الواسعة بين صفوف قوات التدخل، وأن تفضح الأهداف العدوانية المناوئة للشعوب والتي تسعى هذه القوات لتحقيقها. وبنتيجة ذلك تمرّد الجنود والبحارة وأخذوا يمتنعون عن القتال ضد الجيش الأحمر ويطالبون بالعودة إلى أوطانهم. كما أن الكثير من السفن الحربية الفرنسية شهدت اضطرابات وحركات احتجاج ورفعت على بعضها الأعلام الحمراء.

وفي شهر نيسان (ابريل) عام ١٩١٩ اضطر الامبرياليون الدخلاء إلى الإسراع في سحب قواتهم من جنوبي أوكرانيا ومن شبه جزيرة القرم. كما أن أعمال قوات التدخل أصيبت بالفشل في شمالي البلاد.

وهكذا، تمكنت الجمهورية السوفييتية الفتية من صدّ الهجوم المباشر الذي شنه الأمبرياليون في عام ١٩١٨، وفي عام ١٩١٩ أوقف هذا الهجوم بصورة نهائية. كما أن خطط الدول الغربية المتحالفة الهادفة إلى خنق السلطة السوفييتية بالقوة المسلحة باءت بالفشل الذريع أيضاً.

عندئذٍ أخذ قادة دول التحالف الأمبريالي يبحثون عن طرق أخرى للصراع ضد السلطة السوفييتية.

وفي مطلع عام ١٩١٩ توجهوا إلى الحكومة السوفييتية وإلى كافة «زعماء» الحرس الأبيض باقتراح لعقد الصلح والدعوة لمؤتمر السلام في جزر برينسيف. إلا أن هذه الدعوة كانت في حد ذاتها مناورة، القصد منها تغطية الفشل الذي أصيب به زعماء البلدان الغربية المتدخلة، نتيجة للنجاحات التي حققها الجيش الأحمر ولتصاعد الحركة الثورية في الدول الغربية. ومع ذلك فإن الحكومة السوفييتية أجابت بالموافقة على هذا الإقتراح، إلا أن زعماء الحرس الأبيض وأنصار مواصلة التدخل العسكري، بقيادة التحالف الغربي الأمبريالي، لم يستجيبوا للدعوة إلى مؤتمر السلام، عاقدين الآمال على جيش الأدميرال كولتشاك في شرقي روسيا وسيبيريا لتحقيق الانتصارات العسكرية التي كانت تراود أذهانهم.

إن المحصلة الرئيسية للمرحلة الأولى من الحرب الأهلية، تتمثل في إحباط مخططات الأمبرياليين المتدخلين الهادفة للقضاء على الجمهورية، حيث تمكن الجيش الأحمر الفتي من تحقيق أولى انتصاراته الهامة على القوات المشتركة للثورة المضادة، وأصبح قادراً ليس على حماية مكتسبات الثورة فحسب، بل وعلى تحرير المناطق الصناعية والزراعية الغنية في كافة أنحاء البلاد.

وخلال المرحلة الأولى من الحرب تم التشكيل المنظم للجيش الأحمر النظامي، فخاض هذا الجيش معارك طاحنة وانتقل من خوض الأعمال القتالية بمفارز مبعثرة إلى القيادة المركزية للقوات وخوض العمليات على مستوى الجيوش والجبهات.

لقد دارت الأعمال القتالية للجبهات والجيوش في نطاقات واسعة، وكانت المناطق الآهلة بالسكان (المدن الكبيرة) وعقد السكك الحديدية، التي تحشد فيها التجميعات الكبيرة من قوات الطرفين، تشكل الأغراض الهامة للصراع، ولم يكن هناك وجود للجبهات المتصلة (المتماسكة) ولا للدفاع المواضعي. كما تميزت أعمال الجيوش والتشكيلات بالاستقلالية الكبيرة، وبرز الطابع المناور لهذه الأعمال التي نفذت لأهداف حاسمة. ومن أجل تحركات القوات استخدمت على نطاق واسع قوافل السكك الحديدية التي كانت تغطيها القطارات المصفّحة.

إن عدم وجود الدفاع المواضعي وضآلة الكثافة بالقوى والوسائط جعلا من غير الممكن توزيع القوات على أنساق في الدفاع وفي الهجوم. كما أنه لم تحدّد خطوط الفصل للجحافل والتشكيلات بينما كانت المهام تسند عادة للتمسك بأغراض هامة أو للاستيلاء على مثل هذه الأغراض.

كان التجهيز الفني للقوات ضعيفاً جداً. حتى إن فرقة المشاة لم يكن في حوزتها سوى عدد محدود من سرايا المدفعية بينما كانت الأفواج محرومة من المدفعية تماماً. ولذلك فإن نيران الأسلحة الخفيفة ومناورة المشاة كانتا تشكلان أساس الهجوم والدفاع. وغالباً ما كانت تستخدم الهجمات بالحراب. وعلى الرغم من أن تسليح وتراتيب قتال القوات ظلت كما هي عليه في الحرب العالمية الأولى، فإن تكتيك القوات السوفييتية حصل على تطور جديد. كما أن قوات الجيش الأحمر تخلّت عن طريقة تنفيذ الهجمات الجبهوية، وأصبحت الطريقة الأساسية لأعمالها هي الإحاطة والإلتفاف حول مجنبات العدو. كما أصبحت المبادرة الجريئة والمناورة

الحاسمة واستخدام المفاجأة والسعي إلى تكثيف القوى والوسائط على الاتجاهات الهامة من الخصائص التي يتميز بها تكتيك القوات السوفييتية. كذلك كانت العربات والقطارات المصفحة، التي حصلت على تحسين وتطوير واسعين منذ اللحظة الأولى لميلاد القوات المسلحة السوفييتية، الواسطة الأكثر فعالية للصراع في الدفاع وفي الهجوم على حد سواء.

وفي المرحلة الأولى من الحرب حصل القادة السوفييت على خبرات جيدة في مجال تنظيم التعاون بين قطعات وتشكيلات المشاة والخيالة من جهة، والمدفعية والقطارات المصفّحة وسفن الأساطيل النهرية من جهة أخرى؛ كما نظم التعاون أيضاً وعلى نطاق واسع مع مفارز الأنصار والمفارز المسلحة من العمال في المراكز الصناعية والمدن الكبرى.

لقد تم تعميم واستخلاص خبرات الأعمال القتالية التي تم الحصول عليها في المرحلة الأولى من الحرب في نظام القتال الذي صدر عام ١٩١٨. وعلى الرغم من أن ذلك النظام كان يشتمل على الكثير من مبادىء نظام الجيش القيصري وأسسه، فإنه أخذ بعين الإعتبار خصائص الحرب الأهلية وخبرات الحرب العالمية الأولى وتجاربها.

٣ ــ ٣ ــ ٢ ــ الإنتصارات الحاسمة على القوات المشتركة للثورة الداخلية المضادة ودول التدخل الأجنبي آذار (مارس) ١٩١٩ ــ آذار (مارس) ١٩٢٠م

في ربيع عام ١٩١٩ كان الوضع الداخلي للجمهورية السوفييتية ما يزال متوتراً وصعباً للغاية. فالجمهورية كانت ما تزال كالسابق ضمن طوق من الجبهات. حتى إن امتداد هذه الجبهات بلغ ثمانية آلاف كيلو متر. كما أن الأمبرياليين البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين واليابانيين وغيرهم في البلدان الأخرى قرروا مواصلة التدخل على الرغم من الهزائم التي لحقت بقواتهم. ففي هذه المرحلة قرر التحالف الأمبريالي تنظيم حملة جديدة ضد روسيا السوفييتية على نطاق أوسع. وبموجب خطة الحملة التي وضعت في السادس من آذار (مارس) عام ١٩١٩ في باريس، أسندت إلى كافة القوى المضادة للنظام السوفييتي داخل البلاد وفي الدول البورجوازية المناوئة للجمهورية مهمة شن هجوم شامل على كافة حدود روسيا والضغط على البلاشفة ومحاصرتهم في عاصمتهم موسكو.

وحسب تقديرات قيادة الجيش الأحمر كان ميزان القوى على الجبهات في هذه المرحلة يميل لصالح العدو، حيث بلغ تعداد قوات التدخل والحرس الأبيض ٥١١ ألف رجل. وبموجب حسابات التحالف الأمبريالي، كان ينبغي على البلدان البورجوازية الصغيرة المتاخمة لروسيا أن تخصص ٤٥٠ ألف جندي لصالح هذه الحملة. وعند بدء الأعمال العسكرية كان جيش كولتشاك وجيش دينيكين قد حصلا من دول التدخل على ٧٨٠ ألف بندقية وأكثر من ٤ آلاف رشاش ومئات المدافع وأكثر من ١٠٠ دبابة وعربة

مصفّحة وأكثر من ٣٠٠ طائرة وأكثر من ١٣٠٠ سيارة، وعدد كبير من التجهيزات والذخائر. كما أن عدداً كبيراً من الخبراء العسكريين الأجانب التحق بقوات الحرس الأبيض لتقديم المساعدة اللازمة.

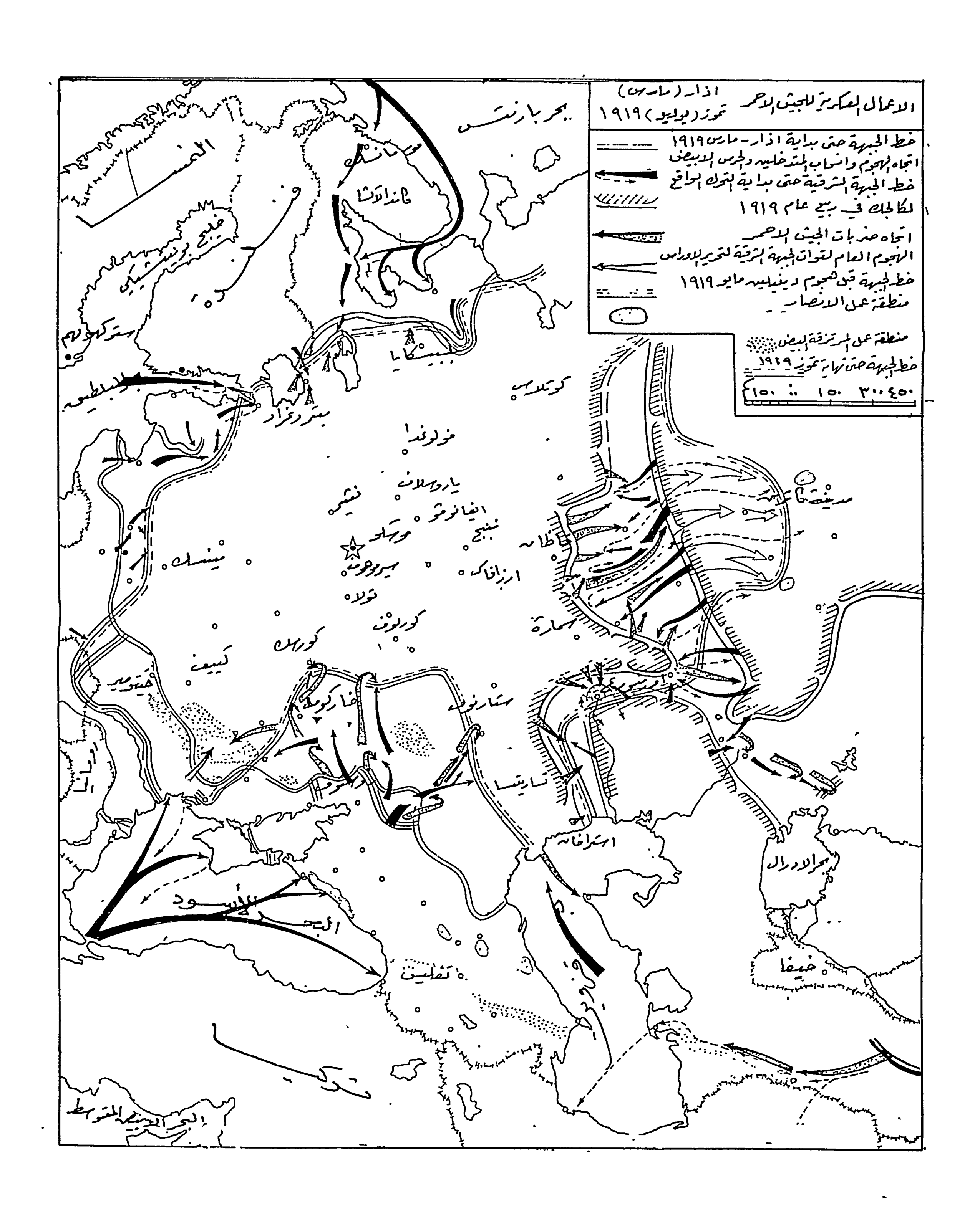
لقد كان جيش كولتشاك وجيش دينيكين يمثلان القوة الضاربة الرئيسية لقوات التحالف، إذ إن كولتشاك وجّه ضربته الرئيسية نحو الشرق بينما وجه يودينيتش الضربة المساعدة باتجاه بتروغراد، ومن الجنوب وجّه الضربة دينيكين ومن الشمال وجه ميللر ضربته (انظر الشكل رقم ١٨ الأعمال العسكرية للجيش الأحمر آذار/مارس ـــ تموز/يوليو ١٩١٩).

كانت قوات الجيش الأحمر تضم ٣٨٢ ألف مقاتل، وفي المناطق الداخلية كان يعمل حوالي ٦٠ ألف مقاتل آخر، وفي القوات المساعدة حوالي ١٨٣ ألف رجل؛ كما كان في حوزة الجيش العامل ٦٥٦١ رشاشاً و١٦٩٧ مدفعاً. والجدير بالذكر أن قسماً كبيراً من قوات الجيش الأحمر كان منشغلاً في مكافحة الحركات المضادة للثورة وحراسة طرق المواصلات، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها قوى الشعب فإن الجيش الأحمر ظل يعاني من نقص كبير في الاحتياطات والإمدادات بالوسائط المادية. ولذلك فإن قيادة الجيش الأحمر اضطرت للمناورة بالاحتياطات بصورة مستمرة، موجهة القسم الأكبر من الأسلحة والذخائر إلى تلك الجبهات التي كانت تشهد المواقع الحاسمة. وبفضل ذلك تمّ تأمين الفرق العاملة على الاتجاهات الرئيسية بالأسلحة والذخائر بشكل مرضٍ.

وفي الرابع من آذار (مارس) عام ١٩١٩، وبدعم من قوات القوزاق الأبيض العاملة في الأورال وأورنبورغ، انتقلت قوات كولتشاك إلى الهجوم مستفيدة من تفوقها العددي، فاستطاعت احتلال مدينة أوفا وبدأت بالتحرك نحو الفولغا؛ وأسندت قيادة التحالف الأمبريالي إلى كولتشاك مهمة الإلتقاء مع قوات دينيكين، والقيام بحملة مشتركة نحو موسكو. وفي الوقت نفسه، الذي هاجم فيه كولتشاك، كانت قوات البولاك الأبيض تقوم بأعمال قتالية نشيطة. وهكذا فإن وضع الجمهورية السوفييتية أخذ يزداد سوءاً إلى درجة كبيرة، إلا أن الموقف المعقد بصورة خاصة ظهر في الشرق، حيث أصبح الشريان المائي الرئيسي ـــ الفولغا ـــ في خطر؛ كما أن احتياطات الحبوب المكدّسة في حوض نهر الفولغا والأورال الأدنى كانت مهددة بالاستيلاء عليها.

وأصبحت الجبهة الشرقية من جديد، كما كان الحال في صيف عام ١٩١٨، هي الجبهة الرئيسية للجمهورية، واستعدت البلاد بسرعة لتعزيز هذه الجبهة، كما اتخذت تدابير نشيطة لزيادة إنتاج الأسلحة وتحسين عمل وسائط النقل.

ومن أجل تنفيذ المهام لسحق جيش كولتشاك بفعالية وحسمية كبيرتين فقد تقرر ـــ على ضوء واقع تجميع القوات الصديقة وقوات العدو، وخصائص مسرح الأعمال الحربية والصعوبة في قيادة الجيوش التي انتشرت على جبهة عريضة ـــ تقسيم قوات الجبهة الشرقية إلى مجموعتين عمليتين: المجموعة الجنوبية بقوام أربعة جيوش، والمجموعة الشمالية بقوام جيشين، إلا أن المهمة الرئيسية لسحق التجميع الرئيسي للعدو، ألقيت على عاتق المجموعة الجنوبية بقيادة م. ف. فرونزه.



(الشكل رقم ١٨) الأعمال العسكرية للجيش الأحمر آذار (مارس) ـ تموز (يوليو) ١٩١٩

فرونزه ميخائيل فاسيليفيتش :



فرونزه ميخائيل فاسيليفيتش (٢/٢/١٨٨٥ ـــ ١١/١٠/١٩٢٥)، وهو شخصية سوفييتية عسكرية ورسمية ، كما أنه قائد بارز ومنظّر عسكري لامع ، وهو واحد من بين المؤسسين والمنظّمين الأوائل للقوات المسلحة السوفييتية . لقد نشأ في أسرة فلاح روسي ، وشارك بنشاط في الحركة الثورية الروسية ، وانضمّ إلى الجيش الأحمر بمهمة حزبية في نهاية عام ١٩١٨ حيث عيّن في منصب قائد جيش . وبعد أن أظهر إمكاناته الخلاّقة والمبدعة ، وعبقريته القيادية ، حصل م . ف . فرونزه على منصب قائد قوات جبهة ، وأشرف بنفسه على عملية سحق جيش كولتشاك ، وتحرير تركستان ، ثم حقق انتصاراً حاسماً على قوات فرانجيل في شبه جزيرة القرم .

وفي السنوات التي أعقبت الحرب ، تسلّم منصب قائد القوات المسلحة في أوكرانيا وشبه جزيرة القرم ، ثم منصب رئيس أركان الجيش الأحمر للعمال والفلاحين ، وفي الوقت نفسه كان مديراً للآكاديمية العسكرية ، ومفوضاً شعبياً للشؤون الحربية والبحرية ورئيساً للمجلس الثوري العسكري في الجمهورية . كما وضع عدداً من المؤلفات الهامة ، التي تعمم الخبرات والتجارب المستفادة في بناء القوات المسلحة السوفييتية . دفن في مقبرة الساحة الحمراء في موسكو .

إن خطة العمليات التي وضعها م . ف . فرونزه كانت تقضي بأن يقوم قسم من القوات بتثبيت العدو في الجبهة (من الأمام) ، وتوجيه الضربة الرئيسية من الجنوب نحو الشمال ، من منطقة بوزودوك نحو بوغوروسلان ، الأمر الذي مكّن قوات التجميع الجنوبي من الوصول إلى مؤخرة العدو وتدمير قواته الرئيسية . لقد تميزت فكرة قيادة المجموعة الجنوبية بالجرأة الكبيرة والحسمية ، إذ أسندت إلى قواتها مهمة الانتقال إلى الهجوم المعاكس وتوجيه الضربة الجانبية المفاجئة لسحق التجميع الرئيسي لقوات الحرس الأبيض وانتزاع زمام المبادرة من يد هذه القوات .

لقد جرى تنظيم وتحضير الهجوم المعاكس خلال وقت قصير ، وفي ظروف كان زمام المبادرة فيها ما زال في يد العدو ، الذي يشن الهجوم الناجح . وتطلبت هذه الشروط من قيادة المجموعة الجنوبية مرونة كبيرة في القيادة وعملاً تنظيمياً هائلاً . وبدأ الهجوم المعاكس بصورة مفاجئة بالنسبة للعدو ، وفي الوقت الذي بعثر فيه العدو تجميعه الضارب واستنفد بالكامل إمكاناته الهجومية ، إلا أنه لم يكن قد انتقل إلى الدفاع بعد .

خلال الهجوم المعاكس ، وفي الفترة ما بين ٢٨ نيسان (ابريل) و١٩ تموز (يوليو) ، قامت قوات المجموعة الجنوبية بثلاث عمليات متلاحقة وناجحة : عملية بورغوروسلان ، وعملية بيليبيف ، وعملية أوفيم ، وألحقت بقوات كولتشاك هزيمة نكراء بعد أن دحرت العدو إلى ما وراء نهر بيللايا . وفي نهاية شهر حزيران (يونيو) تحول الهجوم المعاكس إلى هجوم عام قامت به جيوش الجبهة الشرقية ، التي أصبحت بقيادة م . ف . فرونزه . وفي صيف عام ١٩١٩ وجّهت هذه الجبهة عدداً من الضربات الجديدة إلى جيوش كولتشاك وحررت الأورال ، وبدأ الجيش الأحمر بطرد الحرس الأبيض وقوات التدخل من سيبيريا وتركستان ،

وتلاشت مقاومة قوات كولتشاك ثم سُحقت نهائياً تحت تأثير الضربات القوية من جانب الجيش الأحمر، والأعمال النشطة للأنصار، وفي شتاء ١٩١٩ — ١٩٢٠ تم تحطيم هذه القوات بصورة نهائية.

غير أن الوضع ازداد تعقيداً على الجبهات الأخرى. ففي خضم المعارك التي كانت تدور للقضاء على قوات كولتشاك، انتقل جيش الحرس الأبيض بقيادة يودينيتش إلى الهجوم نحو بتروغراد. كما أن أعمال القوات البرية كانت تُدعم من البحر من قبل الأسطول البريطاني الذي كان يضم أكثر من ٧٠ سفينة حربية. وفي بتروغراد نفسها حدثت حركة مضادة للثورة، نظمتها عناصر السفارات الأجنبية، وأخذ الخطر يهدد بتروغراد. عندئذ هبّ عمال المصانع والمعامل للدفاع عن هذه المدينة، وأُقيمت التحصينات الدفاعية حول المدينة، وأُرسلت التعزيزات إليها من قوام الاحتياط. وفي منتصف شهر حزيران (يونيو) وبعد القضاء على التمرد المضاد للثورة، انتقلت قوات الجيش الأحمر إلى الهجوم العام وطردت العدو من بتروغراد. وهكذا أُحبطت محاولات الاستيلاء على المدينة واستدراج قوات الجيش الأحمر من الجبهة الشرقية، لإنقاذ قوات كولتشاك من التدمير.

وفي خريف ذلك العام، قامت قوات يودينيتش بمحاولة أخرى للاستيلاء على بتروغراد، إلا أنها صدّت من جديد بفضل الجهود البطولية للمدافعين عن بتروغراد، وفرّت فلول جيش يودينيتش نحو أراضي أستونيا البورجوازية.

لقد تعقد الموقف على الجبهة الجنوبية أيضاً، فعندما رأى زعماء دول التحالف الأمبريالي أن كولتشاك أُصيب بالهزيمة، نقلوا جهودهم الرئيسية نحو الجنوب عاقدين الآمال على دينيكين وجيشه. كما أن الأمبرياليين حاولوا من جديد جرّ جيوش الدول البورجوازية المتاخمة لروسيا السوفييتية إلى الحرب، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل. فقد أدركت حكومات البلدان المطلّة على بحر البلطيق، أن تقديم الدعم إلى التحالف الغربي الأمبريالي وعميلها الأول دينيكين يعني فقدانها لاستقلالها؛ لذلك قررت عدم الدخول في حرب ضد الدولة السوفييتية.

اعتمدت الثورة المضادة في الجنوب، كما هو شأنها في الشرق أيضاً، على مساعدات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا. فقد تلقت من هذه الدول كميات غير محدودة من الأسلحة والتجهيزات والمواد الغذائية. وتولت بريطانيا مهمة العمل على تقديم الدعم لجيش دينيكين بصورة خاصة، مما حدا بوزير الحرب البريطاني، آنذاك، وينستون تشرشل للتصريح بقوله: «إن دينيكين أصبح بالفعل القائد (لحملة الدول الأربع عشرة) ضد الجُمهورية السوفييتية». كما أن تشرشل أعلن، بكل صراحة، أن الحكومة البريطانية أرسلت اعتباراً من شهر تموز (يوليو) عام ١٩١٩ إلى دينيكين ٢٥٠ ألف بندقية و ٢٠٠ مدفع و ٣٠ دبابة. والجدير بالذكر أن حوالي ألفي ضابط وجندي بريطاني عملوا لدى قيادة دينيكين كمستشارين ومدربين.

وفي صيف عام ١٩١٩ أصبح في حوزة دينيكين قوات كبيرة، يبلغ تعدادها ١١٠ آلاف رجل مزودين بـ ٣٨٤ مدفعاً. ونظراً لأن القوات الرئيسية للجيش الأحمر كانت منشغلة في حربها ضد قوات كولتشاك، فإن قوات دينيكين انتهزت الفرصة وانتقلت إلى الهجوم وألحقت بقوات الجبهة الجنوبية عدداً من

الهزائم. وخلال شهر حزيران (يونيو) من العام نفسه استولت قوات جيش دينيكين على الدونباس، وقسم من أوكرانيا، وفي شهر تموز (يوليو) وصلت إلى الخط: تصاريتصين ــ بالاشوف ــ خاركوف، بغية الهجوم بالتالي نحو موسكو.

وضعت القيادة السوفييتية خطة الهجوم المعاكس لقوات الجبهة الجنوبية بعد أن عززتها بأعداد كبيرة من القوى والوسائط، حيث قلبت ميزان القوى لصالح الجيش الأحمر على تلك الجبهة. إلا أن قيادة الجبهة الجنوبية أطالت أمر التحضير للهجوم المعاكس ولم تنظّم التعاون بين القوات المنفذة للضربة الرئيسية والقوات المنفذة للضربة المساعدة. ونظراً لذلك، وعلى الرغم من سلامة وواقعية الخطة، فإن الهجوم المعاكس الذي بدأ في الخامس عشر من شهر آب (اغسطس) عام ١٩١٩ لم يحقق النتائج المرجوة، وانتقل زمام المبادرة من جديد إلى يد العدو الذي عاود هجومه نحو موسكو. وفي العشرين من شهر أيلول (سبتمبر) احتلت قوات دينيكين مدينة كورسك، ومن ثم مدينة أوريول، وأخذت تهدد باحتلال مدينة تولا التي تعتبر أهم مصدر لإمداد الجيش الأحمر بالأسلحة والذخائر. واستطاع العدو ــ لأول مرة خلال سنوات الحرب الأهلية ــ أن يتسلل إلى المناطق الوسطى من البلاد ويهدد موسكو تهديداً مباشراً. وهكذا أصبحت الجبهة الجنوبية، وقتذاك، هي الجبهة الرئيسية للحرب الأهلية، ولم يعد بالإمكان سحق قوى الثورة المضادة إلا بالتضحيات والجهود الخارقة لكافة أبناء الشعب السوفييتي. لذلك فقد أرسلت إلى الجبهة الجنوبية أفضل الكوادر والقادة في البلاد، كما أرسل الآلاف من الشيوعيين، ونقلت أفضل التشكيلات من الجبهات الأخرى لتعزيز هذه الجبهة. ومن أجل تأمين القيادة السليمة للقوات، فقد تقرر تقسيم الجبهة الجنوبية، التي كانت تمتد على نطاق يزيد على ١٣٠٠ كيلو متر إلى: الجبهة الجنوبية، والجبهة الجنوبية الشرقية.

وفي منتصف شهر تشرين الأول (اكتوبر)، ونتيجة للتدابير التي اتخذتها القيادة السوفييتية، تحول ميزان القوى على اتجاه أوريول ــ كورسك لصالح الجيش الأحمر، الأمر الذي مكّن قوات الجبهة الجنوبية من الانتقال إلى الهجوم المعاكس وتكبيد قوات جيش دينيكين أفدح الخسائر (انظر الشكل رقم ١٩). وهكذا فقد انتقل زمام المبادرة من جديد إلى قيادة الجيش الأحمر وتحوّل الهجوم المعاكس إلى هجوم عام. وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٩، تحول فيلق الخيالة الأول الذي كان يعمل في قوام الجبهة إلى جيش الخيالة الأول بقيادة س. م. بوديوني.

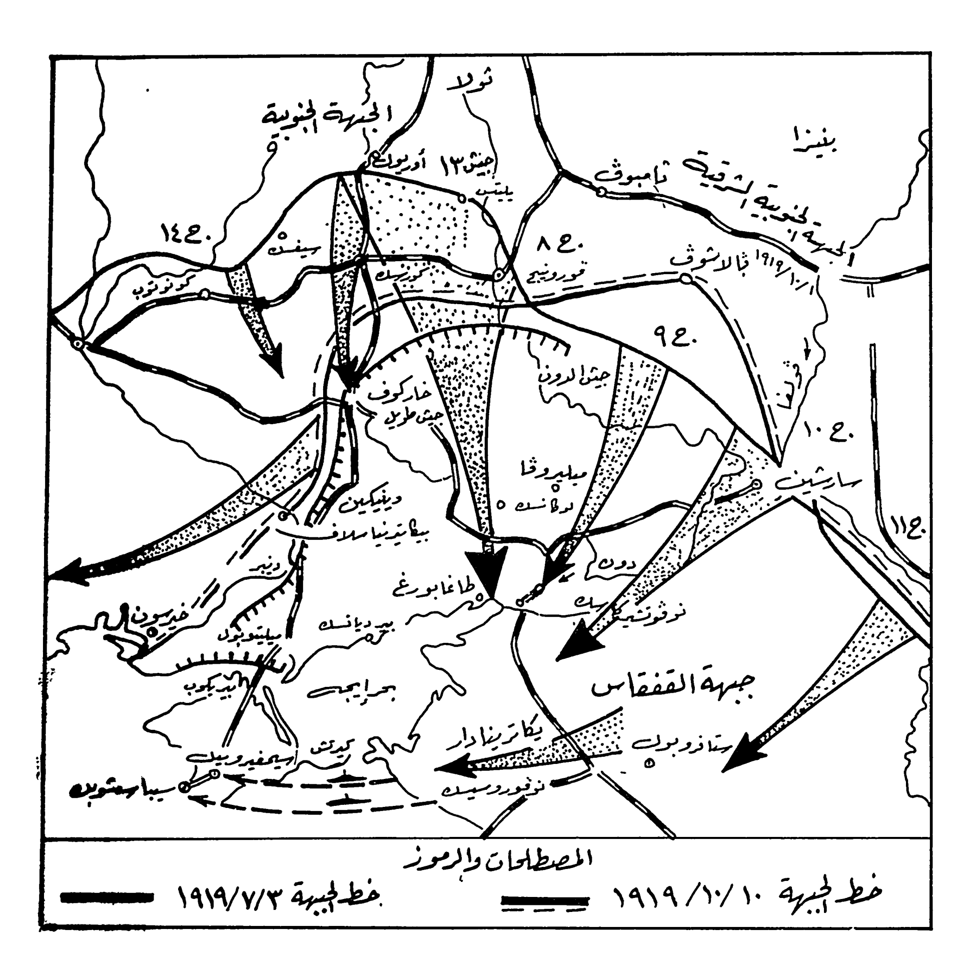
بوديوني سيمون ميخائيلوفيتش:



ولد بوديوني سيمون ميخائيلوفيتش في ١٨٨٣/٤/٢٥ وتوفي في ١٩٧٣/١٠/٢٦، هو قائد سوفييتي لامع، مُنح وسام بطل الحرب الأهلية ووسام بطل الحرب الوطنية العظمى، ولقب بطل الاتحاد السوفييتي ثلاث مرات. نشأ في أسرة فلاح روسي، وانتسب إلى الجيش في عام ١٩٣٠. وتقديراً لشجاعته الخارقة خلال سنوات الحرب العالمية الأولى مُنح الشارات الدينية المقدسة وأربع ميداليات. وأثناء الحرب الأهلية، تسلّم على التوالي

مناصب متعدّدة بدءاً من نائب قائد فوج خيالة وحتى قائد جيش خيالة . وبعد الحرب أصبح مستشاراً لسلاح الخيالة في الجيش الأحمر ، وقائداً لقوات منطقة عسكرية ، ثم تولّى منصب نائب مفوض الدفاع (وزير الدفاع) في الاتحاد السوفييتي . وفي سنوات الحرب الوطنية العظمى ، انضم إلى قوام هيئة القيادة العامة العليا ، وقاد الجبهات . وفي عام ١٩٤٣ أصبح قائداً لخيالة الجيش السوفييتي . كان يهتم إلى حد كبير باستخلاص الخبرات والنتائج من الحروب وتعميمها ، والاستفادة منها في تدريب القوات . وضع عدداً من المؤلفات حول استخدام تشكيلات الخيالة في المعركة والعملية . دفن في موسكو في مقبرة الساحة الحمراء ، قرب جدار الكرملن .

كان جيش الخيالة ، يضم في قوامه ثلاث فرق خيالة ولواء مشاة واحداً ؛ كما أن هذا الجيش كان مزوداً بعدد كبير من الرشاشات وبمدفعية خيالة قوية . وبالإضافة إلى ذلك كان يضم جيش الخيالة مفرزة مدرعة تشتمل عربات مصفّحة وسيارات مجهزة برشاشات ، وبعد ذلك أصبح جيش الخيالة يضم ــ بالإضافة إلى ما ذكر ــ من فرقة إلى ثلاث فرق مشاة . كما ألحقت به أيضاً القطارات المدرّعة . لقد كان جيش الخيالة أوّل جحفل عملياتي للقوات المتحركة ، يسمح بزيادة أبعاد العمليات وتوجيه الضربات إلى عمق كبير والعمل ضد مواصلات العدو ومؤخراته .



(الشكل رقم ١٩) ــ سحق قوات الحرس الأبيض بقيادة دينيكين (تموز ــ يوليو ١٩١٩ ــ شباط ــ فبراير ١٩٢٠).

قام مقاتلو الجبهة الجنوبية بمطاردة قوات العدو المنسحبة، وتعقبها في شروط طبيعية ومناخية قاسية، حيث كانت الطرقات مغمورة بسيول الخريف وثلوج الشتاء القارس. وقد استطاع هؤلاء الجنود الأبطال أن يتقدموا، خلال الفترة ما بين ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ و١٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٠، في عمق مواقع العدو حتى مسافة ٦٠٠ كيلو متر، والوصول إلى شاطىء بحر آزوف، وإلى مصب نهر الدون. وفي الوقت نفسه انتقلت إلى الهجوم قوات الجبهة الجنوبية ـــ الشرقية التي وجهت ضربات قوية إلى العدو وأجبرته على التراجع نحو شمال القفقاس.

لقد تمّ القضاء نهائياً على قوات دينيكين في أوكرانيا وشمالي القفقاس خلال الفترة ما بين شباط (فبراير) وآذار (مارس) عام ١٩٢٠. إلا أن قيادة الجيش الأحمر أخطأت في تقدير تجميع قوات العدو العاملة في شبه جزيرة القرم، ولم تستطع، نتيجة ذلك، تحرير شبه جزيرة القرم خلال فترة مطاردة فلول قوات دينيكين. ففي هذه الأثناء، كانت السفن البريطانية والأمريكية والفرنسية تنقل أعداداً كبيرة من الحرس الأبيض إلى شبه جزيرة القرم من مناطق كوبان والقفقاس، وزوّدت هذه القوات بالأسلحة والذخائر واستطاعت قوات الحرس الأبيض من جديد، وبمساعدة دول التحالف الأمبريالي أن تصمد في شبه جزيرة القرم وتتمسك برأس جسر هام. وقد أصبح الجنرال فرانجيل قائداً لهذه القوات منذ مطلع شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠.

إن سحق قوات العدو في جنوب الجمهورية ساعد على تحرير شمالها ومناطق سيبيريا. وفي الحادي والعشرين من شهر شباط (فبراير) عام ١٩٢٠ دخلت قطعات الجيش الأحمر مدينة أرخانفيلسك، وفي الثالث عشر من آذار (مارس) دخلت مورمانسك. واستطاعت قوات الجبهة الشرقية أن تحرر مدينة أومسك في الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٩، ومدينة نوفوسيبيرسك في الرابع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر)، ومدينة كراسنويارسك في السابع من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٠. ولقد تم خلال هذه العمليات أسر القوات الرئيسية في جيش كولتشاك. وفي الخامس من آذار (مارس) ١٩٢٠، دخلت قطعات الجيش الأحمر مدينة ايركوتسك، إلا أن تقدمها اللاحق نحو الشرق، كان قد أوقف لتحاشي نشوب الحرب مع اليابان.

لقد حققت قوات جبهة تركستان نجاحات كبيرة أيضاً. فبعد أن حطمت قوات كولتشاك وقوات القوزاق الأبيض، استطاعت هذه القوات الإلتقاء مع جمهورية تركستان السوفييتية، بعد أن سحقت تجميع قوات الحرس الأبيض سميرتيشين وأجبرتها على الفرار نحو الصين.

حصل الفن العسكري السوفييتي على قدر كبير من التطور والتجديد خلال المرحلة الثانية من الحرب الأهلية. فقد أكدت التجارب والدروس المستفادة من بعض العمليات على أنه عند اختيار اتجاهات الضربات الرئيسية، يجب الأخذ بعين الاعتبار الشروط الاجتماعية ـــ السياسية ـــ الاقتصادية للمناطق التي ستعمل فيها القوات، بالإضافة إلى العوامل العسكرية الأخرى.

فالضربة الرئيسية للقوات السوفييتية كانت توجه إلى سحق التجميع الرئيسي لقوات العدو، وقد

تحقق ذلك على ضوء التقييم الصحيح للموقف ، والحشد السريع للقوات على الاتجاهات الحاسمة ، وتحديد الزمن اللازم لإنتقال التجميعات الضاربة إلى الهجوم بشكل صحيح .

لقد أغنت المرحلة الثانية من الحرب الفن العسكري السوفييتي بالخبرات والتجارب في مجال تنظيم وتنفيذ هجومين معاكسين : هجوم معاكس ضد جيوش كولتشاك ومن ثم هجوم معاكس آخر ضد جيوش دينيكين . وفي كلا الحالتين ، كانت القوى والوسائط اللازمة للانتقال إلى الهجوم المعاكس تتجمع خلال فترة المعارك الدفاعية القاسية والانسحاب الاضطراري إلى عمق البلاد ، الأمر الذي كان يتطلب وجود احتياطات دائمة ومناورة ماهرة بهذه الاحتياطات على الخطوط العملياتية الداخلية . ولقد قامت القوات السوفييتية في كلا الهجومين المعاكسين بعمليات هجومية متتالية دون توقفات طويلة ؛ وشارك في هذه العمليات جيشان ــــ ثلاثة جيوش ، أو جيش واحد في بعض الأحيان ؛ كما أن التخطيط لكل عملية تالية ، وتشكيل التجميع اللازم لتنفيذها ، كانا يتمّان في فترة إنجاز العملية السابقة .

لقد كانت البنية العملياتية للجيوش ، وللجبهة على نسق واحد مع تخصيص احتياط عن فرقة واحدة . وفي الجيوش كانت تشكل تجميعات ضاربة من القوات ، الأمر الذي مكّن من تحقيق بعض التفوق بالقوى والوسائط على الاتجاهات الحاسمة . كما أن الجيوش العاملة على الاتجاه الرئيسي ، كانت تهاجم على نطاقات عريضة تتراوح بين ٢٠٠ ــــ ٢٥٠ كيلو متراً ، وبين ٤٠٠ ــــ ٨٠٠ كيلو متر على الاتجاهات المساعدة . أما فرقة المشاة فكانت تهاجم في نطاق بعرض ٣٠ ــــ ٤٠ كيلو متراً على الاتجاه الرئيسي ، وحتى ٦٠ كيلو متراً على الاتجاه الثانوي .

كان الهجوم ينفذ بالتعاون الوثيق بين المشاة ، والخيالة ، والمدفعية ، والقوات المدرعة . وقد استخدمت في أغلب الأحيان أعمال الإحاطة والإلتفاف من أجل توجيه الضربات إلى مجنبات ومؤخرات العدو . كما أن هجوم قطعات المشاة كان يتحول على الأغلب إلى هجوم بالحراب ، ثم المطاردة .

إن الجديد في الفن العسكري السوفيتي كان يتمثل في تشكيل جيش الخيالة من أجل تنفيذ المهام بصورة مستقلة ، أو بالتعاون مع الجيوش الميدانية الأخرى . كما أن تشكيلات الخيالة ، استخدمت أيضاً على نطاق واسع في عمليات الجيوش .

كما أن تشكيل جحافل وتشكيلات الخيالة واستخدامها كواسطة أساسية للمناورة العملياتية كانا قد ساعدا على حل واحدة من أهم المعضلات التي واجهها الفن العسكري ، ألا وهي خرق الجبهة المواضعية للعدو وتطوير هذا الخرق على عمق كبير ، الأمر الذي لم يستطع الفن العسكري البورجوازي تحقيقه إبان الحرب العالمية الأولى . لذا ، فإن استخدام الخيالة على نطاق واسع ، ساعد على زيادة عمق العمليات الهجومية وزاد من وتيرة الهجوم الوسطية .

لقد خاضت القوات السوفييتية الأعمال الدفاعية على جبهات عريضة وبقوات محدودة العدد ، كما أن جهود القوات المدافعة كانت تتركز عادة على التمسك بأغراض وخطوط هامة . واستخدمت الهجمات

والضربات المعاكسة على مجنبات قطعات العدو المهاجمة على نطاق واسع خلال الأعمال الدفاعية ، الأمر الذي كان يؤدي إلى إنهاك قوات العدو وخلق الشروط المؤاتية للانتقال إلى الهجوم الحاسم .

كذلك ساعدت الروح القتالية العالية لدى أفراد الجيش الأحمر على استخدام طرق الأعمال القتالية الأكثر حسمية ومناورة ، والتي حلّت مكان طرق القتال المواضعي التي استخدمت في الحرب العالمية الأولى .

وبنتيجة الانتصارات التي تحققت ، حصلت الجمهورية السوفييتية على فترة من السلم استعادت فيها أنفاسها واستفادت منها الحكومة السوفييتية لاتخاذ التدابير العاجلة من أجل ترميم المواصلات وإصلاح الاقتصاد .

٣ ــ ٣ ــ ٣ ــ الصراع ضد التدخل البولوني البورجوازي ، وسحق جيش فرانجيل نيسان (ابريل) ــ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ م

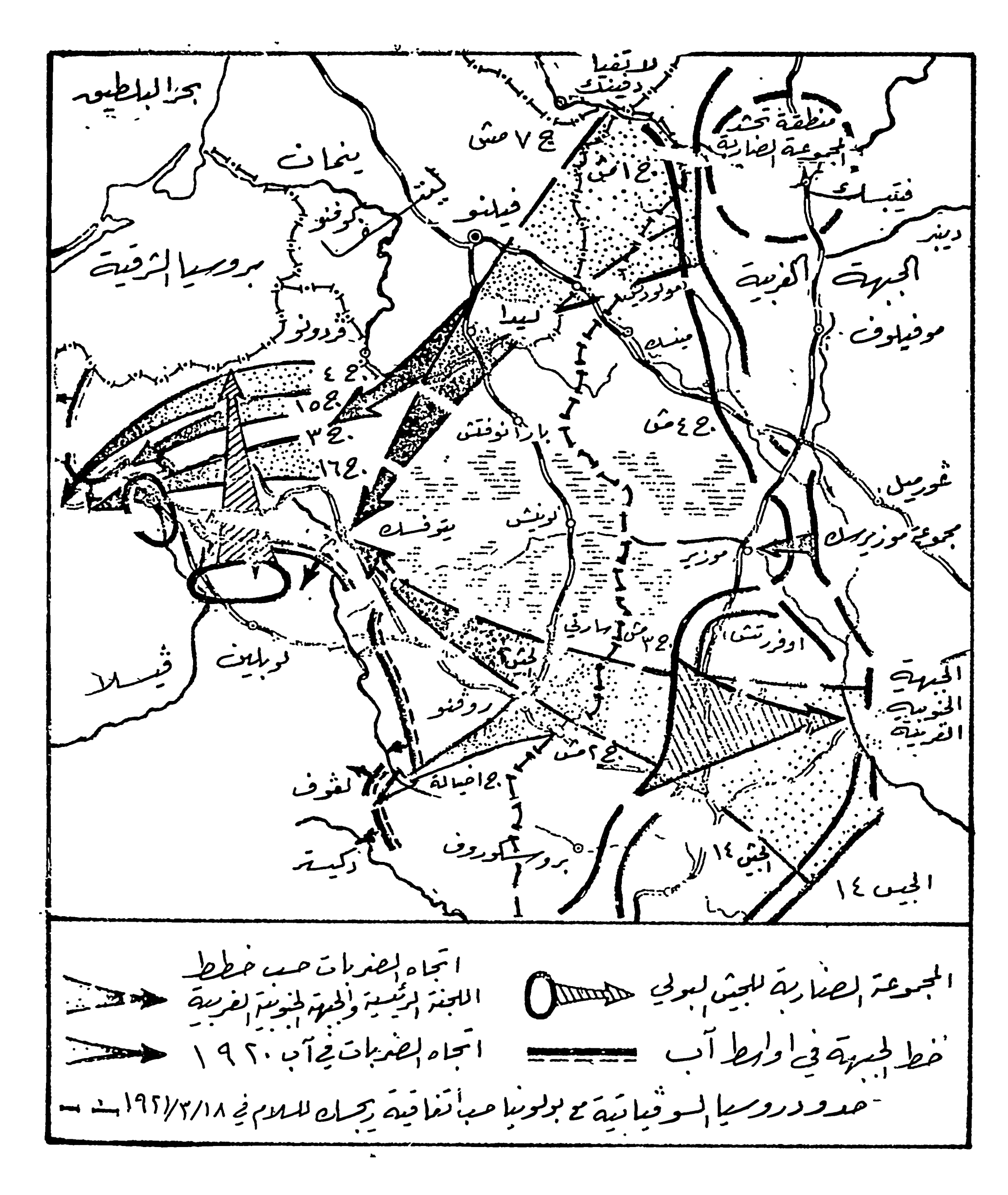
بعد تحطيم جيوش كولتشاك ودينيكين يودينيتش حصلت الجمهورية السوفييتية في مطلع عام ١٩٢٠ على فترة توقف سلمية لالتقاط الأنفاس ، واتخذت الحكومة السوفييتية كافة التدابير من أجل تحويل هذه الفترة السلمية الموقتة إلى سلام دائم وثابت . وتوجهت الحكومة السوفييتية مراراً إلى الدول البورجوازية بمقترحات لعقد سلام دائم وإقامة العلاقات الاقتصادية معها ، وبذلت كل ما تستطيع من أجل تحاشي الاصطدامات العسكرية مع هذه الدول . إلا أن هذه الوقفة السلمية كانت قصيرة جداً . وتولّت الولايات المتحدة الأمريكية هذه المرة مهمة القيام بالحملة الجديدة المناوئة للسوفييت بالتعاون مع عدد من الزعماء البريطانيين أصحاب النفوذ وعلى رأسهم وزير الحرب البريطاني تشرشل والدوائر الأمبريالية الحاكمة بفرنسا . غير أن هذه السياسة الأمبريالية اصطدمت بمعارضة شديدة من جانب الدول الصغرى ، التي لم ترغب في القيام بمغامرة جديدة أخرى . ولم تتمكن دول التحالف من جرّ هذه البلدان إلى الحرب ، ما عدا الزعماء العسكريين البولونيين وفلول قوات الحرس الأبيض الموجودة في شبه جزيرة القرم بقيادة فرانجيل .

لقد بدأت الحملة الجديدة من الغرب ومن الجنوب . وكان الجيش البولوني الذي يضم في قوامه ، حتى ربيع عام ١٩٢٠ ، حوالي ٧٤٠ ألف رجل مسلحين بأعتدة قتال أجنبية ، يشكل القوة الضاربة الرئيسية لهذه الحملة ، حسب الخطة التي وضعتها القيادة العسكرية لقوات التدخل . وقد قدم الأمبرياليون الأمريكيون وحدهم إلى بولونيا خلال النصف الأول من عام ١٩٢٠ : ٢٠ ألف رشاش ، وأكثر من ٢٠٠ دبابة وعربة مصفحة ، وأكثر من ٣٠٠ طائرة ، وعدداً كبيراً من الذخائر والتجهيزات ؛ أما قوات الحرس الأبيض بقيادة فرانجيل والمحتشدة في شبه جزيرة القرم بقوام يزيد عن ١٠٠ ألف رجل ، فقد خُصّصت من أجل القيام بالضربة المساعدة .

إن الخاصة الرئيسية التي تميزت بها هذه الحملة الأخيرة لدول التحالف الغربي تتمثل في أن

تشكيلات الحرس الأبيض داخل روسيا، لم تعد تشكل القوة الضاربة والرئيسية لمثل هذه الحملات، لأنها لم يكن في حوزتها مؤخرات وقواعد إمداد خاصة بها، كما كان ذلك في السنوات السابقة، بل أصبح جيش الدولة الأجنبية هو الذي يشكل هذه القوة الضاربة؛ كما أن الخاصة الثانية لهذه الحملة الجديدة هي أن بولونيا أصبحت الحلقة الهامة في منظومة فرساي لفترة بناء أوروبا بعد الحرب[1]، وأن الهزيمة العسكرية التي لحقت ببولونيا كان لا بد لها من أن تهدّد وجود منظومة معاهدة فرساي، الأمر الذي لم تستطع أن تتحمله دول التحالف الأمبريالي؛ ولذلك فإن هذه الدول أخذت تعدّ من جديد قواتها المسلحة لدخول الحرب.

وفي الخامس والعشرين من شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠، انتقلت قوات التدخل البولونية إلى الهجوم واحتلت شمال أوكرانيا بالكامل تقريباً ومدينة كييف (الشكل رقم ٢٠)، مستفيدة من التفوق العددي، والصعوبات في تقدم الاحتياطات السوفييتية.



(الشكل رقم ٢٠) ـــ سير الحرب السوفييتية ـــ البولونية عام ١٩٢٠.

إن الهجوم المسلح الذي شنته بولونيا، وفشل قوات الجيش الأحمر في أوكرانيا شكلا خطراً كبيراً على الجمهورية السوفييتية. ودعت الحكومة السوفييتية من جديد الكادحين لحشد قواهم ورصّ صفوفهم من أجل الدفاع عن وطنهم. ومن أجل إحباط الخطط العدوانية الجديدة، التي رسمتها دول التحالف الأمبريالي والطغمة العسكرية البولونية، قامت الحكومة السوفييتية بأعمال وإجراءات سريعة وحاسمة من أجل تعزيز الجبهة الغربية، حيث أرسلت إلى الجبهة السوفييتية ـــ البولونية أفضل تشكيلات الجيش الأحمر ومن بينها جيش الخيالة الأول الذي قام بمسير لمسافة ١٠٠٠ كيلو متر من شمالي القفقاس حتى الجزء الشمالي من أوكرانيا.

وبناء على الخطة الموضوعة، كان ينبغي على قوات الجبهتين الغربية والجنوبية ـــ الغربية العمل بالتعاون الوثيق على اتجاه مينسك ـــ وارسو، واتجاه لوبلين، من أجل التصدي للجيوش البولونية البيضاء وتحرير المناطق التي احتلتها من أوكرانيا وروسيا البيضاء. أما على القطاع الجنوبي وفي مواجهة قوات فرانجيل فقد اقتصر تدمير القوات الرئيسية للعدو على الأعمال الدفاعية في الجبهة الغربية.

إن ضيق الوقت لم يسمح بإنهاء حشد القوى البشرية والوسائط الفنية ـــ المادية المخصصة لهجوم قوات الجبهة الغربية حشداً كاملاً. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشروط المعقّدة، التي أحاطت بالموقف العسكري، لم تكن تسمح بأي تأخير في الانتقال إلى الهجوم، بغية تحسين وضعية قوات الجبهة الجنوبية ـــ الغربية.

وفي منتصف شهر أيار (مايو) عام ١٩٢٠، انتقلت قوات الجبهة الغربية إلى الهجوم، إلا أن العدو الذي حرك قواته من أوكرانيا وليتوانيا، تمكّن من صد قوات الجبهة الغربية المهاجمة ودحرها إلى قاعدة الانطلاق. كذلك فإن إشغال القوات البولونية العاملة في أوكرانيا وتحريكها منها ساعد في الوقت نفسه على تحسين وضع قوات الجبهة الغربية التي انتقلت في السادس والعشرين من أيار (مايو) عام ١٩٢٠ إلى الهجوم المعاكس، وكبدت تجميع قوات كييف المعادية هزيمة نكراء، عن طريق استخدام جيش الخيالة الأول بصورة فعّالة في ذلك الهجوم، فانسحب من مدينة كييف، وتراجع على عجل نحو الغرب مخلفاً وراءه خسائر كبيرة. وقامت قوات الجبهة الجنوبية ـــ الغربية في مطلع شهر تموز (يوليو) بتحرير أوكرانيا، مطوّرة لذلك هذا النجاح الذي تحقق.

إن النجاحات التي تحققت في أوكرانيا خلقت شروطاً مواتية بالنسبة لقوات الجبهة الغربية، وساعدتها على معاودة الهجوم في الرابع من شهر تموز (يوليو). فبعد أن اقتحمت نهر بريزق، حررت هذه القوات مينسك، وفيلفو، واقتربت من الحدود البولونية. كما أن هجوم كلا الجبهتين أخذ طابع المطاردة الاستراتيجية، وأدّى إلى دب الذعر والفوضى في الدوائر البولونية الحاكمة وأذهل الزعماء الأمبرياليين الآخرين.

وفي الحادي عشر من شهر تموز (يوليو) عام ١٩٢٠، وجّهت الحكومة البريطانية إنذاراً إلى الحكومة السوفييتية (مذكرة كيرزون)، تطلب فيه إيقاف الهجوم والإلتزام بالحدود الدولية مع التهديد ببدء

الأعمال الحربية ضد الجمهورية السوفييتية إذا رفضت تنفيذ هذه الطلبات . لكن الحكومة السوفييتية رفضت بحزم تدخل الحكومة البريطانية ، وفي الوقت نفسه أعربت عن استعدادها للبدء بمحادثات الصلح مع بولونيا . إلا أن دول التحالف الأمبريالي لم تكن تسعى إلى السلام ، بل إنها كانت تسعى إلى كسب الوقت فقط من أجل استعادة النظام والانضباط في الجيش البولوني المتقهقر وإعداده لهجوم جديد بالتعاون مع قوات فرانجيل . وهكذا فإن عدم رغبة العدو في إنهاء الحرب سلمياً ، أجبر قيادة الجيش الأحمر على مواصلة الهجوم ، وصدرت الأوامر إلى الجبهة الغربية باحتلال وارسو . كما أنه تمت المصادقة على مقترحات قيادة الجبهة الجنوبية ـــ الغربية حول الهجوم على لفوف .

وفي أثناء مطاردة العدو في المناطق التي مارس فيها السلب والنهب ، ابتعدت القوات السوفييتية عن مؤخراتها لمسافات كبيرة ، ولم تستطع الحصول على الذخائر والإمدادات الضرورية الأخرى . وفي الوقت نفسه كان العدو يقترب من مؤخراته ، حيث استُكملت قواته بالاحتياطات . وبذلك انقلب ميزان القوى لصالحه بسرعة . كما أن قيادة الجيش الأحمر أخطأت في تقييم النجاح الذي تحقق في بداية العملية . وخلافاً لما تقرر في الخطة الاستراتيجية ، فإن القوات الرئيسية للجبهتين الغربية والجنوبية الغربية لم تطوّر الهجوم على اتجاهات متلاقية ، بل على اتجاهات متباعدة . واستطاع العدو الانتقال إلى الهجوم المعاكس في منتصف شهر آب (اغسطس) مستفيداً من الخلل الذي أصاب التعاون بين الجبهتين ومن الإنهاك الذي أصيبت به القوات ، وابتعادها عن مؤخراتها ، ممّا اضطر القوات السوفييتية للتراجع وهي تقاتل في شروط صعبة للغاية .

استطاعت الحكومة السوفييتية أن ترسل إلى الجبهة قوات ضخمة جديدة ، وأن تحقق النصر في الحرب ، إلا أنها كانت تسعى إلى السلام دوماً ، واقترحت إقامة مثل هذا السلام مع الدولة البولونية . ووافقت بولونيا التي حققت بعض الانتصارات العسكرية على عقد اتفاقية الصلح ، على الرغم من الضغوط التي تعرضت إليها من جانب دول التحالف ، إلا أن الشروط الأولية لهذه الاتفاقية لم توقع إلا في الثاني عشر من تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٢٠ .

إن إنهاء الحرب مع بولونيا ، سمح بحشد القوى الرئيسية للجيش الأحمر من أجل تحطيم قوات فرانجيل وتحرير شبه جزيرة القرم . وعن طريق التعبئة القسرية ، استطاع فرانجيل أن يستكمل جيشه حتى وصل تعداده إلى ١١٠ آلاف رجل . كما أن القوام القتالي للقوات حسب أقوال فرانجيل نفسه بلغ ٢٥ ألف حربة و ٨ آلاف سيف . وبالاضافة إلى ذلك فقد تلقى فرانجيل كميات كبيرة من الأسلحة والأعتدة من دول التحالف الأمبريالي .

كانت الحكومة السوفيتية تترقب أعمال العدو ونواياه بالحيطة والحذر ، واتخذت كافة الإجراءات الضرورية لمواجهته . ففي شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠ ، تم تشكيل الجبهة الجنوبية للعمل ضد فرانجيل ، وعيّن م . ف . فرونزه ، الذي استدعي من جبهة تركستان ، قائداً لها .

وفي نهاية شهر تشرين الأول (اكتوبر) ، بلغ قوام الجبهة الجنوبية أكثر من ١٣٣ ألف رجل ، وكان ينبغي على قوات هذه الجبهة بذل أقصى ما في طاقتها للتحضير والاستعداد من أجل القيام بالضربة الحاسمة ،

بغية سحق العدو نهائياً قبل حلول فصل الشتاء ومنع الحرس الأبيض من الانسحاب إلى شبه جزيرة القرم. ومن أجل تنفيذ المهمة المسندة لسحق قوات فرانجيل في أقصر مدة ممكنة، فقد خطط قائد الجبهة الجنوبية ونفذ ببراعة ومهارة ثلاث عمليات متتابعة. ففي العملية الأولى، أي العملية الدفاعية في شمالي أوكرانيا، استطاعت قوات الجبهة الجنوبية أن توقف هجوم جيش فرانجيل وتكبده خسائر فادحة. وقد قال فرانجيل في مذكراته حول هذه الموقعة: «لقد دبّ الهلع في صفوف الأفواج، بحيث أصبح من غير الممكن إعادة النظام والانضباط إليها مع قطعات الخيالة المنسحبة واكتظت بها الطرق الغابية الضيقة ووسائط العبور».

وفي العملية الثانية، أي العملية الهجومية، التي بدأت في الثامن والعشرين من شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٠، تكبدت قوات فرانجيل الرئيسية الهزيمة في مناطق شمالي تافريا. وفي النهاية، أي في العملية الثالثة (الختامية) التي جرت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠، خرقت جيوش الجبهة الجنوبية تحصينات العدو في بيريكوب وشُنغار التي كانت تعتبر غير صالحة للعبور. كما كان السد التركي، الذي يبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار، يشكل أساساً لدفاع العدو في مضيق بيريكوب الذي يبلغ عرضه ١٢ كم، وأمام هذا السد حفر خندق بعرض حوالي ٢٠ متراً وبعمق حتى ١٠ أمتار. كذلك أقيمت الأسلاك الشائكة في مقر الخندق، وغطيت المشارف المؤدية إلى السد بنيران ٧٠ مدفعاً و ١٥٠ رشاشاً. وعلى السد نفسه أقيمت المساند والحفر والمخابىء وطرق الإمداد ومصاطب الرشاشات.

وفي عمق مضيق بيريكوب وعلى بعد ٢٠ ــ ٢٥كم عن السد التركي أقيمت مواضع ايشون، التي تتألف من ستة خطوط من الخنادق، وحواجز الأسلاك الشائكة وغيرها من المنشآت الدفاعية الأخرى. كما تم تحصين مضيق شُنغار ورأس آرابات أيضاً. واستطاع م. ف. فرونزه بمهارة ودهاء أن يختار اتجاه الضربة الرئيسية. فقد وجه هذه الضربة بأحد الجيوش، بعد أن عبر ليلاً مضيق سيغاش الذي يبلغ عرضه ٧ كيلو مترات، ووصل إلى مؤخرة مواضع بيريكوب المحصنة. والجدير بالذكر أن عبور سيغاش تم مع اقتحام بيريكوب جبهياً في آن واحد.

لقد تحقق خرق دفاع العدو بنجاح؛ وفي السابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) أكملت قوات الجبهة تحرير شبه جزيرة القرم بالكامل؛ وفرّت فلول قوات الحرس الأبيض إلى ما وراء الحدود، تحت تغطية أساطيل قوات التحالف الأمبريالي.

إن الهزيمة التي حلت بالحرس الأبيض البولوني وتحطيم قوات فرانجيل تحطيماً كاملاً، أحبطا بصورة نهائية الخطط التي أعدها الأمبرياليون المتحالفون لتدمير الجمهورية السوفييتية. كما أن الأعمال القتالية في المرحلة الثالثة من الحرب الأهلية جرت في موقف مناسب للجيش الأحمر وفي شروط أكثر ملاءمة، لأن معظم المناطق الاقتصادية الرئيسية كانت قد حرّرت وأصبحت في حوزة الجيش الأحمر. غير أن قوى ووسائط الجمهورية السوفييتية كانت موزعة على مساحات واسعة من البلاد، وأصبح من الصعب تشكيل تجميع استراتيجي جديد على المسرح الغربي للأعمال الحربية في مثل هذه الشروط التي دمرت فيها وسائط النقل وطرق المواصلات، الأمر الذي أدّى إلى التأخير في انتشار القوات، وتخلف المؤخرة عن اللحاق بالقوات المهاجمة بوتائر عالية.

وفي مرحلة الصراع ضد بولونيا ، عالجت القيادة السوفييتية مشكلة صعبة كانت تفرض تنظيم التعاون بين جبهتين منفصلتين بنطاق واسع من الأراضي المستنقعية والمكسوة بالغابات . فلم تتمكن هذه القيادة التي لم يكن في حوزتها الخبرة الكافية من تنسيق أعمال تجمعين كبيرين مهاجمين على مسرح واسع للأعمال الحربية تنسيقاً كاملاً ودقيقاً ، بحيث أصبح ذلك من بين أسباب الهزائم التي أصيبت بها القوات السوفييتية في ضواحي وارسو ولفوف .

لقد نفذت العمليات الهجومية للجيش الأحمر خلال المرحلة الثالثة من الحرب بأهداف حاسمة بغية سحق تجميعات العدو المقابلة . كما أن مبدأ القوى والوسائط على اتجاهات الضربات الرئيسية وجد التعبير الأدق عنه ، مما كان عليه في المراحل السابقة من الحرب الأهلية . فالجيوش الداخلة في قوام التجميع الضارب للجبهة ، كانت تهاجم في نطاقات يتراوح عرضها بين ٤٠ ــ ٦٠ كيلو متراً للجيش الواحد ، بينما كان يصل هذا النطاق إلى ٢٠٠ كيلو متراً أو أكثر على الاتجاهات المساعدة .

كانت القوات السوفييتية أول من نفذ العمليات مع خرق دفاع العدو المحضر . فمن أجل تنفيذ هذه المهمة ، كان الجيش والجبهة يجمعان القوى والوسائط على نسقين ؛ وعند ذلك كان ينفذ الخرق من قبل تشكيلات المشاة ، بينما تستخدم جيوش الخيالة لتطوير النجاح . ويعتبر مثل هذا الاستخدام للخيالة خطوة ناجحة إلى الأمام في مجال حل مشكلة خرق الدفاع المواضعي بالمقارنة مع عمليات الحرب العالمية الأولى .

لقد عملت التشكيلات والقطعات في نطاقات أضيق من النطاقات التي عملت فيها خلال عام ١٩١٩ . كما أن المهام كانت تسند إلى هذه التشكيلات حسب الخطوط وليس حسب الاتجاهات والأغراض ، كما هي الحال في بداية الحرب الأهلية . أضف إلى ذلك أن تراتيب قتال فرق المشاة كانت تُبنى على نسق واحد ، كقاعدة عامة ، أما تراتيب قتال الألوية فعلى نسق أو نسقين .

إن تضييق نطاقات هجوم الفرق ، أدّى إلى زيادة تكثيف ومركزية المدفعية ، وتشكيل المجموعات اللازمة لدعم هجوم المشاة . كما أصبح بالإمكان أيضاً تشكيل مجموعات مدفعية من السرايا الثقيلة للصراع ضد مدفعية العدو . ونظراً لتقليص عدد الجبهات ، أصبحت الطائرات بأكملها ، تقريباً ، محتشدة على الجبهتين الغربية ، والجنوبية الغربية . ففي شهر تموز (يوليو) عام ١٩٢٠ أصبح في حوزة كل من هاتين الجبهتين حوالي مئة طائرة .

لقد حصلت قوات الجيش الأحمر على أول خبرة في الاستخدام القتالي للدبابات مع أن هذه الخبرة كانت محدودة للغاية . وفي الوقت نفسه ، اكتسبت القوات السوفييتية خبرات كبيرة أيضاً في الصراع ضد دبابات العدو ، وخاصة أثناء التمسك برأس جسر كاخوف .

٣ ــ ٤ ــ أعمال الأنصار السوفييت

قدم الأنصار السوفييت مساعدة ودعماً مباشراً للجيش الأحمر في خلال الحرب الأهلية . غير أن حركة الأنصار ، كانت قد ظهرت في الحروب الماضية أيضاً . إلا أن النضال الشعبي المسلح في مؤخرة قوات

التدخل الأجنبي، وجيوش الحرس الأبيض، خلال سنوات الحرب الأهلية في روسيا، كان يختلف من حيث المبدأ عن أعمال الأنصار في الحروب السابقة، التي كانت تتميز بطابع المقاومة الشعبية الهادئة.

لقد شملت حركة الأنصار مجالات واسعة في مؤخرات العدو. واعتبرت هذه الحركة كردّ من جانب الجماهير الكادحة على الأعمال المضادة للثورة ووحشية التدخل الأجنبي وقوات الحرس الأبيض، التي كانت تسعى إلى إغراق الثورة في بحر من الدماء، وإعادة الأنظمة البورجوازية الاقطاعية.

إن ذلك كله، استنهض المقاومة الحاسمة للشعب، وأدّى إلى انتفاضة العمال والفلاحين بهدف رئيسي واحد، هو ترسيخ السلطة السوفييتية.

إن أعمال الثائرين الذين لم يكن في حوزتهم الحجم الكافي من القوى والوسائط لسحق العدو بالكامل، كانت تأخذ حركة الأنصار البعد الأكبر لها في مناطق أوكرانيا وروسيا البيضاء، وشمال القفقاس، وسيبيريا، وفي الشرق الأقصى.

استطاعت حركة الأنصار أن تشلّ عمل مؤخرة قوات التدخل وقوات الحرس الأبيض وتربك قيادة القوات، وإمداد الجبهات العاملة. ففي المناطق الواسعة استطاع الأنصار أن يشلوا كلياً أو جزئياً نشاط الإدارات المحلية التي أقامتها الأنظمة المضادة للثورة، وقد نسقت الضربات التي نفذها الأنصار مع أعمال القوات النظامية التابعة للجيش الأحمر، مما أجبر قوات التدخل والحرس الأبيض على استدعاء قوات كبيرة من خطوط الجبهة لمواجهة هؤلاء الأنصار. ففي أثناء انتقال الجيش الأحمر إلى الهجوم الحاسم ضد قوات كولتشاك وقوات دينيكين، تصاعدت حركة الأنصار في مؤخرات الجيوش البيضاء وكان لذلك أهمية استراتيجية كبيرة، لأنه أدّى إلى الإسراع في سحق العدو وطرده من الأراضي المحتلة. وفي بعض الأحيان كان الأنصار يحررون مدناً كبيرة أو مناطق بأكملها من أيدي العدو، حتى قبل وصول قوات الجيش الأحمر النظامية إليها.

لقد تميز نضال الأنصار السوفييت بجماهيريته، حيث بلغ تعداد الأنصار العاملين في سيبيريا مئة ألف نصير حتى خريف عام ١٩١٩، ووصل هذا العدد إلى ٢٥ ألف نصير في الشرق الأقصى؛ كما أن قوات كبيرة من الأنصار كانت تعمل في مناطق البيكال وفي مؤخرة جيوش دينيكين وفرانجيل. حتى إن تعداد مفارز الأنصار التي تم إحصاؤها فقط في أوكرانيا بلغ ٥٠ ألف نصير في نهاية عام ١٩١٩.

وكان الأنصار يشكلون مفارز مختلفة القوام والتنظيم، وفقاً للشروط التي سيعملون فيها. كما أن ازدياد عددهم في بعض المناطق، أدّى إلى تشكيل أفواج وفرق من الأنصار ذات شكل تنظيمي وقيادي أفضل بالمقارنة مع تنظيم المفارز. وفي منطقة ألتاي تم تشكيل جيش منهم بلغ قوامه ١٦ فوجاً، تضم ٤٠ ألف مقاتل. كما أن تشكيل جيوش الأنصار ظهر أيضاً في الأورال والشرق الأقصى، وشبه جزيرة القرم.

وقد أولت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (حزب البلشفيك) اهتمامها الأكبر لحركة الأنصار، كما أنها عملت على تحويل هذه الحركة إلى حركة جماهيرية بإشراف الحزب، واتخذت التدابير

اللازمة لتنسيق أعمالها مع المهام العملياتية للجيش الأحمر. لذلك فقد شُكلت الأركان المركزية لمفارز الأنصار في شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨، من أجل تأمين القيادة العسكرية لحركة الأنصار. وأصبحت هذه الأركان تصدر التوجيهات والتعليمات والأوامر حول تنظيم تشكيلات الأنصار واستخدامها القتالي، وتعد الكوادر اللازمة لمفارزها.

إن منظمي حركة الأنصار، الذين خرجوا من بين صفوف العمال والفلاحين، حملوا معهم التنظيم والانضباط إلى أعمال مفارز الأنصار وقدموا إليها المساعدة للتخلص من العناصر البورجوازية الصغيرة والفوضويين والقوى المضادة الأخرى، المتسللة إلى صفوف تشكيلات الأنصار، والتي تسعى إلى السيطرة على هذه الحركة، وحرفها عن طريقها الصحيح وتجريدها من طابعها الثوري والطبقي.

في أثناء حركة الأنصار، تكونت أشكال وطرق محددة للأعمال القتالية. ومن بين الطرق النموذجية لعمل الأنصار: الإغارات المفاجئة على مختلف أغراض العدو وحامياته وقياداته ومؤسساته، وعلى أرتاله، وخوض المعركة السريعة بهدف تدمير هذه الأغراض. أما في المناطق التي اتسعت فيها حركة الأنصار فقد تشكلت الشروط المواتية لتنفيذ مهام عملياتية كبيرة. ففي هذه الحالات كانت تنفذ العمليات التي تدور خلالها معارك هجومية أو دفاعية حامية بالقوى المحتشدة من الأنصار تحت قيادة واحدة. ونظراً للسرعة في تطور الموقف وتغذية العدو لجهوده، وحشد قواه، فقد كان من المهم بالنسبة لقادة هذه العمليات ألا يتجاهلوا تلك الشروط التي تفرض على الأنصار الانتشار والانتقال مجدداً إلى تكتيك الضربات المفاجئة بالمفارز الصغرى لتحاشي تكبد الخسائر الكبيرة.

وتعتبر عملية سوتشان التي نفذت في شهر حزيران (يونيو) عام ١٩١٩ في الشرق الأقصى مثالاً حيّاً وناصعاً على الأعمال المركّزة لقوات الأنصار. ففي أثناء هذه العملية استطاع الأنصار تدمير مفرزة من قوات التدخل مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، وتعطيل شبكة سكك حديد سوتشان عن العمل. ويمكن اعتبار العملية التي قام بها جيش آمور للأنصار في شهر آب (اغسطس) عام ١٩١٩ مثالاً آخر على حرب الأنصار. فقد استطاع الأنصار في هذه العملية تخريب سكة الحديد ونسف الجسور وإيقاف حركة القطارات على امتداد ١٥٠٠ كيلومتر. ونتيجة لهذه العملية أوقف نقل قوات التدخل إلى جبهة كولتشاك، كما أعيق انسحاب جيوش الحرس الأبيض المتقهقرة.

لقد لعبت عناصر الاستطلاع دوراً كبيراً في حرب الأنصار. كما أن السكان المحليين قدّموا مساعدات كبيرة إلى عناصر الاستطلاع في الحصول على المعلومات الهامة عن العدو باستمرار. كذلك اعتمد إمداد قوات الأنصار على الموارد المحلية. كما أن الأسلحة والذخائر كانت تستكمل عن طريق الغنائم أو عن طريق صناعتها محلياً في بعض الأحيان، وخاصة في المناطق الصناعية من البلاد.

إن حركة الأنصار التي قادها حزب البلشفيك في روسيا بزعامة ف. إ. لينين ضمّت في صفوفها مئات الآلاف من الرجال والنساء. فقد كانت هذه الحركة عاملاً عملياتياً — استراتيجياً في الحرب الأهلية نظراً للأعمال العسكرية الكبيرة التي أسفرت عنها، مثل شل أعمال مؤخرات الحرس الأبيض وقوات

التدخل، وتوجيه ضربات موجعة إلى هذه القوات وتقديم المساعدة المباشرة إلى الجيش الأحمر في تنفيذ مهامه. كما أن الربط المرن والدقيق بين حركة الأنصار والأعمال القتالية للقوات النظامية ترك طابعاً ثورياً جديداً على الاستراتيجية السوفييتية في هذه المرحلة.

٣ ـ ٥ ـ تطور الفن العسكري السوفييتي خلال الحرب الأهلية م. ف. فرونزه ـ قائد عمالي مشهور ومنظّر عسكري فذ

إن انتصار كادحي الدولة السوفييتية في الحرب الأهلية، كان يعني هزيمة سياسية وعسكرية للأمبريالية العالمية التي هبّت لدعم الثورة الداخلية المضادة في روسيا. فالجمهورية السوفييتية الفتية التي لم يشتد ساعدها بعد، أخذت تتصدّى بحزم وثبات للعالم الرأسمالي بأكمله، الذي كان يمتلك التفوق الكبير في القوات المسلحة والموارد الاقتصادية. ومع ذلك فقد خرجت الجمهورية السوفييتية منتصرة.

لقد قاسى الشعب الروسي مرارة الحرب وآلامها الكثيرة، كما أن الحرب أوقفت حركة البلاد ومسيرتها نحو الاشتراكية. حتى إن الأضرار التي لحقت بالاقتصاد الوطني بلغت حوالي ٥٠ مليار روبل ذهبي؛ وتقلص الانتاج الصناعي من ٤ إلى ٢٠٪ عن مستواه في عام ١٩١٤، كما أن الاقتصاد الزراعي تضاءل بمقدار ثلاثة أمثال. وبالإضافة إلى ذلك فإن الحرب أودت بحياة ثمانية ملايين نسمة، من بينهم نحو مليون محارب في الجيش الأحمر.

لقد كشفت الأمبريالية العالمية أمام العالم، ليس فقط عن جوهرها اللاإنساني بل وعن عجزها وضعفها في الصراع ضد الشعب الذي ثار على الظلم وخاض الحرب العادلة. وفي التجارب الحربية القاسية أكد النظام الاجتماعي السوفييتي الجديد على قوته التي لا تقهر، كما أنه خرج من الحرب قوياً ومنتصراً. وهكذا فإن الاشتراكية كسبت الجولة الحاسمة الأولى في صراعها ضد قوى العالم الرأسمالي.

إن النظام الاجتماعي والحكومي الجديد، والطابع العادل للحرب، أوجدا الضرورة والشروط اللازمة لخلق أسس العلم العسكري السوفييتي. وقد لعب ف. إ. لينين الدور الطليعي في وضع أصول هذا العلم. كذلك أبرز زعيم الشعب الروسي في مؤلفاته وخطبه وتوجيهاته أهم المبادىء للبناء العسكري، والفن العسكري، ذات الأهمية الكبرى في تنظيم الدفاع المسلح عن الدولة الاشتراكية، حتى أيامنا هذه. كما أن القادة العسكريين في الجمهورية السوفييتية الفتية، أسهموا بقسط كبير أيضاً في وضع أسس العلم العسكري السوفييتي وفن الحرب.

وخلال الحرب الأهلية، تـمّ تشكيل جهاز جديد لقيادة الدفاع عن البلاد والقوات المسلحة. كما أن اللجنة المركزية لحزب البلشفيك جمعت في يدها الإشراف العام على نشاطات كافة الإدارات والمؤسسات وعلى نضال الشعب السوفييتي في الجبهات، وفي مؤخرة البلاد، ووراء خطوط الجبهات. أما القيادة المباشرة للقوات المسلحة فقد تولاها المجلس العسكري الثوري في الجمهورية عن طريق عناصره وهيئاته، والمجالس العسكرية الثورية في الجبهات والجيوش. وقد لعب المفوضون العسكريون دوراً هاماً في تشكيل الجيش

الأحمر ، وتحقيق انتصاراته ، وفي الاستفادة من الاختصاصيين العسكريين الذين عملوا في جيش القيصر . وان النجاحات التي حققها الجيش الأحمر على الجبهات تعود أسبابها ، إلى حد كبير ، إلى حقيقة ثابتة وهي إقامة نظام الإمداد المركزي والمخطط للقوات في النصف الثاني من عام ١٩١٩ .

إن فن الحرب في الجيش الأحمر الفتيّ ، برهن على تفوقه أمام فن حرب العدو . ومن المعلوم أن الشروط الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة مستوى تطور التسليح ، ونوعية أفراد الجيش ، تشكّل في حد ذاتها أساساً لتطور فن الحرب . ولقد وجدت في حوزة الجيش الأحمر أسلحة تركها له الجيش القديم ، كما أن الجيش الأحمر استخدم بصورة عامة طرق الصراع المسلح التي استخدمت خلال الحرب العالمية الأولى من قبل الجيش الروسي والجيوش الأخرى . غير أن هذه الطرق لم يستخدمها الجيش الأحمر في المعركة بصورة آلية ، بل استخدمها بصورة خلاقة ومبدعة ، بعد أن أدخل عليها عناصر جديدة . كذلك كان الجيش الأحمر يتمتع بوعي سياسي عالٍ لا مثيل له ، وروح معنوية تفتقر إليها الجيوش المضادة للثورة . إن ذلك كله ، ساعد على وضع الطرق الفعّالة للأعمال التكتيكية والاستراتيجية منذ اللحظة الأولى لمولد فن الحرب السوفييتي . وتميزت أعمال الجيش الأحمر بالطبيعة المناورة وبالانتقال السريع من نوع إلى آخر للأعمال ــ أي من الدفاع إلى الهجوم وبالعكس ، وبالتوغل العميق داخل مؤخرات العدو من جانب فيالق وجيوش الخيالة ، وبالجمع بين أعمال الجيوش النظامية وقوات الأنصار .

وفي مطلع الحرب الأهلية عام ١٩١٨ ، كانت أعمال الجيش الأحمر تحمل طابعاً مناوراً على الاتجاهات المستقلة بشكل خاص . فقد كان للتشكيلات والقطعات مجنبات مكشوفة ، وكانت هناك نقاط فصل واسعة مع الجوار ، كما أن النقص في عدد الوسائط القتالية ، وخاصة المدفعية ، وعدم قدرة التشكيلات الجديدة على الحركة ، كل ذلك جعل هذه التشكيلات ملتصقة بالسكك الحديدية الرئيسية . وهكذا فإن الصراع كان يدور من أجل عقد السكك الحديدية والنقاط الآهلة بالسكان بصورة خاصة . كما أن القوات كانت تتحرك في قوافل السكك الحديدية بصورة خاصة وتنتشر وتخوض المعركة الميدانية عند اصطدامها بالعدو ، وبعد المعركة تركب من جديد في القطارات وتبدأ بمطاردة العدو إلى أن تنتشر مجدداً أو تنسحب إلى مواضع جديدة في مؤخرة الصديق ، وذلك تبعاً لنتائج المعركة .

لقد تبدّل طابع الصراع المسلح على ضوء تطور الحرب ، وازدياد حجم القوات المسلحة للأطراف المتحاربة ، وتشكّل الجبهات المتصلة والمتماسكة على الاتجاهات الاستراتيجية الرئيسية ، وازدياد الكثافات العملياتية والتكتيكية للقوات . إلا أنه على الرغم من بقاء الأعمال المناورة حتى نهاية الحرب الأهلية ، فقد كان ينبغي العمل على خرق المواضع الميدانية المحصنة للعدو ، وإقامة الدفاع التكتيكي والعملياتي الأكثر عمقاً وثباتاً . ويعود الفضل الكبير إلى قدرة الجيش الأحمر على السرعة في استيعاب الشروط المتبدّلة وطبيعة الصراع المسلح ، وفي إيجاد الطرق الملائمة لخوض الأعمال القتالية .

الاستراتيجية العسكرية : إن الاستراتيجية في كل حرب من الحروب تتأثر بالسياسة ؛ فهي التي توجد تلك الأشكال والطرق المناسبة لاستخدام القوات المسلحة ، التي من شأنها أن تؤمن تحقيق الأهداف السياسية . ففي الحرب الأهلية تضافرت السياسة مع الاستراتيجية بشكل وثيق . كما أن القرارات السياسية

مثل التحالف مع القوى الأخرى في الحرب، وحقوق الشعوب في تقرير المصير، وغيرها من القرارات الأخرى كانت تؤثر على سير ومصير الحرب. وعلى ضوء ذلك فقد ظهر خلال الحرب الأهلية مبدأ يقول بأن الاستراتيجية العسكرية هي أداة السياسة.

إن تأثير الشروط الاقتصادية على الاستراتيجية، مردّه إلى الأبعاد الكبيرة للصراع المسلح، وإلى الاحتياطات الهائلة من الوسائط المادية والفنية. ففي الأشهر الأولى من الحرب، كانت قطعات الجيش الأحمر تحصل على الاحتياطات التي تركها جيش القيصر. أما في السنوات التالية فإن التأمين المادي والفني للجبهات العاملة كان يتوقف مباشرة على جهود الكادحين في روسيا السوفييتية، وعلى عمل الصناعة السوفييتية.

لقد لجأت القيادة السياسية والعسكرية مراراً إلى تنفيذ المهمة الملحة التي تواجهها، وهي تحديد العدو الرئيسي، والجبهة الرئيسية للصراع المسلح. فالبلاد كانت محاصرة من قبل العدو، وتنفيذ المهام العسكرية كان يتم بالتسلسل وعن طريق تركيز الجهود على واحدة من الجبهات الكثيرة. لذا، فإن التحديد الصحيح للعدو الأكثر خطورة، واتجاه الضربة الرئيسية على مسرح الأعمال الحربية كان يعتمد على حساب نسبة القوى الطبقية وطبيعة الصراع الطبقي، والتناسب الكمي والنوعي للقوى والوسائط، وعلى شروط الموقف العملياتي ــ الاستراتيجي المتشكل. لذا، فإن جهود الجيش الأحمر كانت تتركز في كل مرحلة من مراحل الحرب الأهلية ضد العدو الأكثر خطورة، والذي بتحطيمه يمكن تغيير الموقف السياسي العسكري تغييراً جذرياً.

ومن بين الخصائص الهامة للاستراتيجية العسكرية السوفييتية، الحشد الساحق للقوى والوسائط على الاتجاه الرئيسي وفي اللحظة الحاسمة وتشكيل الاحتياطات الاستراتيجية، واستعواضها خلال الأعمال الحربية (انظر الشكل رقم ٢١).

لقد استخدم الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية مختلف أنواع الأعمال القتالية: الهجوم، والهجوم المعاكس، والدفاع، وأعمال الأنصار. وانطلاقاً من توجيهات ف. ي. لينين، القائلة بأن «طرق الصراع ضد العدو، يجب أن تتبدل بشكل صحيح حسب تبدل الشروط»، (ف. ي. لينين، المختارات الكاملة، المجلد ٣٦، صفحة ١٧٨)، فقد أظهرت الاستراتيجية العسكرية السوفييتية مرونة في اختيار أنواع الأعمال الاستراتيجية وطرق العمليات الاستراتيجية.

لقد كان الهجوم الاستراتيجي النوع الأساسي والحاسم بين أنواع الأعمال القتالية، لأنه وحده الذي كان يؤمن تحقيق الأهداف الحاسمة للحرب. كما أن الهجوم الاستراتيجي كان يحمل طابعاً نشيطاً ويهدف إلى سحق العدو بالكامل، وطرده من المناطق ذات الأهمية السياسية والاقتصادية في البلاد. ونظراً لاتساع أبعاد الحرب، فإن الهجوم الاستراتيجي أصبح ينفذ عن طريق القيام بعدد من العمليات المتتابعة، وبقوى جبهة واحدة أو بقوى جبهتين كما حدث في نهاية الحرب. أما العمليات فقد نفذت دون توقفات زمنية

كبيرة فيما بينها. كما أن تحول العمليات الهجومية إلى المطاردة، التي كانت تنتهي عادة بالقضاء على العدو نهائياً، أصبح الصفة المميزة للهجوم الاستراتيجي.

وكان الهجوم المعاكس يستخدم بهدف سحق تجميعات العدو المهاجمة ــ الضاربة وانتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية. كما أن الانتقال إلى الهجوم المعاكس كان ينفذ بعد الدفاع والانسحاب ودون توقفات عملياتية، وفي اللحظة التي تستنفد فيها الإمكانات الهجومية للعدو. كما أن الهجوم المعاكس كان يبدأ بضربات معاكسة قوية، توجه عادة إلى مجنبات التجمع الضارب المعادي. أما القوى المخصصة لتوجيه هذه الضربات المعاكسة وللانتقال إلى الهجوم العام فكانت تحشد نتيجة لإعادة تجميع القوات داخل الجبهة، أو نتيجة لنقل الاحتياطات من جبهات أخرى. وعن طريق تعزيز الجبهة المنتقلة إلى الهجوم العام بالاحتياطات الاستراتيجية كانت قيادة الجيش الأحمر تؤمن تحويل الهجوم المعاكس إلى هجوم عام.

لقد تميزت العمليات الاستراتيجية للجيش الأحمر باتساع الأبعاد إلى حد كبير. فالجبهة كانت تنتشر عادة على مسرح الأعمال الحربية ضمن نطاق يتراوح بين ٧٠٠ كيلو متر، كما كان الحال على الجبهة الغربية، و١٨٠٠ كيلو متر، كما كان الحال على الجبهة الشرقية. وقد بلغ عمق الهجوم الاستراتيجي للجبهة الشرقية ١٠٠٠ كيلو متر في عام ١٩١٩؛ أما بالنسبة للجبهة الغربية الجنوبية فقد وصل هذا العمق إلى حوالي ٩٠٠ كيلو متر في خريف العام نفسه. أما مدة العملية الهجومية المنفذة على هذا العمق فقد انحصرت وسطياً بين ثلاثة وأربعة أشهر، وبوتيرة تتراوح بين ٦ و ١٠ كيلو متر أو أكثر في اليوم الواحد.

(الشكل رقم ٢١) ــ تطور أشكال البنية العملياتية ومبدأ الحشد في الحرب الأهلية.

لقد استخدم الدفاع الاستراتيجي كأحد الأعمال القتالية الاضطرارية. ففي عام ١٩١٨ كان ينفذ هذا الدفاع بهدف كسب الوقت لإعادة بناء الجيش وتعبئة القوات؛ أما في عام ١٩١٩ فقد استخدم الدفاع على الاتجاهات الثانوية بهدف تمكين القوات الصديقة من الهجوم على الاتجاه الرئيسي في الوقت نفسه. وفي معظم الحالات، كان الدفاع الاستراتيجي للجيش الأحمر يخلق في النهاية الشروط المواتية للانتقال إلى الهجوم الحاسم، بغض النظر عن فقدان أجزاء من الأراضي.

إن من بين الشروط الهامة لتحقيق النجاح في الصراع المسلح، تنظيم التعاون الأستراتيجي الذي كان يتحقق عن طريق إسناد المهام وتنفيذها بنجاح من قبل الجبهات، بحيث يؤثر ذلك على أعمال التجمعات المجاورة. وكان التعاون ينظم دوماً لصالح تلك الجبهة التي تنفذ المهمة الرئيسية.

كان التخطيط للأعمال الاستراتيجية من المشاكل الصعبة جداً. فالقيادة الفنية للجيش الأحمر والأركانات العليا التي شكلت مجدداً، لم تكن لديها الخبرات المطلوبة في بداية الحرب. لقد كان التخطيط ينحصر في تقييم الوضع الاستراتيجي، ونقاط القوة والضعف لدى العدو، وتحديد نظام تسلسل أعمال القوات، وأسس التعاون، وكذلك في توزيع القوى والوسائط على المهام وتجميعات القوات العاملة. وكان التخطيط ينفذ على أساس أهداف الأعمال المقبلة وفكرتها، التي خطط لها على ضوء توجيهات القيادة السياسية في البلاد.

كان الطيران لا يزال قليل العدد، ومخصصاً من أجل الاستطلاع في الحرب بصورة عامة. وفي الوقت نفسه كان الطيران يستخدم من أجل توجيه ضربات بالقنابل إلى مختلف أغراض العدو، وذلك ضمن القطاعات الهامة من الجبهة فقط. والجدير بالذكر أن أعمال الطيران كانت فعالة ضد خيالة العدو بصورة خاصة.

كان التفوق لصالح الأساطيل المعادية على مسارح الأعمال الحربية البحرية. فالمهام الرئيسية للأسطول السوفييتي البحري ـــ الحربي، كانت تتمثل في الاشتراك مع القوات الأخرى للدفاع عن شاطىء البحر، وتغطية المجنبات الساحلية للقوات البرية، وتأمينها بنيران المدفعية الساحلية ومدفعية السفن. أما العمليات البحرية المستقلة فكان الأسطول ينفذها بهدف الصراع ضد الحصار المفروض من قبل أساطيل دول التدخل، واختراق المناطق المحصنة على ضفاف الأنهار، وتنفيذ الاستطلاع وأعمال الدوريات وإقامة حواجز الألغام وكسح حواجز العدو.

استطاعت الاستراتيجية السوفييتية أن تعالج بشكل صحيح، مشكلة تشكيل الاحتياطات التي كانت، في حال توفرها، تخلق إمكانية تنفيذ عدد من العمليات الهجومية المتتابعة بفواصل زمنية قصيرة، والتي كانت تسفر عن سحق قوات العدو سحقاً كاملاً.

وكان لتنظيم مؤخرة الجيش الأحمر والتأمين المادي والفني لأعمال هذا الجيش أهمية عظيمة خلال الحرب الأهلية. ففي شروط النقص الكبير بالأسلحة والذخائر، الذي كانت تعاني منه البلاد، كانت قيادة

المؤخرة تتبع مبدأ تلبية الاحتياطات بالأفضلية الأولى لتلك التجميعات التي تنفذ المهمة الاستراتيجية الرئيسية. ولقد لعبت وسائط نقل السكك الحديدية دوراً كبيراً في هذا المجال، حيث إنها نفذت أعمال الإمداد العملياتي الرئيسية، وقامت بأعمال النقل لصالح الجبهات العاملة على مسافات بعيدة، على الرغم من النقص بالوقود الذي كانت تعانيه هذه الوسائط وحالتها الفنية السيئة وقلة عددها.

فن العمليات: لقد نشأ وتطوّر فن العمليات السوفييتي بالتدريج مع حصول الجحافل العملياتية للجيش الأحمر على الخبرات القتالية خلال سنوات الجيش الأحمر، وهي الانتقال من التوزيع المتساوي للقوى والوسائط، كما كان الحال في عمليات مطلع الحرب، إلى تركيز الجهود على اتجاه الضربة الرئيسية، والنطاقات العريضة لأعمال الجحافل العملياتية، والكثافات المنخفضة في القوى والوسائط التي كانت تضطر للعمل على نسق واحد كقاعدة عامة مع وجود احتياطات محدودة، والمناورة الماهرة بالقوات، وحسمية الأهداف المحددة للعمليات. كما أن عملية الجيش كانت الشكل الأساسي لخوض الأعمال القتالية على المستوى العملياتي. ومع ازدياد حجم القوات وتشكل الجبهات المتصلة (المتماسكة) ازدادت أهمية عمليات الجبهات التي كانت تنفذ مهاماً استراتيجية.

لقد كان الجيش المشترك الجحفل الأساسي المؤلف من فرقتين ــ ثلاث فرق في مطلع الحرب. وبعد ذلك أصبح يضم هذا الجيش في قوامه أربع أو خمس فرق مشاة وفرقة خيالة؛ أي بقوام عددي يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ ألف رجل و ٨٠ ــ ١٢٠ مدفعاً.

إن الطابع الحاسم للأهداف الاستراتيجية، وعدم وجود الجبهات المواضعية المتصلة والدور الحاسم للمناورة، كل ذلك أدّى إلى زيادة اتساع أبعاد عمليات الحرب الأهلية أضعافاً مضاعفة بالمقارنة مع أبعاد عمليات الحرب العالمية الأولى، على الرغم من أن عدد القوى والوسائط في الجيوش انخفض إلى حد كبير. ويبين الجدول (رقم ٩) أبعاد عدد من العمليات الهجومية؛ إذ إن معطيات هذا الجدول، تتحدث عن خصائص العمليات في تلك الفترة التي كانت فيها الكثافات العملياتية للجيوش منخفضة إلى حد كبير، وعندما كانت مدة العمليات طويلة جداً.

وفي نهاية الحرب الأهلية، تقلصت نطاقات أعمال الجيوش حتى ٣٥ ــ ٦٠ كيلو متراً، كما ازدادت إلى حد كبير الكثافات بالقوى والوسائط، وازدادت وتيرة الهجوم حتى ١٢ ــ ١٦ كيلو متراً في اليوم. وفي البنية العملياتية للجيش العامل على نسق واحد ظهر عنصر جديد في هذه البنية، هو المجموعة المتحركة التي كانت تضم في قوامها عادة فرقة خيالة، وقطعات مشاة مستقلة، استطاعت أن تنفذ غزوات جريئة ضد مؤخرات العدو (انظر الشكل رقم ٢٢).

كانت الضربات الجانبية والجبهية، والالتفاف على مجنبة أو مجنبتين للعدو والضربة الاسفينية العميقة، وكذلك الجمع بين هذه الضربات، تكون الأشكال الرئيسية للمناورة العملياتية في الجيش.

ومع ازدياد حجم القوات وتشكل الجبهات المتصلة، ازدادت أهمية عمليات الجبهات التي كانت

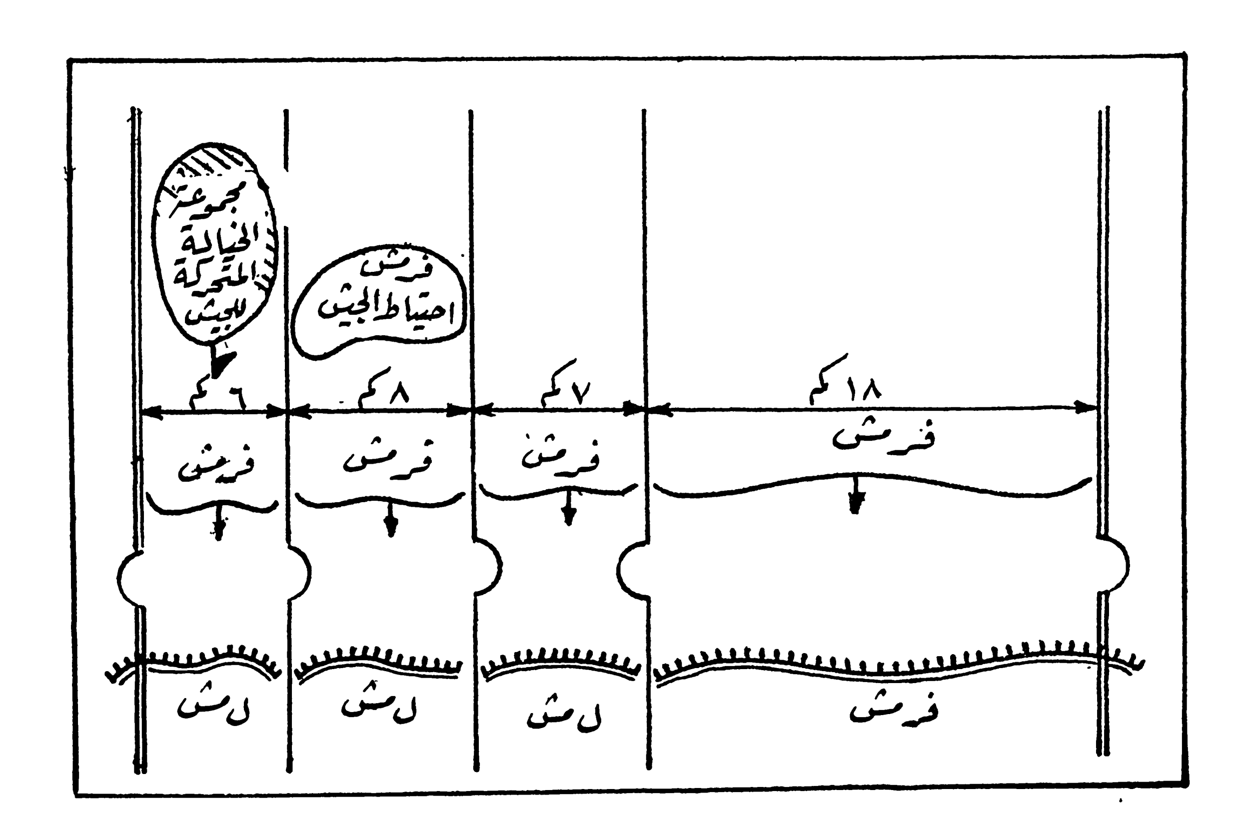
تنفذ مهاماً استراتيجية . وكان القوام القتالي للجبهة يتألف عادة من ثلاثة أو أربعة جيوش مشتركة . واعتباراً من صيف عام ١٩١٩ ، أصبح قوام الجبهة يضم فيلق خيالة ، أو جيشاً أو جيشين من الخيالة أثناء عمل الجبهة على الاتجاه الرئيسي . وقد امتدت الأعمال الهجومية للجبهات في المرحلة الأولى من الحرب ضمن نطاق بلغ ٢٠٠٠ كيلو متر ، أما في المراحل التالية من الحرب فقد ضاقت هذه النطاقات حتى ٣٠٠ ــ ٥٠٠ كيلو متر ، كما نفذت الأعمال الهجومية على عمق ٢٠٠ ــ ٣٠٠ كيلو متر . وكانت مدة العملية تتراوح ما بين ٣٠ ــ ٣٥ يوماً ؛ أما الشكل الرئيسي للمناورة العملياتية في هجوم الجبهة فقد أصبح في نهاية الحرب خاصة ، الضربة على كلتا مجنبتي تجميع العدو في آن واحد . إلا أنه نظراً للنقص في القوى وخصائص الموقف العملياتي ، لم يكن بالمستطاع تطويق التجميع الرئيسي للعدو .

(الجدول رقم ٩)

أبعاد عمليات الجيوش الهجومية خلال الحرب الأهلية

أسماء الجيوش والعمليات	مؤشرات وخصائص العمليات					
	القوى والوسائط		المعدلات العملياتية			
	حراب وسيوف (بالآلاف)	مدافع (عدد)	عرض النطاق (كم)	عمق العملية (كم)	مدة العملية (يوم)	وتيرة الهجوم الوسطية (كم/يوم)
جيش تركستان في عملية أوفيم	٢٥	٨٠	١٢٠	١٥٠	٢٥	٦
الجيش الخامس في عملية زولا كواوستوف	٢٠	٩٠	١٥٠	١٢٠	٢٠	٦
الجيش الرابع عشر في عملية خاركوف	٢٠	١٤٠	١٠٠ــ١٢٠	٢٠٠	٢٠	١٠
الجيش الخامس عشر في عملية أيار ــ مايو ١٩٢٠	٣٨	١٣٠	٦٠ ــ ١٠٠	١٠٠	٢٠	٥

لقد تشكلت خبرات كافية وغنية في استخدام جيوش الخيالة المعززة بفرقة أو فرقتي مشاة على الاتجاه الرئيسي لضربة الجبهة . فالأعمال المندفعة التي تقوم بها الخيالة كانت تزيد من الوتيرة العامة للهجوم ومن عمق العملية ، وتؤدي بالتالي إلى تحقيق الأهداف الحاسمة . وفي حال الهجوم على دفاع محضّر على عجل ، كانت جيوش الخيالة تستخدم في النسق الأول من أجل تحقيق الخرق التكتيكي المستقل ، وبالتالي تطوير هذا الخرق على عمق عملياتي كبير .



(الشكل رقم ٢٢) ــ البنية العملياتية المميزة للجيش في العملية الهجومية عام ١٩٢٠ .

ازدادت ثروة فن العمليات السوفييتي ، نتيجة للخبرات التي حصل عليها في تنظيم العمليات الدفاعية وتنفيذها . كما أن الدفاع المواضعي على جبهة متصلة ، كان نادراً خلال الحرب الأهلية من قبل الطرفين المتحاربين ، وكذلك فإن الخبرة في خرق مثل هذا النوع من الدفاع كانت محدودة أيضاً .

لقد استخدم الجيش الأحمر على نطاق واسع الأعمال الدفاعية على المستوى العملياتي بهدف توفير القوى وكسب الوقت من أجل الانتقال إلى الهجوم فيما بعد . ولذلك فقد حدد للجيوش في الدفاع نطاقات عريضة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو متر أو أكثر . وبكثافات عملياتية منخفضة جداً في القوى والوسائط . وهذا ما جعل من غير الممكن تشكيل الجبهة المتصلة للدفاع . وقد تشكلت البنية العملياتية من نسق واحد مع وجود احتياطات محدودة ، كما أن القوات المدافعة احتلت مواقعها في المدن والقرى وفي الأغراض الأخرى ، وعقد السكك الحديدية والطرق المعبدة ، كما استخدمت على نطاق واسع المناورة المضادة أثناء محاولات العدو للوصول إلى مجنبات .ومؤخرات التجميعات المدافعة . ولقد كان الدفاع المناور ، الدفاع النموذجي طيلة فترة الحرب الأهلية ، عندما كان التجهيز الهندسي للأرض على شكل بؤر مستقلة ضعيفاً وغير كاف . وغالباً ما كانت جبهة الدفاع تتبدل بسرعة نظراً لاضطرار القوات للانسحاب إلى خطوط خلفية جديدة ، وفي بعض الحالات كان انسحاب الجيش والجبهة يتم على عمق كبير .

هناك طابع آخر للدفاع الذي كان يهدف إلى التمسك بالمدن الكبرى والمناطق الهامة مثل تصاريتصين ، وبتروغراد ، ورأس جسر خاركوف وغيرها . إذ إن مثل هذا الدفاع كان يحمل سمات الدفاع

وتشكل جهاز النيران ، ويزيد من كثافات القوى والوسائط على مشارف هذه المدن وفي ضواحيها بمساعدة السكان المحليين .

وعلى الرغم من اتساع نطاقات الدفاع وانخفاض الكثافات العملياتية ، فإن الدفاع كان فعالاً بصورة عامة وذا طابع ديناميكي ومتوتر إلى حد كبير . وقد تحققت فعالية الدفاع وازدادت عن طريق القيام بالمناورة الواسعة بالقوى على امتداد الجبهة ، وعن طريق تحريك الاحتياطات من عمق البلاد وشن الضربات المعاكسة ضد تجمعات العدو المخترقة . وفي بعض الجبهات ازداد الطابع المتوتر للدفاع نظراً لضرورة إبطال وقمع البؤر المضادة للثورة في مؤخرة القوات المدافعة .

وخلال الحرب الأهلية تم الحصول على خبرات غنية ، واستنتاجات نظرية قيمة حول المسائل الأساسية المتعلقة بإعداد وتنفيذ عمليات الجيوش والجبهات . وقد أكدت هذه الخبرات ، كما هي الحال بالنسبة لخبرات الحرب العالمية الأولى ، على أن التقسيم السابق لفن الحرب إلى استراتيجية وتكتيك لم يعد يتوافق مع التبدلات الجذرية التي طرأت على طبيعة الصراع وطرق خوضه . كما أن مثل هذا التقسيم لم يعد يشتمل على كافة مسائل إعداد العمليات وتنفيذها . وهكذا أصبح من الضروري أن يشتمل فن الحرب السوفييتي على النظرية والتطبيق في تحضير العمليات وتنفيذها . وهذا ما يسمى بفن العمليات ، الذي اكتسب أهميته الخاصة فور انتهاء الحرب الأهلية .

التكتيـك : لقد تطوّر تكتيك الجيش الأحمر طرداً مع استيعاب الخبرات المستفادة من استخدام كافة صنوف القوات مع التعاون الوثيق فيما بينها ، إذ أثرت تأثيراً كبيراً على تطور هذا التكتيك خبرات الحرب العالمية الأولى . بالاضافة إلى ذلك ، كان للحرب الأهلية خصائصها في هذا المجال ، التي أثرت على طرق خوض المعركة المشتركة . كما أن عدم وجود الدبابات ، والنقص في المدفعية والذخائر ، وضعف الطيران ، كل ذلك زاد من أهمية الوسائط النارية التي في حوزة المشاة ، وخاصة نيران الرشاشات المكثفة والمناورة بالرشاشات في المعركة . كذلك نفذت المعركة الهجومية والدفاعية على جبهات واسعة وبكثافات تكتيكية ضئيلة ؛ ومع ذلك فإن تكتيك الجيش الأحمر في كافة أنواع المعارك كان يتميز بالفعالية ، وباختيار أفضل الطرق الحاسمة لخوض المعركة ، والمناورة العالية ، والمبادهة الجريئة للمقاتلين والقادة على مختلف مستوياتهم .

وكان الهجوم يشكل النوع الأساسي للمعركة ، لكن قلة عدد القوى وطول امتداد الجبهات أوجد في مطلع الحرب كثافات تكتيكية منخفضة ، إلا أن هذه الكثافات ازدادت بالتدريج خلال الحرب . فإذا كانت الفرقة تهاجم في مطلع الحرب الأهلية ضمن نطاق ٤٠ ــ ٥٠ كيلو متراً على اتجاه الضربة الرئيسية ، فإنها أصبحت تهاجم في خريف عام ١٩١٩ في نطاق يتراوح بين ٢٥ ــ ٣٠ كيلو متراً ، كما ضاق هذا النطاق حتى ٧ ــ ١٥ كيلو متراً في عام ١٩٢٠ . أما عمق المهمة المباشرة للفرقة في المعركة الهجومية فكان يتراوح عادة بين ٧ و ١٠ كيلو متر ، والمهمة اليومية حتى ١٥ كيلو متراً . كما أن تراتيب قتال الوحدات والقطعات والتشكيلات كانت تُبنى على نسق ــ نسقين مع وجود احتياطات ؛ وكانت سلسلة الرماة تشكل أساساً لترتيب قتال الوحدة المقاتلة . كما كانت رشاشات المشاة تتواجد في سلاسل

الرماة . وخلال المعركة كانت هذه السلسلة تتحول إلى نوع آخر من ترتيب القتال هو ترتيب المجموعات ، حيث كانت الرشاشات تشكل أساساً للمجموعات القتالية .

المعركة الهجومية كانت تتألف من النيران والمناورة والضربة ، وتنفذ بالتعاون الوثيق بين المشاة والمدفعية والخيالة . كما أن مدفعية الفرقة القليلة العدد ، خلال الفترة الأولى من الحرب الأهلية ، كانت تلحق في الأفواج وتستخدم بصورة لا مركزية . وفي نهاية الحرب ، وعندما ازداد عدد المدافع في الفرق زيادة ملحوظة ، وتقلص اتساع نطاقات العمل إلى حد كبير ، بدأت تشكل مجموعات المدفعية . وكان التمهيد المدفعي للهجوم قصيراً ومؤلفاً ، بصورة عامة ، من صبيب ناري قصير . ولذلك فإن نيران الرشاشات المكثفة التي ترافق المشاة باستمرار طيلة فترة الهجوم ، كانت تلعب الدور الكبير في المعركة الهجومية . كما أن نجاح المعركة كان يتحقق بالضربة الحاسمة وبهجمة الحراب ، وبالسلاح الأبيض . أما مطاردة العدو المنسحب فكانت تستمر دون انقطاع بدءاً من تراتيب القتال ، وانتهاء بتراتيب المسير . إلا أن الخيالة لعبت الدور الكبير في سحق العدو المنسحب .

إن الطبيعة المناورة للصراع المنسلح خلقت الشروط المناسبة لتحقيق المفاجأة . ففي سنوات الحرب الأهلية ، كانت تستخدم أحياناً الهجمات الليلية المباغتة ، والالتفاف العميق مع توجيه الضربة المفاجئة من الخلف ، وغارات الخيالة السريعة . وأن هذه الأعمال القتالية بمجموعها كانت تسفر عن نتيجة وتأثير كبيرين .

خلال سنوات الحرب ، كانت قوات الجيش الأحمر تنفذ الهجوم مع اقتحام العوائق المائية الكبيرة في الكثير من الأحيان . أما اقتحام الأنهار فكان يتم عادة من الحركة وبالوسائط المتوفرة محلياً أو تحت جنح الظلام . كما أن أعمال المشاة لاجتياز النهر كانت تدعم أحياناً من قبل سفن الأساطيل النهرية . وبعد اقتحام النهر ، كانت الوحدات والقطعات تندفع فوراً لتطوير النجاح وتوسيع رأس الجسر الذي احتلته .

لقد احتل تنفيذ المعركة الدفاعية مكانة هامة في تكتيك الجيش الأحمر . فالأعمال الدفاعية كانت تنفذ بهدف التمسك بالأرض وكسب الوقت وخلق الشروط المناسبة للانتقال إلى الهجوم . وكان الدفاع على جبهة عريضة هو النوع المألوف خلال فترة الحرب الأهلية ، إلا أنه كان يتميز بانعدام الجبهة الدفاعية المتصلة ، وبالمناورة والفعالية العالية للقوات المدافعة . وكان يحدد للفرقة في الدفاع نطاق عريض يصل إلى ٥٠ كيلو متراً أو أكثر ؛ كما أن تراتيب القتال في الدفاع كانت تتألف من قطاعات قتالية للكتائب والأفواج ، والاحتياطات . وهكذا فإن عمق الدفاع كان يتحدّد على ضوء عمق توضع الاحتياطات التكتيكية . وفي الحالات النادرة ، عندما كان ينبغي على قطعات الجيش الأحمر إقامة الدفاع المواضعي ، كانت هذه القطعات تستخدم خبرة الحرب العالمية الأولى ، كما حدث ذلك على سبيل المثال في الدفاع عن رأس جسر كاخوف ، حيث تم تجهيز ثلاثة خطوط دفاعية مؤلفة من مساند للرمي ومصاطب للرشاشات ومخابىء وخنادق مواصلات . وهنا استخدم الجيش الأحمر ، ولأول مرة ، عناصر الدفاع المضاد للدبابات على نطاق واسع ، وعلى شكل «ملائم» مضادة للدبابات ، وسرايا وفصائل مدفعية خاصة ، مخصصة للرمي المباشر على

الدبابات المهاجمة . وفي الدفاع المواضعي شكلت مجموعات مدفعية في تراتيب القتال ، مع قيادة النيران بصورة مركزية .

إن فن الحرب السوفييتي الفتي تعرض خلال مواقع الحرب الأهلية الطاحنة إلى امتحان قاس ، وبرهن على سلامته وتفوقه على فنون الحرب للقوات المسلحة في دول التحالف الغربي وفي قوات الثورة الداخلية المضادة على الرغم من تفوق العدو في العتاد القتالي . كما أن الوعي العالي وإدراك أهداف الصراع ، والحماسة الثورية ، كل ذلك حقق لقوات الجيش الأحمر التفوق الساحق على العدو .

وخلال الحرب الأهلية ، برز من بين صفوف الشعب الكادح والعناصر الثورية المتخصصة ، والضباط والجنود الذين خدموا في جيش القيصر ، العديد من الرؤساء والقادة العباقرة أمثال : ف . ك . بلوخر ، س . م . بوديوني ، غ . ي . كوتوفسكي ، د . ي . بارخومنكو ، س . ك . تيموشينكو ، ف . ي . شابايف ، ن . أ . شورس وآخرون .

لقد لعب الاختصاصيون العسكريون ، من الجيش الروسي القديم دوراً كبيراً في خلال هذه الحرب ، كما أن غالبيتهم قاتلوا بشرف وإخلاص وخدموا شعبهم ووطنهم خدمة جليلة . كما أن الحكومة السوفييتية منحت الاختصاصيين المهرة والأمناء على مصالح الشعب والدولة مناصب قيادية ومسؤوليات كبيرة مثل : مناصب القادة العامين وقادة قوات الجبهات والجيوش ، وضباط الأركان العامة . ومن بين هؤلاء : س . س . كامينيف ، م . ن . توخاشيفسكي ، ب . م . شابوشنيكوف ، ن . ب . اوبوريفيتش وغيرهم .

لقد لعب ميخائيل فاسيليفيتش فرونزه دوراً بارزاً في تطوير فن الحرب السوفييتي في خلال سنوات الحرب الأهلية ، كما أنه أسهم إلى حد كبير في وضع أسس النظرية العسكرية . فالكثير من المؤرخين والكتّاب يدهشهم ذلك الإنسان الذي خرج من قواعد الشعب الدنيا وأصبح ليس فقط قائداً بارزاً — مطبقاً للعمل العسكري ، بل ومنظراً عسكرياً كبيراً دون أن يحصل على التعليم العسكري الخاص . ولا شك في أن قوة شخصية م . ف . فرونزه ، كان لها أكبر الأثر في هذا المجال . إلا أنه لا يجوز أن ننسى مقدرة القادة والمسؤولين في الحزب البلشفي ، الذين استطاعوا اختيار الكوادر الثورية المخلصة والمنظمين العباقرة ، والقادة لجماهير الشعب .

على الرغم من أن حياة م . ف . فرونزه كانت قصيرة الأمد ، ولا تتجاوز الأربعين عاماً ، فإنه ترك لنا ثروة نظرية — عسكرية كبيرة ، أهم ما فيها الخبرة المستخلصة من بناء القوات المسلحة لأول دولة اشتراكية في العالم . وباعتباره ثورياً متخصصاً فقد انضم إلى الجيش حيث تولى مباشرة منصب قائد جيش مشترك في مرحلة عصيبة ، وعلى أخطر قطاع من قطاعات الجبهة . وبفضل ثباته اللامتناهي ، وإرادته التي لا تلين وإمكاناته التنظيمية الكبيرة ، استطاع فرونزه أن يغيّر الموقف تماماً في الجيش ، في خلال مدة قصيرة جداً . كما أن عمليات تحطيم قوات كولتشاك ارتبطت باسمه عندما كان قائداً للجبهة الشرقية ، وكذلك تحطيم قوات الحرس الأبيض في تركستان . وإضافة إلى ذلك ، فقد أعد ونظم العمليات الهجومية للجبهة الجنوبية لسحق قوات فرانجيل وتحرير شبه جزيرة القرم .

إن العمليات التي نفذت بقيادة م . ف . فرونزه ، تميزت بجرأة الفكرة ، وحسمية الأعمال ، وبالحشد الماهر للقوى والوسائط على الاتجاهات الرئيسية وصد ذلك التجميع المعادي الذي كان بسحقه يتحقق نجاح العملية بأكملها . ولقد أولى فرونزه اهتمامه الكبير لتنظيم الاستطلاع وتأمين السرية والمفاجأة في الأعمال . كما أنه تميز بالقيادة الماهرة والحازمة لِلقوات ، وبإصرار على تطبيق القرارات المتخذة . وكان يتمتع بقدرة عالية وهائلة على العمل ، وبالرجولة والبسالة . وفي اللحظات الحاسمة ، كان يتواجد بين صفوف المقاتلين المهاجمين ، عندما تقتضي الضرورة ذلك . والجدير بالذكر أن شروط الحرب الأهلية كانت تتطلب ذلك بوجه خاص .

إن ثمار النشاط النظري ـــ العسكري الذي قام به م . ف . فرونزه ، ساعدت بالاضافة إلى عبقريته كباحث ، من خلال مؤلفاته الرائعة ، على دراسة أسس فن الحرب والنظرية العسكرية ، والخبرات الفنية التي تم الحصول عليها في خلال سنوات الحرب الأهلية وسنوات ما بعد الحرب ؛ وذلك أثناء وجوده في مناصب قائد قوات أوكرانيا وقوات القرم ، ورئيس الآكاديمية العسكرية ، ومفوض الشعب للشؤون الحربية والبحرية ، ورئيس المجلس الثوري للجمهورية .

في كتبه : «القصيدة العسكرية الواحدة والجيش الأحمر» و«إعادة تنظيم الجيش الأحمر» و«المهام العسكرية في اللحظات الخطرة» ، وغيرها من الكتب الأخرى ، يعالج م . ف . فرونزه إعداد وجهات نظر موحدة حول طبيعة الحرب المقبلة وطرق خوضها ، حول بناء القوات المسلحة وتعليم وتربية المقاتلين .

وكان أول من حدّد التعريف الكامل لمفهوم العقيدة العسكرية للدولة والذي ما يزال متبعاً حتى يومنا هذا ، حيث رأى أن دفاع البلاد يجب أن يبنى : «أولاً ـــ على ضوء التفهم الواضح والدقيق لطبيعة الحرب المقبلة ، وثانياً ـــ على ضوء الحسابات الصحيحة والدقيقة لتلك القوى والوسائط التي تكون في حوزة العدو المحتمل ، وثالثاً ـــ على ضوء حساب الإمكانات المتوفرة لدى البلاد ، (فرونزه م . ف . المؤلفات المختارة ، المجلد الثاني ، صفحة ٣٤٢) . وعلى أساس تحليل العقائد العسكرية لعدد من الدول الأمبريالية الكبرى ، برهن فرونزه بكل وضوح ، على أن العقيدة العسكرية تنبع من الطابع الطبقي للدولة ومن سياستها الداخلية والخارجية ، كما أنها تتأثر بمستوى تطور قوى الانتاج . وهو أول من قال بأن للعقيدة العسكرية جانبين متلازمين ، هما الجانب السياسي والجانب العسكري ـــ التقني . ويعتبر الجانب السياسي للعقيدة العسكرية ، في نظره ، تعبيراً عن السياسة العسكرية للدولة ؛ أما الجانب العسكري ـــ التقني للعقيدة ، فإنه يخص الأسس التنظيمية لبناء الجيش وطبيعة التدريب القتالي للقوات وطرق تنفيذ المهام القتالية .

وبعد الحرب العالمية الأولى ، وضعت في البلدان البورجوازية نظريات «الحرب الخاطفة» و«الحرب الجوية» ، التي تبرر فكرة تشكيل جيوش محترفة صغيرة مجهزة تجهيزاً فنياً كافياً . إلا أن م . ف . فرونزه انطلق في مؤلفاته من حقيقة أن الحرب المقبلة ستكون حرباً طويلة الأمد وقاسية ، وتتطلب كامل الجهود والإمكانات للدولة المتحاربة وجيوشها ، وتستدعي أيضاً الاستعداد لمثل هذه الحرب على أفضل وجه .

لقد علّل م . ف . فرونزه في مؤلفاته ، ضرورة الانتقال إلى حالة السلم وبناء الجيش على أساس

الجمع بين التشكيلات النظامية والتشكيلات الإقليمية ، لأن الأخيرة تسمح باستيعاب التدريب العسكري من قبل معظم المجندين ، واستدعائهم إلى الجيش النظامي عند الضرورة دون أن يؤثر ذلك على الانتاج الوطني .

وفي مقالة نشرها بعنوان «نتائج البناء العسكري وآفاقه» ، وفي مؤلفاته الأخرى ، سلّط الضوء على الأهمية المتعاظمة لتطوّر الطيران والمدفعية والقوات المدرعة ووسائط الدفاع الجوي ، والوقاية الكيميائية .

كذلك كان يرى أن الدور الحاسم في الحرب ، يلقى على عاتق الإنسان الذي يستوعب سلاحه وعتاده بمهارة . كما أنه أشار إلى أن تطوّر العتاد يشترط زيادة كبيرة في تعداد القوات ويفرض شروطاً عالية يجب أن تتوفر في النوعية المعنوية للمقاتل وإعداده النفسي .

وبإشرافه تم إعداد نظام عمل الأركان ، الذي أطلق عليه اسم «القيادة العليا» ، والذي حدد فيه أسس تحضير عمليات الجبهات والجيوش وتنفيذها . وبذلك يكون قد حدد ، من حيث الجوهر ، بداية لتقسيم فن الحرب السوفييتي تقسيماً دقيقاً إلى : الاستراتيجية وفن العمليات ، والتكتيك . كذلك انطلق من حقيقة أن فن الحرب يجب أن يعتمد على الأفكار ذات الفعالية العالية ، وأن الأعمال الهجومية يجب أن تكون جريئة وذات مناورة عالية . إلا أنه لم يستثنِ ضرورة الأعمال الدفاعية والأشكال المواضعية في الصراع عندما يتطلب الموقف ذلك .

كما أنه أولى أهمية كبيرة لدور المؤخرة في الحرب . فقد ذكر بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال ، خوض العمليات بنجاح في الحرب المقبلة دون إمداد منظم تنظيماً جيداً ، ودون تأمين الجيش بكافة أنواع الوسائط المادية والأسلحة . وبناء على توجيهاته أدخلت إلى منهاج التدريب في الآكاديمية العسكرية مادة خاصة حول مسائل تنظيم المؤخرة وإمداد القوات .

لقد وقف م . ف . فرونزه كمنظر ومطبق للعمل العسكري بحزم ضد القوالب الجامدة المتبعة في التدريب وأعمال القوات ، وخاصة في أعمال القادة . وكتب في هذا الصدد يقول : «إن النظرية العسكرية لا يمكن لها أن تعطي أي قالب ثابت لقرار جاهز ، فهي تلعب فقط دور المرشد والموجه ، والمنطلقات الأساسية» (فرونزه م . ف . المؤلفات المختارة ، المجلد الأول ، صفحة ٤١٨) .

كذلك وجّه اهتمامه بصورة خاصة لإعداد الكوادر القيادية . وبمبادرة منه تأسست الكليات العسكرية الجديدة ، وافتتحت لتأهيل مختلف فئات القادة ، كما تطور عمل الآكاديميات العسكرية إلى الأمام .

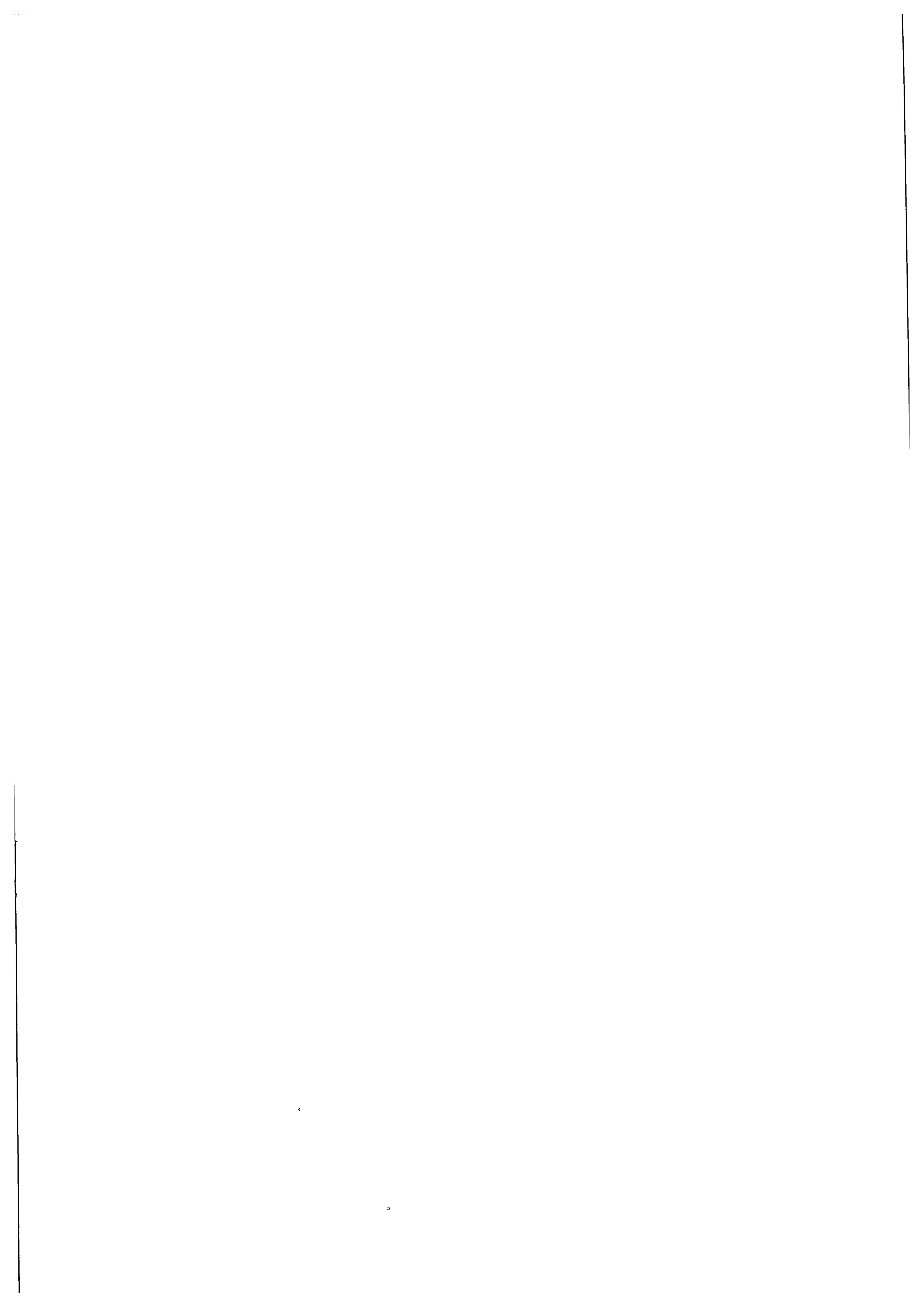
إن كافة النشاطات العسكرية ، والأعمال المجيدة التي قام بها م . ف . فرونزه ، تعتبر مثالاً ناصعاً للمنطلق الإبداعي نحو حل مشاكل فن الحرب وتطوير القوات المسلحة السوفييتية فيما بعد . كما أن الكثير من أفكاره وتعاليمه لا تزال نافذة وحيوية في هذا المضمار حتى يومنا هذا .

لقد دحضت الحرب الأهلية النظريات البالية التي تعتمد فقط على العوامل العسكرية والكمية

(العددية) في تقييم قوات الأطراف المتصارعة. وأصبح من الضروري إجراء حساب شامل للإمكانات السياسية ــ الاجتماعية، والاقتصادية، والمعنوية لهذه الأطراف. كما تكشفت الحقيقة الكاملة حول صحة أفكار لينين التي تقول بأن مصير الحرب تقرره الشعوب بإدراكها وتنظيمها ومهاراتها واستعدادها وتصميمها على تحقيق النصر. ولا شك في أن الخبرة القتالية التي تمّ الحصول عليها في خلال الحرب الأهلية تصلح لأن تكون أساساً لتطوير العلم العسكري السوفييتي وفن الحرب.

إن انتصار الشعب السوفييتي وجيشه الأحمر على قوات التدخل والحرس الأبيض يعني في حد ذاته هزيمة عسكرية وسياسية للأمبريالية الدولية. فقد أظهر هذا النصر القوة الهائلة التي تتمتع بها الدولة السوفييتية الفتية، وخلق الشروط المناسبة لبناء الاشتراكية في روسيا، وساعد على تصعيد العمل الثوري في كافة أرجاء العالم.

إن الأهمية التاريخية العامة للحرب الأهلية تنحصر في أن استخدام خبرة روسيا السوفييتية في سحق قوى الثورة الداخلية المضادة والتدخل العسكري الخارجي، يساعد بشكل فعّال على زيادة حدة نضال الشعوب من أجل استقلالها الوطني وتقدمها الاجتماعي.

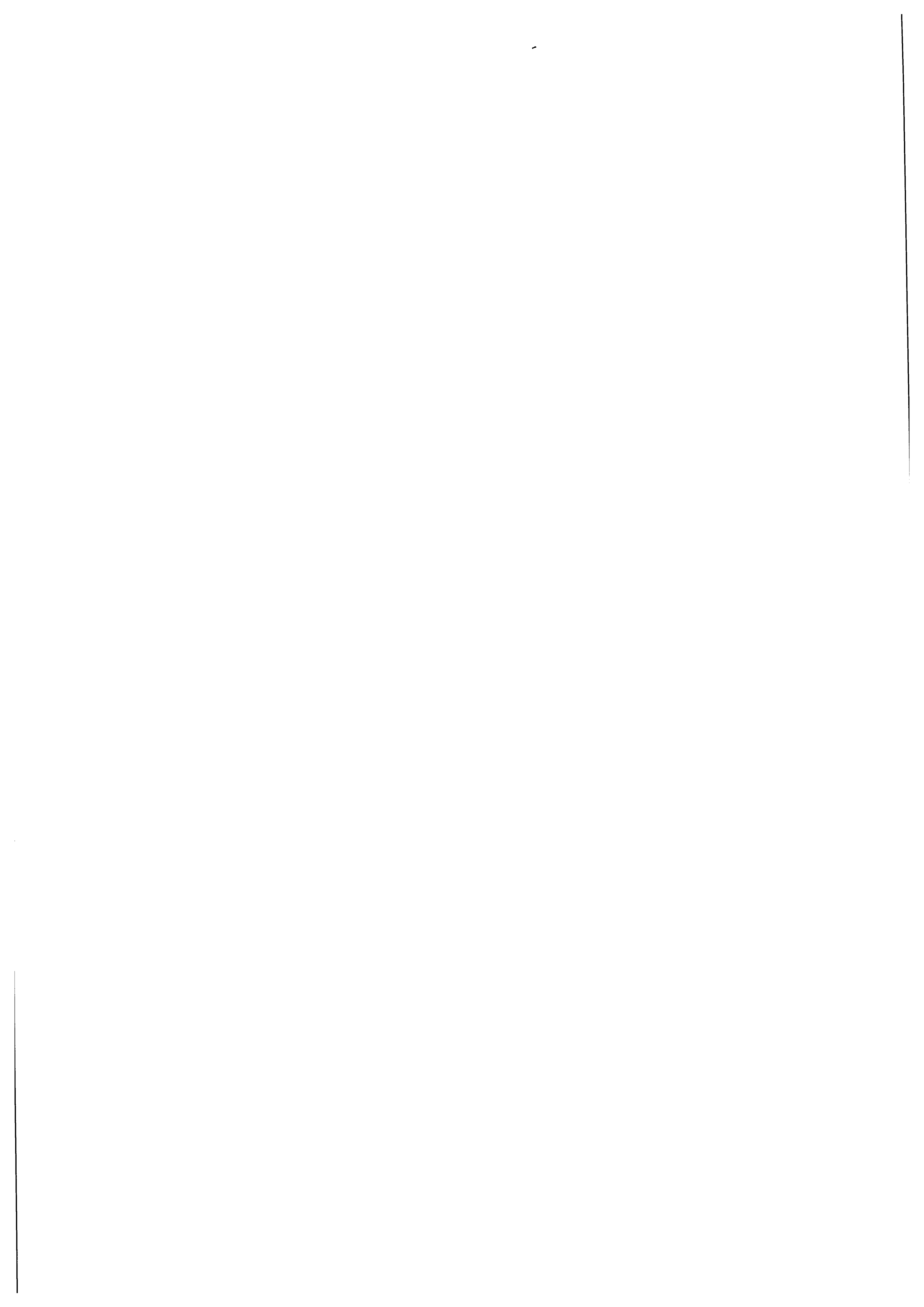


تطور فن الحرب السوفييتي في الفترة ما بين الحرب الأهلية والحرب الوطنية

١٩٢١ ـ ١٩٤١م

«إن أهم واجبات القوات المسلحة وقوفها على أهبة الاستعداد ضمانة للصدّ الفوري لأي معتد ...».

مختارات من خطابات ومقالات
د. ف. اوستينوف، ص ٥٠١،
إصدار ١٩٧٩



٤ ـــ ١ ـــ الوضع السياسي ـــ العسكري للدولة السوفييتية في فترة ما بين الحربين

أدّى الانتصار الذي أحرزته الدولة السوفييتية الفتية إلى تدعيم وضعها الداخلي والخارجي . وأضحى بمقدور الشعب السوفييتي تركيز جهوده الرئيسية على البناء السلمي والاقتصادي والثقافي .

وكان على البلاد السوفييتية أن تتغلب على صعوبات جمة ، لترميم الاقتصاد الوطني الذي دمرته الحرب ، وأودت به إلى أقصى درجات الانحطاط . أما البقية الباقية من القاعدة المادية ـــ التقنية الموروثة من النظام القديم ، فقد استنفدتها الحرب الأمبريالية التي استمرت أربع سنوات ، والحرب الأهلية التي استمرت ثلاث سنوات ، وكان الضرر الناجم عن هاتين الحربين فادحاً ، حيث بلغ ٥٠ ملياراً من الروبلات الذهبية . وتقلص إنتاج الصناعة الثقيلة في العام ١٩٢٠ نحو ٧ مزات بالمقارنة مع العام ١٩١٣ ، وهبط إنتاج الفولاذ المصهور إلى ٢٠٠ ألف طن في السنة ، وبلغ إنتاج الحديد المصهور ٧ر٢٪ ، وإنتاج الاسمنت ٤ر٢٪ ، والمنسوجات القطنية ٤٪ من مستوى ما قبل الحرب ، وتوقف الكثير من المصانع والمعامل عن العمل لفقدان الوقود والمواد الأولية . وقد تطلبت وسائط النقل الحديدية المعطّلة كمية هائلة من المعدات لتجديدها ، وهبط الحجم العام من الانتاج الزراعي في العام ١٩٢٠ إلى ٦٥٪ بالنسبة إلى إنتاج ما قبل الحرب . وعانت البلاد ، وبخاصة مناطقها الصناعية ، نقصاً حاداً في المواد الغذائية .

لم تألُ الحكومة السوفييتية جهداً لإعادة الاقتصاد الوطني إلى ما كان عليه بأسرع وقت ممكن ، ورفع مستوى معيشة الشعب السوفييتي . واستلزم ذلك تحويل الجيش والأسطول إلى حالة السلم تخفيفاً للأعباء اللازمة للإنفاق عليهما . أضف إلى ذلك أن وجود الحصار الرأسمالي ، وخطر إشعال الرأسماليين نار حرب جديدة أجبرا الدول السوفييتية على الاهتمام بتأمين القدرة الدفاعية للبلاد ، وتدعيم قواتها المسلحة . وكان

لا بد من إعادة تنظيم الجيش حسب الظروف المستجدة في تطور البلاد وتحديد الطرق الأساسية لبنائه في المستقبل.

وكان لتأسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في نهاية العام ١٩٢٢ أن دعّم أكثر فأكثر الوضع الداخلي والدولي لأول بلد اشتراكي في العالم. ففي العام ١٩٢٠ عقدت أستونيا وليتوانيا ولاتفيا وفنلندا معاهدات سلام مع الاتحاد السوفييتي، وفي العام ١٩٢١ وقّعت بولونيا معاهدة سلام. وفي العام نفسه عقدت معاهدات لإقامة علاقات صداقة مع أفغانستان وإيران وتركيا؛ ووقّعت اتفاقات تجارية مع انكلترا وألمانيا والنرويج والنمسا وإيطاليا. وفي العام ١٩٢٤ أعيدت العلاقات الدبلوماسية مع انكلترا وإيطاليا والصين والنرويج والنمسا والسويد والدانمارك والمكسيك وهنغاريا، وفي العام ١٩٢٥ مع اليابان.

كان عقد معاهدات السلام وإعادة العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع العديد من الدول الرأسمالية نصراً كبيراً للسياسة الخارجية التي انتهجتها الحكومة، ودليلاً على ارتفاع السمعة الدولية للبلد السوفييتي.

سارت عملية ترميم الاقتصاد الوطني بخطا حثيثة. وكان لانتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة وحماسة الجماهير للعمل الفضل في التغلب على الحالة الاقتصادية المتدهورة. فقد أعيد الاقتصاد الوطني للبلاد في النصف الثاني من العشرينيات إلى مستوى ما قبل الحرب، مما سمح بطرح مهمة جديدة، وهي تجاوز التخلف في التقنية والاقتصاد، وإرساء قاعدة اقتصادية متينة لبناء الاشتراكية.

بدأ في العام ١٩٢٩ تنفيذ أول خطة خمسية لتطوير الاقتصاد الوطني. وفي الثلاثينيات تحقق بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، بشكل عام، حيث أقام الشعب السوفييتي صناعة قوية، وزراعة تعاونية، وثورة ثقافية. وأدّى تطور اقتصاد الدولة السوفييتية إلى تزويد الجيش والأسطول بعتاد قتالي وسلاح حديثين، وساعد على تحسين البنية التنظيمية للقوات، وخلق ظروفاً جديدة لتطور فن الحرب.

أثارت النجاحات التي حققها البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي حفيظة الدوائر الأمبريالية ونقمتها، وأمعنت هذه الدوائر في رسم الخطط الرامية إلى سحق الدولة السوفييتية عسكرياً، ودبّرت أكثر من مرة الاستفزازات العسكرية، والنزاعات المسلحة على حدودها. ومن هذه الأفعال استيلاء الطغمة العسكرية الصينية على الخط الحديدي الصيني — الشرقي في العام ١٩٢٩، وكان هذا الخط تابعاً في ذلك الوقت للاتحاد السوفييتي. وكان هذا العمل أول تجربة من جانب الأمبريالية العالمية لعجم عود* الجيش الأحمر. وجاء ذلك في غير صالحها، حيث دمّرت قوات الغزاة الصينيين المنشورين عن بكرة أبيها بضربات ساحقة من الجيش الأحمر.

اعتدى العسكريون اليابانيون في العام ١٩٣٨ على الأراضي السوفييتية في منطقة بحيرة خاسان. وفي العام ١٩٣٩ ارتكبوا هم أنفسهم عدواناً أوسع على جمهورية منغوليا الشعبية، التي تربطها مع الاتحاد السوفييتي أواصر الصداقة، وذلك في منطقة نهر خالين — غول، وتلقى المعتدون في كلتا الحالتين الردّ

---

* عجم عوده أي اختبر قوته.

اللائق. إلا أن القوى الرجعية للأمبريالية العالمية لم تستنبط لنفسها الاستنتاجات المناسبة من الدروس المتلقاة. فقد ثابرت على اختلاق الاستفزازات الجديدة ضد الاتحاد السوفييتي، وتصاعدت حمّى التهديد بالهجوم العسكري على الاتحاد السوفييتي بشكل خاص بعد دخول الفاشيين إلى السلطة في ألمانيا.

ولما كانت الفاشية الألمانية، بنظر الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا وغيرها من البلدان الرأسمالية، القوة الضاربة في الصراع مع الاتحاد السوفييتي، فقد علقت عليها آمالاً كباراً وساعدتها على تسليح نفسها، وحاولت بكل الوسائل توجيه مطامح الهتلريين صوب الاتحاد السوفييتي. وبسبب الأمبرياليين لم تكلّل المساعي الحثيثة للحكومة السوفييتية بالنجاح، بخصوص توحيد الجهود العسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتي وانكلترا وفرنسا، لقطع الطريق أمام الأعمال العدوانية التي شرعت بها ألمانيا الهتلرية. ففي آذار (مارس) ١٩٣٨ استولى الهتلريون على النمسا، وبعد مضي سنة بالضبط استولوا على تشيكوسلوفاكيا. وقد وافق الاتحاد السوفييتي، من أجل الصراع ضدّ المعتدي في أوروبا، على تقديم قوى ضخمة: ١٢٠ فرقة مشاة و١٦ فرقة خيالة، ٥ آلاف مدفع ثقيل، ٩ — ١٠ آلاف دبابة، حتى ٥ر٥ آلاف طائرة حربية.

كان بمقدور التحالف السوفييتي — الانكلو فرنسي، لو حصل، أن يكبح جماح المعتدي، لكن الحكام الانكليز والفرنسيين استسلموا استسلاماً مخزياً تجاه ألمانيا الفاشية، وقطعوا المفاوضات الجارية في صيف العام ١٩٣٩ بشأن إقامة حلف ثلاثي. وقد شجّع ذلك حكام ألمانيا الفاشية، وكذلك إيطاليا واليابان على المضي قدماً في مغامراتهم الحربية، وأصبح من الواضح أن الأمبريالية العالمية تحاول إشعال نار الحرب بهدف واحد ألا وهو تدمير الدولة السوفييتية. وكان اعتداء ألمانيا الفاشية على بولونيا في أوّل أيلول (سبتمبر) إيذاناً باندلاع الحرب العالمية الثانية، التي كان المتسبب فيها الأمبريالية العالمية وطليعتها الفاشية الألمانية.

٤ — ٢ — إعادة تنظيم القوات المسلحة السوفييتية

كان من أهم وأصعب المهام السياسية — العسكرية التي ترتّب على الاتحاد السوفييتي حلّها، بعد انتهاء الحرب الأهلية، تحويل الجيش الأحمر إلى الحالة السلمية، وتقليص تعداده بنسبة عشر مرات تقريباً (من ٥ر٥ مليون إلى ٥٦٢ ألف رجل)؛ وكان تسريح الجيش والأسطول بعد الحرب أمراً معقداً للغاية وجديداً تماماً. وظهرت أشد الصعوبات في نقل ملايين الأشخاص في ظروف كانت وسائط النقل فيها شحيحة وأزمة الوقود مستحكمة. وكان تأمين العمل لمئات الألوف من العمال والفلاحين المسرحين من الجيش والأسطول معضلة وأية معضلة. أضف إلى ذلك أنه كان من الضروري، والعمل يجري على تخفيض عدد القوات تخفيضاً هائلاً، الحفاظ على مستوى عالٍ مقبول من الجاهزية القتالية الدائمة للقوات.

بدأ تقليص تعداد الجيش الأحمر مباشرة بعد انتهاء الحرب الأهلية بالدرجة الأولى على حساب تسريح الأفراد من ذوي الأعمار الكبيرة. وإضافة إلى ذلك لدى تحويل الجيش إلى الوضع السلمي خُفِّض الوزن النوعي للوحدات الإدارية الذي كان يشكل ١ر١٣٪ في العام ١٩٢٣.

وانتهت عملية تحويل الجيش إلى الحالة السلمية بشكل عام في نهاية العام ١٩٢٤ ، وكانت النسبة بين صنوف القوات في الجيش الأحمر بعد التسريح مرهونة بحالة اقتصاد البلاد . ففي حين كان المشاة والخيالة يشكلون ٥٥٪ من التعداد العام للجيش ، كانت نسبة الصنوف الفنية من القوات كالمدفعية ، والمدرعات ، والطيران لا تتجاوز ٥ر٤٪ . ولم يكن التجهيز التقني للجيش الأحمر متمشياً مع متطلبات مستوى تطوّر العمل العسكري ، وكذلك لم يكن رفع هذا التجهيز ممكناً إلاّ بتطوير الصناعات الثقيلة ، وشكلت لجنة حكومية في مطلع العام ١٩٢٤ ، حيث قامت باختبار حالة الجيش الأحمر ، واكتشفت نقائص كبيرة في الاكتفاء الذاتي للقوات وتدريبها وتربيتها .

وبغية الإسراع في إزالة النقائص ، وتدعيم القوات المسلحة ، أجرت الحكومة السوفييتية في عامي ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ إصلاحاً عسكرياً ، هدفه إعادة تنظيم الجيش الأحمر ، بما يتلاءم والظروف الجديدة لحياة الدولة السوفييتية ، ومهام حماية العمل السلمي للشعب السوفييتي ضد أعدائه .

وكانت أهم مسألة في الإصلاح العسكري هي تحديد نظام يسمح بالاحتفاظ بجيش نظامي صغير ، في زمن السلم ، بأقل التكاليف من جهة ، ويؤمن التدريب العسكري اللائق للمساقين للخدمة العسكرية ، دون إبعادهم كثيراً عن عملهم المنتج في الاقتصاد الوطني من جهة ثانية .

ولم تكن الصعوبات الاقتصادية التي عانى منها الاتحاد السوفييتي في فترة ترميم الاقتصاد الوطني تسمح بالاحتفاظ بجيش نظامي وفير العدد ، وفي الوقت ذاته لم يكن تعداد الجيش ، المتبقي بعد التخفيض كافياً لتأمين خوض الحرب بنجاح ضد الأمبرياليين ، في حال نشوبها . أضف إلى ذلك أن جيشاً نظامياً قليل العدد لم يكن بمقدوره تدريب المساقين للخدمة العسكرية ، التي مدتها سنتين ، باختصاصاتهم كافة . فلم تكن إمكانات الجيش الأحمر ، بتعداده المقرر ، تسمح باستيعاب أكثر من ٣٠٪ من المساقين للخدمة العسكرية من كل قرعة ، في حين أن الجيش الفرنسي كان يستوعب ٣ر٦٨٪ والجيش البولوني ٧٠٪ والجيش الروماني ٦٥٪ من المساقين .

لذلك ، وبالنظر للأوضاع الداخلية والدولية ، فقد وجدت الحكومة السوفييتية من الأفضل إيجاد نظام مختلط في ملء شواغر الجيش الأحمر .

وينحصر جوهر هذا النظام في دمج التشكيلات العسكرية النظامية مع تشكيلات الميليشيات الإقليمية ، وبقي القسم الأكبر من تشكيلات مناطق الحدود العسكرية ، والقوات الفنية والاختصاصية ، وكذلك الأسطول البحري الحربي من العناصر النظامية . وكان يطلق اسم القوات الإقليمية على التشكيلات المحلية التابعة للمناطق العسكرية الداخلية ، وتتألف كقاعدة من قطعات وتشكيلات المشاة والخيالة التي تضم في قوامها ١٦ ــ ٢٠٪ من العناصر النظامية ، وتعبّأ النسبة الباقية بالمكتتبين من القرى والمدن المجاورة . وكان التدريب القتالي للعناصر المكتتبة يجري ضمن دورات سنوية مدتها من ١ ــ ٣ أشهر ، لمدة ٥ سنوات . وبعدها يُحال المكتتبون في القوات الإقليمية إلى الاحتياط .

ازداد عدد الفرق الإقليمية في العشرينيات ازدياداً مستمراً ، حيث كانت تشكل في العام ١٩٢٤

نسبة ١٧٫٢ من أصل الفرق الاقليمية كافة ؛ كما أنشئت قطعات وتشكيلات قومية ، وكان تشكيلها راجعاً إلى ضرورة إشراك الكادحين من القوميات كافة في الذود عن حياض الدولة السوفييتية ، مما ساعد على تدعيم أواصر الصداقة بين شعوب البلاد ، ورفع مستواها الثقافي . وقد بلغت التشكيلات القومية حتى ربيع عام ١٩٢٥ نسبة ١٠٪ من تعداد الجيش بالكامل .

وأثبت النظام المختلط لبناء القوات المسلحة جدارته في تلك الظروف ، كما سمح بتنظيم تدريب الاحتياطات دون انقطاعها طويلاً عن الإنتاج ، وبتكاليف زهيدة من ميزانية الدولة .

كذلك تعرض الجهاز المركزي للجيش ، خلال الإصلاح العسكري ، إلى إعادة تنظيم ضخمة ، في اتجاه إلغاء الأجهزة العسكرية غير اللازمة في زمن السلم ، واختصار تعداد الجهاز وتحديد وظائفه بشكل دقيق .

وكان لإدخال مبدأ القيادة الفردية في آذار (مارس) عام ١٩٢٥ أهمية كبيرة في تدعيم القوات المسلحة ، حيث رفعت القيادة الفردية من هيبة القائد وسلطته إلى حد كبير ، وزادت من مسؤوليته في تعليم القوات وتربيتهم وجاهزيتهم القتالية .

كذلك أجريت تعديلات جوهرية على البنية التنظيمية لقطاعات الجيش الأحمر وتشكيلاته ، ممّا أدّى إلى إزالة الأشكال التنظيمية ذات النماذج المتعددة في الجيش ، وتوحيدها حسب الإمكانات المادية للبلاد ، ومتطلبات طابع المناورة الذي يتصف به الصراع المسلح . فأدخل في قوام القوات المسلحة للبلاد قوات برية ، وقوى جوية ، وقوى بحرية .

وكان أعلى تشكيل تكتيكي مشترك هو فيلق المشاة المؤلف من ثلاث فرق مشاة ، وكتيبتي مدفعية ، وكتيبة إشارة ، وكتيبة نقابين ، ووحدات أخرى ، كما كانت فرقة المشاة هي التشكيل الأساسي . ومن خصائص تنظيمها الجديد بالمقارنة مع فترة الحرب الأهلية إلغاء مستوى اللواء ، والتخفيض الكبير في عدد الأفراد مع المحافظة على الإمكانات النارية ، مما رفع من قدرتها على المناورة وحسّن من مستوى قيادتها . وكانت الفرقة تتألف من ثلاثة أفواج ، وكوكبة خيالة مستقلة ، وفوج مدفعية خفيفة ، ووحدات أخرى . وكان تعداد الفرقة ١٢٨٠٠ شخص ، وفيها من الأسلحة ١٨٩ رشاشاً ثقيلاً ، و٨١ رشاشاً خفيفاً ، و٢٤٣ قاذف رمانات مضادة للدبابات ، و٥٤ مدفعاً (مدافع عيار ٧٦ مم وقذافات عيار ١٢٢ مم) .

والصنف الثاني من القوات من حيث التعداد هو الخيالة ، التي كانت مؤلفة تنظيمياً أيضاً من فيالق وفرق الخيالة .

كذلك تعرَّضت التشكيلات والقطعات وصنوف القوات الأخرى لإعادة التنظيم . وكوحدة قتالية أساسية في القوات المدرعة أدخلت كتيبة الدبابات المؤلفة من ٣٠ دبابة وكتيبة القطارات المدرعة المؤلفة من قطارين مدرعين . وشكلت مدفعية فيلقية مؤلفة من أفواج مدفعية ثقيلة ، ومدفعية فرقية مؤلفة من أفواج مدفعية خفيفة ومدفعية فوج وكتيبة مؤلفة من سرايا وفصائل مدفعية .

اتجهت التعديلات المدخلة على تنظيم المدفعية ذات المهام الخاصة إلى تأمين استخدامها الكثيف على الاتجاهات الحاسمة. لذلك فقد انضوى القسم الأكبر من الكتائب المستقلة المتوفرة ضمن أفواج مدفعية خاصة، وفي العام ١٩٢٥ شُكِّلت فرق مدفعية خاصة تضم ٣ ــ ٤ أفواج. كما شُكِّلت في قوات الدفاع الجوي الإقليمي أفواج مدفعية مضادة للطائرات، ومراكز للصدّ الجوي والإنذار والاتصال. وفي القوى الجوية شُكِّلت أسراب مؤلفة من ثلاثة رفوف (العدد الإجمالي ١٨ طائرة).

وكانت القوى البحرية الحربية مؤلفة من أسطولين: البلطيق والبحر الأحمر، إضافة إلى عدة أساطيل صغيرة في البحيرات والأنهار.

كذلك أوليت عناية خاصة للتدريب القتالي، حيث جرى التدريب في ظروف قريبة من الواقع القتالي. وساعد على ذلك كله إلى حد كبير إصدار أنظمة القتال الجديدة. وكانت الزيادة القليلة التي طرأت على كمية الوسائط النارية والأسلحة التقنية في العشرينيات عاملاً هاماً في رفع الجاهزية القتالية للجيش الأحمر. كما رسم، في هذه السنوات، آفاق التجهيز التقني للجيش في السنوات المقبلة، ووضع نظام مدروس علمياً للتسليح؛ فكان لذلك أثر كبير على آفاق تطوّر فن الحرب.

كما كان للتغيرات الداخلة في إطار الإصلاح العسكري الفضلُ في تحويل الجيش الأحمر إلى مؤسسة عسكرية حديثة متكاملة من النواحي السياسية والتنظيمية والتقنية، مواكبة مستوى تطور القوى الانتاجية في البلاد.

وتطلب النمو اللاحق في القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي من جهة، وتحضير الأمبرياليين الحرب العالمية الثانية من جهة أخرى، إنشاء جيش نظامي قوي، وتأمين مستوى تدريب قتالي عالٍ لقواته. لذلك جرى حتى نهاية العام ١٩٣٨ تحويل القطعات والتشكيلات الاقليمية كافة إلى قوات نظامية، وأدخل في العام ١٩٣٩ قانون الخدمة العسكرية الإلزامية الشاملة، وزيدت مدة الخدمة الإلزامية في بعض صنوف القوات من السنتين إلى ثلاث السنوات، بالنسبة للأفراد ومستويات القيادة الصغيرة. وفرضت متطلبات عالية أيضاً على تدريب كوادر الضباط. وقبل بدء الأربعينيات كان في البلاد ١٦ أكاديمية عسكرية، و٦٣ كلية حربية لقوات المشاة، و٣٢ مدرسة تقنية ــ جوية و١٤ مدرسة بحرية ــ حربية.

ولم تكن الإمكانات الاقتصادية المحدودة في البلاد في نهاية العشرينيات لتسمح بعد بالبدء في إعادة تسليح الجيش والأسطول، فقد كان الجيش يملك كمية كبيرة من نماذج الأسلحة والعتاد القديم. وحظيت هذه المعضلة باهتمام بالغ من طرف قيادة البلاد وقواتها المسلحة، وجاء البدء في إقرارها مباشرة مع نمو الإمكانات الاقتصادية والانتاجية للاتحاد السوفييتي في الثلاثينيات.

٤ ــ ٣ ــ إنشاء القاعدة التقنية ــ المادية، وإعادة التسليح التقني للقوات المسلحة السوفييتية

كان للتدعيم التنظيمي للقوات المسلحة السوفييتية المنفذ في النصف الثاني من العشرينيات أنْ أمن

رفع القدرة الدفاعية للدولة السوفييتية. غير أن تطوّر العمل العسكري لم يتطلب تحسين البنية التنظيمية للجيش فحسب بل وتحسين تجهيزه التقني، وأصبحت هذه المعضلة هي المهمة الأولى والرئيسية للبنيان العسكري السوفييتي.

مهدت التحولات الهامة الجارية في الاقتصاد الاشتراكي في سنوات الخطة الخمسية الأولى التي نفذت بين أعوام ١٩٢٩ ــ ١٩٣٢، والثانية بين أعوام ١٩٣٣ ــ ١٩٣٧، الطريق أمام الاتحاد السوفييتي للإرتقاء إلى مصاف كبريات الدول الصناعية في العالم. وازداد الانتاج الإجمالي لصناعة الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٣٧، بالمقارنة مع العام ١٩٢٩ بمقدار ٤ مرات. وبفضل العمل البطولي للاتحاد السوفييتي تمّ في وقت قصير إقامة صناعة وطنية قومية، أنتجت في العام ١٩٤٠ من الفولاذ ١٨٫٣ مليون طن، ومن الحديد ١٥ مليون طن، ومن الفحم ١٦٦ مليون طن، ومن النفط ٣١ مليون طن. وبهذا وصل الاتحاد السوفييتي، من حيث حجم الانتاج الصناعي والتجهيز التقني للمؤسسات المقامة حديثاً، إلى مكان الصدارة في أوروبا، وإلى المكان الثاني في العالم بعد الولايات المتحدة.

كذلك أثرت النهضة الاقتصادية العملاقة في البلاد تأثيراً شاملاً على القوة العسكرية والتقنية للقوات المسلحة السوفييتية. وسمح تصنيع البلاد خلال السنوات الخمس السابقة للحرب بإنشاء قاعدة تقنية ــ مادية راسخة في الاتحاد السوفييتي لإنتاج السلاح والعتاد القتالي الحديث والمتنوع، وتأمين إعادة بناء الجيش والأسطول من الناحية التقنية. فقد كانت مصانع الدفاع تنتج في النصف الثاني من الثلاثينيات في السنة الواحدة ٦١٣٠ مدفعاً من مختلف الطرازات، و٣ آلاف دبابة. وفي عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧ أنتج ٧١٥٦ طائرة، وفي العام ١٩٣٨ أنتج ٥٤٦٩ طائرة. واستمر تصاعد إنتاج العتاد الحربي في السنوات التالية أيضاً حتى بداية الحرب الوطنية العظمى.

وعند حل مسائل البناء العسكري رُوعي التطور المنسق لأنواع القوات المسلحة وصنوف القوات كافة. غير أن الموقف السياسي والوضع الجغرافي حدّدا المسرح البري للأعمال الحربية على أنه المسرح الرئيسي للاتحاد السوفييتي، حيث إن نتيجة الصراع فيه ستكون هي الحاسمة؛ لذلك فقد أوليت العناية الأولى لتطوير القوات البرية، والطيران، ووسائط الدفاع الجوي.

إن زيادة حجم القوات المسلحة ورفع جاهزيتها القتالية، بسبب ازدياد التهديد المباشر بالاعتداء على الاتحاد السوفييتي، والتزايد المستمر في التجهيز التقني للجيش، أدّت إلى ضرورة تعديل طرق إمداد الجيش الأحمر بالرجال والعتاد. فلم يكن نظام الإمداد الإقليمي ــ النظامي المختلط، الذي كان قائماً حتى منتصف الثلاثينيات، متلائماً مع متطلبات الدفاع عن البلاد، ولا يؤمن التدريب القتالي العالي للقوات المساقة للخدمة؛ لذلك.فقد انتقل الجيش الأحمر بكامله في العام ١٩٣٩ إلى نظام الإمداد والتدريب النظامي، مما سمح بزيادة تعداد القوات المسلحة السوفييتية في العام ١٩٣٧ إلى مليون و٤٣٣ ألف رجل؛ ولكن نظراً لبدء الحرب العالمية الثانية، ونشوء تهديد مباشر بالاعتداء على الاتحاد السوفييتي، فقد بلغ تعداد هذه القوات قُبيل عام ١٩٤١ نحو ٤ ملايين و٢٠٧ آلاف رجل.

كانت المهمة الكبرى للبناء العسكري في هذه السنوات ، انطلاقاً من طبيعة الصراع المسلح ، هي تزويد الجيش الأحمر بوسائط الصراع التقنية المواكبة لمستوى تطور العمل العسكري . فسار الاتجاه العام لتطور السلاح والعتاد الحربي على خط زيادة القدرة النارية للجيش ، ومكننته ، وإدخال المحركات إليه ، ممّا أدّى إلى زيادة قوته الضاربة وقدرته على المناورة وخفة حركته . وقد أوليت عناية خاصة لتطوير عتاد المدفعية والمدرعات والطيران بكل الوسائل . كما سار تطوّر أسلحة المشاة في اتجاه أتمتتها ، وتخفيف وزنها ، وتبسيط تركيبها ، وزيادة سرعتها النارية .

وإلى جانب تحديث البندقية طراز ١٨٩١ في العام ١٩٣٠ اعتمدت في تسليح القوات السوفييتية البواريد والبنادق ذات التلقيم التلقائي ، والمسدسات الرشاشة طراز ف . آ . ديفتاروف و ع . س . شباغين ، وكذلك الرشاشات المضادة للطائرات . وبالنتيجة ازدادت الإمكانات النارية لأسلحة الكتيبة الخفيفة بالمقارنة مع العام ١٩٢٩ بمقدار الضعفين ، وبلغت حتى صيف ١٩٤١ مقدار ٢١٦٠٠ طلقة في الدقيقة . وعلاوة على ذلك كان لدى الكتيبة تسعة هواون عيار ٥٠ مم ، وستة هواون عيار ٨٢ مم ، ومدفعان عيار ٤٥ مم .

كما أن تطوّر أسلحة المدفعية تميّز بالتغيرات الجذرية من الناحيتين الكمية والنوعية . وبدأ مع تطوّر الصناعة تحديث أنظمة المدفعية القائمة ، وفي الوقت ذاته إنشاء طرازات جديدة . وسار تطوّر نماذج المدفعية هنا في خط التخصص ، حسب النوع والاستخدام القتالي ، وزيادة قوة النيران ، ومدى الرمي ، وسرعته ؛ ودقته . وفي الواقع أنشئت المدفعية المضادة للدبابات وللطائرات من جديد . وكانت الميزات التقنية والتكتيكية للمدفعية السوفييتية مستجيبة لمتطلبات تلك الفترة ، بل فاقت كثيراً ميزات مدفعية البلدان الأجنبية . (الجدول رقم ١٠) .

كذلك أدخل في التسليح هواون ٨٢ مم طراز ١٩٣٧ و١٢٠ مم طراز ١٩٣٨ . وقد أوردنا بعض أنواع أنظمة المدفعية في الشكل (رقم ٢٢) . والفضل الكبير يعود إلى المصممين السوفييت في إنشاء نماذج تجريبية من المدافع ، جديدة تماماً من حيث مبدأ عملها حتى بدء الأربعينيات وهي الهواون الصاروخية .

وفي هذه الفترة أعد وأنتج بكميات صغيرة ١٢ نموذجاً من المدافع ذاتية الحركة لمختلف الأغراض ، واستخدمت أفضلها ، وهي « س يو ــ ١٤ ب ر ٢ » (SU-14BR2) و« س يو ــ ١٠٠ » (SU-100) ، فيما بعد في معارك موسكو في خريف وشتاء عام ١٩٤١ وفي بداية عام ١٩٤٢ . وقد بُدىء ، قبل بداية الحرب الوطنية العظمى ، بتحويل المدفعية السوفييتية للجر الميكانيكي . غير أن هذه العملية لم تصل إلى منتهاها .

وهكذا كان الجيش الأحمر يملك حتى نهاية الثلاثينيات أسلحة مدفعية قوية ، مسايرة لمستوى تطور العمل العسكري بشكل عام . ففي ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩ كان مجموع ما في الجيش الأحمر من المدفعية حوالي ٥٥٧٩٠ مدفعاً . ومع ذلك كان هناك تقصير في تطور المدفعية المضادة للدبابات التي اقتصرت على المدفع ٤٥ مم فقط ؛ لذلك أقبلت القوات على المعركة وهي تعاني نقصاً في الوسائط المضادة

(الجدول رقم ١٠)

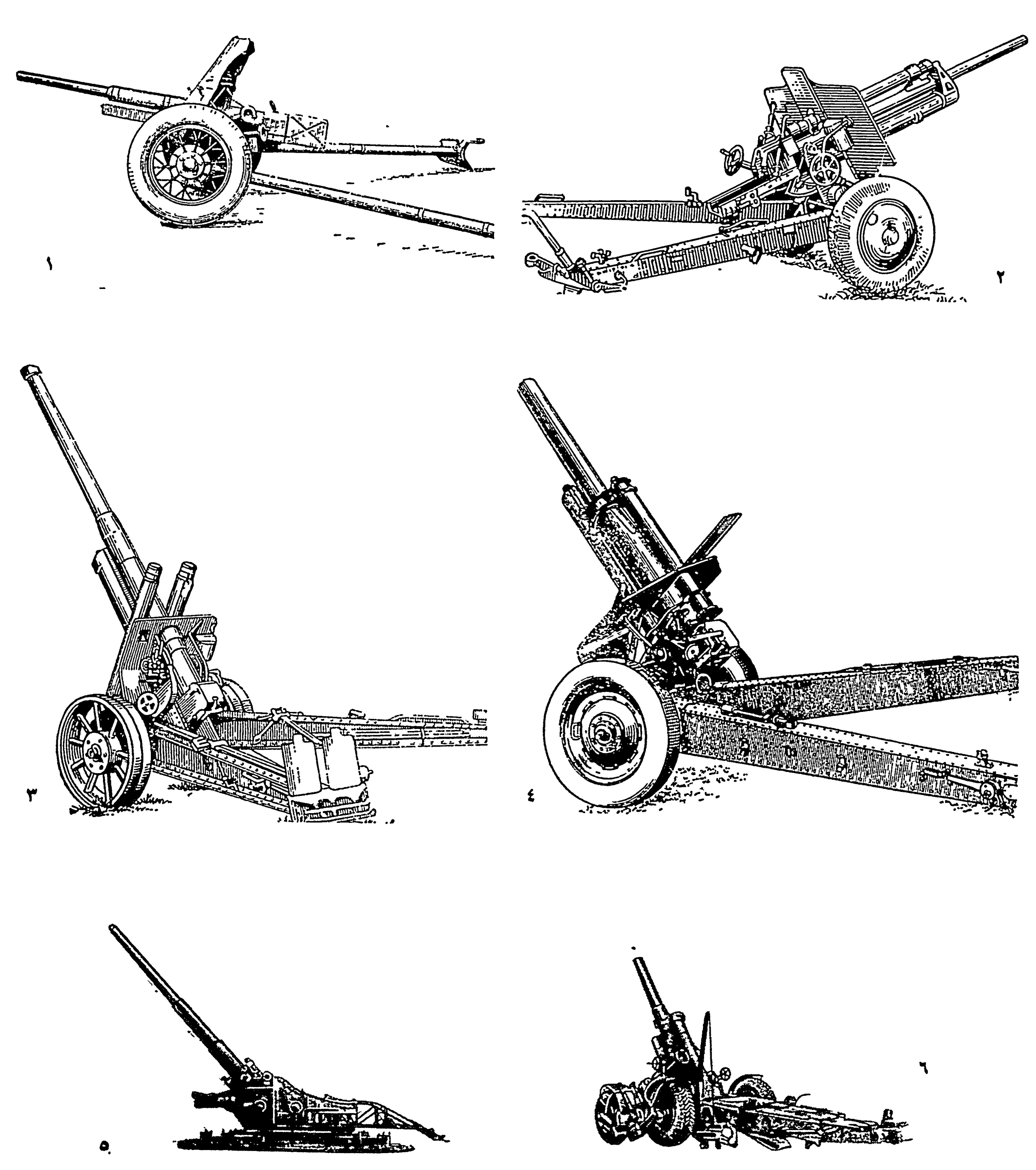
الميزات التقنية والتكتيكية الأساسية
للمدفعية الموجودة في تسليح الجيش الأحمر
حتى بدء الحرب العالمية الثانية

الطراز	سنة الصنع	وزن المدفع في وضعية القتال (كغ)	المدى للرمي (كم)	السرعة الابتدائية للمقذوف (م/ثا)	كتلة المقذوف (كغ)
مدفع ٤٥ مم مضاد للدبابات	١٩٣٧	٥٦٠	٤٣ ــ ٣٢[1]	٧٦٠	١ر٤
مدفع ٧٦ مم	١٩٣٩	١٤٨٠	١٣ر٣	٦٨٠	٦ر٢
قذاف ١٢٢ مم	١٩٣٨	٢٤٥٠	١١ر٨	٥١٥	٢١ر٨
قذاف ١٥٢ مم	١٩٣٨	٤١٠٠	١٢ر٤	٥٠٨	٤٠ر٠
مدفع ١٠٧ مم	١٩٤٠	٤٠٠٠	١٨ر١	٧٣٧	١٧ر٢
مدفع ١٢٢ مم	١٩٣٧/٣١	٧٢٥٠	٢٠ر٤	٨٠٠	٢٥ر٠
مدفع قذاف ١٥٢ مم	١٩٣٧	٧٢٧٠	١٧ر٤	٦٥٥	٤٣ر٦
مدفع ١٥٢ مم	١٩٣٥	١٨٢٠٠	٢٥ر٧	٨٨٠	٤٨ر٨
قذاف ٢٠٣ مم	١٩٣١	١٧٧٠٠	١٨ر٠	٦٠٧	١٠٠ر٠
مدفع ٢١٠ مم	١٩٣٩	٤٤٠٠٠	٢٩ر٤	٨٠٠	١٣٣ر٠
هاون ٢٨٠ مم	١٩٣٩	١٨٤٠٠	١٠ر٧	٣٥٦	٢٤٦
قذاف ٣٠٥ مم	١٩٣٩	٤٥٧٠٠	١٦ر٦	٥٣٠	٣٣٠

---

(١) القدرة على الخرق بالميليمتر على مدى ٥٠٠ و ١٠٠٠ م بزاوية تلاقي (٩٠°).

للدبابات . أضف إلى ذلك أن مهام إعادة التسليح إلى أنظمة جديدة لم تحل جميعاً بشكل ناجح ، فقد كانت ما تزال في الجيش بعض الأنظمة المدفعية المتقادمة التي لا تتلاءم مع متطلبات ذلك الزمان .



(الشكل رقم ٢٣) ـــ بعض نماذج أنظمة المدفعية التي كانت موجودة في تسليح الجيش الأحمر قبل الحرب الوطنية العظمى .

١ ـــ المدفع المضاد للدبابات عيار ٤٥ مم طراز ١٩٣٧ .
٢ ـــ المدفع ٧٦ مم طراز ١٩٣٩ .
٣ ـــ المدفع ١٢٢ مم طراز ٣١ ـــ ١٩٣٧ .
٤ ـــ القذاف ١٢٢ مم طراز ١٩٣٨ .
٥ ـــ المدفع ٢١٠ مم طراز ١٩٣٩ .
٦ ـــ القذاف ٢٠٣ مم طراز ١٩٣١ .

وحدّد تطور العتاد المدرع بدور الدبابات في الحرب الحديثة وإمكانات الاقتصاد في البلاد، وقد سار في اتجاه إنشاء مركبات قتالية تتمتع بتصفيح واقٍ جيّد وتسليح قوي ومناورة عالية. وابتداء من عام ١٩٢٩ اتخذت الحكومة السوفييتية تدابير جدية لإقامة صناعة للدبابات في البلاد وتصميم نماذج جديدة من الدبابات في أعوام ١٩٣١ ــ ١٩٣٥، فدخل في تسليح الجيش الأحمر الدبابتان الخفيفتان «ت ــ ٢٦» و «ب ت ــ ٧»، والدبابتان البرمائيتان «ت ــ ٣٧» و «ت ــ ٣٨»، والدبابة المتوسطة «ت ــ ٢٨» ثم الدبابة الثقيلة «ت ــ ٣٥»؛ وكان تصفيح هذه الدبابات كافة لا يقي إلا من الرصاص.

وأظهر تطور المدفعية المضادة للدبابات وخبرة الاستخدام القتالي للقوات المدرعة في اسبانيا ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩، ضرورة تقوية التصفيح الواقي للدبابات ومدفعيتها. ففي عام ١٩٣٩ قامت مجموعة من المصممين السوفييت بإنشاء الدبابة «ك ف» (K V) المتفوقة في ميزاتها القتالية على أنواع الدبابات الثقيلة الموجودة حتى ذلك الوقت كافة، كما أنشؤوا في العام ١٩٤٠ أفضل دبابة متوسطة في العالم وهي «ت ــ ٣٤» التي جمعت في تصميمها التصفيح الواقي الجيّد، والتسليح القوي والمناورة العالية. وقد أوردنا النماذج الأساسية من الدبابات التي كانت قائمة في تسليح الجيش الأحمر قبل الحرب الوطنية العظمى في الشكل (رقم ٢٣) والميزات التقنية ــ التكتيكية لها في الجدول (رقم ١١).

كان إنشاء الدبابات السوفييتية «ت ــ ٣٤» و «ك ف ــ ١» فتحاً جديداً في تطور بناء الدبابات. فقد ركب فيها لأول مرة مدافع طويلة السبطانة ومحركات ديزل سريعة الحركة، وأصبحت الدبابات مصفّحة ضد القذائف. وهكذا كان الجيش الأحمر يملك في تسليحه في نهاية الثلاثينيات دبابات خفيفة ومتوسطة وثقيلة وأفضلها «ت ــ ٣٤» و «١ ــ ك ف». ولقد أدّت القدرة الحركية والنارية العالية لهذه الدبابات إلى زيادة القوة الضاربة للقوات البرية وسرعة هجومها. كما أن وجود الدبابات البرمائية سهل على القوات اقتحام الأنهار الكبيرة من الحركة وإجراء العمليات بإيقاعات عالية. غير أن الانتاج الكثيف للنماذج الجديدة لم يكن قد استقر بعد. ففي السنتين والنصف السابقتين للحرب لم يرد إلى القوات سوى ١٨٦١ مركبة قتالية جديدة؛ لذلك كان معظم الدبابات من النوع الخفيف من طراز «ب ت ــ ٧» و «ت ــ ٢٦». مع العلم أن حوالي ٥٠٪ من هذه الدبابات كان من إنتاج ١٩٣١ ــ ١٩٣٥. وكانت شديدة الاهتراء بحيث لم يكن بالمستطاع تجديدها قبل بدء الحرب.

وسار تطور العتاد الجوي في منحى زيادة سرعة الطيران، وارتفاعه، وزيادة القوة النارية للطائرات وحمولتها من القنابل. ففي الثلاثينيات أُدخل في التسليح طائرات مقاتلة من طراز «ي ــ ١٥»، «ي ــ ١٦»، «ي ــ ١٥٣» وقاذفة من طراز «س ب»، «ايل ــ ٤»، «ت ب ــ ٧». واتخذت تدابير هامة للإسراع في تصميم نماذج جديدة من الطائرات وإنتاجها، بالنظر إلى بدء الحرب العالمية الثانية. ففي عامي ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ بدأ الانتاج المسلسل «للياك ــ ١»، «ميغ ــ ٣»، «لاغ ــ ٣»، القاذفات «بي ــ ٢»، «بي ــ ٨»، وطائرات الانقضاض «ايل ــ ٢» (انظر الشكل رقم ٢٤).

(الجدول رقم ١١)

الميزات التقنية ـــ التكتيكية الأساسية للدبابات القائمة في تسليح الجيش الأحمر قبل بدء الحرب الوطنية العظمى

طراز الدبابة	سنة الصنع	الكتلة (طن)	السدنة (رجل)	التسليح: مدافع	التسليح: رشاشات	سماكة التصفيح الجبهي (م)	استطاعة المحرك (حصان بخاري)	السرعة القصوى (كم/سا)	مدى السير على طريق معبدة (كم)
ت ـــ ٢٦ خفيفة	١٩٣١	٦ر١٠	٣	١ ـــ ٤٥ م	١ ـــ ٧ر٦٢ م	١٦	٩٠	٣٠	٢٢٥
ب ت ـــ ٧ خفيفة	١٩٣٦	٨ر١٣	٣	١ ـــ ٤٥ م	١ ـــ ٧ر٦٢ م	٢٠	٤٠٠	٥٣ر٤ [1]	
								٣٧	٥٠٠/٣٧٥
ت ـــ ٢٨ متوسطة	١٩٣٢	٢٨	٦	١ ـــ ٧٦ر٢ م	٤ ـــ ٧ر٦٢	٣٠	٥٠٠	٣٧	٢٢٠
ت ـــ ٣٥ ثقيلة	١٩٣٣	٥٠	١٠	١ ـــ ٧٦ر٢ م ٢ ـــ ٤٥ م	٥ ـــ ٧ر٦٢	٣٠	٥٠٠	٣٠	١٥٠
١ ـــ KV ثقيلة	١٩٣٩	٥ر٤٧	٥	١ ـــ ٧٦ر٢ م	٣ ـــ ٧٦ر٢	٧٥ ـــ ١٠٠	٦٠٠	٣٥	٢٥٠
ت ـــ ٣٤ متوسطة	١٩٤٠	٩ر٣٠	٤	١ ـــ ٧٦ر٢ م	٣ ـــ ٧٦ر٢ م	٤٥ ـــ ٥٢	٥٠٠	٥٥	٤٣٠

ملاحظة (١) في الصورة (الرقم الأول) على المجنزرات، وفي المخرج (الرقم الثاني) على العجلات.

وكانت هذه الطائرات من حيث ميزاتها التقنية والتكتيكية مسايرة لمستوى متطلبات العصر (انظر الجدول رقم ١٢).

(الجدول رقم ١٢)

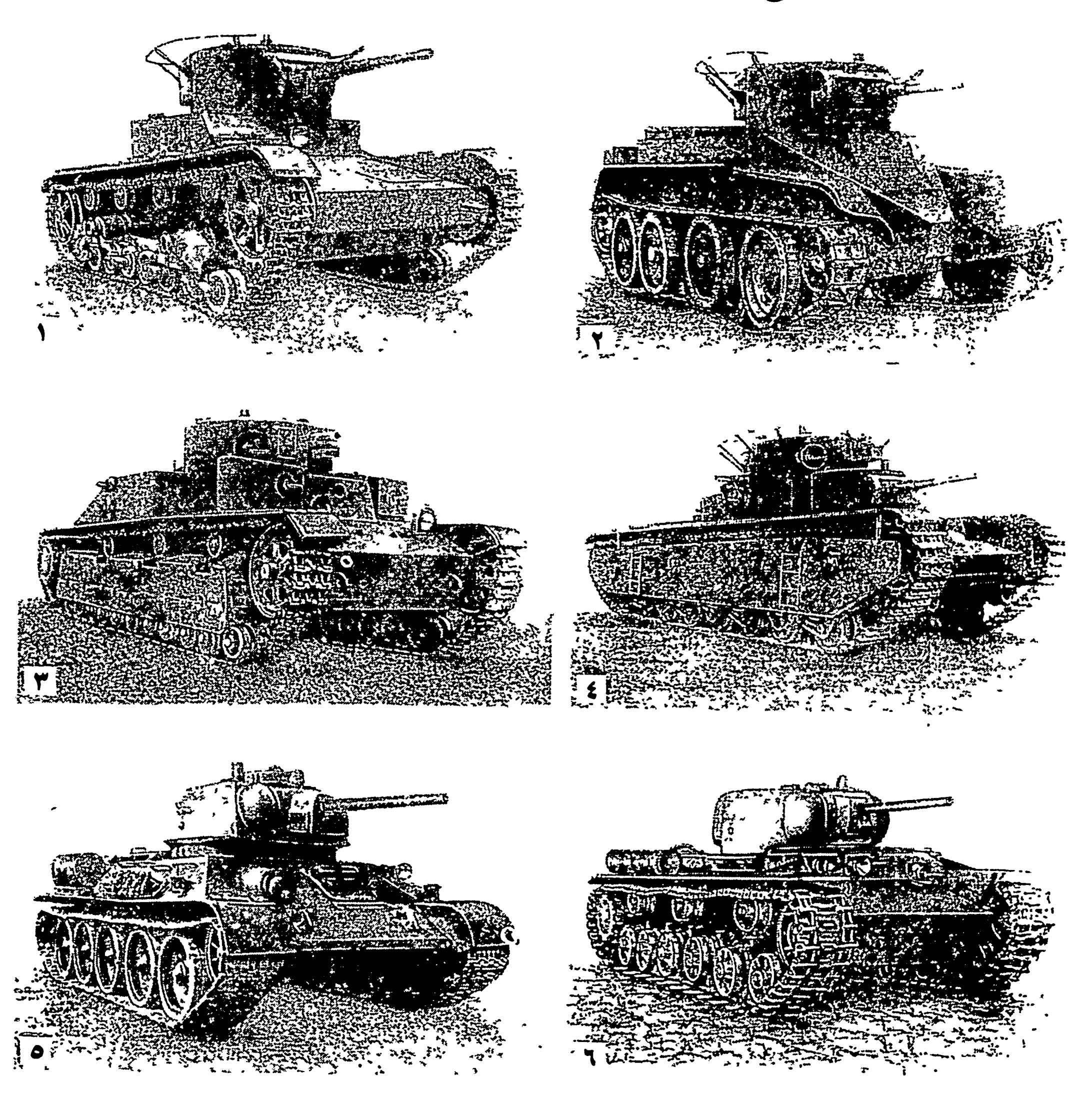
الميزات التقنية ـــ التكتيكية لطائرات الثلاثينيات

طراز الطائرات	السرعة القصوى (كم/سا)	مدى الطيران (كم)	التسليح	حمولة القنابل (كغ)
المقاتلات	٥٥٠ ـــ ٦٢٠	٥٦٠ ـــ ١٠٠٠	١ ـــ ٢ ـــ ٢٠ مم ١ ـــ ٧٫٦٢ مم ١ ـــ ١٢٫٧ مم	٢٠٠
القاذفات	٥٠٠ ـــ ٥٤٠	١٢٠٠ ـــ ٤٨٠٠	٤ ـــ ٧٫٦٢ مم	١١٠٠ ـــ ٥٠٠٠
طائرات الانقضاض	٥٦٠	١٨٠٠	٢ ـــ ٢٠ مم ٢ ـــ ٧٫٦٢ مم ٨ ـــ قذائف صاروخية	٦٠٠

وإذا كان ٨٢٪ من طائرات القوى الجوية في العام ١٩٢٩ استطلاعية، فقد أصبحت القوى الجوية للجيش الأحمر تمتلك في قوامها ٥٣٫٤٪ من المقاتلات و٤١٫٤٪ من القاذفات وطائرات الانقضاض و٣٫٢٪ من الطائرات الاستطلاعية. وتحوّل الاتحاد السوفييتي خلال برهة وجيزة إلى دولة جوية قوية. فكانت القوى الجوية تملك حتى بدء عام ١٩٣٩ ثلاثة جيوش و٣٨ لواء و١١٥ فوجاً، إلا أن إعادة تسليح القوى الجوية السوفييتية بنماذج جديدة من الطائرات، لم تبلغ مداها الكامل قبل بدء الحرب الوطنية العظمى؛ فلم يتجاوز العدد الإجمالي للطائرات الجديدة ٢٧٣٩ طائرة. أضف إلى ذلك أن الركب الطائر، وقتذاك، لم يتمكن من استيعاب الطائرات الجديدة الواردة إلى القوات.

وتلقت قوات الدفاع الجوي في تسليحها مدافع ورشاشات مضادة للطائرات من مختلف العيارات، ومناوير (بروجكتورات)، ومناطيد من أجل السدود، وأجهزة لقيادة النيران، وقوائس مسافات بصرية، ورادارات، وطائرات مقاتلة. واعتباراً من ١٩٣٤ حتى ١٩٣٩ ارتفع عدد المدافع المضادة للطائرات بنسبة ٢٨٨٫٣٪ وعدد المقاتلات بنسبة ١٤٢٫٣٪. وشكلت في العام ١٩٣٧ من أجل الدفاع الجوي عن المراكز الكبرى في البلاد (موسكو ـــ لينينغراد ـــ باكو)، أفواج دفاع جوي تضم تشكيلات

مدفعية مضادة للطائرات، وقطعات رشاشات مضادة للطائرات، ومناطيد للحواجز، ومناوير مضادة للطائرات، ومراكز رصد جوي وإنذار واتصال. وشُكّلت من أجل الدفاع الجوي في المراكز الأخرى من البلاد فرق وألوية مستقلة للدفاع الجوي.

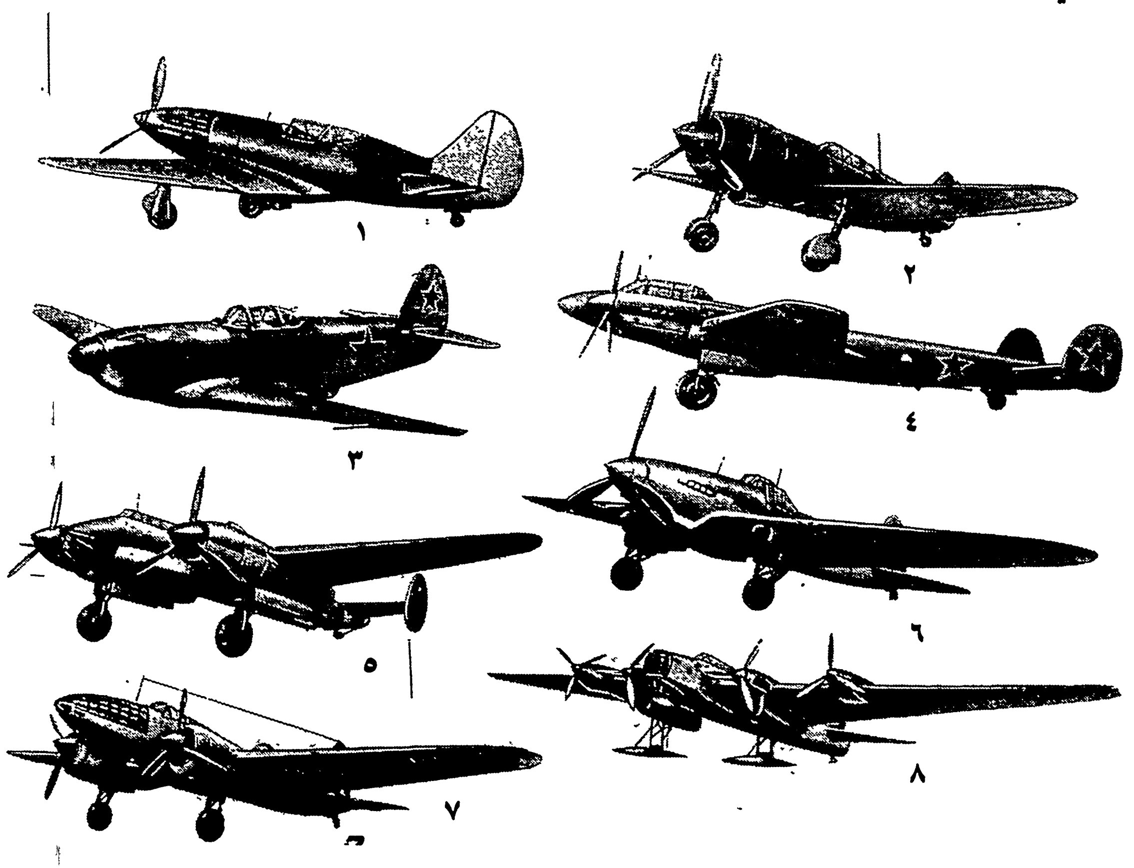


(الشكل رقم ٢٤) ـــ النماذج الأساسية للدبابات القائمة في تسليح الجيش الأحمر قبل الحرب الوطنية العظمى.

١ ـــ الدبابة الخفيفة «ت ـــ ٢٦».
٢ ـــ الدبابة الخفيفة «ب ت ـــ ٧».
٣ ـــ الدبابة المتوسطة «ت ـــ ٢٨».
٤ ـــ الدبابة الثقيلة «ت ـــ ٣٥».
٥ ـــ الدبابة المتوسطة «ت ـــ ٣٤».
٦ ـــ الدبابة الثقيلة «ك ف ـــ ١».

سار تطور الأسطول البحري الحربي في اتجاه إنشاء آسطول قوي في البحار والمحيطات ، يضم في قوامه سفناً من مختلف الأنواع بما فيها الطرادات والبوارج الثقيلة . وكان الجانب الأعظم من الأسطول القائم مؤلفاً من سفن خفيفة ومتوسطة . وإلى جانب ذلك كان الأسطول السوفييتي يملك في تسليحه غواصات كبيرة ومتوسطة وصغيرة .

كان مجموع ما دخل في قوام القوى البحرية حتى بداية الحرب الوطنية العظمى نحو ١٠٠٠ سفينة حربية ، منها ٣ بوارج ، ٧ طرادات ، ٥٤ مدمرة ، ٢١٢ غواصة ، ٨٠ كاسحة ألغام ، ٢٨٧ زورق طوربيد وغيرها . وعلاوة على ذلك كان الأسطول البحري يملك في قوامه ٢٥٠٠ طائرة بحرية و ٢٦٠ سرية مدفعية ساحلية .



(الشكل رقم ٢٥) ــ بعض نماذج الطائرات القائمة في تسليح الجيش الأحمر قبل الحرب الوطنية العظمى .

١ ــ المقاتلة «ميغ ــ ٣» .
٢ ــ المقاتلة «لا ــ ٥» .
٣ ــ المقاتلة «ياك ــ ١» .
٤ ــ القاذفة «بي ــ ٢» (Pe-2) .
٥ ــ القاذفة «تو ــ ٢» .
٦ ــ طائرة الانقضاض «ايل ــ ٢» .
٧ ــ القاذفة البعيدة المدى «ايل ــ ٤» .
٨ ــ القاذفة البعيدة المدى «بي ــ ٨» (ت ب ــ ٧) (TB-7) (Pe-8) .

جرى تحسين قوات الإشارة في اتجاه إدخال الوسائط اللاسلكية على نطاق واسع، وكان إنتاجها منظماً للقوات البرية والقوى الجوية والقوى البحرية. وكانت الوسائط اللاسلكية القائمة في تسليح الوحدات والقطعات تسمح بإقامة الاتصال على مدى حوالي ٢٠ كم، وفي أركانات الفرق والفيالق والجيوش على مدى حوالي ١٥٠ كم. كما ظهر في الثلاثينيات محطات لاسلكية للطائرات والدبابات. وسمح تطوّر العتاد اللاسلكي في هذه الفترة بإنشاء نماذج تجريبية من محطات الطائرات الخاصة بكشف الطائرات (1-SUR و 2-SUR)، وأنشئت في الوقت ذاته أجهزة برق وطابعات سريعة العمل، وأزيلت النماذج المتمايزة من الأجهزة الهاتفية، ووحّدت في نموذج واحد مناسب.

حازت قوات الإنزال الجوي في الثلاثينيات على تطور كبير تجلّى في إنشاء أول كتائب الإنزال المظلي التي توسعت فيما بعد إلى أفواج. ويمرّ هذا الصنف من القوات باختبار شامل في العام ١٩٣٥ في مناورات منطقة كييف، ثم منطقة بيلوروسيا العسكريتين اللتين جرى فيهما لأول مرة في تاريخ فن الحرب إسقاط قوات ضخمة بالمظلات ١٢٠٠ ــ ١٨٠٠ شخص، والهبوط ٢٥٠٠ ــ ٢٧٠٠ شخص، مع أسلحتها وعتادها القتالي.

وهكذا أمّن تطور الصناعة الاشتراكية في سنوات ما قبل الحرب تزويد القوات المسلحة السوفييتية بالأسلحة والأعتدة الحربية الحديثة، الأمر الذي رفع من قدرتها الحركية والنارية. إلا أنه لم يتسنَّ إكمال عملية إعادة تجهيز القوات المسلحة بالعتاد التقني إلى النهاية قبل بدء الحرب الوطنية العظمى، فقد كان الوقت ضيقاً للغاية.

٤ ــ ٤ ــ الأعمال القتالية للقوات المسلحة السوفييتية ١٩٣٨ ــ ١٩٤٠م

بعد انتهاء الحرب الأهلية بقي الجيش الأحمر فترة طويلة لم يخض فيها أعمالاً قتالية ذات حجم كبير. ولم تكن نزاعات الحدود وحوادثها، المنظمة من قبل الأمبرياليين في طبيعة أعمالها وصغر حجمها تشكل أساساً لعمل استنتاجات وتعميمات واسعة في مجال فن الحرب. ومما كان له تأثير حاسم على تطوّر فن الحرب إعادة التسليح التقني للجيش الأحمر، ودراسة الخبرة العالمية في الأعمال القتالية، باستخدام العتاد القتالي الجديد، وكذلك الخبرة القتالية الخاصة المكتسبة في معارك حماية الحدود، عند بحيرة خاسان وعلى نهر خالخنين ــ غول، وفي الحرب مع فنلندا.

المعارك قرب بحيرة خاسان: شكّل العدوان السافر الذي قامت به العسكريات اليابانية ضد الصين، حين وصلت القوات اليابانية إلى حدود الاتحاد السوفييتي، تهديداً حقيقياً لأمن الشرق الأقصى السوفييتي. فلم تتخلَّ العسكريات اليابانية عن أطماعها العدوانية القديمة بالاستيلاء على الشرق الأقصى السوفييتي. وكانت المعارك قرب بحيرة خاسان في تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٣٨ واحدة من الاستفزازات العسكرية الرامية إلى اختبار قوة الجيش الأحمر. وقد حسبت القيادة اليابانية أن عدم تهيئة هذه

المنطقة للدفاع وصعوبة حشد القوات، وفتحها على أرض مستنقعية ــ غابية يمهّد لها إحراز النجاح بسرعة.

وقد اشترك في المعارك قرب بحيرة خاسان بشكل مباشر من الجانب الياباني فرقة مشاة، ولواء مشاة مع قطعات تعزيز بما مجموعه نحو ٢٠ ألف رجل. وبالإضافة إلى ذلك وجهت نحو منطقة الأعمال القتالية مدفعية ثقيلة ومدفعية مضادة للطائرات وعدة قطارات مدرّعة.

اخترقت القوات اليابانية النظامية في ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٣٨ الحدود السوفييتية وبعد هجمات متعددة احتلت مرتفعات ملائمة من الناحية التكتيكية على بعد ١٣٠ كم شمالي فلاديفستوك دافعة ثمناً باهظاً لقاء ذلك. وما إن وصل خبر الاعتداء الياباني إلى مسامع قائد جيش الشرق الأقصى مارشال الاتحاد السوفييتي ف. ك. بلوخير حتى حشد في منطقة النزاع فرقتي مشاة. وكان على القوات السوفييتية، التي تملك ٢٢٠ مدفعاً وهاوناً، و٢٨٦ دبابة، وقرابة ٢٥٠ طائرة، أن تتغلب على المقاومة الضارية للمحتلين اليابانيين المنشئين دفاعاً قوياً في المواضع المحتلة. وبهجوم حاسم سحقت القوات السوفييتية العدو في فترة ما بين ٢ ــ ٩ آب (أغسطس) ١٩٣٨، وطهّرت الأرض تطهيراً كاملاً من المحتلين اليابانيين. وفي ١١ آب (أغسطس) ١٩٣٨ أوقفت الأعمال القتالية قرب بحيرة خاسان نتيجة للمفاوضات التي أجريت بناء على طلب اليابان.

كان ذلك أول مرة تخوض فيها تشكيلات المشاة السوفييتية قتالاً في ظروف الاستخدام الكثيف لمختلف أنواع العتاد القتالي: المدفعية، والدبابات، والطيران. فقد أثبتت المعارك الأولى قرب بحيرة خاسان عدم جواز إجراء هجمات جبهية بالمشاة، ضد دفاع مجهز بوسائط الصراع الحديثة، ما لم يتم إبطاله. فلم يكن التفوّق الكمي بالعتاد القتالي كافياً لتحقيق النصر، ودلّت الخبرة القتالية على أنه لا يمكن إحراز النجاح في المعركة المشتركة إلا بالجهود المنسقة لجميع صنوف القوات، وأن هجوم المشاة والدبابات يجب أن يؤمن بالمدفعية والقوات الهندسية. لذا، أصبح تنظيم التعاون المستمر والوثيق بين المشاة والمدفعية والطيران والقوات الهندسية من المهام الرئيسية للقادة والإمكانات من جميع المستويات.

الأعمال القتالية على نهر خالخنين ــ غول: كانت الأعمال القتالية على نهر خالخنين ــ غول في أيار (مايو) ١٩٣٩ ذات أبعاد أكبر، حيث تلقت القوات السوفييتية خبرة في تنظيم الدفاع والهجوم في ظروف الأرض الصحراوية، باستخدام أنواع العتاد القتالي كافة، ليس على المستوى التكتيكي بل والعملياتي أيضاً.

وكان النزاع في منطقة نهر خالخنين ــ غول متسبباً عن أطماع الأمبرياليين اليابانيين الذين حاولوا الاستيلاء بالقوة على القسم الشرقي من أراضي جمهورية منغوليا الشعبية والتقدم، في حال نجاح الخطة، نحو الشمال وقطع الخط الحديدي الرئيسي الذي يمرّ عبر سيبيريا، وعزل الشرق الأقصى السوفييتي عن المناطق المركزية في البلاد.

وقد بدأت الأعمال القتالية في ٢٨ أيار (مايو) ١٩٣٩ باعتداء القوات اليابانية على حدود جمهورية

منغوليا الشعبية ، وبمحاولة ردّ القوات المنغولية والقوات السوفييتية التي هرعت لمساعدتها ــ بموجب اتفاقية المساعدة المتبادلة المعقودة بين البلدين ــ ووصلت إلى ما وراء نهر خالخنين ــ غول . وحتى آب (أغسطس) ١٩٣٩ خاضت القوات المنغولية ــ السوفييتية بشكل رئيسي أعمالاً دفاعية ضد قوى العدو المتفوقة عددياً .

انهمك الطرفان كلاهما ، اعتباراً من نهاية تموز (يوليو) ، بالتحضير للهجوم الحاسم ، وحشدا في منطقة نهر خالخنين ــ غول قوى ضخمة . وكان من المقرر أن يشترك في هجوم الجيش الياباني المزمع تنفيذه بتاريخ ٢٤ آب (أغسطس) ، على جبهة عرضها ٧٠ كم ، ٧٥ ألف جندي وضابط ياباني ، وما يزيد على ٥٠٠ مدفع و٨٢ دبابة و٣٠٠ ــ ٥٠٠ طائرة .

كانت خطة القيادة المنغولية ــ السوفييتية تقضي بتثبيت العدو على الجبهة ، وتوجيه ضربات بقوى كبيرة على كلا الجانبين ، وتطويق القوات اليابانية المتوغلة عبر حدود منغوليا وتدميرها . لذا ، عملت القوات المنغولية ــ السوفييتية ، قبل بدء العملية ، لتكون متفوقة من حيث العدد بالمشاة بنسبة ٥ر١ مرة وبالمدفعية بنسبة ٢ مرة ، والدبابات بنسبة ٤ مرات . وكان التفوق في الطائرات وبخاصة المقاتلات ، أيضاً إلى جانب القوات السوفييتية . واستناداً إلى خبرة الأعمال القتالية ، قرب بحيرة خاسان أُولِيَتْ عناية خاصة ، لدى تحضير العملية ، إلى تأمين هجوم المشاة والدبابات ، وكذلك إلى مسائل تنظيم التعاون بين صنوف القوات التي نسقت خلال إجراء الاستطلاع الشخصي من قبل قائد تجميع الجيش شخصياً الجنرال غ . ك . جوكوف .

وبدأ هجوم القوات المنغولية ــ السوفييتية في ٢٠ آب (أغسطس) بضربة قوية من الطيران وبتمهيد مدفعي لمدة ٣ ساعات تقريباً . ومع اجتياز مقاومة العدو أتمت القطعات المدرعة حتى نهاية يوم ٢٣ آب (أغسطس) تطويق تجميع العدو ، وقامت قوات المشاة ، متعاونة مع وحدات الدبابات ، بتشطيره إلى أجزاء معزولة الواحد عن الآخر ، وبالتالي تمّ سحقه في منتصف أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ؛ وأوقفت بعد ذلك الأعمال القتالية .

ولدى سحق العدو على نهر خالخنين ــ غول من قبل القوات المنغولية ــ السوفييتية نفّذت أول عملية هجومية للتطويق مع استخدام الوسائط التقنية للصراع المسلح في تاريخ فن الحرب . وكان إنشاء جبهة تطويق خارجية في أثناء العملية ظاهرة جديدة في فن العمليات .

لقد دلّت خبرة المعارك على أن إجراء عملية التطويق يتطلب أعمالاً سريعة لقوات متحركة ، وتعاوناً مستمراً بين التشكيلات المهاجمة كافة . وتبين هنا عدم جدوى استخدام تشكيلات الدبابات لخرق الدفاع المحضّر . وثبت في الوقت ذاته ضرورة إدخال قطعات من المشاة المحمولة ضمن قوامها ، فبدونها لا يكون لدى تشكيلات الدبابات إمكانات قتالية كافية ، عند العمل في العمق العملياتي في معزل عن القوى الرئيسية للقوات المهاجمة .

كما دلّت الأحداث الجارية على نهر خالخنين ــ غول على الأهمية المتعاظمة للطيران في العمليات الحديثة . وقد استخدمت القوات السوفييتية هنا السلاح الصاروخي للمرة الأولى .

كانت إيقاعات هجوم القوات المنغولية ــ السوفييتية ، في الوقت ذاته ، منخفضة ، وطالت مدة الأعمال الرامية إلى تدمير التجميع المطوّق . وكان ذلك راجعاً إلى عدم وجود وضوح كافٍ لمبدأ تكثيف القوى والوسائط على اتجاه الضربة الرئيسية ، كما كانت الكثافات المدفعية غير كافية وكميات الهواون قليلة جداً في القوات .

كذلك تبيّن في بداية النزاع أن القوات السوفييتية لم يكن لديها النواحي الضعيفة في العتاد القتالي السوفييتي ، مثل عدم كفاية تصفيح الدبابات من طراز « ب ت » وقلة سرعة الطائرات المقاتلة نسبياً . كما كان لدراسة خبرة الأعمال القتالية على نهر خالخنين ــ غول أهمية كبيرة في رفع مستوى فن الحرب السوفييتي .

الحرب الفنلندية ــ السوفييتية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ م : اندلعت الحرب ما بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا باستفزاز من الدوائر الحاكمة الفنلندية ، وكان ذلك بإيعاز من القوى الرجعية للدول الأمبريالية . فقد رفض الرجعيون الفنلنديون اقتراحاً يدعو إلى تسوية سلمية لمسائل أمن الحدود السوفييتية الشمالية الغربية ، واتخذوا موقفاً عدائياً سافراً من الاتحاد السوفييتي ، وقاموا باستفزازات عسكرية متكررة على الحدود مما أدّى إلى وقوع النزاع المسلح .

لم تكن الأمور لتصل إلى نزاع عسكري بين الدولتين المتجاورتين ، لو أن الحكومة الفنلندية انتهجت سياسة تعكس المصالح القومية الحقيقية لشعبها ، وتفهمت بشكل صحيح الأسباب التي حدت بالاتحاد السوفييتي إلى إثارة موضوع تقديم الحدود في منطقة برزخ كاريل . وقد أكد ذلك بعد الحرب رجال السياسة الفنلنديون البارزون ، حيث صرح رئيس جمهورية فنلندا و . كوكونين في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٣ بما يلي : « حينما نضع أنفسنا الآن بعد مضي أكثر من عشرين سنة ، موضع الاتحاد السوفييتي ، يصبح مفهوماً ، على ضوء الهجوم الهتلري على الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٤١ ، ذلك القلق الذي ساور الاتحاد السوفييتي ــ ويجب أن يساوره ــ حيال أمنه في نهاية الثلاثينيات » . لكن حكام فنلندا كانوا يفكرون ويعملون بشكل مخالف ، حتى زجوا بلادهم في أتون الحرب .

امتدت الأعمال القتالية إلى مسافات شاسعة ، من بحر بارنتسوف إلى الخليج الفنلندي ، على جبهة تقرب من ١٥٠٠ كم ، واستمرت من ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٩ حتى ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٠ ، وكانت منطقة الأعمال القتالية مليئة بالبحيرات والأنهار والغابات ، وصعبة الاجتياز من أجل **شن** الهجوم ، وبخاصة استخدام العتاد القتالي . أضف إلى ذلك أن شتاء عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ كان **قاسياً** للغاية حين وصلت درجة الحرارة إلى ٤٥ ــ ٥٠ تحت الصفر .

وقعت الأحداث الرئيسية في برزخ كاريل على امتداد ١٠٠ ــ ١١٠ كم، حيث كان لدى الفنلنديين نظام قوي من التحصينات المستديمة، وهو ما يسمى «بخط مانيرهايم»، وكان يتألف من عدة نطاقات ومواضع، ويعتبر منطقة محصنة. وبلغ العمق العام لخط مانيرهايم ١٠٠ ــ ١٢٠ كم وكان يُعد خطاً لا يُخرق.

لقد حشدت الحكومة الفنلندية قبيل بدء الحرب على الحدود الفنلندية ــ السوفييتية ١٥ فرقة مشاة. وكان لدى القيادة السوفييتية، في مواجهة الجيش الفنلندي، نحو ٢٠ فرقة.

وأسفرت الأعمال القتالية في بداية الحرب عن تقصير جوهري في إعداد القوات السوفييتية، وفي تنظيم العملية والمعركة وتنفيذهما. فبدت غير مستعدة للقيام بخرق دفاع العدو الطويل الأمد. ولم تكن المحاولات في خرق مثل هذا الدفاع بقوى كثيفة من المشاة، دونما استطلاع لجهاز الدفاع، ودونما حشد لكمية كافية من المدفعية، لتعطي النتائج المنشودة، ممّا أدّى إلى خسائر لا مبرر لها. ولم تكن كثافات المدفعية متناسبة أبداً مع الاحتياجات إلى وسائط إبطال دفاع العدو، وكانت المدفعية تطلق النار على مساحات من الأرض، وليس على أهداف مستطلعة، ولم يحضر للدبابات عدد كاف من الثغرات في الحواجز، ولم يقدم الطيران دعماً مباشراً للقوات في ميدان المعركة.

كانت المشاة، بنتيجة هذه النقائص، مضطرة لمهاجمة عقد دفاع العدو غير المبطلة، وتنفيذ الهجمات من مسافات بعيدة، وبإيقاعات منخفضة، وبالتالي لم تصب نجاحاً. وهكذا أوقف الهجوم اللاحق للقوات السوفييتية في برزخ كاريل مؤقتاً، وبدأ التحضير المتقن لخرق دفاع العدو المحصن.

وانتقلت القوات السوفييتية في ١١ شباط (فبراير) إلى الهجوم من جديد، منفذة الخرق على أقوى قطاع في دفاع العدو. وحشد على اتجاه الضربة الرئيسية ضمن نطاق ٤٠ كم ما يزيد على ٦٠٪ من قوات المشاة وثلثا المدفعية، وكان لدى القوات السوفييتية تفوقاً مضاعفاً في المشاة، وثلاثياً في المدفعية ومطلقاً في الدبابات، ممّا أمّن خرق «خط مانيرهايم» وسحق تجميع قوات العدو الأساسي. وفي ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٠ طلبت الحكومة الفنلندية العودة إلى السلام وأوقفت الأعمال القتالية.

كان أهم نتائج الحرب ضمان أمن الحدود الشمالية ــ الغربية للاتحاد السوفييتي. وحسب شروط اتفاقية السلام أصبحت الحدود السوفييتية تبعد عن لينينغراد لمسافة ١٥٠ كم. وكان لذلك أهمية كبرى عندما بدأت الحرب العالمية الثانية.

نفذت القوات المسلحة للاتحاد السوفييتي في أثناء الأعمال القتالية، ولأول مرة، عملية جبهوية في منطقة محصنة قوية للعدو. ودلّت الخبرة على أنه لنجاح مثل هذه العملية لا بد من إعداد القوات إعداداً خاصاً ومتقناً، لتدمير تحصينات العدو المستديمة، وتأمين المشاة المهاجمة بالدعم المباشر والفعّال، من جهة

الطيران والمدفعية والدبابات والهندسة، وتنسيق القوى والوسائط بشكل عميق، وتأمين إمكان تصعيد الجهود باستمرار لتطوير النجاح المحصل في العمق.

وكانت المدفعية في فترة الحرب الفنلندية ــ السوفييتية الواسطة الأساسية لإبطال دفاع العدو. فانتقلت المدفعية من النيران ذات الفعالية القليلة على المساحات المستخدمة في بداية الحرب إلى النيران المركزة على أهداف مستطلعة مسبقاً، وحظي مبدأ تكثيف المدفعية على اتجاه الضربة الرئيسية في أثناء الحرب بتطوّر كبير، بينما رفعت كثافتها إلى ٥٠ ــ ٧٠ فوهة على كيلو متر واحد من الجبهة.

لم يحظَ تكتيك القوات المدرعة في أثناء الحرب بما يستحقه من الاختبار والتطوير، وكانت ظروف الأرض تستبعد إمكان الاستخدام الكثيف للدبابات. فكانت تعمل بمجموعات صغيرة فقط متحركة على امتداد الطريق، أو على ممرات محضّرة لها. ولم تفلح محاولات استخدام مجموعات الدبابات كنسق لتطوير النجاح، إذ إن الدبابات لم تكن قادرة على العمل إلا في إطار ارتباط وثيق مع المشاة والنقابين. وكان إدخال الدبابات في قوام مجموعات الاقتحام وسيلة ناجعة للصراع مع نقاط استناد العدو.

وكانت أعمال الطيران في فترة هذه الحرب محفوفة بالمصاعب الناجمة عن الأحوال الجوية النسيئة، وصعوبات كشف الأهداف القتالية. وتأكدت أهمية وضرورة تحقيق أوثق التعاون التكتيكي ما بين الطيران والقوات الأرضية.

٤ ــ ٥ ــ تطوّر فن الحرب السوفييتي

وجدت البلاد السوفييتية، في سنوات البناء السلمي في ظروف التطويق الاستعماري، والتهديد المتصاعد بحرب عالمية جديدة تستهدف أول دولة اشتراكية في العالم، وتطلب ذلك بذل مجهودات جبارة من قبل الشعب السوفييتي، من أجل تقوية القدرة الدفاعية لبلاده، ورفع القدرة القتالية لقواته المسلحة باستمرار.

سمحت النجاحات في البناء الاشتراكي، وبخاصة الخطوات الكبيرة التي خطاها الاتحاد السوفييتي في الثلاثينيات من أجل تصنيع البلاد، ببناء قوات مسلحة حديثة، وإعادة تسليحها بنماذج جديدة من الأسلحة والعتاد القتالي. وتلقت نظرية فن الحرب الاستراتيجية ــ فن العمليات ــ التكتيك تطوراً كبيراً في هذه الحقبة من الزمن، وأفاد العلم العسكري السوفييتي إفادة واسعة من خبرة الحروب الماضية، وقيّم تقييماً صحيحاً دور التسليح والعتاد القتالي الحديثين وأهميتهما بالنسبة لذلك الوقت، واستشف طبيعة الحروب المحكمة. وكانت العقيدة العسكرية السوفييتية فعّالة، إذ وجهت نظرية فن الحرب وممارسة نمو استنباط أشكال وطرق متقدمة وحاسمة في خوض الأعمال الحربية.

كما ساهم بنصيب وافر في حل المعضلات العامة للنظرية العسكرية القادة والشخصيات العسكرية

البـــارزون في ذلك الـــوقت مثـــل آبي . يغـــوروف (A.G. Egorov) و م . ن . توخاتشيشكـــــي و ب . م . شابوشنيكوف (B.M. Shaposhnikov) .

بوريـــس ميخائيلوفيتـش شابوشـنيكوف :



ولـد بوريس ميخائيلوفيـتش شابوشنيكـوف في ١٨٨٢/١٠/٢ وتـوفي في ١٩٤٥/٣/٢٦ ، هو شخصية عسكرية سوفييتيـة بارزة ، ومـارشال الاتحاد السوفيتي ، وبروفسور تطوّع في الخدمة العسكرية اعتبـاراً من العام ١٩٠١ . كان عقيداً في الأركان العامة للجيش الروسي القديم . انضم إلى الجيش السوفييتي اعتباراً من العام ١٩١٨ ، وكان خلال الحرب الأهلية مساعداً لمدير إدارة العمليات في الأركان الميدانية لمجلس الثورة العسكري في الجمهورية ، ثم مديراً لها . وهو واحد من واضعي خطط حملة ١٩٢٠ م . قاد بعد الحرب مناطق عسكرية ، وكان مديراً للأكاديمية العسكرية المسماة م . ف . فرونزه ، ثم رئيساً للأركان العامة ، ثم نائباً لمفوض الشعب للدفاع في الاتحاد السوفييتي ، ثم مديراً للأكاديمية العسكرية للأركان العامة . وباشتراك مباشر منه وضعت المقترحات المتعلقة بإعداد أهم العمليات التي خاضتها القوات السوفييتية وتنفيذها في الفترة ما بين ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ : كملحمة سمولنسك ، والهجوم العام المعاكس ، والهجوم العام للجيش السوفييتي في شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ .

عمل كثيراً وبشكل ناجح على تطوير العلم العسكري السوفييتي ، وعلى تعميم الخبرة القتالية للحرب الأهلية . اشترك في لجنة وضع الأنظمة العسكرية ، وصاغ في كتابه الأساسي « دماغ الجيش » المبادىء الأساسية حول طبيعة الحرب المقبلة ، وكشف النقاب بشكل عميق عن خصائص قيادة الحرب المقبلة ، وأعطى فكرة واسعة عن دور ووظيفة وبنية الأركان العامة ، كعضو في القيادة العليا للقوات المسلحة . وقد تأكدت صحة المبادىء الأساسية التي طرحها شابوشنيكوف في كتابه من خلال عمل الأركان العامة في سنوات الحرب الوطنية العظمى .

دفن في موسكو في الساحة الحمراء قرب سور الكرملن .

دُوّنت نتائج العمل النظري العسكري في الأنظمة العامة والخاصة ، كما نُظّم تحضير الأعمال القتالية للقوات المسلحة السوفييتية وتنفيذها ، وصدرت مجموعة الأنظمة العسكرية السوفييتية في نهاية العشرينيات ثم في النصف الثاني من الثلاثينيات .

الاستراتيجية العسكرية : اهتم الفكر الاستراتيجي العسكري السوفييتي اهتماماً كبيراً في مطلع العشرينيات بتحديد طبيعة الحرب المقبلة ، وتحديد الاتجاهات الأساسية في بناء القوات المسلحة ، واستنباط أفضل طرق الأعمال القتالية ، مع مراعاة المستوى التقني للجيش الأحمر .

وعلى أساس تعميم خبرة الحروب الأخيرة ، وكذلك مراعاة اتجاهات تطوّر وسائط الصراع ، والتطور

السريع في العلم والانتاج الصناعي ، كانت النظرية العسكرية السوفييتية ترى بأن الحرب الجديدة ستتصف بطابع المناورة ، مع استخدام كمية كبيرة من العتاد ، وأن حسمية أعمال الطرفين وفعاليتها والتطور السريع في التسليح ستفسح المجال أمام توجيه الضربات العميقة والساحقة .

وعند تحديد طبيعة الحرب المقبلة ، انطلقت الاستراتيجية العسكرية السوفييتية من أن الاتحاد السوفييتي سيكون مضطراً لخوض حرب ضد تحالف الدول الأمبريالية التي تملك قوات مسلحة حسنة التجهيز والتدريب ، وأنه يحتمل وقوع هجوم من عدة اتجاهات ، في آن واحد . وكان يعتبر من الملامح المميزة للحرب المقبلة اتساع مجالها ، سواء من حيث النفقات الاقتصادية ، أو الموارد البشرية ، أو الأبعاد ، أو الاستمرار .

ورأت الاستراتيجية السوفييتية ، رؤية مدعمة بالبراهين الدامغة ، أن طبيعة الحرب تفرض صفتي الحسم واللاتهادن في الصراع المسلح ، إلى أن يتمّ سحق المعتدي سحقاً كاملاً على أرضه . لذا ، فإن الحاسم من الأعمال الاستراتيجية هو الهجوم . والشكل الأساسي للهجوم الاستراتيجي يجب أن يتجلّى في العمليات الهجومية الجبهوية المنفذة في مسرح الأعمال الحربية في آن واحد ، أو على التوالي . فإذا كانت الوسيلة الوحيدة المتحركة لتطوير الهجوم في العشرينيات هي الخيالة الاستراتيجية ، فقد توفر أيضاً لهذه الغاية في الثلاثينيات فيالق ميكانيكية ، وقوات إنزال جوي ، وطيران قوي .

ومع أن الاستراتيجية السوفييتية تعطي الأهمية الحاسمة للهجوم ، إلا أنها ترى أن الدفاع أيضاً نوع قانوني تماماً من أنواع الأعمال الاستراتيجية ، مؤكدة مع ذلك على دوره التابع . فقد اعتبر الدفاع ظاهرة مؤقتة ووسيلة للانتقال إلى الهجوم . وأدخلت في صلب العمليات الدفاعية للقوات السوفييتية فكرة الفعالية العالية ، والاستعداد للانتقال إلى الهجوم الحاسم ، غير أن إعداد أساليب تنفيذ الدفاع الاستراتيجي وطرقه كان متخلفاً إلى حد كبير . وأوليت عناية جدية لمسائل التعاون الاستراتيجي للجبهات . وقد توصلت الاستراتيجية العسكرية السوفييتية ، عند إعداد هذه المعضلات ، إلى حل صحيح لمسألة مكان صنوف القوات ودورها ومهامها ، انطلاقاً من أن النصر في الحرب إنما يتمّ بالجهود الموحّدة لأنواع القوات المسلحة وصنوفها كافة .

احتلت مكاناً بارزاً في النظرية الاستراتيجية مسائل خوض الصراع المسلح في بداية الحرب والقيادة الاستراتيجية في زمن الحرب . وكان صحيحاً ما ذهبت إليه هذه النظرية من أن ظروف نشوب الحروب مختلفة تمام الاختلاف ، وأن الحروب غالباً ما تبدأ بهجوم مباغت للمعتدي دونما إعلان للحرب . ويمكن أن تبدأ أعمال قوات التغطية المحتشدة قرب الحدود منذ زمن السلم ، في اليوم الأول ، بل وحتى في الساعات الأولى من بدء الحرب ، وترتدي طابعاً فعّالاً . ومع ذلك ارتكب الفكر الاستراتيجي العسكري السوفييتي ، باعتماده على خبرة الحرب العالمية الأولى ، خطيئته المعروفة ، حين افترض أن تعبئة القوى الرئيسية وفتحها (النسق الاستراتيجي الأول) لكلا الطرفين ، وبالتالي دخولها الأعمال الحربية لا يمكن تحقيقه إلا بعد أن تبدأ الحرب فعلياً وخلال ٢ ـــ ٣ أسابيع .

وتقرر، من أجل قيادة الصراع المسلح مباشرة، تشكيل جهاز خاص على غرار مجلس العمل والدفاع، وكذلك هيئة قيادة عليا. كما شغلت مسائل تشكيل واستخدام المخزونات على مستوى الدولة والاحتياطات الاستراتيجية مكاناً هاماً في نظرية الاستراتيجية الحربية السوفييتية وممارستها؛ ويمكن تشكيل الاحتياطات الاستراتيجية لتنفيذ مهام فعَّالة كتشكيل تجميعات جديدة، وتعزيز التجميعات القائمة في مسرح الأعمال الحربية، وتصعيد الجهود على الاتجاهات الحاسمة، والتصدي للمفاجآت على اختلاف أنواعها.

وقد راعى الاستخدام الاستراتيجي للقوى الجوية انتزاع السيطرة الجوية، والدفاع الجوي الاقليمي، وتغطية تحشد القوات في مناطق الحدود. ويمكن أن تكون المهام الرئيسية للطيران، في المرحلة الابتدائية للحرب، توجيه الضربات إلى المراكز السياسية والإدارية والصناعية لدى العدو وإلى تجميعات قواته في النطاق المتاخم للحدود. وقد سمح مستوى تطور الطيران الحربي السوفييتي في نهاية الثلاثينيات بتوجيه الضربات إلى عمق حتى ٤٠٠ كم عن خط الجبهة، وإفراد المكان الأساسي في الصراع من أجل كسب السيطرة الجوية إلى أعمال الطيران المقاتل؛ وفي الوقت ذاته لم تحسن بما فيه الكفاية، إمكانية الأعمال المفاجئة الواسعة للطيران القاذف ضد المطارات. وكان هناك اعتقاد لا مسوّغ له، وهو أنه من الصعب للغاية مداهمة الطيران في المطارات. وإلى جانب المهام المنفذة بالتعاون مع القوات البرية فقد تمكنت القوى الجوية من تنفيذ عمليات جوية مستقلة أيضاً، بقوى التشكيلات القاذفة الثقيلة.

واعتبرت المهام الرئيسية للأسطول البحري الحربي، تدمير قوى أسطول العدو، ومساندة القوات البرية على الاتجاهات البحرية. فعملت القوى البحرية السوفييتية بشكل رئيسي في مسارح بحرية مغلقة، وكانت قواها ما تزال محدودة، وتمكنت من تنفيذ المهام بشكل رئيسي، في المياه القريبة من الساحل. غير أن الوزن النوعي للغواصات والطيران البحري قد ازداد بسرعة ضمن قوام الأسطول، مما سمح بإرساء دعائم نظرية استخدام مختلف صنوف القوى في العمليات البحرية وممارستها.

كما راعت الاستراتيجية السوفييتية، أيضاً، الظواهر الجديدة التي برزت في أثناء الحرب العالمية الثانية البادئة، وبخاصة في الحملات على بولونيا وفرنسا. فقد اتخذت قيادة القوات المسلحة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٠ التدابير من أجل رفع الجاهزية القتالية للمناطق العسكرية المتاخمة للحدود، وتحسين مستوى تدريب الأركانات، وأجرت ألعاباً ومشاريع عملياتية ــ استراتيجية ضخمة، .ووضعت خطة للدفاع عن الحدود الدولية.

مع ذلك لم تلق بعض المسائل الهامة حلاً عملياً لها؛ إذ لم تكن قوات النسق الاستراتيجي الأول معبّأة تعبئة كاملة، ولم تكن الخطوط الدفاعية في العمق محضّرة في كل مكان، ولم ينشأ دفاع قوي ضد الدبابات على الاتجاهات الأساسية لضربات العدو المحتملة.

فن العمليات: سار تطوّر فن العمليات السوفييتية وتحسُّنه، باعتباره نظرية، وممارسة تنظيم،

وتنفيذ العمليات على مستوى الجيش والجبهة، بشكل متوازٍ مع نمو التجهيز التقني للقوات المسلحة، مع مراعاة الخبرة القتالية لقوات الجيش الأحمر، وفن الحرب للأعداء المحتملين.

وكان فن العمليات السوفييتية يرى، مستنداً قبل كل شيء إلى خبرة الحرب الأهلية، أن العمليات المناورة ستكسب أبعاداً كبيرة جداً في الحرب المقبلة. ففي نهاية العشرينيات وضعت نظرية عامة للعمليات المتتالية، وهذه النظرية شملت مسائل الاستخدام العملياتي لصنوف القوات كافة القائمة في ذلك الوقت، بما فيها الطيران.

وكان الجيش هو الجحفل العملياتي الأساسي المخصص للعمل ضمن قوام الجبهة، أو على اتجاه عملياتي مستقل. كما كانت الجيوش المخصصة للعمل على اتجاه الضربة الرئيسية للجبهة تأخذ تسمية «الجيوش الضاربة» تمييزاً لها عن الجيوش العادية التي تنفذ مهام ثانوية.

كان يعتبر أن الجيش الضارب يمكنه أن يشن الهجوم ضمن نطاق ٥٠ ـــ ٨٠ كم، وأن ينفذ عدة عمليات متتالية على عمق العملية الجبهوية حتى ٢٥٠ كم. وفي نهاية العشرينيات أصبح عمق عملية الجيش ٢٥ ـــ ٣٠ كم ومدتها ٥ ـــ ٦ أيام على أساس إيقاع الهجوم ٥ ـــ ٦ كم في اليوم. وكان هذا الإيقاع يعدّ غير كافٍ أبداً لتحقيق الأهداف الحاسمة للعملية، لكنه كان مرهوناً بالمستوى التقنى المنخفض للجيش الأحمر في ذلك الوقت. وقد طرحت مسألة زيادته حتى ٢٠ ـــ ٢٥ كم في اليوم عن طريق تجهيز قوات المشاة والدبابات، وإنشاء تشكيلات ميكانيكية ضخمة.

وأوليت عناية جدية في العشرينيات أيضاً لمعضلات الدفاع العملياتي، حيث كان يعتقد أن الجانب المدافع يمكنه إيقاف هجوم العدو بقوى محدودة، على حساب تحكيم الأرض بشكل واسع، وتنظيم جهاز النيران بشكل صحيح.

وجرى التطوّر اللاحق لنظرية فن العمليات في الثلاثينيات بما يتماشى مع إعادة التسليح التقني للجيش الأحمر، وارتفاع إمكاناته القتالية.

كان أعظم إنجاز حققه الفكر العسكري السوفييتي في هذه الفترة وضع نظرية العملية الهجومية العميقة التي آذنت بالخروج من متاهة الصراع الموضعي الذي كان يطغى على معارك الحرب العالمية الأولى. وكان واضعو هذه النظرية القادة والمنظرون العسكريون البارزون مثل م. ن. توخاتشيشكي، ف. ل. تريياندافيلوف، ب. م. شابوشنيكوف وغيرهم. وساهم مساهمة كبيرة في تطوير هذه النظرية قادة قوات المناطق العسكرية، وقادة التشكيلات، وبروفيسورات ومدربو الأكاديميات العسكرية. وينحصر جوهرها في إبطال دفاع العدو في آن واحد بوسائط التدمير على سائر عمقه، وفي خرق منطقته التكتيكية على الاتجاه المختار مع التطوير السريع للنجاح التكتيكي إلى نجاح عملياتي، عن طريق زج نسق القوات المتحركة، وقوات الإنزال الجوي في الموقعة، مع قيام الطيران بعزل منطقة الخرق لمنع اقتراب احتياطات المدافع من العمق. وكان ذلك قفزة نوعية في تطوير فن العمليات، ونظرة جديدة كل الجدة في خوض الأعمال الهجومية بجيوش جماهيرية مجهزة من الناحية التقنية.

وتعتبر العملية العميقة ذات أعمال متعددة مؤلفة من عدة موقعات قد تنفذ في آن واحد ، أو على التوالي على عمق كبير ، بينما يجب أن يؤدي استخدام الوسائط البعيدة المدى كالطيران والمدفعية والمدرعات إلى التأثير على سائر البنية العملياتية لدفاع العدو . وكان من الضروري عند تنظيم العملية العميقة ، توزّع القوى والوسائط ، ليس في الجبهة فحسب ، بل وفي العمق عن طريق إنشاء عدة أنساق عملياتية .

كان من المعترف به أن العمليات الحديثة تأخذ مداها في الانتشار على مستوى الجبهة . وكان يعتقد أنه لتحقيق العملية الهجومية يجب أن تمتلك الجبهة تفوقاً مضاعفاً في القوى والوسائط على العدو ، وأن تضم ٢ ـــ ٣ جيوش مشتركة ضاربة و ١ ـــ ٢ جيش مشترك عادي ، ومجموعة متحركة مؤلفة من تشكيلات مدرعة وميكانيكية قادرة على تطوير النجاح التكتيكي إلى نجاح عملياتي ، والتمسك بصورة مستقلة بالمناطق أو الأغراض الهامة في العمق العملياتي ، كما تضم تجميعاً جوياً قوياً .

ولتطوير العملية الهجومية بشكل سريع كان يُعطى دور هام للمجموعة المتحركة المؤلفة من الاحتياطات الضخمة ، كما أنه عند خرق النطاقات المحصنة ذات المنشآت المستديمة لم يكن يستبعد زج المجموعة المتحركة أيضاً لإنهاء خرق منطقة الدفاع التكتيكية . وكان لإنشاء الفيالق الميكانيكية في الجيش الأحمر عام ١٩٣٣ ، لأول مرة ، عملياً في العالم ، أهمية كبرى في وضع نظرية العملية العميقة . لذلك كان حل هذه الفيالق المعتبرة القوة الضاربة في العملية العميقة في العام ١٩٣٩ على أثر سوء تقدير الخبرة المحدودة للحرب في اسبانيا في ١٩٣٦ ـــ ١٩٣٩ خطيئة لا تُغتفر . وسرعان ما أدركت القيادة العسكرية السوفييتية خطأ هذه الخطوة وبدأت في عام ١٩٤٠ ـــ ١٩٤١ تشكيل الفيالق الميكانيكية من جديد على نطاق واسع .

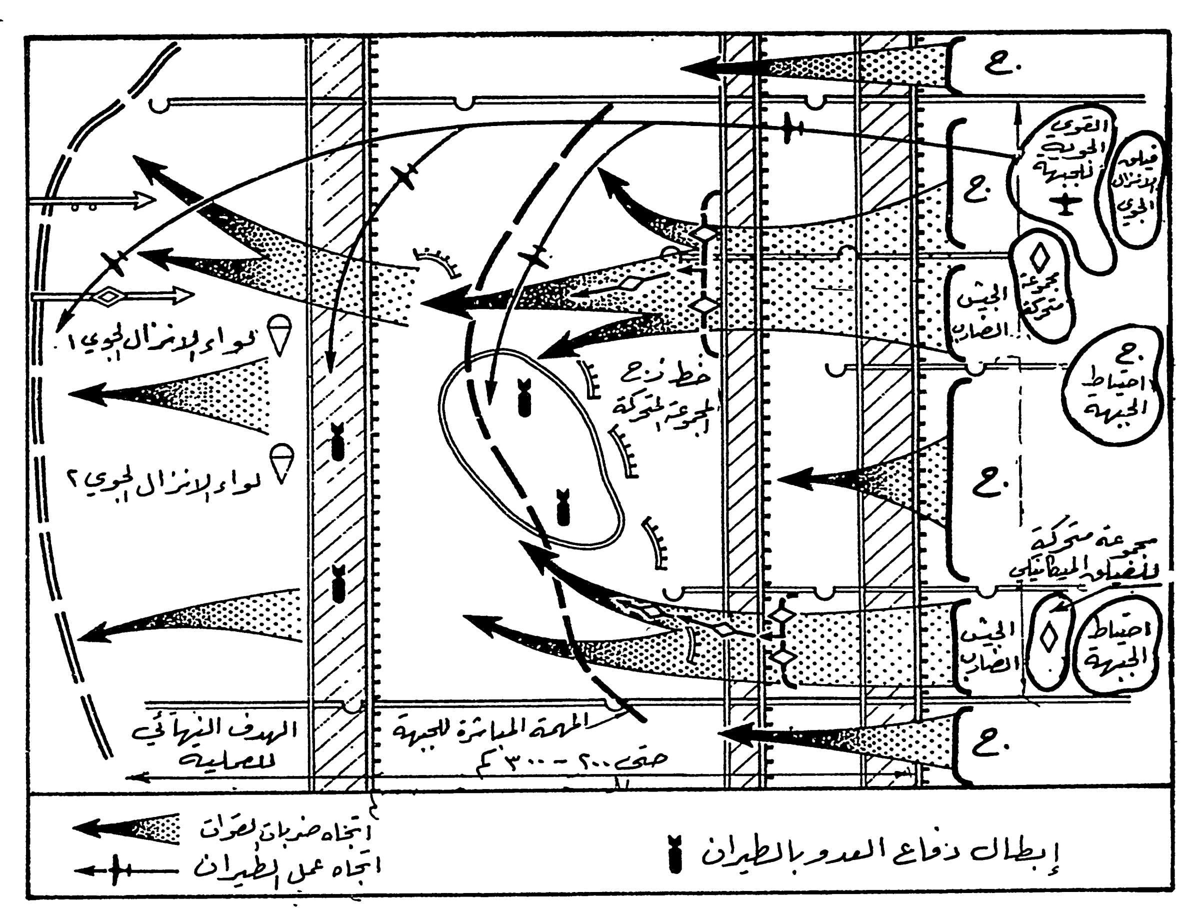
بيد أن تشكيل عدد كبير من القوات المدرعة لم يكن متناسباً مع توفر المركبات القتالية والكوادر التقنية والقيادية ، وإمكان تزويد القوات بها ؛ وكان بالنتيجة أن بقي معظم الفيالق حتى بداية الحرب الوطنية العظمى غير مكمل بالعتاد والرجال .

وكان يفترض أن يكون مجال العملية الهجومية الجبهوية ضمن الحدود التالية : عرض نطاق الهجوم ٢٥٠ ـــ ٣٠٠ كم مع توجيه الضربة الرئيسية ضمن قطاع ٦٠ ـــ ١٠٠ كم ، العمق حتى ٢٥٠ ـــ ٣٠٠ كم ، إيقاع الهجوم الوسطي لتشكيلات المشاة ١٠ ـــ ١٥ كم للقوات المتحركة ٤٠ ـــ ٥٠ كم في اليوم (انظر الشكل رقم ٢٦) .

كانت العملية الهجومية للجيش الضارب تخطط ضمن نطاق ٥٠ ـــ ٨٠ كم على عمق ٧٠ ـــ ١٠٠ كم . وبالتالي فإنه يمكن تنفيذ مهمة الجبهة عن طريق خوض عدة عمليات متتالية على مستوى الجيش .

وكان هجوم الجبهة يبدأ بخرق دفاع العدو ، وعلى قطاع أو قطاعين بقوى الجيوش الضاربة . لذا ، كان يجب أن يؤدي تطوير الخرق السريع في العمق باستخدام التشكيلات المدرعة والميكانيكية والخيالة وقوات

الإنزال الجوي إلى الإلتفاف حول جانب، والإحاطة بجانبي العدو وتشطير تجميعه، ليصار بالتالي إلى تطويقه وتدميره. وكان الجيش الضارب العامل على اتجاه الضربة الرئيسية للجبهة يخرق الدفاع، كقاعدة ضمن قطاع واحد، مكثفاً قواه ووسائطه.



(الشكل رقم ٢٦) ــ العملية الهجومية للجبهة حسب آراء ما قبل الحرب.

وقد جرى اختبار الأحكام الأساسية لهذه النظرية في العام ١٩٣٥ في مناورات منطقة كييف العسكرية، وفي العام ١٩٣٦ في مناطق بيلوروسيا وموسكو وأدريا وسواها، وكذلك في معارك حماية الحدود الدولية على نهر خالحنين ــ غول وفي الحرب الفنلندية ــ السوفييتية ودلّت هذه الأعمال القتالية على أن العلم العسكري السوفييتي الفتي وفن عملياته، يقفان على الطريق السويّ، ويأخذان بعين الاعتبار ظروف خوض الحرب المتبدلة. إلا أن فقدان خبرة الحروب الحديثة لم تسمح بتحديد المعدلات المثلى لكثافات قوات المشاة والمدفعية والدبابات إلا بطريقة حسابية، وكانت هذه المعدلات قبل الحرب الوطنية العظمى منخفضة.

أوليت عناية كبيرة لوضع نظرية العمليات الدفاعية. فحسب ظروف الدفاع ومهامه، وتوفر القوى والوسائط يمكن أن يكون الدفاع موضعياً أو مناوراً. فالدفاع الموضعي كان يستخدم في الأراضي المحضرة للدفاع، بغية صدّ هجوم العدو، والاحتفاظ بالمنطقة المدافع عنها. أما الدفاع المناور فكان يستخدم عند

عدم توفر القوى والوسائط اللازمة لتنظيم الدفاع الموضعي . وفي الدفاع المناور يمكن القبول بخسارة الأرض بغية الحفاظ على القوى .

وكان يعتقد بأن الجيش هو الحلقة الأساسية في تنظيم العملية الدفاعية وتنفيذها . وعلى الجيش ، عند تنظيم الدفاع الموضعي ، أن ينظّم مسبقاً ثلاث مناطق دفاعية : منطقة الحواجز العملياتية الأمامية ، المنطقة الدفاعية التكتيكية ، والمنطقة العملياتية .

كانت الجهود الرئيسية للجيش في العملية الدفاعية تحشد في المنطقة الدفاعية التكتيكية المؤلفة من نطاق حيطة ، ونطاق مقاومة رئيسي ونطاق ثانٍ ؛ ويبلغ عمقها العام ٢٥ ـــ ٣٠ كم . وكانت المنطقة الدفاعية العملياتية ذات عمق يبلغ ٢٠ ـــ ٣٠ كم ، وتضم منطقة لمناورة احتياطات الجيش ، وخط مؤخرة الجيش .

وبالتالي بلغ عمق دفاع الجيش في الظروف العادية (دون منطقة الحواجز العملياتية) ٥٠ ـــ ٦٠ كم . وكان عرض نطاق دفاع الجيش يحدّد استناداً لظروف الموقف على ألا يتجاوز ٨٠ ـــ ١٠٠ كم . وكانت البنية العملياتية للجيش في الدفاع تتضمن نسقاً واحداً مع الاحتفاظ باحتياط غير كبير .

كان لتنظيم الضربات المعاكسة أهمية كبرى في الدفاع ، لكن احتياط الجيش الذي كان في الواقع بقوة حتى فرقة مشاة ، لم يكن يملك الوسائط الكافية لتنظيم مواجهة جدية لهجوم تجميعات العدو المدرعة .

وهكذا كان فن الحرب السوفييتي موفقاً في المطالبة بإنشاء دفاع عملياتي عميق ، غير أن النزعة إلى التمركز الخطي للقوى والوسائط الرئيسية كانت هي السائدة في البنية العملياتية للقوات ، في حين كانت كمية الوسائط المضادة للدبابات والمدفعية المضادة للطائرات قليلة . وبشكل عام ، لم تكن نظرية خوض العمليات الدفاعية مثل الحرب الوطنية العظمى قد بلغت مستوىً كافياً من الكمال .

وبغية إمداد القوات بلا انقطاع في العمليات الهجومية والدفاعية فقد رُوعي إنشاء مؤخرة للجيش ، وكان يفتح في منطقة مؤخرة الجيش نحو ٢٥ مستودعاً متنوعاً ، وكانت هذه المستودعات ضخمة للغاية ولا تنضوي تحت قيادة واحدة .

وعلى العموم ، كانت نظرية العمليات الهجومية والدفاعية معدّة بشكل أكمل في فن العمليات، بينما كانت نظرية العمليات الجبهوية موضوعة بخطوطها العريضة .

التكتيك : إلى جانب تطور نظرية خوض العمليات في فترة ما بين الحربين ، جرى تحسين تكتيك المعركة الهجومية والدفاعية أيضاً . وهنا كانت وجهات النظر التكتيكية مرهونة ، أيضاً ، بالمستوى العام لتطوّر العمل العسكري ، ومقدار تزويد الجيش الأحمر بالعتاد القتالي .

فبعد الحرب الأهلية ، حينما كان التجهيز التقني للجيش الأحمر ضعيفاً ، كانت المشاة أكثر صنوف القوات عدداً ، وكان مصير المعركة موكلاً إليها . ومع ذلك كانت الأنظمة العسكرية تقضي بتنظيم التعاون

بين صنوف القوات في مراحل المعركة كافة؛ لذلك كانت أنظمة العشرينيات، بشكل عام، تناسب المعركة، كمعركة مشتركة، ولو أن هذا الإصطلاح لم يكن قد استخدم بعد في ذلك الوقت.

كان تكتيك العشرينيات مُشبعاً بالتصورات عن حرب المناورة؛ وكما هو الأمر في فن العمليات، فإن النوع الأساسي للأعمال القتالية في التكتيك هو الهجوم. وكانت أهداف المعركة الهجومية، ومهام القوات حاسمة، وطرق خوض المعركة فعّالة، هادفة إلى سحق تجميع العدو في المواجهة سحقاً تاماً.

ولقد أدّى إدخال العتاد الحربي إلى الجيش إلى تغيرات مقابلة في نظرية التكتيك. فإذا كان الأساس في المعركة، في العشرينيات، هو هجوم المشاة المدعومة دعماً فعالاً بالرشاشات والمدفعية، والمنتهية بضربة بالحرب، فقد ازداد في الثلاثينيات الدعم الناري للمشاة المهاجمة ازدياداً كبيراً، وأصبح التمهيد المدفعي للهجوم يخطط بقوة أكبر. وعملت الدبابات إلى جانب المشاة، ونفذ الطيران مهامه فوق ميدان المعركة، وازدادت كمية الوسائط المضادة للطائرات والمضادة للدبابات.

أصبحت المعركة الهجومية في نهاية الثلاثينيات ظاهرة معقّدة للغاية، وازدادت أهمية التعاون المستمر للقوى والوسائط في المعركة، وكذلك قيادة القوات، وتعقد تنظيمها، والمحافظة عليها.

وحسب نظرية العملية العميقة، بدأ في مستهل الثلاثينيات إعداد نظرية المعركة العميقة التي تنحصر في استخدام القوات والعتاد القتالي استخداماً مكثفاً وآنياً، في الهجوم على سائر الدفاع التكتيكي للعدو، بغية تطويقه وتدميره. وتمت صياغة الأحكام الأساسية لهذه النظرية في العام ١٩٣٥، وثبتت في نظام القتال المؤقت الصادر في العام ١٩٣٦. وتنص هذه النظرية على تنفيذ المهام القتالية بالجهود المشتركة للمشاة والمدفعية والقوات المتحركة والطيران وقوات الإنزال الجوي. فغدت المعركة العميقة معركة مشتركة. وكان الإبطال الآني للعمق التكتيكي لدفاع العدو يتحقق عن طريق تدمير الأغراض المدافع عنها بالمدفعية والتأثير المستمر بالطيران على الاحتياطات التكتيكية للقوات المدافعة ومؤخراتها، والتقدم الحاسم للدبابات وهجوم قطعات المشاة بلا توقف.

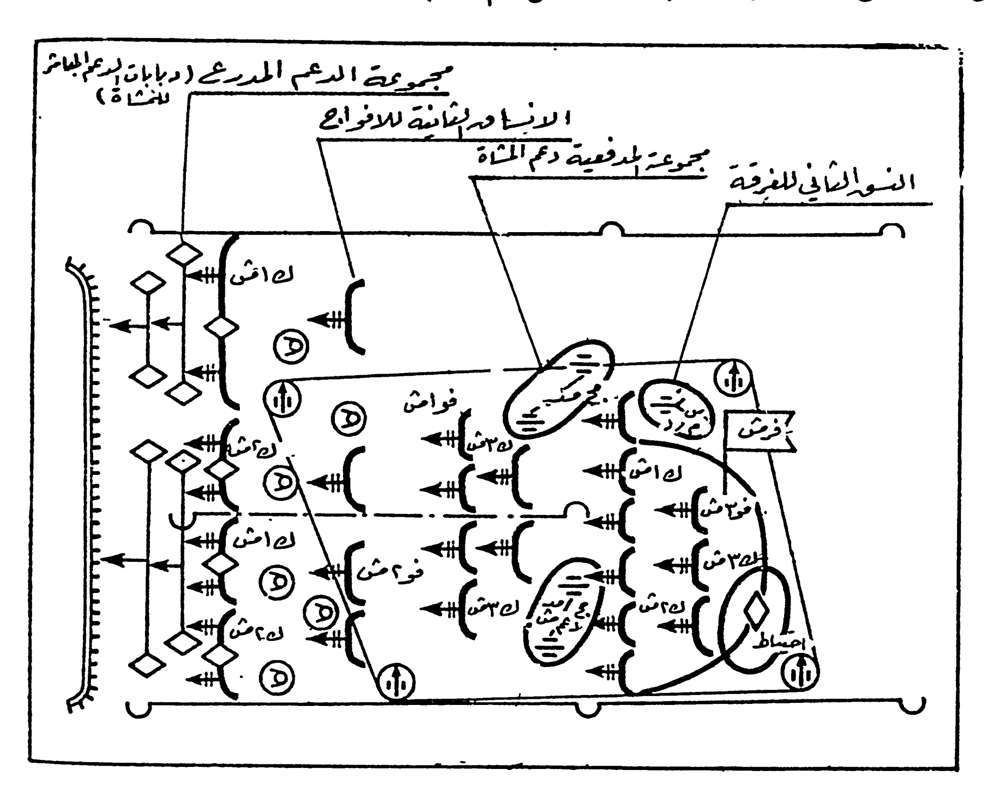
وبموجب أحكام الأنظمة العسكرية المعتمدة قبل الحرب يوكل الدور الرئيسي في خرق دفاع العدو إلى فرقة المشاة. فكانت تتلقى عندما تعمل على اتجاه الضربة الرئيسة للجيش نطاقاً للهجوم عرضه ٥ ـــ ٧ كم، وتتلقى مجموعتها الضاربة نطاقاً عرضه ٣ ـــ ٣٫٥ كم. وعلى أثر خبرة الأعمال القتالية قرب نهر خالخنين ـــ غول وفنلندا، وكذلك بتأثير القوة النارية المتعاظمة لدفاع العدو، فقد خفض عرض نطاق هجوم الفرقة إلى ٣ ـــ ٤ كم على الاتجاه الرئيسي، وحتى ٥ ـــ ٦ كم على الاتجاه الثانوي؛ وسمح ذلك بالحصول على تفوق ثنائي ـــ ثلاثي بالقوى والوسائط على العدو، وخلق الظروف لنجاح المعركة الهجومية. وكانت مهمة فرقة المشاة لليوم الأول من الهجوم خرق دفاع العدو التكتيكي كافة على عمق ١٥ ـــ ٢٠ كم.

تلقّت تراتيب قتال قوات المشاة تطوراً كبيراً. ففي أواسط الثلاثينيات كان ترتيب قتال الفرقة يضم مجموعة ضاربة ومجموعة مثبتة، واحتياطاً ومجموعة نارية (مدفعية). وكانت المجموعة الضاربة مخصّصة

للهجوم على الاتجاه الرئيسي، والمجموعة المثبتة للهجوم على الاتجاه الثانوي. ولخرق دفاع العدو كان يوصى بإنشاء مجموعتي دبابات: مجموعة العمل البعيد، ومجموعة دعم المشاة. وهما تهاجمان أمام المشاة، وتخوضان الصراع ضد مدفعية العدو ودباباته، وتعملان بالتعاون مع المشاة إلى أن تنفذ مهمتها اليومية.

وقد دلّت خبرة الحرب الفنلندية ــ السوفييتية على أن إنشاء مجموعات مثبتة جعلت هذه القوات تركن إلى الأعمال السلبية. ولم يثبت أيضاً جدوى تقسيم الدبابات إلى مجموعتي عمل بعيد ودعم للمشاة؛ لذلك أدخلت عشية الحرب الوطنية العظمى، تعديلات جوهرية على بنية تراتيب القتال.

وأصبح ترتيب قتال تشكيلات وقطعات المشاة يقسم في المعركة الهجومية إلى أنساق قتال، ومجموعات مدفعية، ومجموعات دعم مدرع، واحتياطات: احتياط مشترك، احتياط دبابات، احتياط مضاد للدبابات. وهنا كان يوصى بتشكيل فيلق المشاة على نسق واحد، وفرق وأفواج وكتائب وسرايا وفصائل المشاة على نسقين أو ثلاثة (أنظر الشكل رقم ٢٧).



(الشكل رقم ٢٧) ــ تراتيب قتال فرقة المشاة في الهجوم حسب مشروع نظام القتال العام ١٩٤١.

كان يُشكّل من الدبابات الملحقة بالفرقةِ مجموعات دعم بالدبابات تهاجم أمام وحدات المشاة. وانضوت المدفعية العضوية والملحقة في مجموعات دعم مدفعي للمشاة على عدد أفواج النسق الأول؛ كما شُكّلت مجموعات مدفعية مضادة للدبابات ومضادة للطائرات؛ وأنشئت في فيالق المشاة مجموعات مدفعية بعيدة المدى مخصصة بشكل رئيسي للصراع ضد مدفعية العدو.

عبرت مثل هذه البنية لتراتيب القتال أكمل تعبير عن جوهر المعركة المشتركة. غير أنه لم يكن بالإمكان إزالة العيوب الموجودة في بنية تراتيب القتال إزالة تامة. فقد ظلت البنية العميقة للقوات معمولاً بها

في الوحدات كالسابق ، وكذلك إنشاء مجموعات مدفعية لأغراض معينة كدعم المشاة والصراع ضد المدفعية ، وكان لا بد لذلك من أن يؤثر تأثيراً سلبياً على قيادتها في المعركة .

وأوليت عناية كبيرة لإعداد مسائل خرق دفاع العدو ؛ إذ كان يسبق الهجوم استطلاع قتالي وتمهيد مدفعي وجوي . وكان دعم الهجوم يتم بالسد الناري الزاحف ، أو التركيز المتتابع للنيران على أهم أغراض الدفاع . كما كان على المشاة أن تنتقل إلى الهجوم في اللحظة التي يخرج فيها النسق الأول للدبابات إلى الحد الأمامي لدفاع العدو ، وتهجم على أعقاب الدبابات ، ودون أن تنفصل عنها أكثر من ١٥٠ — ٢٠٠ م ، وكان النسقان الثاني والثالث مخصصين لتصعيد قوة الضربة وتطوير النجاح . وبعد خرق منطقة الدفاع التكتيكية تنتقل تشكيلات وقطعات المشاة إلى مطاردة العدو مستخدمة لهذه الغاية طلائع من المشاة المحمولة والدبابات والمدفعية .

كانت أنظمة ما قبل الحرب تتطلب إجراء الهجوم نهاراً وليلاً على حد سواء . وكانت توصي بأن يتم تنفيذ أعمال القوات ليلاً بواسطة القطعات والتشكيلات . غير أن المهام التي تسند للقوات ليلاً كانت محدودة مثل : التقرب من العدو ، إعادة التجميع ، إجراء الاستطلاع ، ولم يكن تنفيذها يعطي نتائج كبيرة أو يؤمن ديمومة الأعمال القتالية .

ومع أن النظرية العسكرية السوفييتية ترى أن الهجوم هو النوع الأساسي للأعمال القتالية، إلا أنها أولت عناية كبيرة أيضاً لحل معضلات الدفاع التكتيكي . وروعي أن الدفاع يمكن أن ينفذ على جبهة عادية وواسعة ، وكذلك أن يكون الدفاع مناوراً .

وحينما كانت القوة الضاربة للقوات المهاجمة في العشرينيات غير عالية ، كان عرض نطاق دفاع فرقة المشاة ١٠ — ٢٠ كم ، وقطاع دفاع الفوج ٥ — ١٠ كم . وازدادت القوة الضاربة لقوات العدو المهاجم ازدياداً حاداً في الثلاثينيات . لذلك كانت أحكام نظام القتال الساري المفعول في تلك الحقبة من الزمن تتطلب تنظيم دفاع القوات على جبهة أضيق . وهنا كان يؤكد بأن الدفاع يجب أن يكون قادراً على مواجهة قوى عدو متفوق ، يهاجم على سائر العمق دفعة واحدة . ونتيجة لذلك تقلّص عرض نطاق فرقة المشاة في الأربعينيات على جبهة عادية حتى ٦ — ١٠ كم . وكان باستطاعة فوج المشاة أن يدافع عن قطاع بعرض ٣ — ٥ كم ، وكتيبة المشاة عن قطاع بجبهة ٥ر١ — ٥ر٢ وعمق ٥ر١ — ٢ كم .

أصبحت منطقة الدفاع التكتيكية أكثر عمقاً . وفي حال تحضير الدفاع دون تماس مباشر مع العدو يمكن أن يتقدمها نطاق حيطة ذو جهاز متطور من الحواجز بعمق ١٢ — ١٥ كم ، وتدافع عنه طلائع من فرق النسق الأول .

وكانت تدافع عن النطاق الرئيسي (الأساسي) فرق مشاة النسق الأول ، الذي يتألف عادة من ثلاثة مواضع عمقها العام ٨ — ١٠ كم . وكان النسق الثاني يقام على بعد ١٢ — ١٥ كم عن الحد الأمامي للنطاق الرئيسي بعمق حتى ٥ كم ، وتدافع عنه فرقة مشاة النسق الثاني للفيلق .

وكان الدفاع يرتدي طابعاً بؤرياً وليس فيه خنادق متصلة ، مما يجعل من الصعب إجراء المناورة والتمركز المستور للقوات ، وكذلك المحافظة عليها من تأثيرات نيران المدفعية وضربات الطيران .

كما أوليت أهمية كبرى لتنظيم الدفاع المضاد للدبابات والمضاد للطائرات ، وكانت الوسائط الأساسية للتأثير على دبابات العدو ، هي الدبابات ونيران المدفعية ، وبخاصة المضادة للدبابات ، وضربات الطيران وحقول الألغام . وكان مطبقاً قيام قسم من مدافع الفرق والأفواج بالصراع مع الدبابات بنيران التسديد المباشر . وبشكل عام ، لم تكن فرقة المشاة تملك الوسائط الكافية للصراع بصورة فعالة ضد الدبابات ، وكان بإمكانها إنشاء كثافة في الوسائط المضادة للدبابات تبلغ ٦ ــ ٩ مدافع على ١ كم من الجبهة ، مما لا يسمح بتأمين الصدّ الناجح لهجوم كثيف بالدبابات .

ولم يكن في قوات المشاة أيضاً وسائط كافية لتنظيم الدفاع المضاد للطائرات . وأن كتيبة المدفعية المضادة للطائرات الموجودة في فرقة المشاة ، كانت غير قادرة على تأمين الوقاية المضمونة للقوات ضد ضربات طيران العدو . لذلك أوليت عناية خاصة لتنظيم الحماية السلبية للقوات من الضربات الجوية ، بما فيها تدابير التمويه وإنشاء المساتر والملاجىء وكشف التهديد بالهجوم الجوي في الوقت المناسب . واعتبر أيضاً أن رمي المشاة بالصليات هو واسطة فعالة للصراع ضد الطائرات المنخفضة .

ومع انتقال العدو إلى الهجوم كانت المهمة الرئيسية للقوات المدافعة التمسك بالنطاق الأساسي ، ولهذه الغاية كان يزج في المعركة وسائط الدفاع المتوفرة جميعاً ، وعند توغل العدو كانت تنظم الهجمات المعاكسة بأهداف حاسمة .

وعند الانتقال إلى الدفاع على جبهة واسعة كانت فرقة المشاة قادرة على الدفاع عن نطاق يزيد على ٢٠ كم ، وكان الدفاع يبنى على مبدأ الدفاع الدائري عن المناطق الأكثر أهمية ، كذلك كانت الفواصل بين هذه المناطق تغطى برمايات الرشاش والمدفعية والهاون .

وفي ظروف التفوق المطلق للعدو في القوة الحية والعتاد ، كان يراعى إمكان تنفيذ الدفاع المناور . ففي الدفاع المناور كان يوصى للقوات بخوض المعركة على خطوط متتابعة ، مستخدمة الكمائن والهجمات المعاكسة المفاجئة على نطاق واسع ، بغية إنزال الخسائر بالعدو ، وإضعاف زخمه الهجومي .

وعلى العموم ، كان فن الحرب السوفييتي ذا مستوى عال قبل الحرب الوطنية العظمى . فالقوات المسلحة السوفييتية لم تكن غير مقصرة من حيث مستواها العسكري والتقني ، وتأهيلها القتالي والعملياتي عن جيوش الدول الرأسمالية الأساسية فحسب ، بل كانت متفوقة عليها إلى حد كبير ، وكانت الأحكام النظرية لفن الحرب السوفييتي مدخلة في صلب التدريب القتالي للقوات ، وكانت ، طبعاً ، بحاجة إلى اختبار عملي ، وتطلبت تكميلات وتعديلات جوهرية . وقد أزفت ساعة الاختبار العملي لها في الصراع البطولي الذي خاضه الشعب السوفييتي وقواته المسلحة ضد الغزاة الألمان ــ الفاشيين ، في سنوات الحرب الوطنية العظمى .

الحرب الوطنية العظمى للاتحاد السوفييتي
تطوّر فن الحرب في الفترة الأولى للحرب
٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١م ـ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢م

«لا يعرف التاريخ حروباً التقت فيها مصالح الشعب والحكومة والحزب القائد على صعيد واحد على أشد مايكون تماسكاً وتلاحماً كما في الحرب الوطنية العظمى».

د. ف. اوستينوف
«منابع القوة العسكرية»
البرافدا، ٢٢ شباط (فبراير)
عام ١٩٨٠



٥ ـــ ١ ـــ الموقف السياسي العسكري حتى منتصف عام ١٩٤١م

كان الموقف السياسي العسكري عشية الحرب الوطنية العظمى بالغ الصعوبة والتوتر. فقد اتّصف باشتداد الهجمة العدوانية الفاشية، وتوسع نطاق الحرب العالمية الثانية، وتصاعد الخطر العسكري المحدق بالاتحاد السوفييتي. وفي حين تصاعدت الهجمة العدوانية للدول الفاشية وقف الاتحاد السوفييتي، المنتهج سياسة السلام بثبات وإقدام، يناضل من أجل الحفاظ على الأمن الجماعي، وتنظيم صدّ المعتدين. غير أن الدوائر الحاكمة في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلدان الغربية رفضت سياسة الأمن الجماعي، وسلكت سبيل التنازلات أمام الدول الفاشية، محاولة توجيه عدوان ألمانيا وإيطاليا إلى صدر الاتحاد السوفييتي. وأدّت هذه السياسة إلى قيام ألمانيا خلال فترة ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٠ باحتلال سائر بلدان أوروبا، تقريباً، وتوسيع نشاطها في رصّ كتلة الدول الفاشية من أجل الهجوم على الاتحاد السوفييتي.

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠ وقّع في برلين ميثاق ثلاثي ضم ألمانيا وإيطاليا واليابان. وانضم إليه فيما بعد حكومات هنغاريا ورومانيا وبلغاريا. كما دخلت في التحالف مع ألمانيا حكومة فنلندا، بينما اتخذت حكومات اسبانيا وتركيا والسويد موقفاً موالياً لألمانيا.

أصيبت انكلترا، التي كانت في حالة حرب مع ألمانيا، بوهن شديد، وغدت مهددة تهديداً مباشراً بهجوم القوات المسلحة الألمانية. ودار صراع مرّ على خطوط المواصلات البحرية في المحيط الأطلسي، منذ أول الحرب العالمية الثانية، حيث مُني الأسطول البحري الانكليزي بخسائر بالغة.

وعلى العموم، لم يكن الموقف الدولي الناشىء حتى صيف ١٩٤١ ملائماً للاتحاد السوفييتي، ووقف الاتحاد السوفييتي وحده تقريباً في مواجهة الكتلة الفاشية العدوانية التي أحرزت نجاحات عسكرية هائلة. وكان لامتداد الحرب العدوانية ضد الاتحاد السوفييتي أهمية كبرى في البرنامج العدواني للأمبريالية الألمانية في صراعها من أجل السيطرة على العالم. فقد حاولت ألمانيا الفاشية أن تحطم، في شخص الاتحاد

السوفييتي، حصن الاشتراكية والديمقراطية في العالم، وتزيل من طريقها العقبة الرئيسية لتحقيق خططها العدوانية. وكانت تنوي الاستيلاء بعد ذلك على الجزر البريطانية التي لا يمكن مهاجمتها ما بقي الجيش متربصاً في مؤخرتها. كما كانت ألمانيا تنوي تحطيم الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها بالاشتراك مع اليابان.

بدأت ألمانيا الفاشية والدول التابعة لها استعداداتها للهجوم على الاتحاد السوفييتي اعتباراً من صيف ١٩٤٠، بعد احتلال فرنسا. وسارت الاستعدادات للهجوم على الاتحاد السوفييتي بعناية فائقة. فقد استخدم الهتلريون لهذه الغاية الموارد الاقتصادية والعسكرية لكل أوروبا الغربية تقريباً. ففي العام ١٩٤١ استخرج في ألمانيا، ومعها البلدان التابعة والمحتلة، ٤٠٠ مليون طن من الفحم الحجري، وصُهر ٣١٫٨ مليون طن من الفولاذ، وأنتج ٣٢٤ ألف طن من الألومنيوم. ونظراً لقلة موارد النفط حظي إنتاج الوقود الاصطناعي بتطور واسع.

كان يعمل في الصناعة الحربية الألمانية في أيار (مايو) ١٩٣٩ نحو ٢٫٥ مليون شخص أو ربع مجموع عمال الصناعة. وازداد هذا الرقم في أيار (مايو) ١٩٤١ حتى ٥٫٥ مليون شخص.

كل ذلك سمح للصناعة الألمانية بتزويد جيشها بوسائط الصراع المسلحة الحديثة. ففي العام ١٩٤١ كان يوجد في الجيش الألماني أكثر من ١٠ آلاف طائرة من مختلف الطرازات، و٥٦٣٩ دبابة ومدفع اقتحام، وأكثر من ٦١ ألف مدفع وهاون. وكان الأسطول البحري الحربي، حتى حزيران (يونيو) ١٩٤١، يملك بوارج و٤ طرادات ثقيلة و٤ طرادات خفيفة، و٤٣ مدمرة ونسافة، و١٦١ غواصة وغيرها من السفن.

ارتفع التعداد العام للقوات المسلحة الألمانية، فيما بين أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ وربيع ١٩٤١، من ٣٧٥٠ ألفاً إلى ٧٫٣ مليون رجل من الجيش المحترف، علاوة على ١٫٢ مليون شخص من المتطوعين، أما عدد الفرق في القوات البرية فقد ارتفع من ١٠٣ إلى ٢١٤ بما فيها ٢١ فرقة مدرعة و١٤ فرقة آلية.

كانت ألمانيا، قبيل الهجوم على الاتحاد السوفييتي، تملك كموناً اقتصادياً وعسكرياً كبيراً، وإمكانات إنتاجية هائلة لتزويد جيشها بأحدث وسائط الصراع المسلح والنقل.

وأدخلت في صلب الخطة الاستراتيجية للحرب ضد الاتحاد السوفييتي فكرة «الحرب الصاعقة» التي اكتسب الهتلريون الخبرة بتنفيذها في الحملات الموجهة ضد بولونيا وفرنسا. واعتبرت القيادة الهتلرية أن القوى الرئيسية للجيش الأحمر متمركزة على الحدود الغربية، على عمق الدنيبر والدفينا الغربي. وكانوا يحسبون أن النصر المحرز في هذه المنطقة سيكون بمثابة النصر على الجيش الأحمر كافة وعلى الاتحاد السوفييتي بشكل عام. ولم تأخذ الأركان العامة الألمانية بالحسبان أن القوات الألمانية الفاشية ستلاقي شرقي الدنيبر والدفينا الغربي قوى للجيش الأحمر بهذه الضخامة.

أصدر هتلر في منتصف كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٠ توجيهاً يقضي بالاستعداد للحرب ضد الاتحاد السوفييتي سمي اصطلاحاً بخطة «بارباروسا». وتتضمن هذه الخطة توجيه عدة ضربات قوية مفاجئة

بقوى كبيرة من القوات المدرعة والآلية والطيران، بغية تمزيق القوى الرئيسية للجيش الأحمر المتواجدة في الجزء الغربي من الاتحاد السوفييتي، وتطويقها، وتدميرها بحملة سريعة واحدة، والتقدم الحثيث بعدها في عمق البلاد، والوصول إلى خط ارخانجيلك استرخان (انظر الشكل رقم ٢٨).

لقد تمّ تخطيط المرحلة الأولى من الحملة بعناية فائقة، حيث خصص للهجوم على الاتحاد السوفييتي ١٥٣ فرقة ألمانية، منها ١٩ مدرعة و١٤ آلية، وإذا أضفنا القوات التابعة لألمانيا يكون مجموعها ١٩٠ فرقة، وبلغ تعداد التجميع الألماني الفاشي ٥ر٥ مليون شخص، ونحو ٤٣٠٠ دبابة، و٢ر٤٧ ألف مدفع وهاون، و٤٩٨٠ طائرة قتالية، و١٩٢ سفينة قتالية. وهكذا دفع في مواجهة الاتحاد السوفييتي ٨٣٪ من القوات البرية للجيش الألماني، بما فيها ٨٦٪ من القوات المدرعة و١٠٠٪ من الفرقة الآلية. ووجه الهتلريون أربعة أساطيل جوية، من أصل الخمسة المتوفرة لديهم، للعمل على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية. وقد حشدت هذه القوى والوسائط كافة حتى ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤١ على ثلاثة اتجاهات استراتيجية، ووضع في النسق الأول ١٠٣ فرق منها ١٢ فرقة مدرعة.

اتخذت مجموعة جيوش «الشمال» مواقع لها في بروسيا الشرقية، وقامت بمهمة سحق القوات السوفييتية في منطقة بريبالطيق، والاستيلاء على لينينغراد.

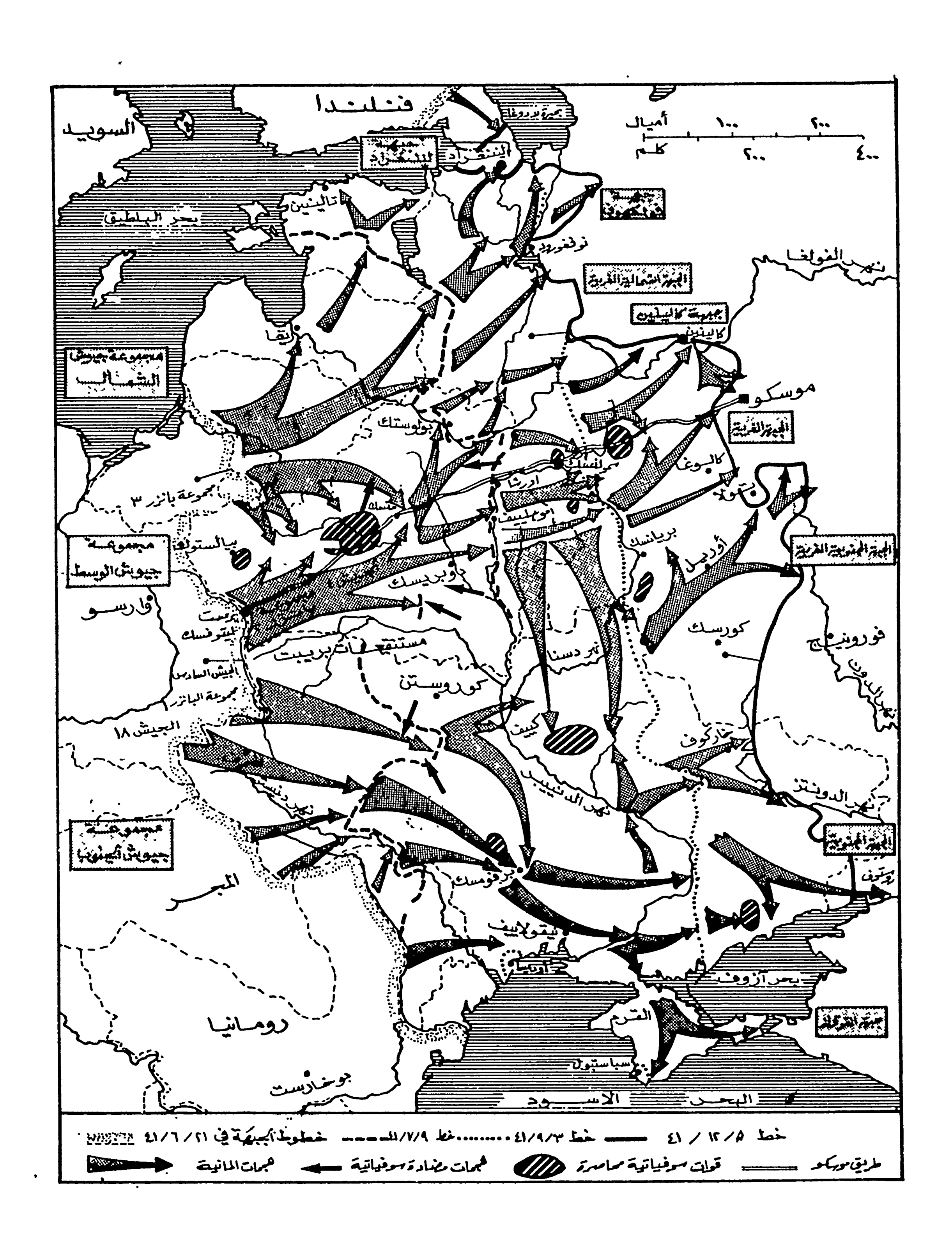
واحتشدت مجموعة جيوش «المركز» في الجزء الشمالي ــ الشرقي من بولونيا، وكانت مهمتها تمزيق الجبهة الاستراتيجية للبلاد السوفييتية، وتطويق قوات الجيش الأحمر وتدميرها في بيلوروسيا، تمهيداً لتطوير الهجوم إلى موسكو.

كذلك كانت مجموعة جيوش «الجنوب» تتواجد في الجزء الجنوبي ــ الشرقي من بولونيا والجزء الشمالي الشرقي من رومانيا، وكانت مهمتها تدمير القوات السوفييتية على الضفة اليمنى لأوكرانيا، والوصول إلى خط نهر الدنيبر، وتطوير الهجوم نحو الشرق.

وبالإضافة إلى ذلك انتشر في منطقة النروج وفنلندا الجيش الألماني «النروج» للاستيلاء على مورمانسك، وجيشان فنلنديان مهمتهما مساعدة مجموعة جيوش الشمال في الاستيلاء على لينينغراد.

وضعت القيادة الهتلرية نظاماً كاملاً لاستعباد شعوب الاتحاد السوفييتي، والإبادة الجسدية للقسم الأعظم من المواطنين السوفييت. فهذا هو هتلر يقول محرضاً شركاءه على هذا العمل الأسود: «علينا أن نفني السكان، وذلك داخل في رسالتنا من أجل حماية السكان الألمان... علينا أن نطوّر أساليب إبادة السكان... ولي الحق في تدمير الملايين من الأشخاص من العروق الدنيا الذين يتكاثرون كالديدان».

وكانت الحكومة السوفييتية متوقعة إمكان حدوث صدام مسلح مع قوى الأمبريالية. لذا، اتخذت في سنوات البناء السلمي التدابير اللازمة لتدعيم القدرة الدفاعية للبلاد. وفي سنوات ما قبل الحرب نفذت تدابير هامة في سبيل إقامة صناعة دفاعية، وتوسيع القوات المسلحة، وإعادة تجهيزها تقنياً، وتوسيع نطاق تدريب الكوادر العسكرية.



(الشكل رقم ٢٨) ــ خطة حرب ألمانيا الفاشية ضد الاتحاد السوفييتي (خطة باربا روسا).

لكن بسبب الظروف التاريخية الموضوعية كان لدى البلاد وقت محدود للغاية من أجل إعادة تسليح الجيش والأسطول بالأعتدة الحديثة. ولم يكن اقتصاد البلاد ليسمح بتزويد ذلك العدد الكبير من الفرق المنتشرة في آن واحد، بكل مستلزماتها.

وقد بلغ التعداد العام للقوات المسلحة السوفييتية حتى حزيران (يونيو) ١٩٤١، نحو ٥٣٧٣ ألف شخص. وكانت القوات البرية تضم ٣٠٣ من فرق المشاة والدبابات الآلية والخيالة، منها نحو الربع في طور التشكيل وإعادة التشكيل.

وقبيل الحرب كانت الحدود الغربية مغطاة بقوات أربع مناطق عسكرية متاخمة للحدود، تعدادها ٢ر٧ مليون شخص. وكان مجموع القوات المتواجدة في هذه المنطقة ١٧٠ فرقة، منها ١٠٣ فرق مشاة و٤٠ فرقة مدرعة و٢٠ فرقة آلية و٧ فرق خيالة. غير أن فرق المشاة كانت تعاني نقصاً كبيراً في الملاك: فعوضاً عن ٥ر١٤ ألف شخص كان فيها ٩ ــ ١٢ ألف شخص، و٨٠ ــ ٩٠٪ من الأسلحة و٢٥ ــ ٣٠٪ من وسائط النقل.

كان الجانب الأعظم من الفرق المدرعة والآلية في طور التشكيل، وكانت الدبابات الحديثة تشكل ٢ر١٨٪. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك عدد كبير من الدبابات الخفيفة من الطرازات القديمة ذات العمر المحدود.

وكانت المدفعية تعاني نقصاً في القواطر الميكانيكية. كما جرت عملية إعادة التسليح بالعتاد الجديد في القوى الجوية، حيث كانت الطائرات الحديثة لا تشكل أكثر من ٤ر٢١٪. وعلى العموم، كان المعتدي يتفوق على القوات السوفييتية في اتجاهات عديدة بنسبة ٣ ــ ٤ مرات.

أضف إلى ذلك أن قوات المناطق العسكرية السوفييتية المتاخمة للحدود كانت قبيل بدء الحرب منتشرة على مساحات شاسعة، سواء بالجبهة أو في العمق. وكان النسق الأول في تجميع القوات السوفييتية ضعيفاً، بينما لم يكن النسق الثاني مفتوحاً بالكامل. وكان عدد من الاحتياطات التعبوية موجوداً بالقرب من منطقة الحدود، إذ كان لا بد أن يقع في الأيام الأولى للحرب تحت ضربات العدو.

كان قرار الحكومة السوفييتية متسرعاً ولا مسوّغ له حيال نزع السلاح من المناطق المحصنة، المبنية على امتداد الحدود القديمة التي كانت قائمة قبل انضمام الجمهوريات البريبالطقية، وأوكرانيا الغربية، وبيلوروسيا الغربية، وبيسارابيا إلى الاتحاد السوفييتي. إذ إنها فقدت عموماً، أهميتها السابقة للدفاع في حال حصول هجوم مفاجىء، إلا أنه كان بالإمكان استخدامها بمثابة خط دفاعي خلفي هام. في حين لم تكن إقامة التحصينات على امتداد الحدود الجديدة والتي بدأت في العام ١٩٤٠ قد استكملت بعد حتى لحظة هجوم ألمانيا.

كما لعبت الأخطاء المرتكبة دورها في تقدير الوقت المحتمل للهجوم على الاتحاد السوفييتي. ففي الساعة ٣٠ر٠٠ من يوم ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ أصدرت مفوضية الشعب للدفاع توجيهاتها القاضية

باحتلال النقاط النارية للمناطق المحصنة على الحدود خلال فترة الليل ، ووضعت القطعات كافة في الجاهزية القتالية الكاملة ، ونشر الطيران على المطارات الميدانية ؛ ولم يتسنَّ للكثير من القطعات والتشكيلات استلام هذه التعليمات ، لذلك لم تقم باحتلال خطوطها الدفاعية .

وفي مثل هذه الظروف السيئة إلى أبعد الحدود كانت القوات السوفييتية مضطرة إلى دخول الحرب ضد عدو قوي وواسع الخبرة .

تقسم الحرب الوطنية العظمى إلى ثلاث مراحل هي :

المرحلة الأولى : الدفاع الاستراتيجي للقوات المسلحة السوفييتية ، دحر القوات الهتلرية على مشارف موسكو ، إحباط محاولة الائتلاف الهتلري لسحق الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٤٢ ، من ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ حتى ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ .

المرحلة الثانية : الانعطاف الجذري في سير الحرب الوطنية العظمى ، من ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) حتى نهاية عام ١٩٤٣ .

المرحلة الثالثة : سحق الكتلة الفاشية ، طرد القوات المعادية إلى ما وراء حدود الاتحاد السوفييتي ، تحرير بلدان أوروبا من نير الاحتلال ، انهيار ألمانيا الفاشية بالكامل ، واستسلامها بلا قيد أو شرط ، من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ حتى ٩ أيار (مايو) ١٩٤٥ .

وتشكل حرب الاتحاد السوفييتي مع اليابان في الفترة ما بين ٩ ـــ ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ فترة خاصة في الحرب الوطنية العظمى .

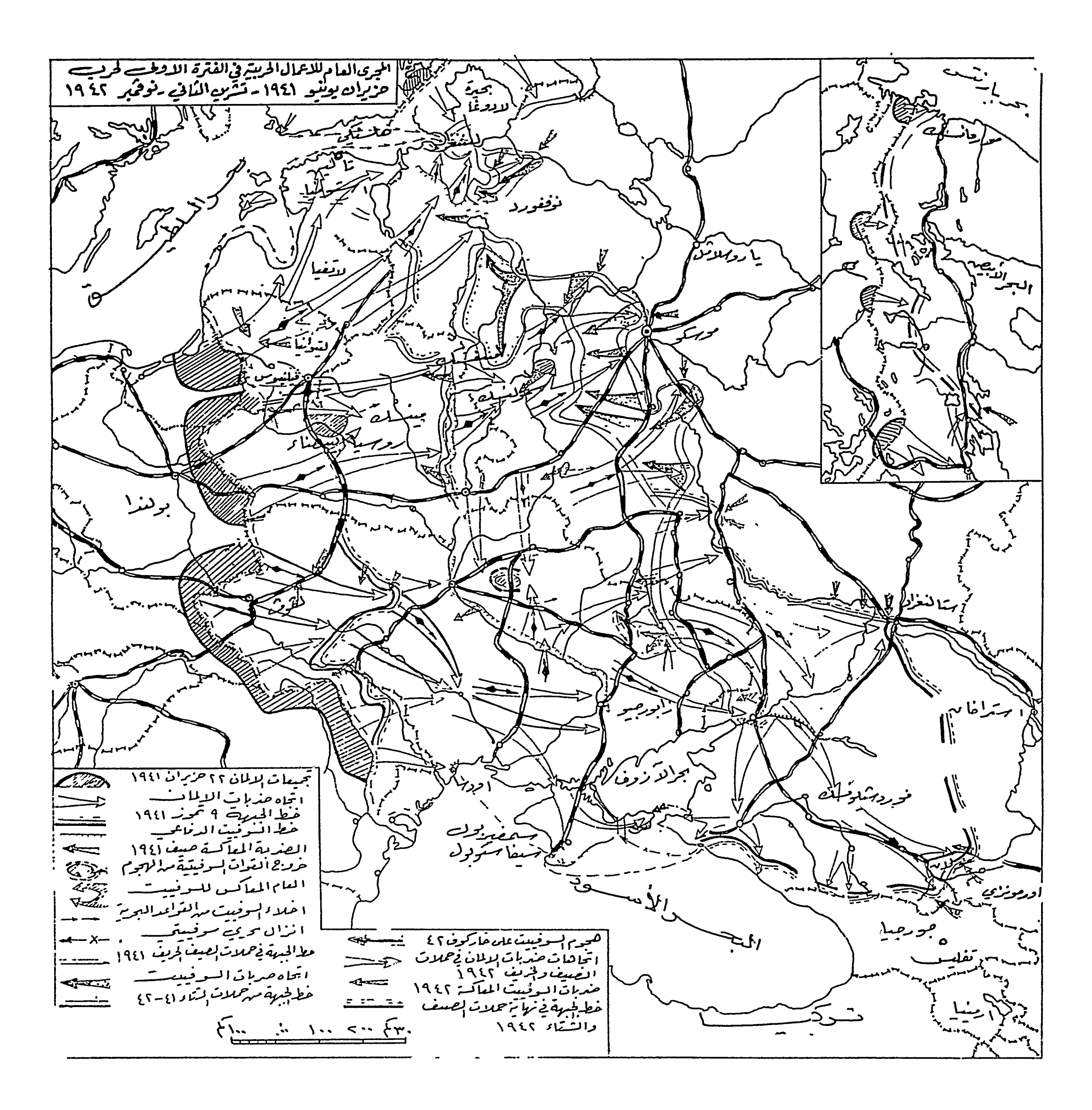
٥ ـــ ٢ ـــ الدفاع الاستراتيجي للقوات السوفييتية في صيف ١٩٤١ م وخريفه

بدأ غزو القوات المسلحة الألمانية للاتحاد السوفييتي فجر ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ (شكل رقم ٢٩ المجرى العام للأعمال الحربية في الفترة الأولى لحرب حزيران / يونيو / ١٩٤١ ـــ تشرين الثاني / نوفمبر / ١٩٤٢) دونما إعلان للحرب ، وذلك عن طريق شن الغارات الجوية المفاجئة على المدن السوفييتية الكبرى وعقد الخطوط الحديدية والمطارات ، وقصف تحصينات الحدود ، ومناطق تمركز القوات السوفييتية المتاخمة للحدود الدولية بنيران المدفعية . وبدأت القوات البرية المتنقلة في آن واحد للهجوم تتقدم في عمق الأراضي السوفييتية ، وإيذاناً ببدء الحرب الوطنية العظمى للاتحاد السوفييتي ، التي اختلفت من حيث طبيعتها السياسية اختلافاً جذرياً عن الحروب التي خاضتها الدول الرأسمالية ضد الكتلة الفاشية . وكانت صراعاً لا هوادة فيه بين نظامين اجتماعيين متناقضين . واعتبر دخول الاتحاد السوفييتي الحرب عاملاً حاسماً في تحول الحرب العالمية الثانية إلى حرب عادلة تحريرية للقوى المناهضة للكتلة الفاشية .

حاولت القوات السوفييتية ، في المعارك الطاحنة التي خاضتها ، القيام بصد هجمات قوى العدو

الغازية ، غير أن القوى لم تكن متكافئة . فقد استولى العدو على زمام المبادرة الاستراتيجية والسيطرة الجوية ، وتوغل بتشكيلاته المدرعة في نهاية ٢٢ حزيران (يونيو) على اتجاه الضربات الرئيسيه على عمق من ٢٠ إلى ٦٠ كم ، مشكلاً بذلك تهديداً بالإحاطة بجوانب العديد من الجيوش السوفييتية .

وفي محاولة لكبح جماح هجوم الجيش الألماني عمدت الفيالق الميكانيكية التابعة للجبهة الشمالية ــ الغربية والجبهة الغربية والجبهة الجنوبية ــ الغربية ، في الفترة ما بين ٢٣ و ٢٧ تموز (يوليو) ،



الشكل رقم ٢٩) المجرى العام للأعمال الحربية في الفترة الأولى للحرب حزيران (يونيو) ١٩٤١ ــ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ .

إلى توجيه سبع ضربات معاكسة في اتجاهات مختلفة، انقلبت فيما بعد إلى ملاحم ضارية بالدبابات. ولم تسفر هذه المعارك عن إيقاف زحف الجيش الهتلري، لكنها أنزلت به خسائر كبيرة، وخفضت من إيقاع تقدمه. وبالرغم من ثبات المقاتلين السوفييت وعنادهم وبطولتهم والتفوق العددي، وبخاصة في الأعتدة الحربية والأسلحة الحديثة تمكنت تلك القوات من التقدم في برهة ٣ أسابيع على الاتجاه الشمالي ـــ الشرقي لمسافة ٤٠٠ ـــ ٤٥٠ كم، وعلى الاتجاه الغربي لمسافة ٤٥٠ ـــ ٦٠٠ كم، وعلى الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي حتى ٣٠٠ ـــ ٣٥٠ كم. واستطاع الهتلريون الاستيلاء على أراضي لاتفيا وليتوانيا والقسم الأعظم من أوكرانيا، وبيلوروسيا، ومولدافيا. وتوغلوا في الأقاليم الغربية من روسيا الاتحادية، ووصلوا إلى المشارف البعيدة للينينغراد، وهددوا سمولنسك وكييف. وتكبد الجيش الأحمر خسائر كبيرة.

كانت القيادة الألمانية ترى أن أهم قسم من خطة «بارباروسا»، وهو سحق القوى الرئيسية للقوات السوفييتية في مناطق الحدود، قد تمّ تحقيقه. فقد كتب رئيس الأركان العامة للقوات البرية الألمانية الجنرال هالدر: «... تم تنفيذ مهمة سحق القوى الرئيسية للجيش البري الروسي أمام الدفينا الغربي والدنيبر، ولذلك لا أبالغ إذا قلت إن الحملة ضد الاتحاد السوفييتي قد كسبت خلال ١٤ يوماً».

كانت الثقة في سرعة انتهاء الحرب ضد الاتحاد السوفييتي قوية إلى حد أن القادة الفاشيين كانوا عازمين على المباشرة، في القريب العاجل، في حل المهام المنصوص عنها في التوجيه الصادر عن القيادة العليا الألمانية رقم ٣٢ تاريخ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٤١، والقاضي بالاستيلاء على البحر المتوسط، وشمالي إفريقية، والشرقين الأدنى والأوسط، مع استئناف «حصار انكلترا» في الوقت ذاته. ففي ٢٤ ـــ ٢٧ حزيران (يونيو) رسم الجنرالات الفاشيون خطط الهجوم على بغداد، عبر القفقاس وإيران، غير أن الجيش الألماني بالذات مُني بخسائر فادحة من جراء تقدمه في عمق البلاد. فخلال فترة ٢٢ يوماً من المعارك فقدت القوات المسلحة الألمانية ما يزيد على ١٩٢ ألف شخص، ما بين قتيل وجريح، وأكثر من نصف الدبابات، وكذلك عدداً كبيراً من الطائرات.

أعدت الحكومة السوفييتية منذ الأيام الأولى للحرب عدتها لتعبئة قوى البلاد ومواردها كافة لرد المعتدي الفاشي؛ وركزت الصلاحيات الكاملة في البلاد بأيدي لجنة الدولة للدفاع المشكّلة بتاريخ ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٤١ برئاسة ي. ف. ستالين.

شكلت، لقيادة الأعمال الحربية للجيش الأحمر، هيئة قيادة عامة سميت فيما بعد، في شهر آب (أغسطس)، بهيئة القيادة العليا. وأصبح رئيساً لها ي. ف. ستالين. وفي ١٠ تموز (يوليو)، وبغية تقريب القيادة الاستراتيجية من القوات، شكل على اتجاهات ثلاثة من الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية قيادات عامة. وهذه الاتجاهات هي: الشمالي ـــ الغربي، والغربي، والجنوبي ـــ الغربي. وعيّن على رأس هذه القيادات العامة مارشالات الاتحاد السوفييتي ك. ي. فوروشيلوف، س. ك. تيموشينكو، س. م. بوديني.

ولتعزيز القوات المسلحة عبّىء حتى ١ تموز (يوليو) ١٩٤١ نحو ٥٫٣ مليون شخص، ونشطت في

مؤخرة البلاد أعمال إنشاء تشكيلات جديدة. فخلال خمسة الأشهر الأولى من الحرب أرفد الجيش العامل بـ ٢٩١ فرقة و٩٤ لواء.

وبغية تقديم المساعدة للعناصر القيادية من قبل العاملين السياسيين، ليس في المجال السياسي فحسب بل وفي المجال العسكري أيضاً، أدخلت اعتباراً من ١٦ تموز (يوليو) ١٩٤١ في الجيش الأحمر مؤسسة المفوضين العسكريين.

كما أولى القادة السوفييت عناية خاصة لتنظيم جبهة موحدة للدول، من أجل تحطيم الكتلة الفاشية، والحيلولة دون عزل الاتحاد السوفييتي دولياً. ففي تموز (يوليو) ١٩٤١ وقعت الحكومة السوفييتية اتفاق عمل مشترك في الحرب ضد ألمانيا مع حكومات كل من بريطانيا العظمى وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا. وقد لعب دوراً هاماً في إنشاء الائتلاف المعادي للهتلرية، مؤتمر موسكو لممثلي الاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة، بخصوص التوريدات العسكرية إلى الاتحاد السوفييتي المنعقد ما بين ٢٩ أيلول (سبتمبر) و ١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١.

وفي أواسط تموز (يوليو) ١٩٤١ اتسعت أبعاد الصراع المسلح وضراوته مع المعتدين الفاشيين أكثر فأكثر. فبعد انتقال الجيش الألماني «النروج» والقوات الفنلندية إلى الهجوم ازداد طول الجبهة السوفييتية ــ الألمانية العام إلى ١٢٠٠ كم. وما انفكّت ظروف الصراع بالنسبة للقوات السوفييتية غير ملائمة البتة. وما زالت نسبة القوى على امتداد الجبهة، كالسابق، في صالح العدو.

بدأت في تموز (يوليو) ملحمة لينينغراد وموقعة سمولنسك. ففي ١١ تموز (يوليو) بدأ الدفاع البطولي عن كييف؛ وهب الشعب السوفييتي بأسره للدفاع عن لينينغراد. وفي برهة وجيزة أنشئت على مشارف المدينة خطوط بطول ٣٠ ألف كيلو متر. وبالرغم من تمكّن الهتلريين بتاريخ ٨ أيلول (سبتمبر) من محاصرة لينينغراد من جهة البر، فلم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة بالاقتحام؛ وفي نهاية أيلول (سبتمبر) انتقلوا إلى الدفاع، وبدأت الملحمة البطولية في الدفاع عن لينينغراد في أعنف حصار دام ٩٠٠ يوم.

اكتسبت الأحداث الجارية في الاتجاه الاستراتيجي الغربي (اتجاه موسكو) أهمية كبرى. وحتى بداية موقعة سمولنسك قذف الهتلريون في المعركة الكتلة الرئيسية من الدبابات: ثلاث مجموعات مدرعة من أصل أربع؛ وارتدت الموقعة طابعاً عنيفاً للغاية. ففي أثناء المعارك لم يكتفِ الجيش الأحمر بالدفاع، بل وجه إلى العدو ضربات معاكسة قوية أيضاً، وأجبره على إيقاف هجومه. وانتهت موقعة سمولنسك في ١٦ أيلول (سبتمبر). وبالرغم من تمكن مجموعة جيوش «المركز» من التقدم إلى الشرق من سمولنسك لمسافة ١٧٠ ــ ٢٠٠ كم، إلا أن محاولة القيادة الفاشية الاختراق نحو موسكو من الحركة باءت بالفشل. واضطرت القوات الألمانية في الاتجاه الأوسط لأول مرة في الحرب العالمية الثانية، إلى الانتقال إلى الدفاع طوال شهرين؛ في حين اغتنمت القوات السوفييتية الوقت لتعزيز الدفاع عن موسكو، وتحضير الاحتياطات

الجديدة، وسوّت أوضاع قوات الاتجاه الشمالي ـــ الغربي. ومُنيت مجموعة جيوش «المركز» بخسائر فادحة. هذه هي المحصلة الرئيسية لموقعة سمولنسك التي كان لها أبلغ الأثر على مستقبل سير الحرب.

ولد في جحيم موقعة سمولنسك الحرس السوفييتي. ففي ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١، ونظراً للصمود والرجولة الاستثنائيينَ والبطولة الجماهيرية، منحت أربع فرق مشاة لقب «الحرس». واستخدم في هذه الموقعة بالذات السلاح الجديد لأول مرة. ففي ١٤ تموز (يوليو) قامت سرية من القواعد الصاروخية التي أطلق عليها اسم «الكاتيوشا» بتوجيه ضربة إلى تجمع أنساق العدو في عقدة الخطوط الحديدية في «أورشا».

كذلك ارتدت الأعمال القتالية للقوات السوفييتية على الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي طابعاً عنيفاً؛ فحتى منتصف تموز (يوليو) تمكن العدو، بثمن باهظ، من الإختراق إلى مشارف كييف؛ ودافع المقاتلون السوفييت دفاعاً بطولياً عن عاصمة أوكرانيا لمدة ٧١ يوماً؛ وخسر الهتلريون في المعارك على اتجاه كييف أكثر من ١٠٠ ألف جندي وضابط. وبفضل الإمدادات الإضافية حوَّل الجيش الألماني سير الصراع لصالحه، وطوق قسماً من قوى الجبهة الجنوبية ـــ الغربية جنوبي كييف. وبالنظر للموقف المتردي أمرت هيئة القيادة العليا جيوش الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي بالانسحاب إلى ما وراء نهر الدنيبر.

أظهر حماة مدينة أوديسا بطولة جماعية خلال العمليات المنفذة على الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي. وما انفكت قوات الجيش الساحلي المستقل تصدّ هجمات العدو المتفوق عددياً بخمسة أضعاف أكثر من شهرين: من ٥ آب (أغسطس) إلى ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١ بدعم من سكان المدينة جميعاً. وتم جلاء القوات من أوديسا بأمر من القيادة بشكل سري ومنظم.

هذا، وقد دلّت الأشهر الأولى من الأعمال القتالية على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية، بكل وضوح، على أن القيادة الهتلرية لم تقدر قوة الاتحاد السوفييتي حق قدرها. فحين انقضت المهلة المحددة في خطة «باربأروسا» والبالغة شهرين لم يكن قد أحرز أي هدف استراتيجي رسمته القيادة الألمانية. إلا أن الجيش الألماني حقق نجاحات ضخمة خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب مستفيداً من المفاجأة في الهجوم، وبخاصة التفوق في وسائط الصراع المسلح. فقد توغل في عمق أراضي الاتحاد السوفييتي على الاتجاهات الاستراتيجية الرئيسية لمسافة ٧٠٠ ـــ ٨٥٠ كم.

كان لاستخدام كتل كبيرة من وسائط الصراع التقنية، وبخاصة الدبابات والطيران، أن أُعطي للأعمال القتالية طابعٌ مناورٌ خاصٌ. فقد انتشرت المواقع والمعارك في آن واحد على رقعة واسعة في الجبهة والعمق؛ وكانت المجموعات المدرعة للهتلريين في بداية الحرب تهاجم بإيقاع ٤٠ ـــ ٥٠ كم في اليوم، وفي بعض الأيام حتى ٧٠ كم. وكانت الأعمال القتالية في ظروف فقدان الجبهة المتصلة، تجري حسب الاتجاهات. ووصلت الكثافة العملياتية الوسطية للقوات السوفييتية المدافعة ٢٥ ـــ ٤٥ كم للفرقة.

حدث خلال الأعمال الحربية كثير من المعارك والمواقع التصادمية؛ ودارت في موقف معقّد للغاية.

وقد دلّت الخبرة على أن نجاح المواقع التصادمية يتوقف قبل كل شيء على سرعة انتزاع زمام المبادرة، وسرعة فتح القوات وانتقالها إلى الهجوم، وكذلك على القيادة الثابتة للقوات والتعاذل الجيد بين القوات الأرضية والطيران.

كانت القوات المسلحة السوفييتية، الداخلة في الصراع مع المعتدي في ظروف غير ملائمة، مضطرة للانتقال إلى الدفاع الاستراتيجي. وكان هدف العمليات الدفاعية للقوات السوفييتية إيقاف العدو المهاجم وإنهاك قواه، وكسب الوقت لفتح احتياطات جديدة، وتهيئة الظروف للانتقال إلى الهجوم العام المعاكس، وانتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية.

وكانت البنية العملياتية للجبهات والجيوش في الدفاع على نسق واحد، بالنظر إلى كون القوى محدودة. وقد استخدمت الاحتياطات المتوفرة، على ضعفها الشديد، في أثناء العملية لتعزيز النسق الأول.

ولم يسمح ضيق الوقت، وعدم توفر المعدات الهندسية للقوات السوفييتية بتجهيز الخطوط الدفاعية المراد احتلالها تجهيزاً هندسياً أصولياً. وكان يقتصر في معظم الحالات على حفر أعشاش للرمي. ولم يسمح الانتقال السريع إلى الدفاع بتنظيم جهاز ناري جيّد أو بتنظيم التعاون وقيادة القوات. لذلك، غالباً ما كانت القوات الألمانية تنجح في خرق مثل هذا الدفاع من الحركة أو بعد تحضير قصير وتجبر القوات السوفييتية على الانسحاب.

كان الانسحاب يجري في ظروف صعبة للغاية؛ وكان الوقت المتاح للقوات لتنظيم الانسحاب وتنفيذه قليلاً جداً؛ وكان عمق الانسحاب يبلغ أحياناً ١٠٠ ــ ٣٠٠ كم، وهو يتوقف بشكل رئيسي على وجود قوى جديدة في المؤخرة، وخطوط طبيعية ملائمة للدفاع.

لقد ظل الصراع مع تجميعات الدبابات، التي كانت تشكل القوة الضاربة الرئيسية للجيش الألماني، أهم مشكلة عملياتية في تموز (يوليو) أيلول (سبتمبر) ١٩٤١. وسار تطور الدفاع المضاد للدبابات في طريق التوسع في استخدام المدفعية للصراع مع الدبابات. وكان إنشاء جهاز من نقاط الاستناد المضادة للدبابات في منطقة الدفاع التكتيكية على بعض قطاعات الجبهة ظاهرة جديدة ترجع إلى النصف الثاني من تموز (يوليو) ١٩٤١. وقد اتصفت العمليات الدفاعية لجبهات القوات السوفييتية وجيوشها بالفعالية العالية، حيث استخدمت على نطاق واسع الضربات والهجمات المعاكسة التي أنهكت العدو، وأضعفت قواه، وأوقفت زحفه. غير أن الأعمال القتالية للقوات السوفييتية كانت تجري، غالباً، دون دعم كاف بالمدفعية التي كانت تستخدم بشكل لا مركزي، وتنتشر على جبهة واسعة، بينما كانت إمكاناتها محدودة للغاية من جراء نقص وسائل القَطْر الميكانيكي. ولم تكن كثافات المدفعية في الدفاع لتتجاوز ٢ ــ ٣ مدافع في الكيلو متر الواحد من الجبهة، وفي بعض الحالات القليلة كانت تبلغ ١٠ مدافع.

استخدمت الدبابات في الدفاع صيف العام ١٩٤١ للتمسك ببعض الخطوط والأغراض عن طريق الرمي من الثبات، وكذلك لشن الهجمات المعاكسة. وغالباً ما كانت القطعات والوحدات المدرّعة تجزأ في

الدفاع إلى مجموعات صغيرة بلا مسوّغ . وكان انتقال الدبابات إلى الهجوم على عجل ضد دبابات العدو لمنعها من الحركة دون الاستطلاع اللازم ، ومع ضعف التأمين المدفعي وفقدان التغطية الجوية ، لا يعطي غالباً النتائج المرجوة .

وقد استخدمت القوى الجوية ، المتكبدة خسائر فادحة في بداية الحرب ، والعاملة في ظروف شديدة التعقيد ، بشكل رئيسي ، لدعم القوات البرية في ميدان المعركة ، وفي العمق العملياتي القريب . غير أن تشتيت جهود طيران الجبهة والجيش القليل العدد على جبهة واسعة ، وعلى أهداف كثيرة لم يعطِ التأثير المطلوب . وكانت القوى البحرية تؤمن أعمال القوات البرية على الاتجاهات الساحلية ، وتدافع عن القواعد البحرية الحربية ، حيث اشتركت اشتراكاً فعّالاً في المواقع الدفاعية بوساطة قطعات المشاة البحرية .

لوحظت تغيرات جوهرية أيضاً في بناء القوات المسلحة السوفييتية . فقد جرى في تموز (يوليو) آب (أغسطس) ١٩٤١ إعادة تنظيم للقوات ، حيث ألغيت قيادات معظم فيالق المشاة نظراً لعدم كفاية الكوادر القتالية ، وخفّض عدد الفرق في الجيوش إلى ٥ ــ ٦ ، وحولت الفرق الآلية إلى مشاة عادية ؛ كما حلّت الفيالق المدرعة والجوية ، وبشكل رئيسي ، لعدم وجود العتاد الحربي اللازم ، وخفض عدد الأفواج في الفرق الجوية من اثنين إلى ثلاثة .

لم تعد فرق المشاة الجديدة تشكل بموجب ملاكات ما قبل الحرب ، بل حسب الملاكات المختصرة . ففي تموز (يوليو) أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ شُكلت ٤٨ فرقة خيالة ؛ وكانت القيادة العليا تأمل من ذلك رفع قدرة القوات البرية على المناورة والحركة . وكما كان متوقعاً لم تتمكن مع ذلك من تعويض نقص التشكيلات المدرعة والميكانيكية . وبدأ في آب (أغسطس) تشكيل عدد كبير من ألوية الدبابات وكتائبها للدعم المباشر للمشاة ، الذي أثبت فعالية تامة فيما بعد .

كانت أحداث صيف وخريف ١٩٤١ أصعب ما شهدته الحرب الوطنية العظمى . ويستنتج من خبرة بدء الحرب أنه كلما ارتفعت قدرة وسائط الصراع ازداد باستمرار تأثير الفترة الابتدائية على المجرى اللاحق للحرب . ولإجراء العمليات الأولى في منطقة الحدود بشكل ناجح لا بد من وجود أعلى درجات اليقظة والجاهزية القتالية في سائر مستويات القوات المسلحة وبخاصة في قوات وأركانات النسق الأول .

٥ ــ ٣ ــ ملحمة موسكو وهجوم القوات السوفييتية في شتاء١٩٤١ ــ ١٩٤٢ م

بعد انهيار الخطة المغايرة للاختراق نحو موسكو من الحركة عن طريق سمولنسك لم يهدأ بال للقادة الألمان . فقد اتخذوا في ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ قراراً جديداً لاحتلال العاصمة السوفييتية ، وأعدوا خطة العملية التي أطلق عليها الاسم الكوري « تايفون » . وحسب فكرة القيادة الألمانية يجب أن تقود عملية « تايفون » إلى تدمير القوى الرئيسية للجيش الأحمر ، وإلى تتويج الحرب بالنصر .

كانت مجموعة جيوش « المركز » المكلفة بالهجوم على موسكو تعد نحو ٧٥ فرقة بما فيها ١٤ مدرعة

و٨ آليات. وكان مجموع ما حشدته القيادة الألمانية للهجوم على موسكو ٣٨ من فرق المشاة و٦٤ من التشكيلات المتحركة، والتي كانت تعد ١٫٨ مليون شخص، و١٧٠٠ دبابة، وأكثر من ١٤ ألف مدفع وهاون، ونحو ١٣٩٠ طائرة.

وكان هتلر يخطط لخرق جبهة القوات السوفييتية شمال وجنوب سمولنسك وجنوب بريانسك بتوجيه ضربات مركّزة بتجميعات قوية، وعن طريق توجيه ضربات باتجاهات متلاقية، تمّ تطويق القوى الرئيسية وسحقها في الجبهتين الغربية والاحتياطية، وجبهة بريانسك في منطقتي فيازما وبريانسك تمهيداً للاستيلاء على موسكو (أنظر الشكل رقم ٣٠).

وحتى نهاية أيلول (سبتمبر) أنهت مجموعة جيوش «المركز» الألمانية كل استعداداتها للعملية. وفي ندائه للقوات بتاريخ ٢ تشرين الأول (أكتوبر) صرح هتلر بما يلي: «أخيراً وبعد ثلاثة أشهر ونصف تمّ خلق المقدمات لتوجيه ضربة قوية لسحق العدو قبل حلول فصل الشتاء. لقد انتهت كل التحضيرات التي بمقدور البشر عملها... وتبدأ اليوم آخر ملحمة حاسمة لهذه السنة».

تمكّنت القيادة السوفييتية من مواجهة تجميع العدو الهائل بقوى تقلّ عنه كثيراً. فكانت الجبهتان الغربية والاحتياطية وجبهة بريانسك المدافعة عن نطاق حتى ٧٥٠ كم تملك في قوامها نحو ١٫٢٥ مليون شخص، و٩٩٠ دبابة (منها ١٦٧ بين ثقيلة ومتوسطة)، و٧٦٠٠ مدفع وهاون، و٦٧٧ طائرة.

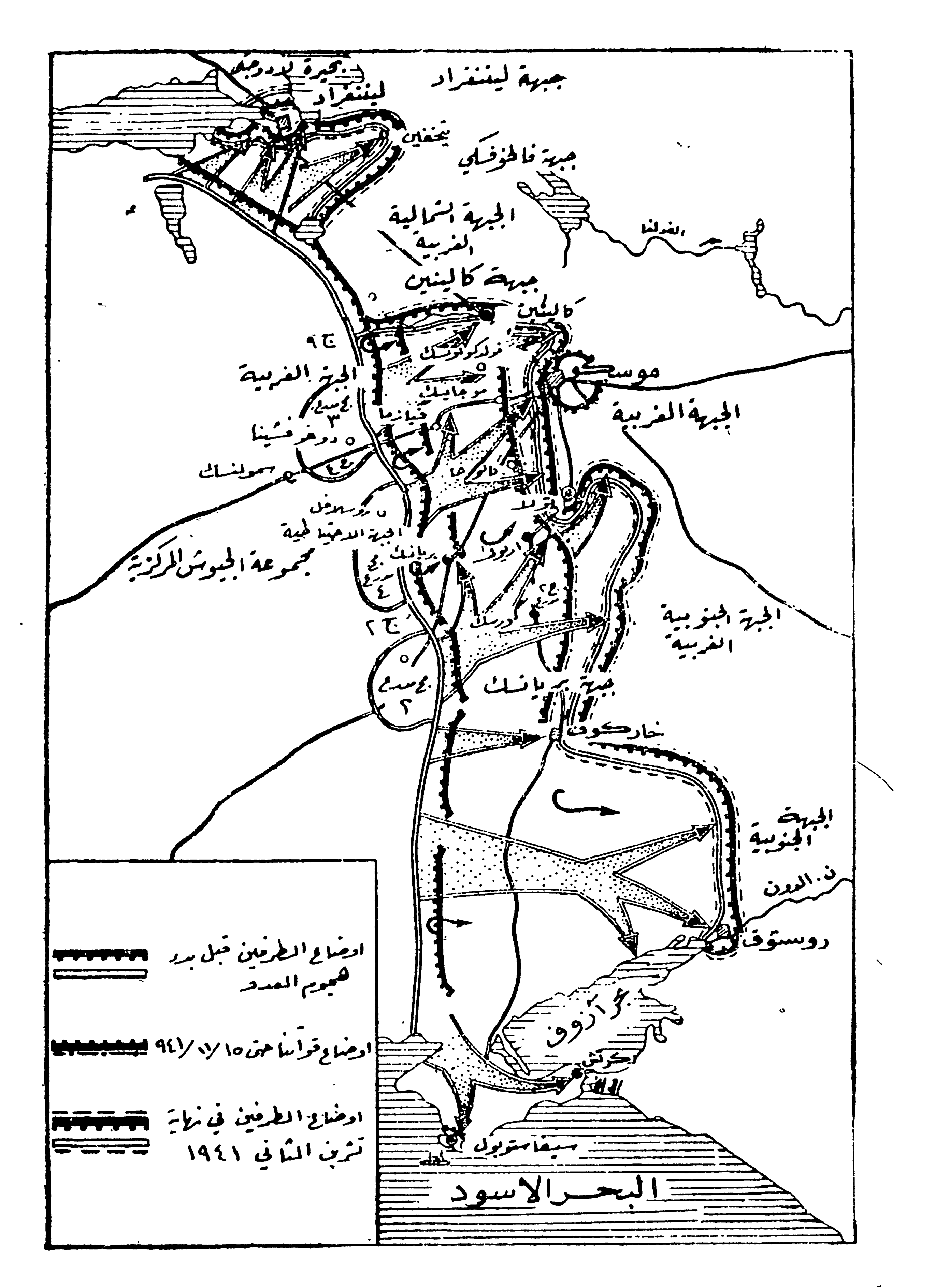
وكانت القيادة السوفييتية مُحقّة في تقدير الاتجاه الغربي على أنه الاتجاه الرئيسي من الجبهة السوفييتية ــ الألمانية، وأولته جل اهتمامها. فقد حشدت هنا ٤٠٪ من الأفراد والمدفعية، و٣٥٪ من الدبابات والطائرات الموجودة حتى نهاية أيلول (سبتمبر) في الجبهة السوفييتية ــ الألمانية. وأنشأت أربعة خطوط دفاعية، ومنطقة دفاع موسكو بعمق عام حتى ٣٠٠ كم، كما سيَّرت إلى هناك الاحتياطات الأساسية لهيئة القيادة العليا.

كانت البنية العملياتية الغربية وجبهة بريانسك على نسق واحد. وشكلت الجيوش على نسقين، في النسق الأول ٣ ــ ٤ فرق، وفي الثاني فرقة واحدة.

كذلك كانت منطقة الدفاع التكتيكية مؤلفة من نطاق واحد بعمق ٤ ــ ٥ كم، حيث تلقت التشكيلات المدافعة عنها نطاقات واسعة، وكانت تملك كثافات منخفضة لم تتعدّ ٠٫٣ ــ ٠٫٤ كتيبة و١٠ ــ ١٥ مدفعاً وهاوناً و١ ــ ٢ دبابة على الكيلو متر الواحد من الجبهة.

ومع أن قادة الجبهات والجيوش حاولوا تكثيف وسائط الصراع على أهم الاتجاهات فقد بقيت الكثافات، أيضاً، منخفضة جداً. وبشكل عام كان دفاع القوات السوفييتية في هذه الفترة ما يزال ضعيفاً. ويعود ذلك إلى النقص الكبير في القوى والوسائط وفقدان الخبرة اللازمة في تنظيمه.

بدأ هجوم التجميعات الضاربة الألمانية ضد قوات جبهة بريانسك في ٣٠ أيلول (سبتمبر)، وضد الجبهتين الغربية والاحتياطية في ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١. ولما كانت القوات الألمانية تملك على هذه

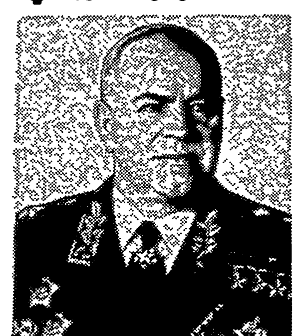


(الشكل رقم ٣٠) ـــ الدفاع البطولي عن موسكو ٣٠ أيلول (سبتمبر) إلى ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١.

الاتجاهات قوى متفوقة بمقدار ٥ ــ ٨ أضعاف، فقد تمكنت من خرق النطاق الرئيسي، وطوّقت في ٧ تشرين الأول تجميعاً ضخماً من القوات السوفييتية في فيازما، وفي منطقة غابات بريانسك، وخلال أسبوع خاضت القوات السوفييتية صراعاً بطولياً مثبتة الـ٢٨ فرقة الألمانية المخترقة إلى موسكو. وكان صراعها فعالاً وعنيفاً، وانتهى في معظم الحالات بالخروج من التطويق. وفي هذه الأثناء حركت القيادة السوفييتية من الاحتياط، ومن الجبهات الأخرى قوى جديدة احتلت على الاتجاهات الأساسية خط موجايسك الدفاعي.

وبغية توحيد قيادة قوات الاتجاه الغربي وحّدت الجبهتان الغربية والاحتياطية في جبهة واحدة هي الجبهة الغربية. وعين قائداً للجبهة الغربية التي أوكل إليها الدفاع عن مشارف موسكو جنرال الجيش غ. ك. جوكوف.

جوكوف غيورغي كونستانتينوفيتش



ولد جوكوف غيورغي كونستانتينوفيتش في ١٨٩٦/١٢/١ وتوفي في ١٩٧٤/٦/١٨)، وهو شخصية سوفييتية حكومية وعسكرية وقائد بارز، وواحد من البناة الفعّالين للقوات المسلحة في الاتحاد السوفييتي. مارشال الاتحاد السوفييتي، وبطل الاتحاد السوفييتي أربع مرات. بدأ خدمته في الجيش اعتباراً من عام ١٩١٥، واشترك في الحرب العالمية الأولى، ومنح مرتين صليب غيورغي نظراً لشجاعته. انضم للجيش السوفييتي اعتباراً من ١٩١٨؛ وفي أثناء الحرب الأهلية شق طريقه من جندي أحمر، حتى قائد كوكبة خيالة. وبعد انتهاء الحرب قاد كوكبة وفوج وفرقة وفيلق خيالة. اشترك في الأعمال القتالية في منطقة نهر خالخنين ــ غول بمنصب قائد مجموعة جيش. ثم قاد قوات منطقة عسكرية، وتسلم منصب رئيس الأركان العامة. تفتحت موهبة جوكوف القيادية بأجلى معانيها في سنوات الحرب الوطنية العظمى، فقد غدا مع بدايتها عضواً في هيئة القيادة العليا؛ واعتباراً من آب (أغسطس) ١٩٤٢ أصبح نائباً للقائد الأعلى. وقاد الجبهات على أهم الاتجاهات في أحرج أوقات الحرب. اشترك غ. ك. جوكوف اشتراكاً فعّالاً في إعداد وإدارة أضخم العمليات المنفذة في مناطق موسكو وستالينغراد وكورسك وعلى الضفة اليمنى لأوكرانيا، وفي بيلوروسيا، وكذلك عمليتي الفيستولا ــ أودر وبرلين.

برزت في هذه العمليات الملامح الأساسية لفن الحرب بأجلى معانيها، مثل الاختيار الصحيح لاتجاه الضربة الرئيسية، وسرعة (اندفاع) عمل القوات، وعدم استخدام القوالب الجامدة. وطبق فيها تطبيقاً بارعاً مبدأ من أهم مبادىء العمليات، وهو تكثيف القوى والوسائط على اتجاهات الضربة الرئيسية، بغية سحق تجميعات العدو الرئيسية.

تسلم جوكوف بعد الحرب منصب القائد العام لمجموعة القوات السوفييتية في ألمانيا، ثم أصبح قائداً عاماً للقوات البرية، وقائداً لقوات العديد من المناطق العسكرية، ووزيراً لدفاع الاتحاد السوفييتي. واستخدم

في هذه المناصب بمهارة الخبرة القتالية الوافرة في تعليم القوات في ظروف إعادة تسليحها بوسائط الصراع المسلح الحديثة. دفن في موسكو في الساحة الحمراء عند سور الكرملن. وبتاريخ ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١ أعلنت في موسكو والمناطق المجاورة لها حالة الحصار، واتخذت التدابير الفورية لإنشاء الخطوط الدفاعية وتعبئة الكادحين لحماية العاصمة.

وما إن انتهى شهر تشرين الأول (أكتوبر) حتى كان الهجوم الأول للقوات الهتلرية على موسكو قد صدّ، واستقرت الجبهة غربي موسكو على خط فولوكولامسك ـــ كوبينكا ـــ سيربوخوف ـــ الكسين. وخلال شهر من المعارك الدموية تمكن الجيش الألماني من التقدم لمسافة ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ كم، إلا أن هدف الهجوم وهو الاستيلاء على موسكو لم يتحقق.

غير أن القيادة الألمانية لم تقلع عن فكرتها في الاستيلاء على موسكو قبل حلول الشتاء. وكانت قيادة القوات المسلحة السوفييتية قد اكتشفت نوايا العدو في الوقت المناسب واتخذت التدابير الفعّالة لتعزيز قوات الجبهة الغربية. وقد أولت عناية كبيرة لإنشاء دفاع قوي مضاد للدبابات، وكذلك إقامة الحواجز المضادة للدبابات، والمضادة للأشخاص، وبوشر في إقامة المناطق المضادة للدبابات ضمن الدفاع؛ وولد نظام الدفاع الخندقي.

بدأ في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) هجوم جديد للقوات الألمانية على موسكو. فقد دفع الهتلريون في الموقعة ٥١ فرقة، منها ٢٠ مدرعة وآلية. وبثمن باهظ من الخسائر أمكن لهم في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) الوصول إلى المنافذ المؤدية إلى العاصمة، حيث تمّ إيقافهم على طول الجبهة بالضربات المعاكسة المنظمة تنظيماً جيداً من قبل القوات السوفييتية.

وفي أثناء المعارك الجارية في الفترة ما بين ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) و٥ كانون الأول (ديسمبر) خسر الجيش الألماني على مشارف موسكو ١٥٥ ألف جندي وضابط، و٧٧٧ دبابة و١٥٠٠ طائرة. وانتهت عملية «تايفون» بالفشل الذريع. ووجدت قوات مجموعة جيوش «المركز» نفسها مستنزفة القوى، ومحرومة من الإمكانات الهجومية.

ساعد على نجاح ملحمة موسكو انتقال القوات السوفييتية إلى الهجوم المعاكس جنوب ـــ شرق لينينغراد، حيث أحبطت فكرة القيادة الألمانية في إقامة حلقة ثانية لتطويق لينينغراد، ودحرت قوات الجبهة الجنوبية تجميع الجنرال كلانسيت المدرع في منطقة روستوف، وحررت المدينة وقذفت بالعدو إلى ما وراء نهر ميوس. ودلّت الانتصارات الأولى على القوات الألمانية، أنه قد آن الأوان لإحداث انقلاب في مجرى الأعمال الحربية على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية كافة.

تغيرت نسبة القوى على الاتجاه الغربي بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها الحكومة السوفييتية في سبيل إنشاء الاحتياطات. وكانت خطة الهجوم العام المعاكس التي رسمتها الأركان العامة ترمي إلى تصفية الخطر الجاثم فوق موسكو عن طريق سحق تجميعات العدو الجانبية. واشترك في الهجوم العام المعاكس قوات جبهة كالينين، والجبهة الغربية، والجناح الأيمن للجبهة الجنوبية ـــ الغربية. وأوكل الدور الرئيسي إلى الجبهة الغربية

التي كانت مهمتها تنحصر في سحق تجميعي الجيش الألماني في كلين ــ سولنتشنوغورسك وفي تولا (انظر الشكل رقم ٣١ هزيمة القوات الألمانية عند موسكو).

كان عمق المهمة المباشرة للجبهة ٣٠ ــ ٦٠ كم. ولم يحدد لها مهلة للتنفيذ؛ كما لم تحدد المهمة اللاحقة للجبهة؛ وهذا راجع إلى نقص القوى والوسائط، وعدم بلوغ درجة كاملة من الوضوح في رؤية آفاق تطور الأحداث في ظروف فقدان التفوق العام في القوى. وبشكل عام كانت المهام المسندة لقوات الجبهات واقعية تماماً بالرغم من الصعوبات الجمّة التي كانت تكتنفها.

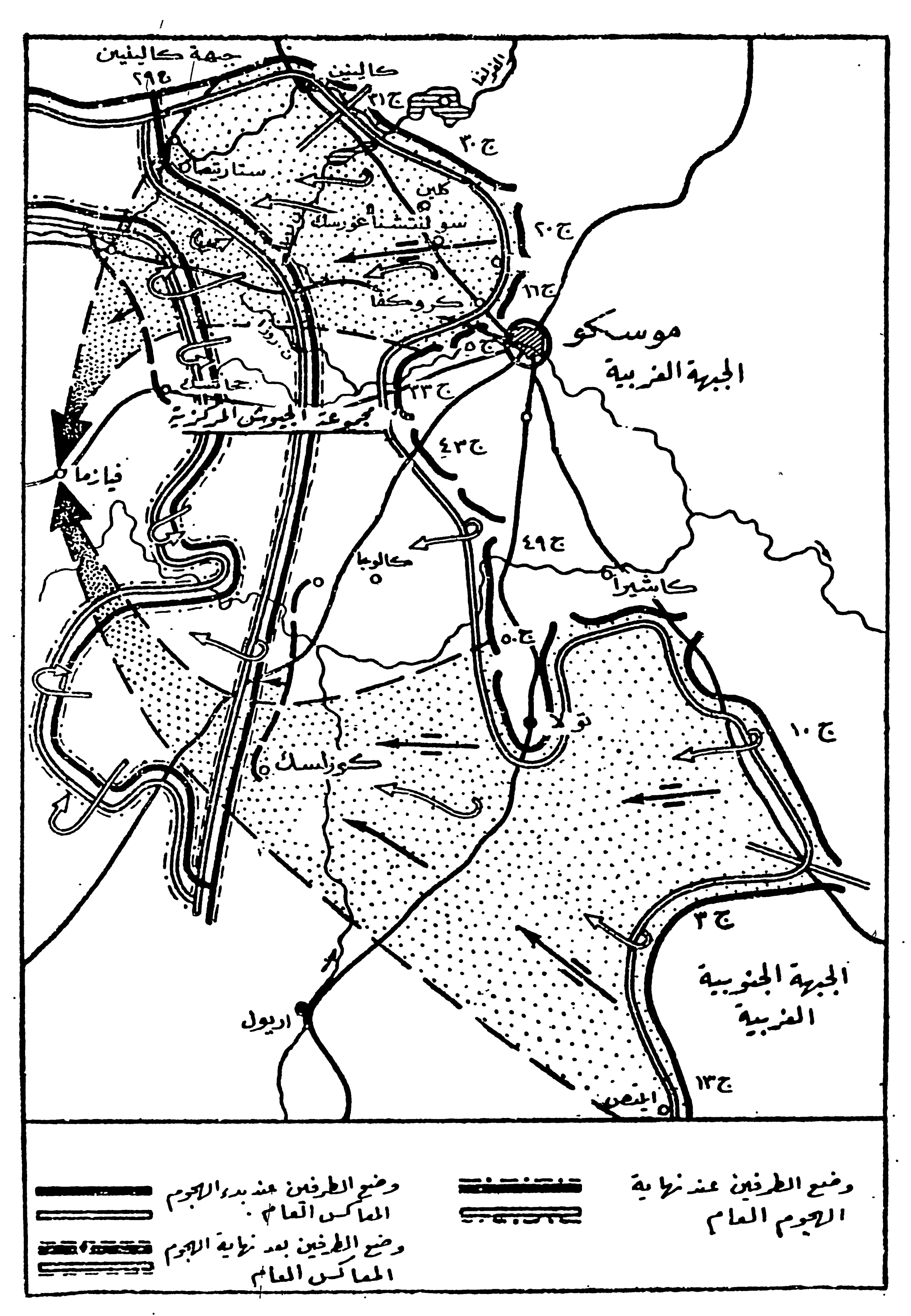
انتقلت قوات جبهة كالينين في ٥ كانون الأول (ديسمبر) إلى الهجوم العام المعاكس. وتبعتها في اليوم التالي قوات الجبهتين الغربية والجنوبية ــ الغربية، ودارت رحى الهجوم المعاكس على جبهة تمتد نحو ١٠٠٠ كم. وكان الهجوم مفاجئاً تماماً بالنسبة للجيش الألماني، حيث وجهت ضربات القوى المسلحة على الجيش الألماني في الفترة التي نضبت فيها إمكاناته الهجومية، واستنفدت احتياطاته، بينما لم تتمكن القوات بعد من الانتقال إلى الدفاع بالكامل.

قامت القوات السوفييتية في أثناء الهجوم المعاكس خلال ٢٥ ــ ٣٠ يوماً بسحق التجميعات الضاربة لمجموعة جيوش «المركز»، وتقدمت نحو الغرب لمسافة ١٠٠ ــ ٢٥٠ كم. وقد دمرت ١١ فرقة مدرعة و٤ فرق آلية و٢٣ فرقة مشاة من قوات العدو، وزال التهديد المباشر لموسكو، وخلقت الظروف الملائمة لانتقال الجيش الأحمر إلى الهجوم العام. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ انخرط في الهجوم على الجيش الألماني تسع جبهات ضمن نطاق نحو ألفي كيلو متر.

خاضت قوات جبهتي فولخوف ولينينغراد على الاتجاه الاستراتيجي الشمالي ــ الغربي حتى نيسان (ابريل) ١٩٤٢ معارك عنيفة لفك الحصار عن لينينغراد. فقد قامت القوى الرئيسية للجبهة الشمالية الغربية في شباط (فبراير) ١٩٤٢ في منطقة ديميانسك بتطويق سبع فرق ألمانية، وسحق ثلاث. غير أن القوات الألمانية تمكنت في النصف الثاني من نيسان (ابريل) من شقّ ممر (كوريدور) ضيّق والاتصال بالقوى الرئيسية وجعل الجبهة مستقرة.

ودارت مواقع طاحنة على الاتجاه الغربي، حيث نفذت قوات أربع جبهات مهمة إكمال سحق مجموعة جيوش «المركز». وحررت من قبضة قوات الاحتلال الألماني مساحات شاسعة شمال فيتيسك وسمولنسك. إلا أن القوات السوفييتية المهاجمة لم تنجح في قطع خطوط مواصلات مجموعة جيوش «المركز» وتطويقها. وتقدمت قوات الجبهتين الجنوبية ــ الغربية والجنوبية خلال تطوير الهجوم في النصف الثاني من كانون الثاني (يناير) لمسافة ٩٠ كم في منطقة بارفينكوفو، وشكلت ما يسمى بنتوء بارفينكوفو. ولم يكلل الهجوم اللاحق هنا بالنجاح.

وقام الجيش الأحمر في أثناء الهجوم العام المنتهي في نيسان (ابريل) ١٩٤٢ بدحر القوات الألمانية لمسافة ١٠٠ ــ ٣٥٠ كم، وسحق حتى ٥٠ فرقة معادية. وبعد أن فقد الهتلريون ٤٠٠ ألف شخص بين



(الشكل رقم ٣١) ـ هزيمة القوات الألمانية عند موسكو.

قتيل وجريح وأسير أصبحوا مضطرين إلى أن يسحبوا من ألمانيا وفرنسا والبلقان والمناطق الأوروبية الأخرى إلى الاتحاد السوفييتي ٣٩ فرقة و٦ ألوية وعدداً كبيراً من وحدات الإمداد بالرجال.

غير أن عمليات القوات السوفييتية لم تصل إلى نهايتها، لأن الهجوم في آن واحد على ثلاثة اتجاهات استراتيجية لم يكن في ذلك الوقت متناسباً مع إمكاناتها، مما أدّى إلى تشتيت احتياطات هيئة القيادة العليا. ولكن بالرغم من النقص الموجود فقد أحرز الجيش السوفييتي، بشكل عام، أكبر نجاح سياسي ــ حربي واستراتيجي.

لقد أنزلت القوات السوفييتية بالجيش الألماني هزيمة كبرى لأول مرة في الحرب العالمية الثانية وانتزعت زمام المبادرة الاستراتيجية، وأرغمت العدو للإنتقال إلى الدفاع على سائر الجبهة السوفييتية ــ الألمانية. وأبطلت أمام العالم بأسره أسطورة «الجيش الهتلري الذي لا يقهر» وأحبطت نهائياً خطة الحرب الصاعقة. واعتبر سحق القوات الألمانية على مشارف موسكو إيذاناً بالإنقلاب الجذري في مجرى الحرب.

كذلك تلقى الجيش الأحمر من خلال المواقع الدفاعية خبرة كبيرة في خوض الدفاع الثابت والفعّال من قبل عدة جبهات في آن واحد، ضمن نطاق ٧٠٠ ــ ١٠٠٠ كم. وهنا كانت الجبهة تتلقى للدفاع نطاقاً بعرض ٢٥٠ ــ ٣٠٠ كم، والجيش ٥٠ ــ ١٠٠ كم، وفرقة المشاة من ١٠ حتى ٢٥ كم. وبلغ عمق دفاع الجيوش ١٥ ــ ٢٠ كم، والفرق ٥ ــ ٨ كم. وفي أثناء الأعمال الدفاعية استخدمت القوات السوفييتية على نطاق واسع الضربات والهجمات المعاكسة، التي أمكن بها إيقاف زحف الجيش الألماني نحو موسكو وإنهاك قواه. وكان للخطوط الدفاعية المحضرة مسبقاً على عمق حتى ٣٠٠ كم تأثير كبير على استقرار الدفاع وثباته. وقد هيأت الأعمال الدفاعية الناجمة عن الظروف لانتقال القوات السوفييتية إلى الهجوم العام المعاكس، الذي بدأ دون فترة هدوء عملياته. ونفذ الهجوم العام المعاكس دون تفوق عام للقوات السوفييتية في القوى والوسائط على العدو. وكان ذلك أول عملية هجومية استراتيجية للجيش الأحمر خلال الحرب الوطنية العظمى، منفذة بقوات مجموعة جبهات على أساس فكرة واحدة وبهدف حاسم. وبلغ نطاق الهجوم ١٠٠٠ كم، بينما بلغ العمق ١٢٠ ــ ٢٥٠ كم، بإيقاع تقدم في اليوم وسطياً ما بين ٦ ــ ٧ كم و١٠ ــ ١٢ كم في ظروف الشتاء القارس. وقد تكلل الهجوم العام المعاكس بفضل التحديد الصحيح لوقت بدئه، والاختيار الماهر لاتجاهات الضربات الرئيسية، وتحقق المفاجأة، وتحسن قيادة أعمال القوات. وفي أثناء الأعمال القتالية استخدمت القوات السوفييتية علاوة على الضربات الجبهية، الإحاطات والإلتفافات حول جوانب العدو، وبدأت بالانتقال من التكتيك الخطي إلى التكتيك المناور.

أثبتت ملحمة موسكو الدور الحاسم للمدفعية من أجل تأمين نجاح الأعمال القتالية؛ وسواء في الدفاع أو في الهجوم استخدمت المدفعية بشكل لا مركزي. غير أن الخبرة أوجبت ضرورة التكثيف الحاسم للمدفعية على الاتجاهات الرئيسية؛ كما بذلت أولى المحاولات لتحقيق الهجوم المدفعي.

كذلك أبرزت الممارسة القتالية ضرورة إنشاء تشكيلات مدرعة ضخمة لخوض العمليات الهجومية على عمق كبير وبإيقاعات عالية. ونتيجة لفقدان مثل هذه التشكيلات لم تتمكن القوات السوفييتية، وفي

حالات عدة ، من إنهاء تطويق وتدمير تجميعات العدو الضخمة على مشارف موسكو . وبفضل استخدام قوى الطيران السوفييتي الضخمة على مشارف موسكو ، أمكن انتزاع السيطرة الجوية ووضع البداية لحل مسألة استخدامه بشكل كثيف .

وفي أثناء الهجوم العام تحصلت أول خبرة في استخدام وحدات الإنزال الجوي القوية ، التي نفذت مهامها القتالية في مؤخرة القوات الألمانية جنباً إلى جنب مع تشكيلات الخيالة والفدائيين .

وقد هيّأت الانتصارات التي أحرزها الجيش الأحمر على مشارف موسكو التربة الصالحة لإنشاء ائتلاف مضاد لهتلر في الفترة ما بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ . وفي ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ وقعت ٢٦ دولة ، من ضمنها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وانكلترا والصين ، بياناً يتضمن توحيد الموارد العسكرية والاقتصادية لدحر الكتلة الفاشية . وكان للخبرة القتالية المتراكمة في ملحمة موسكو أهمية كبرى لتحسين مستوى فن الحرب السوفييتي في العمليات اللاحقة .

٥ ــ ٤ ــ الدفاع البطولي عن ستالينغراد

أدّت النجاحات التي أحرزتها القوات السوفييتية في الحملة الشتوية لعام ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ إلى بعض التحسين في الوضع السياسي ــ العسكري للاتحاد السوفييتي حتى صيف ١٩٤٢ ، واستمر نمو قوى الجيش العامل ، وتطور الاقتصاد العسكري للبلاد . ففي شهر آذار (مارس) ١٩٤٣ ارتفع إنتاج البنادق الآلية والقواذف المضادة للدبابات ٦ أضعاف ، والمدفعية المضادة للدبابات ٣ أضعاف ، والدبابات ٢ر٣ ضعف ، والمدفعية الأرضية ضعفين . وتواردت إلى القوات نماذج جديدة من الأسلحة ، وتحسنت البنية التنظيمية للقوات البرية والجوية السوفييتية . وبدأت تتشكل الفيالق والجيوش المدرعة ، وكذلك الجيوش الجوية للجبهات ، ويتزايد عدد التشكيلات في الاحتياط الاستراتيجي . غير أن هذه التدابير لم تكن لتصل إلى منتهاها حتى بدء صيف ١٩٤٢ . وظل الموقف على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية كعهده متوتراً .

سمح فقدان الجبهة الثانية في أوروبا للقيادة الألمانية بأن تنقل قوات إضافية إلى الجبهة السوفييتية ــ الألمانية دونما خوف على مؤخرتها الغربية . فقد زيد عدد الفرق الألمانية اعتباراً من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ وحتى أيار (مايو) ١٩٤٢ من ١٩١ إلى ٢١٧ فرقة ، وارتفع القوام العددي للقوات الألمانية إلى ٦ر٢ مليون شخص ، و٣٢٢٩ دبابة ومدفع اقتحام ، و٣٣٩٥ طائرة قتالية ، وحتى ٥٧ ألف مدفع وهاون . ولما كانت القيادة الألمانية في حالة لا تسمح لها بخوض الأعمال القتالية في آن واحد على سائر الجبهة السوفييتية ــ الألمانية ، فقد ركزت جهودها الرئيسية في صيف ١٩٤٢ على الجنوب ، بغية الوصول إلى المناطق النفطية في القفقاس والسهول الخصبة للدون والفولغا ، في منطقة ستالينغراد ؛ كما كانت القيادة الهتلرية ترى أن تكلل هذه الحملة بالنصر ، سيسمح بجر تركيا واليابان للحرب ضد الاتحاد السوفييتي ، ولا سيما أنهما قامتا بحشد قوى كبيرة على الحدود السوفييتية .

تنبأت القيادة السوفييتية بإمكان هجوم الجيش الألماني في الاتجاه الجنوبي ، لكنها رأت أن توجيه

الضربة الرئيسية إلى جنب تجميعها الأوسط، بهدف الاستيلاء على موسكو هو الأكثر احتمالاً. وبالإضافة إلى ذلك، بعد أن بالغت هيئة القيادة العليا بنجاحات الهجوم الشتوي، فقد خططت إلى جانب الدفاع الاستراتيجي، للقيام بعدة عمليات هجومية، خاصة في القرم، وفي منطقة خاركوف وعلى اتجاهي لغوف ـــ كورسك و سمولنسك، وكذلك على مشارف لينينغراد وفي منطقة ديميانسك. وكان لرئيس الأركان العامة ب. م. شابوشنيكوف رأي خاص؛ فقد كان يرى من الضروري الاقتصار في بادىء الأمر على الدفاع الاستراتيجي الفعّال، وإنهاك قوى العدو واستنزافها، وبعد تجميع الاحتياطات فقط يتمُّ الانتقال إلى الأعمال الهجومية الواسعة. ولم يؤخذ هذا الرأي بعين الاعتبار عند التصديق النهائي على خطة أعمال الجيش الأحمر للحملة الصيفية لعام ١٩٤٢.

كان الجيش العامل يضم في قواته حتى صيف ١٩٤٢ (دون أخذ القوى البحرية والدفاع الجوي بعين الاعتبار) ١ر٥ مليون شخص، و٩ر٤٤ ألف مدفع وهاون و٣٨٨٢ دبابة و٢٢٢١ طائرة قتالية. وهكذا كانت نسبة القوى حتى بداية الحملة الصيفية في الرجال والطيران لصالح الجيش الألماني، وفي الدبابات كان الجيش الأحمر يملك تفوقاً كمياً طفيفاً.

ولإنشاء المقدمات من أجل نجاح العملية الرئيسية كانت القيادة الألمانية ترى ضرورة الاستيلاء في بادىء الأمر على القرم استيلاء كاملاً، وتحسين الموقف في بعض القطاعات الأخرى من الجبهة، بما في ذلك الاستيلاء في الشمال على لينينغراد.

وفي شهر أيار (مايو) انتقل الجيش الألماني إلى الهجوم في شبه جزيرة كيرتسن على قوات جبهة القرم، وتمكن من خرق الدفاع السيىء التنظيم على جناح السرعة، واضطرت فلول التشكيلات السوفييتية إلى الجلاء عن طريق خليج كيرتسن إلى شبه جزيرة تامان. وقد سمح ذلك للقوات الألمانية بحشد كل ما كانت تملك من قوى في القرم، لاقتحام سيفاستوبول. وأظهرت القوات السوفييتية، المدافعة عن المدينة لمدة ٢٥٠ يوماً، ثباتاً وبطولة نادرين، غير أنها لم تتمكن من الاحتفاظ بالمدينة. واعتباراً من ٤ تموز (يوليو) غدت بلاد القرم جميعاً في يد القوات الألمانية، وحرم أسطول البحر الأسود من قواعده الرئيسية.

باشرت القوات السوفييتية اعتباراً من ١٢ أيار (مايو) ١٩٤٢ في تنفيذ عملية خاركوف الهجومية لتطويق العدو وسحقه في منطقة خاركوف. فاخترقت قوات الجبهة الجنوبية ـــ الغربية خلال يومين دفاع العدو وتقدمت لمسافة ٢٠ ـــ ٣٠ كم في العمق، إلا أنها تباطأت في استثمار النجاح، ولم تزج تشكيلاتها المتحركة في المعركة. وانتهزت القوات الألمانية الوضع فشنت ضربات معاكسة قوية على جوانب التجميع السوفييتي المخترق، ووقع من جرائها قسم من القوات السوفييتية في التطويق؛ وما انصرم شهر أيار (مايو) حتى اضطر هذا التجميع للانسحاب إلى ما وراء نهر الدونيتس الشمالي. ونتيجة لفشل عملية الجيش الأحمر الهجومية المنفذة في منطقة خاركوف، وهزيمة القوات السوفييتية في القرم، تمكنت القيادة الألمانية من انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من جديد.

بدأ هجوم القوى الرئيسية للجيش الألماني على اتجاه فورونيج بتاريخ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٢.

ضد قوات جبهة بريانسك والجبهة الجنوبية ــ الغربية . وقد تميزت الموقعة الطاحنة التي دارت رحاها هناك باشتراك عدد كبير من الدبابات فيها من كلا الجانبين ، حيث استخدمت القيادة السوفييتية التشكيلات المدرعة على نطاق واسع لأول مرة في الموقعة الدفاعية .

لقد تمكنت القوى الألمانية من خرق دفاع القوات السوفييتية في عدة قطاعات والوصول إلى فورونيج دافعة لقاء ذلك ثمناً باهظاً ، ومن ثم وجهت ضربتها في الاتجاه الجنوبي . وبدأ الجيش الألماني هجومه في اتجاه لوغانسك بتاريخ ٨ تموز (يوليو) حيث خرق الدفاع ، وبلغ حوض الدون (الدونباس) . واجتناباً للتطويق بدأت قوات الجبهة الجنوبية بالانسحاب إلى خط نهر الدون . وقد أدت النهاية الفاشلة للعمليات الدفاعية التي خاضتها القوات السوفييتية إلى حدوث ثغرة في الدفاع على الجناح الجنوبي للجبهة السوفييتية ــ الألمانية بعرض حتى ١٧٠ كم .

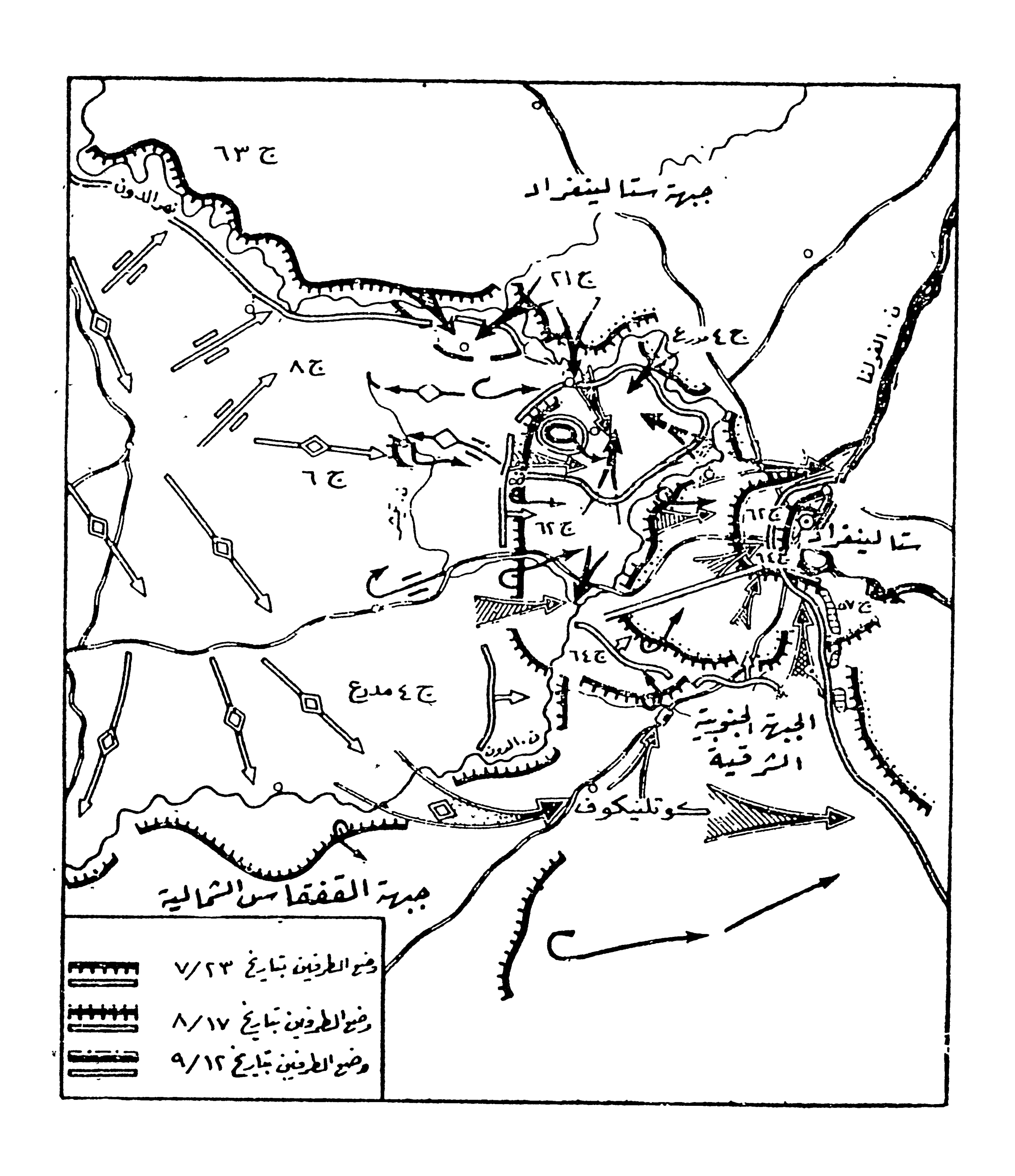
حصلت القوات الألمانية على إمكان تطوير الضربة الرئيسية نحو القفقاس ، وبقسم من القوى نحو ستالينغراد . وفي مثل هذه الظروف البالغة التعقيد بدأت بتاريخ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٢ ملحمة ستالينغراد (انظر الشكل رقم ٣٢ الملحمة الدفاعية على تخوم ستالينغراد في تموز / يوليو / ــ تشرين الثاني / نوفمبر / ١٩٤٢) . وللحيلولة دون اختراق القوات الألمانية إلى ستالينغراد عمدت هيئة القيادة العليا إلى تسيير ثلاثة جيوش من الاحتياط ، على جناح السرعة ، إلى خط الدون ، وشكلت جبهة ستالينغراد ، التي تلقت مهمة إيقاف التقدم اللاحق للعدو . وكان مجمل قواها ٣٨ فرقة ، لكن لم يكن منها سوى ١٨ فرقة فقط مكملة تماماً ، وكان هناك ست فرق يتراوح تعدادها ما بين ٥ر٢ و ٤ آلاف شخص و١٤ فرقة ما بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ شخص .

وحسب الخطة المرسومة بدأت إقامة الأحزمة الدفاعية حول ستالينغراد التي لم يتسنّ إكمالها قبل بدء المعارك . وقد أنشىء على الحزام الخارجي ، الكائن على بعد ٩٠ ــ ١٠٠ كم عن المدينة ، مواضع لمواقع دفاع السرايا ، وقطعات دفاع الكتائب على بعض القطاعات فقط . ولم تتجاوز جاهزية الأحزمة الأربعة كافة نسبة ٤٠ ــ ٥٠٪ .

كما احتلت قوات جبهة ستالينغراد الدفاع ضمن نطاق بعرض ٥٢٠ كم وعمق حتى ١٢٠ كم . وركزت الجهود الرئيسية للجبهة على المنعطف الكبير للدون ، حيث كان يدافع الجيشان القادمان من احتياط هيئة القيادة العليا .

ونظمت البنية العملياتية للجيش على الاتجاه الرئيسي على نسقين . وكان دفاع الجيش مؤلفاً من نطاق رئيسي عمقه ٤ ــ ٦ كم ، وخط الجيش المحضر على بعد ٣٠ ــ ٣٥ كم عن الحد الأمامي ضمن نطاق فرقة النسق الثاني فقط . وبسبب فقدان القوى والوقت اللازمين لم يجهز نطاق ثانٍ للدفاع . وتلقت الفرق للدفاع نطاقات بعرض ١٥ ــ ١٨ كم ، والاتجاه الثانوي بعرض نحو ٤٠ كم .

وقد بدأت العمليات الدفاعية للقوات السوفييتية في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٢ ، بأعمال قتالية



(الشكل رقم ٣٢) ــ العمليات الدفاعية على تخوم ستالينغراد في تموز (يوليو) ــ تشرين الثاني ١٩٤٢.

قامت بها طلائع الجيوش المدافعة على خط نهري تشير وتسيملا (Cheer , Tsimlia) . وبالرغم من التفوق الكبير في القوى لم تتمكن المجموعات الضاربة للقوات الألمانية من الوصول إلى النطاق الرئيسي لدفاع القوات السوفييتية إلا في نهاية ٢٢ تموز (يوليو) ، وبدأت اعتباراً من صباح اليوم التالي صراعها من أجل خرقه . وأنشأ الجيش الألماني تجميعاً قوياً متفوقاً على القوات السوفييتية بالأشخاص بنسبة ٤ر١ ضعف ، وبالدبابات بنسبة الضعفين ، وبالطيران بنسبة ٥ر٣ أضعاف ، ووجه ضربة قوية إلى الجنب الأيمن للجيش ٦٢ الذي احتل خطوطاً دفاعية على الاتجاه الرئيسي ، حيث كان الدفاع أشد ضعفاً . وقد تمكن الهتلريون من خرق نطاق الدفاع الرئيسي ، وتطوير الهجوم ، وتطويق حتى ثلاث فرق سوفييتية ، بعد أن كلفهم ذلك ثمناً باهظاً .

ولإعادة الوضع إلى ما كان عليه قام قائد الجبهة ، بعد الاستئذان من هيئة القيادة العليا ، بزج جيشين مدرعين في الموقعة قبل أن ينهيا تشكيلهما . وحضرت الضربة المعاكسة على عجل ووجهت في أوقات مختلفة بدعم مدفعي وجوي ضعيف . ومع أن القوات السوفييتية القائمة بالهجوم المعاكس أمّنت خروج الفرق من التطويق وأوقفت زحف الجيش الألماني ، إلا أنها لم تتمكن من تصفية تجميع العدو المخترق إلى الدون تصفية كاملة .

ولما لم تحرز القوات الألمانية نجاحاً على هذا الاتجاه فقد نقلت جهودها إلى الجنوب ، إلى نطاق الجيش ٦٤ ، ووصلت إلى الدون ، واستولت على معبر هناك . غير أنها أوقفت على هذا القطاع أيضاً بفضل الضربة المعاكسة التي وجهت في ٣٠ تموز (يوليو) . وكان للمقاومة العنيدة التي أبدتها القوات السوفييتية أن أجبرت القيادة الألمانية على سحب جيش مدرع من اتجاه القفقاس ، وإرساله إلى ستالينغراد ، وكان هذا الجيش يشكل في الأيام الأولى من آب (أغسطس) تهديداً مباشراً بالاختراق إلى المدينة من الجنوب الغربي . وفي ٧ آب (أغسطس) اخترقت أربع فرق من الجيش الرابع الألماني المدرع نطاق دفاع الجيش ٦٤ ، لكنها منيت بالهزيمة بفضل الضربة المعاكسة المحضرة جيداً ، والمؤمنة من النواحي كافة التي شنتها القوات السوفييتية . وبعد أن فقد العدو نحو ١٤٠ دبابة ارتدّ إلى قاعدته الأولية ، حيث انتقل إلى الدفاع ، وبقي ١٠ أيام في وضع مستكن . وكانت الضربة المعاكسة تتميز بوجود تفوق على العدو على اتجاه الضربة الرئيسية بالرجال بنسبة ٣ أضعاف ، وبالمدفعية ضعفين ، وتساوت في عدد الدبابات.

دلّت المعارك الجارية على المنافذ البعيدة المؤدية إلى ستالينغراد على الثبات والصمود النادرين اللذين تحلّى بهما المقاتلون السوفييت . فخلال شهر كامل لم تتقدم القوات الألمانية سوى لمسافة ٦٠ ـــ ٨٠ كم متكبدة خسائر كبيرة بالقوة الحية والعتاد ، ووصلت بصعوبة كبيرة إلى الحزام الدفاعي الخارجي للمدينة ، حيث تم إيقافها . وكما كتب أحد الجنرالات الهتلريين المشتركين في الهجوم على هذا الاتجاه « إن الجيش الألماني بدلاً من المسيرة الظافرة أصبح يتقدم بصعوبة إلى الأمام » (هانس دير : الحملة على ستالينغراد ، إصدار ١٩٥٧ ، ص ٥٣) .

وهكذا أحبطت نوايا القيادة الألمانية الرامية إلى الاختراق نحو الفولغا من الحركة ، غير أن الموقف ما زال غاية في الصعوبة .

وحينما كانت القوات الألمانية تقاتل على الحزام الدفاعي الخارجي كانت تتخذ استعداداتها للاستيلاء على المدينة. وعلى اعتبار أن خطة الاستيلاء على ستالينغراد قد انهارت إلى حد ما، بسبب التجميعين الشمالي والجنوبي إلى الهجوم في وقت مختلف، فقد قررت القيادة الألمانية توجيه ضربتين في آن واحد: من الغرب بقوة الجيش السادس، ومن الجنوب بقوة الجيش الرابع المدرع.

انتقلت التجميعات الضارية من الجيوش الألمانية بتاريخ ١٩ آب (أغسطس) ١٩٤٢ إلى الهجوم، محاولة خرق الحزام الخارجي، وتطويق القوات السوفييتية المدافعة عن المدينة واستخدم الهتلريون تفوقهم في القوى، ونجاحهم في الدبابات والطيران، فدفعوا في ٢٣ آب (أغسطس) بأربع فرق إلى الضفة الشرقية للدون، وخرقوا دفاع القوات السوفييتية، واخترقوا حتى نهاية اليوم نحو الفولغا شمالي ستالينغراد.

عندها وجدت القوات السوفييتية نفسها مشطورة إلى شطرين بواسطة ممر عرضه ٨ كم. فاتخذت قيادة جبهة ستالينغراد التدابير اللازمة لتدمير التجميع المخترق، ووجهت الضربات المعاكسة من عدة قطاعات وعلى جبهة واسعة، غير أنها لم تنجح في تصفية العدو في هذه المنطقة. وفي الحقيقة كان للضربات المعاكسة التي وجهتها القوات السوفييتية تأثير على مجرى الصراع كافة، حيث أصبح الألمان مضطرين إلى إضعاف تجميعهم المهاجم على المدينة بشكل حاد.

وعهد بالدفاع عن القسم الأكبر من المدينة إلى قوات الجيش ٦٢، الذي انضوى اعتباراً من ١٢ أيلول (سبتمبر) تحت قيادة الجنرال ف. ي. تشويكوف، وظل يقاتل معه حتى اقتحام برلين؛ ودافعت قوات الجيش ٦٢، مع وجود نقص كبير فيها، على جبهة تمتد لمسافة ٥٠ كم بالجبهة و٣ ــ ١٠ كم في العمق. وتمركز القسم الأكبر من القوى والوسائط على حزام المدينة.

كما عمل في مواجهة قوات الجيش إحدى عشرة فرقة معادية. وكان التفوق العددي وبخاصة في الدبابات، إلى جانب العدو. فلم يكن في مواجهة ٥٠٠ دبابة ألمانية سوى ٩٣ دبابة من الجيش ٦٢.

وبدأت القوات الألمانية اقتحام ستالينغراد في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٢، حيث تمكن العدو في المعارك الضارية التي جرت فيما بين ١٣ و ٢٦ أيلول (سبتمبر) من الاستيلاء على القسم الأكبر من المدينة واحتلال المرتفعات الحاكمة بما في ذلك تلة مامايف أيضاً، مما سمح بكشف سائر عمق دفاع القوات السوفييتية، وكذلك نهر الفولغا.

وقد دافع الجيش ٦٢ في المدينة عن نطاق ضيق على امتداد ٢٥ كم، بينما لم يتجاوز عمقه عدة مئات من الأمتار. وكانت المناورة والوسائط محدودة، لذلك اقتضى الأمر وضع المدفعية على الضفة الشرقية لنهر الفولغا. وتمركزت أركان الجيش وأركانات الفرق على الميول الشديدة الانحدار للضفة الغربية للنهر، على بعد ٢٠٠ ــ ٨٠٠ م عن الحد الأمامي. وارتدى الصراع من أجل المدينة طابعاً عنيفاً للغاية. وحتى نهاية الشهر الأول من المعارك في المدينة تمكنت القوات الألمانية من الوصول إلى الفولغا في منطقة مصنع الجرارات، ممزقة بذلك جبهة دفاع الجيش ٦٢؛ وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) اخترقت إلى النهر جنوبي

مصنع « باريكادا » . وبعد أن خسرت الجيوش الهتلرية في المعارك من أجل المدينة ما يزيد عن ١٨٠ ألف قتيل و ٥٠٠ ألف جريح اضطرت إلى إيقاف الهجوم .

دهش العالم بأجمعه لشجاعة حماة ستالينغراد . وهذه رسالة ف . روزفيلت الشهيرة الموجهة إلى ي . ف . ستالين والتي جاء فيها ما يلي :

« تدرك الولايات المتحدة جيداً أن الاتحاد السوفييتي يتحمل العبء الأساسي في الصراع والتضحيات الأكثر جسامة على امتداد عام ١٩٤٢ ، وأودّ أن أعلمكم أننا معجبون إلى أقصى الحدود بالمقاومة الرائعة التي أظهرتها » . وكانت هذه الرسالة قد وجهت في الأيام العصيبة من موقعة ستالينغراد .

لعبت الأعمال النشيطة للقوات السوفييتية على الاتجاهات الأخرى المجاورة ، دوراً هاماً في إحباط محاولات العدو للاستيلاء على المدينة ، حيث شاغلت قسماً من قوى العدو لصدّ الهجمات المعاكسة الموجهة إليها ، وبخاصة شمالي ستالينغراد . وبني الدفاع داخل المدينة على المنطقة مع استخدام الأبنية الحجرية على نطاق واسع . وكان أساس الدفاع هو الدفاع المضاد للدبابات ، مما أكسبه استقراراً كبيراً . واستخدمت الدبابات عند الدفاع ضمن المدينة في مجموعات صغيرة لتعزيز حاميات نقاط الاستناد ، واستخدم قسم منها ، وبخاصة المدمرة منها كنقاط نارية ثابتة . وكانت خاصية استخدام مدفعية الفرق تنحصر في استعمالها للرمي بالتسديد المباشر .

اندلعت الأعمال القتالية في اتجاه القفقاس اعتباراً من ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٤٢ ، حيث قامت قوات جبهة شمالي القفقاس ، وجبهة ما وراء القفقاس ، في المعارك الدفاعية العنيفة الدائرة ما بين الدون وسفوح سلسلة جبال القفقاس الرئيسية ، بإنهاك التجميع الألماني ، وأوقفت هجومه في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) .

وقد لعبت المعارك المنفذة في اتجاه ستالينغراد الدور الحاسم في العمليات الدفاعية التي خاضها الجيش الأحمر صيف ١٩٤٢ ، حيث أدت الخسائر الفادحة التي مُني بها الألمان على هذا الاتجاه إلى تغيّر نسبة القوى في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) لصالح القوات السوفييتية ؛ إذ بلغ مجموع ما خسرته القوات الألمانية خلال الهجوم الصيفي لعام ١٩٤٢ نحو مليون جندي وضابط و ٢٠٤٠٠ مدفع وهاون وما يزيد على ١٥٠٠ دبابة وأكثر من ٤٠٠٠ طائرة .

استمرت العمليات الدفاعية للجيش الأحمر في الحملة الصيفية ـــ الخريفية لعام ١٩٤٢ مدة ١٢٥ يوماً ، وفيها كانت أفضل تشكيلات القوات الألمانية واستنزفت دماؤها . ونتيجة للثبات المنقطع النظير الذي أبداه المقاتلون السوفييت فقد تهيأت الظروف اللازمة للانتقال إلى الهجوم العام المعاكس .

٥ ـــ ٥ ـــ تطور فن الحرب السوفييتي في الفترة الأولى من الحرب

كانت الفترة الأولى للحرب الوطنية العظمى من أحرج الفترات التي مرت على الدولة السوفييتية وقواتها المسلحة . فقد أمكن للقوات الألمانية الوصول إلى مشارف لينينغراد وموسكو ، وإلى شواطىء الفولغا

وسفوح جبال القفقاس . وخسر الاتحاد السوفييتي رقعة كبيرة من أراضيه التي كان يقطنها قبل الحرب نحو ٤٢٪ من السكان ، وكانت تنتج ثلث الانتاج الصناعي الإجمالي . ولكن بالرغم من الكوارث الكبيرة والصعوبات الهائلة فقد أوقف الاتحاد السوفييتي العدو ، وهيأ الظروف الملائمة لتحقيق الإنعطاف الجذري في الحرب ، والاستيلاء على زمام المبادرة الاستراتيجية نهائياً . وقد تمّ تنظيم اقتصاد وطني منسق وسريع التطور في البلاد . وفاق الانتاج العسكري في الاتحاد السوفييتي ، باستثناء الذخائر ، الانتاج العسكري لألمانيا .

وفي أثناء الفترة الأولى من الحرب فشلت تقديرات الهتلريين في إنشاء جبهة موحدة للدول الرأسمالية للصراع ضد الاتحاد السوفييتي . وبفضل الرؤية الثاقبة في السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي أنشىء ائتلاف قوي ضد الفاشية انضمت إليه كبرى دول العالم واحتل فيه الاتحاد السوفييتي الدور الرائد . وقد أدّى انهيار الخطط الهتلرية إلى تقهقر خطير في الوضع الدولي لألمانيا ، وزعزعة نفوذها بين حلفائها ، وإجبار تركيا واليابان على العدول عن اتخاذ موقف سافر ضد الاتحاد السوفييتي .

وما إن انقضت الفترة الأولى من الحرب حتى تعززت القوات المسلحة السوفييتية إلى حد كبير ، وأُعيد بناء تنظيمها .

ففي القوات البرية تم تعزيز فرق المشاة على نطاق واسع بالسلاح الأوتوماتي ، ووسائط الصراع المضاد للدبابات . كما دخل في تسليح القوات في عام ١٩٤٢ المدفع الجديد ٤٥ مم والمدفع الفرقي ٧٦ مم الأكثر قابلية للمناورة .

وانشئت في ربيع وصيف ١٩٤٢ فيالق وجيوش مدرعة ، وفي خريف السنة ذاتها أُنشئت فيالق ميكانيكية . وإلى جانب الدبابات (KV) و (T-34) التي أظهرت كفاءة قتالية جيدة ، أصبحت تتوارد إلى تسليح تلك الجيوش والفيالق الدبابات الخفيفة (T-70) . وفي نهاية عام ١٩٤٢ دخلت أولى نماذج المدفعية ذاتية الحركة أيضاً . كما جرى توحيد مدفعية احتياط القيادة العليا في فرق مدفعية المخرق ، وفرق مدفعية ذات سبطانة طويلة وألوية مستقلة .

كذلك انتقلت القوى الجوية إلى تشكيل فرق متجانسة : مقاتلة ، انقضاضية ، قاذفة . وازدادت سرعة الطائرات ، وسقفها ، ونصف قطر عملها ، وقدرتها على المناورة . كما ساعد الارتفاع التدريجي للتجهيز التقني للقوات السوفييتية على تحسين مستوى فن الحرب في الجيش الأحمر : الاستراتيجية ، فن العمليات ، التكتيك .

الاستراتيجية : انحصرت المهام الاستراتيجية الأساسية التي نفذت من قبل القوات المسلحة السوفييتية ، في أثناء الفترة الأولى من الحرب الوطنية العظمى ، على استنزاف العدو المهاجم وإيقافه ، والتوصل إلى تغيير الموقف ، وإنشاء الظروف لسحق الجيش الألماني الغازي . وكان النوع الأساسي للأعمال الاستراتيجية للقوات السوفييتية ، في الفترة الأولى من الحرب ، **هو الدفاع الاستراتيجي مع الانسحاب**

الاضطراري إلى عمق البلاد. ولقد طبقها الجيش الأحمر لمدة ١٢ شهراً من أصل ١٧ في ظروف الموقف العسكري ـــ السياسي غير الملائم للبلاد السوفييتية.

وجرى بناء الخطوط الدفاعية في العام ١٩٤١ من خلال خوض الدفاع، حيث بلغ العمق العام للدفاع الاستراتيجي في العام ١٩٤١ نحو ٤٠٠ كم، وفي العام ١٩٤٢ ارتفع إلى ٦٠٠ كم.

ودلّت خبرة الأعمال القتالية على أن قوى جبهة واحدة ليست كافية لحل مهام الدفاع على اتجاه استراتيجي. ووفقاً لذلك ظهر شكل جديد من أشكال العملية الدفاعية الاستراتيجية وهي عملية مجموعة الجبهات المنفذة تحت إشراف القيادة العليا.

تم الانتقال الاضطراري للقوات السوفييتية إلى الدفاع في صيف ١٩٤١ وصيف ١٩٤٢، دون وجود التجميع الدفاعي الضروري من القوى والوسائط والدفاع المحضر تحضيراً كافياً في المؤخرة العملياتية والاستراتيجية الغربية، وكانت النتيجة أن تمكنت القوات الألمانية من خرق الدفاع على عمق كبير، والوصول إلى مؤخرات قوات الجيش الأحمر المدافعة. وفي مثل هذه الظروف وجدت القوات السوفييتية نفسها مضطرة إما إلى خوض الدفاع في التطويق، أو الانسحاب إلى عمق البلاد ـــ خط دفاعي جديد. ومن خلال الدفاع الاستراتيجي استنزف الجيش الأحمر قوى العدو المهاجم، وأوقفه في نهاية الأمر بعد أن خلق المقدمات لانتقال قواته إلى الهجوم العام المعاكس.

شن الجيش الأحمر في الفترة الأولى من الحرب هجوماً عاماً معاكساً ضخماً على مشارف موسكو، وهيأ الظروف للهجوم العام المعاكس في ستالينغراد. وكان هدف الهجوم العام المعاكس إنزال الهزيمة الساحقة بتجميعات العدو الضاربة، وأخذ زمام المبادرة في إدارة الحرب؛ ولما كانت ظروف الموقف غاية في الصعوبة فقد طبقت خطة الهجوم العام المعاكس.

وتحول الهجوم العام المعاكس على مشارف موسكو إلى هجوم عام استراتيجي، وتسلم الجيش الأحمر بنتيجته زمام المبادرة الاستراتيجية. غير أن العمليات الهجومية للقوات السوفييتية لم تكن لتأخذ مداها، بسبب عدم كفاية القوى والوسائط وتشتت الاحتياطات على عدة اتجاهات.

وكان من أكبر مهام الاستراتيجية السوفييتية، مع بدء الحرب، إعداد أشكال القيادة الاستراتيجية للصراع المسلح. وبغية تنظيم القيادة المؤهلة المسلحة أنشئت هيئة القيادة العليا، وقيادات الاتجاهات. وكانت هيئة القيادة العليا توجه قيادات الاتجاهات والجبهات حيال أهداف العمليات المقبلة، وتحدد القوى والوسائط ومهام ونظام التعاون بين الجبهات والجحافل. وحتى نهاية الفترة الأولى ألغيت قيادات الاتجاهات كمستوى استراتيجي وسيط، يعقب قيادات القوات.

كانت الحلول التي جاءت بها الاستراتيجية السوفييتية للمهام الناشئة في ظروف المرحلة الأولى الصعبة من الحرب سليمة بشكل عام، الأمر الذي مهد السبيل أمام حصول انعطاف جذري في مجرى الصراع المسلح لصالح الاتحاد السوفييتي.

فن العمليات : كانت أكبر خبرة تلقاها الجيش الأحمر في مجال فن العمليات هي في أساليب تنفيذ العمليات الدفاعية على مستوى الجبهة والجيش، مع كون نسبة القوى والوسائط غير ملائمة، وتحضير العمليات في مهلة محدودة. فبسبب عدم كفاية القوى والوسائط لم يشكل في الجبهات والجيوش العمق اللازم للدفاع؛ وكانت البنية العملياتية لقوات الجبهة في الدفاع عادة على نسق واحد مع وجود احتياطات. واعتباراً من صيف ١٩٤٢ ازداد قوام الاحتياطات الجبهوية إلى حد كبير، وأضحت تستخدم، بشكل رئيسي، لشن الضربات المعاكسة.

وكانت البنية العملياتية للجيوش في الدفاع، على امتداد الفترة بكاملها، كقاعدة عامة، على نسقين مع الاحتفاظ باحتياطات، علماً بأن قوام الأنساق الثانية والاحتياطات كان يزداد أيضاً مع مرور الزمن.

وبقي عمق البنية العملياتية للجيوش، مع ذلك غير كبير، حيث بلغ وسطياً ٢٠ ــ ٢٥ كم. وفي نهاية الفترة الأولى فقط تحسنت بنية الدفاع إلا أن نطاق الدفاع الأول، على العموم، حظي بأكبر تطور. وكان النطاق الثاني يحضر في بعض القطاعات، حيث كان يوجد احتياطات، كما كانت تحضر في الجبهة مناطق مستقلة تحتلها الاحتياطات الجبهوية على عمق ٤٠ ــ ٥٠ كم، وخطوط دفاع جبهوية على بعد ٧٥ ــ ١٥٠ كم عن الحد الأمامي. وارتدى الدفاع طابعاً بؤرياً، الأمر الذي أدّى إلى قابلية الإنعزال المعروفة لبعض عناصر الدفاع، وجعل المناورة على امتداد الجبهة وفي العمق صعبة.

وكان من المسائل الهامة في تنظيم العمليات الدفاعية تكثيف قوى ووسائط الجبهات والجيوش على الاتجاهات الحاسمة، الذي كان يتوقف على فن القيادة، وتوفر الوقت، وطبيعة الأرض. وفي الأشهر الأولى من الحرب كانت قوى ووسائط القوات السوفييتية توزع بالتساوي على طول الجبهة، وفيما بعد أصبح يطبق تركيز الجهود الأساسية على الاتجاهات الرئيسية، وبفضل ذلك ارتفعت الكثافات العملياتية للقوى والوسائط حتى وصلت إلى فرقة واحدة على ١٠ ــ ١٢ كم، و١٤ ــ ١٦ مدفعاً و٣ ــ ٤ دبابات على ١ كم من الجبهة.

كذلك استحوذ تطور الدفاع المضاد للدبابات على عناية خاصة. إذ تطلبت خبرة الأيام الأولى من الحرب الاحتفاظ بالوسائل الأساسية المضادة للدبابات في منطقة الدفاع التكتيكية قريباً من حدها الأمامي؛ لذلك أنشىء الدفاع المضاد للدبابات في صيف وبخاصة في خريف عام ١٩٤١، عن طريق تركيز الوسائط المضادة للدبابات، على الاتجاهات الصالحة لمرور الدبابات، وإقامة مناطق ونقاط استناد مضادة للدبابات.

واتخذت الخطوة اللاحقة في تحسين الدفاع المضاد للدبابات في موقعة ستالينغراد، حيث اكتسبت احتياطات المدفعية المضادة للدبابات، كوسيلة للمناورة في أيدي قادة الجيوش والجبهات، أهمية كبيرة. غير أن معضلة الدفاع المضاد للدبابات لم تجد لها حلاً بالمعنى الكامل في الفترة الأولى للحرب، وذلك راجع إلى النقص في القوى والوسائط.

واكتسبت الضربات المعاكسة أهمية كبرى في مجرى العمليات الدفاعية، وبخاصة في عام ١٩٤٢، حين بدأت تتوارد إلى الجبهة الفيالق المدرعة والميكانيكية المشكّلة حديثاً.

واقتصرت الأعمال القتالية للطيران في العام ١٩٤١، بعد الخسائر الكبيرة التي مني بها، على توجيه الضربات بمجموعات صغيرة، وبالدرجة الأولى لتدمير القوات والعتاد في ميدان المعركة. واعتباراً من ربيع ١٩٤٢، حين شكلت الجيوش الجوية، أصبحتْ أعمال الطيران أكثر كثافة على الاتجاهات الحاسمة.

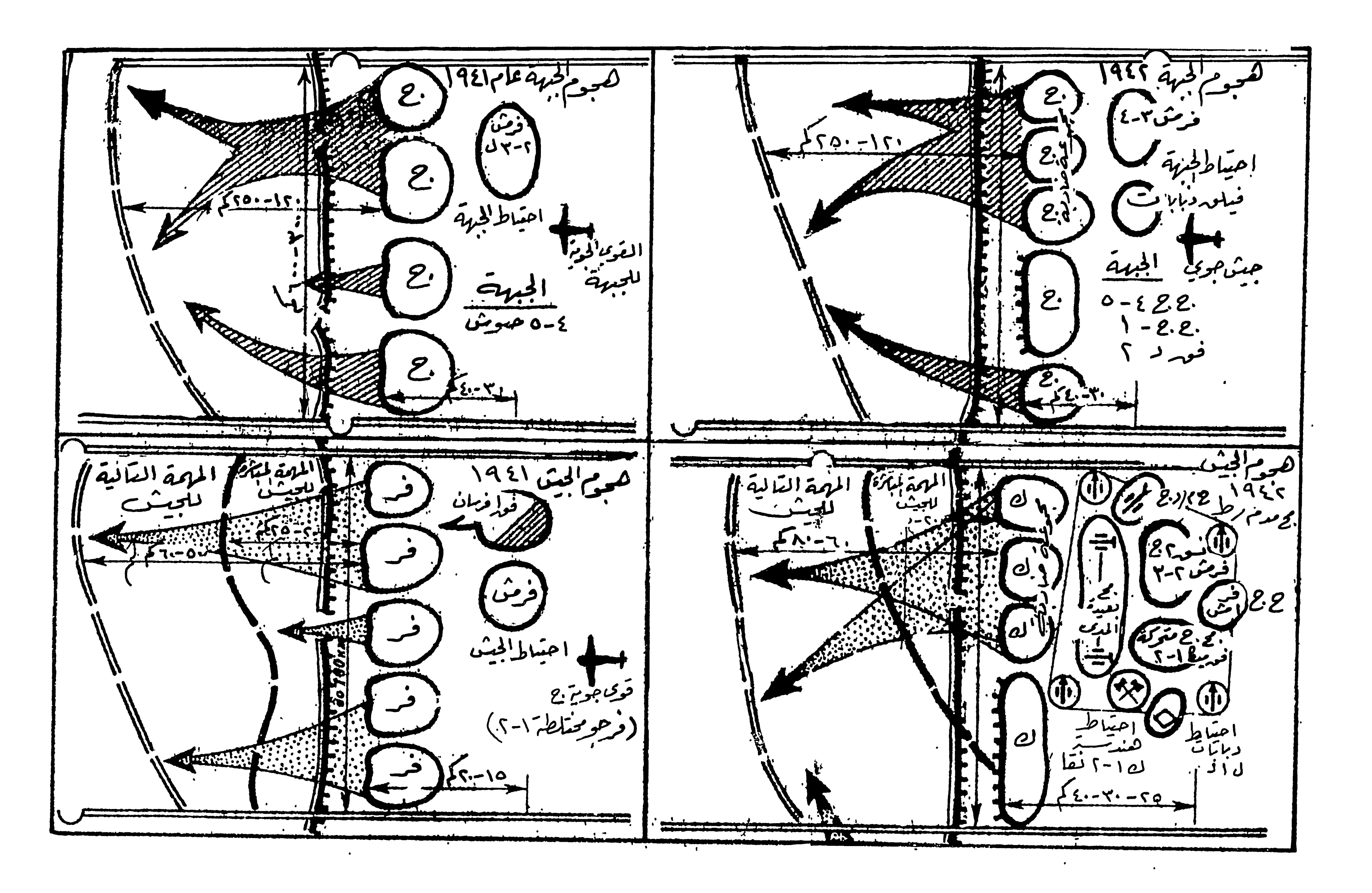
تحسن مستوى قيادة القوات طرداً مع اكتساب الخبرة القتالية. وكان مما له أهمية كبيرة إدخال المحطات اللاسلكية الشخصية الخاصة بقادة الجيوش والجبهات، وكذلك إقامة الاتصال اللاسلكي من قبل الرئيس الأقدم على مستويين أدنى.

كذلك تلقت القوات السوفييتية الخبرة في إعداد العمليات الهجومية وتنفيذها بشكل رئيسي في حملة شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢. وكانت العمليات الهجومية في أثناء الفترة الأولى من الحرب تجري عادة على جبهة واسعة. فقد وصل عرض نطاق هجوم الجبهة إلى ٣٠٠ ــ ٦٠٠ كم، والجيش ٢٠ ــ ٨٠ كم وأكثر. وكانت الجبهات والجيوش تشن الضربات، كقاعدة، على اتجاهين. وهنا لم يكن يحدد للجيوش قطاعاتِ خرق واضحة المعالم قبل كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢، الأمر الذي أدى إلى توزيع القوى والوسائط بالتساوي في نطاقات الهجوم. واعتباراً من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ بدأ إحداث مجموعات ضاربة في الجيوش؛ وفي معظم الحالات كان الخرق ينفذ على قطاع واحد، مما سمح بإمكان تكثيف القوى والوسائط على قطاعات الخرق بمزيد من الحسم (انظر الشكل رقم ٣٣).

كانت العمليات الهجومية تنفذ على عمق صغير يتراوح ما بين ١٢٠ و ٢٥٠ كم. وكانت الجيوش أيضاً تتلقى مهام متتالية مختلفة في عمقها ومضمونها. فكانت مهامها المباشرة تحدد على عمق ٢٠ ــ ٢٥ كم، والمهام اللاحقة على عمق ٣٠ ــ ٣٥ كم. وكان الإيقاع اليومي الوسطي للهجوم يتراوح ما بين ٦ ــ ٧ كم و ١٠ ــ ١٢ كم.

كذلك كانت البنية العملياتية للجبهة في العمليات الهجومية، بسبب النقص في القوى والوسائط طوال المرحلة، على نسق واحد والاحتفاظ باحتياطات كانت صغيرة في بادىء الأمر وفيما بعد أصبحت ضخمة بما فيه الكفاية. وكانت الجيوش تشكل، كقاعدة، على نسقين. واعتباراً من صيف ١٩٤٢ أصبحت تُنشأ أنساق لتطوير نجاح الجيوش قوامها فيالق مدرعة أو خيالة ومجموعات مدفعية للجيش. وبالرغم من النقص العام في وسائط المدفعية فقد بدأ اعتباراً من كانونِ الثاني (يناير) ١٩٤٢ تكثيف المدفعية على قطاعات الخرق.

وكانت القوات المدرعة للجيش الأحمر قليلة العدد في حملة شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢، واقتصرت على تنفيذ مهام تكتيكية في الهجوم عن طريق الدعم المباشر للمشاة. ومع ظهور الفيالق والجيوش المدرعة في ربيع وصيف ١٩٤٢ ازدادت الإمكانات القتالية للجيش الأحمر في خوض العمليات الهجومية؛ غير أن



(الشكل رقم ٣٣) — تطور العملية الهجومية للجبهة والجيش في مرحلة الحرب العالمية الثانية.

القوات السوفييتية لم تكن تملك الخبرة في استخدام مثل هذه التشكيلات والجحافل المتحركة ، لذلك كانت أعمال التشكيلات المدرعة قليلة النجاح في العديد من عمليات صيف ١٩٤٢ .

كما كان تحسين الاستخدام القتالي للطيران في الهجوم والدفاع على حد سواء يتصف بتكثيفه على الاتجاهات الحاسمة وبمركزية القيادة . وقد أدّى توحيد الطيران ضمن جيوش جوية إلى عدم تشتيت جهوده .

وعلى العموم كان تطور طرق خوض العمليات الهجومية للجبهة والجيش يعود إلى بعض الزيادة في عمق عملية الجيش وارتفاع إيقاعات الهجوم . وكان مما له أهمية كبرى هنا الانتقال إلى العمل بالمجموعات الضاربة وتنظيم الهجوم المدفعي وتنفيذ عناصر الهجوم الجوي . وان وجود مجموعات مدفعية قوية وكذلك فيالق مدرعة تحت تصرف قادة الجيوش سمح لها في نهاية الفترة الأولى من الحرب بممارسة تأثير قوي على تطور العملية .

التكتيك : كانت متطلبات أنظمة قتال ما قبل الحرب في مجال التكتيك سليمة بشكل عام ، فيما يختص بتنظيم وتنفيذ الأعمال القتالية ، إلا أنها لم تجد لها تطبيقاً لائقاً في غالب الأحيان في الموقف الناشىء في الفترة الأولى من الحرب ؛ ذلك لأن القوات السوفييتية خاضت المعارك في بداية الحرب في ظروف تفوق العدو في وسائط الصراع التقنية دون أن تكون لديها الخبرة القتالية اللازمة .

وكان النقص في القوى والوسائط يملي على القوات السوفييتية قبل كل شيء ضرورة تنظيم الدفاع على جبهة واسعة . فكانت فرق المشاة تخوض المعارك الدفاعية في بداية الحرب ضمن نطاقات حتى ٢٥ كم وأكثر ؛ لذلك ارتدى دفاع القطاعات والتشكيلات طابعاً بؤرياً ولم يكن له عمق . وهناك حالات وزعت فيها القوى والوسائط خطياً بالجبهة بكثافات تكتيكية منخفضة .

وأثناء المواقع التي حدثت في خريف ١٩٤١ تحسن مستوى تنظيم الدفاع وازداد صموده وانخفض عرض نطاق دفاع الفرقة في المعارك الدفاعية على مشارف موسكو إلى ١٠ ــ ١٥ كم . فقد وصل عمق منطقة الدفاع التكتيكية المؤلفة من نطاق دفاعي واحد إلى ٤ ــ ٦ كم . وطرأ بعض التحسن على الأوضاع في عام ١٩٤٢ حينما بدأت القوات بتلقي المزيد من العتاد . فأصبحت الفرق تتشكل ، كقاعدة ، على نسقين وتنشىء احتياطاً عاماً واحتياط دبابات واحتياطاً مضاداً للدبابات ومجموعات مدفعية أكثر قوة (انظر الشكل رقم ٣٤) .

لم يكن دفاع الفرق والأفواج متواصلاً ، فقد كان ينشأ على مبدأ قطيعات دفاع الكتائب التي كان يترك بينها فواصل غير مشغولة بالقوات . وأدى عدم وجود الخنادق في بداية الحرب إلى جعل المناورة صعبة للغاية في مجرى المعركة . واعتباراً من ملحمة موسكو أصبح يُنشأ في بعض القطاعات خندق أول متواصل على الحد الأمامي للدفاع . لكن الخنادق لم تلقَ ، على كل حال ، استخداماً واسعاً في الفترة الأولى . ولم تكن منطقة الدفاع التكتيكية ذات عمق كاف ، كذلك لم يكن فيها منظومة دفاع متناسقة ضد الدبابات ، كما أن المواضع في العمق لم تكن متطورة بما فيه الكفاية .

وقد سمحت الخبرة القتالية للمرحلة الأولى من الحرب بكشف عيوب جوهرية في تنظيم المعركة

(الشكل رقم ٣٤) — تطور دفاع فرقة المشاة في الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية.

الهجومية في القوات السوفييتية ، وكشف أحكام وبنود أنظمة قتال ما قبل الحرب التي أصبحت لا تتماشى والظروف المستجدة ، كما سمحت برسم الطريق لتحسين تكتيك الهجوم .

تلقت قطعات وتشكيلات الجيش الأحمر باكورة خبراتها في الأعمال الهجومية الواسعة في فترة الهجوم العام المعاكس على مشارف موسكو ، حينما لم يكن دفاع العدو عميقاً وكان على عَجَل . وكان عرض نطاقات الهجوم يتراوح وسطياً ما بين ٥ ــ ٦ كم و ١٠ كم . وكانت مهام الفرق توضع على عمق من ٥ ــ ٧ حتى ٨ ــ ١٢ كم ، وفي بعض الحالات أكثر من ذلك أي حتى ٢٠ كم .

واعتباراً من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ازداد عمق دفاع القوات الألمانية مما أدّى إلى تضييق نطاق هجوم الفرقة حتى ٣ ــ ٤ كم وتغيير عمق المهام القتالية . إلا أنه بالنظر لعدم كفاية وسائط الإبطال فإن تنفيذ هذه المهمة كان يحتاج عملياً في معظم الأحيان إلى عدة أيام .

ازدادت الكثافات التكتيكية التي لم تتجاوز في هجوم موسكو ١ ــ ٢ كتيبة و٢٠ ــ ٣٠ مدفعاً وهاوناً و٢ ــ ٣ دبابات على ١ كيلو متر من الجبهة ازدياداً ملحوظاً ، وبلغت ٢ ــ ٤ كتائب و٣٠ ــ ٩٠ مدفعاً وهاوناً و١٠ ــ ١٤ دبابة على كيلو متر واحد من الجبهة .

كان ترتيب قتال الوحدات والقطعات والتشكيلات حسب أنظمة قتال ما قبل الحرب يُبنى على أنساق عميقة ، مما أدّى إلى عدم اشتراك القسم الأعظم من القوات في الهجوم ، وتقادم العهد على أحكام أنظمة القتال المتعلقة بتقسيم ترتيب القتال إلى مجموعة ضاربة ومجموعة مثبتة ، ومكان وجود قادة الوحدات في المعركة . لذا ، فقد أدخلت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٢ بنية النسق الواحد للقوات من مستوى السرية حتى الفرقة ضمناً ، مع الاحتفاظ في الاحتياط بنسبة لا تتجاوز تسع القوى . وبالنسبة للجماعة والفصيلة أُدخل نسق المشاة حيث يجب على القادة أن يتواجدوا خلف تراتيب قتال قواتهم في مكان يستطيعون منه رصد ميدان المعركة وقيادتها .

ومن الخطوات الهامة التي خطاها تكتيك استخدام المدفعية إلى الأمام ، الانتقال إلى الهجوم المدفعي الذي يسمح بحشد تجميع مدفعي قوي في منطقة الخرق ، لدعم المشاة والدبابات ، خلال فترة خرق الدفاع بالكامل ، وتأمين مرافقتها عند القتال في العمق . لكن مع ذلك كانت قيادة المدفعية تصبح في كثير من الأحيان لا مركزية مع بدء الهجوم ، وتنتقل تبعية القسم الأعظم من المدفعية إلى وحدات المشاة ، مما خفض من فعالية استخدامها .

كانت الدبابات المخصصة لتعزيز فرق المشاة تستخدم للدعم المباشر للمشاة . فقد شكلت في الفترة الأولى للحرب كثافات مختلفة من الدبابات تتراوح ما بين ٣ و ١٣ دبابة في ١ كم من الجبهة . وكان في استخدام دبابات الدعم المباشر للمشاة في العام ١٩٤١ نقائص جوهرية أهمها : تجزئة قطعات الدبابات وسوء تأمينها من الناحيتين المدفعية والهندسية . وبالنتيجة تكبدت قطعات الدبابات خسائر كبيرة .

وبانتهاء الفترة الأولى من الحرب لم يزدد عدد الدبابات فحسب ، بل تراكمت الخبرة القتالية اللازمة

أيضاً . فقد طالبت القيادة السوفييتية باستخدام ألوية وكتائب الدبابات في المعركة بالقوام الكامل ، وبتعاون وثيق مع المشاة والمدفعية والطيران ، دون السماح بزج الدبابات في المعركة إلا بعد إجراء استطلاع مسبق .

وكان استخدام الطيران لحل المهام التكتيكية في العام ١٩٤١ محدوداً ، إلا أنه وسع من عمله لصالح المعركة المشتركة بدءاً من ربيع ١٩٤٢ حين ازداد عدد الطائرات . وغدا الطيران المقاتل يساهم في أكثر الأحيان في تغطية التشكيلات المهاجمة من الجو ، الأمر الذي ساعد إلى حد كبير على نجاح الأعمال القتالية .

وفي نهاية الفترة الأولى من الحرب خلقت القوات السوفييتية الظروف اللازمة لتحقيق الإنعطاف الجذري في مجرى الحرب الوطنية ، بل والحرب العالمية الثانية كافة ، لصالح الاتحاد السوفييتي والقوى التقدمية في العالم أجمع .



فن الحرب السوفييتي في المرحلة الثانية من الحرب الوطنية العظمى ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣

«... إن ملحمة ستالينغراد الشهيرة، أظهر فيها الجيش الأحمر البطولات الخارقة، والفن العسكري الرفيع، التي لم يعرف تاريخ الحروب لها مثيلاً من قبل، فقد حقق الجيش الأحمر النصر المؤزر في هذه الملحمة....، وكان ذلك بدايـــة لانعطـــاف جذري هام في الحرب العالمية ككل».

ل . ي . بريجنيف
النهج اللينيني، المجلد الأول،
صفحة ١٢٦



امتدت المرحلة الثانية للحرب الوطنية العظمى لمدة تزيد عن ثلاثة عشر شهراً، أي من ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ حتى نهاية عام ١٩٤٣. وقامت القوات المسلحة السوفييتية خلال هذه المرحلة بحملتين هجوميتين: الحملة الشتوية ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٣، والحملة الصيفية ـــ الخريفية عام ١٩٤٣. إلا أن الأحداث الهامة التي شهدتها المرحلة الثانية للحرب كانت تتمثل في الهجوم المعاكس الذي شنته القوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد، وملحمة كورسك، وعمليتي اريول، وبيلفورود ـــ خاركوف الهجوميتين، وكذلك في الهجوم الاستراتيجي العام على الاتجاهين الأوسط، والجنوبي ـــ الغربي.

٦ ـــ ١ ـــ الموقف السياسي العسكري في بداية المرحلة الثانية للحرب

حتى منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ كان الموقف على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية لا يزال على حالته السابقة من التوتر الشديد. ففي الشمال كان العدو يحاصر لينينغراد، وفي الوسط كانت قوات العدو على مسافة ١٥٠ ـــ ٢٠٠ كم عن موسكو العاصمة، وفي الجناح الجنوبي للجبهة استولى العدو على حوض الفحم الحجري في منطقة دونيتز، كما استولى على المناطق الزراعية الغنية في منطقتي الدون وكوبان، وعلى المناطق الهامة من شمال القفقاس.

كان ذلك بمثابة خسائر باهظة تثقل كاهل الاتحاد السوفييتي في تلك الحرب الضروس، بيد أن نجاحات القوات الألمانية كانت مجرد انتصارات مؤقتة فقط. فالشعب السوفييتي استطاع في نهاية عام ١٩٤٢ ومطلع عام ١٩٤٣، أن يبني اقتصاداً عسكرياً متكاملاً ومتنامياً بسرعة، وأن يحقق تحسينات كبيرة في عمل المؤسسات الصناعية، وفي مجال الاقتصاد الزراعي أيضاً. وأصبحت المؤخرة السوفييتية قادرة على تأمين الجبهة بكل ما تحتاج إليه، لانتقال الجيش الأحمر إلى الهجوم الحاسم بهدف سحق العدو.

ومما ساعد، إلى حد كبير، في زيادة الإنتاج الحربي، هو أن المؤسسات الصناعية الهامة التي انتقلت

إلى المناطق الشرقية من الاتحاد السوفييتي ، أصبح في مقدورها تقديم إنتاجها من الأسلحة والمعدات بمقدار الضعفين أو ثلاثة الأضعاف ، عما كانت تنتجه من قبل في مناطق عملها السابقة . وبالمقارنة مع عام ١٩٤١ نجد أن إنتاج الأسلحة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٢ ازداد على النحو التالي :

الطائرات ــ ٨ر١ ضعف ، الدبابات ــ ٢ ضعفان ، المدافع ــ ١ر٢ ضعف ، مدافع الهاون الثقيلة ــ ٥ر٥ أضعاف . كما أن صناعة الذخائر ازداد حجمها بمقدار ضعفين ــ ثلاثة أضعاف . ويبين الجدول (رقم ١٣) معطيات مقارنة بين الانتاج الحربي في الاتحاد السوفييتي وفي ألمانيا الهتلرية عام ١٩٤٢ .

(الجدول رقم ١٣)

إنتاج الأنواع الأساسية عام ١٩٤٢ م

أنواع الأسلحة	الاتحاد السوفييتي	ألمانيا (مع حلفائها)
الطائرات	أكثر من ٢٥٠٠٠	١٤٧٠٠
الدبابات	أكثر من ٢٤٠٠٠	٩٣٠٠
المدافع ٧٥ م فما فوق	أكثر من ٣٣٠٠٠	أكثر من ١٢٠٠٠
مدافع هاون ٨٢ م و١٢٠ م	أكثر من ١٢٥٠٠٠	١٠٠٠٠
بنادق	أكثر من ٤ ملايين	٢٤ر٢ مليون
بنادق آلية	أكثر من ٥ر١ مليون	٤٣٥٠٠٠

تبين معطيات الجدول (رقم ١٣) بأن الصناعة الحربية للاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٢ تفوقت على الصناعة الحربية في ألمانيا الفاشية ، في إنتاج كافة الأنواع الأساسية للأسلحة . أما في مجال الزراعة فقد ازدادت حتى خريف العام ١٩٤٢ المساحات المزروعة في الاتحاد السوفييتي بمقدار ٧ر٣ مليون هكتار ، كما استخدمت الوسائط الفنية على نطاق واسع ، وازدادت المحاصيل الزراعية ، ومنها الحبوب بصورة خاصة . وبنتيجة ذلك فإن الشعب السوفييتي وقواته المسلحة لم يتمكنا من اجتياز هذه المرحلة العصيبة من المعارك الدفاعية بصمود وإصرار فحسب ، بل تمكنا من تحقيق التفوق الكمي والنوعي على العدو أيضاً .

وبغض النظر عن احتلال مناطق واسعة من أراضي الاتحاد السوفييتي ، فإن نهاية عام ١٩٤٢ تميزت ، بالنسبة لألمانيا الفاشية ، بوضع اقتصادي ، وسياسي ، وعسكري سيّيء .

لقد ازداد الوضع العسكري لألمانيا الفاشية سوءاً نظراً لفشل الخطط الاستراتيجية التي وضعت لحملة عام ١٩٤٢ الصيفية. ففي أثناء العمليات الدفاعية انهارت كافة الأفكار التي رسمتها القيادة العامة الألمانية على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية، كما ضعفت التجميعات الألمانية الضاربة واتسعت جبهة هجومها إلى حد كبير، ولم يبقَ لدى هتلر احتياطات عملياتية كافية. ففي مثل هذا الموقف كانت ألمانيا الفاشية تحتاج إلى وقت طويل من أجل تعزيز قواتها واستكمالها بالأسلحة والأعتدة القتالية، ولتكديس الاحتياطات الضرورية لمواصلة الهجوم.

إن انهيار الخطط الهتلرية في جنوب الجبهة السوفييتية ــ الألمانية أدّى إلى تعزيز نضال الشعوب في البلدان المستعبدة من أوروبا ضد النظام الفاشي، كما أدّى ذلك إلى زعزعة قوة ألمانيا وهيبتها في نظر حلفائها. وبالتالي فقد أدى ذلك إلى ازدياد الوضع السياسي سوءاً بالنسبة لألمانيا الفاشية.

وعلى الرغم من ذلك، فإن القوات المسلحة السوفييتية كانت لا تزال تواصل خوض الصراع في شروط بالغة الصعوبة والتعقيد. فالجيش الألماني الذي اكتسب الخبرات الواسعة في خوض الأعمال القتالية، وحقق الانتصارات الكبيرة في عامي ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ كان لا يزال يشكل قوة رهيبة لا يُستهان بها. وحتى الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ كان لدى القيادة العامة الألمانية على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية ٢٢٦ فرقة، أي ما يعادل ٧٣٪ من قواتها. وهذا يشكل دليلاً قاطعاً على أن الاتحاد السوفييتي لعب الدور الحاسم في الصراع ضد المحتلين الألمان الفاشيين.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الاتحاد السوفييتي وجيشه الأحمر كانا يواصلان الصراع ضد الحلف الهتلري وجهاً لوجه. فعلى الرغم من الالتزامات التي أخذتها على نفسها، لم تحرك الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بريطانيا ساكناً إزاء هذا الوضع، ولم تعمل على فتح الجبهة الثانية في أوروبا، مع العلم أن كافة الشروط اللازمة لذلك كانت متوفرة، ومن بينها: أن الجيش الأمريكي بلغ تعداده ٢ر٢ مليون رجل، كما بلغ تعداد الجيش البريطاني ٤ ملايين رجل، وكانت المؤسسات الصناعية في كلتا الدولتين تنتج ٧٤ ألف طائرة و٣٥ ألف دبابة وعدداً كبيراً من السفن الحربية والتجارية الجديدة. إن ذلك كله يؤكد كذب ادّعاءات الدوائر الحاكمة في أمريكا وبريطانيا حول عدم جاهزيتها لفتح الجبهة الثانية في أوروبا. إذ إن غياب الجبهة الثانية عن مسرح أوروبا الغربية سمح للقيادة الهتلرية بنقل ٦٧ فرقة إلى الجبهة السوفييتية ــ الألمانية، وبتنظيم ١٦ تشكيلاً جديداً. ويبين الجدول (رقم ١٤) تعداد تجميع قوات الطرفين في بداية الحملة الشتوية عام ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣.

يتضح لنا من معطيات الجدول (رقم ١٤) أن تفوق الجيش الألماني في القوى والوسائط على القوات السوفييتية لتلبية الاحتياجات العسكرية، خلق الأساس المادي المتين لتحقيق ذلك الإنعطاف الجذري في مجرى الحرب.

في بداية المرحلة الثانية كانت التجميعات الكبيرة من كلا الطرفين، والعاملة على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية متمركزة (منتشرة) على اتجاهين هامين: اتجاه موسكو، واتجاه ستالينغراد. فالجيش

الألماني استنفد كافة إمكاناته الهجومية دون أن يحقق هدف الهجوم الذي كان يحلم به، عندها اضطر للانتقال إلى الدفاع بهدف التمسك بالأراضي المحتلة، واستعوض الخسائر التي مُني بها، وخلق الشروط المواتية لمواصلة الهجوم في ربيع عام ١٩٤٣.

أما القيادة العامة العليا للقوات السوفييتية فقد اتخذت قرارها لسحق الجناح الجنوبي للجبهة الألمانية الفاشية في شتاء ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٣، والقيام، في الوقت نفسه، بعدد من العمليات الهادفة إلى تحسين الوضع الاستراتيجي لكل من موسكو ولينينغراد (انظر الشكل رقم ٣٥ ـــ سير الأعمال القتالية في المرحلة الثانية للحرب الوطنية العظمى، تشرين الثاني ١٩٤٢ ـــ كانون الأول ١٩٤٣). وكان الهدف النهائي لهذه العمليات ينحصر في خلق الشروط المناسبة للقيام بعمليات هجومية جديدة وعلى نطاق واسع من قبل الجيش الأحمر.

(الجدول رقم ١٤)

تعداد القوات على الجبهة السوفييتية ـ الألمانية
حتى النصف الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)
عام ١٩٤٢م

حجم القوات والأعتدة

الأطراف المتحاربة	رجـال (مليون)	مدافع هاون	دبابات ومدافع اقتحام	طائرات
الاتحاد السوفييتي	٦ر٦	٧٧٨٠٠	٧٣٥٠	٤٥٤٤
ألمانيا	٢ر٦	٥١٧٠٠	٥٠٨٠	٣٥٠٠
نسبة قوى الطرفين	١٠٦ر١ إلى ١	٥ر١ إلى ١	٤ر١ إلى ١	٣ر١ إلى ١

٦ ـــ ٢ ـــ الهجوم المعاكس للقوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد

في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ كانت قد تشكلت الشروط العسكرية المواتية لسحق العدو في الجناح الجنوبي للجبهة السوفييتية ـــ الألمانية التي حاولت الاستيلاء على مصادر النفط في القفقاس، وعلى منطقة الفولغا السفلى، والتي تكبدت خسائر فادحة وفقدت إمكاناتها الهجومية، وأصبحت منتشرة على جبهة عريضة جداً. وبالإضافة إلى ذلك فإن القيادة الهتلرية كانت قد ارتكبت خطأ استراتيجياً كبيراً في تقييم الموقف، عندما اعتقدت بأن الجيش الأحمر لا يمتلك القوى والوسائط الكافية، ولا يستطيع القيام بعمليات هجومية على نطاق واسع في الجنوب، وخلال الوقت القريب.



(الشكل رقم ٣٥) ـــ السير العام للأعمال القتالية في المرحلة الثانية من الحرب.

بعد أن قدرت القيادة السوفييتية الموقف المتشكل تقديراً صحيحاً، أعدت خطة الأعمال لشتاء ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٣ . وكان الهدف من وراء ذلك : القيام بأعمال هجومية وفعّالة لإحداث انعطاف حاسم في مجرى الحرب، وانتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من أيدي الألمان والبدء بدحر المعتدي إلى ما وراء حدود الاتحاد السوفييتي، بعد تحطيم أحد التجمعين الكبيرين للقوات الهتلرية العاملة في منطقة ستالينغراد .

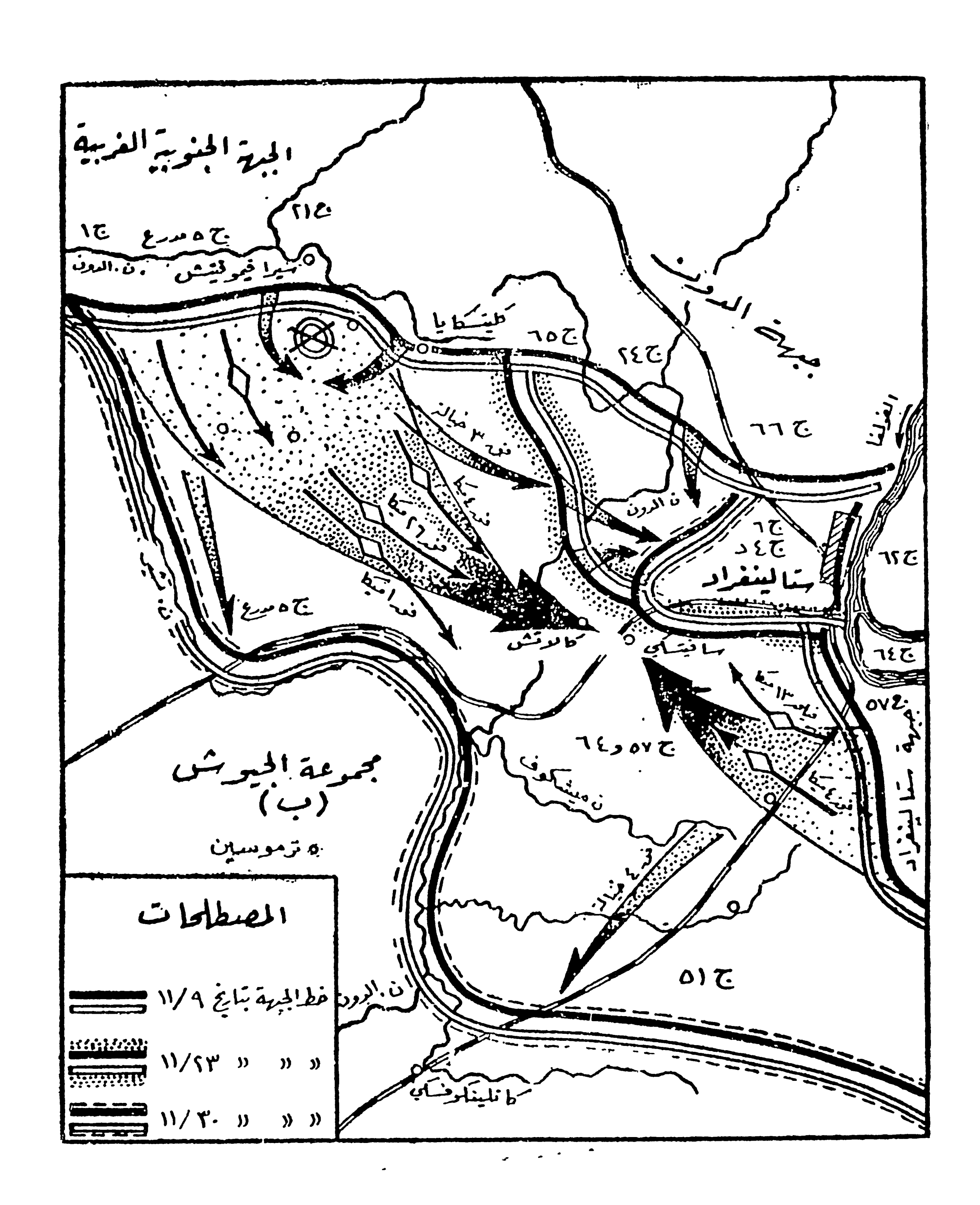
لقد انحصرت فكرة الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد في القيام بضربات قوية من رؤوس الجسور على الضفة اليمنى لنهر الدون ومن منطقة البحيرات جنوبي ستالينغراد، لتحطيم مجنبات التجميع المعادي، التي تدافع عنها قوات رومانية ضعيفة معنوياً، وغير واثقة من نفسها، وأقل كفاءة قتالية من القوات الألمانية . ومن ثم تطوير الهجوم على الاتجاهات المتلاقية نحو مدينة كالاتش، لتطويق وتدمير القوات الرئيسية للعدو العاملة في منطقة ستالينغراد (انظر الشكل رقم ٣٦) .

وفي أثناء التخطيط للهجوم المعاكس تقرر أيضاً تشكيل جبهتي تطويق داخلية وخارجية . فالجبهة الداخلية شكلتها فيالق الدبابات، والفرسان، والفيالق الميكانيكية، التي كان يجب عليها، خلال هجومها على اتجاه الضربات الرئيسية للجبهات، أن تنهي تطويق التجميع الرئيسي للقوات الألمانية . أما تشكيلات المشاة والفرسان فقد خُصصت لتشكيل جبهة التطويق الخارجية .

وفي هذه المنطقة كان يقف في مواجهة التجميع الألماني ثلاث جبهات سوفييتية هي : الجبهة الجنوبية ـــ الغربية، جبهة الدون، وجبهة ستالينغراد . وكانت قوات الطرفين في بداية الهجوم المعاكس ذات نسب متساوية تقريباً من حيث تعداد الرجال، مع وجود تفوق على العدو بالدبابات بمقدار ٤ر١ ضعف، وبالمدفعية والهاون ٣ر١ ضعف، وبالطيران ١ر١ ضعف . وبهذه النسب فقط استطاع الفن العسكري الرفيع لدى القادة السوفييت أن يؤمن النجاح في خوض العمليات الجريئة والرائعة لتطويق التجميع المعادي الكبير . ولقد تميزت خطة الهجوم المعاكس للقوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد، بالفكرة الاستراتيجية الجريئة، وبحسمية الأهداف وبالأبعاد الكبيرة للأعمال العسكرية . وتقرر أن تكون البنية العملياتية للجبهات على نسق واحد، وللجيوش الميدانية المشتركة على نسقين ـــ كقاعدة عامة . لقد استطاعت الجبهات السوفييتية أن تخرق دفاع العدو على قطاعين أو ثلاثة قطاعات بينما خرق الجيش على قطاع واحد بعرض يتراوح بين ٦ر١٦ كم . أما عرض نطاق هجوم الجبهة فقد تراوح بين ٨٥ و ١٨٠ كم، وبلغ عمق العملية ٦٠ ـــ ١٤٠ كم . كما عملت الجيوش المشتركة في نطاق عرضه يتراوح بين ٣٥ و ١١٠ كم، وبمهام عمقها حتى ٥٠ ـــ ٦٠ كم أو ١١٠ ـــ ١٤٠ كم . والجدير بالذكر أن وتائر الهجوم كانت تتراوح بين ٢٥ و ٤٥ كم في اليوم .

ويبين لنا الجدول (رقم ١٠٥) الكثافات الوسطية بالقوى والوسائط على قطاعات الخرق .

إن الحشد الكبير للقوى والوسائط ساعد على إيجاد التفوق بالقوى والوسائط على اتجاهات الضربات الرئيسية للجبهات والجيوش بمقدار الضعف أو ثلاثة الأضعاف .



(الشكل رقم ٣٦) ـــ الهجوم المعاكس للقوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد.

(الجدول رقم ١٥)

الكثافات الوسطية بالقوى والوسائط على قطاعات الخرق
أثناء الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد على واحد كم

	عرض نطاق الهجوم (كم)	عرض قطاع الخرق (كم)	في كامل النطاق	على قطاع الخرق	مدافع وهاون على ١ كم من قطاع الخرق	دبابات على ١ كم من قطاع الخرق
الجبهة الجنوبية الغربية :						
جيش الدبابات الخامس	٣٥	١٦	٦	٤ر٥	٦٨	١٣ / ٣٧
الجيش الحادي والعشرون	٤٠	١٢	٦ر٦	٤ر٢	٦٢	٥ / ٢٥
جبهة الدون :						
الجيش الخامس والستون	٨٠	٦	٩	١ر٥	٧١ر٥	١٥
جبهة ستالينغراد :						
الجيش الرابع والستون	٣٦	١٢	٥	٤	٤٧	٣ — ٤
الجيش السابع والخمسون	٣٥	١٥	١٤	٦	٣٣	٦ / ١٢
الجيش الحادي والخمسون	١١٠	١٢	٢٤	٦	٣٠	٣ / ١٢

ملاحظة :

١ — في كثافات المدفعية لم تحسب القواعد الصاروخية .
٢ — في الصورة تبين كثافة دبابات الدعم المباشر للمشاة ، وفي المخرج الكثافة العملياتية للدبابات .

في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ انتقلت قوات الجبهتين : الجبهة الجنوبية — الغربية ، وجبهة الدون ، إلى الهجوم ؛ وفي العشرين من الشهر نفسه بدأت جبهة ستالينغراد أعمالها النشطة . وبغية تأمين هجوم المشاة والدبابات كانت القوات السوفييتية أول من عمل على تحضير الهجوم المدفعي وتنفيذه على نطاق واسع . فقد تشكل هذا الهجوم من طورين : طور التمهيد المدفعي الشديد ، وطور دعم الهجمة بطريقة رمي التركيز المتتابع . وفي ضواحي ستالينغراد استخدمت ولأول مرة من

جانب الجيش الأحمر، القوات المدرعة الكبيرة التي تشتمل على فيالق دبابات، وميكانيكية، وعلى جيش الدبابات الخامس الذي كان يعمل في النسق الأول، وعلى اتجاه الضربة الرئيسية للجبهة الجنوبية ــ الغربية.

في نهاية اليوم اجتازت القوات المتحركة مسافة ٢٠ ــ ٣٥ كم. وفي اليوم الثاني للهجوم المعاكس تمّ إنجاز خرق دفاع التجميع الألماني بالكامل، وأصبح بإمكان القوات السوفييتية العاملة في الجبهات الثلاث تطوير الهجوم في العمق العملياتي. واستطاعت فيالق الدبابات والفيالق الميكانيكية التقدم إلى الأمام مسافة تتراوح بين ٥٠ ــ ٧٠ كم في بعض الأيام، بعد أن صدّت الهجمات المعاكسة للقوات الهتلرية، ونفذت المناورة بجرأة ومهارة. ان مبادرة ورجولة وبسالة الجنود السوفييت، والمهارة المتزايدة للضباط، والإمكانات في مجال قيادة الأعمال القتالية، كل ذلك مكّن القيادة السوفييتية من إحكام الطوق في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢، في منطقة خوتور سوفيتسكي، حيث تم اللقاء التاريخي بين قوات الجبهة الجنوبية ــ الغربية وجبهة ستالينغراد.

وهكذا فقد تمكنت القوات السوفييتية، خلال المرحلة الأولى من العملية، من تطويق تجميع ضخم للقوات الألمانية، يضم في قوامه ٢٢ فرقة و١٦٠ قطعة مستقلة يبلغ تعدادها ٣٣٠ ألف رجل بين جندي وضابط. إلا أن قوات الدون لم تتمكن من عزل قوات العدو في منطقة الرافد الأصفر لنهر الدون، مما أدّى إلى انسحاب بعض القطعات الألمانية التي التحقت بالتجميع الرئيسي العامل في ضواحي ستالينغراد بصورة مباشرة.

لقد استمرت المرحلة الثانية للعملية من الأول من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٢ وحتى التاسع من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣. وانحصرت هذه المرحلة في تطوير الهجوم المعاكس للجيش الأحمر، وإحباط محاولات العدو الرامية إلى تحرير التجميع المطوق. ومن أجل فك الحصار عن القوات المطوقة واستعادة الوضع السابق، قامت بتحريك احتياطاتها من القطعات الأخرى للجبهة ومن أوروبا الغربية، حيث شكلت من هذه الاحتياطات مجموعة جيوش «الدون» بقوام نحو ثلاثين فرقة مع ٦٥٠ دبابة.

وتمكنت القوات الهتلرية، بعد أن انتقلت إلى الهجوم في الثاني عشر من كانون الأول (ديسمبر) بغية خرق جبهة التطويق الخارجية، من دحر القوات السوفييتية والاقتراب من التجميع المطوق في ستالينغراد حتى مسافة ٦٠ كيلو متراً، إلا أنها لم تستطع التقدم أكثر من ذلك لأنها أوقفت تماماً على هذا البعد.

في هذا الوقت بالذات، كانت القيادة السوفييتية قد أعدت العدة لهجوم قوات الجبهة الجنوبية ــ الغربية، وجبهة فرونيج الذي بدأ في السادس عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٢. واستطاعت قوات هاتين الجبهتين، خلال ثلاثة أيام، أن تحطم الجيش الايطالي الثامن، وبقايا الجيش الروماني الثالث. وبذلك فقد العدو كل قدرة له على المقاومة المنظمة، تحت تأثير ضربات الفيالق المدرعة والميكانيكية السوفييتية، وبدأ انسحابه غير المنظم باتجاه الجنوب والجنوب ــ الغربي. إن الهجوم الناجح الذي قامت به الجبهة الجنوبية ــ الغربية، والدفاع الصامد لقوات جبهة ستالينغراد، أرغما القوات المعادية في الثالث والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) على الكف عن محاولاتها الرامية إلى فك

حصار التجميع المطوق. وهكذا أصبح خط الجبهة بعيداً عن ستالينغراد لمسافة تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ كيلو متراً. وقد مكّنت هذه الشروط المستجدة الجيش الأحمر من الاستعداد للقضاء نهائياً على التجميع المعادي المطوق.

امتدت المرحلة الثالثة لعملية ستالينغراد من ١٠ كانون الثاني (يناير) حتى الثاني من شباط عام ١٩٤٣. وكان الهدف من هذه المرحلة ينحصر في تدمير القوات الألمانية التي وقعت في الطوق. ففي مطلع شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣ تقلص عدد هذه القوات نتيجة للخسائر التي منيت بها خلال المعارك السابقة، وانخفض هذا العدد من ٣٣٠ إلى ٢٥٠ ألف رجل، إلا أن هذا التجميع كان ما يزال قوياً، لأنه كان لا يزال يمتلك في قواته حتى ٣٠٠ دبابة و ٤١٠٠ مدفع وهاون.

ومنعاً لسفك الدماء، عرضت القيادة السوفييتية في الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣ على العدو المطوق الاستسلام مع مراعاة شروط وبنود المعاهدات الدولية التي تنص على ذلك. إلا أن القيادة الهتلرية كانت تتجاهل الموقف الحقيقي المتشكل، وتعتقد بأن القوات المطوقة في ضواحي ستالينغراد لا تزال قادرة على تثبيت قوات سوفييتية كبيرة ومشاغلتها لمدة طويلة، لذلك رفضت عرض الاستسلام هذا.

في صبيحة العاشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣، شرعت قوات جبهة الدون باستئصال شأفة التجميع المعادي المطوق. وفي نهاية الشهر المذكور، آنفاً، تم شطر التجميع الألماني إلى نصفين، وفي الثاني من شهر شباط (فبراير) تمّ القضاء عليه بصورة نهائية. وفي هذا اليوم التاريخي المشهود انتهت ملحمة ستالينغراد. فقد أسرت القوات السوفييتية ٩١ ألف رجل وعلى رأسهم الفيلد مارشال باولوس وأربعة وعشرين جنرالاً آخرين.

لقد كان القضاء على ذلك التجميع الألماني القوي حدثاً عسكرياً هاماً. لأن تاريخ الحروب لم يعرف حتى ذلك التاريخ مثيلاً لذلك التجميع من القوات، المزوّدة بأحدث الأعتدة القتالية والتي يمكن تطويقها وإبادتها عن بكرة أبيها. فمن ساحة المعركة تمّ جمع ودفن أكثر من ١٤٧ ألف جندي وضابط ألماني. كما أن القوات السوفييتية استطاعت خلال الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد أن تدمر ٣٢ فرقة وثلاثة ألوية للعدو، وتلحق الخسائر الجسيمة بست عشرة فرقة أخرى. وخسر الهتلريون في ضواحي ستالينغراد، خلال الفترة ما بين ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ و ٢ شباط (فبراير) عام ١٩٤٣، أكثر من ٨٠٠ ألف رجل، ونحو ٢٠٠٠ دبابة وحتى ٣٠٠٠ طائرة وأكثر من ١٠ آلاف مدفع هاون.

إن تطويق وإبادة جيش قوامه ٣٣٠ ألف رجل كان بالنسبة لألمانيا الفاشية هزيمة سياسية ومعنوية ومادية منكرة. حتى إن المدن والمناطق الألمانية كافة لبست ثوب الحداد على أثر هذه الهزيمة. فهذه النتيجة المظفرة التي حصل عليها الجيش الأحمر في ملحمة ستالينغراد كانت حتمية وطبيعية، وذات أهمية عسكرية وسياسية كبيرة.

لقد كانت تلك الملحمة نقطة التحول الهامة في الإنعطاف الجذري الذي حدث في مجرى الحرب الوطنية بوجه خاص، وفي مجرى الحرب العالمية الثانية بوجه عام. فقد تشكّلت بذلك الشروط المواتية لمواصلة الهجوم الشتوي التالي والناجح للقوات السوفييتية.

لذا، فقد بدأ طرد المحتلين الهتلريين من أراضي الاتحاد السوفييتي، وانتزعت القوات المسلحة السوفييتية من العدو زمام المبادرة الاستراتيجية التي حافظت عليها بثبات حتى نهاية الحرب.

قررت القيادة السوفييتية مواصلة الهجوم على جبهة عريضة، مستفيدة من النجاح الذي تحقق في ضواحي ستالينغراد. وتقرر توجيه الضربة الرئيسية على الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي الاستراتيجي بقوى خمس فرق.

وكان تقدم القوات السوفيتية ناجحاً إلى حد كبير، مما أرغم القيادة الألمانية على البدء بالانسحاب من الخطوط التي تحتلها، كما رافق هذا الانسحاب خسائر فادحة في الجانب الألماني؛ ولم يسفر ذلك عن تحرير الأراضي التي احتلها الهتلريون في صيف عام ١٩٤٢ فحسب، بل أسفر ذلك أيضاً عن تحرير عدد من المناطق والمدن التي استولت عليها هذه القوات في بداية الحرب. وفي الوقت الذي بدأ فيه الجيش الأحمر هجومه الحاسم على القطاع الجنوبي ـــ الغربي من الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية، نفذت تلك العملية الهادفة إلى خرق حصار لينينغراد. فبعد أن انتقلت إلى الهجوم استطاعت قوات جبهتي لينينغراد وفولخوف القيام بهجمات تصادمية على هذه القوات. وفي الثامن عشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣ انهار حصار لينينغراد الذي دام تسعمئة يوم، وعادت الاتصالات البرية المباشرة بين المدينة والمناطق الأخرى من البلاد إلى حالتها الطبيعية من جديد.

استطاعت القوات السوفييتية خلال أربعة شهور ونصف من الأعمال الهجومية المتواصلة أن تتقدم إلى عمق ٦٠٠ ـــ ٧٠٠ كيلو متر بعد أن حطمت أكثر من مئة فرقة معادية. وبلغت خسائر الجيش الألماني في شتاء ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٣ نحو ١٫٧ مليون رجل، ٢٤ ألف مدفع وهاون، أكثر من ٣٥٠٠ دبابة، و ٤٣٠٠ طائرة.

إن الهجوم المعاكس الذي شهدته ضواحي ستالينغراد، والذي لم يعرف له تاريخ الحروب مثيلاً، كان بمثابة إنجاز ضخم من إنجازات فن الحرب السوفييتي. ولقد كان ذلك العملية الاستراتيجية الناجحة والأولى التي يقوم بها الجيش الأحمر لتطويق التجميع الهائل من قوات العدو وتدميره. والجدير بالذكر أن هذه العملية الاستراتيجية نفذت بقوى ثلاث جبهات لا تمتلك تفوقاً كبيراً على العدو. كما استخدم في هذه العملية الحشد الجريء للقوى والوسائط، وخاصة الدبابات والمدفعية، والذي سمح بخلق التفوق الحاسم على اتجاهات الضربات الرئيسية، التي وجهت إلى التجميعات الضعيفة العاملة على مجنبات قوات العدو.

وخلافاً للهجوم المعاكس في ضواحي موسكو، الذي نفذ في شروط استمرار الهجوم الألماني، فإن القوات السوفييتية انتقلت إلى الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد، في الوقت الذي استنفد العدو

إمكاناته الهجومية بالكامل، وأرغم على الانتقال إلى الدفاع دون أن يتمكن من التمسك بالخطوط المحتلة، وتشكيل الاحتياطات الضرورية له .

كذلك فإن الأعمال القتالية على جبهة التطويق الخارجية، أكسبت القوات السوفييتية الخبرة الأولى في الصراع ضد التجميعات التي تحاول فك الحصار عن نفسها، وسمحت لها عملياً من اختبار بعض طرق الأعمال والأساليب لصد محاولات العدو الرامية إلى تحرير التجميع المطوق .

ونظراً لعدم توفر القوى والوسائط اللازمة فإن إبادة التجميع المطوق استمرت شهرين ونصف، وتطلبت أيضاً القيام بعملية هجومية خاصة؛ إلا أن تمزيق التجميع المعادي وشطره إلى أقسام لم يتحقق إلا في المرحلة الأخيرة من العملية، وهذا دليل آخر على عدم كفاية القوى والوسائط لدى الجبهة اللازمة لهذا الغرض .

لقد لعب الهجوم المدفعي دوراً هاماً في خرق دفاع العدو . وكان هذا الهجوم أكثر فعالية من نظيره في العمليات السابقة . وهذا مرده إلى ظهور فرق المدفعية لأول مرة، وإلى ازدياد كثافات المدفعية حتى الضعف بالمقارنة مع كثافات المدفعية في الهجوم المعاكس الذي حدث في ضواحي موسكو. وفي أثناء هذه العملية، حصل الطيران على أول خبرة له في تنظيم الهجوم الجوي والتعاون بين الجيوش الجوية والقوات المتحركة، كما تحقق التفوق أيضاً في الجو على الطيران المعادي .

لقد أدى تحطيم الجيش الايطالي، والجيش الهنغاري، والجيشين الرومانيين على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية تحطيماً كاملاً إلى انهيار الروح المعنوية لدى القوات الألمانية .

ومن أجل سد هذه الثغرة الكبيرة التي تشكلت على الجبهة الألمانية، اضطرت القيادة الهتلرية في الفترة ما بين كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٢ وآذار (مارس) عام ١٩٤٣ إلى سحب ٣٣ فرقة وثلاثة ألوية مستقلة من أوروبا الغربية باتجاه الشرق .

كذلك كان للانتصار الذي حققه الجيش الأحمر في حملة شتاء ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ أهمية عالمية كبيرة؛ إذ إن ذلك أحدث تأثيراً عظيماً، ودفع بعجلة النضال التحرري لشعوب أوروبا وآسيا إلى الأمام ضد الغزاة المحتلين، كما أن الحركات التحريرية أصبحت أكثر فعالية وأكثر اتساعاً. فالجبهة السوفييتية ــ الألمانية استطاعت تثبيت القوات الرئيسية وإيقاف زحفها. وبذلك تمكنت القوات البريطانية ــ الأمريكية من شن هجومها الناجح في شمالي إفريقية .

٦ ــ ٣ ــ ملحمة كورسك

في صيف عام ١٩٤٣ أصبح الموقف العسكري السياسي للاتحاد السوفييتي أكثر قوة واستقراراً، كما أن الجيش الأحمر أصبح أكثر قدرة مما كان عليه في السابق. وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالقوات الألمانية في حملة الشتاء الماضية، فإن ألمانيا الهتلرية كانت ما تزال تمتلك القوة العسكرية الكبيرة. وبنتيجة

التعبئة الشاملة التي قامت بها القيادة الألمانية، لحشد الموارد والطاقات في ألمانيا والبلدان المحتلة الأخرى في أوروبا، استطاع الرايخ في مطلع صيف عام ١٩٤٣ أن يحشد مع حلفائه أكثر من ٣ر٥ مليون رجل، و٥٤٣٠٠ مدفع وهاون، و٥٨٥٠ دبابة ومدفع اقتحام، ونحو ٣٠٠٠ طائرة على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية. وقد زاد في إمكانات هذا التجميع الهائل من القوى والوسائط غياب الجبهة الثانية في أوروبا.

إن القيادة الألمانية كانت تبذل كل ما في وسعها للحيلولة دون انهيار الحلف الفاشي، وانتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية ثانية؛ لذلك فقد قررت القيام بعملية هجومية واسعة في صيف عام ١٩٤٣ ـــ عملية سيتاديل ـــ في منطقة قوس (أو جيب) كورسك، وسحق قوات الجبهتين السوفييتيتين: الوسطى، وفورونيج، ومن ثم توجيه الضربة إلى مؤخرة الجبهة الجنوبية ـــ الغربية. وبعد ذلك تقرر شن الهجوم على الاتجاه الشمالي ـــ الشرقي بهدف الوصول إلى مؤخرة التجميع الأوسط للقوات السوفييتية، وتهديد موسكو بالذات، وكذلك معاودة الهجوم نحو لينينغراد. فبهذه الأعمال كان هتلر يأمل في تغيير مجرى الحرب لصالح ألمانيا وحلفائها.

ومن أجل القيام بعملية سيتاديل، حشدت القيادة الألمانية نحو ٧٠٪ من فرقها المدرعة، وأكثر من ٦٥٪ من طائراتها القتالية العاملة على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية. كما أن قوام التجميعات الضاربة كان يضم ٥٠ فرقة من الفرق المختارة، من بينها ١٦ فرقة دبابات وميكانيكية. وبالإضافة إلى ذلك، كان يعمل على مجنبات هذه التجميعات نحو ٢٠ فرقة أخرى. وبذلك بلغ القوام الإجمالي للتجميع الألماني أكثر من ٩٠٠ ألف رجل، ونحو ١٠ آلاف مدفع وهاون، ونحو ٢٠٥٠ طائرة. أما النقطة الهامة والأساسية في فكرة القيادة الألمانية لتنفيذ تلك العملية فكانت تنحصر في الاستخدام الكثيف للعتاد القتالي الجديد المتمثل في الدبابات من نوع تيغر وبانتيرا ومدافع الاقتحام من فرديناند، وبعض الطائرات الجديدة أيضاً.

وبعد أن كشفت القيادة السوفييتية فكرة العدو المبيتة في الوقت المناسب قررت القيام بعمليتين متتاليتين في ضواحي كورسك: عملية دفاعية، ومن ثم عملية هجومية. ففي العملية الأولى كان ينبغي على القوات السوفييتية الانتقال إلى الدفاع المبيت في جيب كورسك، وإنهاك واستنزاف التجميعات الألمانية الضاربة في تلك العملية الدفاعية. وفي العملية الثانية التي تلي العملية الأولى فوراً، ودون أي توقف، تقرّر القيام بهجوم معاكس حاسم لإنهاء سحق العدو بالكامل، وبالتالي الانتقال إلى الهجوم الاستراتيجي العام (انظر الشكل رقم ٣٧ ملحمة كورسك ٥ تموز ـــ ٢٣ آب ١٩٤٣).

لقد ألقي الدفاع عن جيب كورسك على عاتق قوات الجبهة الوسطى، وقوات جبهة فورونيج، اللتين يقودانهما الجنرالان: ك. ك. ركوسوفسكي و ن. ف. فاتوتين. وكانت الجبهتان تضمان في قوامهما أكثر من ٣ر١ مليون رجل، و٣٤٤٤ دبابة، و٢١٧٢ طائرة، وأكثر من ١٩٠٠٠ مدفع وهاون؛ وفي مؤخرة هاتين الجبهتين كانت تحتشد احتياطات استراتيجية كبيرة تعمل تحت لواء جبهة ستيب. وبذلك فإن النسبة العاملة للقوى والوسائط كانت في صالح القوات السوفييتية، الأمر الذي لم يمكنها من إقامة

الدفاع والقوى الثابتة فحسب، بل ومن تنظيم الهجوم التالي. أما تنسيق أعمال قوات الجبهتين فقد أُلقي على عاتق ممثلي القيادة العامة العليا وهما مارشال الاتحاد السوفييتي غ. ك. جوكوف و أ. م. فاسيليفسكي.

العملية الدفاعية: امتدت العملية الدفاعية في جيب كورسك من الخامس حتى الثالث والعشرين من تموز (يوليو) عام ١٩٤٣. وكان أساس تنظيم الدفاع للقوات السوفييتية يعتمد على فكرة البنية العميقة لترتيب قتال القوات، وزيادة عدد الخطوط والمواضع الدفاعية، مع وجود شبكة متطورة جداً من الخنادق والحواجز والمنشآت الهندسية الأخرى. إذ إنه تمّ تجهيز ثمانية خطوط دفاعية، وحضّر لكل جيش ميداني ثلاثة نطاقات دفاعية: الرئيسي والثاني والخلفي، كما جهزت ثلاثة خطوط دفاعية للجبهات. وبالإضافة إلى ذلك أقيم خط دفاعي لقوات جبهة ستيب، كما أقيم خط دفاعي دولي على الضفة اليسرى لنهر الدون. وبذلك بلغ العمق الإجمالي للتجهيزات الهندسية نحو ٢٥٠ ـــ ٣٠٠ كم. وكانت منطقة الدفاع التكتيكية التي بلغ عمقها، ولأول مرة في هذه الحرب ١٥ ـــ ٢٠ كم، أكثر تطوراً من الناحية الهندسية. والجدير بالذكر أن دفاع كورسك كان قد جهز كدفاع للدبابات بالدرجة الأولى بعمق ٣٠ ـــ ٣٥ كم. وكان حشد القوى والوسائط على اتجاهات ضربات العدو المحتملة، والبنية العملياتية العميقة لقوات الجبهات، يمثلان الشرطين الحاسمين لإقامة ذلك الدفاع الصلب والمستقر.

كانت نطاقات الدفاع الثلاثة الأولى محتلة من قبل القوات مسبقاً. أما على الاتجاهات المستقلة والأقل أهمية، فقد احتلت القوات خط الجبهة، مع تركيز الاهتمام بصورة خاصة على تنظيم الدفاع المضاد للدبابات. وعلى اتجاهات ضربات العدو المحتملة بلغت كثافة المدفعية م/د نحو ٣٠ مدفعاً على الكيلو متر الواحد من الجبهة؛ كما اتخذت مجموعة أخرى من التدابير الهادفة إلى تأمين خوض الأعمال الدفاعية من جميع النواحي.

وبعد أن تأكدت القيادة السوفييتية من أن هجوم القوات الفاشية سيبدأ في صباح ٥ تموز (يوليو)، قامت القوات السوفييتية في الساعة ٢٠ر٢ بمعاكس تمهيد مدفعي أسفر عن تكبيد العدو خسائر فادحة، وأجبرت على تأخير موعد بدء الهجوم لمدة ٥ر١ ـــ ٢ ساعة. ومع بدء هجوم القوات الألمانية دارت معارك ضارية في البر والجو. ففي اليوم الأول للعملية زج العدو قواته الرئيسية المخصصة لعملية سيتاديل، بهدف القيام بضربة «المناطق» لفرق الدبابات، وخرق دفاع القوات السوفييتية والوصول إلى كورسك.

في الخامس من شهر تموز (يوليو)، وبعد أن زجت القيادة الألمانية نحو ٥٠٠ دبابة ضمن نطاق الجبهة الوسطى، واصلت هذه القيادة تغذية ضربتها، واستطاعت القوات الألمانية التقدم لمسافة ٦ ـــ ٨ كم بعد أن دفعت ثمناً باهظاً جداً. أما على الاتجاهات الأخرى للجبهة الوسطى فإن محاولات القوات الألمانية وهجماتها كانت قد باءت بالفشل. وبعد أن استنفد آخر احتياطاته، اضطر الطرف المهاجم، الذي لم يستطع التقدم إلا مسافة ١٠ ـــ ١٢ كم، خلال سبعة أيام من المعارك إلى التوقف عن مواصلة الهجوم، والانتقال إلى الدفاع في الحادي عشر من شهر تموز (يوليو) بعد أن خسر أكثر من ٤٢ ألف رجل، وحتى ٥٠٠ دبابة. والجدير بالذكر أن القوات السوفييتية لهذه الجبهة استطاعت تنفيذ مهمتها الدفاعية بقواها وجهودها الخاصة، دون الحاجة إلى استخدام الاحتياطات الإضافية المخصصة لها من القيادة العامة العليا.

(الشكل رقم ٣٧) — ملحمة كورسك ٥ تموز (يوليو) — ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٤٣

في الخامس من تموز (يوليو) دارت المعارك على قطاعات جبهة فورونيج أيضاً ، حيث وجهت القيادة الألمانية ضربتها الرئيسية بقوى جيش الدبابات الرابع باتجاه « أبويان » ، وبقوى مجموعة « كيمبف » العملياتية ـــ باتجاه « كوروتشا » . ففي اليوم الأول لهذه العملية زج العدو على هذه الجبهة نحو ٧٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، مدعومة بقوى جوية كبيرة ، لكن في نهاية يوم ٩ تموز (يوليو) تبين بكل وضوح أن الهجوم الألماني أخذ يتباطأ وتضعف وتيرته . إلا أنه على اتجاه كوروتشا ، استطاعت القوات الألمانية أن تخرق نطاق الدفاع الرئيسي ، وتتقدم بالعمق مسافة ٣٥ كم متكبدة خسائر فادحة ؛ ولم تستطع التقدم أكثر من ذلك ، لأن هجومها كان قد أوقف تماماً بفضل الأعمال البطولية للقوات السوفييتية . ونتيجة للفشل الذي لحق بالقوات الألمانية على اتجاهي « أبويان » و « كوروتشا » اضطرت القيادة الألمانية إلى نقل الجهود الرئيسية نحو منطقة بروخوروفكا ، آملة في احتلال مدينة كورسك ، عن طريق توجيه الضربة إليها من الجنوب ـــ الشرقي .

بيد أن القيادة السوفييتية كشفت مخططات العدو هذه ، وقررت توجيه ضربة معاكسة إلى التجميع المتوغل في الدفاع . ولهذه الغاية تمّ تعزيز قوات بجهة فورونيج باحتياطات القيادة العامة العليا وهي ، جيش دبابات الحرس الخامس ، والجيش الميداني الخامس بقيادة الجنرالين : ب . أ . روتميستروف ، وأ . س . جادوف ، وفيلقان آخران من الدبابات .

روتميستروف بافل اليكسييفيتش :



ولد روتميستروف بافل اليكسييفيتش في السادس من تموز (يوليو) عام ١٩٠١ ؛ المارشال الأول للقوات المدرعة ، وبطل الاتحاد السوفييتي ؛ دكتور في العلوم العسكرية وبروفيسور . انخرط في صفوف الجيش السوفييتي عام ١٩٢٠ ؛ اجتاز الكلية العسكرية المشتركة ، وأكاديمية م . ف . فرونزه والأكاديمية العسكرية للأركان العامة . كما أنه شارك في الحرب الأهلية كجندي فرد .

عند اندلاع الحرب الوطنية العظمى كان روتميستروف قد تقلّد كافة المناصب القيادية ، من قائد الفصيلة ، حتى رئيس أركان الفيلق الميكانيكي . كما أنه مارس عمل المدرب في الأكاديمية .

عمل في تسع جبهات متولياً المناصب القيادية ، من منصب قائد لواء دبابات حتى منصب قائد جيش دبابات . كما أنه شارك في أكبر ملاحم الحرب مثل ملحمة موسكو ، وملحمة ستالينغراد ، وملحمة كورسك ، وفي تحرير أوكرانيا وروسيا البيضاء . ولقد لعبت قوات جيش الدبابات بقيادته دوراً حاسماً في سحق تجميع العدو الضارب العامل في ضواحي بروخوروفكا ، وفي ملحمة كورسك ، حيث دارت أضخم موقعة تصادمية للدبابات في تاريخ الحرب العالمية الثانية . إن العبقرية العسكرية الفذة التي كان يتمتع بها ب . أ . روتميستروف وضعته في مصاف القادة العظام للجيش السوفييتي . وعند انتهاء الحرب الأخيرة عُيّن قائداً للقوات المدرعة والميكانيكية في عدد من المناطق العسكرية .

وفي الفترة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٨ عمل روتميستروف كمدرِّب ــ بروفيسور في أكاديمية الأركان العامة، وعمل لمدة ست سنوات مديراً لأكاديمية القوات المدرعة، وظل حتى عام ١٩٦٨ معاوناً لوزير الدفاع السوفييتي. ولا يزال حتى يومنا هذا يعمل بجهد مثمر ضمن قوام مجموعة المستشارين العامين لوزير الدفاع السوفييتي. وله العديد من المؤلفات العلمية حول الاستخدام القتالي للقوات المدرعة وآفاق تطورها في المستقبل.

في صبيحة الثاني عشر من تموز (يوليو) بدأت قوات جبهة فورونيج الضربة المعاكسة. ودارت الأحداث الرئيسية في منطقة بروخوروفكا، حيث كانت أعنف موقعة تصادمية بالدبابات في تاريخ الحرب العالمية الثانية.

كما أن تاريخ الحروب لم يعرف حتى موقعة كورسك مثيلاً لهذا الاستخدام الكثيف من العتاد المدرع على اتجاه استراتيجي واحد. ففي موقعة بروخوروفكا وحدها، اشترك من كلا الطرفين ١٢٠٠ دبابة ومدفع اقتحام. وقد كتب عن تلك الموقعة، التي لا مثيل لها في تاريخ الحروب، القائد السابق لجيش دبابات الحرس الخامس المارشال العام للقوات المدرعة ب. أ. روتميستروف يقول: «لقد اشتركت في العديد من المعارك، إلا أنني لم أشهد في حياتي مثل ذلك الحدث الرهيب... فالقذائف الثاقبة تطير في كل اتجاه مخلفة وراءها أثراً نارياً خطاطاً. كما أن الأبراج المدرعة تتناثر في كل مكان، والدبابات يناطح بعضُها بعضَها الآخر... الدخان يغطي كل شيء، والغبار يملأ السماء، والدوي العنيف يصم الآذان... المشهد رهيب للغاية، حتى إن النفس لا تستطيع تذكّره من جديد. كان ذلك هجوماً رهيباً قامت به الدبابات، استطعنا أن نخرق خلاله تراتيب قتال دبابات العدو حتى مسافة ٨ كم.....».

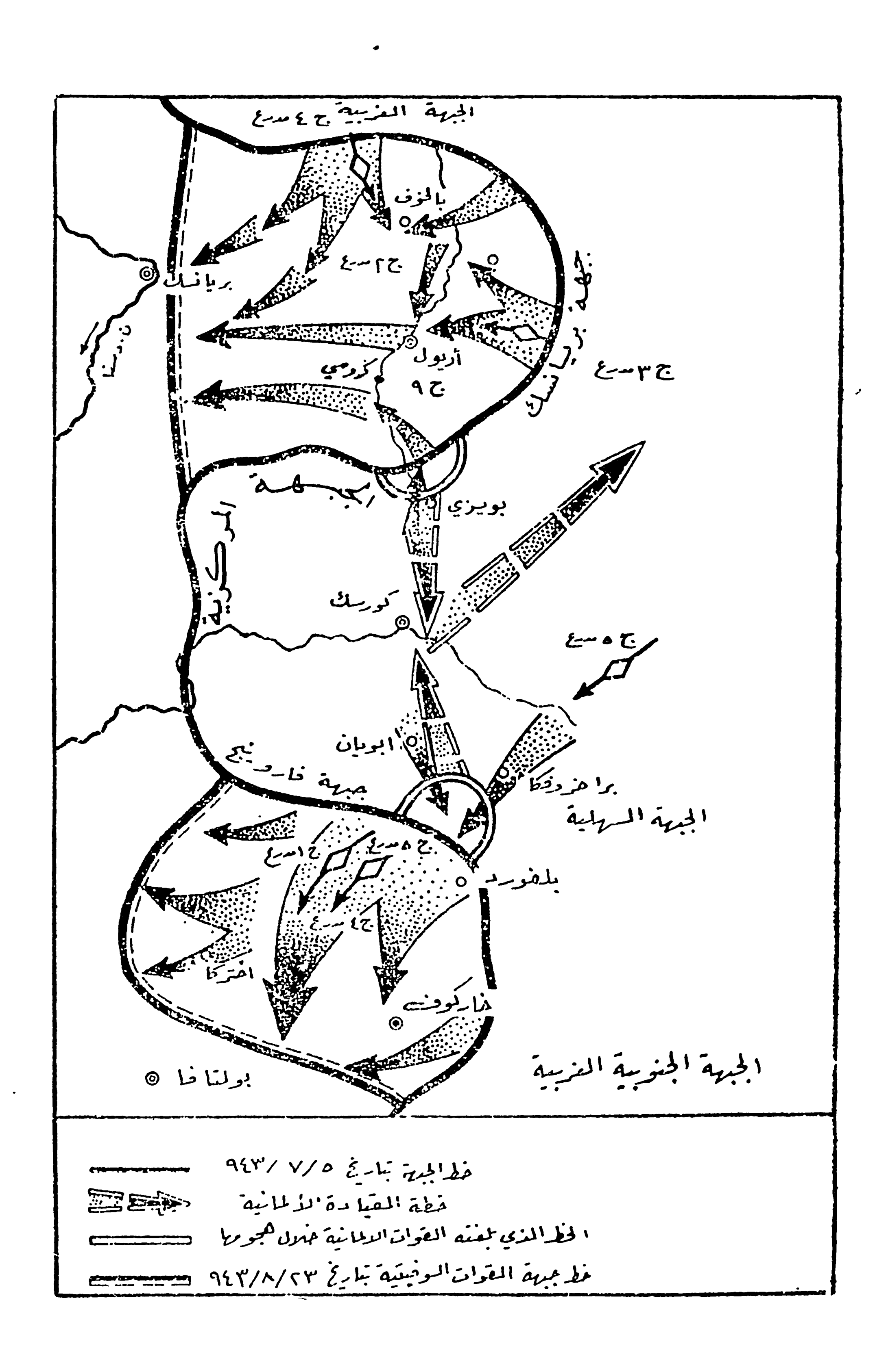
إن استخدام مثل هذا العدد الكبير من الدبابات السوفييتية في موقعة واحدة، كان مفاجأة كاملة بالنسبة للهتلريين. فخلال يوم واحد فقط خسر الهتلريون عشرة آلاف قتيل بين جندي وضابط.

لقد أحرزت القوات السوفييتية في موقعة بروخوروفكا نصراً مؤزراً. ففي أثناء هذه الموقعة لم تظهر بطولة الجنود والضباط السوفييت فقط، بل ظهر أيضاً تفوق العتاد العسكري، وفن الحرب السوفييتيين على أحدث أنواع الأعتدة الألمانية، وفن الحرب لدى الجيش الألماني.

لقد استنزفت القوات الألمانية وخارت قواها تماماً خلال المواقع الدفاعية التي دارت في ضواحي كورسك.

العملية الهجومية: إن العملية الهجومية التي شهدتها ملحمة كورسك بدأت في الثاني عشر من تموز (يوليو) وتشكلت مرحلة جديدة لهذه الملحمة.

فالقيادة السوفييتية كانت قد حضّرت قواتها مسبقاً لهذه العملية. وبموجب خطة العملية تقرر أن تنفذ على اتجاه أوريول ضربات قوية، بقوى الجناح الأيسر للجبهة الغربية، وجبهة بريانسك وقسم من قوات الجبهة الوسطى في آن واحد وعلى اتجاهات متلاقية، بغية تطويق التجميع الألماني في منطقة أوريول وتمزيقه وتدميره على مراحل (أنظر الشكل رقم ٣٨ الهجوم المعاكس للقوات السوفييتية في ملحمة كورسك



(الشكل رقم ٣٨) ــ الهجوم العام المعاكس للقوات السوفييتية في ملحمة كورسك.

١٢ تموز /يوليو/ ـــ ٢٣ آب /أغسطس/ عام ١٩٤٣). وفي القسم الجنوبي من جيب كورسك، بدأت قوات فورونيج وجبهة ستيب وقسم من قوات الجبهة الجنوبية ـــ الغربية بتنفيذ عملية بيلفورود ـــ خاركوف الهجومية. وكانت الأعمال الناجمة على هذين الاتجاهين ينبغي أن تتحول ـــ حسب فكرة القيادة العامة العليا السوفييتية ـــ إلى هجوم كاسح للقوات السوفييتية، على طول امتداد الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية.

لقد تمّ الإعداد للعملية الهجومية في كافة الجبهات، بحيث أعطيت الأفضلية خلال ذلك للمسائل المتعلقة بخرق المحضر والعميق (كثير الأنساق)، وتطوير النجاح التكتيكي إلى نجاح عملياتي بوتائر عالية. ومن أجل ذلك حشدت قوى ووسائط كبيرة على اتجاهات الضربات الرئيسية، وشكلت كثافات عملياتية وتكتيكية عالية بالقوى والوسائط، كما ازدادت تراتيب قتال القوات عمقاً. وبالإضافة إلى ذلك فقد شكلت في الجيوش أنساق مخصصة لتطوير النجاح بقوام فيلق ـــ فيلقين من الدبابات، وترتب على هذه الجيوش تنفيذ الهجوم ليلاً نهاراً.

عملية أوريول: ١٢ تموز (يوليو) ـــ ١٨ آب (أغسطس) عام ١٩٤٣ م

بدأت هذه العملية بضربات الجبهتين: الغربية، وجبهة بريانسك، في حين كانت قوات الجبهة الوسطى ما تزال تواصل خوض الموقعة الدفاعية، في القطاع الشمالي من جيب كورسك. وبعد ضربات قوية بالمدفعية استطاعت القوات السوفييتية خرق الدفاع الألماني على عدة اتجاهات، وبدأت بتطوير الهجوم بعد أن تقدمت خلال أسبوع واحد إلى عمق حتى ٧٠ كم، وأحاطت بتجميع القوات الألمانية في منطقة مدينة بولخوف من الجبهة الجنوبية ـــ الغربية. أما قوات جبهة بريانسك فقد اقتربت من مدينة بولخوف من جهة الشرق. وبعد معارك ضارية تكبد تجميع قوات بولخوف الألماني خسائر فادحة، مما ساعد على سحق تجميع قوات أوريول بالكامل، واجتياح جيب أوريول من قبل القوات السوفييتية.

إن الهجوم الذي قامت به قوات الجبهة الغربية وجبهة بريانسك أرغم القيادة الألمانية على سحب قسم من قواتها من اتجاه كورسك، وقد ساعد ذلك في الوقت نفسه على خلق الموقف الملائم لانتقال القوات السوفييتية العاملة في الجناح الأيمن للجبهة الوسطى، إلى الهجوم الذي بدأ في الخامس عشر من شهر تموز (يوليو).

وفي نهاية شهر تموز (يوليو)، كانت قوات الجبهات السوفييتية الثلاث قد أحاطت بتجميع قوات أوريول المعادية من الشمال والشرق والجنوب. ومن أجل الحيلولة دون الوقوع في التطويق والتحطيم السريع بدأت القيادة الألمانية في ٣٠ تموز (يوليو) بسحب جميع جيوشها من رأس جسر أوريول، واستطاعت القوات السوفييتية، التي انتقلت إلى المطاردة، أن تحرر مدينة أوريول في صباح الخامس من شهر آب (أغسطس)، بينما كانت قوات جبهة ستيب قد حررت في اليوم نفسه مدينة بيلغورود. وفي مساء الخامس من شهر آب (أغسطس) أطلقت في مدينة موسكو، ولأول مرة، رشقات من المدفعية تحية للقوات التي حررت هاتين المدينتين.

بعد الاستيلاء على مدينة أوريول وصلت القوات السوفييتية في الثامن عشر من شهر آب (أغسطس) إلى خط دفاع العدو المحضر شرقي مدينة بريانسك، حيث انتقلت هذه القوات إلى الدفاع بهدف التحضير لعملية هجومية جديدة على اتجاه بريانسك. والجدير بالذكر أن عملية أوريول الهجومية التي استمرت سبعة وثلاثين يوماً أسفرت عن تقدم القوات السوفييتية على الاتجاه الغربي مسافة حتى ١٥٠ كم، بعد أن سحقت ١٥ فرقة معادية من بينها ٦ فرق دبابات. ومع تحطيم تجميع قوات أوريول انهارت خطط القيادة الهتلرية الرامية إلى استخدام رأس جسر أوريول، لتوجيه الضربة إلى القوات السوفييتية على الاتجاه الشرقي.

عملية بيلغورود ــ خاركوف الهجومية: ٣ ــ ٢٣ آب (أغسطس) عام ١٩٤٣م

بدأت هذه العملية على الاتجاه الجنوبي لجيب كورسك بقوى جبهة فورونيج وجبهة ستيب، وذلك في صباح الثالث من شهر آب (أغسطس) وبعد تمهيد مدفعي وجوي قوي. وقد انحصرت فكرة القيادة السوفييتية في هذه العملية بتوجيه ضربة قوية بقوى جبهتين، بغية شطر تجميع قوات العدو إلى قسمين، وتدميرها، والإحاطة بمدينة خاركوف من جهة الغرب. أما الضربة المساعدة فكان ينبغي أن تقوم بها الجبهة الجنوبية ــ الغربية بقوى جيش واحد للالتفاف حول مدينة خاركوف من جهة الجنوب.

وعند توغل مشاة الجيوش الميدانية المشتركة في عمق نطاق دفاع القوات الألمانية، زجّت في الموقعة على الفور، ألوية الطلائع لجيشين من الدبابات، استطاعت في نهاية اليوم الأول للهجوم الانتهاء من خرق المنطقة التكتيكية لدفاع العدو. وبعد ذلك بدأت القوات المتحركة بتطوير النجاح في العمق العملياتي.

في الحادي عشر من شهر آب (أغسطس)، حشدت القيادة الألمانية إلى الجنوب ــ الشرقي من مدينة بوغودبوف أربع فرق مشاة، وسبع فرق دبابات وميكانيكية، يبلغ قوامها الإجمالي نحو ٦٠٠ دبابة، ووجهت بهذه القوى ضربة معاكسة إلى قوات جيش الدبابات الأول المهاجم، محاولة بذلك إيقاف هجوم القوات السوفييتية. وفي الوقت الذي استطاعت فيه قوات جبهة فورونيج صدّ هذا الزحف القوي للهتلريين كانت قوات جبهة ستيب، بالاشتراك مع جيش الدبابات الخامس الذي ألحق بها، تخوض معارك ضارية لتحرير مدينة خاركوف.

وفي ليلة الثالث والعشرين من شهر آب (أغسطس) بدأت هذه القوات الاقتحام الحاسم للمدينة، واستطاعت عند الصباح تطهيرها بالكامل من المحتلين الألمان. كما استطاعت في اليوم نفسه سحق تجميع بيلغورود ــ خاركوف الألمانية، وفي هذا الوقت كانت قد أنجزت وانتهت ملحمة كورسك. وفي أثناء عملية بيلغورود ــ خاركوف تمكنت القوات السوفييتية من تحطيم ١٥ فرقة للعدو، والتقدم على الاتجاهين: الجنوبي، والجنوبي ــ الغربي مسافة ١٤٠ كم بعد أن وسعت جبهة الهجوم حتى ٣٠٠ كم.

لم تكن ملحمة كورسك واحدة من بين أهم الأحداث الحاسمة في تاريخ الحرب الوطنية العظمى فحسب، بل كانت أهم حدث عسكري شهدته الحرب العالمية الثانية. ففي ضواحي كورسك سُحقت

ثلاثون فرقة ألمانية من القوات المختارة، من بينها سبع فرق دبابات. كما أن العدو خسر أكثر من ٥٠٠ ألف جندي وضابط، و ١٥٠٠ دبابة وأكثر من ٣٧٠٠ طائرة وحتى ٣٠٠٠ مدفع. وبذلك فإن فشل الهجوم الصيفي للقوات الألمانية دفن إلى الأبد أسطورة الدعاية الفاشية الملفقة حول «فصليّة» الاستراتيجية العسكرية السوفييتية، والتي مفادها أن الجيش الأحمر لا يستطيع الهجوم وتحقيق الانتصارات إلا في فصل الشتاء. والحقيقة أن ملحمة كورسك كانت بمثابة مرحلة جديدة من مراحل تطور فن الحرب السوفييتي. ففي أثناء هذه الملحمة ظهرت ملامح تشكيل الدفاع ذي الأنساق العميقة والمحضر مسبقاً، كما ظهرت أيضاً ملامح تحضير الاحتياطات الاستراتيجية واستخدامها في الوقت المناسب، والتحديد الصحيح للحظة انتقال القوات إلى الهجوم المعاكس، والاختيار الصائب لاتجاهات الضربات الرئيسية.

لقد تحقق النجاح أيضاً نتيجة للتنظيم الماهر للتعاون الاستراتيجي بين مجموعات الجبهات المهاجمة على الاتجاهين: الغربي، والجنوبي ــ الغربي، وعلى الاتجاهات الأخرى أيضاً. وكان من شأن ذلك أن حرمت القيادة الألمانية من إمكانية القيام بإعادة التجميع لقواتها وتحريكها نحو الاتجاهات الخطرة بالنسبة لها.

إن القوات السوفييتية كانت أول من نفذ مهمة خرق الدفاع المحضر مسبقاً والمتعدد الأنساق في العمق، ومهمة التطوير التالي للنجاح العملياتي، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بفضل تشكيل تجميعات ضاربة قوية في الجبهات، وفي الجيوش، وحشد القوى والوسائط على قطاعات الخرق، وبفضل توفر جيوش الدبابات في قوام الجبهات أيضاً، وتوفر فيالق الدبابات (الفيالق الميكانيكية) في قوام الجيوش الميدانية المشتركة. وبنتيجة زيادة حجم العتاد القتالي ووسائط التعزيز ارتفعت الكثافات التكتيكية للقوات السوفييتية، خلال الهجوم المعاكس في ضواحي كورسك بمقدار الضعفين، أو الثلاثة أضعاف بالمقارنة مع الكثافات أثناء الهجوم المعاكس الذي قامت به القوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد.

إن الجديد الذي ظهر في مجال تكتيك المعركة الهجومية، هو انتقال القطعات والتشكيلات من بنية تراتيب قتال النسق الواحد إلى بنية تراتيب القتال الموزع في العمق.

وفي ملحمة كورسك استخدمت القوات السوفييتية، ولأول مرة، أفواج المدفعية ذاتية الحركة على نطاق واسع. وقد أكدت الخبرات على أن هذه الأفواج كانت واسطة فعّالة في دعم هجوم الدبابات والمشاة.

كما تحسنت قيادة القوات عن طريق تقريب مقرات السيطرة من تراتيب قتال القوات، والتوسع في استخدام الوسائط اللاسلكية، وإحداث الحلقة القيادية للفيلق.

لقد قال ل. ي. بريجنيف في حديثه أثناء تقييم ملحمة كورسك: «إن الملحمة العظيمة التي جرت في جيب أوريول ــ كورسك صيف عام ١٩٤٣ استطاعت أن تحطم العمود الفقري لألمانيا

الهتلرية ، وتشتت قواتها المدرعة الضاربة . وأصبح العالم بأسره يدرك مدى تفوق جيشنا في المهارة القتالية ، والتسليح ، والقيادة الاستراتيجية » .

وبعد سحق تجميع العدو في ملحمة كورسك ، أوجدت القوات السوفييتية لنفسها الشروط المواتية للانتقال إلى الهجوم العام ، بغية تحرير أوكرانيا الجنوبية ومنطقة الدونباس .

٦ ــ ٤ ــ ملحمة نهر الدنيبر

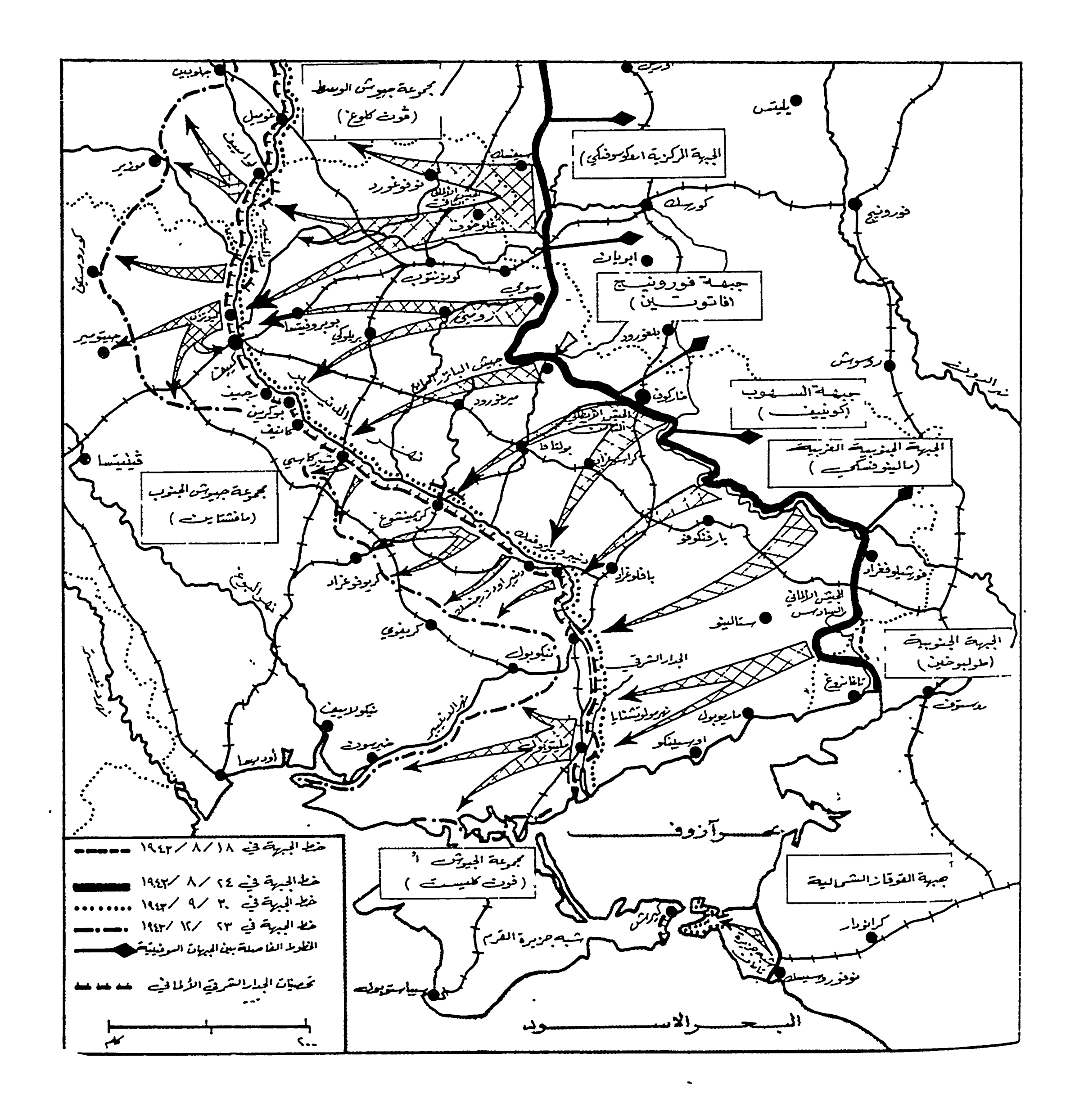
في نهاية شهر آب (أغسطس) عام ١٩٤٣ كان الموقف العسكري السياسي على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية قد تحوّل لصالح الجيش الأحمر . فالهزيمة التي مُنيت بها القوات الألمانية في ضواحي كورسك ، وتحطيمها ، وقيام القوات السوفييتية بالهجوم ، في الوقت نفسه ، على الاتجاه الغربي ، والاتجاه الجنوبي ــ الغربي كل ذلك أرغم العدو على استهلاك احتياطاته بالكامل . وفي هذه الشروط المتشكلة بذلت القيادة الهتلرية جهوداً قاسية ومضنية لإيقاف الهجوم اللاحق للجيش الأحمر على الخطوط الدفاعية المحضرة مسبقاً ، وتثبيت الوضع الراهن للجبهة . كما أولت هذه القيادة اهتمامها الخاص للتمسك بذلك الخط الذي أطلق عليه اسم السد الشرقي ، والذي كان يمتد على نهر نارفا ، بسكوف ، فيتيبسك ، أورشا ، ونهر سوج ، ونهر الدنيبر ، ونهر مولوتشنايا .

إن ملحمة نهر الدنيبر هي مجموعة كاملة من العمليات الهجومية التي قام بها الجيش الأحمر خلال آب (أغسطس) عام ١٩٤٣ ، بهدف تحرير أوكرانيا الجنوبية ومنطقة الدونباس ومدينة كييف ، وكذلك الاستيلاء على رؤوس الجسور ، ذات الأهمية الاستراتيجية والواقعة على الضفة اليمنى لنهر الدنيبر (انظر الشكل رقم ٣٩ ملحمة الدنيبر من ٢٥ آب / أغسطس / إلى ٢٣ كانون الأول / ديسمبر / ١٩٤٣) . والجدير بالذكر أنه اشترك في هذه الملحمة قوات تابعة لخمس جبهات سوفييتية هي : الوسطى ، فورونيج ، ستيب ، الجنوبية ــ الغربية ، والجنوبية .

وبناء على فكرة القيادة السوفييتية فقد تقرر توجيه الضربة الرئيسية على الاتجاه الاستراتيجي الجنوبي ــ الغربي . وكان ينبغي على قوات الجبهات السوفييتية الثلاث الوصول إلى المجرى الأوسط لنهر الدنيبر ، بينما ينبغي على الجبهتين الأخريين الوصول إلى المجرى الأسفل لهذا النهر ، وإلى شبه جزيرة القرم . لقد بلغ مجموع قوام التجميع السوفييتي على هذا الاتجاه الاستراتيجي أكثر من ٢٫٦ مليون رجل وأكثر من ٥١٢٠٠ مدفع وهاون ، وأكثر من ٢٤٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة ، و ٢٨٥٠ طائرة قتالية . وفي الوقت نفسه كان يترتب على الجبهة الغربية والجناح الأيسر لجبهة كالينين القيام بالهجوم على اتجاه سمولنيسك ، وحرمان العدو ، بذلك ، من إمكانية نقل قواته من هذا القطاع إلى الجنوب . والجدير بالذكر أن هجوم القوات البرية في الجنوب حصل على الرغم من مؤازرة أسطول بحر آزوف ، وذلك عن طريق القيام بإنزال بحري على الشاطىء الشمالي لبحر آزوف .

لقد واجهت القوات السوفييتية على هذا الاتجاه قوات معادية بقوام ٦٢ فرقة من بينها ١٤ فرقة دبابات وميكانيكية ، كما أن القوام العددي لهذا التجميع المعادي كان قد بلغ مليوناً و٢٤٠ ألف رجل ، ١٢٦٠٠ مدفع وهاون ، ٢١٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، و٢١٠٠ طائرة قتالية ؛ أما القوات السوفييتية فقد تفوقت على العدو : بالقوى الحية ــ بمقدار ١ر٢ ضعف ، بالمدفعية ــ ٤ أضعاف ، بالدبابات والمدافع ذاتية الحركة ــ ١ر١ ضعف ، وبالطائرات ــ ٤ر١ ضعف .

لقد جرى الإعداد لعمليات القوات السوفييتية في أثناء فترة الانتهاء من ملحمة كورسك . كما كان ينبغي على القوات السوفييتية اقتحام دفاع قوي للألمان ، وعبور عدد من الأنهار الكبرى . وهذا كله خلق صعوبات كبيرة أمام القوات السوفييتية المهاجمة .



(الشكل رقم ٣٩) ــ ملحمة الدنيبر ٢٥ آب (أغسطس) ــ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٣ .

ومن حيث توالي الأحداث ، يمكن تقسيم ملحمة نهر الدنيبر إلى مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الأولى : آب (أغسطس) ـــ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٣ م

في الثالث عشر من شهر آب (أغسطس) انتقلت قوات الجبهة الجنوبية ـــ الغربية السوفييتية إلى الهجوم ، وبدأت العملية لتحرير منطقة الدونباس ، تلك العملية التي كان الهدف منها تثبيت قوات كبيرة من الجيش الألماني ، والمساعدة في تنفيذ الأعمال الناجحة للجبهة الجنوبية . فبعد أن انتقلت إلى الهجوم استطاعت الجبهة الجنوبية ، خلال أيام ، أن تخرق الخط الدفاعي القوي الذي أقامه الألمان عند نهر ميوس ، وأن تحطم تجميع تاغان روغ القوي ، وتحرر مدينة تاغان روغ بالذات . وبذلك أصبحت القوات الألمانية المدافعة عن مجرى نهر « سيفرني دونيتس » مهدّدة بخطر الضربات الجانبية من جانب الجيش الأحمر ، ولذلك فقد بدأت انسحابها في مطلع شهر أيلول (سبتمبر) أمام قوات الجبهة الجنوبية ، وقوات الجناح الأيسر للجبهة الجنوبية ـــ الغربية . وفي صباح السادس والعشرين من شهر آب (أغسطس) بدأت الهجوم قوات الجبهة الوسطى . ومما زاد من أهمية هذا الهجوم الاستفادة من النجاح الذي تحقق ليس على الاتجاه الرئيسي ، بل على الاتجاه المساعد (الثانوي) . فقد حقق تطوير الهجوم باتجاه مدينة كونوتوب نجاحاً عملياتياً كبيراً للقوات السوفييتية . ففي الحادي والثلاثين من شهر آب (أغسطس) اتسعت جبهة الخرق حتى ١٠٠ كيلو متر من حيث العمق . وبنتيجة هذا التوغل العميق لقوات الجبهة ، الذي حصل في نقطة الفصل بين مجموعتي الجيوش الألمانيتين : مجموعة جيوش الوسط ، ومجموعة الجنوب ، اضطرت المجموعتان إلى الانسحاب نحو الغرب في الأول من شهر أيلول (سبتمبر) .

كان ينبغي على جبهة فورونيج الانتقال إلى الهجوم في السابع والعشرين من شهر آب (أغسطس) ، إلا أنها ، وبعد أن اكتشفت انسحاب العدو ، بدأت بمطاردته ، قبل موعد الهجوم المقرر بيومين ، واستطاعت أن تتقدم بنتيجة ذلك مسافة ٢٥ ـــ ٣٠ كيلو متراً . غير أن قوات جبهتي فورونيج وستيب خاضت بعد ذلك ، وحتى نهاية شهر آب (أغسطس) ، معارك ضارية إلى الغرب ، والجنوب ـــ الغربي من مدينة خاركوف ؛ وبعد أن حطمت مقاومة العدو ، شنّت هجومها في مطلع شهر أيلول (سبتمبر) نحو مدينة كراسنادار .

في النصف الأول من شهر أيلول (سبتمبر) واصلت القوات السوفييتية هجومها في كافة مناطق أوكرانيا الجنوبية ومناطق الدونباس . وفي الخامس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) ، وتحت الضربات القوية للقوات السوفييتية المهاجمة ، أصدرت القيادة الألمانية أمراً يقضي بسحب قواتها إلى ما وراء نهر الدنيبر المسمّى « بالسد الشرقي » ، هادفة من وراء ذلك إلى التمسك بالمناطق الغنية في أوكرانيا ، وشبه جزيرة القرم ، وموانىء البحر الأسود . وفي أثناء الانسحاب لجأت القوات الهتلرية إلى تكتيك الأرض المحروقة : أي أنها خربت القرى والمدن ، ودمرت المعامل والمصانع ، ونسفت الجسور والطرق ، وأحرقت المزارع ، وهجّرت واستعبدت المواطنين السوفييت .

في أثناء مطاردة العدو ، اتخذت القوات السوفييتية كافة التدابير والإجراءات لحرمانه من إمكانية القيام بهذه التخريبات والأعمال اللاإنسانية ، والحيلولة دون انسحابه بصورة منتظمة ، إلى ما وراء نهر الدنيبر ، ولم يستطع الهتلريون المحافظة على الجبهة المتصلة والمتماسكة أثناء انسحابهم . فقد ظهرت في دفاعهم ثغرات كبيرة استفادت منها التجميعات الضاربة للجبهات السوفييتية . حتى إن وتيرة المطاردة بلغت ٢٠ ـــ ٢٥ كم وسطياً ، وأحياناً بلغت ٣٠ ـــ ٤٠ كيلو متراً في اليوم ؛ كما أن أرتال قوات العدو المنسحبة تعرضت لضربات قوية من جانب الطيران السوفييتي ، وتعرضت مؤخرة العدو أيضاً لأعمال نشطة من جانب الأنصار . وفي الحادي والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) وصلت إلى نهر الدنيبر طلائع جيش الدبابات الثالث العامل في قوام الجبهة الوسطى ، والتشكيلات الأمامية من الجبهة الجنوبية ـــ الغربية .

وهكذا ، فقد تمكن الجيش الأحمر نتيجة للهجوم الصيفي العام ، من تكبيد العدو خسائر فادحة خلال شهر من الأعمال القتالية ، والتقدم في العمق لمسافة تزيد على ٣٠٠ كيلو متر ، وتحرير أوكرانيا الجنوبية ومناطق الدونباس ، والوصول في نهاية شهر أيلول (سبتمبر) إلى نهر الدنيبر على جبهة عريضة ، والبدء باقتحام ذلك النهر دون توقف .

ومن أجل مؤازرة القوات في احتلال رؤوس الجسور ، نفذت عملية إنزال خاصة في ليلة ٢٤ أيلول (سبتمبر) ، بقوى لوائين من قوات الإنزال الجوي في منطقة مدينة كانيف . وبنتيجة المعارك الضارية التي دارت خلال الفترة ما بين ٢٢ و ٣٠ أيلول (سبتمبر) ، وعلى جبهة طولها ٧٥٠ كيلو متراً ، استطاعت القوات السوفييتية أن تستولي على ٢٣ رأس جسر على الضفة اليمنى لنهر الدنيبر . وبذلك باءت خطط القيادة الألمانية ، الهادفة إلى استقرار خط الجبهة على نهر الدنيبر ، بالفشل الذريع .

المرحلة الثانية : تشرين الأول (أكتوبر) ـــ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٣ م

خلال هذه المرحلة دار صراع عنيف من أجل التمسك برؤوس الجسور . فقد أسندت إلى القوات السوفييتية مهمة إزالة تحصينات العدو المتبقية على الضفة اليسرى لنهر الدنيبر ، وتوسيع رؤوس الجسور المحتلة ، وبالتالي القيام بالعمليات الهادفة إلى تحرير أوكرانيا الشمالية ـــ الغربية وشبه جزيرة القرم .

واعتباراً من ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ ، تغيّرت تسميات الجبهة الوسطى وجبهة فورونيج ، وجبهة ستيب ، والجبهة الجنوبية ـــ الغربية ، والجبهة الجنوبية ، وأصبحت تسمى على التوالي روسيا البيضاء الأولى وجبهات أوكرانيا الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة .

وفي الثاني عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) بدأ هجوم قوات جبهة أوكرانيا الأولى باتجاه كييف ، وبنتيجة المواقع والمعارك الضارية التي استمرت عدة أيام ، تم تحرير مدينة كييف في السادس من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، وواصلت قوات الجبهة هجومها نحو الغرب لمسافة حتى ١٥٠ كيلو متراً ،

وأقامت رأس جسر كييف الاستراتيجي على الضفة اليمنى لنهر الدنيبر، وباءت جميع محاولات الهتلريين بالفشل خلال النصف الثاني لشهر تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٣، والرامية إلى الانتقال للهجوم المعاكس، واستعادت السيطرة على مدينة كييف من جديد. وفي هذا الوقت بالذات، كانت قوات جبهات أوكرانيا الثانية والثالثة والرابعة تخوض مواقع حامية الوطيس في الجزء الجنوبي من أوكرانيا. وخلال ثلاثة أشهر من المعارك العنيفة تمكنت الجبهتان الأوكرانيتان، الثانية والثالثة، من القضاء نهائياً على رؤوس الجسور الألمانية المتبقية، وتحرير مدينة زابوروجي، ومدينة دنيبر وبيتروفسك، وإقامة رأس جسر ثانٍ ذي أهمية استراتيجية على نهر الدنيبر. وبعد أن شنت قوات جبهة أوكرانيا الرابعة هجومها في نهاية شهر أيلول (سبتمبر)، استطاعت أن تخرق دفاع العدو، وتطهّر الحوض الأسفل لنهر الدنيبر بالكامل تقريباً، وتطوّق التشكيلات الألمانية في شبه جزيرة القرم.

لقد دارت الأعمال القتالية للقوات السوفييتية خلال ملحمة نهر الدنيبر على جبهة تزيد عن ١٠٠٠ كيلو متر. ونفذت هذه القوات هجومها بوتائر عالية: في أثناء المطاردة ٢٠ ــ ٢٥ كم، وخلال فترة التقدم نحو نهر الدنيبر ١٢ ــ ١٥ كم، وأثناء توسيع رؤوس الجسور ٨ ــ ١٤ كم في اليوم. وان التعاون المنظم بمهارة بين الجبهات، التي وجهت ضرباتها في آن واحد وعلى نطاق عريض، وأعمال الأنصار في مؤخرة العدو، كل ذلك حرم القيادة الهتلرية من حشد احتياطاتها على أي اتجاه من الاتجاهات.

لقد حصلت القوات السوفييتية على خبرات واسعة في عبور الموانع المائية. كما أنها اقتحمت الكثير من الحركة عادة، وعلى جبهة عريضة وتحت جنح الظلام ودون التمهيد المدفعي. كذلك قامت القيادة السوفييتية بأعمال عبور كاذبة أثناء الاقتحام بغية تضليل العدو.

إن عدم وجود وسائط عبور ثقيلة للدبابات والمدفعية أدى إلى نتيجة سلبية في اقتحام الموانع المائية، وفي طليعتها نهر الدنيبر. لذا، اضطرت القوات السوفييتية في مثل هذه الشروط الصعبة إلى عبور الأنهار خوضاً، أو عن طريق الجسور التي تمّ تحريرها من العدو، كما استخدمت على نطاق واسع وسائط العبور الأخرى. وفي أثناء المطاردة وتوسيع رؤوس الجسور كان للقوات المدرعة الدور الحاسم، إلا أن عدم وجود وسائط العبور الثقيلة، لم يسمح لهذه القوات بالاستفادة من عامل المفاجأة أثناء احتلال رؤوس الجسور.

وقامت قيادات الجبهات والجيوش بتحضير وتنفيذ العمليات بمهارة وإتقانٍ بغية توسيع رؤوس الجسور الصغرى، وفي الوقت ذاته كانت قوات هذه الجبهات والجيوش تصد ضربات معاكسة قوية لدبابات العدو. ويعود الفضل في صد هذه الضربات بنجاح إلى الاستخدام الكثيف للمدفعية والطيران إلى حد كبير، وإلى المهارة في إقامة حواجز الألغام. وخلال تلك العمليات الهجومية حصلت القوات السوفييتية على خبرات واسعة في تنظيم وتنفيذ الأعمال القتالية الليلية من قبل الجحافل العملياتية، وكذلك في إعادة تجميع القوات من اتجاه عملياتي آخر.

في أثناء عملية نهر الدنيبر أنزلت القوات السوفييتية خسائر فادحة بالقوات الرئيسية لمجموعة جيوش

الوسط، ومجموعة جيوش الجنوب الألمانيتين، وحررت أكثر من ٣٨ ألف مدينة وقرية، من بينها ١٦٠ مدينة.

وبعد أن استولت القوات السوفييتية على رؤوس الجسور الاستراتيجية على نهر الدنيبر، تشكلت الشروط المواتية لشن الهجوم في مناطق روسيا البيضاء، ولتحرير أوكرانيا بالكامل، وتطوير النجاح على الاتجاه الغربي، والاتجاه الجنوبي ـــ الغربي.

٦ ـــ ٥ ـــ ملحمة القفقاس

لقد استمرت العمليات الهجومية التي نفذتها القوات السوفييتية بهدف الدفاع عن مناطق القفقاس خلال الحرب الوطنية العظمى، وسحق الجيش الألماني الذي توغل في هذه المناطق، من الخامس والعشرين من تموز (يوليو) عام ١٩٤٢ حتى التاسع من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣. واشتركت في ملحمة القفقاس قوات: الجبهة الجنوبية، جبهة شمال القفقاس، جبهة جنوب القفقاس، وأسطول البحر الأسود، وأسطول بحر آزوف، وأسطول بحر قزوين.

وخلال المرحلة الدفاعية من ملحمة القفقاس، التي امتدت من ٢٥ أيلول (يوليو) إلى ٣١ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٤٢، اضطرت القوات السوفييتية للعمل في شروط بالغة التعقيد والصعوبة، مما أجبرها على التخلي موقتاً عن عدد من مناطق شمالي القفقاس، والتراجع وهي تخوض المعارك القاسية ضد قوات فاشية متفوقة. وبعد أن دفعت الثمن باهظاً تمكنت القطعات الألمانية من الوصول إلى السلسلة الرئيسية لجبال القفقاس والاستيلاء على عدد من الممرات الجبلية الهامة، إلا أن محاولاتها الرامية للوصول إلى جنوب القفقاس باءت بالفشل. وفي نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) اضطرت القوات الألمانية للانتقال إلى الدفاع في جميع المناطق، بعد أن خسرت أكثر من ١٠٠ ألف رجل.

لقد بدأت المرحلة الهجومية من ملحمة القفقاس في الأول من شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣. فبعد أن منيت القيادة الألمانية بالهزيمة في ضواحي ستالينغراد بدأت في الأول من شهر كانون الثاني (يناير) بسحب قواتها على عجل من سفوح جبال القفقاس وتحريكها على الاتجاه الشمالي ـــ الغربي بغية الحيلولة دون وقوعها في الطوق. وفي مثل هذه الشروط انتقلت القوات السوفييتية في الثالث من شهر كانون الثاني (يناير) إلى مطاردة العدو المنسحب بعد أن حررت عدداً من المدن في شمالي القفقاس.

وفي ليلة الرابع من شهر شباط (فبراير) استولى إنزال للقوات السوفييتية على رأس جسر محدود في منطقة ميسخاكو، أطلق عليه فيما بعد اسم «حالايا زملا ـــ أي الأرض الصغيرة»، والذي لعب دوراً كبيراً فيما بعد، في أثناء تحرير الميناء الكبير ـــ نوفوروسيسك.

وخلال الهجوم اللاحق وصلت القوات السوفييتية في مطلع شهر أيار (مايو) عام ١٩٤٣ إلى شبه

جزيرة تامان ، حيث واجهتها مقاومة عنيفة من جانب العدو على الخط الدفاعي المحضر مسبقاً ، والذي أطلق عليه اسم «الخط الأزرق» الذي كان يدافع عليه تجميع ألماني بقوام ١٦ فرقة . وفشلت محاولات قطعات الجيش الأحمر لاختراق الخط الأزرق في ربيع عام ١٩٤٣ ، نظراً لأنها كانت منهكة في المعارك السابقة .

وخلال فترة الحملة الصيفية ــ الخريفية عام ١٩٤٣ ، ساعد الهجوم القوي الذي شنه الجيش الأحمر على الاتجاهين الأوسط والجنوبي ــ الغربي للجبهة السوفييتية ــ الألمانية ، على استئناف الهجوم في مناطق شمال القفقاس . وفي العاشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٣ بدأت قوات جبهة شمال القفقاس بتنفيذ عملية نوفوروسيسك ــ تامان الهجومية ، والتي بنتيجتها تم اختراق الخط الألماني الأزرق ، وتحرير مدينة نوفوروسيسك خلال مدة ستة أيام . ولقد حاولت القيادة الهتلرية تنظيم المقاومة على الخطوط الوسيطة ، مستهدفة من وراء ذلك تأمين إجلاء القوات الألمانية إلى شبه جزيرة القرم ، بيد أن محاولاتها هذه باءت بالفشل أيضاً ؛ إذ تمكنت قوات جبهة شمال القفقاس السوفييتية بالتعاون الوثيق مع الطيران ، وأسطول البحر الأسود ، وأسطول بحر آزوف من سحق تجميع تامان الألماني ، وتطهير شبه جزيرة تامان ــ رأس الجسر المعادي الأخير في أراضي القفقاس ــ بالكامل في التاسع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ .

انتهت ملحمة القفقاس بانتصار تاريخي رائع ، كانت له أبعاده ونتائجه السياسية ، والعسكرية الاستراتيجية الكبيرة ، ففي فترة الهجوم ضمن مناطق القفقاس تقدم الجيش الأحمر ، وهو يخوض المعارك ، نحو ٨٠٠ كيلو متر وحرر ما مساحته نحو ٢٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع من الأراضي ، كما أحبطت خطط العدو الرامية إلى تدمير القوات السوفييتية على هذا الاتجاه ، والاستيلاء على المناطق الزراعية الغنية ، وعلى مصادر نفط القفقاس ، والوصول إلى مناطق الشرقين الأدنى والأوسط . وبذلك فقد ألحق الجيش الأحمر الهزيمة الشنعاء بالقوات الهتلرية المختارة ؛ إذ إن خسائر العدو خلال فترة هجوم القوات السوفييتية في ملحمة القفقاس كانت قد بلغت ٢٨١ ألف رجل ، و١٣٥٨ دبابة ، و٢٠٠٠ طائرة وأكثر من ٧٠٠٠ مدفع وهاون ، والكثير من الأسلحة والأعتدة العسكرية الأخرى .

لقد كانت موقعة القفقاس على صلة وثيقة بملحمة ستالينغراد ، التي كان لها التأثير المباشر على الموقف في منطقة القفقاس . وكان لأحداث القفقاس أيضاً تأثيرها الإيجابي على سير ونتيجة ملحمة ستالينغراد ، إذ إن هذه الأعمال المترابطة ، وذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة ، استطاعت أن تستوعبها قيادة القوات السوفييتية بمهارة ، وكان لها أهمية حاسمة في سحق العدو . كذلك اكتسب الجيش الأحمر خبرات ميدانية غنية من الأعمال القتالية التي دارت في مناطق القفقاس ، وبخاصة في مجال تنظيم وتنفيذ العمليات الدفاعية والهجومية في المناطق العالية وعلى السواحل البحرية والوديان الجبلية الضيقة ، وفي المناطق الجبلية المكسوة بالغابات ، كما اكتسب مهارات قتالية في خوض عمليات الإنزال .

والجدير بالذكر أن هذه الخبرات استفادت منها القوات السوفييتية في العمليات التالية لسحق

القوات الألمانية في شبه جزيرة القرم، وعلى الشواطىء الشمالية والغربية للبحر الأسود وفي مناطق جبال الكربات.

٦ ــ ٦ ــ تطور الفن العسكري السوفييتي خلال المرحلة الثانية للحرب

تميزت المرحلة الثانية من الحرب الوطنية العظمى بالانتصارات الكبيرة التي أدت إلى حدوث تغييرات جذرية في الموقف السياسي. كما كان لهذه الانتصارات أهمية كبيرة بالنسبة لتطور الفن العسكري فيما بعد. وبنتيجة سحق القوات الألمانية في ضواحي ستالينغراد وضواحي كورسك، حدث واستقر التحول الجذري خلال الحرب الوطنية العظمى بشكل خاص وطيلة الحرب العالمية الثانية بشكل عام لصالح الاتحاد السوفييتي. فالجيش الأحمر انتزع زمام المبادرة من أيدي الألمان وبدأ بطرد المحتلين الفاشيين نهائياً من داخل الأراضي السوفييتية. وفي أعقاب الانتصار المظفر الذي حققه الجيش الأحمر في المرحلة الثانية من الحرب، واصل هذا الجيش زحفه نحو الغرب لمسافة تتراوح بين ٥٠٠ و ١٣٠٠ كيلو متر وحرر ٤٦٫٢٪ من الأراضي التي احتلها الألمان، ودخل أراضي روسيا البيضاء وأوكرانيا الجنوبية وشبه جزيرة القرم.

لقد سحقت القوات المسلحة السوفييتية ٢١٨ فرقة ألمانية نازية. وبذلك خسر العدو أكثر من مليون رجل، و١٤٫٣ ألف طائرة قتالية، و٧ آلاف دبابة، ونحو ٥٠ ألف مدفع، و٢٩٦ سفينة من مختلف الأنواع. واضطرت القوات الألمانية للتحول من استراتيجية الهجوم إلى الدفاع على طول امتداد الجبهة السوفييتية ــ الألمانية.

لقد كان للاقتصاد السوفييتي دوره أيضاً في تحقيق النجاحات الكبرى. فالبلاد شهدت تطوراً كبيراً ومتواصلاً في مجال الصناعة الحربية. كما أن التحول الجذري في عمل المؤخرة السوفييتية سمح بإعداد القوات المسلحة السوفييتية وتأمينها بكل ما تحتاج إليه للحياة والحرب. ففي عام ١٩٤٣ ازداد إنتاج الاتحاد السوفييتي من الطائرات بنسبة ٣٨٪ بالمقارنة مع إنتاج عام ١٩٤٢، وبلغت هذه النسبة أيضاً ٦٥٪ بالنسبة للمدفعية م/ط، و٧٤٪ بالنسبة للرشاشات الثقيلة، و٣٠ إلى ٩٠٪ بالنسبة لقذائف المدفعية، و٨٠٪ بالنسبة لقذائف الهاون، أما إنتاج المدافع ذاتية الحركة «ساو» فقد ازداد بمقدار ٧١ ضعفاً عما كان عليه في عام ١٩٤٢.

إن التطور الكبير في التجهيز الفني للجيش الأحمر، ومهام تنفيذ العمليات الهجومية الواسعة، كان يقتضي بالضرورة إدخال تحسينات على البنية التنظيمية للقوات.

لقد عادت الجيوش الميدانية المشتركة إلى تنظيم الفيالق، كما ازداد عدد أفواج مدفعية الفيالق، وتحولت المدفعية بكاملها تقريباً إلى مدفعية مقطورة آلياً، الأمر الذي زاد من قدرتها على المناورة إلى حد كبير. واستمر العمل لتشكيل ألوية مدفعية مستقلة م/د جديدة، وازداد عدد فرق المدفعية الصاروخية، وتشكلت فيالق مدفعية الخرق، أما في القوات المدرعة فقد اتجهت التغييرات نحو تنظيم جحافل وتشكيلات

كبيرة ، كما تحولت جيوش الدبابات من القوام المختلط إلى القوام الموحد . وفي مجال الطيران تعزز قوام الجيوش للجبهات ، كما أن التحول الذي حدث في الفيالق الجوية الموحدة تكرر في تشكيلات الدبابات أيضاً .

إن الهجوم الناجح الذي قام به الجيش الأحمر زاد الموقف سوءاً بالنسبة للموقف العسكري السياسي لألمانيا الهتلرية . فالهزائم التي لحقت بالقوات الهتلرية في ضواحي ستالينغراد وكورسك ومناطق الدونباس ، وعلى نهر الدنيبر ، وفي شمال القفقاس ، والتحطيم الكامل للجيشين الروماني والهنغاري في عام ١٩٤٣ ، كل ذلك أنزل ضربة قاصمة بسمعة ألمانيا وهيبتها . كما أن أنصار الحلف العدواني فقدوا ثقتهم في النتيجة المتوقعة للحرب وأدركوا أن مصيرهم أصبح قاتماً ، فأخذوا يتلمسون طرق الخروج من هذا المأزق . وبذلك أخذ الحلف الفاشي يترنح ويتجه نحو أزمة عميقة الجذور : ففي شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٣ خرجت ايطاليا من الحرب ، ثم تلتها كل من فنلندا ورومانيا . بالإضافة إلى ذلك فإن علاقات ألمانيا الاقتصادية والسياسية ازدادت سوءاً أو انقطعت مع البلدان المحايدة .

كان من شأن الانتصارات التي حققها الجيش الأحمر خلال المرحلة الثانية من الحرب أن عززت سمعة ومكانة الاتحاد السوفييتي على المسرح الدولي إلى حد كبير . كما عززت هذه الانتصارات حركات التحرر لشعوب البلدان التي تحتلها القوات الفاشية . ونشطت أعمال الأنصار واتسقت في كل من فرنسا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ويوغسلافيا ، واليونان . وتعزز النضال التحرري أيضاً في بلدان آسيا ضد الغزاة اليابانيين ، واتسقت أبعاد حركات التحرر الوطني في بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية . إن هذا النضال الذي خاضته الشعوب المحبة للسلام أضعف قوى الغزاة المحتلين ، وحول المؤخرة الأوروبية لألمانيا الهتلرية إلى مؤخرة ضعيفة وغير مأمونة الجانب ، كما أنه أدّى إلى تفاقم الأزمة التي يعاني منها المعسكر الفاشي ؛ وبالتالي فإن ذلك كله عجّل في نهاية الحرب العالمية .

إن النجاحات التي حققتها القوات المسلحة السوفييتية خلقت الظروف المواتية جداً لعمل القوات الأمريكية ــ البريطانية في شمال أفريقيا وإيطاليا ، وفي حوض المحيط الهادىء ، ولفتح الجبهة الثانية في أوروبا ، التي وعدت بها الدوائر الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، كما كان للانتصارات التي أحرزها السلاح السوفييتي دور عظيم في تطوير الفن العسكري .

الاستراتيجية : لقد استطاعت الاستراتيجية العسكرية السوفييتية أن تحل بنجاح المشكلة الأهم لانتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية والاحتفاظ بها في أيدي القيادة السوفييتية بصورة نهائية . أما طرق حل هذه المشكلة فقد ظهرت من خلال الجمع بمهارة بين كافة أنواع الأعمال الاستراتيجية ، والمعرفة العميقة لمخططات العدو والتوقع العلمي لتطور الأحداث ، وتحديد الأهداف الحاسمة وتحقيقها ، وكذلك من خلال الاختيار الصحيح لاتجاهات الضربات الرئيسية ، وتشكيل الاحتياطات الاستراتيجية في الوقت المناسب واستخدامها بمهارة وإتقان .

خلال المرحلة الثانية من الحرب استخدم الجيش الأحمر نوعين من الأعمال الاستراتيجية : الدفاع والهجوم . إلا أنه خلافاً لما كان عليه في المرحلة الأولى من الحرب ، كان الهجوم الاستراتيجي في هذه المرحلة

النوع الأساسي للأعمال الاستراتيجية. وفي حملة شتاء عام ١٩٤٢ ـــ ١٩٤٣ بدا هذا الهجوم الاستراتيجي بعد إنجاز الهجوم المعاكس، أما في حملة صيف ـــ خريف عام ١٩٤٣، ومع توفر زمام المبادرة الاستراتيجية، فقد بدأ هذا الهجوم الاستراتيجي خلال الهجوم المعاكس في ضواحي كورسك.

لقد نُفّذ الهجوم الاستراتيجي عن طريق الجمع بين الضربات المشتركة والمتعاقبة على جبهة عريضة. كما أن أبعاد هجوم القوات السوفييتية كانت قد ازدادت إلى حد كبير خلال حملة صيف ـــ خريف عام ١٩٤٣. ففي هذا الهجوم الاستراتيجي اشترك تسعة وستون جيشاً (من بينها خمسة جيوش دبابات، وتسعة جيوش جوية)، كما أن جبهة الهجوم اتسعت حتى بلغت ٢٠٠٠ كيلو متر، بينما بلغ عمق زحف القوات ٣٥٠ ـــ ٦٠٠ كيلو متر. ولا شك في أن هذا الهجوم المتزامن في آن واحد وعلى جبهة عريضة بدّد قوى العدو، وحدّ من مناورة احتياطاته.

أما الدفاع الاستراتيجي فإنه يختلف عن نظيره في المرحلة الأولى للحرب لكونه استمر ليس على طول الجبهة، بل على اتجاه استراتيجي واحد فقط ـ. في ضواحي كورسك، وظهر على شكل عملية دفاعية استراتيجية لمجموعة من الجبهات؛ وان توافر القوى الكافية والوقت اللازم لم يسمح للقوات السوفييتية بإقامة دفاع محصن وعميق فحسب، بل وباحتلال هذا الدفاع على كامل عمقه أيضاً وبشكل مسبق. فالدفاع لم يكن دفاعاً اضطرارياً، بل دفاعاً محضراً ومخططاً له مسبقاً. ولا شك في أن هذا كله هو الذي قرر النهاية المظفّرة لهذا الدفاع.

إن الخاصة التي تميزت بها كلتا الحملتين في المرحلة الثانية للحرب، كانت تنحصر في حقيقة أن القوات السوفييتية قامت مراراً، خلال هاتين الحملتين، بهجوم معاكس قوي، بهدف سحق التجمعات الاستراتيجية الرئيسية للعدو. وقد أدّت هذه الهجمات الشاملة المعاكسة إلى تغييرات حاسمة في مجرى الحرب.

لقد سبقت الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد مرحلة دفاعية طويلة وقاسية استمرت ١٤٤ يوماً، اضطر الجيش الأحمر خلالها للتخلي عن جزء كبير من الأراضي السوفييتية، والتراجع إلى عمق البلاد لمسافة ٥٠٠ ـــ ٦٠٠ كيلو متر. وظل زمام المبادرة الاستراتيجية في يد القيادة الألمانية طيلة هذه المرحلة.

إن الشروط التي سبقت الهجوم المعاكس في ضواحي كورسك تميزت بصورة جوهرية عن تلك الشروط التي سبقت الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد. فالدفاع الذي نفذته القوات السوفييتية في ضواحي كورسك كان دفاعاً عن إصرار، ومحدداً بقرار من القيادة السوفييتية، في شروط التفوق العام للجيش الأحمر. إلا أن المرحلة الدفاعية في ضواحي كورسك استمرت سبعة أيام فقط، بدأ بعدها الهجوم المعاكس. وفي هذه الأثناء، وقبل بدء هجوم الألمان بوقت طويل، كانت القوى والوسائط الرئيسية للجيش الأحمر، واللازمة للانتقال إلى الهجوم المعاكس قد أعدت وحضرت مسبقاً، وتحشدت في حينه على اتجاه كورسك. إن هذا الإجراء أمّن للقوات السوفييتية الانتقال السريع من الدفاع إلى الهجوم. وبالاضافة إلى

ذلك فإن هناك خاصة أخرى وهي : إذا كان الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد قد نفذ عملياً بقوى الجبهات نفسها التي خاضت الأعمال الدفاعية من قبل ، فإن جبهات أخرى كانت تتوضع بعيداً عن تلك المناطق التي دارت فيها العمليات الدفاعية ، هي التي اشتركت في الهجوم المعاكس خلال ملحمة كورسك . إن ذلك كله أوجد أبعاداً أكثر اتساعاً للهجوم المعاكس ، ولتحقيق انتصارات كبيرة من جانب القوات السوفييتية .

لقد كان لمسألة تحديد لحظة الانتقال إلى الهجوم المعاكس بصورة صحيحة أهمية بالغة . ففي ضواحي ستالينغراد انتقلت القوات السوفييتية إلى الهجوم المعاكس بعد أن انتقل العدو إلى الدفاع ، ولم يتمكن بعد من إعادة تجميع قواته والتمسك بالخطوط التي يحتلها بقوة وإصرار . أما في ضواحي كورسك ، فإن الهجوم المعاكس للجيش الأحمر كان قد بدأ في الوقت الذي توقف فيه هجوم الألمان من الشمال ، في حين استمر هذا الهجوم من جهة الجنوب .

إن الجمع بمهارة بين الدفاع ، والهجوم المعاكس ، والهجوم العام ، أمّن للجيش السوفييتي تحقيق الأهداف الاستراتيجية . كما تطوّر إلى حد كبير فن استخدام جميع صنوف القوات المسلحة . والجدير بالذكر أن تحقيق الأهداف الاستراتيجية في كلتا الحملتين ، كان مرده إلى استعادة الطيران السوفييتي للسيطرة الجوية ، التي تحققت عن طريق خوض المعارك الجوية بمهارة وإتقان ، والعمليات التي نفذت خاصة لتدمير مطارات العدو وعتاده الجوي على الأرض . أضف إلى ذلك أن قوات الدفاع الجوي الإقليمي زادت من فعاليتها في تغطية الأغراض الهامة للمؤخرة الاستراتيجية ؛ وأن المهمة الأساسية لاستراتيجية المرحلة الثانية للحرب كانت تتمثل في التحديد الصحيح لاتجاه الضربة الرئيسية ، وحشد القوى والوسائط اللازمة على هذا الاتجاه .

لقد وجهت الضربة الرئيسية خلال العمليات الهجومية الاستراتيجية التي قامت بها مجموعات جبهات الجيش الأحمر إلى الأماكن والنقاط الأكثر ضعفاً في دفاع العدو ، مع التطوير اللاحق للنجاح على مجنبات التجميعات الرئيسية للقوات المعادية ومؤخراتها ؛ وهذا ما حدث بالفعل في ضواحي ستالينغراد . أما في بعض الحالات ، فإن الضربة الرئيسية ، تبعاً لشروط الموقف المتشكل ، كانت توجه إلى القطاع الأكثر قوة في دفاع العدو ، وهذا ما حدث على سبيل المثال في عملية بيلغورود ـــ خاركوف . كما أن القيادة السوفييتية كانت تحشد على اتجاه الضربة الرئيسية تجميعات كبيرة خلال العمليات الاستراتيجية ، وذلك عن طريق المناورة الجريئة بالقوى والوسائط للجبهات .

إن تشكيل الاحتياطات الاستراتيجية واستخدامها بمهارة ، وفي الوقت المناسب ، كان الدور الكبير في تنفيذ مهام الهجوم والدفاع بنجاح على حد سواء . وهذه الاحتياطات لم تتعزّز كمّاً فحسب ، بل تعززت نوعاً أيضاً . كما أنها لم تُبدّد أو تشتت كما حصل خلال المرحلة الأولى من الحرب ، بل استُخدمت بكثافة وتركيز على الاتجاه الرئيسي ، وفي اللحظة الحاسمة .

وخلال المرحلة الثانية بأكملها، كان قوام احتياط القيادة السوفييتية يضم وسطياً نحو سبعة جيوش (٣٥ ــ ٤٠ فرقة).

وبفضل المناورة بالاحتياطات، وتغذية القوى في أثناء الهجوم، استطاع الجيش الأحمر أن يحقق استمرارية العمليات، وأن يحرم العدو من الوقت اللازم لتنظيم دفاعه، وبذلك أحبط خططه الرامية إلى الانتقال لدفاع مواضعي (ثابت) طويل الأمد، كما حدث في الحرب العالمية الأولى.

في هذه المرحلة من الحرب، استطاعت القيادة السوفييتية أن تنفذ بنجاح مهام التعاون الاستراتيجي بين الجبهات ومجموعات الجبهات. وكأمثلة على تنظيم التعاون بين عدد من الجبهات العاملة على اتجاه استراتيجي واحد، نجدها في كافة العمليات الكبيرة التي شهدتها المرحلة الثانية للحرب وبالتحديد: الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد ــ ثلاث جبهات، وسحق تجميع قوات أوريول المعادية ــ ثلاث جبهات، وعملية سمولنسك الهجومية ــ جبهتان، وغير ذلك. كما تحقق التعاون الوثيق أيضاً بين أنواع القوات المسلحة السوفييتية. ففي جميع العمليات الكبيرة التي خاضتها القوات البرية، اشتركت بصورة فعّالة قوات الدفاع الجوي الاقليمي، والطيران الاستراتيجي، والأسطول البحري على الاتجاهات الساحلية.

ان الخبرات والدروس المستفادة من العمليات التي شهدتها المرحلة الثانية للحرب تؤكد مرة أخرى على أن سحق التجميع الاستراتيجي الكبير للعدو يمكن أن يتحقق بشرط واحد فقط وهو، التعاون بين عدد من الجبهات وبين كافة أنواع القوات المسلحة أيضاً. وقد تميزت القيادة الاستراتيجية للقوات السوفييتية، خلال المرحلة الثانية للحرب، بصورة عامة، بالمركزية العالية، وبالمقدرة العملية على التكيف مع خصائص الموقف المتشكل وشروطه، وبالمهارة في اختيار أفضل الطرق للصراع.

لقد خطا فن العمليات للقوات السوفييتية خطوة واثقة جديدة في المرحلة الثانية للحرب، كما أن العدو نفسه أدرك التطور الكبير في فن العمليات السوفييتي، والمهارة العملياتية لدى الضباط والقادة السوفييت. ففي كتاب «تاريخ الحرب العالمية الثانية» الذي صدر في منتصف الخمسينيات، كتب المؤرخ العسكري الألماني الجنرال تيبل سكريخ يقول: «لم يفوّت الروس فرصة واحدة للاستفادة منها واستخلاص الدروس والعبر من أخطائهم. وفي شتاء ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ أصبحت أعمال الخرق التي يقومون بها أكثر نجاحاً وخطورة».

إن الاتجاهات الرئيسية لتطور الفن العملياتي في المرحلة الثانية للحرب انحصرت في البحث عن أفضل الأشكال والطرق لخرق الجبهة المواضعية للعدو، وبالتالي تطوير هذا الخرق حتى المستويات العملياتية. ولهذه الغاية كانت تحشد الأعداد الكبيرة من القوى والوسائط على قطاعات الخرق، مما مكن القيادة السوفييتية من خلق التفوق الحاسم بالقوى والوسائط على العدو، وخاصة على اتجاهات الضربات الرئيسية. فقد بلغ هذا التفوق عادة: بالمشاة ٢ ــ ٣ أضعاف، بالمدفعية ٣ ــ ٦ أضعاف، بالدبابات ٢ ــ ٧ أضعاف.

وكان الشكل الأفضل للخرق يتمثل في توجيه عدة ضربات في آن واحد على عدد من القطاعات،

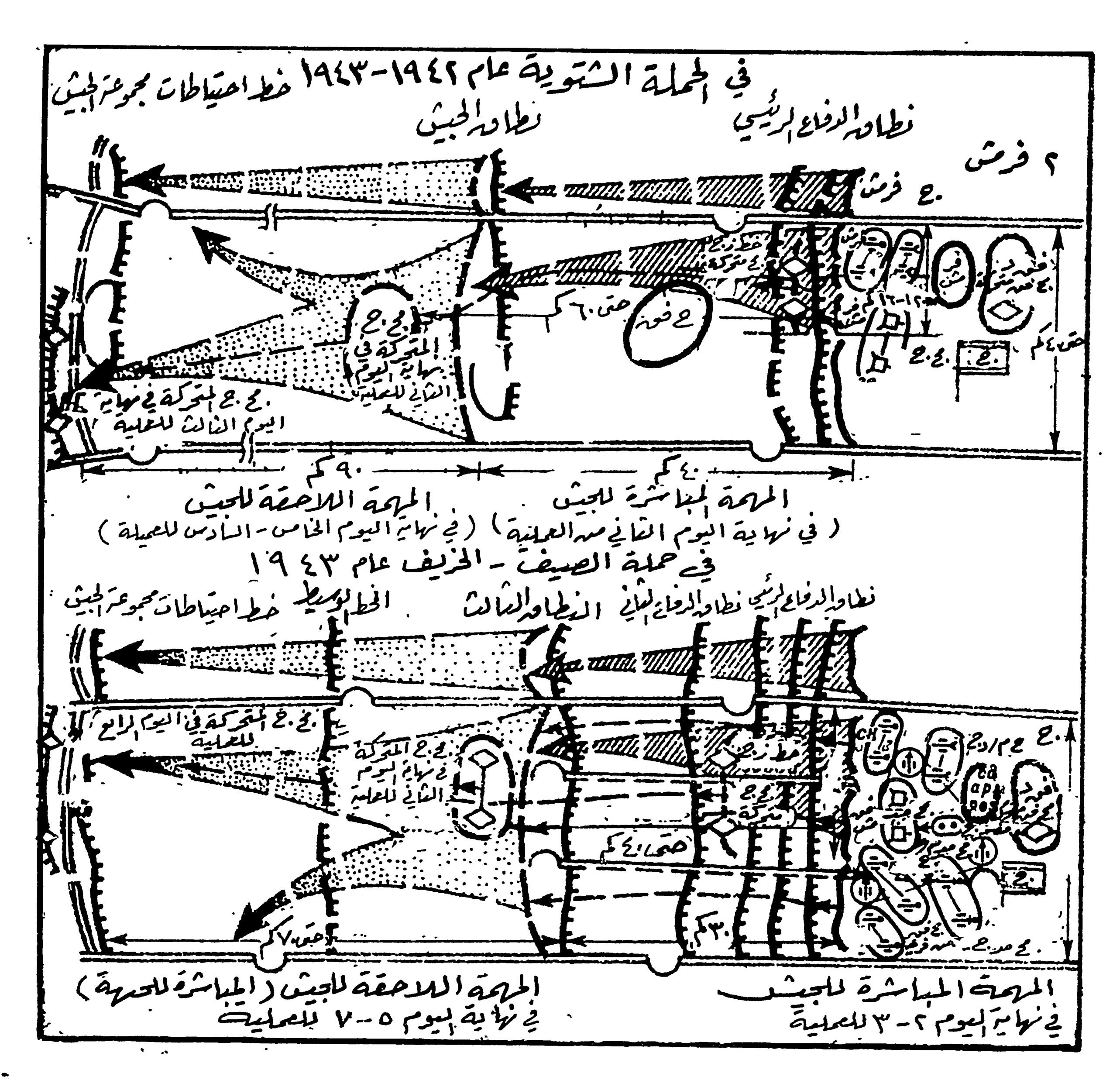
الأمر الذي كان يرغم العدو على تبديد احتياطاته ، في أثناء محاولاته لصد الخرق أو إيقافه . كما أن حسمية الأهداف المحددة للعمليات ، إضافة إلى توجيه الضربات الجبهية ، أدّت بالتالي إلى استخدام مناورة التطويق في أغلب الأحيان .

وخلافاً لما كان عليه في المرحلة الأولى للحرب ، حيث كانت نطاقات هجوم الجبهات والجيوش واسعة ، وقطاعات الخرق لم تكن واضحة بدقة ، فإن تلك النطاقات والقطاعات أخذت تضيق وتتقلص خلال المرحلة الثانية للحرب . فالجبهات أصبحت تهاجم في نطاق ١٥٠ ــ ٢٠٠ كم ، وللجيش الميداني المشترك ٦ ــ ١٢ كيلو متراً . كما أن حشد القوى والوسائط ساعد على زيادة الكثافات العملياتية إلى حد كبير ضمن قطاعات الخرق . ففي العمليات الهجومية التي جرت عام ١٩٤٣ بلغت هذه الكثافات معدل ٢٫٥ ــ ٣ كم لفرقة المشاة ، و ١٥٠ ــ ١٨٠ مدفعاً وهاوناً ، و ٣٠ ــ ٤٠ دبابة أو أكثر على الكيلو متر الواحد . أضف إلى ذلك أن مدة عملية الجبهة كانت تتراوح بين ٥ و ٢٥ يوماً . كما أن أقصر وتيرة لهجوم المشاة بلغت ٢٠ ــ ٢٥ كم في اليوم ، وللقوات المدرعة ٤٠ ــ ٥٠ كم أو أكثر في اليوم .

في المرحلة الثانية من الحرب ، حدث تغيير كبير أيضاً في البنية العملياتية لقوات الجبهات والجيوش السوفييتية . ففي حملة شتاء ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ كانت الجبهات ، كما كان الحال في المرحلة الأولى من الحرب ، تنفذ العمليات الهجومية على نسق واحد مع وجود احتياطات محدودة الحجم . غير أن النسق الأول أصبح أكثر قوة واشتمل على جيش دبابات من القوام المختلط . واعتباراً من صيف عام ١٩٤٣ ، وبعد أن أصبح دفاع الألمان أكثر عمقاً وكثافة بالقوات والعتاد ، ظهرت الضرورة الملحة التي لا تقضي بتوجيه الضربات القوية الأولى إلى العدو فحسب ، بل وتقضي أيضاً بتطوير قوة هذه الضربات مع تطوير العمليات في العمق . ولهذه الغاية بدأت القيادة السوفييتية بالتحول إلى بنية النسقين للجبهات . وبذلك أصبحت تعمل على اتجاه الضربة الرئيسية المجموعات المتحركة للجبهات ــ بقوام جيوش الدبابات ذات القوام الموحد .

لقد حددت البنية العملياتية للجيوش الميدانية المشتركة في مطلع عام ١٩٤٣ ، على نسقين مع تشكيل مجموعة متحركة بقوام فيلق دبابات أو فيلق ميكانيكي . واعتباراً من صيف عام ١٩٤٣ أخذت الجيوش الميدانية المشتركة تبني تراتيب قتالها على نسق واحد أحياناً مع تشكيل مجموعات مدفعية ، ومفارز سدود متحركة واحتياطات (انظر الشكل رقم ٤٠) .

من بين خصائص العمليات الهجومية في المرحلة الثانية للحرب ، هي أن هذه العمليات كانت تبدأ عادة بخرق الدفاع المواضعي للعدو ؛ وأصبح توجيه الجيش الميداني المشترك لضربة واحدة قاعدة عامة ؛ كما أن الجبهات أصبحت تنفذ الخرق على اتجاه واحد أو عدة اتجاهات . وبذلك فإن عمليات المرحلة الثانية للحرب قدمت خبرات ودروساً قيمة ، من أجل وضع المبادىء والأسس النظرية الهامة المتعلقة بتخطيط وتنفيذ الأعمال القتالية لتطويق وتدمير التجميعات الكبيرة من قوات العدو . وأصبحت الإحاطة بمجنبات العدو من الجانبين بغية الوصول إلى مؤخرته العميقة ، والقيام بالتطويق عن طريق تشكيل جبهة داخلية وأخرى خارجية ، الشكل الأكثر حسمية من بين أشكال المناورة العملياتية . وكان من المفضل أيضاً أن



(الشكل رقم ٤٠) — تنظيم هجوم الجيش الميداني المشترك في المرحلة الثانية للحرب.

يكون تطويق التجميعات المعادية والقضاء عليها عبارة عن عملية موحدة تنفذ دون أي توقف. فالتوقف الاضطراري الذي حدث في ملحمة ستالينغراد مثلاً أدّى إلى إطالة مدة العملية والوسائط بكاملها لفترة طويلة، وإلى استهلاك عدد كبير من القوى والوسائط لتدمير العدو المطوق.

لقد حصلت القوات السوفييتية على خبرات ثمينة في مجال تنظيم وتنفيذ المطاردة العملياتية لتجميعات العدو الكبيرة أيضاً. وتؤكد الخبرات والدروس المستفادة على أن النتائج الحاسمة لم تتحقق في أثناء المطاردة العملياتية للعدو، إلاّ عندما تُخصص مفارز متحركة قوية من مستوى الفرقة وحتى الجيش، من أجل احتلال الخطوط المناسبة وسبق قوات العدو المنسحبة في الوصول إليها.

في حملة شتاء عام ١٩٤٢ — ١٩٤٣، كانت الواسطة الأساسية للمطاردة تتمثل في المجموعات المتحركة للجيوش، بقوام فيلق دبابات أو فيلق ميكانيكي، تعمل وراءه طلائع الفرق. وفي حملة الصيف — الخريف أصبحت المجموعات المتحركة التابعة للجبهات تلعب دوراً هاماً في المطاردة. وقد ضمت هذه المجموعات في قوامها جيوش دبابات، وفيالق دبابات وميكانيكية، تعمل وراءها الطلائع القوية

العائدة للجيوش. إذ إن تلك الطلائع التي تتقدم بسرعة إلى الأمام كانت تبتعد عن القوات الرئيسية لمسافة ٢٠ ـــ ٣٠ كيلو متراً، وتلتف حول نقاط الاستناد وعقد المقاومة وتصل إلى مجنبات ومؤخرات قوات العدو وتستولي على خطوط الدفاع الوسيطة، والممرات الجبلية، والجسور والمعابر ... الخ، كما أنها كانت بذلك تمهد الطريق أمام القوات الرئيسية المهاجمة. وعند بدء المطاردة كانت القوات الرئيسية للجيوش تنظم في الأرتال وتواصل هجومها متقدمة خلف الطلائع. ومن أجل تدمير نقاط المقاومة المتبقية كانت تخصص القوى والوسائط اللازمة لذلك.

وهكذا، أصبحت القوات السوفييتية في هذه المرحلة من الحرب تستخدم الاستطلاع القتالي (عنوة) على نطاق واسع بواسطة الكتائب الأمامية. ففي أثناء الهجوم المعاكس الذي حدث في ضواحي ستالينغراد نفذ هذا النوع من الاستطلاع، قبل بدء الهجوم بثلاثة أيام ونصف، وعشرة أيام وعلى عدة اتجاهات مختلفة. واعتباراً من كانون الثاني (يناير) أصبح الاستطلاع القتالي (عنوة) يخطط من قبل قادة الجيوش، وتحدد له مهام مختلفة، وينفذ قبيل أو عشية الهجوم، وعلى جبهة عريضة. وبذلك أمكن تضليل العدو، ومنعه من معرفة اتجاه الضربة الرئيسية للقوات. وبالإضافة إلى ذلك فقد اتخذت القوات السوفييتية تدابير التمويه العملياتي بمهارة فائقة.

كما جرى تحسين الاستخدام القتالي للمدفعية باتجاه زيادة كثافاتها على اتجاهات الضربات الرئيسية، وزيادة عمق واحتمالات إبطال العدو. وعند ضرورة خرق دفاع العدو المحصن بدأت القوات السوفييتية باستخدام الهجوم المدفعي، بحجمه الكامل اعتباراً من المرحلة الثانية للحرب. فقد ازدادت كثافات المدافع والهواون على الكيلو متر الواحد من جبهة الخرق بمقدار ٢ ـــ ٤ أضعاف بالمقارنة مع كثافات المرحلة الأولى للحرب. وتعود أسباب هذه الزيادة إلى حصول سلاح المدفعية على أعداد كبيرة من المدافع، وإلى حشد وتركيز هذه الأسلحة أيضاً على اتجاهات الضربات الرئيسية. فإذا كانت نسبة المدفعية في ملحمة موسكو، وفي فترة الهجوم المعاكس من تلك الملحمة، تساوي ٣ر١ إلى ١، فإنها في الهجوم المعاكس الذي حدث في ضواحي ستالينغراد بلغت ٣ إلى ١، وفي ملحمة كورسك ٦ إلى ١. وهذا يعني أن القيادة السوفييتية أصبحت تحشد ما بين ٦٠٪ و ٩٠٪ من مدفعية الجبهة والجيش على اتجاهات الضربات الرئيسية.

كذلك أوجدت القيادة السوفييتية الطرق الأكثر فعالية لاستخدام الطيران. وهي الهجوم الجوي، الذي كان يتألف من ثلاث مراحل: مرحلة التمهيد الجوي الأولي، مرحلة التمهيد الجوي المباشر، ومرحلة الدعم الجوي للهجوم. وأصبحت القيادة السوفييتية تخصص من ساعتين إلى أربع ساعات للدعم الجوي للهجوم، و٦٥ ـــ ٧٥٪ من العدد الإجمالي لطلعات الطائرات لتأمين تطوير العملية في الغمق. كما أن القيام بالحصار الجوي ضد العدو المطوق في ضواحي ستالينغراد أصبح طريقة جديدة في استخدام الطيران.

لقد أصبح الدفاع الجوي للقوات أكثر فعالية خلال العمليات. فالقيادة السوفييتية استخلصت من

تجارب الأعمال القتالية السابقة وخبراتها استنتاجاً حول عدم صحة اللامركزية في استخدام الوسائط المضادة للطائرات من أجل تغطية هجوم كل فرقة مشاة على حدة. وانطلاقاً من ذلك شكلت، اعتباراً من العام ١٩٤٣ مجموعات المدفعية المضادة للطائرات القوية التي استخدمت بالاشتراك مع الطيران المقاتل، وفقاً لخطة الدفاع الجوي الموحدة في الجيوش.

إن فن تنظيم الدفاع الجوي العملياتي الذي ظهر في زيادة عمق هذا الدفاع بصورة خاصة، وكذلك في تغيير تنظيم وبنية القوات في الدفاع، قطع شوطاً كبيراً من حيث التطور والتجديد. ففي صيف عام ١٩٤٣ انتقل الجيش الأحمر من نظام الدفاع البؤري، إلى نظام دفاع الخنادق؛ حيث بنت القوات السوفييتية دفاع الجبهات والجيوش على عمق كبير. وفي صيف عام ١٩٤٣ كانت الجبهات تجهز ٤ — ٦ نطاقات دفاعية على عمق يتراوح بين ١٢٠ — ١٥٠ كم. كما أن عمق دفاع الجيش — كما حدث في الدفاع عن ضواحي كورسك خاصة — كان على نسقين، حيث ظهرت، ولأول مرة في سنوات الحرب، جيوش الدبابات وليس الجيوش الميدانية المشتركة في النسق الثاني للجبهة، أما الاحتياطات فقد اشتملت على فيالق مشاة ودبابات.

لقد بنت الجيوش الميدانية المشتركة، وجيوش الدبابات تراتيب قتالها في الدفاع على نسق واحد في أغلب الأحيان (انظر الشكل رقم ٤١)، حيث أصبحت مجموعات المدفعية المضادة للطائرات واحتياطات المدفعية المضادة للدبابات القوية، ومفارز السدود المتحركة، عناصر أساسية لا بد منها في البنية العملياتية للجيوش. ففي أثناء تنظيم الدفاع في المرحلة النهائية من العملية الهجومية، كانت بنية الجبهة على نسق واحد عادة، وجيش الدبابات على الاتجاه الرئيسي. وفي تنظيم الدفاع العملياتي للجبهات والجيوش ظهر اتجاه واضح نحو زيادة كثافة القوات، وتكثيف القوى والوسائط على اتجاهات ضربات العدو المحتملة، ونحو تقليص عرض النطاقات الدفاعية. فإذا كانت الجبهة السوفييتية التي قوامها أربعة جيوش تدافع خلال المرحلة الأولى من الحرب، ضمن نطاق ٧٠ — ١٢٠ كم أو أكثر، فإن الجبهة، بقوامها هذا، مع أعداد كبيرة جداً من وسائط التعزيز، كانت تدافع خلال المرحلة الثانية من الحرب في نطاق ٢٥٠ — ٣٠٠ كم، بينما يدافع الجيش في نطاق ٤٠ — ٧٠ كم. وقد مكّن ذلك من زيادة الكثافات العملياتية للقوات السوفييتية للدفاع بمقدار الضعف بالمقارنة مع كثافات المرحلة الأولى من الحرب.

كذلك ازدادت قوة الضربات المعاكسة التي كانت تقوم بها القوات السوفييتية المدافعة. وعلى سبيل المثال فقد اشتركت في الضربة المعاكسة، التي نفذت في ضواحي ستالينغراد صيف العام ١٩٤٢ ثلاث فرق ونحو ٢٥٠ دبابة. وبعد عام تماماً، وفي شهر تموز (يوليو) عام ١٩٤٣، قام بالضربة المعاكسة في ضواحي كورسك جيشان ميدانيان، وجيشان آخران من الدبابات، أي بقوام يزيد عن ٨٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة.

وأصبحت القيادة السوفييتية تركز اهتمامها الخاص على تنظيم الدفاع المضاد للدبابات، الذي بدأ يشتمل على نقاط الاستناد المضادة للدبابات والمناطق م/د، والمنشآت الهندسية، وحواجز الألغام

المتفجرة، ومرابض المدفعية والدبابات، والمدافع ذاتية الحركة، واحتياطات الدبابات، والهندسة وجهاز الرصد والإنذار، وعدد من العناصر الأخرى أيضاً. فإذا كان حشد الوسائط المضادة للدبابات على الاتجاهات الهامة غير كافٍ في المرحلة الأولى من الحرب، وفي معظم العمليات التي خاضها الجيش الأحمر، وإذا كان عمق الدفاع المضاد للدبابات محدوداً في تلك المرحلة أيضاً، فإن هذا الحشد، وذلك العمق كان قد بلغ ٣٠ ــ ٣٥ كم في ملحمة كورسك، كما أن الخطوط م/د تلتقي مع نطاقات الدفاع، مما ساعد على إقامة التعاون الأكثر وثوقاً بين الوسائط م/د ورمايات المشاة والمدفعية والدبابات.

وعلى الاتجاهات الهامة بلغت كثافات المدافع المضادة للدبابات أكثر من ٢٠ ــ ٢٥ مدفعاً على الكيلو متر الواحد من الجبهة. منها ٦٠ ــ ٦٥٪ كان يتواجد في المنطقة التكتيكية والباقي تحت تصرف قادة الجبهات والجيوش.

لقد حصل فن العمليات السوفييتي في المرحلة الثانية من الحرب على خبرات غنية في مجال استخدام القوات المدرعة في الدفاع. فقبل تلك المرحلة من الحرب، كانت الفكرة السائدة تقضي بأن تشكيلات الدبابات يجب أن تستخدم في الدفاع فقط للقيام بالضربات المعاكسة.

أما في ملحمة كورسك فقد استخدمت هذه التشكيلات لهذه الغاية بالذات، وللدفاع أيضاً عن خطوط في العمق التكتيكي والعملياتي، بالاشتراك مع تشكيلات من القوات المشتركة، أو بصورة مستقلة. ولقد أكدت الخبرة القتالية على أنه من غير المستحسن دوماً القيام بضربة معاكسة ضد تجميعات ضخمة من الدبابات المهاجمة، بقوى جيوش وفيالق دبابات ومن الحركة. وفي مثل هذه الشروط، كان من الأفضل لجيوش الدبابات أن تحتل خطاً دفاعياً، وبالرمي من الثبات تلحق الخسائر بالدبابات المهاجمة وتشتت تراتيب قتالها، ومن ثم توجه الضربة المعاكسة.

إن معاكس التمهيد المدفعي، الذي ألحق بتجميعات العدو الضاربة الخسّائر الفادحة وأرغمها بعد الموعد المقرر بعدة ساعات، كان ظاهرة جديدة ورائدة في مجال استخدام المدفعية من قبل القيادة السوفييتية في أثناء ملحمة كورسك وعلى مستوى الجبهات. وقد كان معاكس التمهيد المدفعي هذا أكثر فعالية ضد تلك المناطق التي حشدت فيها دبابات وأفراد العدو التي استعدّت للهجوم في قواعد الانطلاق.

وتطور أيضاً في الدفاع استخدام الطيران السوفييتي، كما استخدمت على نطاق واسع الحواجز الهندسية، وتلغيم الأرض، وأصبحت المؤخرة تعمل بانتظام أفضل في معالجة مسائل التأمين المادي والفني للقوات السوفييتية. كما تطور تكتيك المعركة المشتركة على ضوء التطور في التجهيز التقني للجيش الأحمر، ونتيجة لتعميم الخبرة القتالية المستخلصة من المعارك السابقة، وتحسين مهارات المقاتلين السوفييت خلال المعارك اللاحقة. إذ إن تكتيك القوات السوفييتية كان يتميز بحسمية الأعمال القتالية، والجرأة في المبادرة أثناء المعركة، والاستخدام للمناورة، والتنظيم الدقيق للتعاون بين كافة صنوف القوات.

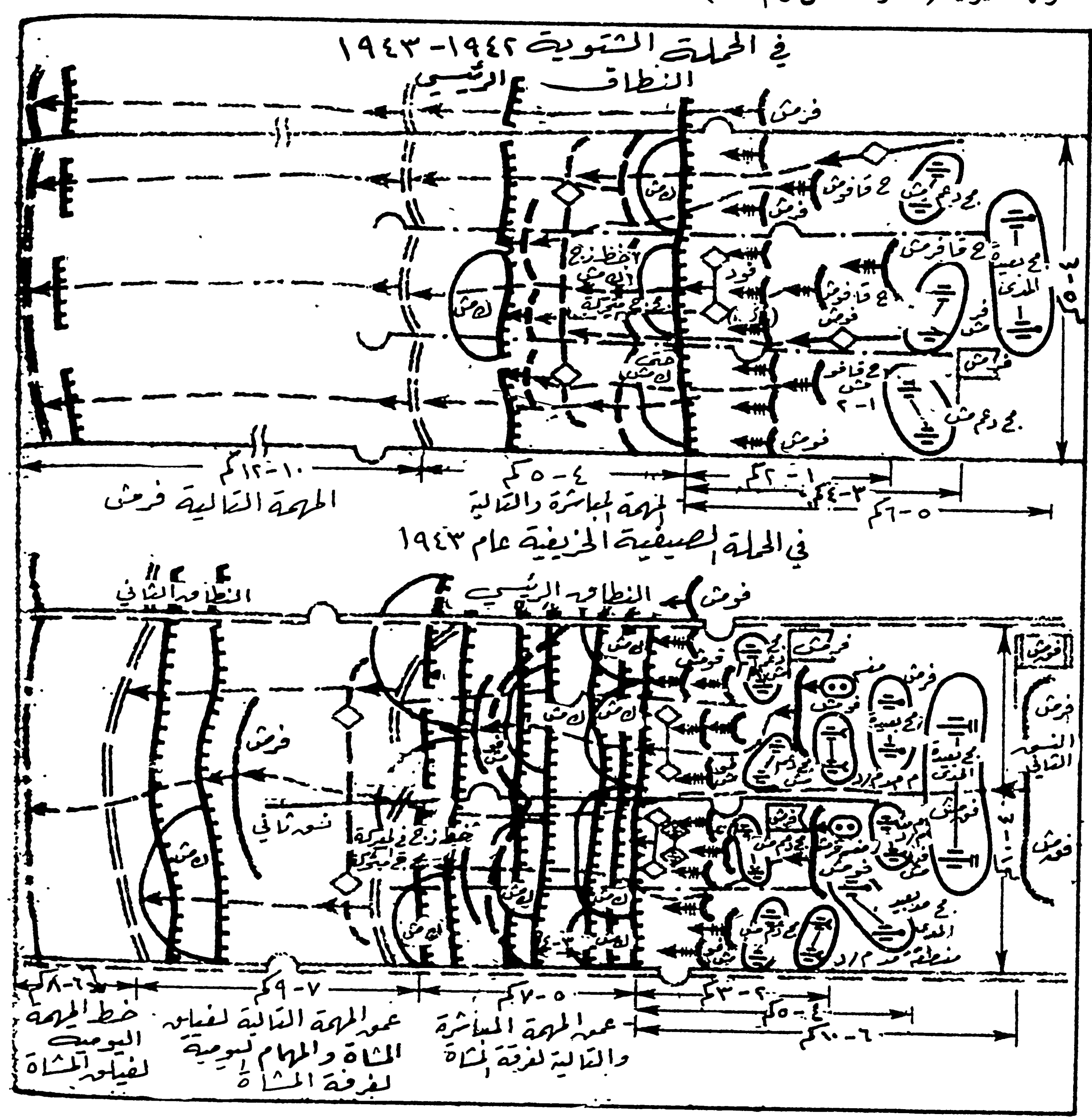
إن تنفيذ الهجوم خلال المرحلة الثانية من الحرب وبوتائر عالية وعلى عمق كبير لم يكن ممكناً إلا في حال تحقيق شرط واحد، وهو تنفيذ مهام خرق المنطقة التكتيكية لدفاع القوات الألمانية. كما أن تبدّل طبيعة

(الشكل رقم ٤١) ــ تنظيم دفاع جحافل الجيوش في المرحلة الثانية للحرب.

دفاع العدو وضرورة خرق هذا الدفاع في اليوم الاول للهجوم كان لهما التأثير الكبير على عمق المهام القتالية، وبنية تراتيب القتال للتشكيلات والقطعات السوفييتية.

وفي المرحلة الثانية من الحرب، لم تسند المهام القتالية إلى التشكيلات وقطعات المشاة من حيث العمق فقط، كما كان ذلك متبعاً في عام ١٩٤١، بل ومن حيث أغراض الدفاع أيضاً، الأمر الذي ساعد في تنظيم التعاون بصورة أفضل بين صنوف القوات.

وفي نهاية عام ١٩٤٢، كانت المهمة القتالية المسندة إلى فرقة المشاة من أجل خرق المنطقة التكتيكية لدفاع العدو عميقة بصورة كافية، ومقسمة إلى مهمة مباشرة وأخرى تالية. إلاّ أن تحول القوات الألمانية في صيف عام ١٩٤٣ إلى دفاع الخنادق الكثيف والمتصل مع وجود نطاقين في المنطقة التكتيكية، أدّى إلى تقليص عمق المهام لتشكيلات المشاة، وإلى تقسيم هذه المهام إلى: مهمة مباشرة، ومهمة تالية، ومهمة يومية (انظر الشكل رقم ٤٢).



(الشكل رقم ٤٢) ــ تكتيك تشكيلات المشاة في المعركة الهجومية.

كذلك فإن وجوب خرق دفاع العدو المتعدد الأنساق في العمق كان يقضي بالضرورة تقليص نطاقات الهجوم وقطاعاته. حتى إن نطاق الهجوم وقطاع الخرق لفرقة المشاة كانا يتطابقان أحياناً (انظر الجدول رقم ١٦).

ففي الهجوم المعاكس الذي جرى في ضواحي موسكو، كان عرض نطاق هجوم الفرقة السوفييتية يتراوح بين ٦ و ١٠ كيلو مترات، أما في ضواحي ستالينغراد (كما هو مبين في الجدول رقم ١٦) فإن عرض نطاق هجوم الفرقة تقلص حتى ٥ ــ ٨ كم، وفي ملحمة كورسك انخفض حتى ٢ ــ ٣ كم. وبفضل ذلك استطاعت القيادة السوفييتية أن تزيد من الكثافات التكتيكية على قطاعات الخرق بمقدار ٢ ــ ٣ أضعاف وسطياً. وفي ضواحي موسكو كانت قوى ووسائط فرقة المشاة تتوزع عملياً بصورة متساوية على طول امتداد خط الأعمال القتالية، إلا أنه في الهجوم المعاكس الذي حدث في ضواحي ستالينغراد، وفي ضواحي كورسك خاصة، أصبح حشد هذه القوى والوسائط أكثر حسمية على اتجاهات الضربات الرئيسية.

لقد تعرضت تراتيب قتال القوات السوفييتية إلى تغييرات كبيرة؛ فاعتباراً من صيف عام ١٩٤٣ أصبحت قطعات المشاة وتشكيلاتها تبني تراتيب قتالها على نسقين، أو على ثلاثة أنساق أحياناً. والجدير بالذكر أن البنية العميقة لتراتيب قتال القوات السوفييتية المهاجمة ساعدت على زيادة قوة الضربة النارية الأولى؛ أما وجود أنساق ثانية واحتياطات قوية، فقد سمح لقادة الفرق والفيالق بتغذية جهود القوات من العمق في الوقت المناسب، لخرق دفاع العدو بصورة مندفعة ومستمرة.

كذلك بقي ترتيب قتال الكتيبة والسرية على نسق واحد، بينما ظلت الفصيلة تهاجم بالسلسلة. وفي ترتيب قتال الأفواج والفرق حافظت على مكانتها مجموعات المدفعية، واحتياطات المدفعية المضادة للدبابات، والهندسة، والدبابات والاحتياطات المشتركة، ومفارز السدود المتحركة؛ كما استخدمت الأنساق الثانية والاحتياطات لتغذية الجهود من العمق، والمناورة على الجنبات بهدف توسيع قطاع الخرق، وصدّ الهجمات المعاكسة، وتدمير نقاط الاستناد المتبقية في مؤخرة العدو.

ومع تطوير طرق الهجوم كان يجري تغيير في طرق استخدام صنوف القوات الأخرى. فالاستخدام القتالي للمدفعية في المعركة الهجومية مثلاً، تميّز بالحشد الحاسم للمدفعية، وبالمناورة الواسعة، وتحقيق الاستمرارية في دعم المشاة والدبابات بالنيران الفعالة طيلة فترة الهجوم. وعلى الرغم من أن مجموعات المدفعية ظلت تشكل ــ كالسابق ــ لتحقيق أغراض أو أهداف معينة، فإن بعض قادة التشكيلات أخذوا يضعون المدفعية الداخلة في قوام مجموعة دعم المشاة، تحت تصرف قادة أفواج المشاة أحياناً.

وفي المرحلة الثانية للحرب، أصبح تشكيل مجموعات دبابات الدعم المباشر للمشاة في الفرق قاعدة عامة. ولهذه الغاية استخدمت ألوية الدبابات وأفواجها التي بقيت تحت إمرة قائد الفرقة، وذلك في نطاق هجوم الفوج الذي يقوم بالضربة الرئيسية. وقد بلغت كثافات الدبابات عادة ١٠ ــ ٢٠ دبابة على كل

كيلو متر واحد في الجبهة . واعتباراً من صيف العام ١٩٤٣ أخذ قادة الفرق يلحقون الدبابات على أفواج المشاة .

إن مثل هذه الطريقة في استخدام دبابات الدعم المباشر للمشاة أصبحت فيما بعد الطريقة الأساسية ، كما أن الدبابات أصبحت تعمل على نسقين . فالدبابات الثقيلة والمتوسطة في النسق الأول كانت تعمل على بعد ٣٠٠ ـــ ٤٠٠ م عن المشاة ، أما في النسق الثاني وفي تراتيب قتال مباشرة فقد عملت الدبابات الخفيفة والمدافع ذاتية الحركة .

(الجدول رقم ١٦)

الكثافات التكتيكية للفرق السوفييتية في الهجوم خلال المرحلة الثانية من الحرب

الكثافة على ١ كم جبهة
في ملحمة ستالينغراد
في ملحمة كورسك

اسم الفرقة	نطاق الهجوم (كم)	قطاع الخرق (كم)	كتائب مشاة	مدافع وهاون	دبابات ومدافع ذاتية الحركة	سرايا هندسية
فر ٤٧ من حرس	٥	٤	٢	٧٠	١٠ر٥	١ر١
فر ٦٣ من حرس	٥	٣ر٥	٢ر١	٦٦	١٠	١ر٢
فر ٨ من حرس	٨	٢ر٥	٢ر٤	٤٤	—	١ر٢
فر ١١ من حرس	٢	٢	٤ر٥	٢٣٠	١٨	٢ر٤
فر ٦ إنزال جوي	٢	٢	٤ر٥	٢٢٠	١٤	٣ر٨
فر ٩٥ من حرس	٢ر٥	٢ر٥	٤	٢٢٠	١٤	٣ر٦

احتلت قوات الهندسة مكانة هامة في المعركة المشتركة . فاعتباراً من منتصف العام ١٩٤٣ ازداد عدد سرايا الهندسة على قطاعات الخرق بمقدار الضعف تقريباً . كما أصبح الاهتمام الكبير يتركز على تحضير مناطق الانطلاق للهجوم ، ونزع حقول الألغام الصديقة ، الذي كان يتم قبل موعد الهجوم بيومين أو ثلاثة أيام ، وفتح الثغرات في حقول الألغام والحواجز المعادية قبل موعد الهجوم بيوم أو يومين . وكان يحضر لكل

سرية مشاة ١ ــ ٢ ثغرة بعرض ٨ ــ ١٠ أمتار، ولسرية الدبابات ٢ ــ ٣ ثغرات بعرض ١٥ ــ ٣٠ متراً، كما حضر لكل فرقة مشاة حتى ٢٠ كم من الخنادق وخنادق المواصلات بقوى وحدات الهندسة.

وخلال المرحلة الثانية للحرب اكتسب الجيش الأحمر خبرة كبيرة في اقتحام تلك الموانع المائية الكبيرة مثل نهر الدونتيز الشمالي، ونهر الموز، ونهري ديسنا والدنيبر وغيرها. ففي معظم العمليات كانت القوات السوفييتية تقتحم هذه الأنهار من الحركة، وفي حالات نادرة كانت تقتحمها بعد تحضير مسبق. ومن أجل اقتحام هذه الأنهار كانت تشكل في فرق المشاة مسبقاً، وفي فترة الاقتراب من النهر، الطلائع القوية التي تقتحم هذه الأنهار على وسائط العبور المتوفرة وتستولي على رؤوس جسور صغيرة ثم تحصنها وتتمسك بها. وعندما تقترب القوات الرئيسية للفرق من المانع المائي تعبر على أنساق إلى الضفة المقابلة وتوسع رؤوس الجسور التي استولت عليها الطلائع. والجدير بالذكر أن قطاع الاقتحام (العبور) للفرقة كان يتراوح عادة بين ٦ و ١٠ كم.

وهكذا نرى أن القوات السوفييتية استفادت بمهارة خلال المرحلة الثانية للحرب من الخبرات التي حصلت عليها في المرحلة الأولى، كما أنها استخدمت بمهارة الأسلحة والأعتدة الجديدة في هذه المرحلة وواصلت باستمرار تطوير تكتيك المعركة الهجومية.

إن تطوير تكتيك المعركة الدفاعية خلال المرحلة الثانية للحرب، كان يتجه نحو التركيز الحاسم للجهود، من أجل التمسك بالمناطق التي يتوقف عليها ثبات الدفاع، ونحو عمق تراتيب القتال وكثافات القوات والأعتدة القتالية والتجهيز الجيد للأرض من الناحية الهندسية، وتحسين شروط الدفاع المضاد للدبابات والمضاد للطائرات.

وبفضل الزيادة العددية للقوات السوفييتية أصبحت الفرق السوفييتية تدافع في نطاقات أضيق: في المرحلة الأولى من الحرب كانت الفرقة السوفييتية تدافع في نطاق ٢٠ كم أو أكثر، بينما يدافع الفوج في نطاق ٨ ــ ١٠ كم. أما في المرحلة الثانية وفي ملحمة كورسك خاصة، فقد أصبحت الفرقة تدافع في نطاق يتراوح عرضه بين ٨ و ١٤ كم، ويدافع الفوج عن قطاع ٤ ــ ٥ كم.

إن هذا التقليص في نطاقات القوات السوفييتية وقطعاتها أدى إلى زيادة عمق تراتيب القتال، وسمح بتحاشي التوزيع المتساوي للقوى والوسائط على خط الجبهة، كما كان متبعاً في المرحلة الأولى للحرب (انظر الشكل رقم ٤٣).

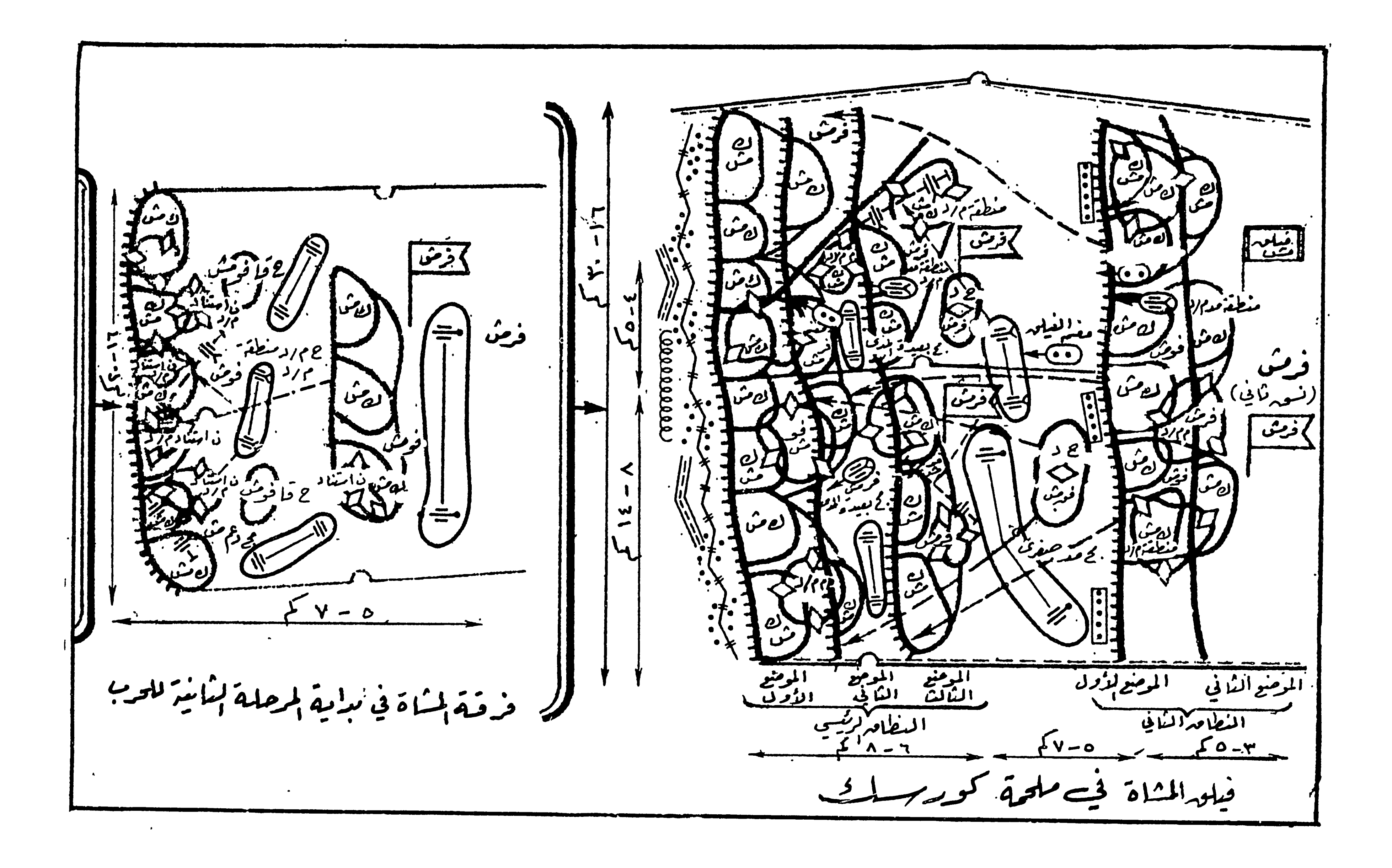
لقد تبدلت في المرحلة الثانية للحرب أيضاً طبيعة بنية الدفاع التكتيكي للقوات السوفييتية. إذ إن الجيش الأحمر، بدأ اعتباراً من صيف العام ١٩٤٣ ببناء دفاع الخنادق المتصلة. وكان نطاق الدفاع يجهز بعدد من المواضع، المسافة الفاصلة بينها ١ ــ ٥ر١ كم. وفي النطاق الرئيسي كانت تجهز عادة ثلاثة مواضع. وأصبحت الخنادق، وخنادق المواصلات، أساساً للتجهيز لتلك المواضع. ففي كل موضع كانت

تحضر ٢ ــ ٣ خنادق مرتبطة ببعضها البعض بواسطة خنادق المواصلات. وبالإضافة إلى ذلك، كانت تجهز المساند للمدافع والحفر للدبابات والمدافع ذاتية الحركة، كما تحضر أيضاً المنشآت النارية القوية وحواجز الهندسة. وكان الخندق الأول يعتبر الحد الأمامي للنطاق الدفاعي ويمتد، بصورة عامة، على سفوح المرتفعات المنحدرة نحو العدو. بينما يجهز الخندق الثاني والثالث على مسافة ٢٠٠ ــ ٣٠٠ م، و٥٠٠ ــ ٧٠٠ م عن الخندق الأول على التوالي. أما نطاق الدفاع الثاني فكان يحضر على مسافة ١٠ ــ ١٥ كم عن الحد الأمامي للنطاق الرئيسي. كما شمل التطور أيضاً الدفاع المضاد للدبابات، الذي أصبح يشكل على كامل عمق المنطقة التكتيكية، ويتألف من جهاز نقاط الاستناد والمناطق المضادة للدبابات، المرتبطة عضوياً مع تراتيب قتال القوات.

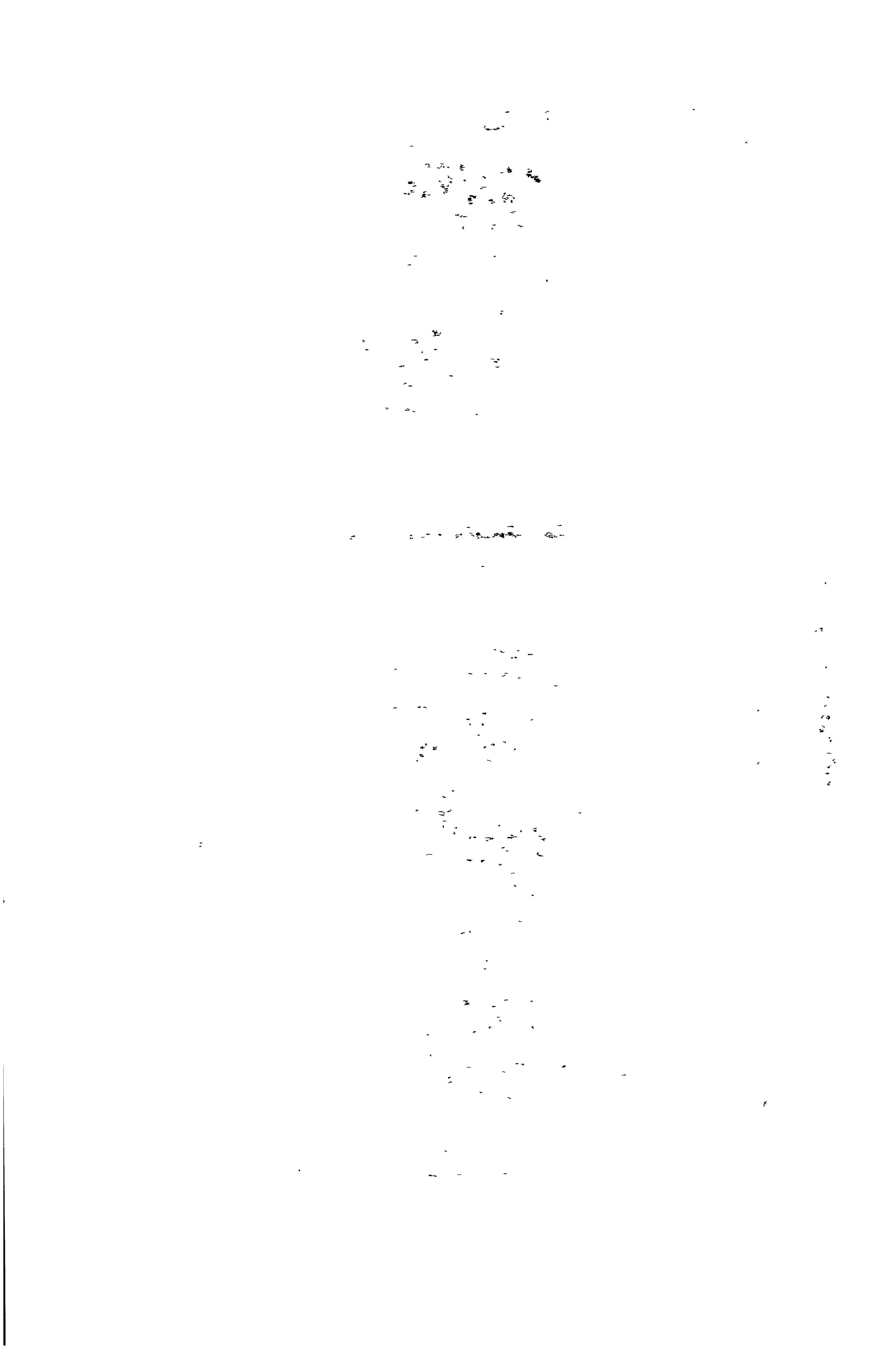
وأصبحت الكثافات التكتيكية للقوات وللعتاد القتالي، في صيف العام ١٩٤٣، أكبر بكثير مما كانت عليه في ملحمة ستالينغراد. فالكثافة بالمشاة مثلاً ازدادت بمقدار الضعف تقريباً، بينما وصلت إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف بالمدفعية والهاون والدبابات.

وتميزت المرحلة الثانية للحرب أيضاً، بزيادة كثافة الوسائط النارية للمشاة. فعلى طول ١ كم من الجبهة وضمن النطاق الرئيسي للدفاع تشكلت الكثافات التالية لهذه الوسائط النارية: بنادق ــ ٢٦١، بنادق آلية ــ ١٣٦، رشاشات متوسطة ــ ٦ر٧، هاون ــ ٤ر٩، مدافع م/د ــ ٣ر٢. إن هذه الكثافات ساعدت على تشكيل منطقة من النيران المتصلة ضمن نطاق عرضه ٤٠٠ م أمام الحد الأمامي للدفاع. وعند تنظيم جهاز النيران أصبح الاهتمام يتركز بصورة خاصة على تشكيل الدفاع الدائري في وحدات المشاة، وعلى تنظيم التعاون الناري بين قطعات دفاع الكتائب وذلك في نطاق الفصل بين القطعات والتشكيلات.

ومن خلال استخلاصنا لنتائج ومحصلات أحداث المرحلة الثانية للحرب، نستطيع أن نشير إلى أن المرحلة الثانية للحرب الوطنية العظمى كانت قد تميزت بزيادة ظاهرة في المهارة القتالية للجيش الأحمر. كما أن الاتحاد السوفييتي حقق انتصارات تاريخية وعظيمة أسفر عنها التحول الجذري الذي شمل الحرب العالمية الثانية بأسرها ولصالح التحالف المضاد للفاشية، والذي خلق الشروط المواتية لتحرير البلدان من المحتلين الفاشيين ولسحق العدو بصورة نهائية.



(الشكل رقم ٤٣) — دفاع تشكيلات المشاة السوفييتية.



إنهاء الحرب الوطنية العظمى بالنصر المؤزر
تطور فن الحرب السوفييتي في الفترة الثالثة من الحرب
كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤م ــ ٩ أيار (مايو) ١٩٤٥م

«لقد أكره الجيش الأحمر والشعب الروسي القوات المسلحة الألمانية بالتأكيد على السير نحو الإندحار النهائي، وحاز إعجاب شعب الولايات المتحدة لوقت طويل».

من رسالة فرانكلين روزفلت
إلى جوزيف ستالين

٧ ـ ١ ـ الموقف العسكري السياسي حتى بداية العام ١٩٤٤ م

كان الموقف العسكري السياسي حتى بداية العام ١٩٤٤ ملائماً في صالح الاتحاد السوفييتي . فبعد أن دُحرت القوات الألمانية ، وبخاصة على نهر الفولغا ، وفي حوض الدون ، وعند كورسك ، حدث في الحرب تحول جذري لصالح الحكومة السوفييتية . واستولت القوات السوفييتية على المبادهة الاستراتيجية نهائياً ، وشرعت في طرد الغزاة المتلريين جماعياً خارج حدود بلادها .

وكانت أضخم انتصارات الجيش الأحمر في العام ١٩٤٣ قد أدت إلى ازدياد النضال التحرري الشعبي ضد المحتلين الألمان ، إلى درجة عالية في كل من ألبانيا ، ويوغوسلافيا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وهنغاريا ، وفرنسا ، واليونان ، وغيرها من البلدان الأخرى . واشتد الصراع أكثر داخل رومانيا وبلغاريا من أجل الخروج من الحرب إلى جانب ألمانيا .

كذلك ساعدت انتصارات الجيش الأحمر في جبهات الحرب الوطنية العظمى في تماسك الحلف المعادي للفاشية . ففي شهر تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ عقد مؤتمر موسكو الذي ضم وزراء خارجية كل من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا ، والذي أكد المشاركون فيه مواصلة الحلفاء للحرب حتى استسلام ألمانيا الكامل وغير المشروط . وهذا ما شهدت به أيضاً مقررات مؤتمر طهران الذي عقد في الفترة بين ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ولغاية الأول من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٣ ، والذي اتخذ فيه قادة الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة وانكلترا أهم القرارات حول حجم الضربات المتوقع تسديدها إلى العدو من الشرق والغرب والجنوب وتوقيتها . وتم في المؤتمر تنسيق مسألة فتح الجبهة الثانية في أوروبا قبل الأول من أيار (مايو) عام ١٩٤٤ .

تحسنت أيضاً الوضعية الداخلية في الاتحاد السوفييتي . فحقق الشعب السوفييتي نجاحات جديدة على صعيد تطوير اقتصاد البلاد وتأمين الجبهة بكل ما يلزمها . فارتفع إنتاج المعادن السوداء ، وإنتاج الآلات

الثقيلة واستخراج الفحم إلى ما يزيد عن ٢٠٪ عنه في العام ١٩٤٢ . وتجاوزت نوعية الأسلحة والعتاد القتالي السوفييتيين وكميتهما إنتاج الصناعة الحربية الألمانية . وأمكن في العام ١٩٤٣ إنتاج ما يقارب ٣٥ ألف طائرة و١٦ ألف دبابة متوسطة وثقيلة ، ونحو ٤٥ ألف مدفع من عيار ٧٦ مم فما فوق .

وأمّن نمو إنتاج العتاد القتالي زيادة التجهيز التقني لجميع صنوف القوات . فتواردت إلى تسليح القوات السوفييتية وبكميات ضخمة المدافع الجديدة المضادة للدبابات من عيار ١٠٠ مم والدبابات « ت ــ ٣٤ » المسلحة بمدفع ٨٥ مم ، والدبابات الثقيلة « ي س ــ ٢ » (يوسف ستالين ــ ٢) ، وقوانص الدبابات « ساو ــ ١٢٢ » و « ساو ــ ١٥٢ » ، والطائرات القتالية الجديدة ، وأسلحة المشاة ، وغيرها من المعدات والأسلحة . فارتفعت القوة النارية ، والقوة الضاربة لتشكيلات وقطعات الجيش الأحمر ، كما ارتفعت قدرتها على الحركة والمناورة .

وعلى النقيض من الاتحاد السوفييتي كان الوضع الدولي والداخلي للكتلة الفاشية يسير باضطراد نحو الأسوأ . فتأزم الموقف في البلدان التابعة التي تدور في فلكها ، والتي لم تكن شعوبها راغبة في الحرب . بينما بدأت تلوح في الأفق داخل ألمانيا أزمة سياسية . وانتشرت المعارضة ضد النظام الفاشي والحرب بين صفوف الشعب . وظهر التناقض في صفوف الطبقة المسيطرة التي أخذت تستعدّ لاغتيال هتلر .

إلاّ أن ألمانيا الفاشية كانت ما تزال تملك إمكانات كبيرة من أجل متابعة الحرب . واستطاعت في العام ١٩٤٣ زيادة إنتاجها من المدافع من عيار ٧٥ مم فما فوق ، ودباباتها المتوسطة والثقيلة ، وطائراتها (المقاتلة والانقضاضية) بما يزيد عن الضعف بالمقارنة مع العام ١٩٤٢ . وكان القسم الأكبر من السكان والجيش ما يزال يسير وراء الحكومة الهتلرية عن طاعة ؛ واستغلت القيادة الألمانية عدم وجود جبهة ثانية في أوروبا فأبقت على الجبهة السوفييتية ٢٣٦ فرقة و٨ ألوية من أصل ٣٥١ فرقة و٢٢ لواء كانت تملكها ، وكان من بين تلك الفرق والألوية ٣٨ فرقة و١٢ لواء تنتمي إلى الدول الدائرة في فلكها . وعلى الرغم من أن القوات المسلحة الألمانية في أوائل العام ١٩٤٤ اختصرت قليلاً إلاّ أنها ظلّت قوية تماماً . وكان يوجد في الجيوش العاملة لديها ٦٫٦٨٢ مليون شخص من بينهم ٤٫٩٠٦ مليون شخص على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية . وكان الجيش الألماني يملك على هذه الجبهة ٥٤٥٧٠ مدفعاً وهاوناً ، و٥٤٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، و٣٠٧٣ طائرة قتالية .

لم يكن باستطاعة القيادة الألمانية أن تفكر مع بداية العام ١٩٤٤ بالقيام بأية عمليات هجومية على مستوى ضخم . ولكنها كانت تسعى عن طريق الدفاع الصامد والعنيد إلى المحافظة على الخطوط التي تحتلها ، وإطالة أمد الحرب ، على أمل بذر بذور الشقاق في الحلف المعادي للفاشية ، وإمكانية عقد صلح مناسب لها مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا .

وبالرغم من القوة الكبيرة التي تمتلكها القوات الألمانية الموجودة على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية ، فقد كان التفوق العام بالقوى الحية والأسلحة إلى جانب الجيش الأحمر . وحتى مستهل العام ١٩٤٤ كان يوجد في الجيش العامل ما يزيد عن ٦٫٣ مليون شخص و٨٣٫٦ ألف مدفع هاون (لا تدخل هنا المدافع

م/ط والهواون ٥٠ مم)، و٥٢٥٨ دبابة وقانص، و١٠٢٠٠ طائرة. وكان مجموع ما تملكه القوات السوفييتية على الجبهة التي بلغ طولها ٤٤٠٠ كيلو متر هو ٤٦١ فرقة و٨٠ لواء مستقلاً، و٣٢ منطقة محصنة و٢٣ فيلق دبابات وميكانيكي، كما كانت احتياطات القيادة العامة كبيرة جداً، وتبلغ ١٩ فرقة و٢١ لواء مستقلاً و١٢ فيلق دبابات وميكانيكي.

كانت مهام القوات المسلحة تنحصر في إنهاء تحرير الأرض السوفييتية من الغزاة الفاشيين، وتقديم العون لشعوب أوروبا من أجل التحرر من النير الفاشي، وإنهاء الحرب بسحق الجيش الألماني سحقاً تاماً فوق أراضي ألمانيا ذاتها.

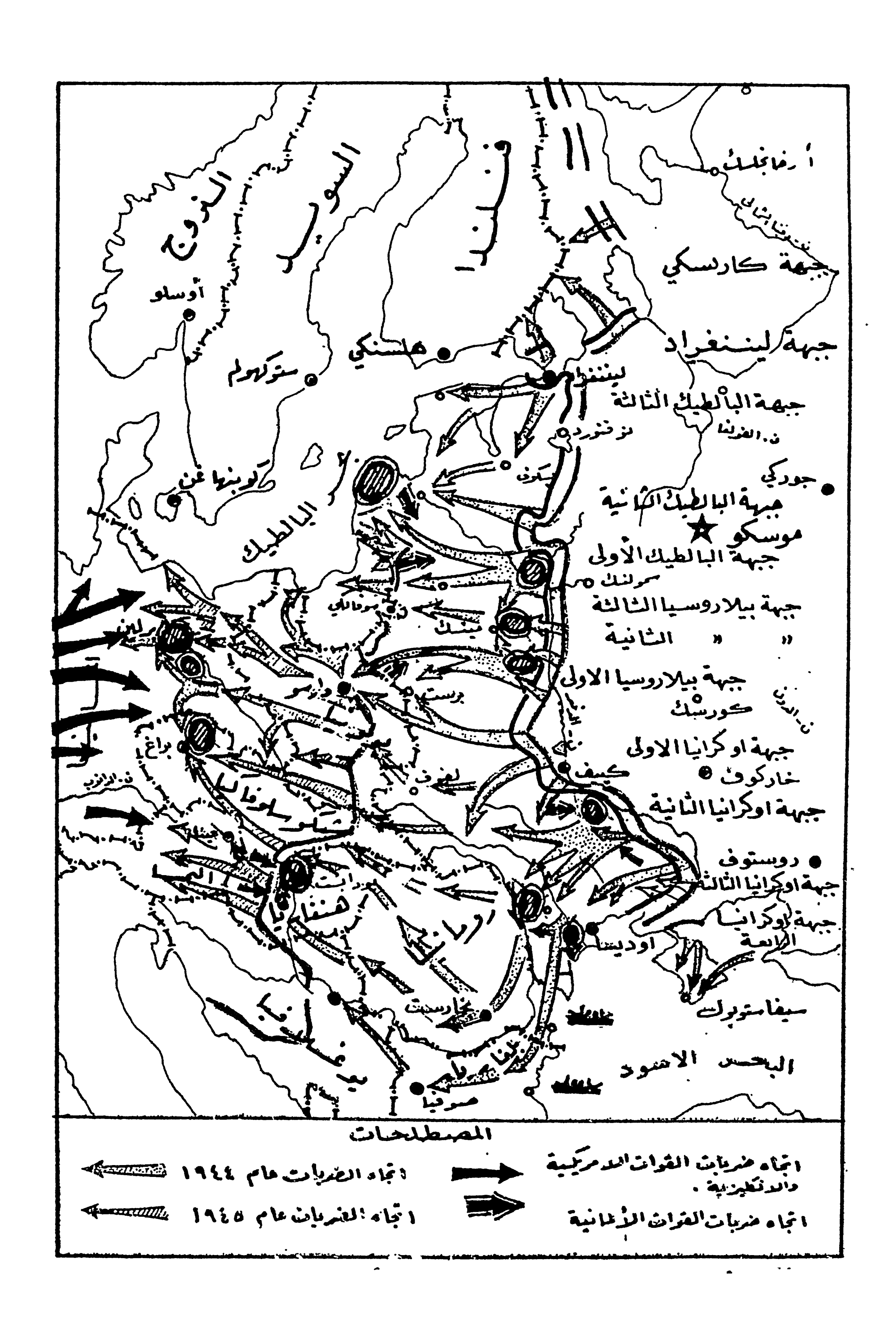
خططت هيئة القيادة العامة العليا السوفييتية لشن هجوم شامل في العام ١٩٤٤ على جبهة هائلة تمتد من بحر البلطيق وحتى البحر الأسود، عن طريق تنفيذ عمليات هجومية استراتيجية متتابعة. وتقرر أن تسدّد الضربة الرئيسية في النصف الأول من العام ١٩٤٤ على الاتجاه الجنوبي ـــ الغربي، بغية سحق أضخم تجميعات العدو، وهي مجموعتا جيوش «الجنوب» و«آ»، وتحرير الضفة اليمنى من أوكرانيا وشبه جزيرة القرم. واحتل الهجوم الجاري إعداده على الاتجاه الشمالي الغربي مكانة هامة في الخطة أيضاً، حيث توجب على القوات السوفييتية هناك سحق مجموعة جيوش «الشمال» ورفع الحصار نهائياً عن لينينغراد، ومن ثم الوصول إلى مشارف منطقة البلطيق السوفييتية. وكانت مهمة جبهتي لينينغراد وكاريليا سحق تجميع سفيرسك ـــ بتروزافود المعادي، وإخراج فنلندا من الحرب. أما بالنسبة للاتجاه الغربي فقد خطط لتدمير مجموعة جيوش «الوسط» الألمانية، وتحرير بيلوروسيا من أيدي العدو (انظر الشكل رقم ٤٤ سير الأعمال الحربية العام في الفترة الثالثة من الحرب الوطنية العظمى كانون الثاني ١٩٤٤ ـــ أيار ١٩٤٥).

كانت الفكرة التي أعدتها هيئة القيادة العامة العليا متفقة تماماً مع الغايات السياسية والاستراتيجية للحرب... وكان المفروض أن يؤدي تحقيقها إلى تحرير جميع الأراضي السوفييتية الواقعة تحت الاحتلال. وكانت السيئةِ الأساسية في الخطة هي أن هيئة القيادة العامة العليا عندما أسندت إلى كل من جبهة البلطيق الأولى والجبهة الغربية وجبهة بيلوروسيا مهاماً كبيرة جداً، هي التقدم إلى عمق يزيد عن مئتي كيلو متر، لم تستطع أن تؤمن التفوق بالقوى الضرورية لها على العدو. بينما كانت الجبهات بحاجة إلى تعزيز كبير، وبخاصة بالدبابات والذخائر والوقود.

ولقد تطلب إنجاز الأهداف العسكرية ـــ السياسية الأساسية التي وضعت للفترة الثالثة من الحرب أن تنفذ القوات المسلحة السوفييتية ثلاث عمليات هجومية ضخمة، هي عملية شتاء العام ١٩٤٤، وعملية صيف وخريف العام ١٩٤٤، وحملة العام ١٩٤٥ في أوروبا.

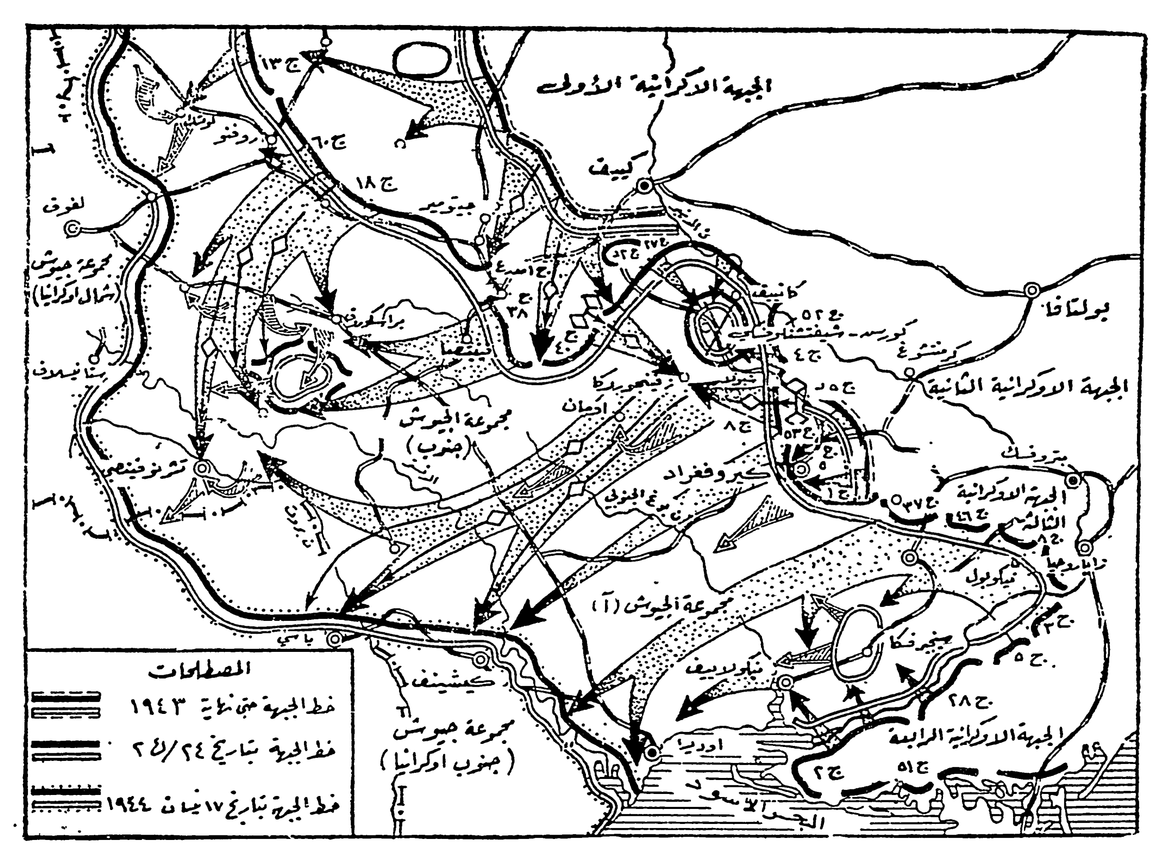
٧ ـــ ٢ ـــ هجوم القوات السوفييتية في شتاء العام ١٩٤٤ م

ابتدأ العام ١٩٤٤ بهجوم عام استراتيجي على الضفة اليمنى من أوكرانيا. فكانت فكرة أعمال قتال القوات السوفييتية على الضفة اليمنى من أوكرانيا، تنص على تنفيذ سلسلة من العمليات المتزامنة والمتتابعة،



(الشكل رقم ٤٤) سير الأعمال الحربية العام في الفترة التالية من الحرب الوطنية العظمى كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ ــ أيار (مايو) ١٩٤٥ .

بغية سحق القوى المعادية المقابلة في المناطق المتاخمة لنهر الدنيبر، والوصول إلى نهري البوغ الجنوبي واينغوليتس، وروعي بعد ذلك تسديد ضربات شاطرة عميقة إلى العدو، وإكمال سحق القوى الرئيسية لمجموعتي جيوش «الجنوب» و«آ» الألمانيتين والوصول إلى جبال الكاربات ونهر الدنيبر (انظر الشكل رقم ٤٥ عمليات الجيش الأحمر لدى تحرير الضفة اليمنى لأوكرانيا كانون الأول ١٩٤٣ ــ نيسان ١٩٤٤).



(الشكل رقم ٤٥) ــ عمليات الجيش الأحمر لتحرير السواحل اليمنى لأوكرانيا.

وقد توجب أن تنفذ هذه المهمة قوات جبهات أوكرانيا الأربع، والجيش الساحلي المستقل، بالتعاون مع أسطول البحر الأسود وأسطيل بحر آزوف. وقام بتنسيق أعمال الجبهات ممثلاً هيئة القيادة العامة العليا ماريشالا الاتحاد السوفييتي جوكوف وفاسيليفسكي.

إن من خصائص تخطيط أعمال القتال الهادفة إلى تحرير الضفة اليمنى من أوكرانيا كونه تم في البدء إعداد عمليات الجبهات الأولى فقط. أما العمليات اللاحقة فقد خططت فيما بعد طبقاً للنتائج التي أمكن تحقيقها. ولقد جرى الإعداد للعمليات في فترة التوقفات الزمنية القصيرة، أو في أثناء العملية الهجومية الجاري تنفيذها. وهذا ما تسبب في بعض الصعوبات المتعلقة بالتأمين المادي، وحدّد سلفاً جملة من الملامح المميزة لتنفيذ تلك العمليات. ويمكن أن نذكر من هذه الملامح بطاقات الهجوم العريضة نسبياً وبنية الجيوش على نسق واحد ومثلها فيالق مشاة، وعدم وجود كثافات كبيرة بالقوات أو العتاد القتالي على اتجاهات الضربات المعاكسة.

برزت صعوبات هائلة عند الإعداد للعمليات وفي أثناء أعمال القتال بسبب ذوبان الثلوج المبكر وفيضان الأنهار ، الأمر الذي أدّى إلى تقييد مناورة القوات ، وخفض إيقاعات هجومها وإعاقة إمدادها .

بدأ الهجوم في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٣ ، وسدّدت قوات جبهة أوكرانيا الأولى ضرباتها على اتجاه جيتومير وبيرديسيف ، وتلتها في الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ قوات جبهة أوكرانيا التي انتقلت إلى الهجوم على اتجاه كيرفوغراد ، وانتقلت من بعدها جبهة أوكرانيا الثالثة إلى الهجوم في اليوم العاشر ــ الحادي عشر من كانون الثاني (يناير) .

كانت القوات السوفييتية تمتلك تفوقاً محدوداً على العدو ، بينما لم يكن لديها أي تفوق في الدبابات عموماً . ولكنها حققت ميزة على العدو عن طريق حشد الجهود الرئيسية على الاتجاهات الحاسمة ، وعن طريق بدء هجومها الضخم في الوقت الذي لم يتوقعه العدو .

قام العدو بمحاولات يائسة لإيقاف القوات المهاجمة عن طريق تقديم الاحتياطات وتسديد الضربات المعاكسة ، إلّا أنه لم يستطع إيقاف تقدم المقاتلين السوفييت . وكبدت قطعات الجيش الأحمر العدو ، في أثناء المعارك الضارية التي دارت ، خسائر فادحة ، واجتازت حتى أواسط كانون الثاني (يناير) مسافة ٨٠ــ ٢٠٠ كم ، بعد أن قصفت رأس الجسر المعادي على الضفة اليسرى لنهر الدنيبر في منطقة نيكوبول ، وطوقت تجميعاً ضخماً من القوات الألمانية في منطقة كورسون ــ شيفشينكوف . وحاولت القيادة الألمانية نجدة القوات المطوقة بالضربات المعاكسة لفرق الدبابات على الجبهة الخارجية للطوق ، وضربات فرق المشاة على الجبهة الداخلية . إلاّ أن قطعات الجيش الأحمر صدت جميع ضربات العدو المعاكسة ، وتمكنت في السابع عشر من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٤ من تصفية التجميع المعادي المطوق الذي بلغ تعداده عشر فرق ولواء واحداً . وفاقت الخسائر الإجمالية للقوات الألمانية ٧٣ ألف جندي وضابط .

لقد دخلت عملية كورسون ــ سيفشينكوف التاريخ من وجهة نظر فن العمليات على أنها عملية تطويق وتدمير لتجميع معادٍ ضخم . وكانت قد أعدّت في وقت قصير ونفذت في ظروف نوئية صعبة . ولعب الدور الحاسم في خاتمتها الناجحة هذه ، الجيش المدرع بقيادة الجنرال روتميستروف الذي زُجّ في الموقعة في اليوم الأول من العملية من أجل إنهاء خرق المنطقة التكتيكية للدفاع ، كما قام بدور فعّال أيضاً الجيش المدرع بقيادة الجنرال غرافتشينكو الذي كان يهاجم في النسق الأول للجبهة . وهكذا تكون الجيوش المدرّعة قد استخدمت ولأول مرة في الحرب في عمليات التطويق من أجل تنفيذ مهمتين بالتتابع : خرق دفاع العدو في البدء وإكمال تطويقه ، ومن ثم صدّ الضربات المعاكسة المعادية على الجبهة الخارجية .

ولقد تميزت عملية كورسون ــ شيفشينكوف عن عملية ستالينغراد بعدم وجود فاصل عملياتي ما بين إنهاء تطويق العدو والبدء بتدميره . إذ تم في آن واحد صدّ الضربات المعاكسة المعادية الضخمة على الجبهة الخارجية ، مع مرحلة تصفية العدو المطوّق بتسديد ضربات آلية من عدة اتجاهات .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه رحى أعمال القتال على الضفة اليمنى من أوكرانيا ، شنّت القوات

السوفييتية هجومها عند لينينغراد ونوفغورود، في الفترة بين ١٤ كانون الثاني (يناير)، ولغاية ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٤٤. فحطمت قوات جبهتي لينينغراد وفولخوف دفاع العدو الطويل الأمد على جبهة بلغت ٦٠٠ كيلو متر بالتعاون مع جبهة البلطيق الثانية وأسطول بحر البلطيق، وألحقت هزيمة منكرة بمجموعة جيوش «الشمال» الألمانية، وتقدمت مسافة ٢٢٠ ـــ ٢٨٠ كم منهية بذلك الحصار المعادي للينينغراد إلى الأبد.

وفي شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٩٤٤ أيضاً جرت أعمال قتالية في بيلوروسيا، ضد مجموعة جيوش «الوسط» الألمانية. وهكذا منعت الأعمال الهجومية التي قامت بها القوات السوفييتية عند لينينغراد وفي أراضي بيلوروسيا القيادة الألمانية من نقل احتياطاتها إلى الجناح الجنوبي للجبهة السوفييتية ـــ الألمانية، الأمر الذي ساعد في نجاح أعمال القتال على الضفة اليمنى من أوكرانيا.

وبالرغم من ذوبان الثلوج تابعت القوات السوفييتية في شهري آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٩٤٤ هجومها بعد إعداد قصير الأمد، وساهمت فيه قوات جبهة بيلوروسيا الثانية وجبهات أوكرانيا الأربع. واستغلت القيادة السوفييتية فترة التوقف القصيرة ما بين الأعمال القتالية من أجل حشد القوى والوسائط على اتجاهات الضربات الرئيسية. وكانت نتيجة تنفيذ إعادة التجميع هذه أن أصبح تناسب القوى على الضفة اليمنى من أوكرانيا: ٢ ـــ ١ بالأفراد، و٧ر٢ ـــ ١ بالمدافع والهواون، و٥ر٢ ـــ ١ بالدبابات والقوانص في صالح القوات السوفييتية. بينما كانت قوى الطرفين بالطائرات متكافئة.

نتج عن أعمال القتال التي دارت على جبهة زاد عرضها عن ١٠٠٠ كم أن دمر الجيش الأحمر أربعة جيوش ألمانية وجيشاً رومانياً، وحرر الضفة اليمنى من أوكرانيا بكاملها، قسماً كبيراً من الأقاليم الغربية في أوكرانيا، ووصل إلى سفوح جبال الكاربات. وممّا يلفت الانتباه بشكل خاص في العمليات المنفذة، أعمال الجيوش المدرعة السوفييتية التي سدّدت ضربات التفاف وشطر قوية إلى العدو، وعلى عمق كبير بلغ ٢٥٠ كم. وبالرغم من الوحول وفيضان الأنهار فقد بلغت إيقاعات تقدم الجيوش المدرعة ٢٥ ـــ ٣٥ كم، وتجاوزتها في بعض الأيام إلى ٥٠ كم في اليوم. وقد نفذ الهجوم على جبهة عريضة وعلى عدة اتجاهات، الأمر الذي أفسح المجال خلال أعمال القتال للالتفاف حول نقاط الاستناد الهامة، وتسديد ضربات جانبية وتطويق العدو.

حدث في السادس والعشرين من آذار (مارس) ١٩٤٤ حادث له قيمة عسكرية ـــ سياسية واستراتيجية كبيرة. ففي ذلك اليوم وصلت قوات الجبهة الأوكرانية الثانية إلى خط الحدود الدولية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مع رومانيا، على امتداد نهر البوغ وبطول ٨٥ كم. واقتحمت النهر في اليوم نفسه ونقلت أعمال القتال إلى خارج حدود الاتحاد السوفييتي.

هيّأت نجاحات القوات السوفييتية في هجومها على الضفة اليمنى من أوكرانيا ظروفاً ملائمة لتنفيذ

عملية تحرير القرم . ونفذت هذه العملية في الفترة الواقعة بين الثامن من نيسان (ابريل) ولغاية الثاني عشر من أيار (مايو) ١٩٤٤ بقوى جبهة أوكرانيا الرابعة ، والجيش الساحلي المستقل ، بالتعاون الوثيق مع أسطول البحر الأسود . وتمكنت القوات السوفييتية خلال هذه العملية من خرق دفاع العدو والمنسق بالعمق في القسم الشمالي من شبه جزيرة القرم ، وفي شبه جزيرة كيرتش ، وسحقت القوات الألمانية المدافعة فيها ، واستولت على مدينة سيباستوبول في التاسع من شهر أيار (مايو) في عملية اقتحام سريعة .

حقق الجيش الأحمر في أثناء حملة شتاء العام ١٩٤٤ نجاحات باهرة . فسحق ١٧٢ فرقة ، وسبعة ألوية معادية . وفقد الجيش الهتلري ما يزيد عن مليون من أفراده ، و ٢٠ ألف مدفع وهاون ، و ٨٤٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، ونحو ٥٠٠٠ طائرة . بينما تقدمت القوات السوفييتية ٣٠٠ ـــ ٥٠٠ كم نحو الغرب ، ووصلت إلى الحدود الدولية مع تشيكوسلوفاكيا ورومانيا على امتداد ٤٠٠ كم ، وحررت ما تبلغ مساحته ٣٠٠ ألف كم٢ من الأراضي السوفييتية كان يقطنها قبل الحرب ما يقارب ١٩ مليون نسمة .

تميز الهجوم على الضفة اليمنى من أوكرانيا بأبعاده الضخمة . فقد استمر ما يزيد عن ثلاثة شهور ونصف ، وانتشر على مسافة ١٤٠٠ كم بالجبهة وحتى ٤٥٠ كم في العمق . وبالرغم من ظروف ذوبان الثلوج الصعبة ، وعدم وجود الطرق وفيضان الأنهار ، فقد كانت إيقاعات هجوم القوات المتوسطة في العمليات المنفذة عالية جداً ، وبلغت ٨ ـــ ١٥ كم في اليوم لقوات المشاة و ١٥ ـــ ٢٥ كم في اليوم للقوات المدرعة .

لقد قدّمت العمليات التي نفذت على الضفة اليمنى من أوكرانيا دروساً يستفاد منها من حيث القيام بإعادة تجميع ضخمة لتشكيلات الدبابات والمشاة ولمسافات شاسعة ، مع تنفيذ ذلك سراً وفي مهل قصيرة . كما أمنت المناورة السريعة والمخفية إحداث تجميعات ضاربة كبيرة على الاتجاهات المطلوبة مع المحافظة الدائمة على التفوق بالقوى والوسائط على العدو في أثناء العمليات .

وكانت تراتيب قتال فيالق وفرق المشاة الداخلة في التجميعات الضاربة للجبهات والجيوش تتألف في غالب الأحيان من نسق واحد عند خرق دفاع العدو غير العميق ، وهذا ما كان يستدعي ضرورة إيجاد كثافة عالية إلى حد كاف بالقوات في النسق الأول من أجل تسديد ضربة أولية قوية . أما الفيالق والألوية المدرعة والميكانيكية فكانت تبني تراتيب قتالها ـــ كقاعدة عامة ـــ على نسقين عند عملها من أجل إكمال خرق المنطقة التكتيكية لدفاع العدو أو أثناء قتالها في العمق العملياتي .

كان خرق الدفاع المعادي يتحقق في جميع العمليات تقريباً في قطاعات ضيقة نسبياً من الجبهة في البدء ، وبجهود تجميعات ضاربة قوية في هذه الحالة . وكان العرض الإجمالي لقطاعات الخرق لا يتجاوز في المتوسط ١٠ ـــ ١٥٪ من مجموع عرض جبهة الهجوم ، ولكن ما كان يحشد هنا لم يكن ليقل عن ٥٠٪ من المشاة ، و ٧٠ ـــ ٩٠٪ من الدبابات والمدفعية والطيران .

وكان ما يميز العمليات المنفذة في الضفة اليمنى . من أوكرانيا استخدام أعداد كبيرة من القوات المدرعة

والميكانيكية ، بما فيها الجيوش المدرعة الستة التي يملكها الجيش الأحمر كلها . وكان لدى بعض الجبهات ، وللمرة الأولى في الحرب ، ثلاثة جيوش مدرعة دفعة واحدة استخدمتها على اتجاه الضربة الرئيسية . وهذا ما زاد كثيراً في أبعاد العمليات ، ورفع إيقاعات الهجوم . وساهمت الجيوش المدرعة في معظم الأحيان في إكمال خرق المنطقة التكتيكية من الدفاع ، والانتقال من ثم إلى مطاردة العدو باندفاع .

كانت هناك صعوبات كبيرة تعترض استخدام المدفعية في أثناء المعارك بسبب عدم توفر الطرق وكثرة الوحول . ولم يكن باستطاعة أي من المدفعية التحرك خلف المشاة والدبابات ، باستثناء مدفعية الأفواج ، والمدفعية المضادة للدبابات ، وقسم ضئيل من مدفعية الفرق .

وكانت أعمال قتال الطيران مقيدة بالظروف النوئية غير الملائمة . وانخفضت فاعليته أيضاً بسبب عدم نقل قواعده في الوقت المناسب ، وحدوث انقطاعات في نقل الوقود والذخائر إليه . وبالرغم من ذلك فقد أبدى الطيران السوفييتي فاعلية أكبر من تلك التي أبداها الطيران المعادي ، منفذاً خلال فترة الهجوم ما يزيد عن ٥١ ألف طلعة طائرة .

وكانت نتيجة الهجوم الناجح في الضفة اليمنى من أوكرانيا أن أحاطت القوات السوفييتية بتجميع القوات الألمانية المدافعة في بيلوروسيا من الجنوب ، الأمر الذي هيّأ الظروف الملائمة لسحق ذلك التجميع .

لقد أغنى الهجوم على الضفة اليمنى من أوكرانيا فن الحرب السوفييتي بخبرة قتالية جديدة ، وأدّى إلى تحقيق أهداف استراتيجية عظيمة . وبقيت الدروس المستفادة منها صالحة حتى في الظروف الحديثة ، وبخاصة تنظيم الهجوم على جبهة عريضة ، وتسديد ضربات متزامنة في آن واحد على عدة اتجاهات .

٧ ــ ٣ ــ تطور فن الحرب السوفييتي في حملة الصيف ــ الخريف من العام ١٩٤٤ م

كان الموقف العسكري السياسي ملائماً للاتحاد السوفييتي نتيجة للانتصارات التي حققها في حملة الشتاء . ودلّت نجاحات القوات المسلحة السوفييتية حتى صيف العام ١٩٤٤ على أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لا يستطيع طرد العدو من أراضيه بقواه الخاصة فحسب ، وإنما يستطيع أيضاً تحرير شعوب أوروبا التي ينهبها المحتلون الألمان ، وأن يتم سحق الجيش الهتلري نهائياً . وهذا ما أكره الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا على التخلي عن سياسة المضي في المماطلة إزاء فتح الجبهة الثانية في أوروبا .

وفي السادس من حزيران (يونيو) ١٩٤٤ نزلت القوات الأمريكية والانكليزية في شمال فرنسا ، إلاّ أن ذلك لم يؤدِّ إلى إحداث تبدل خطير في تجميع القوات المسلحة الألمانية . وبقيت الجبهة الحاسمة هي

الجبهة الألمانية ــ السوفييتية كما كانت في السابق. إذ كانت تعمل هناك القوى الرئيسيـة ــ ألمانيـا وحلفاؤها. وكان تعداد القوات الألمانية في الأول من شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٤ على الجبهة الشرقية أربعة ملايين وثلاثمئة ألف شخص، وكانت تملك ٥٩ ألف مدفع وهاون، و ٧٨٠٠ دبابة ومدفع اقتحام، و ٣٢٠٠ طائرة قتالية، وهذا ما كان يعادل ثلثي مجموع القوات المسلحة للحلف الألماني الفاشي.

كان تعداد الجيش الأحمر العامل، آنئذ، في حدود ستة ملايين وستمئة ألف شخص، ويملك ثمانية وتسعين ألفاً ومئة مدفع وهاون، وسبعة آلاف ومئة دبابة وقانص، وما يقارب اثني عشر ألفاً وتسعمئة طائرة قتالية. وكانت تعمل ضمن قوام القوات المسلحة السوفييتية تشكيلات وقطعات حليفة (بولونية وتشيكوسلوفاكية ويوغوسلافية وفرنسية) بلغ تعدادها مئة وأربعة آلاف شخص.

حددت الضربة الرئيسية في صيف العام ١٩٤٤ على الاتجاه الاستراتيجي الغربي، وهو الاتجاه الأقصر إلى الحدود الألمانية. وحري أن يؤمن سحق القوات الألمانية على هذا الاتجاه تحرير بيلوروسيا، وأن يهيِّىء الظروف الملائمة لعزل التجميع المعادي العامل في منطقة البلطيق وشن الهجوم نحو الجنوب.

شرعت القوات السوفييتية هجومها الصيفي بضربتين متتاليتين: الأولى في مضيق كاريليا، والثانية في جنوب كاريليا. وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٤ خرقت قوات جبهة لينينغراد وجبهة كاريليا، وبالتعاون مع أسطول البلطيق، دفاع العدو القوي شمالي لينينغراد، وحرّرت مدينتي فيبورغ وبتروزافودسك، ووصلت في النصف الثاني من شهر تموز (يوليو) إلى الحدود الدولية مع فنلندا، حيث كبدت القوات السوفييتية الجيش الفنلندي في هجومها خسائر فادحة. وفي الرابع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ أعلنت فنلندا قطع علاقاتها مع ألمانيا، وبذلك يكون قد خرج من الحرب حليف آخر من حلفائها.

وفي صيف العام ١٩٤٤ جرت الأحداث الرئيسية على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية في بيلوروسيا وعلى اتجاه لوخوف. وكانت القيادة الألمانية تتوقع أن تكون الضربة الرئيسية جنوب نهر بريبيات، وتعير أهمية كبرى للمحافظة على بيلوروسيا محولة إياها الى منطقة دفاعية قوية. وبلغ عمق الخطوط الدفاعية المحضرة فيها ٢٢٠ ــ ٢٧٠ كم، ويدافع عنها تجميع من القوات الألمانية تعداده مليون و ٢٠٠ ألف شخص مع ٩٥٠٠ مدفع وهاون، و ٩٠٠ دبابة ومدفع اقتحام، و ١٣٥٠ طائرة قتالية. ولقد استغلت القيادة الألمانية في أثناء تنظيم الدفاع ظروف الأرض المستنقعية الغابية بمهارة. فكانت النطاقات الدفاعية مبنية أساساً على امتداد الضفاف الغربية للأنهار المتعددة جداً هناك، والتي كانت لها ضفاف ضحلة مستنقعية على الأغلب.

أما الجانب الضعيف في الدفاع الألماني فكان عدم وجود احتياطات كافية لديها. فعلى الرغم من أن عرض الدفاع الإجمالي تجاوز الألف كيلو متر كان مجموع احتياطات الجيوش المدافعة إحدى عشرة فرقة، كانت معظمها مشتبكة في صراع ضد جيش الأنصار البيلوروسي الذي بلغ تعداده آنئذ ١٤٣ ألف شخص.

وبالإضافة إلى ذلك فقد حشدت القيادة الألمانية ٢٤ فرقة جنوب نهر برييات من أصل ٣٠ فرقة كانت تملكها حتى شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٤، وذلك اعتقاداً منها بأن الجيش الأحمر سيسدّد ضربته الرئيسية إلى القطاع الجنوبي من الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية.

كرست القيادة السوفييتية من أجل تنفيذ عملية بيلوروسيا جبهات بيلوروسيا الثلاث كلها وجبهة البلطيق الأولى. وكان يعمل بالاشتراك معها أسطيل نهر الدنيبر، وتشكيلات الأنصار البيلوروسيين. وبلغ مجموع من أُشرك في العملية مليوناً وأربعمئة وثلاثين ألف شخص (دونما حساب لقطعات ومؤسسات المؤخرة)، مع ٣١ ألفاً وسبعمئة مدفع وهاون، و ٥٢٠٠ دبابة وقانص، وما يزيد عن ٥ آلاف طائرة قتالية في الجيوش، و ١٠٠٠ طائرة قيادة في الطيران البعيد المدى. وقد قام بتنسيق أعمال الجبهات ممثلو هيئة القيادة العامة العليا مارشال الاتحاد السوفييتي غ.ك. جوكوف، ومارشال الاتحاد السوفييتي آ.م. فاسيليفسكي.

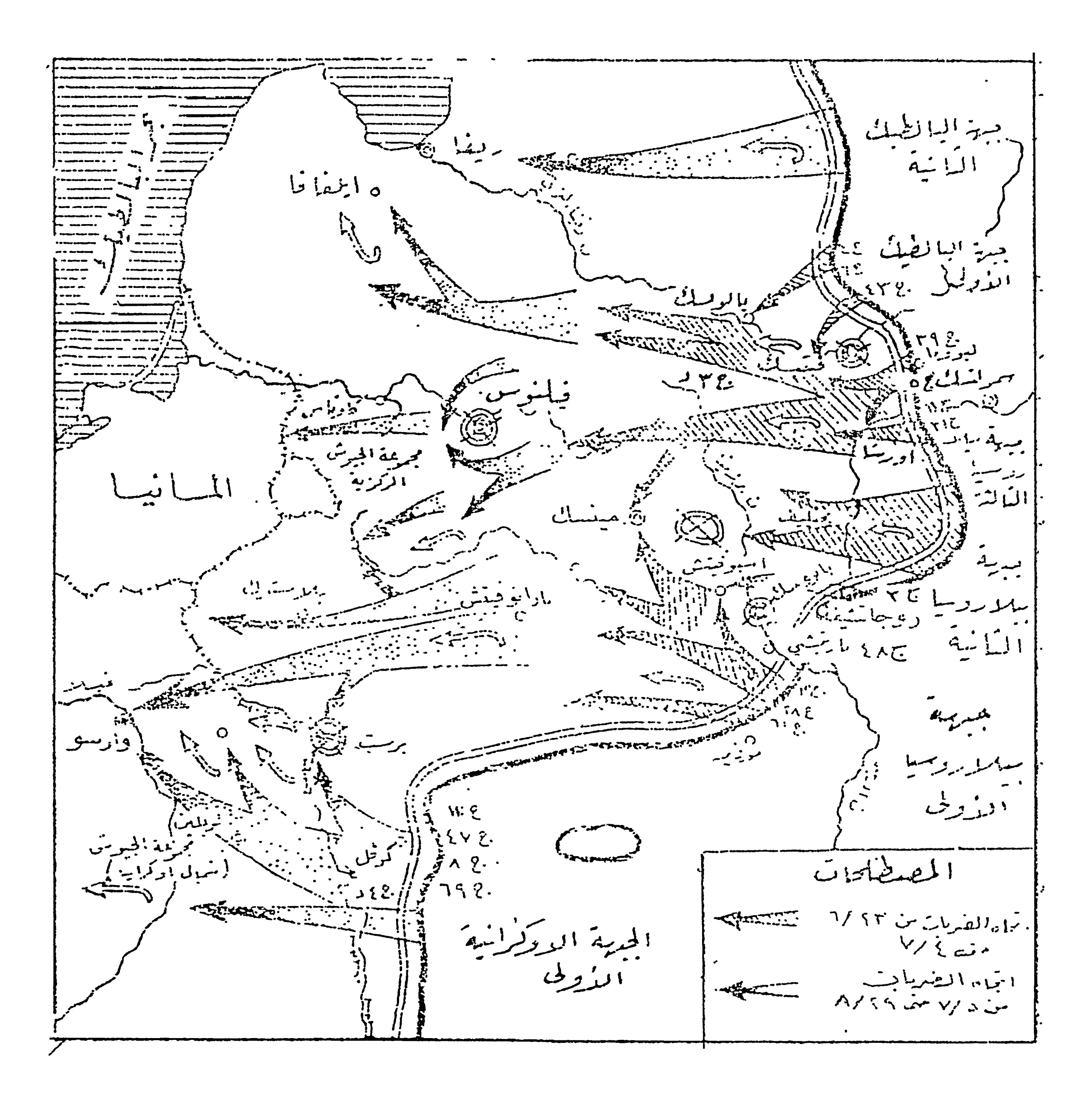
جرى الإعداد لعملية بيلوروسيا خلال مدة تزيد عن الشهرين. ونصت فكرة العملية على تسديد الضربة بقوى أربع جبهات على جبهة عريضة، وخرق دفاع العدو في ستة قطاعات وتطويق تجميعاته الجناحية في البدء، وتدميرها في منطقتي فيتبسك وبوبرويسك، ومن ثم تطويق القوى الرئيسية لمجموعة جيوش «الوسط»، وتدميرها بضربات متلاقية لثلاث جبهات بالاتجاه العام نحو مينسك. وفيما بعد تطوّر الضربة وتوسع جبهة الهجوم حتى الوصول إلى حدود بروسيا الشرقية وبوميرانيا (انظر الشكل رقم ٤٦ عملية بيلوروسيا ٢٣ حزيران / يونيو / ـــ ٢٩ آب / أغسطس / ١٩٤٤).

استهدفت القيادة السوفييتية في عملية بيلوروسيا أهدافاً حاسمة. وكان الشيء الجديد فيها السعي إلى تطويق تجميعات ضخمة معادية لا في العمق العملياتي القريب فحسب وإنما على عمق نحو ٢٠٠ كم أيضاً.

وقد شكّلت تجميعات ضاربة قوية على الاتجاهات الرئيسية للجبهات من أجل تنفيذ هذه المهام. وكثفت القوى والوسائط بشكل حاسم على قطاعات ضيقة من الجبهة. فكان قطاع الخرق يتراوح بين ٦ و ١٢ كم لجيش يهاجم في نطاق عرضه ٢٢ ـــ ٨٠ كم، وكان يحشد فيه ٥٠ ـــ ٨٠٪ من القوى والوسائط. وبلغ عرض قطاع خرق الفرقة ٢ ـــ ٢٫٥ كم والفوج ١٫٢ كم.

كما خططت العمليات الهجومية للجيوش على عمق ٤٥ ـــ ١٦٠ كم، وحدّدت إيقاعات الهجوم بـ٧ ـــ ١٥ كم في اليوم، وكان من أسباب انخفاض إيقاعات الهجوم هذه، المبالغة في تقدير صعوبات الأرض الغابية المستنقعية.

كذلك خصص ٤٠ ـــ ٦٠٪ من الدبابات في كل جبهة من أجل الدعم المباشر للمشاة، وهذا ما ساعد في إحداث كثافة على قطاعات الخرق تتراوح بين ١٢ و٢٢ دبابة وقانص في الكيلو متر الواحد. وعينت مجموعات حركية قوية من أجل تطوير الهجوم، تتألف من فيالق وجيوش مدرعة.



(الشكل رقم ٤٦) عملية بيلاروسيا .

وقد أعير اهتمام كبير أيضاً إلى فاعلية التأمين الناري . وساعد تكثيف المدفعية في تأمين كثافة بلغت ١٥٠ ـــ ٢٠٥ مدافع وهاون من عيار ٧٦ مم فما فوق على الكيلو متر الواحد من قطاع الخرق . كما تميز تجميع المدفعية في معظم الجيوش بوجود مجموعات مدفعية قوية . وكان الأمر الجديد هنا أن دعم هجوم المشاة والدبابات في بعض قطاعات الخرق تمّ بالسدّ الزاحف المزدوج على عمق ٥ر١ ـــ ٢ كم .

وعشية الهجوم العام نفذ ١٤٣ ألفاً من الأنصار البيلوروسيين أعمال تخريب كثيفة على السكك الحديدية . ففي ليلة ٢٠ حزيران (يونيو) فقط تم نسف ما يزيد عن ٤٠ ألف قضيب حديدي ، ووضعت طرق المواصلات الهامة خارج العمل ، الأمر الذي أعاق القيادة الألمانية عن القيام بإعادة تجميع واسعة النطاق .

بدأت عملية بيلوروسيا في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ بتنفيذ استطلاع بالمعركة بقوى الكتائب الأمامية. وفي صباح ٢٣ حزيران (يونيو) انتقلت القوى الرئيسية لجبهات بيلوروسيا الثلاث، وجبهة البلطيق الأولى إلى الهجوم بعد ضربات قوية بالمدفعية والطيران. وخرقت القوات السوفييتية دفاع العدو بضربات متزامنة تقريباً على ستة قطاعات، ضمن نطاق عرضه ٥٠٠ كم، وتقدمت خلال ستة أيام مسافة ١٢٠ ـــ ١٥٠ كم. وتمّ في منطقتي فيتبسك وبوبرويسك تطويق عشر فرق ألمانية وتدميرها.

ولأول مرة في الحرب الوطنية العظمى تنتهي عمليات تطويق وتدمير في مهل قصيرة للغاية لا تزيد عن أربعة أيام. والصفة الخاصة لمناورة تطويق تجميعات العدو، كانت عمل التشكيلات المشتركة فقط على الجبهة الداخلية للتطويق، تدعمها الدبابات والمدفعية والطيران دونما إشراك المجموعات الحركية. بينما عملت المجموعات الحركية على جبهة التطويق الخارجية فقط، مؤثرة بذلك تأثيراً جوهرياً على نجاح إكمال تطويق العدو وتصفيته في وقت قصير للغاية.

ونظم لأول مرة في الحرب في عملية فيتبسك ـــ أورشا زجّ مجموعة متحركة للجبهة في الخرق المنجز تماماً، الأمر الذي أدّى إلى نتائج فعالة وساعد في تفرغ القوات الحركية من المشاركة في معارك إكمال خرق المنطقة التكتيكية لدفاع العدو.

وكان تطويق العدو وتصفيته في عمليتي فيتبسك وبوبرويسك يشكلان معاً مرحلة واحدة، تنفذ دون أي فاصل أو توقف، كما كان شأنهما في منطقة كورسون ـــ شيفشينكوف، الأمر الذي قلّص، وإلى درجة بالغة، من مدة تنفيذ العملية. وأصبح أسلوب العمل هذا اعتباراً من العام ١٩٤٤ هو الأسلوب الأساسي في عمليات الجيش الأحمر التي نفذها لتطويق تجميعات العدو الضخمة وتدميرها.

وما إن تـمَّ سحق التجميعات الجناحية المعادية في منطقتي فيتبسك وبوبرويسك حتى تابعت القوات السوفييتية تطوير هجومها نحو الغرب محيطة بعمق القوى الرئيسية لمجموعة جيوش «الوسط» من جبهتي الشمال والجنوب. وخشيت القيادة الألمانية من التطويق فسارعت إلى سحب قواتها المدافعة شرقي مينسك، إلاّ أن رجال الدبابات من جبهة بيلوروسيا الثالثة في أثناء مطاردتهم الفعّالة باندفاع وصلوا مينسك في الثالث من تموز (يوليو) ١٩٤٤ ودخلوها من الشمال الشرقي، بينما دخلتها قوات جبهة بيلوروسيا الأولى من الجنوب. وكانت نتيجة التقاء المجموعات الحركية لجبهتي بيلوروسيا المذكورتين شرقي مينسك آن طُوِّق تجميع معادٍ للقوات الألمانية تعداده ١٠ آلاف شخص. ومع وصول التشكيلات المشتركة للجبهات في هذا اليوم ذاته تم تحرير عاصمة بيلوروسيا.

كان تطويق تجميع العدو على عمق ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ كم شاهداً ساطعاً على تطور فن تنظيم المطاردة وتنفيذها. فبلغت إيقاعات الهجوم بالنسبة للمجموعات الحركية ٤٥ كم في اليوم، وبالنسبة للتشكيلات المشتركة ٢٣ كم أو أكثر في اليوم. ومما يلفت النظر هنا ذلك التنظيم الدقيق للمطاردة التي نفذت على جبهة عريضة وفي الليل والنهار. وأعطيت للتشكيلات والقطعات التي تطوق العدو قطاعات أضيق، وهذا

ما ساعدها ، بالإضافة إلى بنية القوات العميقة ، في إيجاد تجميع كثيف على الجبهة الداخلية للتطويق ، وهي ما تزال تطارد العدو ، وأمّن لها بالتالي إمكانية تصفية القوات المطوقة بسرعة كبيرة .

باءت بالفشل جميع محاولات القيادة الألمانية الرامية إلى فك الحصار عن قواتها الواقعة في التطويق . وفي الفترة الواقعة بين ٤ و ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٤ تمكنت تشكيلات جبهة بيلوروسيا الثانية من شطر تجميع العدو المطوق شرقي مينسك وتصفيته نهائياً . وهكذا نفذت قوات الجبهات السوفييتية الأربع مهامها قبل الوقت المعين بأربعة أيام بمساهمة فعالة من جانب قوات الأنصار . وكانت نتيجة الهجوم الناجح أن سحقت القوى الرئيسية لمجموعة جيوش « الوسط » ، وحدث تصدّع هائل في الجبهة الاستراتيجية للقوات الألمانية ، كانت القيادة الهتلرية عاجزة عن رأبه في مهلة قصيرة ، بسبب عدم توفر الاحتياطات لديها ؛ بينما أضحت المهمة المسندة إلى قوات الجبهات السوفييتية هي تطوير الهجوم باندفاع نحو الغرب ، وكان ذلك المضمون الأساسي للمرحلة الثانية من عملية بيلوروسيا .

حررت القوات السوفييتية حتى نهاية شهر تموز (يوليو) وبداية شهر آب (أغسطس) من العام ١٩٤٤ جميع أراضي بيلوروسيا والقسم الأكبر من ليتوانيا ، ووصلت إلى حدود بروسيا الشرقية . وفي العشرين من شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٤ اقتحمت قوات الجيش الأحمر نهر البوغ الغربي على جبهة عريضة ، ودخلت أراضي بولونيا ، وشرعت بالاشتراك مع قطعات الجيش الأول البولوني في تحرير الشعب البولوني من الاحتلال . ولم تلبث أن وصلت في نهاية شهر تموز (يوليو) إلى قرية براغ ناحية وارسو ، وبلغت نهر الفيستولا على جبهة عريضة ، واحتلت رأسي جسر على ضفته الغربية .

تمكنت القيادة الألمانية في شهر آب (أغسطس) ١٩٤٤ من تجديد الجبهة الاستراتيجية الممزقة بعد أن نقلت قوى ووسائط كبيرة إلى الاتجاه الأوسط ، وعززت مقاومتها للقوات السوفييتية ونظمت الدفاع على خط نهر الفيستولا وعند حدود بروسيا الشرقية مباشرة .

وفي ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٤٤ انتقلت قوات جبهات بيلوروسيا ، بأمر من القيادة ، إلى الدفاع على الخطوط التي بلغتها منهية بذلك عملية بيلوروسيا .

تكبد التجميع الاستراتيجي من القوات الألمانية في عملية بيلوروسيا هزيمة منكرة . وجاء في سجل الأعمال القتالية للقيادة العامة العليا الألمانية أن سحق مجموعة جيوش « الوسط » في بيلوروسيا كان يعني كارثة تفوق تلك التي حدثت في ستالينغراد . ولقد كانت هذه العملية من أضخم عمليات الحرب الوطنية العظمى فشملت أعمال القتال مساحات هائلة زادت عن ١١٠٠ كم بالجبهة ، و٥٥٠ ــ ٦٠٠ كم بالعمق ، وبلغ الإيقاع اليومي المتوسط لهجوم القوات ٢٠ ــ ٢٥ كيلو متراً ، وساهم فيها من الأفراد والعتاد القتالي ما يفوق أيّاً من العمليات الأخرى التي جرت في العام ١٩٤٤ ، وتم بنتيجتها تحرير بيلوروسيا ، والقسم الأكبر من ليتوانيا ولاتفيا ، وقسم كبير من بولونيا ؛ وتبدل الموقف الاستراتيجي جذرياً في

كامل الجبهة السوفييتية ــ الألمانية . فدمرت تماماً سبع عشرة فرقة ، وثلاثة ألوية معادية ، وفقدت خمسون فرقة ألمانية نصف قوامها من الأفراد ؛ وعزلت مجموعة جيوش « الشمال » الألمانية في منطقة البلطيق ؛ واضطرت القيادة الألمانية من أجل استعواض الخسائر إلى نقل ٤٦ فرقة و ٤ ألوية مجدداً إلى بيلوروسيا ، جاءت بها من بلدان أوروبا الغربية . كما أضعف ذلك تجميع العدو في قطاعات الجبهة السوفييتية ــ الألمانية الأخرى ، وأثّر تأثيراً مفيداً على مجرى الأعمال القتالية التي كانت تخوضها القوات الأنكلو ــ أمريكية في الغرب .

تميّزت عملية بيلوروسيا بخرق الدفاع المحصن في قطاعات كثيرة بتفنن وسرعة ، وأغنت نظريات وتطبيقات تجميعات العدو الضخمة وتدميرها في مهل قصيرة ، ومطاردة العدو باندفاع واقتحام الأنهار الكثيرة من الحركة والمناورة بالتشكيلات الحركية الكبرى وقيادة القوات والسيطرة عليها سيطرة تامة وتنسيق أعمالها بدقة كبيرة .

استخدمت في العملية أعداد كبيرة من المدفعية . وكان أهم مبدأ في استخدامها تكثيفها بشكل حاسم على الاتجاهات الرئيسية . ونفذت إلى جانب ذلك خطوة هامة جداً في مجال تحسين تجميع المدفعية المشكل من حيث المبدأ التنظيمي التكتيكي ، وفي مجال معالجة طريقة الدعم المدفعي الجديدة لهجوم المشاة والدبابات وتنفيذها ، ألا وهي السدّ الزاحف المزدوج .

تطوّرت كذلك في أثناء العملية خبرة تنظيم التعاون الوثيق بين طيران الجبهات والطيران بعيد المدى ، وخبرة تنظيم التعاون مع القوات البرية أيضاً . وكانت قيادة الطيران تتمّ بمساعدة الممثلين الجويين الموجودين مباشرة في التشكيلات المشتركة والمدرعة .

كانت المعارك الطاحنة ما تزال تدور في بيلوروسيا عندما ألحقت قوات جبهة أوكرانيا الأولى هزيمة ساحقة بمجموعة جيوش « شمال أوكرانيا » في الفترة بين ١٣ تموز (يوليو) ولغاية ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٤٤ ، فحررت مدينة لوخوف ، والأقاليم الغربية من أوكرانيا والمناطق الجنوبية الشرقية من بولونيا ، ووصلت إلى نهر الفيستولا ، واستولت على رأس جسر ساندومير العملياتي الهام . وفي أثناء هذه المواقع تمكنت القوات السوفييتية من سحق أربعين فرقة ألمانية .

في نهاية شهر آب (أغسطس) ١٩٤٤ اندلعت في سلوفاكيا ثورة وطنية عارمة . وقذفت القيادة الألمانية بقواتها النظامية لضرب الثوار . فكان أن أرسلت قوات سوفييتية لمساعدة الثوار مع الفيلق التشيكوسلوفاكي الأول . وتمكنت قوات جبهتي أوكرانيا الأولى والرابعة من التغلب على مقاومة العدو الشديدة ، واجتياز جبال الكاربات الشرقية في منطقة ممر دوكلين ، وتحرير قسم من أراضي تشيكوسلوفاكيا .

كذلك شرع في أثناء عملية بيلوروسيا في تحرير جمهوريات البلطيق السوفييتية . فحطمت قوات جبهة لينينغراد وجبهات البلطيق الثلاث مقاومة العدو ، وتقدمت في شهري تموز (يوليو) وآب (أغسطس)

١٩٤٤ نحو الغرب مسافة تزيد عن مئتي كيلو متر ، وحررت مدينة نارفا ، وقسماً من أستونيا ، وقسماً كبيراً من لاتفيا وليتوانيا . في أثناء تطوير الهجوم حررت القوات السوفييتية في شهر أيلول (سبتمبر) مدينة تالين ، ووصلت إلى ريغا من جبهتي الشمال والشرق ، إلاّ أنها لم تتمكن من شطر التجميع المعادي هناك . وكان لا بد لتنفيذ هذه المهمة من أن تقوم القوات السوفييتية بإعادة تجميع ضخمة ، تمكنت بعدها حتى الخامس من شهر تشرين الأول (أكتوبر) من الوصول إلى شاطىء بحر البلطيق في منطقة كلايبدا ، وتحرير ريغا في الثالث عشر من الشهر نفسه من العام ١٩٤٤ .

كان لانتصار الجيش الأحمر في منطقة البلطيق قيمة كبرى . إذ طهّرت القوات السوفييتية أستونيا وليتوانيا وكل لاتفيا تقريباً من المحتلين الألمان ، ونقلت أعمال قتالها إلى أراضي بروسيا الشرقية . وتكبدت مجموعة جيوش « الشمال » خسائر فادحة جداً . حتى إن ٢٩ فرقة منها دمّرت تماماً ، وحوصرت ٣٨ فرقة منها في منطقة كورلانديا فيما بين توكومس وليباي .

وأمّن خروج فنلندا من الحرب الظروف المناسبة لسحق القوات الألمانية في الشمال الأقصى؛ فوصلت قوات الجناح الأيمن لجبهة كاريليا ، بالتعاون مع أسطول بحر الشمال في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤ ، إلى حدود النرويج ، وحررت مدينة كيركينيس النرويجية وميناءها في ظروف قطبية صعبة ، وتمكنت حتى نهاية الشهر من تطهير إقليم بتسامو بأكمله ، والمناطق الشمالية من النرويج ، وأمنت تحسين قواعد تمركز أسطول الشمال في بحر بارنيشوف .

أدّى سحق القوات الألمانية في بيلوروسيا ونجاحات القوات السوفييتية في القطاع الجنوبي من الجبهة السوفييتية ــ الألمانية إلى زيادة وضع مجموعة جيوش « جنوب أوكرانيا » التي تدافع في ملدافيا ورومانيا ، سوءاً . وانفتح المجال أمام الجيش الأحمر لتسديد ضربة باتجاه ياس ــ بوخارست .

وفي معرض استعداده لصدّ هجوم القوات السوفييتية أقام العدو دفاعاً منسقاً على عمق ٢٠٠ كم (انظر الشكل رقم ٤٧) .

فاحتلت قوات مجموعة جيوش « جنوب أوكرانيا » دفاعاً محضراً . وكان لديها ٤٧ فرقة ، و٥ ألوية منها ٢٥ فرقة ألمانية ، أما الفرق الباقية فكانت رومانية . وبلغ تعدادها الإجمالي ٦٤٠ ألف شخص ، وتملك ٧٦٠٠ مدفع وهاون من عيار ٧٥ مم فما فوق ، و٤٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، و٨١٠ طائرات قتالية . وكانت أكثر القوات قدرة على القتال تدافع عن البروز المشكل في الجبهة في منطقة ياس ــ كيشينوف .

كانت قوات جبهتي أوكرانيا الثانية والثالثة تملك حتى بدء العمليات ٩٣٠ ألف شخص و١٦ ألف مدفع وهاون ونحو ١٩٠٠ دبابة وقانص ، و١٧٦٠ طائرة قتالية . وكان تناسب القوى إلى جانب القوات السوفييتية ، الأمر الذي أتاح لها تنفيذ الهجوم على مستويات ضخمة ولتحقيق غايات حاسمة .

مواقع قوات الجبهة الاوكرانية الثانية والثالثة
مواقع القوات نهاية ٢٤ آب
مواقع القوات نهاية ٢٩ آب
مواقع القوات نهاية ٦ أيلول
مواقع القوات نهاية ٢٥ أيلول
العمليات القتالية للقوات الرومانية والبلغارية

(الشكل رقم ٤٧) ــ سحق القوات الألمانية في منطقة ياس ــ كيشنوف وتحرير ملدافيا ورومانيا وبلغاريا، آب (أغسطس) حتى أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤.

بدأت عملية ياس ـــ كيشينوف في العشرين من شهر آب (أغسطس) ١٩٤٤، ونفذتها قوى جبهتي أوكرانيا الثانية والثالثة التي سدّدت ضرباتها على اتجاهين متلاقيين، بهدف تطويق تجميع القوات الألمانية الأساسي وتدميره في منطقة ياس ـــ كيشينوف وتطوير الهجوم في عمق رومانيا وحتى الحدود البلغارية.

خرقت القوات السوفييتية في يومين اثنين المنطقة التكتيكية من دفاع العدو، وزجّت في الخرق بقواتها الحركية وتقدمت ٣٠ ـــ ٥٠ كم مؤمنة الظروف الملائمة للتقدم السريع نحو نهر بروت. وكان ما يميز خرق المنطقة التكتيكية من دفاع العدو في هذه العملية أنه نفذ بإيقاعات أعلى بكثير من العمليات السابقة. ولعبت طلائع فرق المشاة دوراً كبيراً في تحقيق هذه الإيقاعات العالية، وكانت قد اندفعت نحو الأمام في أثناء خرق النطاق الرئيسي للدفاع، واستغلت الفواصل الحادثة في دفاع العدو للهجوم باتجاه النطاق الثاني.

وصلت التجمعات الضاربة من القوات السوفييتية، في أثناء تطويرها للهجوم، إلى نهر بروت في الرابع والعشرين من شهر آب (أغسطس)، مكمّلة بذلك تطويق ١٨ فرقة ألمانية من مجموعة جيوش «جنوب أوكرانيا». وفي هذا اليوم أيضاً حررت مدينة كيشينوف عاصمة ملدافيا. كذلك اندفعت قطعات من الجيش الأحمر في الوقت نفسه على الجبهة الخارجية للتطويق. وما إن تم التطويق حتى كانت تلك القطعات على مسافة ٨٥ ـــ ١٠٠ كم عن القوات المطوقة. وكان من خصائص عمل القوات المدرعة والميكانيكية في هذه الفترة أنها كانت تهاجم على جبهة عريضة، وعلى اتجاهات مستقلة معزولة عن بعضها بمسافات تتراوح بين ٣ كم و٢٠ كم. وكانت نتيجة اندفاع القوات في عملها على جبهة عريضة وعمق كبير أن جُزّىء تجميع العدو إلى أجزاء منعزلة ساعدت في سرعة القضاء عليه.

في ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٤٤ طوقت قوات الجناح الأيسر من جبهة أوكرانيا الثالثة، وبالتعاون مع أسطول البحر الأسود، الجيش الثالث الروماني. وعجّل هجوم القوات السوفييتية الناجح في قيام الشعب الروماني بثورة مسلحة. فاستثمرت القوى الوطنية الرومانية ظروف الموقف المؤاتية، وطردت الديكتاتور الروماني انتونيسكو. وفي ٢٤ آب (أغسطس) خرجت رومانيا من الحرب إلى جانب ألمانيا وأعلنت الحرب عليها.

وفي الفترة الممتدة بين ٢٥ و ٢٩ آب (أغسطس) صفّت القوات السوفييتية تجميع العدو المطوّق وقضت عليه. وبلغت خسائر العدو في عملية ياس ـــ كيشينوف أكثر من ٢٥٠ ألف جندي وضابط، وانفتح أمام القوات السوفييتية الطريق إلى الهجوم اللاحق في عمق رومانيا وفوق أراضي بلغاريا.

في ٣٠ آب (أغسطس) وفي أثناء تنفيذ المهام المحددة لها، استولت قوات جبهة أوكرانيا الثانية على مدينة بلويشتي مركز الصناعة النفطية الرومانية الضخم، بمساهمة فعّالة مع تشكيلات فرقة المتطوعة الرومانية الأولى المسماة تودور فلاديميريسكو، وفي ٣١ آب (أغسطس) ١٩٤٤ دخلت مدينة بوخارست التي كانت قد حررتها القوى الوطنية الرومانية، وفي الخامس من شهر أيلول (سبتمبر) وصلت إلى الحدود اليوغوسلافية والبلغارية. وتابعت قوات جبهة أوكرانيا الثانية هجومها فاجتازت جبال الكاربات الشرقية

والجنوبية ، وطردت بالاشتراك مع القطعات الرومانية ما بقي من الألمان في الجزء الشمالي من ترانسلفانيا في الخامس والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) . وهكذا تمّ تحرير رومانيا كلها .

استغلت قوات جبهة أوكرانيا الرابعة التقدم الناجح لقوات جبهة أوكرانيا الثانية . فانتقلت في التاسع من شهر أيلول (سبتمبر) إلى الهجوم ، ووصلت في نهاية الشهر إلى سلسلة جبال الكاربات الرئيسية ، وتجاوزتها في بعض الأماكن منها داخلة أراضي تشيكوسلوفاكيا .

وكان لوصول قوات جبهة أوكرانيا الثالثة إلى الحدود الرومانية ـــ البلغارية تأثير بالغ على الموقف في بلغاريا ، وتحولت البلاد إلى حالة الثورة . وفي ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ عاودت القوات السوفييتية أعمال قتالها ودخلت أراضي بلغاريا. ولم يبدِ الجيش البلغاري أية مقاومة إزاء الجيش الأحمر ، بينما استقبل الشعب البلغاري محرريه بترحاب كبير . وفي ٩ أيلول (سبتمبر) جرت ثورة في عاصمة بلغاريا (صوفيا) ، وشكلت فيها حكومة ديموقراطية تحت إشراف الجبهة الوطنية التي قطعت العلاقات مع ألمانيا ، وأعلنت الحرب عليها . وفي ١٦ أيلول (سبتمبر) دخلت القوات السوفييتية عاصمة بلغاريا . وفي نهاية شهر أيلول (سبتمبر) وصلت قطعات الجيش الأحمر إلى الحدود الغربية من رومانيا وبلغاريا وهيّـأت الظروف المؤاتية لتطوير الهجوم في هنغاريا ويوغوسلافيا .

لقد تحققت في عملية ياس ـــ كيشينوف نتائج عسكرية ـــ سياسية ضخمة . فسحقت القوات السوفييتية مجموعة جيوش « جنوب أوكرانيا » المعادية ، وطوقت ١٨ فرقة ألمانية ودمرتها ، بينما استسلمت ٢٢ فرقة وخمسة ألوية رومانية ملكية . وخلال الفترة المحصورة بين ٢٠ آب (أغسطس) و٣ أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٤ فقط وقع في الأسر ٢٠٨٦٠٠ شخص بين جندي وضابط . وأتم الجيش الأحمر بنتيجة تنفيذ العملية تحرير ملدافيا ، وأخرج من الحرب إلى جانب ألمانيا كلاً من رومانيا وبلغاريا .

تميزت عملية ياس ـــ كيشينوف بأبعادها الكبيرة ؛ فبلغ عرض جبهة الهجوم ٤٥٠ ـــ ٥٠٠ كم ، وعمق التقدم خلال عشرة أيام ٣٢٠ كم ـــ ٣٥٠ كم . وكان إيقاع هجوم القوات المتوسط على مختلف الاتجاهات نحو ٣٠ كم في اليوم .

ولعبت الفيالق المدرعة والميكانيكية دوراً حاسماً في تحقيق العمق الكبير للعملية ، والإيقاعات العالية في الهجوم ، فكانت تشق الطريق أمام تشكيلات وقطعات الصنوف الأخرى .

ازدادت ثروة فن الحرب السوفييتي في أثناء العملية المنفذة بخبرة ثمينة في تنظيم أعمال القتال ، المتصفة بالمناورة العالية ، وتنفيذها بهدف الاستيلاء على أهم الأغراض في العمق العملياتي وتطويق تجميعات معادية ضخمة وتصفيتها بسرعة ، مع العلم بأن المناورة الهادفة إلى التطويق كانت تنفذ في آن واحد مع شطر التجميع المعادي المقابل إلى مجموعات معزولة منفصلة ، مما كان يساعد كثيراً في تدميرها مجزأة بسرعة .

أثبتت عملية ياس ـــ كيشينوف تماماً زيادة الثقل النوعي للصبائب النارية في أثناء التمهيد المدفعي مع إشراك كل المدفعية في تنفيذها . وهذا ما أمن إبطال العدو إبطالاً مضموناً وإحداث صدع كبير في

دفاعه . كذلك كان لخبرة استخدام الدبابات بكثافة ، لمهاجمة أكثر نقاط استناد العدو قوة ، أهمية كبيرة ، حيث كانت خسارته لهذه النقاط تؤدي إلى خلخلة صمود الدفاع كله .

واتسمت العملية بتعاون القوات البرية الوثيق مع أسطول البحر الأسود وأسيطيل نهر الدانوب الحربي الذي تمّ عند اقتحام خليج نهر الدنيبر ، وعند حصول الإنزالات على موانىء البحر الأسود والاستيلاء عليها . وساعدت سفن أسطول البحر الأسود وطيرانه في إنجاح هجوم قوات جبهة أوكرانيا الثالثة على طول أسطول البحر الأسود .

في ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ بدأت قوات جبهة أوكرانيا الثالثة عملية بلغراد ، بالاشتراك مع أسيطيل الدانوب وبالتعاون مع جيش التحرير الشعبي اليوغوسلافي . وبعد أن تجاوزت جبال الصرب الشرقية واقتحمت نهر مورافا ، حررت القوات السوفييتية عاصمة يوغوسلافيا (بلغراد) في العشرين من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤ بعد معارك طاحنة خاضتها بالاشتراك مع قطعات الجيش اليوغوسلافي . واضطرت القيادة الألمانية إلى التعجيل في إخلاء قواتها من اليونان وألبانيا . وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ أتمّ الوطنيون الألبان تحرير بلادهم .

دخلت القوات السوفييتية في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ الأراضي الهنغارية في منطقة مدينة سيغد ، وشرعت في تحريرها . وتمكنت قوات جبهة أوكرانيا الثانية أثناء تطوير الهجوم ، خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، من تحرير قسم كبير من هنغاريا ، حتى بلغت مشارف عاصمتها بودابست ، بعد أن اقتحمت نهر الدانوب جنوب تلك المدينة . وفي بداية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) اقتحمت نهر الدانوب أيضاً قوات جبهة أوكرانيا الثالثة ، ووصلت إلى بحيرتي فلنسة وبلاتون . وبعد تمهيد قصير انتقلت قوات الجبهتين في العشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) إلى الهجوم وسددت ضرباتها باتجاهين متلاقيين ، وطوقت في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) تجميعاً معادياً مؤلفاً من ١٨٨ ألف شخص في منطقة بوادبست . وفي شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ صدّت القوات السوفييتية ضربات معاكسة قوية سددها العدو إلى الجبهة الخارجية من الطوق في منطقة بحيرة بلاتون ، ولم يبزغ فجر الثالث عشر من شباط (فبراير) حتى كان العدو المطوق قد صُفّي نهائياً ، وحررت مدينة بودابست .

وكان المجلس الوطني المؤقت قد انتخب حكومة هنغاريا المؤقتة منذ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٤ في مدينة دبريتسين ، وقامت تلك الحكومة بقطع علاقاتها مع ألمانيا ومن ثم أعلنت الحرب عليها في الثامن والعشرين من ذلك الشهر .

أدّت انتصارات القوات المسلحة السوفييتية إلى تحقيق نتائج سياسية وعسكرية بارزة . فحررت أراضي الاتحاد السوفييتي كاملة من المحتلين الهتلريين باستثناء القسم الشمالي الغربي من لاتفيا ، وأعيدت الحدود الدولية إلى سابق عهدها من بحر بارنيتوف وحتى البحر الأسود . وفي صيف وخريف العام ١٩٤٤ فقط دمرت القوات السوفييتية ٣١٥ فرقة و٤٦ لواء معادياً . وبلغت الخسائر الإجمالية التي تكبدها الجيش

الهتلري على الجبهة السوفييتية ـ الألمانية في هذا الوقت ٦ر١ مليون شخص و٦٧٠٠ دبابة و٢٨٠٠٠ مدفع وهاون وأكثر من ١٢٠٠٠ طائرة .

حرمت ألمانيا الفاشية من جميع حلفائها تقريباً وأضحت في عزلة سياسية تامة . واقتربت الجبهة من حدودها بينما تخطتها في بروسيا الشرقية . وفي أواسط العام ١٩٤٤ شرع الجيش الأحمر في تقديم المساعدة المباشرة لشعوب أوروبا في صراعها ضد ألمانيا الفاشية . فطرد الهتلريون من رومانيا وبلغاريا ومن قسم كبير من بولونيا والقسم الأكبر من هنغاريا وشمال النرويج . ودخلت القوات السوفييتية المناطق الشرقية من تشيكوسلوفاكيا وحررت قسماً كبيراً من يوغوسلافيا . واضطرت القيادة الألمانية تحت وطأة تقدم الجيش الأحمر في الجنوب إلى سحب قواتها من اليونان وألبانيا .

اتسمت أعمال قتال الجيش الأحمر في العام ١٩٤٤ بأن بدأت عملياته بالتتابع ومن ثم انصبّت في هجوم عام في آن واحد شنته القوات السوفييتية على جبهة هائلة . ونفذت العمليات طوال العام وفي مختلف ظروف الأرض : في السهول وفي الجبال وفي الأراضي المستنقعية الغابية والمناطق القطبية .

كان الشيء المميز في العمليات تنفيذ عدد كبير منها بهدف التطويق ، وتنفيذ المطاردة على عمق كبير . وكان من خصائص العمليات المنفذة أن إعدادها كان يجري خلال الهجوم الذي يسبقها ، أو في فترة توقف قصيرة جداً . وكان من الدروس المستفادة في أعمال القتال تلك الخبرة الكبيرة في تنظيم تعاون أنواع القوات وصنوف الأسلحة كلها .

لقد هيأت الانتصارات المحققة في جنوب ـ شرقي أوروبا والقطاعات الأخرى من الجبهة السوفييتية ـ الألمانية ، الظروف المؤاتية من أجل تسديد الضربة التالية الختامية إلى ألمانيا الهتلرية .

٧ ـ ٤ ـ تطور فن الحرب السوفييتي في عمليات العام ١٩٤٥ م وفي ختام اندحار ألمانيا الفاشية

مع بداية العام ١٩٤٥ ظلت القيادة الألمانية تحتفظ كعهدها بقواها الرئيسية على الجبهة السوفييتية ـ الألمانية ، حيث ما برحت تعمل هناك ١٦٩ فرقة ، و٢٠ لواء ، مع ١٦ فرقة هنغارية ولواء واحد . وكان تعداد تلك القوات يزيد عن ٧ر٣ مليون شخص ، و٥٦ ألف مدفع وهاون ، وأكثر من ٨ آلاف دبابة ومدفع اقتحام ، و١ر٤ آلاف طائرة قتال . وكانت ألمانيا تستخدم ضد الجيش الأحمر القسم الأكبر من تشكيلاتها الاحتياطية المختلفة ؛ في الوقت الذي تجابه فيه القوات الأنكلو ـ أمريكية في الغرب وإيطاليا بـ ١٠٧ فرق ألمانية فقط . وقد بذل القادة الفاشيون جهوداً يائسة من أجل كسب الوقت وإحداث شرخ في أوساط أعضاء الحلف المعادي للهتلرية ، مع محاولة عقد صلح منفصل مناسب لهم مع الدول الغربية . وكانت خطتهم الاستراتيجية في خوض الحرب مبنية على مثل هذه الآمال .

تقلص طول الجبهة السوفييتية ـ الألمانية حتى بداية العام ١٩٤٥ بنتيجة الانتصارات التي حققها

الجيش الأحمر إلى النصف تقريباً، فبلغ ٢٢٥٠ كم. وطردت القوات الأنكلو ــ أمريكية والفرنسية الجيش الألماني من شمال إيطاليا ومن فرنسا وبلجيكا، واقتربت من الحدود الغربية لألمانيا. وهكذا أضحت ألمانيا الهتلرية محصورة بين جبهتين.

كان تعداد الجيش العامل السوفييتي في بداية العام ١٩٤٥ (باستثناء الأسطول الحربي البحري وقوات الدفاع الجوي الاقليمي) نحو ٦ر٤ مليون شخص ويملك ٤ر١٠ آلاف مدفع وهاون ونحو ٨ر١١ ألف دبابة وقانص، و٧ر١٢ ألف طائرة قتالية. وكان تناسب القوات على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية في صالح الجيش الأحمر.

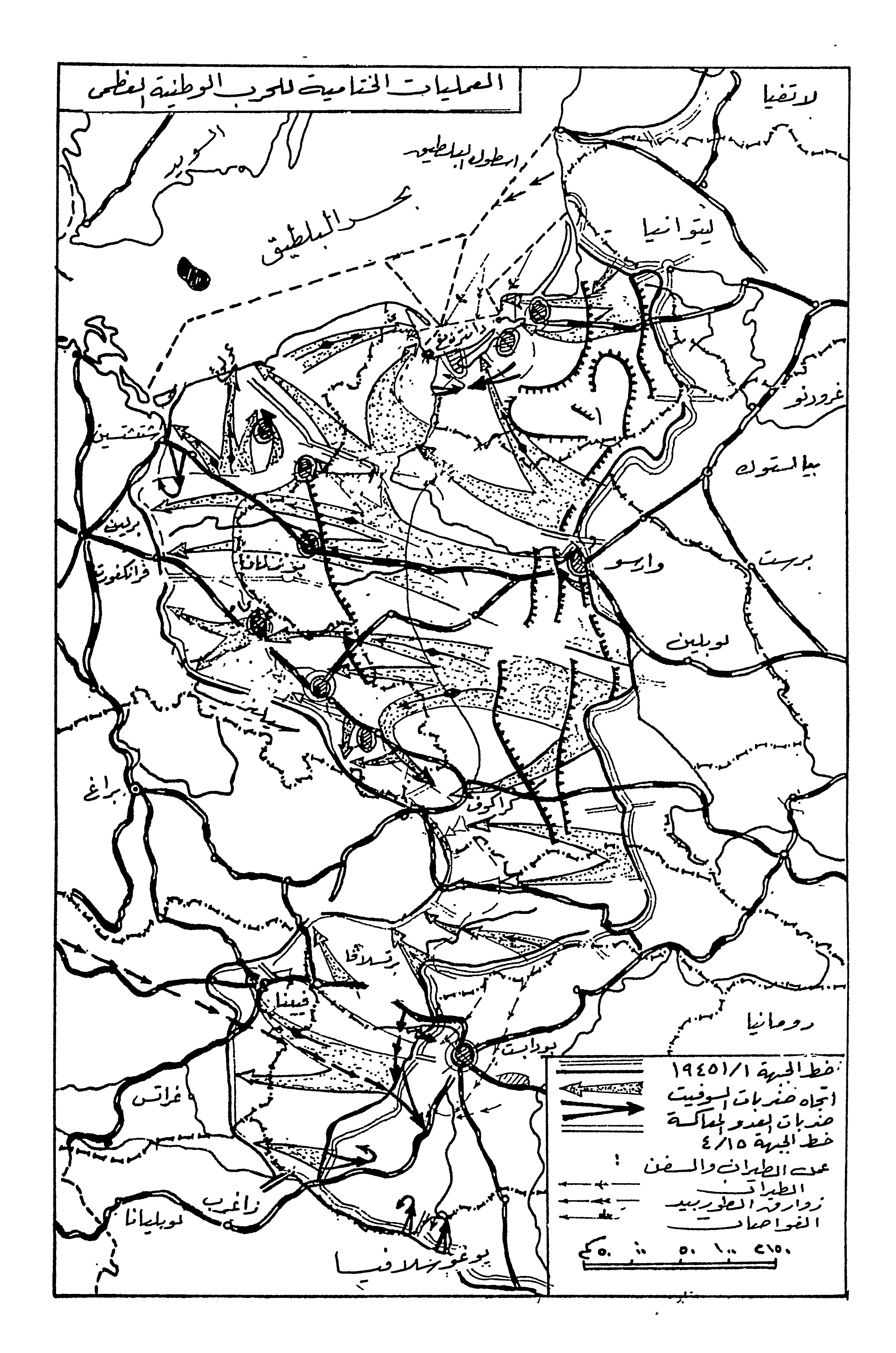
كلفت الحكومة السوفييتية قواتها المسلحة بمهمة الانتهاء من سحق الجيش الألماني في وقت قصير، وتحرير بلدان أوروبا الوسطى، وجنوبها الشرقي، وإجبار ألمانيا على الاستسلام دون قيد أو شرط بالاشتراك مع الحلفاء. ووضع في الاعتبار شن هجوم في آن واحد على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية كلها مع تسديد الضربة الرئيسية على اتجاه وارسو ــ برلين، وهو أقصر طريق يؤدي إلى عاصمة ألمانيا.

وضع في الاعتبار بدء العمليات اعتباراً من العشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥. إلاّ أن الموقف تسبب في تعديل هذا الموقف. إذ بدأت القيادة الألمانية هجومها في الآردين بهدف استعراض قواها واستمالة حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا نحو صلح منفرد. وهكذا وجدت القوات الأنكلو ــ أمريكية نفسها في موقف حرج. فتوجه رئيس وزراء انكلترا وينستون تشرشل بسبب ذلك بطلب إلى ستالين يرجو فيه مساعدته. وقرّرت القيادة السوفييتية الوفية لواجباتها تجاه حلفائها الإسراع ببدء الهجوم بالرغم من عدم استعداد قواتها الكامل. فشرعت بعمليتين مترابطتين مع بعضهما، هما عملية الفيستولا ــ الأودر، وعملية بروسيا الشرقية بقوى جبهات بيلوروسيا الثلاث، وجبهة أوكرانيا الأولى، وذلك قبل الوقت المعين لهما. ويبين الجدول (رقم ١٧) قوات التجميعات الضاربة للجبهات في هذه العمليات.

ارتفعت كثافة القوات بالمقارنة مع حملة الصيف والخريف في العام ١٩٤٤ بنسبة ١٥ ــ ٢٠٪ وتجاوزتها أيضاً في نطاقات بعض التشكيلات.

سعت القيادة الألمانية في معرض محاولاتها للحفاظ على بولونيا إلى إنشاء سبعة خطوط دفاعية محصنة جداً، وخصصت للدفاع عنها القوى الرئيسية لمجموعة الجيوش «آ». وبلغ تعداد التجميع الألماني ٥٦٠ ألف جندي وضابط مع ٥ آلاف مدفع وهاون وأكثر من ١٢٢٠ دبابة ومدافع اقتحام، وحتى ٦٣٠ طائرة قتالية.

نفذت عملية الفيستولا ــ الأودر بقوى جبهة بيلوروسيا الأولى وجبهة أوكرانيا الأولى، وكانت مهمتها تسديد ضربات قوية من رؤوس الجسور التي تحتلها لشطر تجميع العدو في بولونيا، وتطوير الهجوم بإيقاعات عالية لإحباط خطط العدو في تأخير هجوم القوات السوفييتية على الخطوط المحضرة سلفاً ونقل أعمال القتال إلى الأراضي الألمانية (انظر الشكل رقم ٤٨ العمليات الختامية للحرب الوطنية العظمى، كانون الثاني / يناير / ــ أيار / مايو / ١٩٤٥).



(الشكل رقم ٤٨) العمليات الختامية للحرب الوطنية العظمى.

(جدول رقم ١٧)

قوات التجميعات الضاربة للجبهات

التبيان	جبهة بيلوروسيا الثانية			جبهة بيلوروسيا الأولى		
	جبهة بيلوروسيا الثالثة	تجميع روجان	تجميع سيروتسك	تجميع ماغنيشوف	تجميع بولافي	جبهة أوكرانيا الأولى
جيوش مشتركة	٤	٣	٢	٤	٢	٨
جيوش مدرعة	—	١	—	٢	—	٢
فيالق مدرعة (ميكانيكية) مستقلة	٢	٣	١	—	٢	٤
فرق مشاة	٣٠	٢٢	١٣	٣٥	١٤	٥٦
مدفعية	٤٨٠٠	٤٧٧٠	١٨٠٠	٥٣٠٠	٣٨٠٠	٠٠
دبابات	١٢٣٨	١٥٣٥	٣٧٥	١٩٨٢	٧٦٨	٤٤
طائرات	١٣٣٣	١٦٤٧	—	٢١٩٠	—	٨٢
عرض نطاق الخرق (كم)	٢٤	١٨	١٠	١٧	١٣	٣٦
الكثافة على قطاع الخرق :						
ــ كم للفرقة في النسق الأول	١ر٥	١ر٧	١ر٥	١ر٢	١ر٨	١ر٤
ــ مدفع وهاون في ١ كم	٢٢٠	٢٩٠	١٨٠	٣١٠	٣٠٠	٣٠
ــ دبابة وقانص دعم مباشر على ١ كم	٣٠	٢٥	٢٠	٢٤	٢٦	—
ــ الكثافة العملياتية للدبابات والقوانص في ١ كم	٥٠	٧١	٣٢	١٠٤	٦٠	٩٥

أشرك في العملية أكثر من ٢ر٢ مليون إنسان مع ٥ر٣٣ ألف مدفع وهاون وأكثر من ٧ آلاف دبابة وقانص وما يزيد عن ٥ آلاف طائرة. وجرى إعداد العملية بدقة كبيرة. فاهتم القادة على اختلاف مستوياتهم باستخدام القوى والوسائط الموضوعة تحت تصرفهم على أحسن وجه. وكتب قائد جبهة أوكرانيا الأولى مارشال الاتحاد السوفييتي ي. س. كونيني في مذكراته: «سعينا خلال الإعداد للعملية إلى الاستفادة من الخبرة التي حصلنا عليها في ميادين القتال بصورة خلاقة وكنا راغبين كثيراً في عدم تكرار الأخطاء التي كنا نتذكرها وتحقيق أهدافنا بأقل هدر للدماء...».

كانت البنية العملياتية للقوات السوفييتية عميقة وتضم أنساقاً أولى وثانية ومجموعات حركية واحتياطات. وكانت توجد خمسة فيالق مدرعة في الجيوش المشتركة، وجيشان مدرعان في كل جبهة لاستثمار النجاح. كما كان يوجد جيش أو جيشان في النسق الثاني للجبهة لتغذية الجهود. وبقي في الاحتياط فيلق ميكانيكي وثلاثة فيالق خيالة. وبلغ عمق توضع القوات الإجمالي ٧٠ ـــ ١٠٠ كم، وأمنت على قطاعات الخرق كثافات بلغت ٢٣٠ ـــ ٢٥٠ مدفعاً وهاوناً و٢١ ـــ ٢٥ دبابة دعم مباشر للمشاة على الكيلو متر الواحد من الجبهة. ولقد أمن هذا التجميع نجاح خرق دفاع العدو، وسبقه إلى احتلال الخطوط في العمق، وتطوير الهجوم بإيقاعات عالية.

خططت عمليات الجيوش إلى عمق المهمة المباشرة للجبهة أي في حدود ٢٤٠ ـــ ١٨٠ كم ومدتها ١٠ ـــ ١٢ يوماً بإيقاع يومي وسطي يبلغ ١٢ ـــ ١٥ كم. واتخذت جيوش جبهة بيلوروسيا الأولى بنيتها العملياتية على نسق واحد، بغية تسديد ضربة أولية قوية إلى العدو، أما جيوش جبهة أوكرانيا الأولى فكانت على نسقين أو ثلاثة أنساق، وكان الطابع المميز في تنظيم معركة تشكيلات وقطعات المشاة السعي إلى تكثيف القوى والوسائط على قطاعات الخرق عموماً، والتي بلغت ٥ر٢ ـــ ٥ كم بالنسبة للفيالق و٢ر١ ـــ ٥ر٢ كم بالنسبة للفرق، و٧ر٠ ـــ ١ كم بالنسبة للأفواج.

كانت إجراءات التمويه العملياتي بغية إخفاء الاستعداد للهجوم من الدروس المستفادة. فلقد جرى في جبهة بيلوروسيا الأولى سحب كاذب للقوات والعتاد من رؤوس الجسور. وأرسلت هياكل لدبابات ومدفعية من محطات السكك الحديدية الموجودة بالقرب من رؤوس الجسور، ونشرت في صحف الجيوش والجبهات مقالات حول ضرورة تعزيز الدفاع. ونفذت على الجناح اليساري لجبهة أوكرانيا الأولى تحشدات كاذبة لجيشين مدرعين.

تمّ حشد القوات في رؤوس الجسور في الليل بشكل رئيسي. ومن أجل إخفاء تحركات القوات أقيمت على الطرق الموجودة في المؤخرة شباك تمويه عمودية وأفقية.

انتقلت قوات جبهة أوكرانيا الأولى إلى الهجوم في صباح الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥، أما قوات جبهة بيلوروسيا الأولى فانتقلت إلى الهجوم في صباح الرابع عشر من الشهر نفسه بعد استطلاع بالقوة. وعلى الرغم من شروط الطقس السيئة التي كانت تعيق عمل الطيران فقد تطور الهجوم بنجاح. ولم تحدد القوات السوفييتية سوى ثلاث إلى خمس ساعات من أجل خرق النطاق الدفاعي الرئيسي

المعادي. وتمكنت خلال الأيام الستة الأولى من إلحاق هزيمة ساحقة بالتجميع الألماني، مخترقة دفاع العدو على جبهة عرضها ٥٠٠ كم ومتوغلة مسافة ١٠٠ ــ ١٢٠ كم في العمق.

في السابع عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥، وبنتيجة مناورة التفاف قامت بها قوات جبهة بيلوروسيا الأولى، التي كان يعمل في قوامها الجيش الأول البولوني، تمّ تحرير عاصمة بولونيا وارسو.

واعتباراً من اليوم الثامن عشر من الشهر نفسه شرعت القوات السوفييتية في مطاردة العدو مطاردة حثيثة لم تتوقف نهاراً أو ليلاً؛ حتى بلغ إيقاع تقدم قطعات وتشكيلات المشاة السوفييتية في بعض الأيام ٤٠ ــ ٤٥ كم، بينما حققت القطعات والتشكيلات الحركية إيقاعاً بلغ ٧٠ ــ ٩٠ كم في اليوم. وفي يومي ١٩ و ٢٦ كانون الثاني (يناير) اجتازت قوات الجبهتين الحدود الألمانية ــ البولونية السابقة، وتابعت هجومها عبر الأراضي الألمانية. ولم يأت اليوم الثالث من شباط (فبراير) حتى كانت القوات السوفييتية قد توغلت مسافة ٤٠٠ ــ ٤٥٠ كم في العمق بعد أن وسعت جبهة هجومها إلى ١٠٠٠ كم، فوصلت نهر الأودر، واقتحمته من الحركة، واستولت على عدة رؤوس جسور عليه، وأصبحت على مسافة ستين كيلو متراً من برلين فقط.

كانت عملية الفيستولا ــ الأودر من أضخم العمليات الهجومية التي نفذها الجيش الأحمر، ولم تكن القوات السوفييتية بحاجة إلى أكثر من ثلاثة وعشرين يوماً لتتقدم مسافة ٥٠٠ كم في العمق. فيكون إيقاع الهجوم المتوسط في حدود ٢٥ كم في اليوم. ودُمرت في أثناء العملية خمس وثلاثون فرقة ألمانية، بينما فقدت خمس وعشرون فرقة ما يعادل ٥٠ ــ ٧٠٪ من أفرادها. واضطرت القيادة الألمانية إلى قذف ما يزيد عن عشرين فرقة جديدة في مواجهة القوات السوفييتية، كما اضطرت إلى إيقاف هجومها في الغرب في محاولة لإعادة التوازن على الجبهة. فاستفادت الجيوش الأنكلو ــ أمريكية من هذه الفرصة السانحة، وأصلحت وضعها في الآردين مع حلول شهر شباط (فبراير).

دلّت خبرة العمليات على أن الضربة الجبهية العميقة تؤمن تحقيق نتائج ضخمة في أقصر الأوقات. ولكن نجاح العملية كان مرهوناً بصحة اختيار اتجاه الضربة الرئيسية، وتشكيل التجميعات الضاربة القوية. وبفضل التفنن في تكثيف القوى والوسائط على قطاعات الخرق، والتي بلغ عرضها ١٥٪ من نطاق هجوم الجبهات، فقد أمكن تحقيق تفوق حاسم على العدو، بلغ عشرة أضعاف بالمشاة وبالمدفعية وبالدبابات.

كان من خصائص العملية تحقيق الإيقاعات العالية في خرق المنطقة التكتيكية من دفاع العدو. وكان الدرس المستفاد هنا تنفيذ المطاردة باستمرار ليلاً نهاراً، وعلى جبهة عريضة واتجاهات منفردة وبإيقاعات عالية، الأمر الذي أمّن الاستيلاء على الخطوط الدفاعية المتعاقبة، قبل أن تستطيع التشكيلات المنسحبة والاحتياطات المعادية شغلها.

اتصفت العملية بتقدم من تحقيق المناورة بجحافل ضخمة هدفها الالتفاف على تجميعات العدو، والإحاطة بها وتدميرها. ومن خصائص الاستخدام القتالي للقوات المدرعة هنا استخدام جيشين مدرعين على اتجاه عملياتي واحد، الأمر الذي ضاعف في قوة التجميع الضارب للجبهات.

كذلك تحسن تكتيك المعركة المشتركة ؛ إذ حدّد خرق تشكيلات وقطعات المشاة للنطاق الرئيسي ، والمساعدة التي قدمتها قوات الدبابات في خرق المنطقة التكتيكية للدفاع . كما حدد استخدام الأنساق الثانية . فكان ما يلفت النظر عدم زجّ الأنساق الثانية لفيالق المشاة تقريباً في أثناء خرق المنطقة التكتيكية من الدفاع ، ولكنها استخدمت لدى تطوير الهجوم . وكان الشيء المستجد في تكتيك المعركة الهجومية هو تنفيذ الاستطلاع بالقوة في نهار الهجوم ، وتعزيز كتائب المشاة بدبابات الدعم المباشر ، وهذا ما زاد من حسن التعاون بينها .

ولعبت المدفعية السوفييتية دوراً حاسماً في تحقيق إيقاعات الخرق العالية لدفاع العدو ، ووقع العبء الأكبر من إبطال الدفاع الألماني على عاتقها في الظروف النوئية السيئة التي كانت سائدة ، وقيّدت أعمال طيران الطرفين المتحاربين . وأمنت بنجاح زج التشكيلات الحركية في المعركة ، وعمل القوات السوفييتية في العمق العملياتي .

ازدادت ثروة فن الحرب السوفييتي غنى في عملية الفيستولا ــ الأودر بخبرة تنفيذ العملية الهجومية العميقة وإشباع طرائق خلاقة جديدة في استخدام صنوف القوات ، والتأمين المادي والتقني لأعداد هائلة من الأفراد والعتاد .

ولقد اضطر الجنرال الهتلري السابق ميلتين في معرض تدبيره للمعارك التي دارت إلى الاعتراف بأن « الهجوم الروسي جرى بقوة واندفاع لم يعرف لهما مثيل... ولا يمكن وصف كل شيء حدث ما بين الفيستولا والأودر في الأشهر الأولى من العام ١٩٤٥ . إذ لم تشهد أوروبا مطلقاً مثل ذلك منذ عهد انهيار الأمبراطورية الرومانية » (ف . ف . ميلتين . معارك الدبابات ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، ص ٢٨٠) .

نفذت قوات الجبهتين البيلوروسيتين الثانية والثالثة ، في الفترة الواقعة بين ١٣ كانون الثاني (يناير) و٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ ، عملية بيلوروسيا الشرقية الهجومية على اتجاه البلطيق . وكانت غاية العملية عزل مجموعة جيوش « الوسط » الألمانية التي كانت تدافع في شرقي بروسيا عن باقي قوى الجيش الألماني وحصرها إلى البحر وتدميرها .

وكانت قد أُنشئت على أراضي بروسيا الشرقية منظومة قوية جداً من التحصينات التي بنيت على مرّ عشرات السنين تحتوي على منشآت متينة من الخرسانة المسلحة . وكان في منطقة هايلسبيرغ فقط ما يزيد عن تسعمئة منشأة دفاعية مستديمة . ولم يكن من قبيل الصدفة أن تتمركز أركان هتلر في بروسيا الشرقية بالذات في منطقة راستنبرغ داخل ملاجىء عميقة تحت الأرض .

وبعد أن خرقت القوات السوفييتية دفاع العدو المحصّن والمنسق بالعمق ، فصلت في نهاية شهر كانون الثاني (يناير) تجميع بيلوروسيا الشرقية كله عن بقية مناطق ألمانيا وشطرته إلى أجزاء ثلاثة . ودمرت تجميعات العدو المعزولة عن بعضها بضربات متتابعة انتهت في الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) في

العام ١٩٤٥ . واستولت أثناء هذه المعارك على المدينة ــ القلعة كينغسبرغ في اليوم التاسع من شهر نيسان (ابريل) .

كان لعملية بروسيا الشرقية أهمية عسكرية ــ سياسية هائلة ؛ إذ احتلت القوات السوفييتية بروسيا الشرقية كلها ، وحرّرت قسماً كبيراً من مناطق بولونيا الشمالية . ودمرت في أثناء العملية ٢٥ فرقة ألمانية ، بينما فقدت ١٢ فرقة ما يعادل ٥٠ ــ ٧٥٪ من قوامها ، وانهارت تماماً خطة القيادة الألمانية الرامية إلى إحباط هجوم الجيش الأحمر على اتجاه برلين . إلاّ أن القوات السوفييتية احتاجت ، على الرغم من تفوقها الكبير ، إلى وقت كبير جداً لسحق العدو ، وبلغ مئة وثلاثة أيام . ويمكن تفسير طول أمد العملية هذا قبل كل شيء بحسن تنظيم الدفاع الألماني وتنسيقه العميق . كما لعبت الشروط النوئية دورها أيضاً ، فأعاقت استخدام الطيران . كذلك لم تتحقق المفاجأة في أثناء الهجوم ، نظراً لأن الإجراءات التي اتخذت من أجل خداع العدو لم تنفّذ بالمستوى الكافي . كما أن العدو تمكن من كشف اتجاهات الضربات الرئيسية للقوات السوفييتية ، وسحب قواته بصورة منظمة إلى شبه جزيرة زيملاند ، ومنطقتي كينغسبرغ وهايلسبرغ المحصنتين . وكان من أسباب إطالة أمد العملية أيضاً أن القوات الألمانية التي حُضّرت عند البحر لم تطوّق من جهة البحر ، الأمر الذي مكّنها من الحصول على التعزيزات عن ذلك الطريق .

خاضت قوات جبهة أوكرانيا الأولى في شهري شباط (فبراير) وآذار (مارس) عام ١٩٤٥ معارك طاحنة ضدّ تجميع القوات الألمانية الضخم في سيليزيا . ففي الفترة الواقعة بين الثامن والرابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) انتقلت قوات الجناح الأيمن للجبهة إلى الهجوم من رؤوس جسور على نهر الأودر وخرق دفاع العدو ، ووصلت إلى نهر نيسه ، بعد أن طوقت تجميعاً ألمانياً قوامه أربعون ألف رجل في منطقة غليغاو (غلوغوف) وبريسلاو (بروتسلاف) . وبعد أن حشدت قواها الرئيسية على الجناح الأيسر كبدت قوات الجبهة ، في الفترة الواقعة بين ١٥ ــ ٣١ آذار (مارس) ، العدو خسائر فادحة في سيليزيا العليا ، ووصلت إلى سفوح جبال السوديت ، والحدود التشيكوسلوفاكية ، مؤمنة الظروف المؤاتية للهجوم على برلين من جهة الجنوب .

اعتبرت أعمال القتال الرامية إلى تحرر تشيكوسلوفاكيا جزءاً أساسياً وهاماً من الهجوم الاستراتيجي العام للجيش الأحمر . وكانت جبهة أوكرانيا الرابعة قد انتقلت إلى الهجوم في النصف الأول من شهر كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٤٥ ، وخاضت معارك عنيفة في أثناء تقدمها حتى وصلت في نهاية شباط (فبراير) إلى المجرى العلوي لنهر الفيستولا ، وحررت في ٣٠ نيسان (ابريل) مدينة بورافسكا ــ أوسترافا المركز الصناعي الهام .

في تلك الأثناء كانت قوات جبهة أوكرانيا الثانية تخوض أعمالها القتالية في المناطق الجنوبية من سلوفاكيا . وكان يوجد في قوام تلك الجبهة جيشان رومانيان . وبعد أن تابعت هجومها في الخامس والعشرين من شهر آذار (مارس) ١٩٤٥ شمال نهر الدانوب ، اقتحمت مدينة غرون ، واندفعت باتجاه الغرب ،

وحررت قوات هذه الجبهة في الرابع من شهر نيسان (ابريل) مدينة برايسلافا عاصمة سلوفاكيا . وتلى ذلك تحريرها مدينة برنو في الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) .

خاضت القوات السوفييتية معارك ضارية أيضاً في الجنوب حيث كانت القيادة الألمانية قد نقلت قوات كبيرة إلى هناك لحماية مناطق النفط الهامة التي تمد الجيش الهتلري بالوقود . فبعد أن صدت قوات جبهتي أوكرانيا الثانية والثالثة في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ ثلاث ضربات معاكسة معادية قوية ، تمكنت حتى اليوم الثالث عشر من شباط (فبراير) من تصفية تجميع بودابست المطوق من قبل ، وحررت عاصمة هنغاريا . ولكن القيادة الألمانية سعت إلى تجديد دفاعها على نهر الدانوب ، فلجأت إلى الهجوم العام المعاكس بقوى ضخمة ، في منطقة بحيرة بلاتون بما في ذلك القوات التي نقلتها إلى هناك من الجبهة الغربية . ولما كان العدو يملك تفوقاً بالدبابات بنسبة الضعف ، فقد وضع في حسابه الاستفادة من مفاجأة الضربة . إلا أن قوات جبهة أوكرانيا الثالثة كشفت نيات العدو ، واستعدت في الوقت المناسب لصد تلك الضربة . وخاضت في الفترة بين السادس والخامس عشر من آذار (مارس) عملية بلاتون الدفاعية ، التي دمرت خلالها ٥٠٠ دبابة ومدفع ضخم ، وعشرات الآلاف من الجنود والضباط الألمان الذين كانوا يحاولون الاختراق ختى نهر الدانوب . وقبل أن يتمكن العدو من إعادة ترتيب قواته والتشبث بالأرض ، انتقلت قوات جبهة أوكرانيا الثالثة ، وقسم من قوى جبهة أوكرانيا الثانية إلى الهجوم في ١٦ آذار (مارس) على اتجاه فيينا . وأتمت في الرابع من شهر نيسان (ابريل) تحرير هنغاريا كلها ، كما حررت في ١٣ نيسان (ابريل) عاصمة النمسا (فيينا) ، فكانت تلك العاصمة الأوروبية السادسة التي حررها الجيش الأحمر .

كانت نتيجة الهجوم في الجنوب أن كبَّدت القوات السوفييتية الجيش الهتلري خسائر بالغة . وانهارت خطط هتلر المبنية على تنظيم مقاومة طويلة الأمد بالاعتماد على ما سمي « قلعة الألب الجنوبية » . وحرر الجيش الأحمر هنغاريا بكاملها ، ودخل أراضي النمسا وطهَّر قسماً كبيراً من تشيكوسلوفاكيا من المحتلين الألمان ، ووصل إلى المناطق الجنوبية من ألمانيا .

أدت نتائج هجوم الجيش الأحمر شتاء إلى إحداث تبدلات أساسية في الموقف الدولي . وانعكس ذلك بوضوح أكبر على مجرى مؤتمر القرم الذي عقد بين رؤساء حكومات كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وانكلترا في الفترة بين ٤ ــ ١١ شباط (فبراير) ١٩٤٥ في يالطا . وتم خلال المؤتمر تنسيق مسائل خوض الحرب اللاحقة ، واتخذت فيه قرارات مشتركة حول البناء الديموقراطي لعالم ما بعد الحرب .

وقد ساعدت نجاحات الجيش الأحمر هجوم القوات الأنكلو ــ أمريكية ، فبعد أن صدت تلك القوات هجوم الألمان في الآردين اقتحمت في شهر آذار (مارس) نهر الراين وأتمت حتى الثامن عشر من نيسان (ابريل) سحق التجميع الألماني في حوض الرور ، ووصلت القطعات المتقدمة من الجيش الأمريكي آنئذ إلى نهر ألبة على بعد ١٠٠ ــ ١٢٠ كم عن برلين .

عملية برلين: هيأت انتصارات القوات السوفييتية في الشرق والجيوش الأنكلو ــ أمريكية في لغرب، حتى أواسط شهر نيسان (ابريل) الظروف الملائمة للقضاء نهائياً على القيادة العليا الألمانية. وكان سقوط برلين في هذا الموقف الطارىء يعني إنهاء الحرب في أوروبا، ولكن القادة الألمان كانوا يعتمدون كسابق عهدهم على التناقض القائم بين المشتركين في الحلف المضاد للفاشية. فاتخذوا إجراءات من أجل إيقاف هجوم الجيش الأحمر على مشارف برلين. وكان قد أنشىء هناك دفاع محصّن جداً يتألف من خط أودو ــ نيسن بعمق ٢٠ ــ ٤٠ كم ومنطقة برلين الدفاعية. وكانت الأرض كلها الواقعة بين الأودر وبرلين مغطاة بالعديد من المنشآت الدفاعية؛ كما كانت النقاط الآهلة وبعض البيوت والأبنية المتينة البنيان قد حولت وأعدت للدفاع الطويل الأمد.

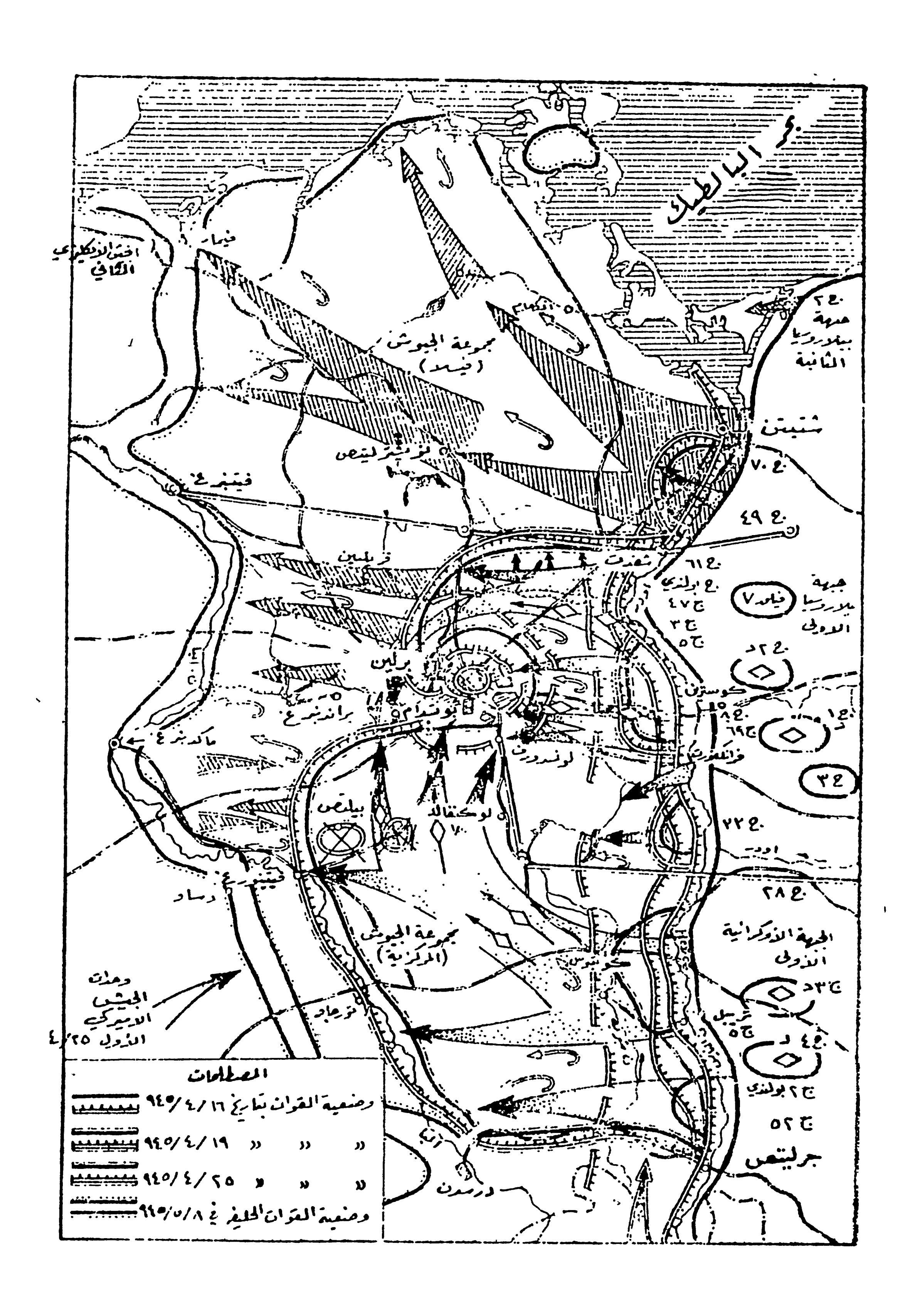
شغلت القوات الدفاع على عمقه الكامل؛ وحتى برلين التي كانت لها حامية مؤلفة من مئتي ألف شخص. وكان مجموع تجميع القوات الألمانية التي تغطي برلين في حدود مليون شخص، مع ١٠٤٠٠ مدفع وهاون، و١٥٠٠ دبابة ومدفع اقتحام، و٣٣٠٠ طائرة قتالية.

أشركت القيادة السوفييتية في العمليات من أجل الاستيلاء على برلين قوات كل من جبهتي بيلوروسيا الأولى والثانية وجبهة أوكرانيا الأولى. وكان يعمل في قوام هذه الجبهات جيشان من القوات البولونية أيضاً. وبلغ مجموع القوات السوفييتية مليونين ونصف مليون شخص ما بين جندي وضابط مع ما يزيد عن ٤٢ ألف مدفع وهاون و٦٢٥٠ دبابة وقانص و٧٥٠٠ طائرة قتالية. وهذا ما أمن تفوقاً مضموناً على العدو بالأفراد وبالعتاد.

كانت فكرة عملية برلين تنحصر في تسديد ضربات منسقة لثلاث جبهات بمساعدة أسطول بحر البلطيق الحائز على الراية الحمراء، لتحطيم دفاع العدو وتطويق قواه الرئيسية، وشطرها، وتدمير دفاع نهر ألبة على جبهة عريضة للاتصال هناك مع القوات الأنكلو ــ أمريكية (انظر الشكل رقم ٤٩، عملية برلين ١٦ نيسان ــ ٨ أيار ١٩٤٥).

وكانت القيادة السوفييتية تعي تماماً صعوبة تنفيذ العملية. وكتب قائد قوات جبهة بيلوروسيا الأولى المارشال جوكوف قائلاً: «لقد أتيح لي أن أكون مشاركاً مباشراً طوال الحرب في العديد من العمليات الهجومية الضخمة والهامة. ولكن ملحمة برلين المقبلة كانت خاصة ولا يمكن مقارنتها بأية عملية أخرى من مختلف النواحي. فقد كان على قوات الجبهة خرق منطقة دفاعية متواصلة من خطوط دفاعية قوية ابتداء من نهر الأودر بالذات وانتهاء ببرلين المحصنة جيداً. وكان عليها سحق أضخم تجميع للقوات الألمانية الفاشية على مشارف برلين، واحتلال عاصمة ألمانيا النازية التي سيقاتل العدو حتماً من أجلها حتى الموت».

أعير اهتمام خاص إلى ضرورة تطوير العملية بإيقاع عال وإنهائها خلال ١٢ ــ ١٥ يوماً. واستخدمت القوى الرئيسية للجبهات والجيوش في قطاعات خرق ضيقة. وشكل إلى جانب المجموعات الحركية لدى الجبهات والجيوش نسق قوي من دبابات الدعم المباشر للمشاة. وخصصت الجبهات الثلاث



(الشكل رقم ٤٩) ـــ عملية برلين ١٦ نيسان (ابريل) ـــ ١٨ أيار (مايو) ١٩٤٥ :

من أجل ذلك ١٩٢٩ دبابة وقانص، وقسمت قطعات الدبابات حتى سرية (وحتى فصيلة أحياناً)، وألحقت بكتائب المشاة وسراياها. وهذا ما أمن تنظيم التعاون بشكل مضمون. وعززت ضربة تشكيلات المشاة بزج جميع الفيالق المدرعة المستقلة الملحقة بالجيوش في الموقعة منذ اليوم الأول للهجوم، بل وزجت في هذا اليوم أيضاً في جبهة أوكرانيا الأولى الألوية المتقدمة من الجيوش المدرعة. ولقد أمّن ذلك كثافة عملياتية بلغت ستين دبابة في الكيلو متر الواحد من الجبهة، بالنسبة لجبهة أوكرانيا الأولى و ١٠٠ ــ ١١٠ دبابات وقانص بالنسبة لجبهة بيلوروسيا الأولى. وبرز على أكمل وجه في هذه العملية تطبيق مبدأ تكثيف المدفعية الذي أمّن لجبهة بيلوروسيا الأولى كثافة تكتيكية بلغت ٣٠٠ مدفع وهاون ونيف في الكيلو متر الواحد من قطاع الخرق، واستخدمت الأدخنة في جميع الجبهات على نطاق واسع. فشكل على سبيل المثال ستار دخاني في جبهة أوكرانيا الأولى على خط طوله ٣١٠ كم من أجل إخفاء اتجاه الضربة الرئيسية وتأمين اقتحام نهر نيسه.

بدأ هجوم جبهة بيلوروسيا الأولى وجبهة أوكرانيا الأولى في ١٦ نيسان (ابريل)، وتبعتهما جبهة بيلوروسيا الثانية في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. وكانت معركة قوات جبهة بيلوروسيا الأولى عند مرتفعات زيلف أشدها صعوبة، حيث كان يمر على تلك المرتفعات النطاق الثاني من دفاع العدو. وكانت القيادة الألمانية قد سحبت جزءاً من قواها إلى النطاق الثاني من الدفاع بعد أن نفذت القوات السوفييتية استطلاعاً بالقوة، ولم يكن ذلك موضوعاً في حساب أركان الجيوش والجبهة، فانعكس سلباً على إيقاعات خرق الدفاع التكتيكي الألماني. وتوجب زج كلا الجيشين المدرعين في اليوم الأول من الموقعة. ولكن تحطيم مقاومة العدو كاملة لم تتم حتى بعد زجهما. واتخذ الهجوم صفة الخرق المتعاقب للنطاقات والمواضع الدفاعية المنسقة الواحد بعد الآخر إلى عمق ٢٠ ــ ٤٠ كم.

أحرزت قوات جبهة أوكرانيا الأولى نجاحاً أكثر في عملها، فخرقت في اليوم الأول النطاق الدفاعي الرئيسي على خط نيسه الدفاعي، وخرقت النطاق الثاني في اليوم التالي. وبعد عدة هجمات معاكسة قام بها العدو، بدأ بالانسحاب إلى ما وراء نهر شبزيه، ووضعت القيادة السوفييتية في حسابها بطء تقدم قوات جبهة بيلوروسيا الأولى، فأعطت أوامرها بانعطاف جيشين مدرعين من جبهة أوكرانيا الأولى باتجاه الشمال لتسديد الضربة إلى برلين من جهة الجنوب.

وساعدت الضربات المنسقة التي سددتها القوات السوفييتية من الجنوب ومن الشرق في الإسراع بالتقدم. فتمكنت قوات جبهة بيلوروسيا الأولى في ليلة الحادي والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩٤٥ من الاختراق حتى التخوم الشمالية لبرلين. وفي ٢٢ نيسان (ابريل) دخلت برلين من جهة الجنوب قوات جبهة أوكرانيا الأولى. وخلال تلك الأيام كانت جبهة بيلوروسيا الثانية تجمد جيشاً مدرعاً ألمانياً وتحرم القيادة الألمانية من دفع احتياطاتها لمساعدة برلين بأعمالها الفعالة على جبهة عريضة. كما التقت قوات جبهتي بيلوروسيا الأولى وأوكرانيا الأولى في ٢٤ نيسان (ابريل) جنوب ــ شرقي برلين، مكملة في ذلك تطويق تجميع فرانكفورت ــ غوبن الألماني وعزله عن برلين. وفي اليوم التالي وصلت تشكيلات هاتين الجبهتين إلى منطقة كيتسين ملتفة حول برلين من الشمال والجنوب وطوقت تجميع برلين بكامله.

كان لأعمال قتال الجبهات أثناء تطويق العدو خصائصها المميزة. فبعد أن خرقت جبهة بيلوروسيا الأولى مرتفعات زيلف شرعت تهاجم في أرض محضرة للدفاع سلفاً، وهذا ما استبعد إمكانية القيام بمناورة واسعة؛ وبقي الجيشان المدرعان في الجبهة يعملان سوية مع المشاة كسابق عهدهما. لذا، ألحق قسم من فيالق الدبابات الداخلة في قوام ذيلك الجيشين بالجيوش المشتركة. أما في جبهة أوكرانيا الأولى فقد أتيحت لقواتها، بعد خرق خط نيسه الدفاعي، فرصة المناورة، واندفع جيشاها المدرعان يهاجمان بإيقاع بلغ ٣٠ كم في اليوم وأكثر، منفصلين عن الجيوش المشتركة. وهذا ما زاد في أهمية عملهما من أجل تنفيذ مهام على مستوى عملياتي. وفي الخامس والعشرين من شهر نيسان (ابريل) ١٩٤٥ وصلت طلائع قوات جبهة أوكرانيا الأولى إلى نهر ألبة في منطقة برغاو، وهناك التقت مع قطعات الجيش الأول الأمريكي. وأصبحت جبهة القوات الألمانية كلها منقسمة إلى قسمين منعزلين تماماً عن بعضهما.

تحول سحق التجميع المطوق في برلين إلى موقعة ضارية جداً؛ إذ أعطى هتلر أوامره بالدفاع عن المدينة حتى آخر شخص فيها، وأشرك العدو في الدفاع عن المدينة كل من استطاع جمعه. ودارت المعارك الطاحنة، ليلاً ونهاراً، في كل شارع من شوارع برلين، ابتداء من ٢١ نيسان (ابريل) وحتى استسلام ألمانيا. وتوجب الاستيلاء على كل شارع وكل بيت عنوة وحتى ٢٩ نيسان (ابريل) كانت القوات السوفييتية قد استولت على القسم الأكبر من المدينة، ووصلت إلى المنطقة المركزية منها. وفي ٣٠ نيسان (ابريل) تم الاستيلاء عنوة على الرايخستاغ، بعد معارك عنيفة جداً، وأصبح وضع تجميع برلين ميئوساً منه ولا مخرج له. وفي الساعة الخامسة عشرة من يوم ٢ أيار (مايو) توقفت مقاومة العدو نهائياً، وتم في هذا اليوم أسر ١٣٤ ألف جندي وضابط ألماني، وانتهى الصراع مع بعض المجموعات المنفردة التي كانت تسعى إلى النفاذ نحو الغرب في ٥ أيار (مايو) في ضواحي المدينة.

واتصفت أعمال القتال الرامية إلى تدمير تجميع برلين بخصائص انفردت بها فقد كانت القوات تعمل في قطاعات ضيقة لدق أسافين عميقة في دفاع العدو وشطره وتدميره مجزأ وساعدت طريقة العمل هذه في عزل مناطق كاملة من المدينة مع المحافظة على إيقاعات عالية نسبياً في تحرك القوات حتى أنه أمكن في بعض الأيام تطهير نحو ٣٠٠ حي من العدو في يوم واحد.

كان الأساس في تراتيب قتال قطعات المشاة والدبابات عند القتال داخل المدينة مفارز ومجموعات الاقتحام. وكانت مفارز الاقتحام تضم سرية مشاة أو كتيبة مشاة تخصص للعمل على اتجاه معين (شارع) أو للاستيلاء على غرض هام. وكانت مجموعة الاقتحام تعين لمهاجمة المباني المنفردة وهي بقوام فصيلة مع دبابتين وحتى أربع دبابات. ومن خصائص استخدام المدفعية في القتال داخل المدينة، استخدام القسم الأكبر منها بما في ذلك المدافع ١٥٢ مم و٢٠٣ مم ملحقة بوحدات المشاة للرمي بالتسديد المباشر.

في فترة القتال من أجل احتلال برلين تابعت قوات جبهة بيلوروسيا الثانية تطوير الهجوم بالاتجاه الشمالي ـــ الغربي، ووصلت في اليومين الثالث والرابع من أيار (مايو) إلى ساحل بحر البلطيق ونهر ألبة، وهناك أقامت الاتصال مع قطعات الجيش الثاني الانكليزي، بينما تابعت قوات جبهة بيلوروسيا الأولى تدمير

مجموعات العدو المنعزلة خلال الفترة بين ١ و ٨ أيار (مايو)، ووصلت إلى نهر ألبة، وانتهت بحلول اليوم الثامن من أيار (مايو) مقاومة القوات الألمانية وتحطمت نهائياً. وفي هذا اليوم وقع ممثلو ألمانيا محضر استسلام ألمانيا دون قيد أو شرط في بناء كلية الهندسة العسكرية الألمانية في ضاحية برلين، كارلهورست.

ومع سقوط برلين بدأت القوات الألمانية تستسلم بشكل عام، لكن التجميع المعادي الموجود في تشيكوسلوفاكيا، والبالغ تعداده أكثر من ٩٠٠ ألف شخص وبحوزته نحو ١٠ آلاف مدفع وأكثر من ٢٢٠٠ دبابة ونحو ١٠٠٠ طائرة، امتنع عن الاستسلام واضعاً في اعتباره إمكانية النفاذ إلى الغرب، والاستسلام للأمريكيين، فألقي على عاتق جبهات أوكرانيا الأولى والثانية والرابعة عبء تدميره. وكانت تلك الجبهات تعد أكثر من مليون شخص مع ٢٣ ألف مدفع ونحو ١٨٠٠ دبابة، وأكثر من ٤ آلاف طائرة.

حددت بداية العملية في اليوم السابع من أيار (مايو) ١٩٤٥، إلا أن ثورة قام بها الشعب التشيكوسلوفاكي في الفترة بين ١ و ٥ أيار (مايو) في العديد من مدن البلاد اضطرت القيادة السوفييتية إلى تعديل موعد الهجوم. وهكذا سدد تجميع جبهة أوكرانيا الأولى في ٦ أيار (مايو) ضربة شديدة من الشمال باتجاه درسدن ـــ براغ، وفي اليوم التالي شنت قوات جبهة أوكرانيا هجومها من الجنوب من منطقة برنو، بينما هاجمت قوات جبهة أوكرانيا الرابعة من الشرق، وحطمت ضربات القوات السوفييتية الحاسمة مقاومة العدو وحررت في ٩ أيار (مايو) عاصمة تشيكوسلوفاكيا ـــ براغ، وفي ١١ أيار سحقت القوات الألمانية المطوقة في تشيكوسلوفاكيا نهائياً في ١٧ أيار (مايو).

استسلمت كذلك التجمعات الألمانية الأخرى كافة، ففي السادس من أيار (مايو) استسلمت حامية مدينة بريسلاو. وبعد يومين ألقت سلاحها مجموعة القوات الألمانية الموجودة في كورلاندا أمام قوات جبهة لينينغراد. وفي التاسع من أيار توقفت القوات الألمانية المحاصرة في مصب نهر الفيستولا وعند مضيق هل، عن القتال. وفي اليوم نفسه حصل إنزال بحري على جزيرة بورهولم الدانمركية وتم أسر الحامية الألمانية هناك.

اختتمت عملية برلين بنصر مؤزر حققه السلاح الروسي. وانتهت بانتهائها الحرب الدموية الطاحنة الصعبة التي أشعلتها ألمانيا الفاشية في أوروبا. وأنجز الجيش الأحمر مهمته التاريخية التي ألقيت على عاتقه. وسحقت القوات السوفييتية في أثناء العملية ٧٠ فرقة مشاة و٢٣ فرقة مدرعة وميكانيكية، وأسرت خلال الفترة الواقعة بين ١٦ نيسان (ابريل) و٧ أيار (مايو) ٤٨٠ ألف جندي وضابط، واستولت على أكثر من ١٥٠٠ دبابة ومدفع اقتحام، و ٨٦٠٠ مدفع وهاون و ٤٥٠٠ طائرة مع أعداد وفيرة من مختلف العتاد القتالي. وكانت أكبر عملية تطويق جرت خلال الحرب كلها.

انهارت جميع آمال القيادة الهتلرية بإحداث صدع في الحلف المناوىء للفاشية، وانهارت تماماً كل مساعيها الرامية إلى تسليم برلين إلى القوات الأنكلو ـــ أمريكية، وهذا ما منع حدوث كارثة سياسية محتومة.

كانت عملية برلين عملية مجموعة جبهات ، ويلفت الانتباه فيها خبرة تنفيذ إجراءات مخططة في مهل محدودة وفي أثناء أعمال القتال التي لم تتوقف ، مع تنفيذ إعادة تجميع ضخمة جداً شملت الجيوش المدرعة أيضاً وعلى مسافات كبيرة .

وتقدم العملية نموذجاً يحتذى لخرق دفاع العدو في آن واحد على عدة قطاعات ، وهذا ما حرم العدو من إمكانية القيام بإعادة تجميع لتعزيز المقاومة ، واضطره إلى زج احتياطاته العملياتية في الموقعة على دفعات . لقد كانت عملية برلين قليلة العمق بالمقارنة مع العمليات السابقة ، وهذا ما فرضه خط اتصال القوات السوفييتية بالحلفاء ، ووجود برلين على مسافة ٦٠ كيلو متراً فقط عن الحد الأمامي .

تعتبر عملية برلين واحدة من العمليات القليلة التي جرت في الحرب الماضية ، والتي قدمت خبرة في تحقيق خرق المنطقة التكتيكية من الدفاع ، في ظروف لا يركز العدو فيها جهوده على النطاق الأول ، وإنما على النطاق الثاني من الدفاع . وفي أثناء تطوير الهجوم وتنفيذ مناورة التطويق لعبت القوات المدرعة الدور الرئيسي ؛ إذ إن تشكيل تجميعات دبابات ضخمة في جبهتي بيلوروسيا الأولى وأوكرانيا الأولى (بمعدل جيشين مدرعين في كل منهما) كان من أهم مقدمات تحقيق النجاح في العملية المنفذة .

كذلك لم تستخدم الأنساق الثانية للجبهات من أجل تغذية الجهود على اتجاه الضربة الرئيسية ، كما هو الحال بالنسبة للعمليات التقليدية في الأعوام ١٩٤٣ ــــ ١٩٤٤ ، وإنما استخدمت لتنفيذ المهام التي طرأت في أثناء تطوير العملية . وكان لزجها في الموقعة في الوقت المناسب الفضل في تأمين شطر تجميع فرانكفورت ــــ غوبن عن برلين .

وتميزت العملية بسرعة تصفية التجميعات المعادية المطوقة ، وإذا ما أضاعت القوات السوفييتية أكثر من شهرين عند ستالينغراد من أجل تجميع مؤلف من ٣٣٠ ألف جندي وضابط ، فقد صفت خلال تسعة أيام في عملية برلين تجميعين ضخمين في آن واحد زاد تعدادهما عن ٤٠٠ ألف شخص . مع العلم بأن تصفية تجميع فرانكفورت ــــ غوبن لم يتم في منطقة تطويقه على وجه العموم ، وإنما أثناء قطع محاولاته للنفاذ إلى الغرب . وكان للمهارة في المناورة بالاحتياطات وإقامة خطوط الدفاع سلفاً على طرق الانسحاب المحتملة ، الفضل في إحباط محاولات القوات الألمانية للخروج من التطويق .

كذلك تحققت في عملية برلين أقصى كثافات بلغتها المدفعية ، وبرز بوضوح جيد مبدأ تشكيل مجموعات المدفعية لا على أساس الوظيفة وإنما على أساس تنظيمي تكتيكي . وتسترعي هذه الخبرة الاهتمام في الظروف الحديثة .

ودلّت الخبرة على أنه بالرغم من ازدياد الثقل النوعي لقوات الهندسة الذي بلغ ١٢٪ من المجموع العام وبالرغم من عملها المرهق ، فإنها لم تستطع القيام بجميع مهام التأمين الهندسي للقوات في العملية ؛ وأثبت تطبيق تدريب نقابين غير عضويين في جميع صنوف القوات صحته عملياً . كما اتصفت قيادة القوات بمستوى مركزيتها العالي وتقرب هيئة القيادة من القوات ما أمكن .

وتحتل الفترة الختامية مكانة خاصة في الحرب الوطنية العظمى، إذ حطمت القوات المسلحة السوفييتية آلة الحرب الألمانية واضطرتها إلى الاستسلام اللامشروط بالتعاون مع قوات الحلفاء. ووقع العبء الأكبر من الصراع ضد ألمانيا كما في الفترتين السابقتين أيضاً على عاتق القوات السوفييتية، ومما لا شك فيه أن فتح الجبهة الثانية من جانب الحلفاء في غربي أوروبا كان له قيمة كبيرة نظراً لاضطرار ألمانيا إلى خوض الحرب على جبهتين، إلاَّ أن القيادة الألمانية ظلت تعتبر الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية هي الرئيسية، واستمرت تحتفظ كسابق عهدها بالاحتياطات الاستراتيجية الأساسية وتوجهها للصراع ضد الجيش الأحمر.

وقد خسر الجيش الألماني في مواقع العامين ١٩٤٤ ـــ ١٩٤٥ على الجبهة السوفييتية ـــ الألمانية ما يزيد عن ثلاثة ملايين وستمئة ألف شخص، باستثناء الأسرى ومن ألقى السلاح عند الاستسلام، ودمرت القوات السوفييتية في الفترة الثالثة من الحرب ٢٩٠ فرقة و٢٥ لواء معادياً. كما استسلمت لها ٩٣ فرقة نتيجة انتهاء الحرب.

كذلك تميزت عمليات القوات السوفييتية في الفترة الختامية من الحرب بتنامي أبعادها إلى درجة كبيرة، وحسميتها ونتائجها البالغة. ففي حملة الصيف والخريف من العام ١٩٤٤ شاركت في الهجوم ١٢ جبهة من الجيش الأحمر، و٣ أساطيل، وجميع الأسطيلات النهرية والطيران بأكمله، وبلغت جبهة الهجوم الإجمالية ٣ آلاف كيلو متر، كما بلغ عمق تقدم القوات ٤٠٠ ـــ ٩٠٠ كم. وسحقت في أهم العمليات الاستراتيجية ـــ وهي عمليات اليمنى من أوكرانيا وبيلوروسيا وياس ـــ كيتشنوف وفيستولا ـــ أودر وبروسيا الشرقية وبرلين، سحقت تماماً تجميعات العدو الاستراتيجية الضخمة، مما أدى إلى انهيار دفاع العدو على جبهة عريضة وتحرير مساحات شاسعة من الأراضي. وكانت القيادة الألمانية تسعى في جميع الأحوال إلى تطويق تجميعات العدو الكبيرة أو عزلها وتجزئتها وتدميرها مجزأة.

إن فن إعداد العمليات والمعارك الهجومية وتنفيذها تطور نحو الزيادة المستمرة في قوام التجميعات الضاربة، وزيادة قوة الضربة النارية، وزيادة قدرة القوات على المناورة وزيادة إيقاعات تقدمها. وفي معظم العمليات كانت القوات السوفييتية تتجاوز النطاق الرئيسي من دفاع العدو في اليوم الأول، أو في اليوم الثاني من الهجوم في أسوأ الحالات. وكانت بالتالي تندفع باتجاه المطاردة السريعة.

لقد اعتبرت انتصارات القوات السوفييتية المؤزرة في العمليات الختامية من الحرب الوطنية العظمى نتيجة لتعاظم قوة الاتحاد السوفييتي وقواته المسلحة باستمرار، ونتيجة لنمو المهارة القتالية لدى أفراد الجيش والأسطول جميعهم، ولتحسن فن الحرب السوفييتي نحو الكمال أيضاً.

الفصل الثامن

تطور حرب الأنصار

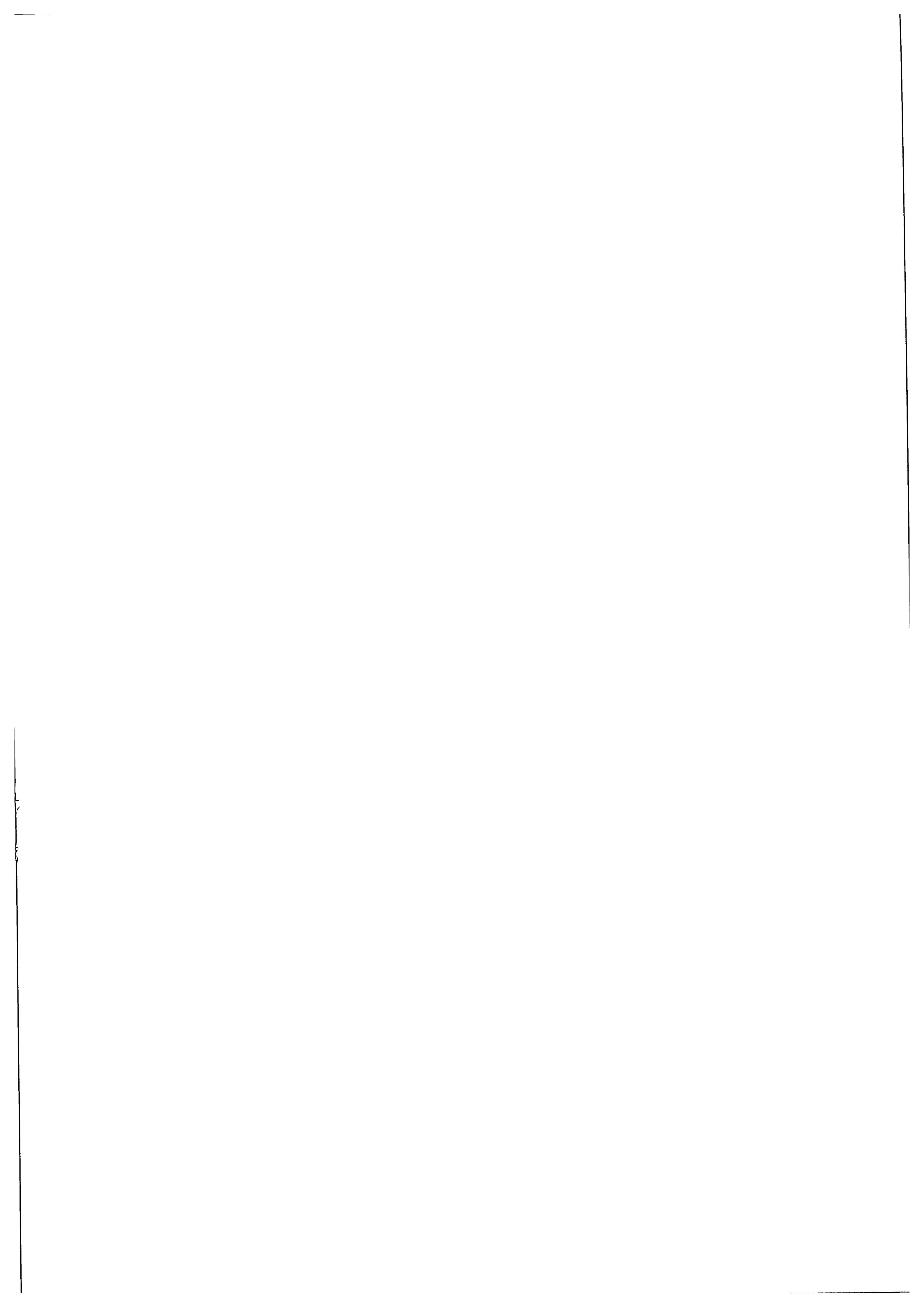
«ليست انتفاضات الأنصار أعمالاً انتقامية بل هي أعمال قتالية».

ف . ي . لينين

«حركة الأنصار فيض الكفاح الشعبي الصارم وهي تتسع كل شهر».

م . ي . كالينين

من كتاب: «حول تربية الوعي الشيوعي» ص ٢٦٤ . إصدار عام ١٩٧٤



٨ ـــ حركة الأنصار في سني الحرب الوطنية العظمى

لقد كانت حركة الأنصار قوة كبيرة للجيش الأحمر من أجل تحرير الأراضي المحتلة من قبل العدو . وتطوّرت هذه الحركة تحت قيادة الحزب الشيوعي ، حتى شملت كافة الأراضي التي احتلها العدو ، وأصبحت إحدى أهم العوامل العسكرية السياسية للنصر في الحرب .

إن للكفاح المسلح للشعب الروسي ضد المحتلين تاريخاً قديماً . لقد دعاه الكاتب الروسي العظيم تولستوي «بهراوة الحرب الشعبية» . ومنذ القديم ، وفي كل مرة ، حطّم الأنصار دون هوادة كل معتدٍ على الأرض الروسية ، ولكنها لم تبلغ مثل هذا الاتساع الهائل ، وهذا العدد العرمرم ، ومثل هذه الفعالية ، وتلك البطولات الشاملة ، في أي زمان ومكان ، مثلما بلغته في الحرب الوطنية العظمى للاتحاد السوفييتي .

لم يفصل خط الجبهة بين الشعب السوفيتي . وكانت حركة الأنصار جزءاً لا يتجزأ من الحرب الوطنية العظمى ، ومن الحرب بالكامل . وكانت هذه الحرب موجهة نحو حماية الوطن السوفييتي ، ولقد شارك فيها معظم السكان في الأراضي المحتلة ، وكذلك قسم من عسكريي الجيش الأحمر الذين يقعون في التطويق ، أو الهاربين من الأسر .

لقد كان الكفاح الشعبي في مؤخرة العدو وعلى أشكال مختلفة ، وكانت أعمال الأنصار دفاعية وذات طابع شمولي ، وكذلك أعمال المتطوعين . إضافة إلى أن السكان كانوا يعملون على إحباط التدابير السياسية والاقتصادية والعسكرية التي يقوم بها العدو المحتل . ولقد عمل في صفوف تشكيلات الأنصار أكثر من مليون شخص خاضوا الصراع المسلح المباشر ، كما قاتل جيش المتطوعين إلى جانب الأنصار وبتماس وثيق معهم . ولم ندخل في ذلك عدداً كبيراً من المناضلين : العمال والفلاحين والمثقفين الذين شاركوا في إحباط تدابير المحتلين . ولكن ثمرات كفاحهم العنيد تسمح لنا بالحكم أنها كانت كلها من فعل ملايين المناضلين من أبناء الشعب السوفييتي الذين ظلّوا في الأرض المحتلة يناضلون في مؤخرة العدو . وكان هذا

النضال يحمل طابعاً شعبياً شاملاً ؛ ويتم في كل مكان : في الغابات والجبال والسهول ، وفي المدن والقرى والدساكر .

لقد استخدمت تشكيلات الأنصار ، على نطاق واسع في أنشطتها ، طرائق العمل السري . وكانت التنظيمات السرية بدورها تدخل عند الضرورة في مفارز الأنصار . وكان نضال السكان لإحباط تدابير العدو المحتل غالباً ما يرتفع إلى مستوى الأعمال التخريبية التي يقوم بها الأنصار والمتطوعون . بالإضافة إلى كل ذلك قدم السكان الطعام واللباس للأنصار والمتطوعين ؛ وكانوا يجمعون لهم في أماكن القتال الأسلحة والذخائر ، ويقومون بأعمال الاستطلاع وإسعاف الجرحى ، وبناء السدود والحواجز على الطرقات ، وكان سكان قرى بكاملها يعملون معاً لتخريب طرق السكك الحديدية ، ويقومون بانتفاضات مسلحة في مؤخرة العدو .

مرَّ تأسيس حركة الأنصار وتطويرها بظروف صعبة في بداية الحرب . فالبعض من أفرادها لم ينسحب بانسحاب الجيوش ، بل كان يمكث في مكانه خلف خطوط الجبهة ، بدافع الرغبة العارمة في الكفاح ضد العدو المحتل .

ولقد منحت الحكومة السوفييتية هذه الحركة ، منذ الأيام الأولى من الحرب ، طابعاً تنظيمياً محدّد الهدف ، حيث نجد البرنامج الدقيق لكفاح الأنصار في مؤخرة العدو ، في التوجيهات الحزبية والحكومية التي صدرت منذ ٢٩ حزيران (يونيو) عام ١٩٤١ ، وفي بلاغات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي منذ ١٨ تموز (يوليو) عام ١٩٤١ « حول تنظيم النضال في مؤخرة القوات الألمانية » . وكانت هذه الوثائق تحث الشعب على النضال في مؤخرة العدو ، وإكسابه الفعالية القتالية ، واتخاذ التدابير النشيطة لتشكيل مفارز ومجموعات الأنصار . أما في الأماكن التي كانت مهدّدة بالاحتلال ، فكانت تقام ، مسبقاً ، هيئات المتطوعين والحزبيين والكمسولية ، من أجل قيادة حركة الأنصار ، وكانت تشكل فيها مسبقاً مفارز الأنصار ، ومستودعات الأسلحة والذخيرة ، والمواد الغذائية والأدوية . كذلك كان يعهد إلى ممثلي الحزب بقيادة جماهير الشعب في المناطق التي احتلها العدو ، وكان يتم اختيارهم من بين الأشخاص الذين يتمتعون بالخبرة والثقة ، وكان نضال الوطنيين السوفييت يتم بقيادة ٥٦٥ سكرتير لجان إقليمية ، ولجان مدنية ، ولجان مناطقية للحزب ، و٢١٤ رئيس لجان تنفيذية أقاليم ومدن ، ومناطق نواب عماليين ، و١٠٤ سكرتير لجان إقليمية ومدنية ، ولجان مناطق كمسولية ، وغيرهم من مئات القادة .

وحتى نهاية عام ١٩٤١ تمَّ تشكيل أكثر من ٢٠٠٠ مفرزة أنصار في مؤخرة العدو ، يزيد تعدادها من الأفراد عن ٩٠٠٠٠ شخص ، وأعداد كبيرة من مجموعات المتطوعين ، خدم فيها عشرات الآلاف من المناضلين ، في فترة شهور معدودة تلت بدء الحرب . وكان بوسع الحركة أن تكون أكثر جماهيرية وشمولاً لو لم تقع أخطاء فادحة في تلك المرحلة ، بسبب اتخاذ تدابير لإعداد النضال وتنظيمه في مؤخرة العدو ، في حال هجومه على الاتحاد السوفييتي ، حيث اعتمدت أسلحة خاصة وغيرها من الوسائط وأقيمت المستودعات والقواعد السرية . ولكن الخطأ كان بسبب التفكير في أن الأعمال القتالية ستتم في أراضي العدو فقط . وهكذا كان العمل على إعداد الكوادر القيادية لحركة الأنصار طيلة أعوام ١٩٣٨ ــ ١٩٤١ قد توقف .

لقد دفع الشعب السوفييتي ثمن ذلك غالياً ، بسبب وقوع القياديين في أخطاء فادحة ، عند تشكيل مفارز ومجموعات التخريب ، نتيجة قلة خبرتهم ، وقلة إعدادهم ، وضعف تدريبهم للعمل في مؤخرة العدو ، حيث حاولوا بناء هذه المفارز على نمط القطعات والتشكيلات العسكرية ، لأن ذلك لم يتجاوب مع خصائص الصراع . وبالإضافة إلى ذلك لم يحدّدوا أشكال عمل مفارز الأنصار وطرائقها ، لذلك تم اتخاذ التدابير اللازمة لتلافي الأخطاء التي وقعت في أثناء الحرب نفسها .

كذلك لعب المقاتلون وبعض قادة الجيش الأحمر ، الذين وقعوا في التطويق والهاربين من الأسر ، دوراً كبيراً في تطوير حركة الأنصار . حيث كانوا يتحلّون بسجايا معنوية وسياسية وعسكرية رفيعة ؛ فنقلوا إلى حركة الأنصار الثبات والإنضباطية ، وعلّموا أفرادها على العمل العسكري . كما انضم إلى مناهج الحركة بعض قطعات الدفاع الشعبي .

واتسعت أهمية الحركة أكثر فأكثر بعد وصول القوات الألمانية إلى ستالينغراد واقترابها من جبال القفقاس ، فعززت المواقع الهائلة على طول الجبهة ، مما دفع بالقوات الألمانية إلى تعزيز مؤخرتها باستمرار ، بالقوى الحية ، والأعتدة والذخيرة والتجهيزات والوقود ، وغيرها من الوسائط . وبسبب امتداد المواصلات الألمانية إلى آلاف الكيلو مترات أصبحت أجزاء كبيرة منها واقعة ضمن أماكن أنشطة الأنصار ، عندها أصبحت حرب الأنصار عاملاً استراتيجياً هاماً في خوض الحرب .

ونتيجة أعمال هيئات الحزب اليومية ازداد عدد الأنصار والمتطوعين ، وبالتالي قدرتهم القتالية ، كذلك اتسعت مناطق عملهم ، وكبرت فاعلية نضالهم في سني الحرب ، حيث عملت في مؤخرة القوات الألمانية أكثر من ٦٢٠٠ مفرزة أنصار ومجموعة متطوعين .

وضعت القيادة العامة الاستراتيجية للصراع المسلح للأنصار ، تحت إشراف مجلس القيادة العليا السوفييتية ؛ إلاّ أنه حتى صيف ١٩٤٢ لم تكن للأنصار قيادة متكاملة تقود أعمالهم القتالية . فشكلت ، من أجل تعزيز القيادة الاستراتيجية المباشرة لحركة الأنصار ، وتنسيق الأعمال القتالية ، وتنظيم التعاون مع قطعات الجيش الأحمر ، لجنة حكومية للدفاع ، تابعة للمجلس الأعلى للدفاع ، وأركان مركزية لحركة الأنصار في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٤٢ ، كذلك بدأ في الوقت نفسه تنظيم أركانات حركة الأنصار في الجمهوريات والمناطق . وكان للاجتماع الذي عقده في موسكو قادة هيئات الحزب ، وقادة وقوميسيريي تشكيلات الأنصار ، وقادة مجالس الدفاع الشعبي ، والأركان المركزية لحركة الأنصار ، في الفترة الواقعة بين شهري آب ــ أيلول / أغسطس ــ سبتمبر ١٩٤٢ ، أهمية كبيرة في تقدم الحركة وإنهاضها ، حيث تم فيه تقويم محصلات الحركة وطرائق تطويرها في المستقبل . وقد أدت التدابير المتخذة إلى تحسين عملية تطوير قيادة مفارز الأنصار ، وتزويدها بالوسائط المادية اللازمة ، وأمنت تعاوناً أكثر وثوقاً بين الأنصار وقطعات الجيش الأحمر . كما ازداد عدد الأنصار المسلحين عام ١٩٤٣ بالمقارنة مع عام ١٩٤٢ إلى الضعفين . وحتى قبل شهر آذار (مارس) ١٩٤٣ كان ٨٠ بالمئة من مفارز الأنصار مزوداً بالاتصالات اللاسلكية الثابتة مع أركان الحركة .

وكان من أكثر الأمور أهمية تحسين البنية التنظيمية لقوى الأنصار ، حيث كانت تشكيلاتها تتألف من تنظيمات مختلفة . وقد عززت الوحدة التنظيمية والقتالية الرئيسية لهذه القوى ، في بداية الحرب ، مفارز الأنصار ، التي كانت تتألف من أربع ــ خمس مجموعات قتالية من المتطوعين . وكان تعداد هذه المجموعات لا يتجاوز عشرات الأشخاص ، ومن ثم تزايد عدد أفراد المفارز حتى بلغ ٢٠٠ شخص في كل مفرزة ، وأصبحت من الناحية التنظيمية تتألف من سرايا وفصائل وجماعات . وكانت قيادة المفارز تعهد إلى أكثر الحزبيين خبرة وكذلك إلى العسكريين .

لقد مكّن ازدياد عدد أفراد حركة الأنصار ، ورفع فعاليتها من إقامة تشكيلات أنصار أضخم من السابق ، مثل «لواء الأنصار» و«فرقة الأنصار» . تعدادها من ألف إلى عدة آلاف من المتطوعين . ووضعت لأفراد تشكيلات الأنصار أنظمة صارمة ، حيث كان على كافة المقبولين في المفارز أن يحلفوا اليمين على التضحية والوفاء لأهداف الحركة .

كذلك أدّى تزايد أعداد الأنصار إلى رفع المتطلبات اللازم توفرها في الكوادر القيادية ، وفي الاختصاصيين في كفاح الأنصار . وقبيل نهاية عام ١٩٤٢ أُنشىء في الاتحاد السوفييتي ٨ مدارس و١٠ مراكز تعليم ، تتراوح مدة الدراسة فيها بين ٣ إلى ٦ شهور ، وقد تمَّ فيها تدريب أفراد الحركة ، وإرسالهم للعمل في مؤخرة العدو . وبلغ عددهم أكثر من ٢٢ ألفاً من مختلف الاختصاصيين : ٧٥٪ منهم كانوا نسافين و٩٪ من الاختصاصيين في الأنشطة السرية ، وحركة الأنصار ، و٨٪ من اللاسلكيين ، و٧٪ من عناصر الاستطلاع وغيرهم . كما تمَّ تدريب آلاف الاختصاصيين مباشرة في المفارز والتشكيلات .

لقد تحسن شيئاً فشيئاً تسليح الأنصار ، حيث زوّدوا في عام ١٩٤٢ بأسلحة المشاة ، وبالألغام التي رفعت فعالية كفاحهم . كذلك زودتهم الأركان المركزية لحركة الأنصار بـ ٥٩٩٦٠ بندقية ومسدساً وبـ ٣٤٣٢٠ رشيشاً وبـ ٤٢١٠ رشاشات وبـ ٢٥٥٦ بندقية مضادة للدبابات وبـ ٢١٤٨ هاوناً (عيار ٥٠ مم و٨٢ مم) وبـ ٥٣٩٥٧ رمانة ضد المشاة وضد الدبابات ، كما زوّدوا بكميات هائلة من الذخيرة والمواد المتفجرة وغيرها من اللوازم القتالية .

ومن أجل إمداد الأنصار وإخلاء جرحاهم ومرضاهم ، تم اشتراك الطيران البعيد المدى التابع للأسطول الجوي المدني والجبهي . فخلال الحرب من منتصف عام ١٩٤٢ وحتى نهاية عام ١٩٤٤ قام الطيران المدني والعسكري بأكثر من ١١٠ آلاف طلعة طيران لصالح الأنصار ، كما نقلت طائرات الأمدية البعيدة وطائرات الأسطول الجوي ، إلى مؤخرة العدو فقط ، أكثر من ١٦ ألف طن من الحمولات ، وقامت بإنزال أكثر من ٨٣ ألف شخص . كذلك تم إمداد الأنصار برّاً عبر الفرج الموجودة بين خطوط الجبهة . واستخدم الأنصار في سني الحرب أيضاً مختلف أنواع العمل ، حيث قاموا بأعمال التخريب وأعمال الهجوم المفاجىء وبنصب الكمائن ، وبأعمال الإغارة الجزئية على مؤخرات العدو ، ونفذوا أعمال الهجوم والدفاع على حد سواء .

لقد كانت أعمال التخريب أحد أهم طرائق الأعمال القتالية التي قام بها الأنصار ، حيث

استخدموا هذا الأسلوب على نطاق واسع، من أجل إشاعة الفوضى في اتصالات العدو، وتخريب مختلف أنواع الأغراض في بداية الحرب. وبسبب قلة وسائط التفجير، وعدم توفّر الخبرة القتالية، اقتصرت أعمال التخريب على الأعمال الميكانيكية، مثل: تفكيك السكك الحديدية، وإحراق الجسور الخشبية، وإقامة الحواجز على الطرق وحفر الحفر فيها. ومنذ صيف عام ١٩٤١ بدأت أعمال التخريب تأخذ أبعاداً أكبر، بعد أن أخذ التجهيز التقني أشكالاً أعلى، وبعد أن أصبح أكثر جودة. فإذا كان الأنصار في السنة الأولى من الحرب يقومون بنحو ٤٠ نسفاً وسطياً كل شهر للعدو، ففي النصف الثاني من العام ١٩٤٢ ارتفع ذلك إلى ٣٠٠ نسف. وفي العام ١٩٤٣ قام الأنصار بتفجير القطارات أكثر من خمسة أضعاف ما كانوا يقومون به في السابق، وحطموا من الحاميات والأركانات والأغراض العسكرية أكثر من خمسة أضعاف ما كانوا يقومون به في السابق، ودمروا من القوى الحية ما يعادل ٤ أضعاف ما كانوا يقومون به في العام ١٩٤٢.

ومن أكثر الأمثلة نصوعاً، العمليات التي قام بها الأنصار السوفييت في النصف الثاني من العام ١٩٤٣ ضد مواصلات العدو، التي دعيت في كتب التاريخ بـ «حرب قضبان السكك الحديدية» و«الكونسيرت». وكان الهدف الرئيسي لهذه الحرب تحطيم قضبان السكك الحديدية وتخريبها بصورة كثيفة وفي وقت واحد، بقصد إشاعة الفوضى في أعمال النقل أكثر من إشاعة الفوضى في الإمداد، وإعادة تحشيد قوات العدو؛ وبذلك يمكن تقديم العون للجيش الأحمر في قتاله، وفي دعم الهجوم العام في الجبهة السوفييتية ــ الجرمانية. لقد شارك في هذه العملية ١٣٧ مفرزة أنصار من مناطق لينينغراد، وكالينين، وسمولنسك، وأورلوفسك، وروسيا البيضاء، وأوكرانيا، كان تعدادها جميعاً ١٠٠ ألف شخص. وبدأت في ليلة ٣ آب (أغسطس) ١٩٤٣ حيث كانت القيادة الألمانية في ذلك الوقت مضطرة إلى المناورة بفعالية باحتياطاتها، بسبب قيام القوات السوفييتية بهجوم عام مضاد عند مشارف مدينة كورسك، حيث تم، آنئذ، خلال ليلة واحدة، تفجير أكثر من ٤٢ ألف قضيب سكة حديد إلى مسافة تزيد عن ١٠٠٠ كم بالجبهة، ومن خط الجبهة حتى الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي في العمق.

وفي الأيام التي تلت ذلك تزايدت نشاطات الأنصار. ففي منتصف شهر أيلول (سبتمبر) كانت كميات القضبان الحديدية المجزّأة تزيد عن ١٣٤٢ كم. «وخلال شهر واحد كان عدد الإنفجارات قد تزايد ثلاثين مرة» كما جاء في التقرير المرفوع بتاريخ ٣١ آب (أغسطس) ١٩٤٣ من قيادة فيلق ــ حراسة القوات الألمانية العائد لمجموعة الجيوش «المركزية». وفي بعض طرقات الحركة توقفت كافة الأعمال من ٣ ــ ١٥ يوماً، بينما توقفت الحركة على بعض الخطوط الرئيسية خلال شهر آب (أغسطس) ١٩٤٣؛ فهذه الكوارث التي أصابت خطوط السكك الحديدية كانت نسبياً في إلغاء السكك الحديدية المزدوجة وجعلها مفردة، ونقل القضبان من بولندة وجرمانية مما زاد من وتائر النقل. وفي ١٩ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٣ بدأت العملية القتالية للأنصار السوفييت، بهدف التخريب الشامل للمواصلات الحديدية للعدو، التي أطلق عليها اسم «الكونسيرت»، في مناطق مختلفة عن السابق، شارك فيها أنصار كوريل واستونيا ولاتفيا وليتفيا والقرم، كما شارك فيها ١٩٣ مفرزة أنصار تعد أكثر من ١٢٠ ألف شخص.

وتحشدت القوات الرئيسية في روسيا البيضاء حيث شملت العمليات أكثر من ٩٠ ألف شخص قاموا بمهمة تفجير وتخريب ١٤٠ ألف قضيب من قضبان السكك الحديدية.

وبسبب سوء الأحوال الجوية لم يصبح ممكناً تكديس غير ٥٠٪ من المواد المتفجرة التي نصت عليها خطة العمليات، إلا أن العملية بدأت في الوقت المحدد لها تماماً. وقام أنصار روسيا البيضاء في ليلة ١٩ أيلول (سبتمبر) بتفجير ١٩٩٠٣ قضبان، وليلة ٢٥ أيلول (سبتمبر) فجروا ١٥٨٠٩ قضبان سكك حديدية. وفي النهاية كان مجموع القضبان المفجرة في عملية «الكونسيرت» كلها ١٤٨٥٥٧ قضيباً. وبعدها لم يعد ممكناً القيام بأكثر من ذلك بسبب نفاد المتفجرات. وبالتالي أصبحت الهجمات على مواصلات السكك الحديدية تترافق بهجمات على مجموعات العدو وعرباته، وعلى الأشخاص والأسلحة والطرق المعبدة، والطرق الترابية، إضافة إلى إعاقة أعمال النقل التي يقوم بها العدو بوسائط النقل الأخرى.

كذلك قام الأنصار خلال الحرب كلها بتدمير أكثر من ٢٠ ألف قطار و٥٨ قطاراً مصفحاً، وأخرجوا من القتال أكثر من ١٠ آلاف قاطرة بخارية و١١٠ آلاف عربة قطار، وخرّبوا أكثر من ١٢ ألف جسر على السكك الحديدية والطرق المعبدة، ودمروا أكثر من ٥٠ ألف عربة خصصت لحراسة المواصلات ومقاومة الأنصار السوفييت. لذا، خصصت القيادة الألمانية منذ منتصف عام ١٩٤٢ قسماً من قواتها النظامية الموجودة على الجبهة الألمانية ــ السوفييتية للقيام بأعمال الحراسة والشرطة. واستخدم الألمان ضد الأنصار أكثر من ٢٥ فرقة عاملة بالإضافة إلى تشكيلات شرطة الـ اس. س. وس. د. ونصف مليون من الجنود في القطعات المساعدة.

ومن أهم أشكال أعمال الأنصار كانت إغارات تشكيلاتهم في عمق مؤخرات العدو. وكان الهدف الرئيسي من هذه الإنجازات هو زيادة أبعاد المقاومة الشعبية ونشاطاتها في المناطق الجديدة، وتوجيه الضربات على عقد السكك الحديدية الضخمة، وضد الأغراض الصناعية العسكرية الهامة، وتقديم المعونة للشعوب الصديقة المجاورة في صراعها القوي ضد الفاشية. وفي بداية الحرب كانت الإغارات تتم سيراً على الأقدام وبواسطة الخيول، مع استخدام العربات التي تجرها الخيول لأعمال النقل. ويتم التنقل على رتل واحد أو رتلين، ليلاً، وتنفّذ أعمال الاستطلاع والحراسة الدورية.

ومنذ شهر حزيران (يونيو) وحتى أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ جرت الإغارة الأسطورية المسماة «إغارة الكربات» التي شنتها وحدات الأنصار بقيادة س. آ. كوفباكا، حيث شملت ١٣ منطقة في روسيا البيضاء وأوكرانيا حتى حدود هنغاريا. وزج الألمان ضد الأنصار ٣ فرق ألمانية مدعّمة بالطيران والدبابات والمدفعية. وقد وقعت هذه التشكيلات ١٣ مرة في التطويق وخرجت منها. وقتل وجرح خلال الإغارة ٣٠٠٠ جندي ألماني، وأُعطبت أعتدة قتالية كثيرة، ودمّرت أغراض كثيرة في مؤخرة العدو، كما قامت فرقة أنصار بإغارة رائعة بقيادة ب. ب. فرستيفور من ٥ كانون الثاني (يناير) وحتى ١ نيسان (ابريل) ١٩٤٤، قطعت خلالها ٢١٠٠ كم في أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء وبولندة، وأوقعت خسائر

فادحة بالأشخاص والأعتدة القتالية للعدو . وحسب أوامر أركانات حركة الأنصار حصلت أكثر من ٤٠ إغارة في المرحلتين الثانية والثالثة من الحرب ، شارك فيها أكثر من ١٠٠ تشكيل أنصار كبير .

ومن أجل تقديم العون للشعوب الصديقة المناضلة ضد الفاشيين المحتلين شن الأنصار السوفييت إغارات خارج حدود الاتحاد السوفييتي . ففي عام ١٩٤٤ ، عمل في الأراضي المحتلة البولندية ٧ تشكيلات ، و٢٦ مفرزة أنصار كبيرة مستقلة ؛ وفي تشيكوسلوفاكيا عمل أكثر من ٢٠ تشكيلاً ومفرزة . كما أدّت الأنشطة الاستطلاعية التي قام بها الأنصار ، وكذلك الاتصال الوثيق بالسكان المحليين وتنظيمات المتطوعين ، دوراً هاماً في وضع أراضٍ ومناطق واسعة في مؤخرة العدو تحت المراقبة المباشرة ، وإعلام القيادة السوفييتية في الوقت المناسب عن كثير من تدابير القوات الألمانية . كذلك جمع الأنصار والمتطوعون ، بناء على مهمات مُسندة من قيادة الاستطلاع السوفييتي ، معلومات عن تحركات القطعات والتشكيلات والأركانات والمؤسسات وقواعد الإمداد والمستودعات الألمانية ، وعن اتجاهات وطبيعة الحمولات المنقولة ، وعن إعادة تجميع القوات وكثير من المعلومات الأخرى . ومنذ شهر نيسان (ابريل) وحتى كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٣ حدد الأنصار مناطق تحشّد ١٦٥ فرقة و١٧٧ فوجاً و١٣٥ كتيبة مستقلة ، وقاموا بتحديد وكشف تنظيمها وتعدادها العضوي وأسماء قادتها . وفي أثناء عملية روسيا البيضاء في ربيع عام ١٩٤٤ عمم الأنصار معلومات دقيقة عن أماكن توضع ٣٣ أركاناً ، و٣٠ مطاراً و٧٠ مستودعاً ضخماً ، وقوام ٩٠٠ حامية للعدو ، و٢٤٠ قطعة تقريباً واتجاه حركة وطبيعة الحمولات المنقولة لـ ١٦٤٢ قطاراً وغيرها من المعلومات الاستطلاعية القيّمة .

واتّسم كفاح الأنصار باستخدام الأعمال الهجومية الحاسمة ، حيث قلّد فيها الأنصار السوفييت بنجاح تكتيك الجيش الأحمر . وفي بداية الحرب كان الأنصار يعملون بمفارز ومجموعات صغيرة ، وكانوا يدمرون الحاميات التابعة للعدو في النقاط الصغيرة الآهلة بالسكان . أما بعد ذلك ، وبعد أن تجمّعت هذه المفارز ضمن تشكيلات ضخمة ، شنت معارك في المدن والقرى الضخمة ضد حاميات العدو القوية . فمثلاً قامت مفارز الأنصار في منطقة لينينغراد بالقضاء على كثير من الحاميات التابعة للعدو بالهجوم الحاسم ، واستطاعت هذه المفارز حتى قبل خريف عام ١٩٤١ تحرير أكثر من ١٥٠ نقطة آهلة بالسكان .

لقد استُخدم الدفاع من قبل الأنصار بهدف التمسك بالمناطق المحتلة ضد مفارز العدو المتفوقة ، وفي غيرها من الظروف . كما استخدم الأنصار في المعارك الدفاعية أشكال المناورات المختلفة . فشنوا معارك للتمسك بالخطوط الدفاعية ، اتصفت بالشراسة والسرعة في آن معاً . وكانت تتميّز أعمالهم ، للتمسك بعقد الطرق الهامة والمعابر والممرات الجبلية ورؤوس الجسور المستولى عليها على الأنهار ، بالاستماتة والثبات . ومن أهم خصائص أعمال الأنصار السوفييت قيامهم بالأعمال القتالية ، غالباً ضمن إطارات الفكرة العملياتية الواحدة وبالتعاون الوثيق مع قوات الجيش الأحمر .

كما تم تعاون الأنصار مع القوات النظامية بتنسيق الضربات ، في الزمان والمكان ، على مواصلات

العدو وتعليم الأهداف للطيران القاذف، وقطع الاتصالات، والاستيلاء على الجسور والمعابر والمحافظة عليها، وتحرير المدن والنقاط الآهلة بالسكان، وتنفيذ المهام الأخرى. كذلك، فإن إقامة نظام مركزي لقيادة حركة الأنصار وإقامة اتصالات لاسلكية ذات جانبين بين معظم تشكيلات الأنصار الضخمة والقيادة السوفييتية، بدءاً من ربيع عام ١٩٤٣، عند إعداد الفكرة العامة العسكرية الاستراتيجية وخطط الحملات الأكثر أهمية والعمليات، مكّنت من إدخال أعمال مفارز الأنصار والمتطوعين ضمنها. وإذا كان في بداية الحرب مجال، حيثما أمكن ذلك، للتعاون التكتيكي بين الأنصار والقوات السوفييتية، فقد أقيم في ربيع عام ١٩٤٣ تعاون ثابت ودقيق ومخطط وموجّه بين الأنصار وقطعات الجيش الأحمر المهاجمة، ليس على الصعيد التكتيكي فحسب، بل على الصعيد العملياتي أيضاً، وكان ذلك كله ظاهرة عظيمة الأهمية اتسع فيها دور حركة الأنصار.

وشارك الأنصار في تحرير مدن ضخمة مثل روستوف على الدون، وسميفيروبول، وبافلوغراد، وكثير من المدن الأخرى. كما حرر الأنصار، وحدهم، عدة مدن صغيرة وكثيراً من النقاط الآهلة بالسكان. وظلوا متمسكين بها إلى حين وصول القوات السوفييتية النظامية.

وكانت الأراضي المحررة من قبل الأنصار، والتي كانت تحت مراقبتهم، وخاصة في مناطق الغابات، يطلق عليها اسم أقاليم الأنصار. وكان أضخم هذه الأقاليم إقليم لينينغراد وكالينين وسمولنسك، وغيرها من المناطق في روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء وأوكرانيا. وأقيم منذ عام ١٩٤٢، أحد عشر إقليم أنصار، ومن ثم أخذ هذا العدد يزداد فيما بعد. ففي خريف عام ١٩٤٣ أصبحت الأراضي الموجودة في مؤخرة العدو، والموضوعة تحت مراقبة الأنصار تبلغ نحو ٢٠٠ ألف كم٢، وهذه المساحة تعادل مساحة الدانمارك وهولندا وبلجيكا مجتمعة.

وعملت هيئات السلطات السوفييتية، بصورة مكشوفة، داخل أقاليم الأنصار، فاستبعدت الكولخوزات، وفتحت المدارس، وأنشأت المشافي والنوادي، وعاش السكان فيها حياة نشطة كرسوا فيها جهدهم لخدمة بلدهم. كذلك قدّم هؤلاء السكان للأنصار المواد الغذائية والألبسة، وانضموا في صفوفهم لتعويض الخسائر. وقد تلقت لينينغراد المطوقة، الجائعة، حمولات ٢٢٣ عربة ثقيلة من المواد الغذائية عبر خطوط الجبهة بواسطة الأنصار وسكان الكولخوزات في الأقاليم المحرّرة.

كانت أقاليم الأنصار قواعد قوية لقوى الأنصار حيث كانوا ينقلون الأسلحة والذخيرة والتجهيزات من المؤخرات السوفييتية إليها. وفيها استطاع الأنصار القيام بأعمال التخريب والإغارات في عمق مؤخرات العدو. كذلك شن الأنصار عمليات قتالية ضخمة في أقاليمهم. وكانت حيطة الألمان في هذه المناطق معدومة نسبياً. ولم يكن الألمان يمتلكون فيها غير بعض النقاط الآهلة بالسكان التي كانت تدافع عنها حاميات قوية من القوات. كما عقدت أقاليم الأنصار أعمال إعادة تجميع القوات، لأنه كان يتعين على الألمان إما الدخول في أعمال قتالية معهم، أو تجنّب هذه الأقاليم والمناطق والالتفاف حولها.

تركت أعمال تشكيلات الأنصار، في المساحة الكبيرة من الأراضي التي شملتها، حتى في بداية

الحرب ، هلعاً كبيراً لدى القيادة الألمانية . ففي شهر تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٤١ أصدرت القيادة العليا لمشاة الجيش الألماني نظام « القواعد الرئيسية لمكافحة الأنصار » . وقد كتب غوبلز ، الذي كان سكراً بخمرة « انتصارات جيش الفوهرر الرائعة » التي رفعت قدر ألمانيا على العالم كله ، في مذكراته ، وقلبه يقطر هلعاً : « يتزايد الخطر الذي أحدثه الأنصار من أسبوع إلى آخر . إن الأنصار يحكمون مناطق واسعة في روسيا المحتلة » . وفي شهر آب (أغسطس) عام ١٩٤٢ كان هتلر قد أمر ، حتى بداية الشتاء يجب ضرب مفارز الأنصار بصورة رئيسية ، ومن ثم إقرار الهدوء في الشرق خلف خطوط الجبهة من أجل تلافي الخسائر الضخمة ، « وتمكين الجيش الألماني من القيام بالأعمال القتالية الحاسمة » . ومن أجل تنظيم مكافحة حركة الأنصار أمر هتلر « بالقضاء على كافة قيادات قوى الأنصار في الشرق » .

لقد استخدمت ضد الأنصار كافة الدعايات الكاذبة والتحريضات ، وبث الأعوان والعملاء ضمن مفارزهم . وأوليت عناية كبيرة لمحاولات تحريض السكان ضدهم . ومن أجل ذلك فقد شكّل الألمان مفارز أنصار كاذبة من عملائهم كانت تقوم بأعمال السلب والنهب لإعطاء فكرة سيئة ضد الأنصار ، ووضعت في المدارس مناهج تعليمية مضادة لهم ولأعمالهم . وكان الألمان يدرّسون عملاءهم حسب برامج خاصة أطلقوا عليها اسم « تدابير تحريض السكان ضد الأنصار » . ولكن الأنصار السوفييت استطاعوا إسكات كافة أعمال العدو ضدهم ، فاضطرت القيادة الألمانية للقيام بعمليات تطهيرية قاسية ، مستخدمة في ذلك ليس فقط القطعات الخاصة ، بل أيضاً قطعات الجبهة والدبابات والمدفعية والطيران . وقد اتسمت هذه الأعمال بالقسوة الشديدة والعنف . كما وضعت في كافة الأمكنة أنظمة الرهائن . وكان الألمان مقابل كل ألماني يقتل يعدمون عشرات الأشخاص من السكان المحليين . كذلك أحرقوا مناطق بأكملها من الغابات ، وعدداً كبيراً من القرى . وخلال احتلال الألمان لأوكرانيا تم إعدام ٤ ملايين شخص و٥ر٢ مليون في روسيا البيضاء . وفي مناطق روسيا الاتحادية أعدم ٧ر١ مليون إنسان ، وذلك حسب معلومات غير مكتملة . إلاّ أن العمليات التطهيرية كانت تتطلب ، يوماً بعد يوم ، قوات وأعتدة أكثر فأكثر ، ولم تستطع الحيلولة دون تنامي وتزايد تشكيلات الأنصار ، وبالتالي تزايد فاعلية ضرباتها .

لقد لحقت بالألمان خسارة فادحة بسبب فعالية المجموعات القتالية السرية في المدن وفي النقاط الآهلة بالسكان ، وأصبحت المجموعات السرية والتنظيمات في منيسك ، كييف ، أوديسا ، سمولنسك كراسنادار ، وموسكو أورشي ، وغيرها من المدن والنقاط الآهلة بالسكان نموذجاً للكفاح المستميت ضد المحتلين . كما أصبحت أعمال التخريب والنضال ، لإحباط تدابير العدو السياسية والاقتصادية والعسكرية ، الشكل الأكثر انتشاراً في المقاومة الجماهيرية للمحتلين ، التي قامت على أكتاف ملايين الشعب السوفييتي .

وفي شهر كانون الثاني (اكتوبر) عام ١٩٤٤ وإثر تحرير أجزاء كبيرة من المناطق المحتلة في الاتحاد السوفييتي ، ألغيت الأركان المركزية لحركة الأنصار ؛ أما قيادة قوى الأنصار في المناطق التي ما زالت تحت الاحتلال فقد عهدت إلى أركانات الجمهوريات لحركة الأنصار .

لقد ضحى الأنصار والمتطوعون في سني الحرب بكل عزيز وغال ، واسترخصوا كل تضحية من أجل

قطع مواصلات العدو التي تحدثنا عنها آنفاً، واستطاعوا قتل وجرح وأسر ٥ر١ مليون من الجنود والضباط الألمان، وأخرجوا من المعركة ٢٣٠٠ دبابة ومدرعة و١١٠٠ طائرة، ودمروا كميات كبيرة من الذخائر والوقود، وحصلوا على كميات كبيرة من الأسلحة والتجهيزات العسكرية.

أما السمة المميزة لحركة الأنصار في سني الحرب العالمية الثانية فهي طبيعتها الاسمية، حيث شارك فيها أشخاص من كافة جنسيات الاتحاد السوفييتي، كما شارك الوطنيون البولنديون والتشيكوسلوفاكيون والبلغاريون وغيرهم في الأعمال البطولية، التي شنتها مفارز الأنصار السوفييتية، الذين تطوعوا ضمنها. كذلك شاركوا منذ بداية تطور الكفاح المسلح للأنصار في المعارك في المناطق المحتلة من قبل الألمان كمشاة ومستطلعين ونسافين، ثم عمدوا إلى تشكيل مجموعات ومفارز بولندية وتشيكوسلوفاكية وغيرها. لقد كان في أوكرانيا في ربيع عام ١٩٤٢ تشكيلات من مفارز الأنصار تحت قيادة بوسوبسياك وبابوجنسكي من المتطوعين البولنديين. وشُكّلت بعد عام مفارز بولندية جديدة كانت تعمل في مناطق أوكرانيا وروسيا البيضاء سواء أكانت ضمن تشكيلات الأنصار السوفييت، أو مستقلة. وفي ذلك الوقت بدأ تشكيل مفارز الأنصار من الجنود والضباط التشيك والسلوفاك الذين كانوا يتطوعون ضمن مفارز أنصار روسيا البيضاء وأوكرانيا.

كما شارك الهنغاريون والبلغاريون والألمان، الذين هم ضد الفاشية، في التطوع ضمن مفارز الأنصار المشكلة في أوكرانيا وروسيا البيضاء والقرم؛ وقد قام السوفييت بدورهم بالمشاركة في الكفاح الوطني التحرري في الخارج، حيث شاركت مجموعات ومفارز الأنصار السوفييت التي أرسلت خارج الاتحاد السوفييتي في أعمال تحرير بولندة وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من الدول. كذلك قاتل آلاف المواطنين السوفييت، الذين هجّرهم الألمان من المناطق المحتلة في الاتحاد السوفييتي والهاربين من معسكرات الأسر، في الحرب الوطنية التحررية في يوغوسلافيا وفي صفوف حركة المقاومة الفرنسية والايطالية والدانماركية والنرويجية وفي ألمانيا نفسها.

لقد أظهرت حركة الأنصار من حيث اتساع رقعتها ومن حيث نتائجها السياسية والعسكرية، في سني الحرب العالمية الثانية في المناطق السوفييتية التي احتلتها القوات الألمانية، أهمية العامل العسكري ــ السياسي في سحق النازية. حيث كانت مثالاً حياً مقنعاً لكثرة من الدول الأخرى التي كانت واقعة تحت النير الفاشي، بالإضافة إلى العون الذي قدمته للجيش الأحمر لإجلاء العدو من الأرض المحتلة. كما كان هذا النضال مثالاً حياً لما يجب أن تقوم به جماهير الشعوب المحتلة والمستعمرة في دول أوروبا وآسيا.

كذلك أغنت حركة الأنصار في الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفييتي ضد الألمان، نظرية أعمال الأنصار وتطبيقاتها باعتبارها أحد أشكال الصراع المسلح ضد المعتدين. ومما لا شك فيه أن لهذه التجربة أهمية عملية للشعوب كافة التي تكافح ضد الاستعباد الخارجي والداخلي ومن أجل الاستقلال والتحرر الاجتماعي.

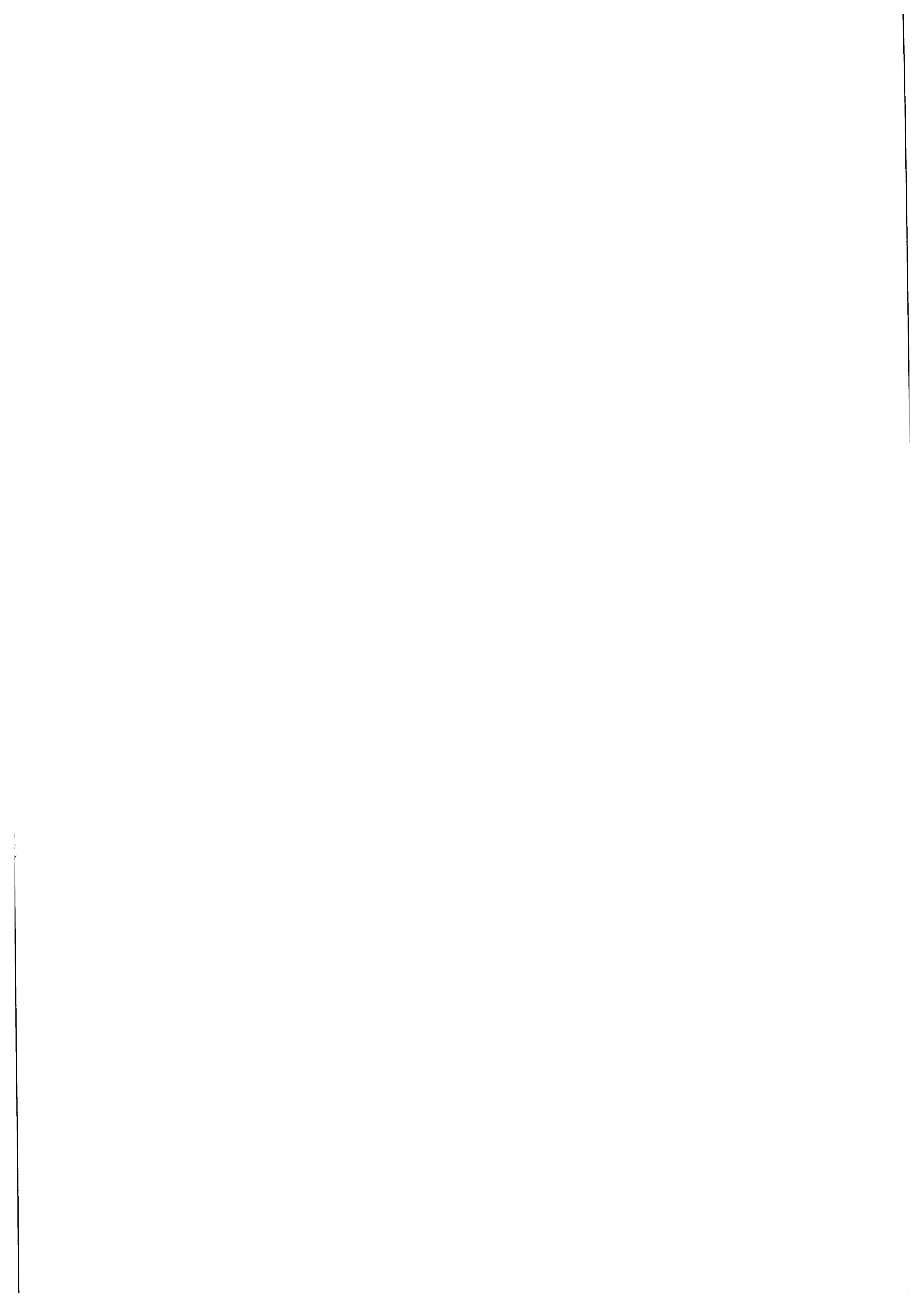
تطور فن الحرب السوفييتي
في الحرب السوفييتية ـ اليابانية
٩ آب (أغسطس) ـ ٢ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٥ م

«أنقذ انتهاء الحرب في الشرق الأقصى مئات الآلاف من الجنود الأمريكيين والانكليز من الموت، وأنقذ ملايين المدنيين اليابانيين من الموت والعذاب، وأوقف استعباد الشعوب التي كانت تحت النير الياباني في شرق وجنوب آسيا».

ماريشال الاتحاد السوفييتي
آ.م. فاسيليفسكي

«سارع الجيش الأحمر إلى مدّ يد المعونة إلى الشعب الصيني لطرد المعتدين. لم يحدث مثل هذا الأمر في تاريخ الصين. هذه الظاهرة حدث لا يقدر بثمن».

ماوتسي تونغ



٩ ــ ١ ــ الموقف العسكري ــ السياسي قبيل صيف عام ١٩٤٥ م

بعد القضاء على ألمانيا واستسلامها الكامل أصبحت الأمبريالية اليابانية معزولة دولياً . وفي أثناء الحرب الطويلة ، المجهدة في المحيط الهادىء والصين ، ضعفت القوة الاقتصادية والعسكرية إلى حد كبير .

قبل شهر آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ كانت القوات الأمريكية ــ الانكليزية قد أوقعت في اليابان انكسارات كثيرة ، ووصلت الأعمال القتالية إلى قرب الجزر اليابانية ، وتعززت في مؤخرة القوات اليابانية في المناطق المحتلة من فيتنام ، والفيليبين ، والملايو ، وأندونيسيا ، وتايلاند حركة التحرر الوطني . وكان قسم كبير من القوات اليابانية الموجودة في الصين مشلول الحركة بسبب مناهضة الجيش الشعبي الثوري الصيني لها .

كذلك فإن الصناعة اليابانية كانت تعاني من نقص شديد في المواد الأولية الاستراتيجية ، إذ توقف إنتاج الفولاذ والألمنيوم والفحم ، وتوقف نقل النفط في عام ١٩٤٥ بشكل كامل ، كما توقف إنتاج الأسلحة والأعتدة القتالية والذخيرة . ولم تعد اليابان قادرة على استعاضة خسائر الجيش والأسطول .

ورغم اليأس من متابعة الكفاح الذي عمّ الأوساط الحاكمة في اليابان ، فقد كانوا يمضون في متابعة الحرب . وكانت مطالب الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا والصين تتلخص باستسلام اليابان غير المشروط . وقد أعلنت هذه الدول هذا المطلب في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٤٥ الذي رفضته الحكومة اليابانية معبرة عن رغبتها في أنه : « لا تراجع عن متابعة الحركة إلى الأمام لإنهاء الحرب بانتصار اليابان » . وكانت الحكومة اليابانية تعتمد على ما في حوزتها من قوات المشاة التي يزيد عددها على ٥ ملايين عسكري ، وأكثر من عشرة آلاف طائرة ، و ٥٠٠ سفينة قتال ؛ وتعتقد أنها تملك كل الإمكانات اللازمة لمقاومة القوات المسلحة الأمريكية والانكليزية . كما كانت تعتمد على نشوب الخلافات بين دول الحلفاء وإطالة أمد الحرب من أجل التوصل إلى شروط ملائمة لها للدخول في حالة السلم .

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا قبيل صيف عام ١٩٤٥ تملكان في حوض المحيط الهادىء قوى كافية للقيام بأعمال الإنزال على أرض اليابان . وكانت خطة القيادة الأمريكية ــ الانكليزية قد حددت عملية القضاء على اليابان وكسرها بصورة نهائية في عام ١٩٤٦ ، وحتى أبعد من ذلك ، بسبب الحاجة إلى قوات إضافية يجب أن تنقل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . لذلك لم يكن مصادفة إلحاح الحلفاء على الاتحاد السوفييتي في مؤتمري طهران ويالطا دخول الحرب ضد اليابان ، حتى حصلوا على هذه الموافقة بعد أن هددت متابعة اليابان للحرب حدود الاتحاد السوفييتي في الشرق الأقصى ، وأحدثت توتراً كبيراً في الموقف الدولي ، وأدت إلى متابعة سيل الدماء ، والضحايا في جانب شعوب آسيا . وكانت الحكومة السوفييتية تعرف أن اليابان في الحرب العالمية الثانية كانت حليفة ألمانيا الفاشية ، وعوناً لها في حربها ضد الاتحاد السوفييتي ، إذ كانت تقدم لها كل أنواع العون في هذا السبيل ، مما اضطر الاتحاد السوفييتي إلى نشر أكثر من أربعين فرقة في الشرق الأقصى ، كان في أمسّ الحاجة إليها في الجبهة السوفييتية ــ الألمانية ، بسبب ما كدسته اليابان على الحدود في الشرق الأقصى مع الاتحاد السوفييتي ، حيث حشدت أكثر من مليون جندي تابعين للجيش الياباني ، بالإضافة إلى أن الأسطول الحربي الياباني كان يحاصر الشواطىء السوفييتية في الشرق الأقصى ، ويمنع السفن السوفييتية من مخور عباب البحر . لذلك وبسبب رغبة الاتحاد السوفييتي في توطيد دعائم السلم في العالم كافة ، وفي الحفاظ على واجباته كحليف للولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا ، أعلن في مؤتمر يالطا في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ أن الاتحاد السوفييتي سيدخل الحرب ضد اليابان ، خلال شهرين أو ثلاثة شهور ، ليتم القضاء على اليابان وكسرها . وكان ذلك مهلة قصيرة لتحضير العمليات ، ولنقل القوات اللازمة من الغرب إلى الشرق الأقصى .

وخلال فترة قصيرة من الزمن تمَّ نقل ٢٧ فرقة مشاة و٧ ألوية مشاة و٥ ألوية دبابات وفيلقين مدرعين ، وفيلقين آليين وغيرها من التشكيلات والقطاعات من مختلف صنوف القوات . وفي النتيجة كان القوام القتالي للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى قد تضاعف مرتين . وكان نقل هذه الأعداد الضخمة من القوات ، والأعتدة القتالية ، والإمدادات لمسافة ٩ ــ ١٢ ألف كم ناجحاً ، ولكن ذلك احتاج إلى ١٣٦ شاحنة وعربة قطار ، وتمّ عبر خط السكة الحديدية السيبيرية الوحيد .

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٤٥ ألغى الاتحاد السوفييتي المعاهدة السوفييتية ــ اليابانية القاضية بالحياد ، لأن اليابان خالفت هذه المعاهدة خلال سني الحرب عدة مرات . لذلك فقد أعلن الاتحاد السوفييتي أنه اعتباراً من ٩ آب (أغسطس) يعتبر نفسه في حالة حرب مع اليابان .

ولا بد من الإشارة في معرض هذا البحث إلى أنه خلافاً للسنوات السابقة بدأت الأوساط الحاكمة الأمريكية منذ شهر تموز (يوليو) عام ١٩٤٥ بتغيير رأيها في مسألة مشاركة الاتحاد السوفييتي في الحرب ضد اليابان . وبعد نجاح تجربة القنبلة النووية قررت الولايات المتحدة استخدام السلاح النووي ، والحصول على استسلام اليابان قبل أن يعلن الاتحاد السوفييتي الحرب ضدها ، وتوطيد دعائم سيطرتها على اليابان ، وشرقي آسيا ، وحوض المحيط الهادىء. وكان رئيس الولايات المتحدة ترومان يضع في رأسه هذا الاعتبار عندما أعطى أمره باستخدام القنبلة النووية .

وفي السادس من آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة نووية على

مدينة هيروشيما، وفي التاسع منه ألقت قنبلة أخرى على مدينة ناغازاكي قتل على أثرها ٤٤٧ ألف مدني.
ولم يكن هناك أي مسوّغ لاستخدام السلاح النووي لأن مصير اليابان في الشرق الأقصى كان قد رسم، بخاصة وأن الاتحاد السوفييتي قد بدأ بالإطباق على اليابان. ولم تؤدِّ الضربات النووية إلى استسلام اليابان، كما لم تضعف كمونها العسكري؛ لذلك فلم يكن لها أي نتيجة استراتيجية، فبدت وكأنها عمل انتقامي واندالي[1] ذو أهداف سياسة «الدبلوماسية الذرية» من أجل إخضاع العالم كله لسيطرتها.

كان على الاتحاد السوفييتي أن يخوض حرباً ضد القوات المسلحة اليابانية على رقعة شاسعة من الأرض، تضم المقاطعات الشمالية الشرقية للصين وكوريا الشمالية، والقسم الجنوبي من ساخالين، وجزر كوريل. وكان الخط الرئيسي لانتشار القوات البرية للجيش الأحمر، هو الحدود الدولية للاتحاد السوفييتي؛ أي حدود جمهورية منغوليا الشعبية مع الصين وكوريا، وتمتد مسافة تزيد عن ٥ آلاف كيلو متر. إلاّ أن الأعمال القتالية في تلك الجبهة كانت ممكنة في ١٥ اتجاهاً مستقلاً فقط، بسبب الكتلة الجبلية العالية التي كان يتراوح عرضها بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كم، والتي كانت تمتد من البايكال وبرياموريا إلى السهل الأوسط المنشوري. كما كانت المساحات الهائلة من الصحاري والسهوب والمناطق الجبلية ــ السيبيرية، والموانع المائية الضخمة تحد من إمكانات المناورة والاستخدام القتالي للقوات السوفييتية.

كانت القوات اليابانية تملك خطوطاً ملائمة محضّرة مسبقاً تمتد مسافة ١٠٠٠ كم تنتشر فيها ٨٠٠٠ منعة نارية مستديمة، وبخاصة قرب الشواطىء حيث كان يحتوي كل كيلو متر واحد من الجبهة ١٠ ــ ١٢ منعة ومنشأة نارية مستديمة. وكان تجميع القوات اليابانية في منشوريا وكوريا يتألف من ٤ جبهات، وجيشين مستقلين، وأسطول نهري وجيشين جويين؛ وتجاوز تعداد القوات مليون عسكري تحت السلاح؛ كما كانت تمتلك ١١٥٥ عربة و٥٣٩٠ مدفعاً، و١٨٠٠ طائرة، و٢٥ سفينة، بالإضافة إلى أعداد الدرك والشرطة وتشكيلاتهما في منشوريا وكوريا، وقوات مانتشاو وصنيعة اليابان، ملك منغوليا الداخلية ديفان.

ومن أجل السيطرة المباشرة على الأعمال القتالية تم تشكيل قيادة عليا للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى عيّن على رأسها ماريشال الاتحاد السوفييتي آ. م. فاسيليفسكي.

ألكسندر ميخائيلوفيتش فاسيليفسكي

ولد ألكسندر ميخائيلوفيتش فاسيليفسكي في ٣٠ / ٩ / ١٨٨٥ وتوفي في ٥ / ١٢ / ١٩٧٧. كان رجل الدولة والجيش السوفييتي، وماريشال الاتحاد السوفييتي، وبطل الاتحاد السوفييتي مرتين. وصل إلى رتبة نقيب في الجيش القيصري الروسي، وانضم إلى الجيش السوفييتي عام ١٩١٩. وكان في الحرب

---

(١) الواندالية من الكلمة الألمانية القديمة (Vandal) دلالة على قبائل الواندال الهمجية التي هاجمت الأمبراطورية الرومانية في العام ٤٥٥ م. وأخذت تدمّر روما وتحرق كل ما فيها من آثار الحضارة والعمران، دون هدف معين. فأطلقت هذه الظاهرة على التخريب للتخريب والانتقام للانتقام.



الأهلية معاوناً لقائد فصيلة، ثم ترقّى إلى معاون قائد فوج بعد الحرب الأهلية. قاد فوجاً لمدة ثماني سنوات أظهر فيها مقدرة إبداعية ممتازة، وقدرة كبيرة على العمل، وقدرة رائعة على المزج بين اللباقة والتواضع. وعمل اعتباراً من عام ١٩٣١ في قيادة التدريب القتالي للعمال والفلاحين في الجيش الأحمر، ورئيساً لقسم التدريب القتالي للمنطقة، وشارك في وضع نظام خدمة الأركان، وتعليمات شن المعركة العميقة. وبعد تخرجه من الأركان عمل منذ شهر أيار (مايو) عام ١٩٤٠ في الأركان العامة كمعاون لرئيس شعبة العمليات ثم رئيساً لها، ثم عيّن في شهر أيار (مايو) عام ١٩٤٢ رئيساً للأركان العامة. قام أثناء ذلك وبحكم عمله بتخطيط أعظم عمليات القوات المسلحة السوفييتية. وبأوامر من مجلس الدفاع الأعلى عمل في مختلف جبهات الحرب العالمية الثانية، وخاصة في الأماكن التي كانت تتعقّد فيها المواقف القتالية والتي حلّت فيها أكثر المهام مسؤولية. كان أحد المبدعين الذين وضعوا خطة العملية الهجومية على ستالينغراد وأحد منفذيها.

في خريف العام ١٩٤٤ أسند إليه مجلس الدفاع الأعلى مهمة تحضير الحسابات الأولى لخطة خوض الحرب ضد اليابان، ثم أسند إليه في العام ١٩٤٥ مهمة وضع خطة الحرب؛ ثم عيّن في العام ١٩٤٦ قائداً عاماً للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى، حيث أظهر في هذا المركز ما يتمتع به من روح تنظيمية وقيادية رائعة. وقد حضّرت تحت رئاسته العملية الاستراتيجية المتعلقة بهزم القوات اليابانية وسحقها بنجاح.

بعد الحرب بقي رئيساً للأركان العامة ثم نائباً أول لوزير الدفاع للقوات المسلحة السوفييتية، ثم رئيس أعمال إعادة تنظيم الجيش، وتحسين التدريب القتالي للقوات. كما عمل منذ العام ١٩٥٦ إلى العام ١٩٥٧ نائباً لوزير الدفاع. وقد جهد دون كلل على رفع مستوى العلم العسكري، وفي تطوير فن الحرب السوفييتي. وترك لنا مذكراته في كتاب جامع أطلق عليه اسم «عمل العمر كله» حلّل فيه أهم عمليات الحرب العالمية الثانية، وبيّن فيه نصائحه لتطوير العلم العسكري السوفييتي في المرحلة التالية. دفن في موسكو في الساحة الحمراء عند جدار الكرملين.

كان يضم تجميع القوات السوفييتية والمنغولية: البايكال وجبهتي الشرق الأقصى الأولى والثانية، وأسطول المحيط الهادىء وأسطيل نهر الآمور. وكان تعدادها جميعاً أكثر من مليون ونصف المليون عسكري، وأكثر من ٢٦ ألف مدفع وهاون (ما عدا المدفعية م/ط) و٥٣٠٠ دبابة وقانص وأكثر من ٣٨٠٠ طائرة.

وكانت القوات السوفييتية تتفوق على العدو في الأشخاص ١٫٥ مرة، في المدافع والدبابات ٤٫٨ مرات، أما في الطائرات فقد تفوقت بمعدل ضعفين. إن مثل هذه النسبة بالقوى والوسائط مكّنت من تنفيذ المهام المسندة، بالإضافة إلى أن أسطول المحيط الهادىء وأسطيل آمور كانا يتألفان من أكثر من ٥٠٠ سفينة قتالية وأكثر من ١٥٠٠ طائرة.

٩ ــ ٢ ــ سحق جيش كوانتون

تتلخص فكرة العمليات الاستراتيجية العامة للقوات السوفييتية في سحق الجيش الكوانتوني، باعتباره القوة الضاربة الرئيسية لليابان، أو احتلال قواعدها الاقتصادية في منشوريا وكوريا اللتين استندت إليهما اليابان في الحرب العالمية الثانية، والعمل على استسلامهما. كما كانت الخطة تنصّ على توجيه ضربة إلى أراضي منغوليا بقوى جبهة البايكال في الشرق من مناطق برياموريا السوفييتية، وبقوى جبهة الشرق الأقصى في الغرب. بالإضافة إلى ذلك توجيه ضربات مساعدة على اتجاهات منشوريا، الأمر الذي يؤمن الإحاطة العميقة بالقوى الرئيسية للجيش الكوانتوني، وتمزيقه إلى شراذم، والإسراع بسحقه على أجزاء (راجع الشكل رقم ٥٠).

كانت القيادة اليابانية تنوي إبداء مقاومة عنيدة للقوات السوفييتية ــ المنغولية في المناطق الحدودية المحصنة، ومنها التوغل في عمق منشوريا. وكانت المهمة الرئيسية للقوى الرئيسية للجيش الكوانتوني المتمركزة في المناطق الوسطى في منشوريا، هي توجيه ضربة معاكسة وإجبار القوات السوفييتية المهاجمة للتحول إلى الدفاع، ثم القيام بهجوم عام معاكس حاسم يعيد هذه القوات إلى الوضع الابتدائي الذي كانت عليه، والتدخل في أراضي الشرق الأقصى السوفييتي.

خطّطت القيادة السوفييتية بدء الحرب على مبدأ توجيه ضربة مفاجئة، واستخدام التشكيلات المتحركة للتقدم السريع في عمق المنطقة التي يشغلها العدو. وقد لعبت قوات البايكال وجبهة الشرق الأقصى الأولى دوراً طليعياً، حيث وجهت ضربات على الاتجاهات المختلفة الملائمة. وهاجمت القوات السوفييتية على جبهة طولها ٢٧٠٠ كم ضمن حدود تزيد عن ٥٠٠٠ كم؛ وكانت قد خططت العمليات إلى عمق ٥٠٠ ــ ٨٠٠ كم. والضربات الجانبية قسمت إلى مسافات ١٥٠٠ كم، حيث وضعت العدو في وضع الحرب على جبهتين. أما أضعف المواصلات في هذه المنطقة فكانت حدود الصين التي كانت السبب في محدودية المناورة.

لقد أجبرت الضربات الثانوية التي قامت بها القوات السوفييتية، والتي وجهت إلى كافة الاتجاهات العملياتية، الجيش الكوانتوني على المحافظة على الحالة الدفاعية في كامل الجبهة تقريباً، ومنعته من تشكيل تجميعات قوية من القوات في أي مكان.

كانت المجموعات الضاربة من الجبهات السوفييتية تتألف من ٦٠ ــ ٧٠٪ من كافة القوى والوسائط. وكانت متفوقة على العدو: بالأشخاص ٥ر٢ مرة، بالدبابات ٥ ــ ٨ مرات، بالمدفعية ٤ ــ ٨ مرات وبالهاونات ٨ ــ ١٢ مرة، وبالطيران بـ ٦ر٣ مرات، الأمر الذي أمن تنفيذ المهام بنجاح.

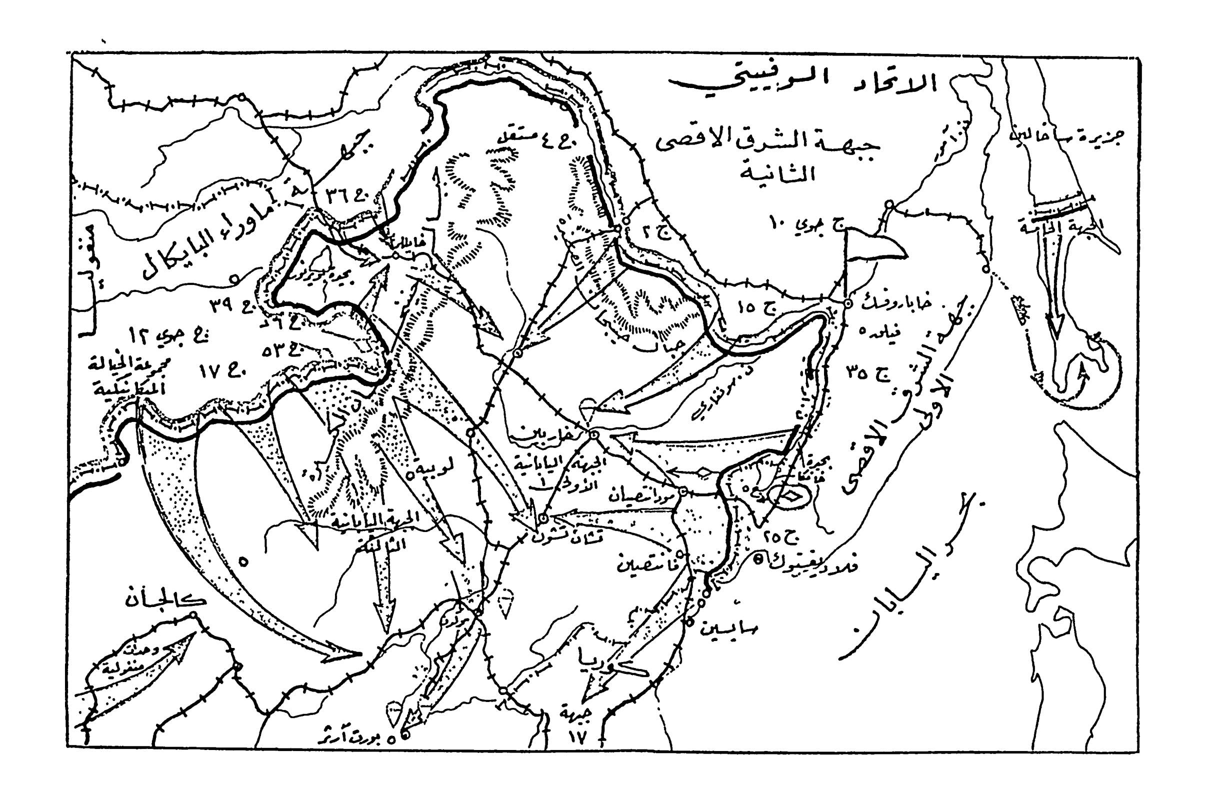
أثرت خصائص مسرح الأعمال الحربية على تطور القوات، وبنيتها العملياتية. وكانت السمة المميزة عدم الكثافة العملياتية للقوات بالمقارنة مع الغرب، حيث وصلت الفرجة بين الجيوش ١٥٠ ــ ١٠٠٠ كم، حتى إن التشكيلات عملت أحياناً بشكل منفصل عن القوات الرئيسية للجيش بـ ١٠٠ ــ ١٥٠ كم. وفي الوقت نفسه شُكلت كثافات عالية من القوات في قطاعات الخرق في بريموره.

أثّر كل ذلك على تخطيط العملية، وتنظيم استخدام صنوف القوات والطيران. فأصبح تخطيط استخدام القوات السوفييتية المدرعة والميكانيكية ذا أهمية بالغة. وكانت جبهة البايكال تملك أكبر عدد من الدبابات. كما كان الجيش المدرع الذي يدخل في قوام الجبهة يتألف من فيلق مدرع وفيلقين ميكانيكيين، قادرة على العمل بصورة مستقلة عن جيش القوات المشتركة. وبسبب عدم وجود دفاع متصل لدى العدو أمكن استخدام جيش مدرع في النسق الأول، وكان عليه أن يهاجم بطلائع قوية من الفيالق بينما تبقى القوى الرئيسية في الأرتال جاهزة للعمل حسب الضرورة. وحُدّد عمق المهمة المباشرة للجيش بـ ٣٥٠ كم، كما خطط أن تكون وتيرة الهجوم اليومية المتوسطة ٧٠ كم.

كان يتعين على جبهة الشرق الأقصى خرق المناطق المحصنة، واستخدمت القوى الرئيسية للدبابات كدبابات دعم مباشر، مشكلة كثافة ٣٠ ــ ٤٠ وحدة في قطاعات الخرق لكل كيلو متر واحد، ثم أُلحقت هذه الدبابات بعد ذلك بقوام الطلائع، وتقرر زج المجموعة المتحركة للجبهة بقوام فيلق ميكانيكي، بعد احتلال موداتسيان إلى عمق نحو ١٠٠ كم من الحد الأمامي لتطوير الهجوم. كما دعت شروط الموقف أيضاً إلى تخطيط من نوع خاص للأعمال القتالية للمدفعية والطيران، حيث لم يخطط إجراء تمهيد مدفعي في جبهة البايكال، بل أسندت إلى المدفعية مهمة دعم القوات المهاجمة حسب انتشارها. كذلك خطط في جبهتي الشرق الأقصى لهجوم جوي ومدفعي بالحجم الكامل. والسمة المميزة لتنظيم التمهيد المدفعي كانت بسبب الظروف المختلفة لهجوم الجيش، حيث ارتُئي أن لا يخطط على مستوى الجبهة بل على مستوى الجيش. وكان من عيوب التخطيط استخدام طيران جبهة البايكال في شروط خوض العمليات إلى عمق كبير وبوتائر عالية دون حساب مسبق لموضوع القواعد اللازمة له.

أما أكبر مهام القوات الهندسية كان إعداد شبكة الطرقات لتأمين حركة القوات في أراضٍ وعرة، وطرق ضيقة، وتجهيز مواقع الإنطلاق للهجوم، لأنه حتى ذلك الحين حمل الإعداد الهندسي للأرض طابعاً دفاعياً صرفاً. وبسبب بعد مسرح الأعمال القتالية عن المراكز الاقتصادية، شُكلت في قوام أركان القيادة العليا لقوات الشرق الأقصى قيادة للمؤخرة، خططت نقل وتوزيع وإعادة تكديس الوسائط المادية الواصلة، وكذلك قادت فاعليات مؤخرة الجبهة.

بدأ هجوم القوات السوفيتية في الشرق الأقصى في ليلة ٩ آب (أغسطس) ١٩٤٥ في كافة الجبهات وفي وقت واحد. وفي ١٠ آب (أغسطس) أعلنت جمهورية منغوليا الشعبية الحرب على اليابان، وشاركت قواتها في الأعمال القتالية ضمن قوام جبهة البايكال في آب (أغسطس) ١٩٤٥. وقد مكّنت الضربات القوية المفاجئة التي كالتها القوات السوفييتية للعدو من وضع زمام المبادأة في يدها، وانتزاعها انتزاعاً؛ فأصيبت الأوساط الحاكمة والقيادة العسكرية اليابانية بالذهول عندما أُبلغت أنباء هجوم الجيش الأحمر، حيث صرح رئيس وزراء اليابان سودزوكي في اجتماع المجلس الأعلى لقيادة الحرب يوم ٩ آب (أغسطس) ١٩٤٥: «أن دخول الاتحاد السوفييتي الحرب هذا الصباح يضعنا في وضع لا مخرج له، تتعذر معه متابعة الحرب». إذن ليس القصف النووي لليابان هو الذي قرر مصير الحرب وأسرع بنهاية الحرب العالمية الثانية، بل هو دخول الاتحاد السوفييتي في الحرب.



(الشكل رقم ٥٠) سحق جيش كوانتون ٩ آب (اغسطس) ــ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥.

وبغض النظر عن أنه في اليوم الأول من الهجوم أصبحت الدوائر الحاكمة اليابانية تناقش بسرعة مسألة تطبيق شروط تصريح بوتسرام، فإن قيادة الجيش الكوانتوني قد أعطت أوامر بدء الأعمال القتالية ضد الاتحاد السوفييتي؛ أما الجيش الصيني فكان عليه حسب تلك الأوامر أن يخوض الحرب مع الجيش الكوانتوني. إلاّ أن القوات السوفييتية ــ رغم ندرة الطرقات، وموسم الأمطار ــ طوّرت الهجوم بوتائر عالية. ففي اليوم السادس للهجوم، قبل مغيب يوم ١٤ آب (أغسطس)، توغلت جبهتا البايكال والشرق الأقصى الأولى في عمق منشوريا بين ١٥٠ ــ ٤٠٠ كم ووصلتا إلى المراكز العسكرية ــ السياسية والصناعية الأولى، ألا وهي مدن كالغام، وجيحني، وموكدن، تشان تشون، وأصبح الجيش الكوانتوني مقطّع الأوصال.

وفي ١٤ آب (أغسطس) قررت الحكومة، وقد أحست بالهزيمة المحتومة، الاستسلام، إلا أن الجيش الكوانتوني تابع المقاومة. وهكذا، فقد تابعت القوات السوفييتية عملياتها الهجومية، وتابعت قوات الجيش الأحمر توغلها في عمق شمالي ــ شرقي الصين والغرب بين ٤٠٠ ــ ٨٠٠ كم ومن الشمال والشرق بعمق ٢٠٠ ــ ٣٠٠ كم. ووصلت القوات السوفييتية سهول منشوريا وقسمت القوات اليابانية إلى مجموعات منعزلة عن بعضها بعضاً، وأنهت عمليات تطويقها، وبدأت القوات اليابانية منذ ١٩ آب (أغسطس) تستسلم للأسر. ومن أجل الإسراع بهذه العملية ومن أجل منع القوات اليابانية من الإخلاء ومن تدمير القيم المادية. أسقطت إنزالات جوية، بين ١٨ و ٢٧ آب (أغسطس)، في خاربين، وموكدن، وتشان تشون، وغيرين، وبورث آرثر، ودالنم ويخنيان وغيرها من المدن.

وفي الوقت نفسه خاضت القوات السوفييتية أعمالاً متتالية في سبيل تحرير جنوب سخالين وجزر كوريل، وامتدت عملية الهجوم في جنوب سخالين بقوى جيش القوات المشتركة. ومن ١١ وحتى ٢٥ آب (أغسطس) كانت القوات اليابانية قد سُحقت بصورة كاملة واستسلم أكثر من ١٨ ألف عسكري ياباني.

بدأت عملية إنزال في جزر كوريل، من ١٨ آب (أغسطس) حتى ١ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٥، باحتلال سومسيو الذي كان مفاجئاً للعدو. وأثناء المعارك المحتدمة التي امتدت بين يومي ١٨ ــ ٢٠ آب (أغسطس) وقعت في صفوف العدو خسائر فادحة، واستسلمت بقية الحاميات البالغ عددها ١٢ ألف عسكري. كما قامت القوات السوفييتية بعملية إنزال في ١ أيلول (سبتمبر) في بقية سلسلة جزر كوريل. وتميزت عمليات جزر كوريل قبل كل شيء بالقدرة على تنظيم أعمال مخور عباب البحر إلى مسافات طويلة تصل إلى ٨٠٠ كم وإنزال القوات على شواطىء غير مجهزة. كذلك تميزت تلك الإنزالات بالسرية التامة أثناء مخور عباب البحر أو أثناء الإنزال، وبالأعمال الحاسمة الفجائية التي قامت بها الطلائع التي تؤمن إنزال القوات الرئيسية. هذا، وقد أسرت قطعات الجيش الأحمر عند تحرير جزر كوريل ٦٤ ألفاً من جنود وضباط الجيش الياباني.

إن الهجوم الجامع الذي شنّه الجيش الأحمر وضع القوات اليابانية في وضع لا مخرج منه، أما

حسابات القيادة اليابانية في الدفاع المستميت والقيام بعد ذلك بهجوم معاكس عام فقد أحبطت جميعاً . ومع هزيمة وانكسار الجيش الكوانتوني وخسارة شمال شرق الصين وكوريا الشمالية فقدت اليابان القوى الحقيقية ، وإمكانات متابعة الحرب . عندها وقّعت الحكومة اليابانية في ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ وثيقة الاستسلام بلا قيد أو شرط .

٩ ـــ ٣ ـــ تطور فن الحرب السوفييتي في الحرب ضد اليابان

كان انتصار الاتحاد السوفييتي في الشرق الأقصى ذا أهمية تاريخية بالغة . فقد حطم الجيش السوفييتي أحد أقوى تجميعات القوات البرية اليابانية ، وسرّع في رسم نهاية الحرب العالمية الثانية . كما أنقذ هذا الانتصار آلافاً من الجنود والضباط الأمريكيين والانكليز وأوقف نزيف دماء الشعب الياباني . كذلك شكل انتصار الاتحاد السوفييتي واستسلام اليابان ظروفاً ملائمة لشعب الصين وكوريا وغيرها من دول شرقي وجنوب ـــ شرقي آسيا في نضالها من أجل الاستقلال والتحرر الوطني . كما قدم الاتحاد السوفييتي عوناً هائلاً للشعب الصيني ، إذ إن تطويق القوات اليابانية في منطقة بنشروان قد أنقذ التشكيل ٨ لجيش تحرير الصين الشعبية ، الذي كان على حافة الهزيمة ، ودفعه إلى القيام بعمليات فعّالة من أجل تمشيط الأرض من بقايا القوات .

وبعد انتهاء الحرب غادرت القوات السوفييتية أراضي الصين ، وسلم الجيش السوفييتي كافة الأعتدة القتالية والأسلحة ، والذخيرة المغتنمة من الجيش الكوانتوني إلى جيش تحرير الصين الشعبية . وفي أعقاب انتصار القوات المسلحة السوفييتية على اليابان أعيد جنوب سخالين إلى الاتحاد السوفييتي وجزر كوريل ؛ ودمرت رؤوس الجسور كافة ، والقواعد العسكرية التي أعدها العسكريون اليابانيون للاعتداء على الاتحاد السوفييتي ؛ وأعاد الجيش الأحمر الأمن إلى الحدود في الشرق الأقصى .

أسهمت الحرب السوفييتية ـــ اليابانية إسهاماً جديداً في تطوير فن الحرب ، وكانت هذه الحرب قصيرة الأمد ، ولكنها غنية من حيث المضمون ، باعتبارها قضت قضاء مبرماً على قوات يابانية هائلة خلال ٢٤ يوماً . وكانت الخسائر العامة أكثر من ٦٧٧ ألف شخص منهم ٨٤ ألف قتيل ، وأكثر من ٥٩٣ ألف أسير ؛ كما وقعت في أيدي القوات السوفييتية كميات هائلة من الذخيرة والأعتدة والأسلحة . كذلك قدمت الأعمال القتالية للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى برهاناً على إمكان إحراز الأهداف الاستراتيجية في بداية هذه الأعمال القتالية . لذلك فقد أصبحت خبرات إعدادها وخوضها ذات أهمية عملية حتى في أيامنا هذه .

أغنت القوات المسلحة السوفييتية في هذه الحرب خوض الأعمال القتالية عملياً ، وذلك على أساس انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية ، وخبرة خوض أعظم حرب في التاريخ ، وإعادة تجميع القوات على مسافات طويلة ، وطرائق تنظيم التعاون بين القوات البرية والقوى البحرية . وكانت الأعمال القتالية التي اشتركت فيها

ثلاث جبهات، والطيران والأسطول وقوات الدفاع الجوي الإقليمي أول مثال عن تحقيق عمليات الهجوم الاستراتيجي في الأراضي الجبلية ــ السيبيرية والصحراوية.

أخذت الفكرة العامة لعمليات القيادة السوفييتية بعين الاعتبار وعورة الأراضي السوفييتية ــ المنشورية. وكانت إحاطة القوات السوفييتية بأوضاع العدو في بداية الهجوم سبباً في توجيه الضربات إلى مجنبات الجيش الكوانتوني، وسرعة الإحاطة العميقة بقواه الرئيسية، وبعثرتها إلى أجزاء. وكان اتجاه الضربات الرئيسية في الجبهات إلى مجنبات ومؤخرات التجمعات الرئيسية للعدو، الأمر الذي قطع الاتصال ما بينه وبين البر الياباني، والاحتياطات الاستراتيجية المتحشدة في شمالي الصين. وكانت التجمعات الرئيسية قد تركّزت في قطاع ٢٨٠ ــ ٣٠٠ كم، الأمر الذي شكل ٧٪ من امتداد الجبهة كلها. ووجهت الضربات الثانوية على أساس منع العدو من إمكانات زج القوات على الاتجاهات الرئيسية.

كان العمق الكبير الذي يتراوح بين ٢٠٠ إلى ٨٠٠ كم، وقطاعات الهجوم العريضة لمعظم الجيوش ٢٠٠ ــ ٢٥٠ كم، واستخدام المناورات بهدف الإحاطة والإلتفاف والتطويق لتجميعات العدو، هي السمات الأكثر تميزاً في عمليات الجبهات والجيوش. كما كانت الإيقاعات العالية للهجوم التي بدت كبيرة جداً بالنسبة لشروط المسرح الغربي تتراوح بين ٤٠ ــ ٥٠ كم في اليوم، ووصلت في بعض الأحيان إلى ١٠٠ كم. وهاجمت جيوش القوات المتحركة والجيوش المدرعة في معظم الأحوال حتى نهاية عمليات الجبهات إلى كامل عمقها. كذلك تميزت العمليات الهجومية بتبعثر الأعمال القتالية ليس فقط في الجبهات والجيوش، ولكن أيضاً في التشكيلات. كما بنيت عمليات كافة الجبهات والجيوش على مبدأ توجيه ضربات مفاجئة، مع زج قوى كبيرة فوراً وبصورة مباشرة، ولم ينفذ التمهيد الجوي والمدفعي ــ كقاعدة.

وأكدت خبرة استخدام القوات المدرعة والميكانيكية في شروط الشرق الأقصى إمكانات استخدامها الواسع كقوى رئيسية للتجميعات الضاربة للجبهات، أو مع تشكيلات المشاة. كما أمّن استخدام الجيش المدرع في النسق الأول للجبهة حسمية الأعمال، والتقدم بإيقاعات عالية يسبق قوات العدو في الوصول، وإحراز أهداف عمليات الجبهات بسرعة. كذلك أمّن تزايد وتنامي الإمكانات القتالية، للأعتدة القتالية الاستخدام الشامل للقوات المدرعة في المناطق الصعبة الاجتياز. لذلك فإن الاستخدام العملياتي الواسع قد برهن بصورة أكيدة أن التشكيلات المدرعة هي القادرة أكثر من غيرها على القيام بأعمال الالتفاف والإحاطة المفاجئة والجامحة والعميقة بالعدو. وكانت مجنباتها المفتوحة أقل تعرضاً وخطراً؛ ويعتبر هذا الأمر بالغ الأهمية عند العمل على الاتجاهات المستقلة، والمبعثرة بفرج واسعة خالية من القوات بينها، كما كان الأمر عند اجتياز المرتفعات الجبلية في بول هينغان وصحاري غوبي.

وكان الطيران السوفييتي الذي قام بأكثر من ٢٢ ألف طلعة، واسطة قوية في الصراع، وأثّر تأثيراً بالغاً على سير الأعمال القتالية ومصائرها. كما أمن الطيران السيطرة الجوية، واستخدم كثيراً في أعمال الاستطلاع ووجه ضربات نصف جوي ضد الأغراض في المؤخرة، ودمّر نقاط الاستناد وعقد المقاومة، ودعم القوات البرية عند ملاحقة العدو، ونفذ عمليات الإنزال الجوي وكذلك إمداد القوات بالوسائط اللازمة،

وخاصة الذخائر والوقود للدبابات ؛ كما أنزل في الأعمال القتالية ١٦٥٠٠ شخص و٢٧٨٠ طن وقود و٥٦٣ طن ذخيرة و ١٥٠٠ طن حمولات أخرى .

كذلك لعبت المدفعية دوراً كبيراً عند خوض الأعمال القتالية في الاتجاهات التي كان فيها الهجوم متعلقاً بخرق المناطق المحصنة ، وشكلت فيها كثافات حتى ٢٠٠ ــ ٢٤٠ مدفعاً وهاوناً في كل كيلو متر واحد من الجبهة ، وأثناء المطاردة أصبح العبء الرئيسي ملقى على عاتق المدفعية م / د في الأفواج والفرق ، في الصراع ضد العدو . وتُركت الأعتدة الثقيلة في الشروط النوئية الصعبة ، والقطاعات الصعبة الاجتياز من الأرض في أماكنها ، لأنها كانت تعيق المشاة والدبابات عن سرعة التقدم .

وفي الحرب تعاونت مشاة القوات البرية السوفييتية بصورة وثيقة مع الأسطول البحري ، وخاصة عند القيام بعمليات الإنزال البحري عند تأمين المجنبات البحرية للقوات المهاجمة وعند تنظيم الدفاع عن الشواطىء .

ولعبت القوات الهندسية دوراً محسوساً في الحرب عند اقتحام التحصينات المعادية وعند تمديد خطوط الأرتال ، وتأمين عمل القوات في عمق دفاع العدو ، وعند اجتياز الموانع المائية . أما باقي المهام الهندسية فقد نفذتها القوات . وكان إمداد القوات بالمياه مسألة جديدة كل الجدّة في أثناء سير القتال ، حيث اضطرت القوات إلى التقليل من معدلات استهلاك المياه ، وأرسلت مفارز خاصة لاستطلاع المياه وتجهيز مصادر المياه على محاور حركة القوات ؛ وبذلك تمكنت القوات من حل هذه المشكلة بنجاح . كما أثبتت خبرات قيادة القوات العاملة على اتجاهات متشعبة بوتائر هجوم عالية أنه يجب أن تملك التشكيلات المتحركة كميات كافية من الأجهزة اللاسلكية القوية ، بحيث تؤمن الاتصال في أثناء حركة القوات دون توقف . وتطلبت شروط الأرض الجبلية السيبيرية التقريب بين القوات وبين عناصر القيادة ، وتعزيز القادة الرؤساء بعناصر قيادية للقيام في أكثر الاتجاهات أهمية .

وعند دراسة المسألة المتعلقة بالسمات البارزة لتكتيك القوات السوفييتية ، يتعين علينا القول إن المفاجأة قد استخدمت بصورة مبدعة في الأعمال القتالية ، وإنها أصبحت أحد أهم خصائص الأعمال القتالية ؛ كما أمّنت أعمال التمويه الدقيق والتحول إلى الهجوم الفعلي ، في الظروف النوئية الصعبة ، وفي القطاعات التي كان يعتبرها العدو غير ملائمة للاجتياز لأعداد كبيرة من القوات ، نتائج ذات أهمية عملياتية كبيرة .

وعند خرق المناطق المحصنة للقوات اليابانية لعبت الكتائب الأمامية دوراً كبيراً ، وقامت بأعمال مفاجئة وحاسمة أثناء الليل ، وسهلت مهمة تدمير ، أو محاصرة أكثر نقاط الاستناد أهمية ، وكانت القوى الرئيسية تستخدم نجاحات هذه الكتائب ، حيث كانت تتحول إلى الهجوم دون تمهيد مدفعي وجوي .

وفي أثناء المطاردة استخدمت على نطاق واسع الطلائع التي شكلت في كافة الفرق والفيالق في الأنساق الأولى للجيش ، وكانت أكثر قوة من حيث القوام وأكثر من الأرض السهلية ، حيث خلقت ظروفاً

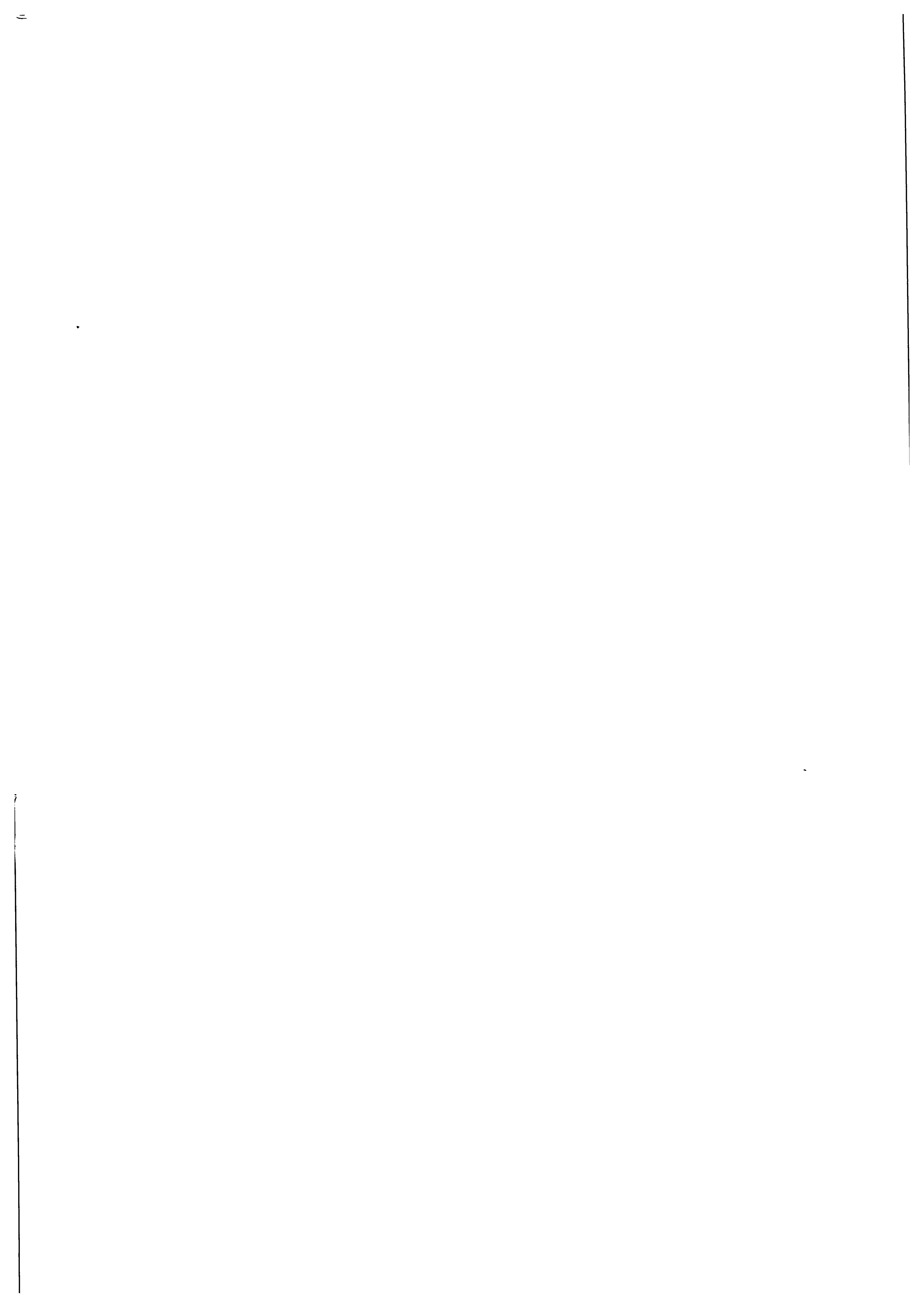
ملائمة لتطوير الهجوم بإيقاعات عالية، وهي تعمل بمسافة تتراوح بين ١٠ ـــ ١٥ كم عن القوى الرئيسية للتشكيل.

لقد أظهرت قطعات القوات المشتركة وتشكيلاتها ذات التنظيم العضوي الطبيعي في ظروف الشرق الأوسط قدرة رفيعة على المسير، وقدرة على التوجه في أكثر الأراضي صعوبة. ويعتبر الحل الناجح للمهام القتالية المعقدة في الحرب ضد اليابان دليلاً ساطعاً على الطابع الإبداعي لفن الحرب السوفييتي. كذلك تلقّى الجيش الأحمر في الأعمال القتالية في الشرق الأقصى خبرات خوض العمليات الهجومية في مسرح الأعمال الحربية المعقّد، مع الاستخدام الواسع لكافة أنواع القوات المسلحة. ولا شك في أن لهذه الخبرة أهمية نظرية حتى في أيامنا هذه.

نتائج تطوّر فن الحرب السوفييتي
خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى

«ستظل الإنسانية تذكر بالشكر والامتنان تلك المأثرة العظيمة التي حققها الشعب السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية، والتي سطرتها ملايين الأبطال المعروفين والمجهولين، الذين قصموا ظهر الفاشية وحملوا مشعل الحرية إلى شعوب العديد من بلدان العالم».

ل. ي. بريجنيف



١٠ ــ ١ ــ النتائج السياسية ــ العسكرية للحرب الوطنية العظمى

انتهت الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفييتي، بالنصر المؤزر على الفاشية. وقد كانت تلك الحرب أقصى وأمرّ حرب عرفتها شعوب الاتحاد السوفييتي حتى الآن. فالأمبريالية الألمانية وضعت نصب عينيها هدف تدمير أول دولة اشتراكية في العالم، وإبادة الملايين من شعوبها، واستعباد هذه الشعوب وشعوب البلدان الأخرى.

لقد كان للنصر الذي حققه الشعب السوفييتي في الحرب العالمية الثانية أهمية تاريخية كبرى. فالخدمة الجليلة التي قدمها الاتحاد السوفييتي إلى الإنسانية جمعاء تنحصر في أن الاتحاد السوفييتي أنقذ الكثير من شعوب البلدان الكبرى والصغرى من نير الاحتلال الفاشي. وبنتيجة ذلك شقّت دول كثيرة في أوروبا وآسيا طريقها نحو الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعي. هذا، وقد تمكنت القوات السوفييتية خلال الحرب من تحرير ١٣ دولة في أوروبا وآسيا يبلغ تعداد سكانها أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة، من نير الاحتلال الألماني والياباني.

إن أهم أثر لذلك الانتصار هو اتساع وتعاظم حركات التحرر الوطني في البلدان المستعمرة. فقد ظهرت إلى الوجود أكثر من ٧٠ دولة مستقلة على أنقاض المستعمرات السابقة.

لقد تحقق النصر على الغزاة الفاشيين في سنوات الحرب العالمية الثانية بالجهود المشتركة للعديد من شعوب العالم؛ إذ تشكل تحالف قوي مضاد للهتلرية خلال تلك الحرب. والجدير بالذكر أن شعوب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لعبت دوراً كبيراً في تحقيق هذا الانتصار العظيم. وإلى جانب المقاتل السوفييتي عمل بضراوة وإصرار المقاتل البولوني والتشيكوسلوفاكي واليوغوسلافي، وكذلك المقاتل البلغاري والروماني في المرحلة الأخيرة من الحرب. غير أن العبء الأكبر لهذه الحرب ألقي على عاتق الشعب السوفييتي وقواته المسلحة، التي لعبت الدور الحاسم في إحراز النصر على ألمانيا الفاشية.

امتدت رقعة الحرب العالمية الثانية بحيث شملت إحدى وستين دولة يبلغ تعداد سكانها ١ر٧ مليار نسمة ؛ أي ما يساوي أكثر من ٨٠٪ من سكان الكرة الأرضية . كما أن الدول المتحاربة عبّأت ما يزيد عن ١١٠ ملايين رجل ؛ أي بزيادة ٤٠ مليوناً عمّا كان في الحرب العالمية الأولى . أما الخسائر فقد بلغت ٥٠ مليون ضحية ؛ أي بزيادة خمسة أضعاف عن خسائر الحرب العالمية الأولى .

كانت الحرب العالمية الثانية أكثر الحروب التي شهدها التاريخ خراباً وتدميراً . وممّا يجدر ذكره أن الاتحاد السوفييتي ، الذي قدم أكثر من ٢٠ مليون شهيد ، تحمّل القسط الأكبر من الخسائر والأضرار المادية . فالغزاة الهتلريون دمروا وأحرقوا ١٧١٠ مدن سوفييتية ، وأكثر من ٧٠ ألف قرية ومزرعة ، و ٣٢ ألف منشأة صناعية . حتى إن الخسائر الإجمالية التي لحقت بالاقتصاد الوطني وبممتلكات بعض المواطنين بلغت ٦٧٩ مليار روبل ، نتيجة للتدمير المباشر فقط وأعمال السلب والنهب .

لقد كانت الجبهة السوفييتية ــ الألمانية ، طيلة الحرب العالمية الثانية ، الجبهة الرئيسية والحاسمة خلال تلك الحرب ؛ إذ عمل ضد القوات السوفييتية ما يتراوح بين ١٩٠ و ٢٧٠ فرقة مختارة من الحلف الفاشي دفعة واحدة ، في حين أن القوات البريطانية ــ الأمريكية العاملة في شمالي أفريقيا ١٩٤١ ــ ١٩٤٣ لم تعمل أمامها سوى قوات فاشية محدودة يتراوح قوامها بين ٩ و ٢٠ فرقة . أما في إيطاليا فقد عمل في الفترة ما بين ١٩٤٣ ــ ١٩٤٥ ما مجموعه ٧ ــ ٢٦ فرقة ، وفي أوروبا الغربية ــ بعد فتح الجبهة الثانية ــ من ٥٦ إلى ٧٥ فرقة .

لقد كبدت القوات السوفييتية الجيش الألماني الفاشي خسائر جسيمة . فعلى الجبهة السوفييتية ــ الألمانية دمرت وأسرت القوى الرئيسية للحلف الفاشي ٦٠٧ فرق ، في حين أن الجيوش الأمريكية ــ البريطانية دمرت وأسرت ما قوامه ١٧٦ فرقة فقط . هذا ، وقد بلغت خسائر الجيش الألماني الفاشي في أثناء الحرب ضد الاتحاد السوفييتي عشرة ملايين رجل أي ما يساوي ٨٠٪ من مجموع خسائره . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن القوات السوفييتية دمرت واستولت على أكثر من ٧٥٪ من أسلحة العدو وأعتدته .

لقد ألقي على عاتق الاتحاد السوفييتي أيضاً القيام بدور حاسم في سحق اليابان الأمبريالية ، بعد تدمير جيشها الرئيسي والضارب (جيش كوانتون) . إن هذه الخسارة التي لحقت باليابان من جراء الضربة السوفييتية تعتبر من بين العوامل الأساسية التي أدت إلى هزيمة اليابان واستسلامها ، وليست الضربات الذرية التي وجهتها إليها الولايات المتحدة الأمريكية .

إن العالم بأسره يعترف بالدور الحاسم الذي قام به الاتحاد السوفييتي في سحق المعتدين الفاشيين . وقد أشار إلى ذلك مراراً المسؤولون السياسيون والعسكريون في الدول الرأسمالية إبّان سنوات الحرب . حتى إن العدو اللّدود للاتحاد السوفييتي ــ رئيس وزراء بريطانيا العظمى ونستون تشرشل ، الذي كان ينادي يوماً بفكرة خنق الاتحاد السوفييتي ــ كتب في شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ يقول : « إن أجيال المستقبل تعترف بالشكر والامتنان للجيش الأحمر كما نفعل نحن الآن ، تقديراً لأولئك الذين صنعوا هذه الانتصارات

العظيمة». (انظر، المراسلات بين رؤساء الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء الحكومة البريطانية، في المجلد الأول، الصفحة ــ ٣١٠).

لكن المؤرخين البورجوازيين في الوقت الحاضر يعملون على تشويه صفحات تاريخ الحرب العالمية الثانية وتزييف حقائقها وأحداثها، بهدف الإقلال من دور الاتحاد السوفييتي وشأنه في سحق الفاشية، وزيادة دور الدول الغربية الكبرى في هذا المضمار. إن هؤلاء ينسبون أسباب هزيمة ألمانيا الفاشية إلى أخطاء هتلر بالذات، وإلى اتساع رقعة الاتحاد السوفييتي، وزيادة عدد سكانه، وكذلك الشروط المناخية القاسية والطبيعية وغيرها من العوامل والمصادفات الأخرى التي واجهتها القوات الألمانية داخل الاتحاد السوفييتي. غير أن المنظّرين العقائديين في الدول الأمبريالية عاجزون عن تزييف الحقائق التاريخية الثابتة. فشعوب العالم تذكر جيداً، أن الاتحاد السوفييتي كان القوة الرئيسية التي سدت الطريق أمام الفاشية الألمانية، ومنعتها من تحقيق السيطرة على العالم، وأن الشعب السوفييتي حمل على أكتافه الثقل الأكبر لهذه الحرب.

١٠ ــ ٢ ــ تطوّر الاستراتيجية العسكرية السوفييتية خلال سنوات الحرب غ. ك. جوكوف ــ المنظم البارز، وقائد العمليات الاستراتيجية للقوات المسلحة السوفييتية

لقد كانت الحرب الوطنية العظمى أفضل مخبر شامل وعملي لفن الحرب السوفييتي. كما أن خبرات الحرب وتجاربها أكدت على أن الأفكار والمبادىء النظرية للعلم العسكري السوفييتي السائدة قبل الحرب، والأشكال التنظيمية للقوات، كانت صحيحة بصورة عامة، لأنها أثبتت فاعليتها من خلال الاختبارات والتجارب التي مرت بها في الشروط القاسية.

ومع ذلك فإن الحرب أكدت على أن المؤلفات العسكرية النظرية السوفييتية التي صدرت قبل الحرب لم تبذل اهتمامها الكافي لمعالجة المسائل المتعلقة بصد الضربة المفاجئة للمعتدي في المرحلة الأولى من الحرب، مما أدى إلى عدم وجود نظرية خوض الدفاع الاستراتيجي في شروط الهجوم المفاجىء للعدو.

وخلال سير الأعمال القتالية التي شهدتها المرحلة الأولى للحرب لم تثبت صحتها وجهات النظر حول بنية الدفاع البؤري بدون شبكة متطورة من الخنادق وخنادق المواصلات، وحول تقسيم تراتيب القتال إلى مجموعات ضاربة، ومجموعات تثبيت. إذ تبين أثناء الحرب أن بعض ما جاء في أنظمة القتال السوفييتية، وخاصة ما يتعلق منها بمسائل بنية تراتيب القتال، ودور ومكان القادة في المعركة، والدفاع المضاد للدبابات، عبارة عن أفكار ومنطلقات قديمة لا تصلح في مثل شروط هذه الحرب. وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر تقصير آخر في معالجة وتحديد المسائل المتعلقة بمرافقة المدفعية للمشاة والدبابات، والتعاون بين القوات البرية والطيران، وخروج القوات من المعركة والانسحاب.

لكن فن الحرب السوفييتي في سنوات الحرب الوطنية العظمى برهن بصورة عامة على تفوقه الكامل أمام الفنون العسكرية الأخرى لدى بلدان الحلف الفاشي، وظل محافظاً على هذا التفوق حتى النهاية.

وقد برز الدور المتعاظم للسياسة في مجال تطوير الاستراتيجية العسكرية السوفييتية إبان سنوات الحرب، إضافة إلى العلاقة المشتركة بين الاقتصاد والبناء الاشتراكي السياسي. وفي أثناء تحديد الأهداف الاستراتيجية كانت القيادة السياسية للدولة السوفييتية تنطلق دوماً من واقع شروط الموقف المتشكل، والإمكانات الاقتصادية، والسياسية المعنوية، والعسكرية للبلاد، وللعدو.

إن سير الحرب الوطنية العظمى أكّد بما لا يقبل الشك، بأن الأخذ بزمام المبادرة الاستراتيجية، وخاصة في المرحلة الأولى من الحرب، يشكل واحداً من أهم الشروط لتحقيق النجاح في خوض الصراع المسلح. والجدير بالذكر أن زمام المبادرة الاستراتيجية كان ينقل من طرف إلى آخر على الجبهة السوفييتية ــ الألمانية، تبعاً للشروط والمواقف المستجدة آنذاك. ففي البداية ظلت القيادة الألمانية تحتفظ لنفسها، ولمدة طويلة بزمام المبادرة الاستراتيجية. وفي شتاء عام ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ انتزع الجيش الأحمر زمام المبادرة من العدو بعد أن قام بأعمال هجومية في ضواحي لينينغراد وروستوف وموسكو. إلا أنه في صيف عام ١٩٤٢ استطاع الهتلريون استرجاع زمام المبادرة الاستراتيجية من جديد. وفي شتاء عام ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ انتزع الجيش الأحمر من جديد زمام المبادرة الاستراتيجية في أعقاب عدد من العمليات الهجومية الناجحة والمنفذة على نطاق واسع. ولم تسفر المحاولات اللاحقة للقيادة الألمانية عن أي نجاح بغية تغيير الوضع لصالحها، وبخاصة محاولاتها في صيف عام ١٩٤٣ في أثناء ملحمة كورسك. ومنذ هذه اللحظة استأثر الجيش الأحمر بزمام المبادرة الاستراتيجية، وحقق السحق الكامل للعدو وإجباره على الاستسلام. ومن هنا نستطيع الإستنتاج بأن الأخذ بزمام المبادرة الاستراتيجية والمحافظة عليها كان العامل الأساسي في تحقيق تلك النتيجة المظفرة للصراع المسلح.

لقد استخدمت القوات السوفييتية إبان الحرب الوطنية العظمى نوعين أساسيين من الصراع المسلّح هما: «الدفاع الاستراتيجي»، و«الهجوم الاستراتيجي»، وذلك تبعاً لشروط الموقف المتشكّل والأهداف المحددة للحرب. وكان النوع الأساسي لأعمال الجيش الأحمر يتمثل في الهجوم الاستراتيجي الذي تمّ خلاله سحق القوى الرئيسية لألمانيا الفاشية واليابان الأمبريالية. فمن بين تسع حملات عسكرية نفذت سبع حملات هجومية. وفي كل حملة منها كانت القوات المسلحة السوفييتية تنفذ عدداً من العمليات الهجومية الاستراتيجية الواسعة النطاق.

إن خبرات الحرب وتجاربها أغنت الاستراتيجية السوفييتية في مجال تنظيم الدفاع الاستراتيجي وتنفيذه، الذي انتقلت إليه القوات السوفييتية ثلاث مرات: في صيف وخريف العام ١٩٤١ بصورة اضطرارية، وفي العام ١٩٤٢ بصورة مسبقة، وفي العام ١٩٤٣ عن سبق إصرار وتصميم. وفي كافة الحالات كان الهدف من ذلك صد هجوم العدو، وإنهاك قواه، وخلق الشروط المواتية للانتقال إلى الهجوم الحاسم.

خلال الحرب نفذت القوات السوفييتية حملتين دفاعيتين وتسع عمليات دفاعية استراتيجية. والجدير بالذكر أن أسباب انتقال القوات السوفييتية إلى الدفاع كانت مختلفة كل الاختلاف. ففي صيف وخريف العام ١٩٤١ حدث ذلك نتيجة للهجوم المفاجىء من قبل القوات الألمانية، وفقدان زمام المبادرة

الاستراتيجية في أعقاب العمليات الحدودية غير الناجحة، الأمر الذي أدّى إلى حدوث التبدل الحاد في ميزان القوى لصالح العدو. وفي صيف العام ١٩٤٢ جاء الانتقال إلى الهجوم نتيجة للهزيمة التي منيت بها القوات السوفييتية، في شبه جزيرة القرم وفي منطقة خاركوف. إلا أن جبهة الدفاع كانت مختلفة؛ ففي العام ١٩٤١ نفذ الدفاع على طول امتداد الجبهة السوفييتية — الألمانية البالغة ٤٠٠٠ كيلو متر، أما في العام ١٩٤٢ فقد دارت الأعمال الدفاعية على الاتجاه الجنوبي — الغربي فقط.

وفي هذه الأثناء كانت أهداف الدفاع تتحقق عن طريق القيام بعمليات دفاعية بقوى عدد من الجبهات. أما إضعاف العدو، وإحباط خططه، والإقلال من إمكاناته الهجومية، فإن ذلك كله كان يتحقق عن طريق المقاومة الصلبة والعنيدة من جانب القوات السوفييتية، وعن طريق إقامة الخطوط الدفاعية على نطاق واسع والتمسك بها، وإقامة شبكة من الحواجز على الطرقات.

لقد تميز دفاع القوات السوفييتي بالفعالية العالية، التي ظهرت من خلال تنفيذ الضربات المعاكسة القوية، والعمليات الهجومية بقوام الجبهات أحياناً، وبقوام الجيوش أحياناً أخرى.

فالإنجاز الضخم للاستراتيجية العسكرية السوفييتية في العام ١٩٤١ والعام ١٩٤٢ يتمثل في تنفيذ الهجوم المعاكس الاستراتيجي في ضواحي موسكو، وتطوره إلى هجوم عام من جانب القوات السوفييتية في شتاء العام ١٩٤١ — ١٩٤٢، وكذلك في ضواحي ستالينغراد في خريف العام ١٩٤٢. وأن الدفاع في العام ١٩٤٣ كان عن سابق إصرار وتصميم، حيث نفذ على شكل عملية استراتيجية واحدة، وكان يهدف إلى إرغام العدو على بدء الهجوم أولاً، كي يتمّ إنهاكه، واستنزاف تجميعاته في المواقع الدفاعية، ومن ثم الإنتقال إلى الهجوم المعاكس. لقد كان هذا القرار دليلاً ناصعاً على الطبيعة الإبداعية والخلاّقة لفن الحرب السوفييتي، واستخلاص العبر والدروس من العمليات السابقة. فبنتيجة إقامة ذلك الدفاع المخطط والمنسق في العمق، وكشف فكرة العدو في الوقت المناسب، لم تستطع القوات الألمانية التقدم إلاّ لمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٥ كيلو متراً، وبعدها تمّ تحطيم هذه القوات من قبل القوات السوفييتية التي سرعان ما تحولت إلى الهجوم المعاكس الكاسح.

وهكذا نرى أن الأمر الجديد في تنفيذ القوات المسلحة السوفييتية للأعمال الدفاعية يكمن في أن كل نوع من أنواع الدفاع الاستراتيجي كان ينتهي بالانتقال إلى الهجوم المعاكس الحاسم على الاتجاه الرئيسي، وبتنفيذ عمليات هجومية محدودة على الاتجاهات الأخرى.

لقد نُفّذت الأعمال الدفاعية للقوات البرية خلال سنوات الحرب بدعم قوي ونشيط من جانب الطيران، والأسطول البحري، وقوات الدفاع الجوي الإقليمي. حيث قامت القوى الجوية بتغطية القوات الأرضية وساعدتها في التمسك بالخطوط الدفاعية، كما أنها حققت التفوق الجوي الذي استأثر به الطيران السوفييتي اعتباراً من صيف عام ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب. أما الأسطول البحري فقد تعاون مع القوات البرية في أثناء القيام بالأعمال الدفاعية على الاتجاهات الساحلية، إذ إنه غطى هذه القوات من ضربات العدو البحري، ونفذ عمليات الإنزال، ودافع عن القواعد البحرية والمدن الساحلية، وشلّ المواصلات

وخطوط النقل البحرية المعادية. كذلك أمنت قوات الدفاع الجوي الإقليمي تغطية أهم الأغراض الاقتصادية والإدارية في البلاد، وعقد السكك الحديدية، والقواعد البحرية الحربية، والموانىء، كما أنها كانت تشترك في صد هجوم القوات الأرضية المعادية عند اقترابها من خط الجبهة، وفي تغطية القوات الصديقة من ضربات الطيران المعادي.

وخلال المرحلة الثانية من الحرب، تمكّنت القوات السوفيتية من انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية والمحافظة عليها بصورة نهائية. كما أن التطوّر اللاحق للاستراتيجية العسكرية السوفييتية كان بأكمله مرتبطاً بالأعمال الاستراتيجية بصورة عامة ــ الهجوم الاستراتيجي. أما في المرحلة الثالثة للحرب، فإن تطور الاستراتيجية السوفييتية ظهر من خلال التنفيذ المثالي والمتواصل للعمليات الاستراتيجية الهجومية، وذلك نظراً لتعاظم القوة القتالية للجيش الأحمر، وتكديس احتياطات استراتيجية ضخمة.

لقد تمّ بنجاح إيجاد الأشكال الجديدة واستخدامها ــ من حيث المبدأ ــ للأعمال الاستراتيجية للقوات المسلحة، على شكل عمليات مجموعات الجبهات، التي اشترك فيها ما بين ١٠٠ ــ ٢٠٠ فرقة، و٢٠ ــ ٤٠ ألف مدفع وهاون، وما بين ٣ ــ ٦ آلاف دبابة ومدفع ذاتي الحركة، و٢ ــ ٧٫٥ آلاف طائرة. إن مثل هذه العمليات كان ينفذ على أهم الاتجاهات الاستراتيجية ويتميز بحسمية الأهداف، وبالأبعاد الكبيرة (الاتساع)، وديناميكية الأعمال القتالية، والحصول على نتائج عسكرية ــ سياسية، واستراتيجية هامة. كما أن بعض هذه العمليات كان يدور على جبهة ٨٠٠ ــ ١٠٠٠ كيلو متراً وينفذ حتى عمق ٥٠٠ ــ ٦٠٠ كيلو متراً. وفي أثناء ذلك كان يتم تحطيم التجميع المعادي الذي يتراوح قوامه ما بين ٥٠ ــ ١٠٠ فرقة.

كانت طرق تنفيذ الهجوم الاستراتيجي مختلفة كل الاختلاف.وذلك تبعاً لشروط الموقف. ففي الفترة ما بين ١٩٤١ ــ ١٩٤٣ كان الهجوم الاستراتيجي يبدأ بالهجوم المعاكس على أهم الاتجاهات. أما في العام ١٩٤٤ فإن هذا الهجوم كان ينفذ عن طريق القيام بعدد من العمليات الاستراتيجية المتلاحقة. كما أن تنفيذ مثل هذه العمليات على قطاعات متباعدة ضمن الجبهة الاستراتيجية كان يرغم العدو على نقل قواته من اتجاه إلى آخر. وبنتيجة ذلك كان بعض احتياطات العدو يتواجد في وضعية الحركة دون أن يشترك في الأعمال القتالية مباشرة، ممّا يؤدي إلى إنهاك القوات، وإلى عدم وصولها في الوقت المناسب للزج في المواقع الحاسمة. وفي شتاء العام ١٩٤٥ نفذ الهجوم الاستراتيجي بصورة عملية على طول امتداد الجبهة السوفييتية ــ الألمانية دفعة واحدة، والجدير بالذكر أن ذلك أصبح ممكناً بفضل تعزيز القوة العسكرية للاتحاد السوفييتي وتعاظمها في تلك الفترة.

إن الاستراتيجية السوفيتية استطاعت أن تنفذ خلال الحرب مهمة كسر الدفاع المعادي بسرعة ونجاح. ولهذه الغاية تركزت أعداد هائلة من القوات والأعتدة على قطاعات ضيقة. كما أن الاستخدام الواسع للقوات المدرعة والميكانيكية زاد إلى حد كبير، ليس من وتيرة الهجوم فحسب، بل ومن عمق العمليات الاستراتيجية أيضاً.

لقد استوعب الجيش الأحمر فن تحضير العمليات وتنفيذها لتطويق تجميعات العدو الكبيرة وتدميرها. وأصبحت هذه العمليات كنزاً هاماً من كنوز النظرية والتطبيق. ليس بالنسبة لفن الحرب السوفييتي فحسب، بل ولفن الحرب العالمي أيضاً. وأصبح توجيه الضربات على الاتجاهات المتلاقية الشكل المميّز لتنفيذ مثل هذه العمليات. إلا أنه استخدمت أشكال أخرى: مثل توجيه عدد من ضربات التجزئة مع تطويرها في العمق وباتجاه المجنبات، كما استخدمت الضربات القوية أيضاً بهدف تمزيق التجميع المعادي الكبير وتحطيمه بالتالي على مراحل.

إن ما يلفت الانتباه بصورة خاصة تطويق التجميعات المعادية الكبيرة على عمق كبير وبنتيجة المطاردة العملياتية، كما حصل ذلك في منطقة مسنسك على عمق ٢٠٠ كم، وفي منطقة بوزناني على عمق ٣٠٠ كم.

خلال سنوات الحرب تميزت الحملات الهجومية، والعمليات الاستراتيجية بازدياد أبعادها بالتدريج. وهذا يعود سببه بالدرجة الأولى إلى تزايد حجم القوى والوسائط المشتركة في الهجوم، وازدياد امتداد جبهة الهجوم، وعمق تقدم القوات. فحجم القوة البشرية التي اشتركت في الحملات خلال المرحلتين الثانية والثالثة للحرب يزيد بمقدار ٥ر١ ضعفاً، والمدافع والهاونات ٣ ــ ٥ر٣ أضعاف، والدبابات ٣ ــ ٦ أضعاف والطائرات ٣ ــ ٤ أضعاف عمّا كانت عليه في المرحلة الأولى للحرب، كما أن امتداد جبهة الهجوم للقوات السوفييتية ازداد أيضاً بمقدار ٢ ــ ٣ أضعاف، وازداد عمق التقدم بمقدار ٢ ــ ٥ر٢ ضعفاً أيضاً.

ومن الملاحظ أن هناك زيادة حادة في التفوق على العدو بالقوى والوسائط في أثناء تنفيذ العمليات الهجومية الاستراتيجية. فإذا كانت نسبة القوى خلال الهجوم المعاكس في ضواحي موسكو لصالح العدو، ما عدا الطيران، وفي الهجوم المعاكس في ضواحي ستالينغراد ــ متساوية، فإن القوات السوفييتية كانت تتفوق عدة أضعاف على قوات العدو في عمليات المرحلة الثالثة للحرب.

وهكذا، استطاعت القيادة السوفييتية خلال الحرب أن تعالج بنجاح مشاكل التعاون الاستراتيجي. وتحقق ذلك عن طريق تنسيق أعمال الجبهات، وطيران المدى البعيد، والأسطول البحري، وقوات الدفاع الجوي الإقليمي، وكذلك أعمال الأنصار، وذلك من حيث الهدف والمكان والزمان، بغية تحقيق الأهداف المشتركة للعمليات.

لقد كان للاحتياطات الاستراتيجية أهمية كبيرة في تحضير الأعمال العسكرية وتنفيذها بنجاح. وأكدت خبرات الحرب على ضرورة تشكيل هذه الاحتياطات باستمرار، وتكديسها وانتشارها السريع. كما كان الاستخدام الكثيف لهذه الاحتياطات على الاتجاهات الحاسمة أحد أهم العوامل التي أمنت للجيش الأحمر انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من يد العدو. والأمر الجديد هنا هو أن احتياط القيادة السوفييتية لم يضم جيوشاً فقط، بل كان يضم جبهات أيضاً. وتبعاً لتوفر القوى والوسائط، وشروط الأعمال العسكرية، كانت تشكل الاحتياطات بصور مختلفة: ففي المرحلة الأولى للحرب شكلت هذه الاحتياطات

على حساب التشكيلات الجديدة، وبعد ذلك أخذت تشكل بصورة عامة عن طريق سحب التشكيلات والجحافل من قوام الجبهات إلى مؤخرة البلاد لإعادة تشكيلها، ومن هناك ترسل هذه التشكيلات من جديد إلى الجيش العامل. والجدير بالذكر أن المناورة الماهرة بالاحتياطات الاستراتيجية لعبت دوراً كبيراً في تحقيق النصر.

استطاعت القيادتان العسكرية والسياسية السوفييتيتان الحصول على خبرات كبيرة، خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى، في مجال تعبئة كافة قوى ووسائط البلاد وقواتها المسلحة لصدّ العدو، وقيادة الصراع المسلح. وكانت لجنة الدفاع الوطني التي شكلت في ٣٠ حزيران (يونيو) عام ١٩٤١ قد أمنت الوحدة للقيادتين السياسية والعسكرية، لأن سلطات الدولة بأكملها أصبحت محصورة بين أيدي هذه اللجنة.

أما القيادة الاستراتيجية للصراع المسلح فقد تولتها القيادة العامة العليا التي كان يرأسها ي. ف. ستالين طيلة سنوات الحرب. وابتداء من تشكيل هذه القيادة العليا أخذت تمارس القيادة الاستراتيجية للقوات عن طريق القادة العامين للاتجاهات. وبعد ذلك، أي منذ العام ١٩٤٢ وحتى ١٩٤٤، ازدادت أبعاد الجبهة السوفييتية إلى طريقة جديدة في القيادة، وهي القيادة عن طريق ممثلي القائد العام الأعلى. وكان هؤلاء الممثلون ينسقون أعمال الجبهات، ويراقبون التنفيذ الدقيق والحازم لتوجيهات القائد العام الأعلى. وعندما حصل قادة قوات الجبهات على الخبرات، وتقلصت خطوط الجبهات وعددها إلى حد كبير، انتقلت القيادة العامة العليا في العام ١٩٤٥ إلى طريقة قيادة القوات عن طريق قادة الجبهات مباشرة. وقبل بدء الأعمال القتالية ضد اليابان شكلت على مسرح أعمال الشرق الأقصى، البعيد كثيراً عن مركز البلاد، قيادة عامة عليا للقوات في العام ١٩٤٥. وبذلك فإن القيادة السوفييتية كانت تنتقل مراراً من طريقة إلى أخرى في قيادة القوات، آخذة بعين الاعتبار خصائص الموقف الاستراتيجي المتشكل.

إن أهم القرارات لم تتخذها القيادة العامة العليا إلاّ بعد إعدادها بدقة في الأركان العامة، ودراستها بحضور المسؤولين في الأركان العامة وقادة القوات المسلحة والصنوف، أما عند التخطيط للعمليات فكانت تدرس القرارات بحضور قادة الجبهات أيضاً.

لقد استطاعت المركزية الحازمة في القيادة العسكرية أن تؤمن توجيه الأعمال العسكرية وفق فكرة استراتيجية موحدة، وحشد الجهود لتنفيذ المهام الرئيسية للحرب. وفي هذا الوقت بالذات كانت القيادة العامة العليا تبدي المرونة في القيادة وتمنح حرية الخلق والإبداع والتفكير إلى قادة قوات الجبهات في أثناء قيامهم بتحضير العمليات وتنفيذها وفقاً للمهام المسندة إليهم.

لقد لعب قادة قوات الجبهات، والمسؤولون العاملون في الأركان العامة، وقادة أنواع وصنوف القوات المسلحة دوراً بارزاً في قيادة الأعمال العسكرية. ومن أبرز القادة السوفييت الذين ذاع صيتهم خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى: مارشال الاتحاد السوفييتي (غ. ك. جوكوف). ونظراً لعبقريته العسكرية الفذة

فقد تميز جوكوف بخصائص هامة أبرزها القدرة على تقييم الموقف المتشكّل بصورة صحيحة، والتنبؤ بسير الأحداث.

إبان الحرب الوطنية العظمى، أرسلت القيادة السوفييتية المارشال جوكوف، مراراً، إلى القطاعات الأكثر صعوبة، حيث يدور الصراع الحامي الوطيس مع المحتلين الألمان. ففي الأيام الأولى للحرب عمل باعتباره ممثلاً للقائد العام الأعلى، وبالاشتراك مع قيادة الجبهة الجنوبية ـ الغربية، على تنظيم الضربة المعاكسة بقوى عدد من الفيالق الميكانيكية، في منطقة مدينة برودي، بهدف إفشال محاولات القيادة الألمانية الرامية إلى خرق الدفاع من الحركة والزحف نحو كييف. وفي آب (أغسطس) / أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ عيّن المارشال جوكوف قائداً لقوات الجبهة الاحتياطية على اتجاه موسكو. واستطاعت هذه الجبهة بقيادته أن تنفذ بنجاح ولأول مرة في الحرب الوطنية العظمى، العملية الهجومية لسحق التجميع الألماني الضارب في منطقة مدينة إيلني. وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٤١، وعندما تأزم الموقف الاستراتيجي في ضواحي لينينغراد، عيّن جوكوف قائداً لقوات جبهة لينينغراد. والجدير بالذكر هنا، أن نشير إلى أن المارشال جوكوف الذي لم يتولّ قيادة هذه الجبهة إلاّ لشهر واحد فقط، استطاع أن يفعل الكثير من أجل تعزيز الدفاع عن المدينة. كما أن قوات جبهته تمكنت من إيقاف العدو، وإفشال محاولاته الرامية لاقتحام المدينة من الحركة.

وخلال الأيام العصيبة التي واجهها الدفاع عن موسكو، استدعي المارشال جوكوف على جناح السرعة من لينينغراد، وأصبح قائداً للجبهة الغربية اعتباراً من ١١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١. كما ألقيت على عاتقه مسؤولية الدفاع عن مدينة موسكو على الخطوط الواقعة على مسافة ١٠٠ ـ ١٢٠ كم إلى الغرب من العاصمة. وباعتباره قائداً للجبهة الغربية فقد تحمل قسطاً كبيراً في سحق الغزاة الألمان على مشارف موسكو. كما أن قوات الجبهة تمكنت بقيادته من إنهاء واستنزاف القوات الفاشية المختارة في معارك دفاعية قاسية وفي ظروف التفوق المعادي، ومن ثم الانتقال إلى الهجوم المعاكس الحاسم بالتعاون مع قوات جبهتي «كالينين» و «الجنوبية ـ الغربية»، وإنهاء سحق القوات المعادية ودحرها لمسافة ١٠٠ ـ ١٥٠ كم عن موسكو.

في شهر آب (أغسطس) عام ١٩٤٢، وعندما زحف العدو مخترقاً الدفاع باتجاه نهر الدون ووصل إلى نهر الفولغا شمال ستالينغراد، وشكل بذلك تهديداً ليس لمدينة ستالينغراد فحسب، بل وللجناح الجنوبي للقوات السوفييتية أيضاً، عيّن المارشال جوكوف نائباً أوّل لوزير الدفاع ونائباً للقائد العام الأعلى، وأرسل إلى مشارف ستالينغراد لتقديم المساعدة إلى قادة الجبهات هناك، حيث كان الموقف في ضواحي ستالينغراد بالغ التعقيد. ففي شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٢ أمر هتلر باقتحام المدينة والاستيلاء عليها. وفي هذه الأثناء كان المارشال جوكوف قد اقترح البدء بالهجوم المعاكس وتوجيه الضربات إلى مجنبات التجميع المعادي. لكن ستالين رأى أن البلاد لم تكن قادرة في هذه المرحلة على تنفيذ عملية من هذا النوع. إلاّ أنه أقنع القائد العام الأعلى أخيراً بصحة آرائه وتمّ تنفيذ العملية بصورة رائعة. ومنح المارشال جوكوف وسام سوفوروف من الدرجة الأولى تقديراً لقيادته الناجحة وإشرافه على الهجوم المعاكس المظفر.

وبصفته نائباً للقائد العام، فقد قام جوكوف في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٣ بتنسيق أعمال جبهة «فولخوف» مع أعمال جبهة لينينغراد، اللتين كانتا قد أنجزتا حصار لينينغراد. وفي العام نفسه نسّق جوكوف أعمال الجبهات الغربية والوسطى وبريانسك، ومن ثم أعمال جبهتي «فورونيج» و«ستيب»، في أثناء سحق العدو على مشارف كورسك.

لقد ذكر الكاتب والمؤرخ العسكري، والمنظّر البريطاني المعروف «ليدل هارت» في كتابه «الحرب العالمية الثانية» الذي صدر في لندن عام ١٩٧٠، مقيّماً أعمال القوات السوفييتية في حملة شتاء ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣، ومشيراً بصورة خاصة إلى المهارة الفائقة في قيادة العمليات، حيث يقول: «إن الهجوم المعاكس الذي قام به الروس تمّ تنفيذه بمهارة كبيرة وفن رفيع. فالجنرال جوكوف وجه ضرباته إلى الأماكن الأكثر ضعفاً في تراتيب قتال العدو، وبما أن حشد الجهود الهجومية على اتجاه واحد فقط يسهّل على العدو تنفيذ الدفاع، فإن جوكوف وجه ضرباته تلك على عدة اتجاهات في آن واحد، كي لا يسمح للعدو بالتقاط أنفاسه، ويرغمه على بعثرة قواه وتشتيت جهوده».

وهناك حقيقة أخرى تدل على العبقرية العسكرية التي يتحلّى بها جوكوف. ففي ربيع عام ١٩٤٣ تمت في القيادة السوفييتية العليا دراسة مسألة «الدفاع أم الهجوم على الاتجاه الجنوبي ــ الغربي؟» مراراً عديدة. وعلى الرغم من المقترحات التي تقدمت بها الأركان العامة حول ضرورة الانتقال إلى الدفاع عن سابق إصرار وتصميم، بغية تحطيم العدو المهاجم، ومن ثم توجيه ضربة الردّ القوية إليه، فإن ستالين كان متردداً إلى حد كبير. إلاّ أن مذكرة المارشال جوكوف التي أرسلت إلى ستالين في ٨ نيسان (ابريل) أصبحت النواة الأساسية لاتخاذ القرار الصحيح.

وقد جاء في هذه المذكرة: «أرى من غير المناسب انتقال قواتنا إلى الهجوم في الأيام القليلة القادمة من أجل سحق العدو، والأفضل لنا إذا ما قمنا بإنهاك قوى العدو على خطوطنا الدفاعية، وذمرنا دباباته؛ ومن ثم نزج باحتياطاتنا الجديدة وننتقل إلى الهجوم العام، كي نحطّم بصورة نهائية التجميع الرئيسي للعدو». إن هذه المقترحات التي أيّدتها الأركان العامة، تمت المصادقة عليها في ١٢ نيسان (ابريل) في أثناء الاجتماع الذي عقدته القيادة العامة العليا، وبذلك أصبحت القرار السليم الوحيد.

خلال الفترة ما بين آذار (مارس) وأيار (مايو) عام ١٩٤٤، قاد غ.ك. جوكوف قوات الجبهات، التي نفذت العمليات لتحرير أوكرانيا الجنوبية.

وفي صيف وخريف عام ١٩٤٤، نسّق أيضاً أعمال جبهتي روسيا البيضاء الأولى والثانية في أثناء تحرير روسيا البيضاء. وخلال المرحلة الختامية للحرب أي بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ وحزيران (يونيو) ١٩٤٥ قاد جوكوف قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى، التي نفذت بالاشتراك مع قوات الجبهات الأخرى عملية «الفسلو ــ أودر»، وحطمت أضخم تجميع للقوات الألمانية، واستولت على عاصمة ألمانيا الفاشية ــ برلين. وفي الثامن من أيار (مايو) ١٩٤٥ ترأس المارشال جوكوف الاحتفال التاريخي الذي أقيم في «كارل هورست» للتوقيع على صك استسلام ألمانيا در يد ولا شرط. ومن الجدير بالذكر هنا أن

نشير بشكل خاص إلى أن عملية برلين كانت قد تميزت بدرجة عالية من التوتر والإصرار من جانب الطرفين .

كما أن القيادة السوفييتية لم تكن ماهرة في التخطيط لهذه العملية فحسب ، بل كانت ماهرة أيضاً في قيادة الأعمال القتالية بحزم وثقة في أثناء تنفيذ العملية . وهنا يلعب الدور الكبير غ . ك . جوكوف أيضاً . فقد ذكر مارشال الاتحاد السوفييتي أ . م . فاسيليفسكي في المقال الذي نشره حول الذكرى الثمانين لمولد غ . ك . جوكوف ما يلي :

« كنت معجباً دوماً بطاقته التي لا حدود لها ، وبفكره الاستراتيجي الواسع والعميق ، وبشعوره الحساس بالمسؤولية الشخصية عن كل عمل يكلّف به » .

كان جوكوف مبدعاً وخلاقاً على الدوام في إعداد خطط العمليات ، وفي تحديد طرق الأعمال للقوات أيضاً . أما الصفة المميّزة له كنائب للقائد العام الأعلى ، فهي سعيه الدؤوب إلى تعليم القادة والقوات وتدريبهم على فن تحقيق النصر ، بأقل ما يمكن من الخسائر ، وبأسرع وقت ممكن . كما أنه لا بد من إبراز عبقريته التنظيمية الرائعة ؛ فبعد أن يتخذ القرار كان قادراً على تعبئة كافة القوى لتنفيذ هذا القرار على أرض الواقع ، دون أن يتقيد بالقوالب والأطر الجامدة ، ويؤيد كل ما هو جديد وطليعي في المجال العسكري .

وفي أثناء التحضير للعمليات كان المارشال جوكوف يبقى على اتصال وثيق ، ليس مع قادة الجحافل وقادة التشكيلات فحسب ، بل ومع ضباط القطعات والوحدات أيضاً ، وبخاصة العاملة منها على الاتجاهات الرئيسية . ولا شك في أن ذلك مكّنه من معرفة احتياجات المرؤوسين بعمق ووضوح ، والسيطرة على أعمالهم ، وتوجيه جهودهم نحو النصر .

لقد كان جوكوف إنساناً يتمتع برجولة تامة ، وشخصية ذات عزيمة كبيرة ورأي سديد . ففي أحرج الأوقات ، وحتى في اللحظات الخطيرة والحساسة لم يشاهده أحد مرتبكاً أو مشتت التفكير . بل على العكس من ذلك ، كانت تلك اللحظات تجعله أكثر نشاطاً وحيوية وحزماً من أي وقت آخر . وهذه الصفات يعرفها عنه جميع رفاقه الذين شاركوه الأعمال في تلك الأوقات العصيبة .

لقد أظهرت مواقع الحرب الوطنية وأحداثها الرهيبة المارشال جوكوف على حقيقته : رجلاً ذا عبقرية قيادية فذة ، متمتعاً بالجرأة في المحاكمة واتخاذ القرارات ، وبالحزم والشدة في تنفيذ هذه القرارات . ونستطيع القول ، إذا ما أنصفنا الحقيقة ، بأن جوكوف يعتبر أحد القادة العظام الذين عرفتهم الحرب العالمية الثانية .

لقد أكدت تجارب تلك الحرب وخبراتها على أن نظام القيادة الاستراتيجية الذي وضعته الحكومة السوفييتية ، والتوزيع السليم للكوادر القيادية ، كل ذلك كان يتلاءم مع متطلبات الحرب وظروفها بصورة عامة . إذ إن ذلك النظام استطاع أن يؤمن وحدة القيادة الاستراتيجية لعملية الصراع المسلح برمّتها ، وأن الاستراتيجية العسكرية السوفييتية كانت تتوافق بالكامل مع الأهداف السياسية ، وتثبت صحتها وأصالتها في مجرى الحرب الوطنية العظمى . كما أن القيادة العسكرية السوفييتية اتخذت مختلف أشكال الصراع المسلح

وطرقه، واستخدمت بمهارة ونشاط وهادفيّة كافة أنواع القوات المسلحة وصنوف القوات، وبزّت بفنها وحنكتها الاستراتيجيين العسكريين في الجيش الألماني النازي.

١٠ ـ ٣ ـ تطور فن العمليات السوفييتي

عشية الحرب الوطنية العظمى، كان فن عمليات الجيش الأحمر عبارة عن نظرية علمية حديثة وطليعية حول إعداد العمليات وخوضها. كما أن الحرب أكدت بوجه عام على سلامة وجهات النظر المحددة وصحّتها من قبل. إلاّ أن ما جاء في نظرية خوض العملية العميقة لم يستوعب بكامله من قبل القادة والأركانات، كما أن القاعدة المادية اللازمة لتطبيقه كانت غير كافية. وعلى ضوء ذلك كان من الواجب التدقيق، وإعادة النظر، في بعض الأسس والمبادىء في مجرى الحرب، وبخاصة ما يتعلق منها بتحضير العمليات الهجومية وتنفيذها. وأصبح لزاماً على القيادة السوفييتية أيضاً أن تعالج من جديد العديد من مسائل تنفيذ العمليات الدفاعية على المستويين الاستراتيجي والعملياتي.

إن عمليات القوات السوفييتية في مطلع الحرب تميزت بطابع المناورة بشكل ظاهر. فالأعمال الدفاعية غالباً ما كانت تتحول إلى أعمال هجومية، كما أن الجبهات الثابتة تحوّلت إلى جبهات متحركة، بينما دار الصراع في موقف معقّد أثناء خوض الأعمال القتالية، وتقوم بتنفيذ المناورات المطلوبة خلال العمليات.

وعند معالجة المسائل المتعلقة ببنية الدفاع على مستوى الجبهة والجيش، كانت القيادة السوفييتية تأخذ بعين الاعتبار المبادىء التي يتبعها الجيش الألماني في تحضير وتنفيذ العمليات الهجومية بالتجميعات الضاربة القوية وبالكثافات العملياتية العالية. ولذلك فإن القادة السوفييت سعوا منذ البدء إلى تشكيل دفاع عميق وثابت وقوي ومضاد للدبابات، وللمدفعية وللطيران. غير أن النقص في القوى والوسائط أثناء المراحل الأولى للحرب، ووجوب تشكيل جبهة متصلة على امتداد كبير، وتفوق العدو من الناحية الفنية، كل ذلك لم يسمح للقيادة السوفييتية بتنفيذ هذه المتطلبات. حتى أن قادة الجيوش والجبهات لم تكن في حوزتهم دوماً القوات اللازمة لتشكيل الأنساق الثانية القوية، الأمر الذي أدى إلى إقامة دفاع يفتقر إلى العمق المطلوب. كما أن عدم تأمين نقاط الفصل بصورة كافية سمح للعدو أيضاً بالخرق إلى عمق كبير، والإحاطة بالمجنبات المكشوفة للقوات السوفييتية.

في أثناء الحرب استطاعت القوات السوفييتية أن تتغلب على المساوىء في تنظيم الدفاع، كما أنها حصلت على الخبرات القتالية وطورت وسائط وطرق الصراع ضد تجميعات العدو الهجومية الضاربة. ومع نشر القوات الرئيسية، وزيادة قوام الجبهات والجيوش، سار تطوير الدفاع العملياتي باتجاه زيادة عمق هذا الدفاع بالتدريج، وزيادة الكثافات العملياتية، وكذلك التركيز الماهر للجهود الرئيسية على القطاعات الحاسمة. وازداد أيضاً عمق التجهيز الهندسي باستمرار، كما ازداد بالتدريج عمق البنية العملياتية للقوات. ويبين الشكل رقم ٥١ المخططات المبدئية لتنظيم الدفاع في الجيش الميداني خلال سنوات الحرب.

وخلال العامين ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ تميز الدفاع العملياتي بالطابع المتحرك على وجه العموم، والذي

النطاق الرئيسي
النطاق الثاني
نطاق مؤخرة الجيش
حتى ٤٠ كم
حتى ٣٠ كم
١٣-١٤ كم
٦ كم
٧ كم
١٠ كم
٩ كم
٦-٨ كم
١٨-٢٠ كم
حتى ٤٠ كم
فر انزال جوي

(الشكل رقم ٥١) المخطط المبدئي لبنية دفاع الجيش حسب خبرات الحرب الوطنية العظمى.

اتسم أيضاً بالتراجع الكلي والجزئي للقوات السوفييتية. أضف إلى ذلك أن العمليات الدفاعية في هذه المرحلة التي أصبحت المبادرة فيها بيد العدو، أصبحت تحضر خلال أوقات قصيرة جداً، ولذلك فإن الدفاع كان يحتل على عجل في أغلب الأحيان، وتوزع القوى والوسائط بصورة متساوية على طول امتداد الجبهة، لأنه كان من الصعب تحديد اتجاه الضربة الرئيسية للعدو قبل بدء الموقعة.

واعتباراً من العام ١٩٤٣ تميز دفاع القوات السوفييتية بالصمود والثبات، وبإقامة عدد من النطاقات، وبالبنية المنسقة العميقة، وبالمقارنة الصلبة من جانب القوات. فقد بلغ عمق التجهيز الهندسي المسبق للأرض ١٥٠ ــ ١٨٠ كم في الجبهات، و٤٠ ــ ٥٠ كم في الجيوش. وأصبح يجهز عادة ٤ ــ ٦ نطاقات دفاعية، من بينها ثلاثة نطاقات تجهزها الجيوش. أما على الاتجاهات الهامة فإن القوات تحتل كافة النطاقات.

لقد أكدت خبرات الحرب على صحة مبدأ البنية العميقة للقوات، وحشد القوى والوسائط على اتجاهات الهجوم المحتمل للعدو. إلاّ أن النقص في القوى والوسائط لدى الجبهات والجيوش خلال المرحلة الأولى للحرب لم يسمح بإقامة بنية عميقة للقوات، حتى على الاتجاه الحاسم (الرئيسي). كما أن الأنساق الثانية والاحتياطات للجبهات والجيوش لم تكن في هذا الوقت قوية على الدوام، وكافية لإحباط هجوم العدو.

وفيما بعد ظهرت في بنية دفاع القوات السوفييتية دلائل حشد الكتلة الرئيسية للقوات على أهم الاتجاهات، وزيادة عمق البنية العملياتية للقوات والمناورة المحضرة بدقة، وبالقوى والوسائط في مجرى العملية الدفاعية. إن ذلك كله زاد إلى حد كبير من ثبات دفاع القوات السوفييتية واستقرارها، وأمّن التغطية المضمونة لكافة الاتجاهات المحتملة لأعمال العدو.

إن أهم مشكلة عالجها فن العمليات بنجاح إبان الحرب هي إقامة الدفاع المضاد للدبابات، الثابت والمستقر. ففي الفترة ما بين ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ كان الدفاع المضاد للدبابات ضعيفاً. واعتباراً من نهاية العام ١٩٤٢، عندما أخذت الجيوش والجبهات تتلقى المزيد من الوسائط المضادة للدبابات، ازداد صمود الدفاع وثباته. كما أن كثافة المدفعية المضادة للدبابات ازدادت أيضاً وبلغت ٢٠ ــ ٣٥ مدفعاً على الكيلو متر الواحد، ضمن الاتجاهات الرئيسية، وبلغ عمق الدفاع المضاد للدبابات حتى ٣٠ ــ ٣٥ كم. وأخذت تشكل في الدفاع مناطق مضادة للدبابات على مستوى الأفواج، والفرق، والفيالق والجيوش. كما أن نيران المدفعية المضادة للدبابات والمدافع ذاتية الحركة، مع الجمع بين هذه النيران من جهة، وشبكة الحواجز المضادة للدبابات من جهة أخرى. والجدير بالذكر أن خبرة إقامة الدفاع المضاد للدبابات ما تزال تحتفظ بأهميتها حتى في الوقت الحاضر، كما يمكن أن تستفيد منها القوات المسلحة في البلدان النامية.

إن الخاصة المميزة للدفاع كانت تنحصر في فعاليته العالية، التي تجلت في التنظيم الرائع لجهاز النيران، وتنفيذ معاكس التمهيد المدفعي والجوي، وفي توجيه الضربات الكثيفة إلى العدو بالمدفعية والطيران، وفي القيام بالضربات المعاكسة بقوى القوات المدرعة خاصة، وفي المناورة الواسعة في القوى والوسائط من العمق ومن القطاعات غير المعرضة للهجوم.

لقد برهنت الخبرات والتجارب على أنه من غير المستحسن دوماً توجيه الضربة من الحركة بالجيوش المدرعة، أو الجيوش والفيالق الميدانية المشتركة، خاصة ضد تجميعات كبيرة من دبابات العدو. كما أصبح من المناسب احتلال الأنساق الثانية للجبهات والخطوط المحضرة مسبقاً، وصد تجميعات دبابات العدو بالرمي من الثبات، وخلق الشروط المواتية لسحق هذه التجميعات.

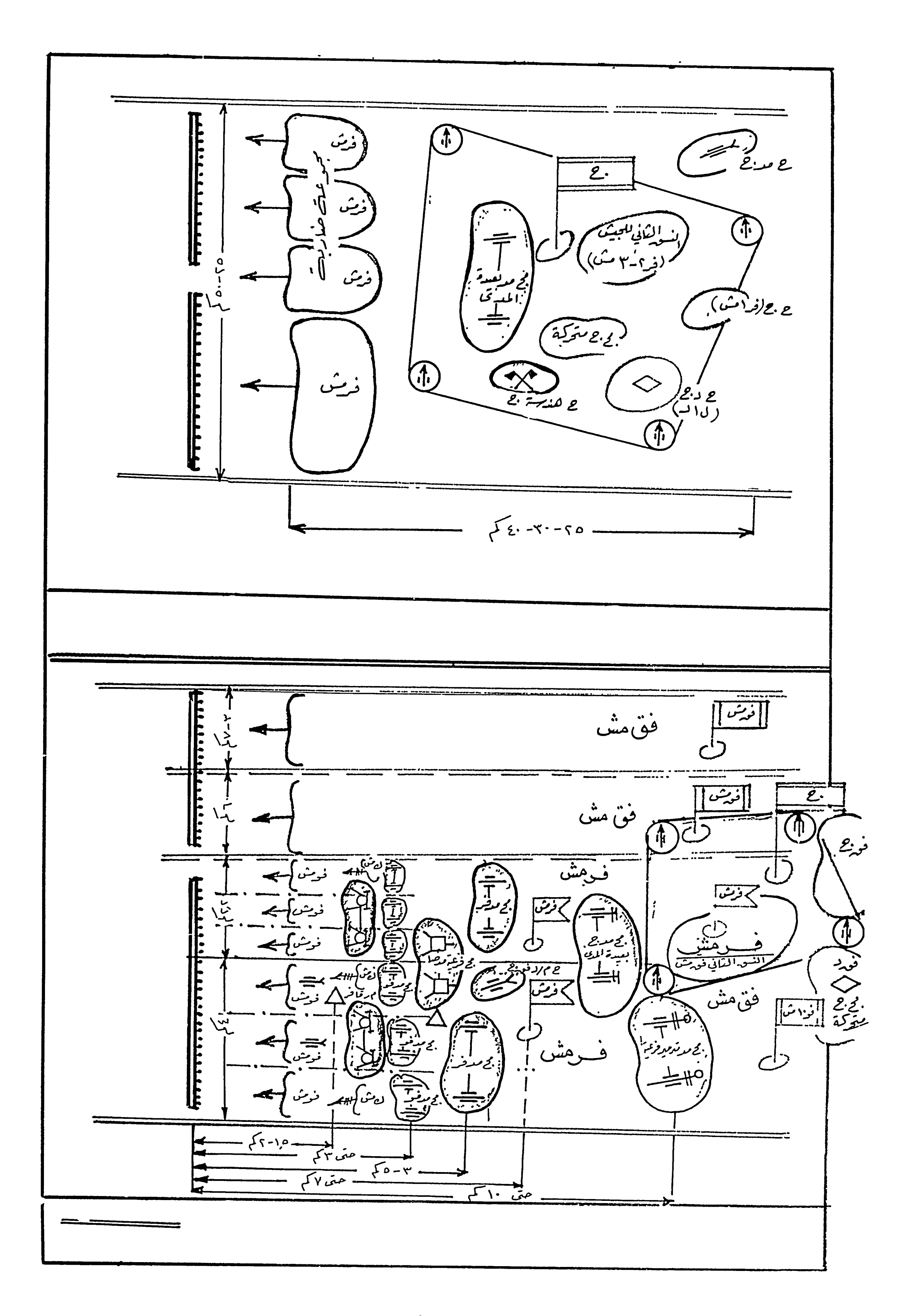
لقد احتل تنظيم الدفاع الجوي، والصراع من أجل كسب السيطرة الجوية المكانة البارزة في مجال التنفيذ الناجح للعمليات. فالجبهات والجيوش أخذت تتلقى بالتدريج كميات كبيرة من المدفعية المضادة للطائرات، كما ازداد عدد الطائرات المقاتلة. واعتباراً من ملحمة «كورسك» في صيف عام ١٩٤٣ استطاع الطيران السوفييتي أن يحقق التفوّق الجوي، الأمر الذي ساعد على تحقيق النجاح العام لدفاع الجبهات والجيوش.

لقد تبين أن الدفاع العملياتي للقوات السوفييتية خلال سنوات الحرب كان قادراً على الصمود أمام ضربات التجميعات القوية المعادية. ونظراً لاكتساب الخبرات القتالية من خلال الهجوم المعاكس الشتوي ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ والأعمال التي دارت في ضواحي روستوف وتيخفين، وبخاصة في ضواحي موسكو، وتطور التجهيز الفني للقوات السوفييتية فقد تحسنت وتطورت أيضاً طرق تحضير العمليات الهجومية وتنفيذها باستمرار.

إن مشكلة خرق الجبهة المواضعية أصبحت إحدى أهم المشاكل التي تواجه فن العمليات. إذ تميزت العمليات الهجومية في المرحلة الأولى من الحرب بالنطاقات العريضة، وضآلة قوى الجبهات والجيوش ووسائطها، وبالتوزيع المتساوي والخطي للقوى بالجبهة، وبالكثافات القليلة على اتجاه الضربة، وبالعمق المحدد للبنية العملياتية للقوات، وبالزمن القصير اللازم لتحضير العملية، وبالتعاون الضعيف بين صنوف القوات، وهذا كله لم يؤدِّ إلى تحقيق أهداف العمليات بصورة كاملة. هذا، وقد أثر بصورة سلبية على طبيعة العمليات الهجومية النقص في القوات المدرعة والمدفعية والطيران، وكذلك انعدام الخبرة القتالية أيضاً.

وبالتالي ازدادت الإمكانات القتالية للجبهات والجيوش، بعد أن تكدست وسائط الصراع، وتوفرت الخبرات والمهارات. كما أن قادة الجبهات والجيوش انتقلوا إلى الأعمال الحاسمة بقوى التجميعات الضاربة التي كانت تحشد على الاتجاهات الرئيسية. ولذلك فقد تقلصت نطاقات هجوم الجبهات والجيوش. ويبين الشكل رقم ٥٢ المخططات المبدئية التي تبين تنظيم هجوم الجيش الميداني المشترك في سنوات الحرب.

ومن أجل كسر شوكة الدفاع المعادي المعزز أصبح ينبغي تشكيل كثافات عالية من القوات والأعتدة القتالية على قطاعات الخرق. وقد تحقق ذلك عن طريق الحشد الجريء للقوى والوسائط على حساب الاتجاهات الثانوية، وتضييق قطاعات الخرق. واعتباراً من عام ١٩٤٣ أصبحت تحشد عادة، ٥٠ ــ ٨٠٪ من قوات المشاة، وحتى ٧٠ ــ ٨٠٪ من المدفعية، وأعداد كبيرة من الدبابات والطائرات على قطاعات الخرق التي كانت تساوي ٨ ــ ١٢٪ من عرض النطاق الإجمالي لهجوم الجبهة، مما سمح



(الشكل رقم ٥٢) (أ ، ب) المخطط المبدئي لتنظيم هجوم جيش القوات المشتركة .

للقيادة السوفييتية بخلق تفوق كاسح على اتجاهات الضربات الرئيسية. ولا شك في أن هذا الحشد الجريء للقوى والوسائط على تلك الاتجاهات يعتبر أحد أهم الانجازات التي حققها فن العمليات السوفييتي خلال الحرب، الأمر الذي مكّن من تنفيذ خرق دفاع العدو في مختلف شروط الموقف.

إن التنفيذ الناجح للعمليات الهجومية على عمق كبير وبوتائر عالية كان يتوقف على المهارة في تشكيل التجميعات الضاربة للقوات. ففي السنة الأولى للحرب لم تتوفر لدى الجبهات والجيوش أنساق ثانية واحتياطات قوية، كما أنه لم تتوفر الوسائط اللازمة لتطوير الهجوم. ولذلك فإن عمق عمليات الجبهات كان محدوداً أيضاً ولا يتجاوز ٥٠ ــ ٩٠ كم.

وبعد أن ازداد حجم القوى والوسائط ازداد بالتالي عمق البنية العملياتية للقوات، وأصبحت تشكل الأنساق الثانية، والاحتياطات الكبيرة من كافة صنوف القوات، علاوة على الأنساق الأولى القوية. كما أصبحت تشكيلات قوات الدبابات، والتشكيلات الميكانيكية الأداة الرئيسية لتطوير النجاح في العملية الهجومية. والجدير بالذكر أن هذه التشكيلات كانت تشكل في معظم الأحيان مجموعات متحركة تعمل لصالح الجبهات والجيوش.

ومنذ صيف العام ١٩٤٣ أصبح النسق الثاني للجبهة يتألف، كقاعدة عامة، من جيش ميداني واحد، أو من جيشين أحياناً، أما المجموعة المتحركة فإنها تتألف من جيش ــ جيشين أو ثلاثة جيوش مدرعة أحياناً. وعلى مستوى الجيوش أيضاً شكلت هذه المجموعات من فيلق أو فيلقين مدرعين أو ميكانيكيين.

إن الاستخدام الماهر للأعداد الكبيرة من الدبابات والمدفعية والطيران والبنية العملياتية العميقة للقوات على الاتجاهات المختارة، أمّن توجيه الضربة القوية أثناء خرق دفاع العدو، وتغذية قوة هذه الضربة باستمرار أثناء الهجوم في العمق العملياتي، كما زاد من عمق عمليات الجبهات حتى ٢٥٠ ــ ٣٥٠ كم وسطياً، أو حتى ٤٠٠ ــ ٥٠٠ كم في بعض الأحيان.

لقد استطاع فن العمليات السوفييتي أن يعالج بنجاح مشكلة الخرق المستمر للمنطقة التكتيكية المحصنة في دفاع العدو بوتائر عالية. ففي العامين ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥، وبنتيجة التأمين المدفعي والجوي المنظم بصورة جيدة، والتعاون الدقيق بين كافة صنوف القوات استطاعت القوات السوفييتية العاملة في النسق الأول اجتياز المنطقة التكتيكية للدفاع خلال اليوم الأول أو اليوم الثاني للهجوم، أي قبل أن يتمكن العدو من دفع احتياطاته الكبيرة نحو قطاع الخرق؛ كما أن وتيرة الهجوم كانت تتزايد باستمرار خلال سنوات الحرب. ففي ملحمة ستالينغراد كانت هذه الوتيرة أعلى بأربع ــ ست مرات عما كانت عليه في فترة الهجوم على مشارف موسكو. وفي عمليات عامي ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ بلغ هذا المؤشر بالنسبة لتشكيلات المشاة ٢٠ ــ ٣٠ كيلو متراً، وبالنسبة للتشكيلات المدرعة والميكانيكية ٥٠ ــ ٦٠ كيلو متراً في اليوم. ومن الجدير بالذكر أن وتائر الهجوم العالية أحبطت جميع محاولات العدو الرامية للتمسك بخطوط الدفاع الوسيطة، وأمنت أيضاً تنفيذ مهام عمليات الجبهات والجيوش خلال مدة قصيرة.

وخلال سنوات الحرب حقق فن العمليات السوفييتي تجديداً رائعاً في مجال تنظيم المطاردة المستمرة وتنفيذها . ففي المرحلة الأولى، وبعض الفترات الأولية من المرحلة الثانية للحرب، كانت المطاردة تنفذ بصورة جبهية وببطء، أي بمعدل ٨ ـ ١٢ كيلو متراً في اليوم، وذلك نظراً إلى النقص في تشكيلات الدبابات والقوات الميكانيكية، الأمر الذي أدّى إلى إزاحة العدو فقط دون تحقيق الأهداف المحددة . أما في العمليات التالية فقد نفذت المطاردة على جبهة عريضة ليلاً ونهاراً، وعلى اتجاهات منعزلة، وبوتائر عالية بلغت ٥٠ ـ ٦٠ كيلو متراً في اليوم .

وأصبحت المطاردة المتوازية مع توجيه الضربات من الجبهة الطريقة الأساسية والأفضل في هذا المجال . كما لعبت فيالق الدبابات وجيوشها الدور الرئيسي في المطاردة، لأنها كانت تبتعد عن قوات المشاة لمسافة ٦٠ ـ ٨٠ كم أو أكثر أحياناً . ولم يتحقق النجاح في أثناء المطاردة إلا بالتعاون المنظم بصورة جيدة بين كافة صنوف القوات، وبالدعم الجوي القوي، والقيادة الحازمة للقوات . هذا، وقد تمكنت القوات السوفييتية في أثناء المطاردة من اجتياز خطوط الدفاع الوسيطة من الحركة، والالتفاف حول عقد المقاومة الكبيرة، والاحاطة بتجميعات العدو المبعثرة، وتطويق هذه التجميعات وتدميرها .

إن الحل الناجح لمشكلة تطوير الخرق أمن لفن العمليات السوفييتي الشروط الملائمة لمعالجة مشكلة هامة أخرى، ألا وهي مشكلة تنظيم عملية التطويق وتنفيذها، وتدمير تجميعات العدو الضخمة . فمن المعروف أن عملية التطويق تعتبر أحد الأشكال الحاسمة للعمليات الهجومية . وفي الوقت نفسه يعتبر النجاح في تنفيذها فناً في غاية الصعوبة والتعقيد . ويكفي القول بأن الحرب العالمية الأولى برمتها لم تشهد عملية هجومية واحدة لتطويق العدو . وكان تنفيذ العمليات الهجومية الكبيرة لتطويق العدو خلال الحرب العالمية الثانية ظاهرة نادرة أيضاً بالنسبة للقوات المسلحة الأمريكية والبريطانية .

إن فن العمليات السوفييتي وحده، هو الذي عالج هذه المسألة بنجاح . ففي سنوات الحرب الوطنية العظمى أصبح تطويق القوات الألمانية وتدميرها الشكل الأساسي والطليعي من أشكال العمليات الهجومية التي خاضها الجيش الأحمر . كما أن الإحاطة بكلتا مجنبتي العدو المقابل بهدف الوصول إلى مؤخرته العميقة، وإحكام الطوق عن طريق تشكيل جبهة داخلية وأخرى خارجية، أصبحت الشكل الأكثر فعالية للمناورة العملياتية أثناء تنفيذ مثل هذه العمليات، وخير دليل على ذلك تطويق القوات الهتلرية في ضواحي ستالينغراد . كما أن عملية روسيا البيضاء وعملية ياسي ـ كيشنيوف، وعملية برلين، وعدداً من العمليات الأخرى التي قامت بها القوات السوفييتية تحتل مكان الصدارة في تطوير فن التطويق .

إن عبور الموانع المائية من الحركة في أثناء المطاردة لعب دوراً كبيراً في تطوير فن العمليات السوفييتي . وقد تحقق النجاح في ذلك عن طريق التخطيط المسبق والتنفيذ المحضر للاقتحام على جبهة عريضة، وعن طريق استخدام المناورة بالقوى والوسائط وبداهة قادة الطلائع في تنفيذ الأعمال، والدفاع الجوي الفعال، والسعي ليس لاحتلال رؤوس الجسور فحسب، بل ولتطوير الهجوم مباشرة . وكان تأخر وسائط العبور النظامية في الوصول إلى الموانع المائية، والتأمين المادي غير الكافي من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى

تباطؤ الوتائر في اقتحام الأنهار ، مع التحضير المسبق الذي كان يرافقه تشكيل تجميعات ضاربة قوية مع إبطال ناري قوي لدفاع العدو على الضفة المقابلة .

لقد تميزت الخبرة الفنية التي حصلت عليها الجبهات والجيوش في تنفيذ العمليات المتتالية بالجبهة أو بالعمق بأهمية كبرى . والخاصة الرئيسية لمثل هذه العمليات هي أن كل واحدة منها تحضَّر في أثناء سير العملية السابقة ، وتبدأ فور الانتهاء من سابقتها ، أو بعد فاصل زمني قصير . وهذا الفاصل الزمني كانت تستدعيه ضرورة القيام بإعادة تجميع القوات ، واستكمال الاحتياطات المتحركة . والجدير بالذكر أن تنفيذ العمليات المتتابعة أدى إلى زيادة أبعاد الهجوم إلى حد كبير . ومن المعلوم أن فشل القوات السوفييتية خلال المرحلة الأولى من الحرب تعود أسبابه إلى تقصير القيادة . وبعد ذلك تطورت القيادة باتجاه المركزية ، مع إفساح المجال في الوقت نفسه أمام مبادرات وإبداع القادة والأركانات ، وبخاصة في أثناء سير الأعمال القتالية .

إن من بين أهم الشروط لتحقيق النجاح في الهجوم تأمين السرية في تحضير الضربة والمفاجأة في تنفيذها . وقد تحققت المفاجأة عن طريق استخدام التمويه العملياتي ، وتضليل العدو ، وعدم تمكينه من معرفة زمان توجيه الضربة ومكانها . كما أن طرق تحقيق المفاجأة كانت تتحسن وتتطور باستمرار خلال سنوات الحرب .

وهكذا نرى أن فن العمليات السوفييتي حصل خلال سنوات الحرب على قسط كبير من التطور ، وعالج بنجاح مسائل تحضير العمليات الهجومية والدفاعية وتنفيذها على مستوى الجبهات والجيوش ، وفي مختلف الشروط القتالية .

١٠ ــ ٤ ــ تطور التكتيك

إن التبدلات التي طرأت على الاستراتيجية وفن العمليات ، وكذلك تطور التسليح والعتاد القتالي ، كل ذلك أدّى بطبيعة الحال إلى ظهور عناصر جديدة في أشكال خوض المعركة المشتركة وطرقها ، أي التكتيك الذي ينبغي عليه أن يعالج المسائل التي تؤمن تحقيق الأهداف العملياتية ، ومن ثم الأهداف الاستراتيجية .

ونظراً إلى الظروف التي تشكلت منذ لحظة اندلاع الحرب فقد اضطرت القوات السوفييتية لخوض الأعمال الدفاعية . وألقيت على عاتق فن الحرب السوفييتي مهمة جسيمة هي مهمة التطوير العملي لطرق تنظيم الدفاع وتنفيذه على كافة المستويات . وقد برهن تحليل خبرات الحرب على أن الدفاع التكتيكي للقوات السوفييتية كان قد تبدّل بصورة جوهرية مع الزمن ، شأنه في ذلك شأن الدفاع الاستراتيجي والعملياتي . فقبل كل شيء تطور الدفاع التكتيكي باتجاه الازدياد المتدرج للعمق الذي كان يتوقف عليه صمود الدفاع وثباته إلى حد كبير . (انظر الشكل رقم ٥٣) .

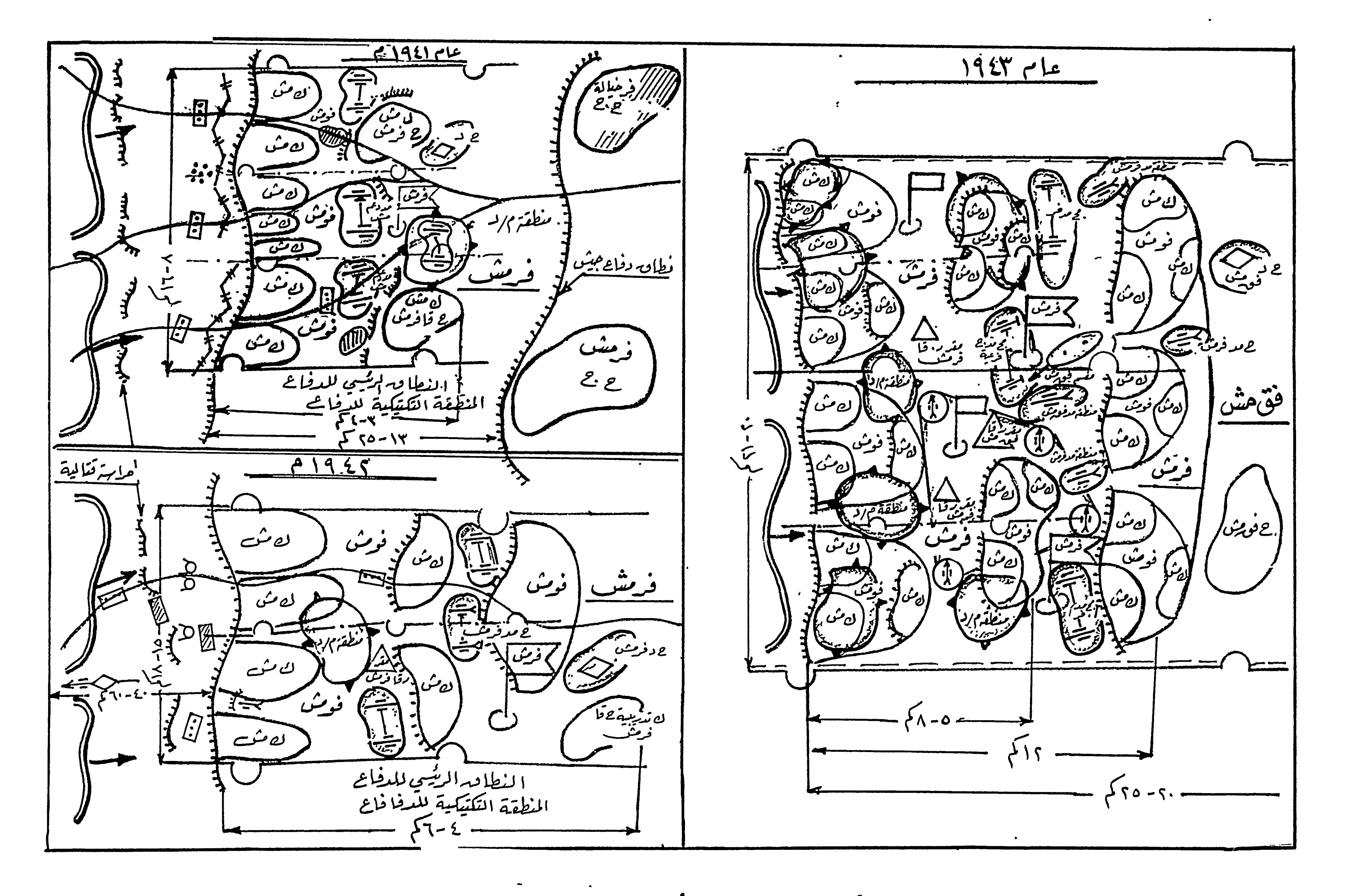
وبرهنت خبرات القوات السوفييتية أيضاً على أن التمسك القوي بالمنطقة التكتيكية للدفاع يؤمن إلى

حد كبير تنفيذ مهام العملية الدفاعية برمتها. غير أن التشكيلات والقطعات كانت في الأشهر الأولى من الحرب غير قادرة على إقامة الدفاع الثابت بالشكل الكافي، نظراً إلى الموقف الصعب الناشىء في تلك الفترة.

في المرحلة الأولى من الحرب كانت المنطقة التكتيكية تتألف من نطاق واحد فقط لم يزد عمقه في الأشهر الأولى للحرب عن ٣ ــ ٤ كم. كما أن فرق المشاة اضطرت، بسبب النقص في القوى والوسائط، للدفاع على جبهة عريضة بلغت أحياناً ٢٠ ــ ٣٠ كم. ولم يسمح القوام العضوي لفرقة المشاة بتشكيل الكثافات المطلوبة من القوات والعتاد على مثل هذه الجبهة، ولم تحصل الفرقة على التعزيز إلا نادراً. واعتباراً من خريف العام ١٩٤١ وحتى نهاية المرحلة الأولى للحرب استمر تطور دفاع تشكيلات وقطعات المشاة، كما ازداد عمق النطاق الرئيسي للدفاع حتى ٥ ــ ٦ كم، وتقلص عرض نطاق دفاع فرقة المشاة حتى ١٥ ــ ١٨ كم، وازدادت الكثافات التكتيكية للقوات. ونظراً للحصول على تعزيزات بالقوى والوسائط الإضافية أصبحت تراتيب قتال الأفواج والفرق تبنى على نسقين. ومن أجل الصراع ضد دبابات العدو شكلت احتياطات الدبابات، واحتياطات المدافع المضادة للدبابات، وازداد قوام هذه الاحتياطات. غير أن بنية دفاع القوات السوفييتية لم تكن قادرة بعد على تلبية كافة متطلبات الموقف في نهاية المرحلة الأولى من الحرب. فالعمق والكثافات التكتيكية للدفاع ظلت غير كافية. ولذلك استطاعت القوات الألمانية خرق مثل هذا الدفاع.

لقد تحسن الدفاع بصورة ملموسة اعتباراً من صيف العام ١٩٤٣، عندما ازداد في فرق المشاة عدد وسائط الصراع التكتيكية إلى حد كبير، وعندما أخذت تحصل هذه الفرق على وسائط تعزيز كثيرة وتشكل فيالق المشاة؛ كذلك حصلت القوات على خبرة غنية في تنظيم الدفاع وخوضه. وبلغ عرض نطاق الفرقة ٨ ــ ١٥ كم؛ كما أن العمق التكتيكي للدفاع ازداد حتى ١٥ ــ ٢٠ كم؛ وبنيت تراتيب قتال التشكيلات والقطعات على نسقين كقاعدة عامة؛ وكانت أفواج مشاة النسق الأول تحتل الموضعين الأول والثاني عادة في النطاق الرئيسي، بينما يحتل فوج النسق الثاني الموضع الثالث. أما فرقة النسق الثاني للفيلق فإنها كانت تدافع في النطاق الثاني، وتخصص لشن الهجمات المعاكسة. وأصبح الاهتمام يتركز باستمرار على مجموعات المدفعية، واحتياطات المدفعية المضادة للدبابات ومفارز السدود المتحركة. وازدادت الكثافات التكتيكية حتى بلغت: كتائب مشاة ٠٫٩ ــ ١٫٥، مدافع وهاون ١٨ ــ ٥٠، مدافع مضادة للدبابات ١١ ــ ١٤، دبابات ومدافع ذاتية الحركة ٢ ــ ٤ على الكيلو متر الواحد من الجبهة؛ إذ إن ذلك كله سمح بإقامة الدفاع القوي الذي لا تستطيع خرقه القوات المعادية.

كذلك كان للانتقال من الدفاع البؤري إلى دفاع الخنادق، الذي كان قد ظهر منذ نهاية العام ١٩٤١، وفي ملحمة موسكو، وملحمة كورسك أهمية مبدئية كبيرة في تطوير دفاع القوات السوفييتية. وبنتيجة تبدل طريقة تنفيذ الدفاع، أصبحت تراتيب قتال قوات المشاة مغطاة بالجبهة، وفي العمق بشبكة من الخنادق. وأدى ذلك إلى المحافظة على القوة البشرية والعتاد القتالي، من التأثيرات النارية للعدو، وأمن أفضل الإمكانات للمناورة بالأفراد وبالوسائط النارية، في عمق المنطقة التكتيكية للدفاع، كما



(الشكل رقم ٥٣) المخطط المبدئي لبنية دفاع فرقة المشاة في الدفاع.

استخدمت على نطاق واسع المواضع المائلة التي استخدمت لمنع العدو من توسيع الخرق باتجاه الأجناب ، وكذلك كخطوط انطلاق لشن الهجمات المعاكسة بالأنساق الثانية لفرق وفيالق المشاة . كما حدثت تبدلات كبيرة في مجال تنظيم الدفاع المضاد للدبابات بصورة خاصة (انظر الشكل رقم ٥٤) .

إن جهاز الدفاع المضاد للدبابات الذي كان سائداً في مطلع الحرب ، ومجهزاً حسب الخطوط وبكثافات محدودة من المدافع المضادة للدبابات لا تتجاوز ٢ ـــ ٥ مدافع على الكيلو متر الواحد ، لم يؤمن الثبات المطلوب للقوات . وبالتالي فقد تركزت الوسائط الأساسية المضادة للدبابات على قطاعات ضربات دبابات العدو المحتملة . كما أن الخبرة المكتسبة حتى العام ١٩٤٣ أكدت على ضرورة توحيد جهود المشاة والمدفعية في الصراع ضد دبابات العدو تحت إمرة القائد المشترك ؛ لذلك فإن نقاط الاستناد المضادة للدبابات كانت تتطابق مع مناطق دفاع السرايا والكتائب . وفي عمق الدفاع بدأت تشكل المناطق المضادة للدبابات على مستوى الفوج والفرقة والفيلق ، والتي يقودها رؤساء المدفعية . كما أن رمايات المدفعية المضادة للدبابات كانت تستكمل وتعزز برمايات الدبابات والمدافع ذاتية الحركة . وفي أثناء المعركة الدفاعية أخذت تنفذ المناورة الجريئة بالوسائط المضادة للدبابات . وكان لاستخدام القذائف المصغرة وذات الحشوة الجوفاء والقدرة العالية على اختراق الدبابات ، وكذلك الألغام الحديثة المضادة للدبابات أهمية كبيرة في مجرى الحرب . ونظراً إلى النقص في الوسائط المضادة للدبابات فقد استخدم قسم كبير من المدفعية المضادة للطائرات والدبابات العاملة في تراتيب قتال المشاة ، ومدفعية الميدان من أجل الصراع ضد دبابات العدو . ومن الجدير بالذكر أن الدبابات والمدافع ذاتية الحركة كانت الواسطة الأقوى ، والأكثر فعالية في جهاز الدفاع المضاد للدبابات ، لأنها لم تكن تخشى نيران المدفعية المعادية وضربات الطيران ، بل كانت ترمي بكل جرأة على دبابات العدو المهاجمة مؤمنة بذلك الثبات والاستقرار للدفاع .

لقد كان للحواجز الهندسية على مختلف أنواعها دور كبير أيضاً . وازدادت باستمرار كثافات الألغام . فإذا بلغت كثافة الألغام في أثناء الدفاع في ضواحي ستالينغراد ٦٥٠ لغماً مضاداً للدبابات فإن هذه الكثافات بلغت في أثناء الدفاع في ضواحي كورسك ١٧٠٠ و١٥٠٠ لغم على التوالي ، على الكيلو متر الواحد من الجبهة . ومن أجل الصراع ضد الدبابات أصبحت تستخدم على نطاق واسع وحدات النقابين التي تقوم بزرع الألغام المضادة للدبابات بسرعة على طرق تقدم دبابات العدو خلال المعركة الدفاعية . وهذا نبّه إلى تشكيل مفارز السدود المتحركة ، التي كان استخدامها فعالاً إلى درجة كبيرة .

وبنتيجة المقاومة الصلبة والفعالية العالية لكافة صنوف القوات في أثناء المعركة الدفاعية ، والتعاون الوثيق ، والمناورة الواسعة في القوى والوسائط ، وكذلك القيادة الحازمة للقوات ، لم يستطع العدو خرق منطقة الدفاع التكتيكي خلال المرحلتين الثانية والثالثة للحرب ، إلا في حالات نادرة . وتميز دفاع تشكيلات الجيش الأحمر وقطعاته بمستوى الصمود العالي ، والفعالية والمناعة . وقد ظهرت القدرة العالية على صمود الدفاع في المعارك التي خاضتها القوات السوفييتية في منطقة بحيرة « بالاتون » بصورة خاصة ، والتي جرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٥ على الرغم من خرق دفاع القوات السوفييتية . والجدير بالذكر أن الخبرات

حتى آب ١٩٤١ م

٣-٥ مدافع م/د/ب ت ر/ في ١ كم جبهة

من آب ١٩٤١

خططت ولكنها لم تتشكل بسبب عدم كفاية وسائط الـ م/د

نقطة استناد م/د

في عام ١٩٤٢

نقطة استناد م/د

رقم ٢

ع مدم/د

في عام ١٩٤٣

خط رقم ١ فر

فرمش

فومش

منطقة م/د رقم ٣

خط ٢ فر

خط ٣ فر

منطقة م/د

في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥

عقدة م/د

ل مش

احتياطي مدالجيش

عقدة م/د

(الشكل رقم ٥٤) المخطط المبدئي لتطور الدفاع م/د في سني الحرب الوطنية العظمى.

القتالية في مجال تنظيم المعركة الدفاعية وتنفيذها، استفادت منها القوات السوفييتية على نطاق واسع، واستخدمتها بنجاح خلال المعارك الدفاعية في كوريا والشرق الأوسط وفي عدد من المناطق الأخرى.

لقد شهدت سنوات الحرب الوطنية العظمى تبدلات كبيرة في طرق تحضير المعركة الهجومية وتنفيذها أيضاً. وهنا كانت مشكلة خرق الدفاع المعادي المحضر هي المشكلة الأساسية التي واجهت تكتيك المعركة الهجومية، كما كان الحال بالنسبة لفن العمليات.

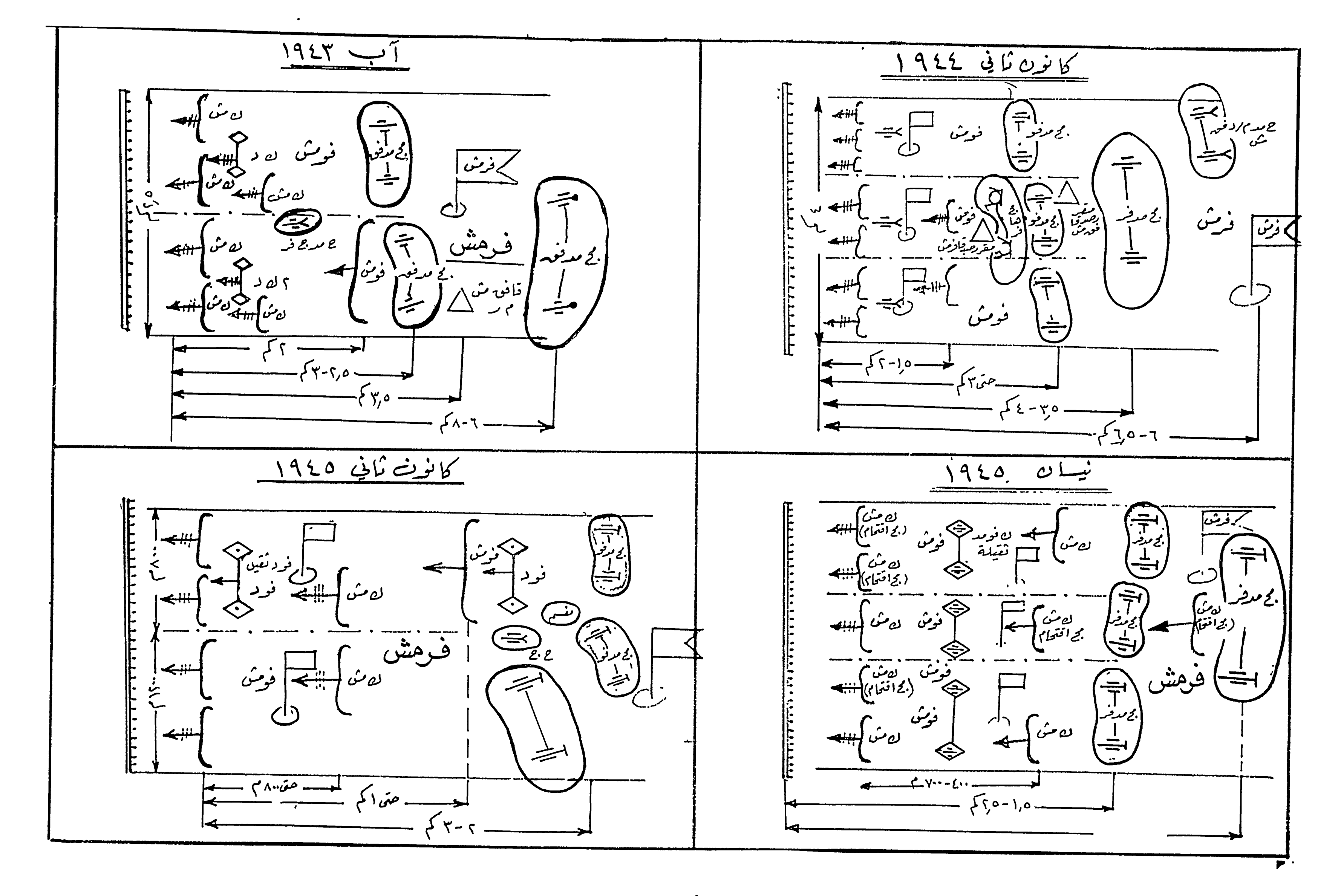
فالهجوم كان يبدأ، كقاعدة عامة، في شروط التماس المباشر مع العدو، ونجاحه كان يتوقف بالدرجة الأولى على خرق دفاع العدو المنظم والمنفذ بصورة جيدة. ولا شك في أن اختيار اتجاه الضربة الرئيسية كان له الأهمية الكبرى أيضاً في تحقيق النجاح أثناء الهجوم. ففي مطلع الحرب حاول الكثير من القادة توجيه الضربات على جبهة عريضة وإلى عقد دفاع العدو القوية دون أن يتم إبطالها بصورة كافية؛ ولذلك فإنهم لم يحققوا النجاح في معظم الحالات. وبعد ذلك ومع توفر الخبرات والمهارات أصبحت الضربة الرئيسية توجه في أغلب الحالات إلى النقاط الأكثر ضعفاً في دفاع العدو. ويبين الشكل رقم ٥٥ المخططات المبدئية لتنظيم الهجوم خلال سنوات الحرب.

وفي الأشهر الأولى من الحرب كانت فرق المشاة ذات قوام ضعيف، وتحصل على تعزيز محدود جداً. كما أن نطاقات الهجوم لهذه الفرق كانت تتحدد انطلاقاً من المعدلات الوسطية الواردة في أنظمة القتال المعمول بها في فترة ما قبل الحرب، غير أن هذه النطاقات كانت واسعة في أغلب الأحيان. فقد حدد لفرقة المشاة عادة، نطاق للهجوم بعرض يتراوح بين ٨ و ١٠ كيلو مترات. وهذا العرض لم يسمح بخلق التفوق المطلوب في بداية المرحلة الأولى للحرب على العدو طالما أن الفرقة لم تحصل على التعزيز أيضاً. أما الكثافات التكتيكية فقد كانت منخفضة وتتراوح عادة بين: ١ ــ ٥ر١ كتيبة، ١٥ ــ ٣٥ مدفعاً وهاوناً، ٢ ــ ٣ دبابات على الكيلو متر الواحد من الجبهة. وهذه الكثافات لم تؤمن إبطال الدفاع الألماني، ولا إمكانية توجيه الضربة القوية في فترة الهجوم. وبنتيجة ذلك غالباً ما كانت الفرقة تفشل في تنفيذ مهمتها القتالية.

وفي أثناء الهجوم العام الذي شنته القوات السوفييتية في ضواحي موسكو، وفي صيف عام ١٩٤٢ تقلصت نطاقات هجوم الفرق، بينما ازدادت الكثافات التكتيكية، وبدأت المعركة الهجومية للقوات السوفييتية تتطور بنجاح أكبر، إلا أن تحقيق الخرق بوتائر عالية كان لا يزال بعيد المنال.

لقد أكدت خبرات الحرب على أن البنية الصحيحة لتراتيب قتال القوات لعبت دوراً كبيراً في الحل الناجح لمشكلة خرق دفاع العدو. ففي المرحلة الأولى من الحرب كانت تراتيب قتال القوات تُبنى على أنساق حتى مستوى الوحدات ضمناً، وذلك طبقاً لأنظمة قتال ما قبل الحرب. وعلى ضوء ذلك كانت تشترك أعداد قليلة من القوى البشرية والوسائط النارية في مهاجمة الحد الأمامي لدفاع العدو في آن واحد.

واعتباراً من خريف عام ١٩٤٢، وعلى ضوء الخبرات الجديدة ومتطلبات أنظمة القتال الجديدة أيضاً أخذت تراتيب القتال تبنى على نسق واحد فقط في المستوى التكتيكي، مما ساعد على زج العدد



(الشكل رقم ٥٥) المخطط المبدئي لبنية ترتيب قتال فرقة المشاة في الهجوم.

الأكبر من الوسائط النارية والقوى البشرية في المعركة من أجل مهاجمة وخرق المنطقة التكتيكية للدفاع. وأصبحت دبابات الدعم المباشر للمشاة تحتل مكاناً هاماً في تراتيب قتال قوات المشاة، كما أن نطاق هجوم الفرقة أخذ يتراوح بين ٤ و ٥ كم. بالإضافة إلى ذلك حصلت الفرقة على وسائط تعزيز أكبر. وهذا كله سمح بتشكيل كثافات تكتيكية أكبر: ٢ ــ ٣ كتائب، ٤٠ ــ ٧٠ مدفعاً وهاوناً، ١٠ ــ ١٢ دبابة على الكيلو متر الواحد من جبهة الهجوم. وأصبح بالإمكان خرق نطاق دفاع العدو الرئيسي بسرعة أكبر.

إلا أنه اكتشفت أثناء معارك شتاء ١٩٤٣ نقائص جوهرية في بنية تراتيب قتال النسق الواحد للقوات المهاجمة. فقد كان قادة الأفواج والفرق يعانون من نقص في القوى والوسائط للتأثير على سير المعركة بسرعة، لأن بمثل هذه البنية للقوات كان بالإمكان خرق دفاع قليل العمق فقط. ففي صيف عام ١٩٤٣ حدثت تغييرات حادة في بنية دفاع القوات الألمانية، إذ إن عمق المنطقة التكتيكية للدفاع الألماني ازداد حتى ١٢ ــ ٢٠ كم. وأقام الألمان نطاقين أو ثلاثة نطاقات أحياناً مجهزة بشبكة من الخنادق. ولا شك في أن خرق مثل هذا الدفاع لا يتطلب ضربة أولية قوية فحسب، بل يتطلب أيضاً تغذية القوى والجهود باستمرار في أثناء الهجوم، وتشكيل كثافات تكتيكية أكبر.

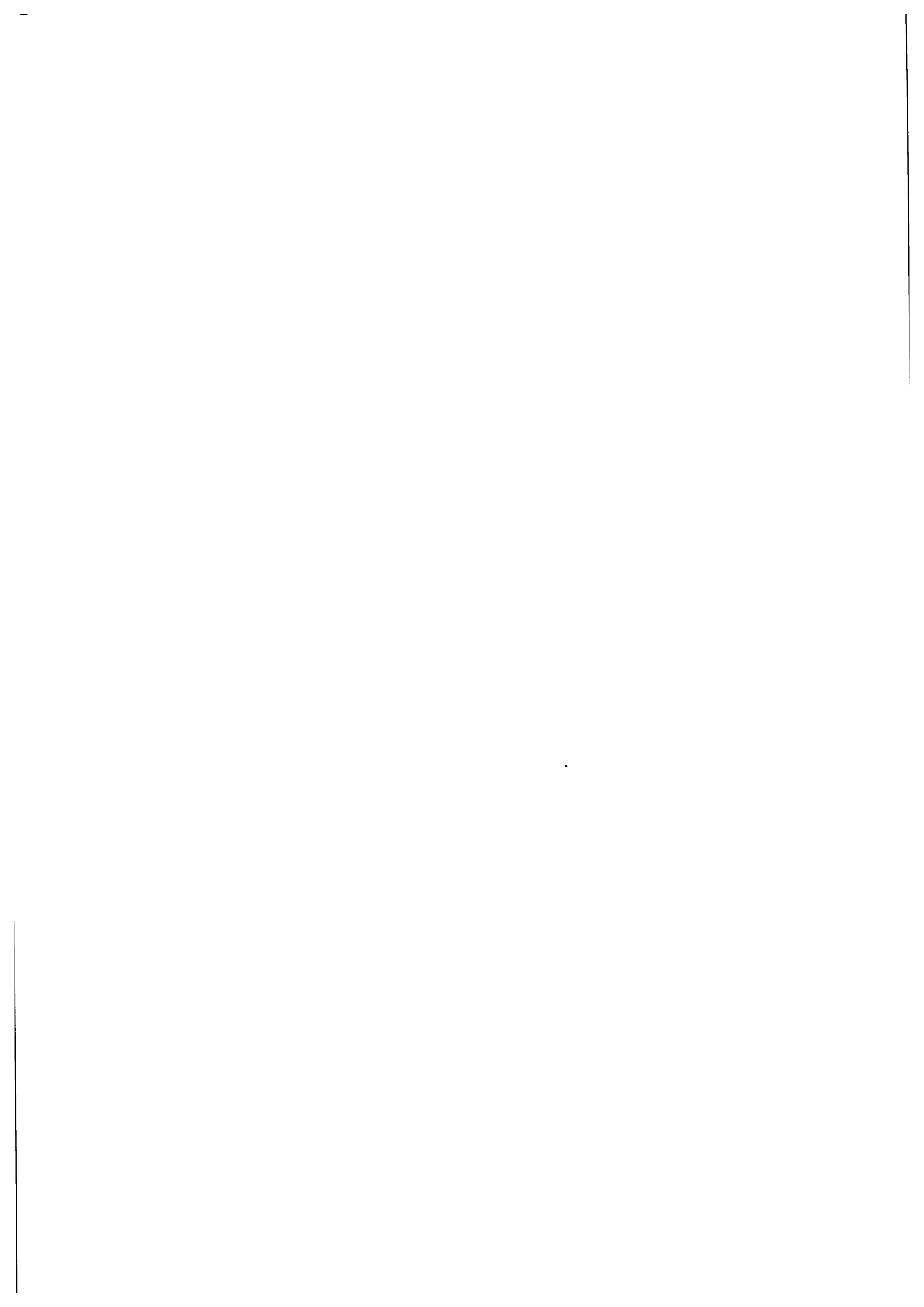
أما تطوير طرق الاستخدام القتالي للطيران فكان يسير باتجاه تكثيف الطيران على اتجاهات الضربات الرئيسية للتشكيلات والقطعات، حيث انتقل الطيران من طريقة الدعم المتقطع للقوات في بداية الحرب إلى طريقة التعاون المتواصل معها في اجتياز المنطقة التكتيكية من دفاع العدو، وتطوير الهجوم. كما أن التعاون الوثيق نظم بصورة خاصة مع طيران الانقضاض، الذي كان يقدم الدعم المباشر إلى القوات المهاجمة؛ وبرهن التطبيق العملي أيضاً على صحة وسلامة تخصيص ممثلين عن التشكيلات للعمل في أركانات فيالق المشاة وفي أركانات الفرق أحياناً، بغية المحافظة على التعاون الأكثر متانة بين الطيران والقوات الأرضية. وكان لاستخدام الإشارات بمهارة من أجل التعرّف على وضعية القوات المهاجمة أهمية إيجابية كبيرة.

لقد تحسنت باستمرار طرق تنظيم القيادة، وأصبح اللاسلكي الواسطة الأساسية للقيادة وبخاصة في مجرى المعركة. وان التقصير الذي حدث في بداية الحرب حول تقدير أهمية القيادة السرية للقوات من قبل القادة والاركانات، كان قد تم التخلص منه في نهاية الحرب بصورة عامة. ولا شك في أن تحسين قيادة القوات ساعد على تحقيق أهداف المعركة الهجومية بنجاح.

وخلال سنوات الحرب، تطور تكتيك المعركة الهجومية باتجاه التحديد الواقعي والموضوعي للمهام بصورة عامة، والاختيار السليم لاتجاه الضربة الرئيسية وتأمينها عن طريق حشد القوى والوسائط، وزيادة وتائر الهجوم، وتنفيذ المناورة الواسعة خلال الأعمال القتالية، وتحسين تنظيم التعاون والقيادة، وتحديد البنية التنظيمية الصحيحة للتشكيلات والقطعات. ومما يجدر ذكره أن الخبرات القيمة التي حصلت عليها القوات السوفييتية أثناء الحرب الثانية أكدت صحتها التطبيقات العملية في خوض الحروب المحلية التي حدثت في كوريا وفيتنام والشرق الأقصى.

لقد حافظ فن الحرب السوفييتي خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى على مكانته أمام العالم بأسره، كفن طليعي ومتطور؛ إذ إنه برهن على تفوقه الحاسم على فن الحرب لدى الجيش الألماني الفاشي، والياباني، وفن الحرب الأمريكي والبريطاني أيضاً. كما أن فن الحرب السوفييتي أبدع خلال الحرب في تعميم واستخلاص الخبرات القتالية. وتخلص بصورة نهائية من الخبرات القديمة، واستفاد من جميع الخبرات الجديدة والطليعية.

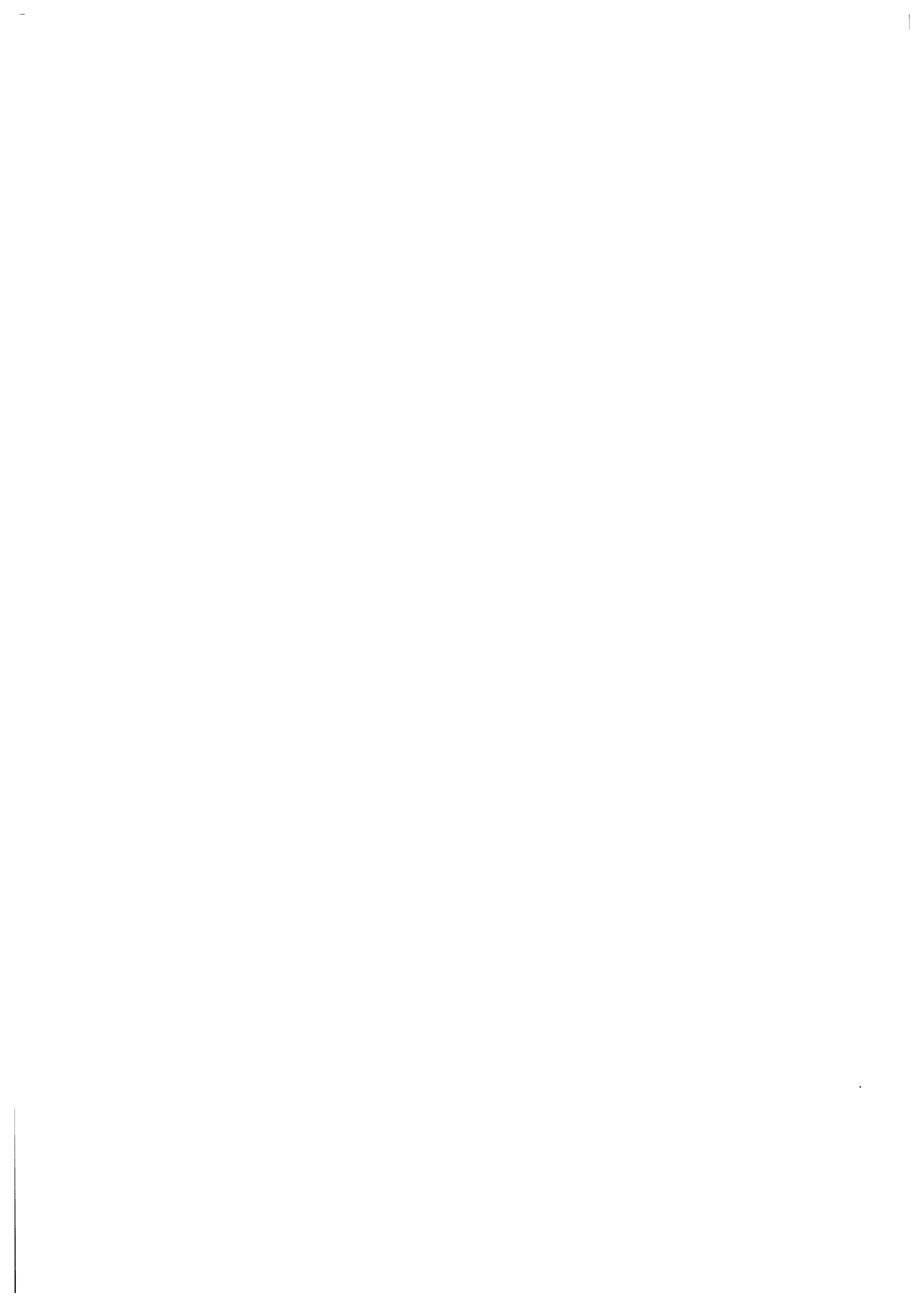
إن لدراسة الخبرات القتالية الواسعة، التي حصلت عليها القوات المسلحة السوفييتية إبان النضال الصعب والطويل في ساحات الحرب، أهمية عملية كبيرة حتى في يومنا هذا. كما أن هذه الخبرات تتمتع بأهمية خاصة بالنسبة لجيوش الدول النامية التي تناضل ضد الامبريالية الدولية بغية الحصول على استقلالها وسيادتها الاقليمية.



فن الحرب السوفييتي في فترة ما بعد الحرب
١٩٤٥ ـ ١٩٥٤م

«يجب أن نجعل خطواتنا نحو السلام مصحوبة بكل مجهود جاهزيتنا القتالية، دون أن ننزع تسليح جيشنا قطعاً، فجيشنا يعتبر ضمانة حقيقية لردع الدول الأمبريالية عن أية محاولات أو اعتداءات ولو صغرت».

ف.ا. لينين



تميزت فترتان في تطور القوات المسلحة السوفييتية بعد الحرب ، امتدت الفترة الأولى من زمن انتهاء الحرب الوطنية العظمى حتى العام ١٩٥٤ ، أي حتى إدخال السلاح النووي في القوات المسلحة ، حيث استمرت الأنواع التقليدية من السلاح والعتاد القتالي تشكل الأساس في قوة الجيش والأسطول في هذه السنوات ، ناهيك عن أن المحتوى الأساسي لهذه الفترة كان ينحصر بتنقيح وتعميم تجربة الحرب والتطور اللاحق لأساليب خوض الأعمال القتالية بالوسائط التقليدية .

ابتدأت الفترة الثانية من العام ١٩٥٤ وتستمر حتى الوقت الحاضر ، وهي تتميز بإدخال السلاح النووي ، ثم الصاروخي في القوات المسلحة ، وبتدريب الأفراد على طُرق خوض الأعمال القتالية في الحرب النووية ، والحرب غير النووية على حد سواء .

١١ ــ ١ ــ الشروط التي ساعدت على تطور القوات المسلحة السوفييتية في فترة ما بعد الحرب

أدى الانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية إلى تغيرات جذرية في الموقف الدولي ، فبنتيجة سحقها والنضال الثوري ضد القوى الرجعية سلك العديد من دول أوروبا وآسيا طريق التطور الاشتراكي ، وتشكلت المنظومة العالمية للاشتراكية ، كما اشتهرت فترة ما بعد الحرب أيضاً بارتفاع حركة التحرر الوطني لشعوب آسيا وافريقية ، وحصل العديد من الأقطار وضمناً سورية على الاستقلال ، بعد أن ظلت لقرون طويلة تحت نير المستعمرين ، وتغير تناسب القوى داخل المعسكر الامبريالي أيضاً . فقد هُزِمت ألمانيا واليابان هزيمة عسكرية تامة ، واستولت احتكارات الولايات المتحدة وجزئياً انكلترا على أسواق تصريف منتجاتها ، وخرجت فرنسا وانكلترا من الحرب ضعيفتين ، بينما قويت الولايات المتحدة من الناحيتين الحربية والاقتصادية ، واحتلت اعتباراً من النصف الثاني للأربعينيات مكانة مسيطرة وسط الأقطار الرأسمالية ، وفي سعيها لتمتين مكانتها السياسية والحربية استغلت الدوائر الحاكمة الأمريكية احتكار القنبلة الذرية من أجل

التهديد والتهويل. فبعد تفجير القنبلة الذرية الأولى صرّح هـ. ترومان الذي كان رئيساً للولايات المتحدة آنئذ قائلاً: أصبحنا الآن نملك السلاح الذي لم يحدث ثورة في المجال الحربي فحسب، بل والذي قد يغير مجرى التاريخ والحضارة أيضاً.

«مذكرات هـ. ترومان سنة القرارات، المجلد ١ نيويورك ١٩٥٥ صفحة ٤١٥»

وفيما بعد كتب رئيس أركان الجيش الأمريكي الجنرال م. تيلور قائلاً: إن الشعب الأمريكي قد صدق بسهولة أن القنبلة الذرية تعتبر السلاح المطلق الذي يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بأن تحافظ على النظام في كل العالم، عن طريق التهديد باستخدامه.

إلا أنه على العموم تشكل بعد الحرب موقف سياسي جديد في العالم، وحدث تغير حاد في تناسب القوى لصالح الديمقراطية والاشتراكية.

وجه الاتحاد السوفييتي الجهود الأساسية بعد انتهاء الحرب الوطنية العظمى لتجديد الاقتصاد الشعبي، وبفضل العمل الخلّاق الضخم استطاع الشعب السوفييتي تحويل الاقتصاد إلى الطريق السلمي على وجه العموم في نهاية ١٩٤٦. وتلقت المصانع والمعامل الخطط اللازمة من أجل الانتاج السلمي، وباختصار النفقات الحربية إزاء توظيف رأس المال لصالح الاقتصاد الشعبي، مما ساعد على توسيع أعمال إعادة الإعمار، وتحضير القوى والوسائط الضرورية من أجل التطور اللاحق في القوة الأساسية في الاقتصاد الاشتراكي. وقد وصلت الصناعة والزراعة في الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٤٨ إلى مستوى ما قبل الحرب.

كان لاختصار القوات المسلحة السوفييتية التي كانت تعد ١١٣٩٥٠٠٠ رجل حتى أيار ١٩٤٥ أهمية كبيرة في توسيع البناء السلمي. وانخفض تعداد رجال الجيش والأسطول في عام ١٩٤٨ إلى ٢٨٧٤٠٠٠ رجل نتيجة التسريح. وتلقى الاقتصاد الشعبي عدداً ضخماً من العاملين، وضمناً عشرات الألوف من المختصين في المجالات المختلفة، إلا أن القادة السوفييت كانوا مضطرين إزاء تسريح القوات ألّا يأخذوا الاقتصاد الشعبي بعين الاعتبار فحسب بل والسياسة العدوانية للامبريالية أيضاً.

عند اقتراب الحرب من نهايتها شرعت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة وانكلترا بتنفيذ السياسة الرجعية. فبعد أن امتنعت عن التعاون السياسي والاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي الذي كان يحدث في سنوات الحرب، سارت على طريق تأزيم الموقف الدولي، ووُضِعَت خطط لتجميع جديد من الدول الامبريالية مضاد للسوفييت. وفي مجال تنفيذ سياستها الرجعية (من مواقع القوة)، واستغلال احتكار القنبلة الذرية من أجل التهديد والتهويل، أنشأت الدوائر الامبريالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، القواعد العسكرية حول الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى، واستخدموا المفاهيم العدوانية (الرعب النووي)، و(الضربة الجوابية المركزة) النابعة من أهداف الحرب الوقائية ضد الاتحاد السوفييتي تشكل حلف شمال الأطلسي، تحت رعاية الولايات المتحدة في عام ١٩٤٩ حيث دخل في قوامه ١٢ قطراً،

ووقعت الكتلة الأنكلو أمريكية معاهدة صلح منفرد مع اليابان ، وفي الوقت نفسه شكلت الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلاندة حلف المحيط الهادي .

رافق الخط السياسي العدواني للدول الامبريالية أعمال حربية مباشرة ، ففي أعوام ١٩٤٧ ـــ ١٩٤٩ أخمدت القوى المتحدة للرجعية الدولية الحركة الشعبية في اليونان ، وفي عام ١٩٥٠ أشعلت الولايات المتحدة الحرب في كوريا التي استمرت ما يزيد عن ثلاث سنوات ، وأخذت الولايات المتحدة بإنتاج الذخيرة النووية ، والنماذج الجديدة للأسلحة والعتاد القتالي ، وزيادة التجارب في مجال إنشاء الطائرات الاستراتيجية واستخدامها كحاملات أساسية للذخيرة النووية .

تابع الاتحاد السوفييتي النضال الدؤوب للمحافظة على السلام في هذا الموقف الدولي المعقد ، إلا أنه لم يستطع أن يبقى بعيداً عن دسائس القوى العدوانية الامبريالية . واتخذت الحكومة السوفييتية التدابير الضرورية ، كي تنتج في أقصر وقت سلاحها النووي ، ووسائط إيصاله إلى الهدف وفي الوقت نفسه تم الاتجاه نحو إنشاء أحدث النماذج من وسائط الصراع التقليدية . ففي عام ١٩٤٩ أي بعد مرور أقل من عام واحد على تسريح الجيش ، ونتيجة لتأزم الموقف الدولي كان الاتحاد السوفييتي مضطراً إلى أن يتحول إلى زيادة تعداد القوات المسلحة ، بغية تمتين قدرته الدفاعية .

أضعف مثل هذا الاتجاه إمكانات الامبرياليين على إشعال حرب شاملة في فترة الأعمال القتالية في كوريا التي اندلعت في صيف العام ١٩٥٠ .

١١ ـــ ٢ ـــ تعاظم التجهيز الفني للقوات المسلحة السوفييتية

جرت إعادة البناء واختصار القوات المسلحة في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب في ظروف التقدم العاصف للعلم والتكنيك ، وبفضل التقدم العلمي التقني . وخطت الصناعة خطوات كبيرة ، مما كان له أهمية كبيرة في زيادة القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتي . وتطورت بشكل سريع الفروع الرئيسية كالطاقة ، وهندسة الماكينات ، والكيميائيات ، وفروع الصناعة الأخرى ، وجرى تجديد مصانع الطائرات ، ووسائط النقل ، والسفن ، والعربات ، وإنشاء مصانع جديدة أخرى ، بإيقاعات سريعة ، كما حظي تطور أعمال البحث بانتباه جدي . وفي ميزانية الدول لعام ١٩٤٦ ازدادت نفقات منشآت البحث العلمي بمعدل ٢٫٤ مرة بالمقارنة مع عام ١٩٤٥ .

في نهاية السنوات الخمس الأولى التي تلت الحرب ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٠ ازداد الانتاج الاجمالي للصناعة السوفييتية عن مستوى عام ١٩٤٠ بمعدل ٧٣٪ ، وعن مستوى عام ١٩٤٥ ٨١٪ . وكتب ل . ا . بريجنيف قائلاً : بعد قطع الطريق على التقديرات الغادرة للإعداد من أجل إضعاف دولتنا ضمَّد الشعب السوفييتي جراح الحرب ، وقفز قفزة كبيرة إلى الأمام « بريجنيف ل . ا المنهج اللينيني ، المجلد ٢ ص ٥٦٦ » .

ساعد النجاح في تنفيذ خطة الاقتصاد الشعبي على إنشاء قاعدة متينة للصناعة الحربية ، وتجهيز

القوات بنماذج متقدمة من السلاح والعتاد القتالي . وفي العام ١٩٤٧ أعلنت الحكومة السوفييتية أن القنبلة الذرية لم تعد سراً ، كما أجرى الاتحاد السوفييتي تفجيراً تجريبياً لقنبلة ذرية ، وجرت في آب ١٩٥٣ تجارب للقنبلة الهيدروجينية ، وقضى على احتكار الولايات المتحدة في مجال السلاح النووي ، وقد عزز ذلك القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتي بشكل جدّي ، وقوّى من وضعها الدولي .

في الوقت نفسه ، ومع إنشاء السلاح النووي ، حلَّ الاتحاد السوفييتي مشكلة فنية حربية هامة أخرى هي صنع وسائط لايصال الذخيرة النووية إلى الهدف ، واعتبر الفكر السوفييتي في مجال التنظيم الحربي خلافاً لما هو لدى المنظرين الحربيين البرجوازيين في ذلك الوقت أن الصواريخ الدفاعية الموجهة ذات المدى البعيد أصبحت الواسطة الاستراتيجية الأساسية لايصال الذخيرة النووية إلى الهدف ، حيث أخذت عندئذ محسناتها الهائلة بعين الاعتبار ، بالمقارنة مع الطيران للمدى البعيد وعدم التعرض ، وإمكانية توجيه الضربات المركَّزة الاستخدام ليلاً ونهاراً ، وفي أية شروط نوئية ، والاطلاق من مواضع قتال مموهة بشكل جيد الاحتمال العالي لبلوغ الهدف .

لقد جرت الأعمال المتعلقة بإنشاء صواريخ من أصناف ووظائف مختلفة ، تعمل بالبارود عديم الدخان ، أو بمحركات صاروخية ذات الوقود السائل في الاتحاد السوفييتي منذ الثلاثينيات ، كما تم في فترة ما بعد الحرب تركيز القوى العلمية ـــ الفنية لتحسين العتاد الصاروخي وتطويره ، مما سمح للاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٤٧ أن ينجز الأعمال المتعلقة بإنشاء الصواريخ الدفعية ذات الوقود السائل البعيدة المدى ر ـــ ٠١ ، وصمم العلماء السوفييت بين ١٩٤٧ ـــ ١٩٤٩ صواريخ دفعية أكثر تطوراً ، أصبحت مفخرة صناعة الصواريخ السوفييتية ، إلا أن السلاح الصاروخي ـــ النووي لم يكن قد دخل إلى القوات في تلك الأعوام ، وعلى الرغم من القيام بالتجارب النظرية في مجال استخدامه القتالي توجهت الجهود الرئيسية في القوات المسلحة السوفييتية لتحسين السلاح التقليدي ، وتطوير الطيران النفاث كلية .

تميز تطور أسلحة المشاة بصنع بواريد ذاتية التلقيم محسنة ، ومسدسات رشاشة ، ورشاشات خفيفة وثقيلة تؤمن للمشاة كثافة نيران خفيفة في القتال القريب ، وأعلى مما كان في الحرب المنصرمة . وتدل الخبرة القتالية على أن الرشاشات الثقيلة يجب أن يخفف وزنها قدر الإمكان ، والا يصعب نقلها في ميدان المعركة ، وانطلاقاً من ذلك لم تستخدم أجهزة التبريد المائي والمناصب الثقيلة الوزن في نماذج الرشاشات الجديدة ، وعند تصميم الرشاشات الخفيفة أعطي الانتباه الخاص إلى الإقلال من وزنها ، وبالتالي زيادة حركيتها في ساحة المعركة .

في بداية سنوات الخمسينيات كانت البارودة « سيمينوف » ذاتية التلقيم ، والبندقية الآلية « كالاشينكوف » ، والرشاش الخفيف ر ب د ، والرشاش المتوسط رب ـــ ٤٦ في تسليح المشاة السوفييتية ، كما جهزت القوات أيضاً بالرشاش الكبير العيار ٥ر١٤ مم ، والرشاشات الثنائية والرباعية المضادة للطائرات ز ب و ـــ ٢ ، ز ب و ـــ ٤ ، التي تؤمن التأثير على الطائرات والأهداف الأرضية على أمدية حتى ٢ كم . وأمنت الأسلحة الجديدة للمشاة الرمي الفعال في ميدان المعركة . ولما كانت الحرب قد

أظهرت أن المشاة تحتاج لوسائط مضادة للدبابات أكثر قوة فقد تطلب الأمر إنشاء نماذج جديدة مختلفة من قاذفات الرمّانات والمدافع عديمة التراجع .

تعاظمت في سنوات ما بعد الحرب الإمكانات القتالية والحركية للمدفعية السوفييتية التي كانت قد أظهرت صفات متفوقة في سنوات الحرب . وسار تطور المدفعية بعد الحرب الوطنية العظمى على طريق إنشاء نماذج جديدة ، وتجديد المدافع الموجودة في تسليح القوات .

دخل في تسليح الجيش السوفييتي المدفع د ــ ٤٨ المضاد للدبابات عيار ٨٥مم الجديد ، والمدفع د ــ ٧٤ عيار ١٢٢مم ، والمدفع م ــ ٤٦ عيار ١٣٠مم ، والمدفع م ــ ٤٧ عيار ١٥٢مم ، والهاون عيار ٢٤١مم ، وكذلك المحطات الرادارية لكشف قطع الأهداف الأرضية (الشكل ٥٦) ، يبين (الجدول ١٨) الميزات التكتيكية الفنية الأساسية كبعض نماذج المدفعية التي كانت في تسليح الجيش السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية .

تمتعت المدافع الجديدة بمدى رمي كبير ، وبمزيد من القدرة على الاختراق ، كما ازداد الوزن النوعي للمدافع ذات العيار الكبير ، وتحسنت الخصائص القتالية للذخيرة وفعاليتها على الهدف والميزات الدفعية وتجميع الرمي .

أوجد التطور اللاحق السلاح الصاروخي ، وكانت النماذج التي دخلت في تسليح القوات ب م ــ ١٤ ، ب م ــ ٢٤ ، وب م د ــ ٢٠ ، تفوق إلى حد كبير «الكاتيوشا» التي كانت قد استخدمت في سنوات الحرب الماضية .

أعطي انتباه لحركية المدفعية ومناورتها ، وبالتالي لإمكاناتها في تأمين الأعمال القتالية للقوات البرية ، كما تم تحويل عدد من نماذج المدفعية إلى مدفعية ذاتية الحركة ، ودخلت وسائط الجر الجديد إلى قطعات المدفعية التي تستطيع تأمين تحرك حتى نماذج المدفعية الثقيلة بسرعة ٢٥ ــ ٣٠ كم/سا .

أعطى ازدياد مدى الرمي وتزايد مناورة المدفعية إمكانية للرمي على كامل عمق المنطقة التكتيكية لدفاع العدو وتأمين زج الأنساق الثانية والاحتياطات في المعركة (الموقعة) بفعالية أكبر ، والمعاونة في الاستيلاء على النطاق الدفاعي الثاني ، والمواضع الوسطية من الحركة ، وكذلك الصراع ضد مدفعية العدو بنجاح .

جرت تغيرات كبيرة في تسليح القوات المدرعة ، وأظهرت تجربة الحرب ضرورة زيادة سماكة تدريع الدبابة ، وتقوية تسليحها ، وزيادة احتياطي المسافة المقطوعة ، والقدرة على الاجتياز ، وسرعة التحرك . ونجح المصممون السوفييت في تنفيذ هذه المهمة ، وصمّموا خلال مهل قصيرة أنواعاً جديدة من الدبابات . إن الدبابات ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ ، التي دخلت إلى القوات فاقت من حيث المعطيات التكتيكية الفنية

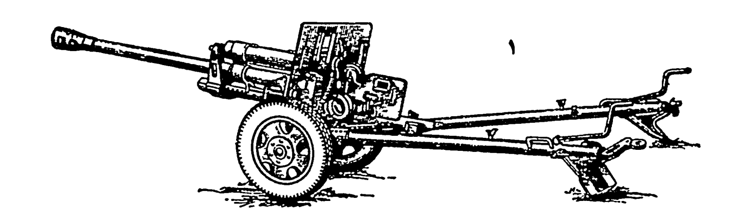
إلى حد كبير دبابات أزمنة الحرب العالمية الثانية ، كما أنها تتفوق في الكثير من الميزات القتالية والفنية على الدبابات المتوسطة للعديد من أقطار العالم حتى في الوقت الحاضر .

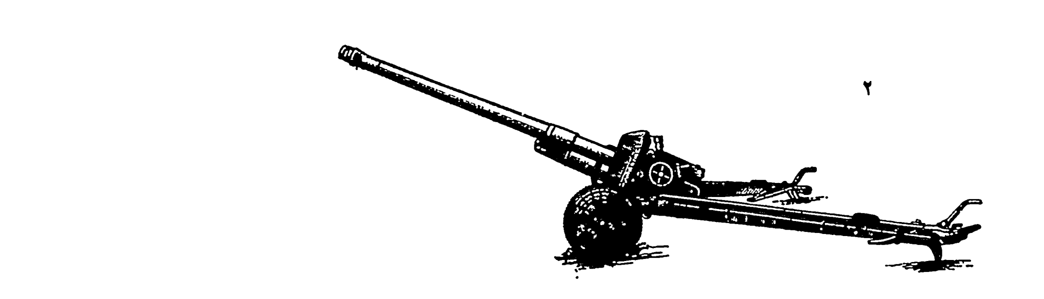
وجد في تسليح القوات المدرعة أيضاً الدبابة الثقيلة ي. س ــ ٢ ، ي. س ــ ٣ ، والدبابة البرمائية ب ت ــ ٧٦ (الشكل ٥٧) . ويبين (الجدول ١٩) معطيات بعض الدبابات التي وجدت في تسليح القوات المدرعة السوفييتية بعد الحرب العالمية الثانية

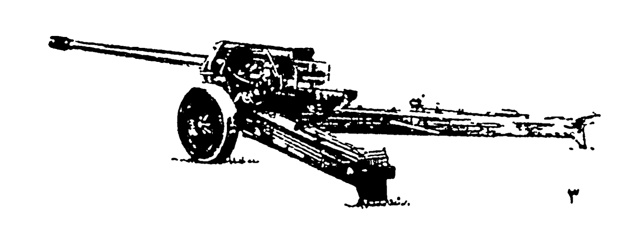
(الجدول رقم ١٨)

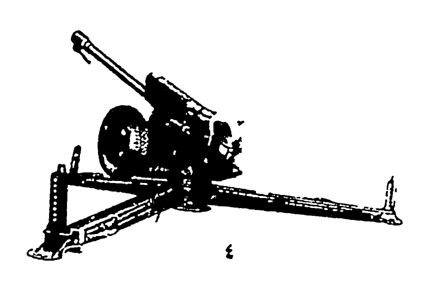
الميزات التكتيكية ــ الفنية للمدفعية السوفييتية التي كانت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية

النموذج	سنة الانتاج	كتلة المدفع في القتالية كغ	المدى الأقصى للرمي م	مدى المعركة م	السرعة الابتدائية للقذيفة م	قدرة الاختراق على مسافة ٥٠٠ م م	كتلة القذيفة كغ
المدفع م/د ٥٧ مم	١٩٤٣	١٢٥٠	٨٤٠٠	١١٠٠	٩٩٠	١٠٠	٣ر١٤
المدفع ٧٦ مم	١٩٤٢	١٤٨٠	١٣٣٠٠	٩٤٠	٦٨٠	٧٠	٦ر٥
المدفع ١٠٠ مم	١٩٤٤	٣٦٥٠	٢١٤٠٠	١٠٨٠	٨٨٧	١٦٠	١٥ر٩
المدفع د/٤٨ عيار ٨٥ مم	١٩٤٨	١٨٠٠	١٥٦٥٠	٩٥٠	٦٥٥	٢٠٠	٩ر٥
المدفع د/٧٤ عيار ١٢٢ مم	١٩٤٦	٧٩٠٠	٢٠٤٠٠	١٠٠٠	٧٩٠	—	٢٥ر٠
المدفع د/٤٦ عيار ١٣٠ مم	١٩٥٣	٧٧٠٠	٢٧١٥٠	١١٤٠	٩٣٠	٢٠٠	٣٣ر٤
المدفع د/٤٧ عيار ١٥٢ مم	١٩٥٣	٨٤٥٠	٢٠٤٧٠	٨٠٠	٧٧٠	—	٤٣ر٥٦
القذاف د/٣٠ عيار ١٢٢ مم	١٩٦١	٣١٥٠	١٥٣٠٠	٨٠٠	٦٩٠	٣٠٠	٢١ر٨









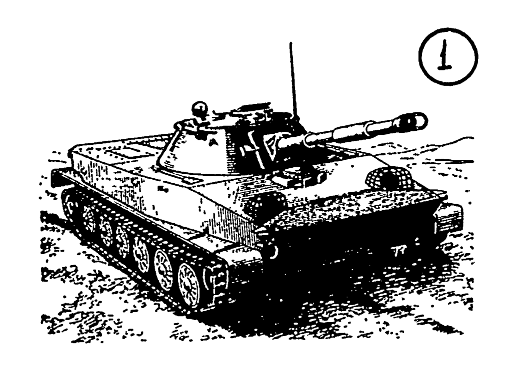
(الشكل رقم ٥٦) ـ بعض نماذج المدفعية التي وضعت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية.

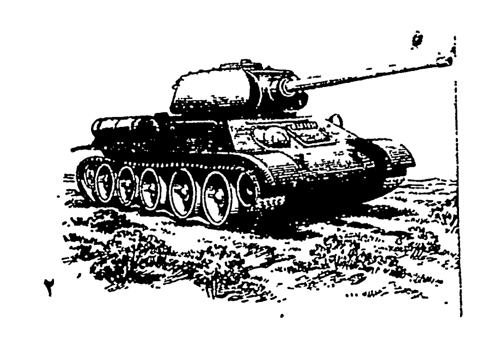
١ ـ المدفع عيار ٧٥ مم.

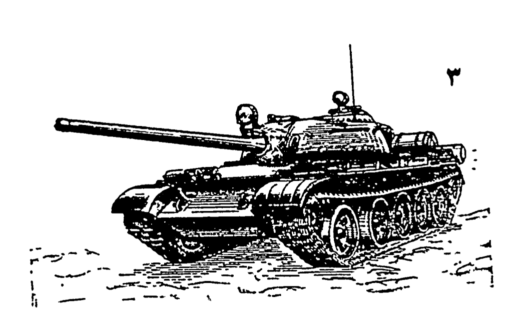
٢ ـ المدفع عيار ١٠٠ مم.

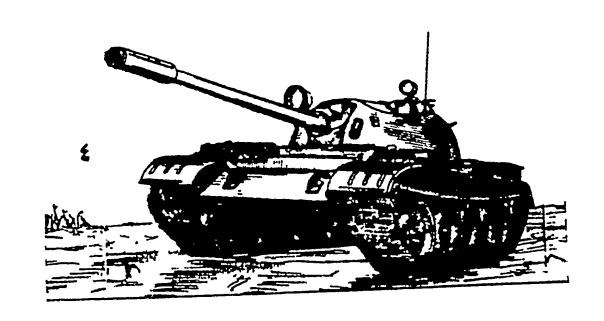
٣ ـ المدفع م ـ ٤٦ عيار ١٣٠ مم.

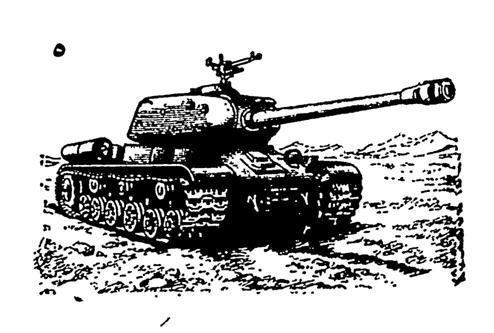
٤ ـ المدفع د ـ ٣٠ عيار ١٢٢ مم.













(الشكل رقم ٥٧) ــ النماذج الجديدة من الدبابات السوفييتية التي وجدت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية.

١ ــ الدبابة البرمائية ب ت ــ ٧٦.
٢ ــ الدبابة المتوسطة ت ــ ٣٤ ــ ٨٥.
٣ ــ الدبابة المتوسطة ت ــ ٥٤.
٤ ــ الدبابة المتوسطة ت ــ ٥٥.
٥ ــ الدبابة الثقيلة ي س ــ ٢.
٦ ــ الدبابة الثقيلة ي س ــ ٣.

(الجدول رقم ١٩)

المعطيات التكتيكية ــ الفنية للدبابات السوفييتية التي وجدت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية

ماركة الدبابة	سنة الانتاج	الكتلة طن	الطاقم سدين	التسليح		سماكة التدريع جبهة البرج مقدمة الجسم مم	استطاعة المحرك حصان بخاري	السرعة القصوى كم/سا	احتياطي المسافة المقطوعة
				المدفع مم	الرشاش مم				
ب ت ــ ٧٦	١٩٤٩	١٤	٣	٧٦	١	مضاد للرصاص	٢٤٠	٤٤	٤٠٠
ت ــ ٣٤ و ٨٥ متوسطة	١٩٤٤	٣٢	٥	٨٥	٢	٩٠ / ٤٥	٥٠٠	٥٥	٤٢٠
ت ــ ٥٤ متوسطة	١٩٤٩	٣٦	٤	١٠٠	٢×م/ط	٢٠٠ / ١٠٠	٥٢٠	٥٠	٤٠٠
ت ــ ٥٥ متوسطة	١٩٥١	٣٦	٤	١٢٢	٣+م/ط	٢٠٠ / ١٠٠	٥٨٠	٥٠	٥٠٠
ي س ــ ٢ ثقيلة	١٩٤٣	٤٦	٤	١٢٢	٣+م/ط	١٢٠ / ٩٠	٥٢٠	٣٧	٢٤٠
ي س ــ ٣ ثقيلة	١٩٤٥	٤٨	٤	١٢٢	٢+م/ط	١٢٠ / ١١٠	٥٢٠	٤٠	٢٤٠

وفي الوقت نفسه تُصنع للقوات الميكانيكية الناقلات المدرعة ب ت ر ـــ ٤٠ وب ت ر ـــ ١٥٢، كما تدخل قواعد المدفعية ذاتية الحركة في تسليح القوات، وكانت كافة هذه النماذج تتمتع بمعطيات تكتيكية ـــ فنية أعلى من معطيات النماذج المعادلة في فترة الحرب.

دخلت الأنواع الأكثر تطوراً من العتاد القتالي في القوات الاختصاصية أيضاً، فقد حصلت قوات الهندسة على وسائط عبور ذاتية الحركة، ومزودة بالمحركات وآليات قوية لحفر التربة، وكذلك العتاد الجديد الآخر الذي ارتفع وزنه النوعي في القطعات والتشكيلات السوفييتية.

خطت قوات الاشارة إلى الأمام قدماً، فقد تزودت بالأجهزة اللاسلكية المطورة ذات الموجة القصيرة والقصيرة جداً، وظهرت أنواع جديدة من أجهزة الاستقبال الخاصة، وعقد الاتصال والخطوط اللاسلكية الوسطية، وأنشىء لمقرات السيطرة عقد اتصال متحركة تبادلية تؤمن تنظيم الاتصال خلال مهل قصيرة جداً، كما تطورت قوات الكيمياء، والطرق والقوات الخاصة الأخرى.

خلقت القاعدة الاقتصاد والعلمية ـــ والفنية المتنامية للاتحاد السوفييتي الشروط لانتقال الطيران الحربي السوفييتي من الطائرات المكبسية إلى الطائرات النفاثة والتوربينية. وتمَّ في ربيع ١٩٤٦ في الاتحاد السوفييتي أول تحليقات على المقاتلات النفاثة ميغ ٩، وياك ١٥، ثم بدأ يدخل على تسليح الطيران المقاتلات النفاثة ميغ ١٥، وميغ ١٧، لا ١٥، ياك ١٧، ياك ٢٣، وطائرات أخرى (الشكل ٥٨)، حيث بلغت سرعتها حتى ١٢٠٠ كم/سا وبينما كانت السرعة القصوى لأفضل المقاتلات المكبسية المصنوعة في نهاية الحرب ٦٠٠ ـــ ٧٠٠ كم/سا.

تمتعت المقاتلات بمدى طيران كبير جداً وبسقف عملي وسرعة تسلق، كما زودت بتجهيزات أكثر تطوراً، مناظير تسديد محسنة قائس مسافات لاسلكية، ومحطات رادارية للالتقاط والتوجيه نحو الهدف.

تجلّت الخطوة الهامة في تطور الطيران بإنشاء قاذفات القنابل الثقيلة البعيدة المدى، وانحصرت الآلة الأساسية في الزمن الأول للطيران البعيد بقاذفة القنابل رباعية المحركات تو ٤، التي بدأ انتاجها في العام ١٩٤٧، إلا أنه مع التطور العاصف للعتاد النفاث ووسائط الدفاع لم تستطع أن تؤمن تنفيذ المهام القتالية بالكامل، وكبديل للطائرة تو ٤، جاءت قاذفة القنابل النفاثة البعيدة المدى تو ١٦، وكانت سرعتها القصوى تقارب ١٠٠٠ كم/سا وهي مزودة بالسلاح الدفاعي القوي، وكانت تستطيع أن تحمل حمولة كبيرة من القنابل.

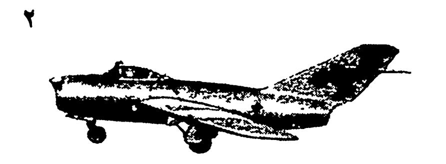
في العام ١٩٤٩ بدأ الانتاج التسلسلي لقاذفة القنابل الجبهوية إل ـــ ٢٨ ذات المحركين النفاثين، وقد فاقت قاذفات القنابل المكبسية الجبهوية من حيث السرعة ومدى الطيران بمعدل مرتين ومن حيث حمولة القنابل بمعدل ٣ مرات وكان لها تسليح رشاشات قوي يبين (الجدول ٢٠) المعطيات التكتيكية ـــ الفنية الأساسية للطائرات القتالية السوفييتية التي وجدت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية.

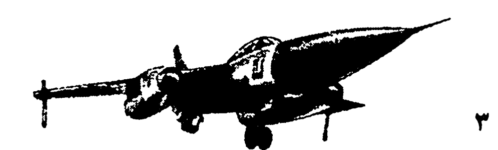
(الجدول رقم ٢٠)

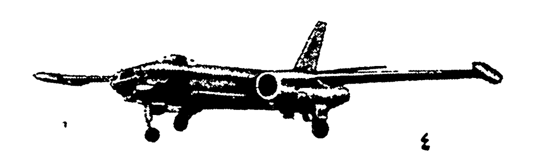
المعطيات التكتيكية ــ الفنية للطائرات السوفييتية التي وجدت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية

وظيفة الطائرات	أنواع الطائرات		الفترة	عدد المحركات	السرعة القصوى كم/سا	السقف العملي كم	المسافة القصوى	التسليح	حمولة القنابل كغ
	مكبسية	نفاثة							
المقاتلات	ياك ٣		١٩٤٥	١	٦٨٠ــ٧٤٠	١٢ــ١٤	١٢٠٠	١ــ٤ مدافع ٢٠ ــ ٣٠ مم أو ٤ــ٦ رشاشات	١٠٠ ــ ٢٠٠
		ياك ١٥ لا ١٥ ميغ ١٥	١٩٤٦ ــ ١٩٥٠	١	١٠٠٠ــ١١٥٠	حتى ١٥	حتى ١٢٠٠	١ ــ ٣ مدافع ٢٣ ــ ٢٧ مم صواريخ	حتى ١٠٠
قاذفات القنابل الجبهوية	تو ــ٢		١٩٤٥ــ١٩٤٨	٢	٤٥٠	حتى ١٠	٢٠٠٠	٢ مدفع	حتى ٢٠٠
		إل ٢٨	اعتباراً من ١٩٤٨	٢	٩٠٠	حتى ١٥	٥٠٠٠	٢ مدفع صواريخ	٣٠٠٠
قاذفات القنابل البعيدة المدى	إل ٤ تو ٤		١٩٤٥ ١٩٥٣	٢ ــ ٤	٤٠٠ــ٦٤٠	١٠	٣٠٠٠ــ٦٠٠٠	٦ــ١٠ مدافع ورشاشات	٤٠٠٠ــ١٢٠٠٠
		تو ١٦	اعتباراً من ١٩٥٣	٢	حتى ١٠٠٠	١٥	حتى	٢ــ٧ مدافع صواريخ	١٠٠٠٠

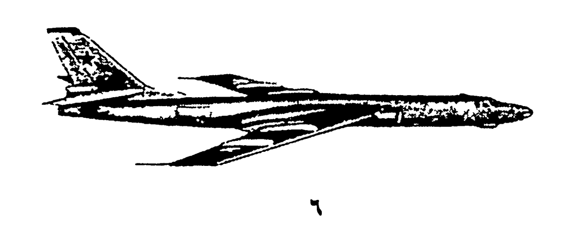












(الشكل رقم ٥٨) ــ بعض أنواع الطائرات القتالية السوفييتية التي وجدت في التسليح بعد الحرب العالمية الثانية.

١ ــ المقاتلة ياك ــ ٩.
٢ ــ المقاتلة ميغ ــ ١٥.
٣ ــ المقاتلة ياك ــ ٢٣.
٤ ــ قاذفة القنابل إل ــ ٢٨.
٥ ــ قاذفة القنابل البعيدة المدى تو ــ ٤.
٦ ــ قاذفة القنابل البعيدة المدى تو ــ ١٦.

إن تحويل تسليح الطيران الحربي السوفييتي إلى الطائرات النفاثة ذات السرعة التي تصل حتى سرعة الصوت، وتجهيزه بمدافع وصواريخ أكثر قوة، وبأجهزة تسديد جديدة تؤمّن إصابة الأهداف دون رؤيتها بالنظر وبمنظومات الهبوط «الأعمى» قد زاد من الإمكانات القتالية للقوى الجوية، واستطاعت الطائرات القتالية السوفييتية أن تنفذ المهام القتالية نهاراً وليلاً، وليس في الشروط النوئية السهلة فحسب بل وفي الصعبة أيضاً.

وصلت التغيرات الجوهرية إلى طيران النقل الحربي أيضاً، فقد دخل في تسليحه الطائرات إل ــ ١٢، وإل ــ ١٤ ذات الحمولة الكبيرة، وبميزات طيرانية ــ فنية أفضل مما لدى طائرات النقل السابقة، وبدأ إدخال الحوامات مي ــ ١، ومي ــ ٤، في القوات.

ودلت خبرة الحرب بأن الدفاع الجوي المثالي لا يمكن تأمينه إلا على أساس تضافر جهود وسائط الدفاع الجوي الاقليمي والقوات. وانطلاقاً من ذلك فقد جرى تطور وسائط الدفاع الجوي ككل، ففي فترة ما بعد الحرب تـمّ تصميم المدافع ٥٧، ١٠٠، ١٣٠ مم م/ط وقواعد المدافع والرشاشات م/ط الذاتية الحركة، وإدخالها في التسليح، كما تم تصميم الأجهزة المناسبة من أجل استخدامها الفعال. وفي بداية سنوات الخمسينيات ظهر في قوات الدفاع الجوي الإقليمي المجموعات الصاروخية م/ط التي تستخدم الصواريخ الموجهة م/ط، مما زاد إلى حد كبير الإمكانات القتالية لوسائط الدفاع الجوي للصراع ضد طيران العدو.

أخذت القوى البحرية تتلقى سفن سطح أكثر تطوراً تتمتع بصفات إبحار ومناورة عالية، وبتسليح قوي من المدفعية والوسائط م/ط والطوربيدات والألغام، وبأجهزة محسنة لسياقة السفن، وقيادتها في القتال، كما تم في الوقت نفسه تجديد السفن التي أنشئت قبل الحرب، فجرى فيها تقوية المدفعية والتسليح م/ط، والتسليح المضاد للغواصات ناهيك عن إدخال التحسينات الفنية الأخرى.

في سنوات الخمسينيات بدىء في الاتحاد السوفييتي بإنشاء الغواصات الذرية التي فتحت صفحة جديدة في تطور الأسطول البحري الحربي السوفييتي، فقد فاقت المحركات الذرية من حيث استطاعتها جميع أنواع المحركات الموجودة بعدة أصناف، وأدى ذلك إلى إنشاء غواصات جديدة مبدئياً ذات مدى غير محدود عملياً وإمكانية فائقة للعوم الذرّي، وسرعات عالية فوق الماء وتحته، كما نما الطيران البحري والمدفعية الساحلية حيث دخل في تسليحها القذائف الصاروخية والصواريخ بكميات كبيرة.

حققت وسائط النقل تطوراً كبيراً من ناحية النوعية والكمية على حد سواء، وحصلت القوات من المصانع على كمية كبيرة من وسائط النقل ذات الجر الميكانيكي، مما سمح بنقل جميع الأفراد مع الأسلحة والوسائط المادية ــ الفنية الأخرى الضرورية لخوض الأعمال القتالية، وتأمين العيش، وارتفع الوزن النوعي للسيارات ضمن الكمية العامة للآليات بصورة قوية، وحققت السيارة تطوراً خاصاً في الاستطاعة الكبيرة، والقدرة على الاجتياز والحمولة.

بهذا الشكل سمح التطور المتزايد السريع للقوى المنتجة، والاكتشافات العلمية الفنية الكبيرة،

والإنجازات الإنشائية للاتحاد السوفييتي أن ينشيء خلال مدة تاريخية قصيرة أساساً متيناً لصناعة دفاعية متينة، وأن يجهز القوات بأنواع فعالة جديدة من السلاح والعتاد القتالي، أثرت تأثيراً جوهرياً على تنظيم القوات المسلحة، وتطوير تنظير الفن الحربي.

١١ ــ ٣ ــ تحسين البنية التنظيمية للقوات المسلحة السوفييتية

أدى تحويل القوات المسلحة إلى وضعية الدفاع إلى تغييرات جوهرية في أجهزة القيادة العسكرية العليا. ففي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ ألغيت لجنة الدولة للدفاع، وأوقفت هيئة القيادة العليا نشاطها، وفي شباط (فبراير) ١٩٤٦ تشكلت وزارة القوات المسلحة «التي دعيت بوزارة الدفاع اعتباراً من آذار (مارس) ١٩٥٣»، والتي شملت في تبعيتها الجيش والطيران والأسطول. وبغية تأمين التعاون الوثيق بين أنواع القوات المسلحة أصبح رئيس الأركان ورئيس المؤخرة والقادة العامون لأنواع القوات المسلحة في الوقت نفسه نواباً لوزير القوات المسلحة السوفييتية.

وقد أثرت خبرة الحرب المنصرمة، وكذلك التسليح والعتاد القتالي الجديد على تنظيم شكل القوات التي اتجه تطورها قبل كل شيء نحو تعزيز الإمكانات القتالية، والمناورة للقطعات والتشكيلات بصورة واسعة، واستند كل من التنظير وممارسة إنشاء الجيش والأسطول على الاستنتاجات النابعة من الحياة للعلم الحربي السوفييتي، وأوضح المذهب الحربي بأن أهداف الحرب تتحقق بالجهود الموحدة لجميع أنواع القوات المسلحة والصنوف، وباستخدامها العملياتي الاستراتيجي الجيد.

وبالتوافق مع تطور جميع مقومات القوات المسلحة وايلاء الأهمية الكبيرة لتحسين جميع أنواعها أعطى القادة السوفييت الانتباه الخاص إلى تلك المقومات التي تؤمن استخدام السلاح الجديد بفعالية أكثر، عند حل مسائل تغيير البنية التنظيمية لأجهزة قيادة القوات المسلحة. كذلك أخذت بعين الاعتبار خبرة إنشاء الجيش والأسطول ومنجزات العلم والتكنيك وإمكانات الاقتصاد السوفييتي والتطور الاجتماعي ــ السياسي للمجتمع، كما جرى تقدير الموقف من جميع جوانبه أيضاً، وكذلك حالة وسائط هجوم جيوش الدول الامبريالية واتجاه تطورها، والطبيعية المحتملة للحرب المقبلة التي يعدونها.

من المعروف أن القوات المسلحة السوفييتية كانت تتألف بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من القوات البرية والقوى الجوية والأسطول البحري الحربي. وحدث في عام ١٩٤٨ قوة مستقلة من القوات المسلحة، هي قوات الدفاع الجوي الاقليمي، كما كانت قوات الانزال الجوي تتمتع أيضاً بالاستقلالية التنظيمية. وقد تم إخراجها من القوى الجوية في حزيران (يونيو) ١٩٤٦ حيث أصبحت كنوع من القوات المسلحة.

بقيت القوات البرية النوع الأساسي والأكثر عدداً بين أنواع القوات المسلحة، في سنوات ما بعد الحرب. وكان وزنها النوعي عند نهاية الحرب يشكل ٨٠٪ من التعداد العام للقوات.

احتوت القوات البرية صنوف القوات، قوات المشاة المحمولة، القوات المدرعة، المدفعية، قوات الدفاع الجوي وكذلك القوات الاختصاصية: قوات المهندسين، الكيمياء، الاشارة، الفنية اللاسلكية،

ألعربات ، الطرقات ، وقوات أخرى . وانتهى في عام ١٩٥٤ وجود الخيالة التي كانت تدخل في قوام القوات البرية كصنف قوات ، وازداد باطراد دور القوات المدرعة ، والقوات الميكانيكية ، والمدفعية ، وقوات الدفاع الجوي .

جرى في ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٠ تزويد القوات السوفييتية بالآليات الميكانيكية ، وفرق الدبابات .

وازدادت إلى حد كبير قوة النار والصدمة لقوات المشاة ، وأُدخل على قوام فرقة المشاة ـــ فوج دبابات وقوانص ، وعلى قوام أفواج المشاة ـــ سرايا قوانص س ـــ ٧٦ ، وأصبحت الفرقة أكثر حركية بفضل امتلائها بالدبابات والقوانص والعربات والناقلات المدرعة ، كما حصلت الفرقة أيضاً على أسلحة خفيفة ، ومدفعية أكثر تحسيناً ، مما عزز إلى حد كبير القدرة النارية لقطعاتها ووحداتها ، وزاد من الإمكانات القتالية ، وجعلها أكثر استقلالية ، وقادرة على خوض المعركة الهجومية الفعالة ، والمعركة الدفاعية الصامدة على حد سواء . وازداد وزن صبيب مدفعية وهاون فرقة المشاة في نهاية العام ١٩٤٦ بالمقارنة مع فترة الحرب مرتين ، ومن حيث الإمكانات النارية كانت أقوى من الفرقة الانكليزية والفرنسية ، ولم تقل عن الفرقة الأمريكية .

أعيد تنظيم فيلق المشاة بشكل جوهري ، وكان يدخل في قوامه في العام ١٩٤٦ فرقتا مشاة ، وفرقة ميكانيكية ، وعدد من القطعات الفيلقية ، وازدادت كمية المدفعية في الفيلق بمعدل ٢١٪ ، وبلغ الصبيب الناري للفيلق عام ١٩٥٣ ٣٧ طناً ، دون حساب الدبابات والقوانص والمدفعية م / ط ، أي بزيادة ٧ مرات مع الصبيب السابق للفيلق في نهاية الحرب الوطنية العظمى ، وازدادت الدبابات والقوانص بمعدل ٢٠ مرة ، وزادت الفرقة الميكانيكية الداخلة في قوام الفيلق الحركي وقوة الصدمة لديه إلى حد كبير ، وكان عدد الدبابات والقوانص الموجودة فيها لا يقل عما كان في الفيلق الميكانيكي إبّان سنوات الحرب . ومن حيث صفات المناورة فإن الفيلق لم يقل عن جيش الدبابات في سنوات الحرب ، وكان يستطيع أن ينفذ المهام القتالية لتشكيل كبير عملياتي مماثل للجيش المشترك في فترة الحرب ، إلا أنه كان هناك أيضاً نقائص في تنظيم القطعات والتشكيلات ، وعلى وجه الخصوص ـــ الكمية غير الكافية من الوسائط المضادة للطائرات والعتاد الهندسي ووسائط الاتصال .

مع ازدياد الإمكانات القتالية لفيلق المشاة ، وتقوية القطعات التابعة للجيش تحول الجيش المشترك في جوهره إلى تشكيل ميكانيكي كبير قادر ليس على تنفيذ مهام اختراق الدفاع فحسب بل وتطوير النجاح في العمق العملياتي ، والقيام بتطويق تجميعات العدو الكبيرة ، وتدميرها بالتعاون مع الجيوش الأخرى .

تابعت القوات المدرعة والميكانيكية التطور ، وسرعان ما أعيد تشكيل فيالق الدبابات ، والفيالق الميكانيكية ، لتصبح فرقة دبابات ، وفرقةً ميكانيكية ، وأنشىء عوضاً عن جيوش الدبابات جيوش ميكانيكية ، كانت تضم عادة فرقتي دبابات وفرقتين ميكانيكيتين ، حيث فاقت من ناحية عدد الدبابات والقوانص جيوش الدبابات في فترة الحرب إلى حد كبير . ونظراً لتمتع هذه الجيوش الميكانيكية بالمقارنة مع الجيش المشترك ، ولوجود دبابات وقوانص ووسائط مدفعية د م / ط قوية ، فقد اعتبرت وسائط فعالة جداً لتطوير النجاح في العملية .

في سنوات ما بعد الحرب لم تتغير البنية التنظيمية لمدفعية القوات فحسب بل ولمدفعية احتياط القيادة العامة العليا أيضاً، وازدادت في القطعات والتشكيلات كمية المدافع والهواون، وكذلك أجهزة ووسائط دارة النيران في الوقت نفسه، وبالعلاقة مع وصول الصواريخ والمدفعية إلى التسليح أرسيت أسس صنف جديد من القوات (قوات صواريخ).

ازدادت كمية المدفعية م/ط الموضوعة في قوام التشكيلات والتشكيلات الكبرى المشتركة إلى حد كبير، بالمقارنة مع فترة الحرب الوطنية العظمى، مما ساعد على زيادة فعالية الصراع ضد العدو الجوي، وعلى تعاظم دور وأهمية الدفاع الجوي للقوات، كما أن تجهيز القوات الهندسية والكيميائية والقوات الاختصاصية الأخرى بعتاد جيد أكثر تطوراً هيأ لها التطور اللاحق، وقد ظهر ذلك على وجه الخصوص بتزايد قوى القوات الاختصاصية ووسائطها في جميع أوجه تشكيل القوات، وتم تعزيز الوحدات المخصصة للقيام بالتدابير المتعلقة بالجماعة الذرية، وذلك على ضوء الإمكانية الحقيقية لاستخدام السلاح الذري من قبل العدو، وأعيد تجهيز وحدات الإشارة بمجموعات جديدة من وسائط إشارة القوات، وضمناً بمحطات الرابطة اللاسلكية.

وعلى العموم فإن التدابير المتعلقة بتحسين البنية التنظيمية للقوات البرية، وإدخال العتاد القتالي والسلاح الجديد سمحت بزيادة إمكاناتها للقتال والمناورة إلى حد كبير، وأصبحت تشكيلات القوات البرية وقطعاتها تتمتع من أجل تنفيذ المهام المسندة بوسائط أكثر تطوراً بالمقارنة مع سنوات الحرب الوطنية العظمى.

بجانب تطور القوات البرية تطورت القوى الجوية أيضاً تنظيمياً، فبالمقارنة مع المرحلة الختامية من الحرب العالمية الثانية ارتفع وزنها النوعي في القوات المسلحة السوفييتية عام ١٩٥٣ بما يزيد عن ٣ مرات. ففي العام ١٩٤٦، بالاضافة إلى الطيران الجبهوي تشكل في قوام القوى الجوية كنوع من الطيران ـــ الطيران البعيد المدى، وطيران النقل الحربي.

كان الطيران الجبهوي يتألف من الطيران المقاتل، القاذف، المقاتل ـــ القاذف، الاستطلاع والمساعد. كان الطيران البعيد المدى يتألف تنظيمياً من قطعات الطيران القاذف، وخصص للتأثير على أغراض في المؤخرة العميقة للعدو، في مسارح الأعمال الحربية القارية والمحيطية وللقيام بالاستطلاع الجوي العملياتي والاستراتيجي. وكان طيران النقل الحربي يشمل طيران الإنزال والنقل والطيران الخاص. ومن حيث الوظيفة كان طيران النقل الحربي يقسم إلى ثقيل ومتوسط وخفيف. كما أصبحت حوامات النقل والإنزال تستخدم على نطاق واسع من أجل نقل القوات والحمولات.

لم تَعْتَرِ البنية التنظيمية للقطعات والتشكيلات الجوية تغييرات كبيرة بالمقارنة مع نهاية الحرب الوطنية العظمى.

وأدى تعاظم وسائط الهجوم الجوي وتطورها لدى جيوش الدول الامبريالية، ووجود السلاح النووي لدى الولايات المتحدة إلى تزايد دور الدفاع الجوي وأهميته إلى حد كبير. وظهرت الحاجة للتغطية الجوية

المضمونة، ليس لتجميعات القوات في ميدان المعركة فحسب بل وللمراكز السياسية والادارية والاقتصادية للبلاد أيضاً. وبهذا الهدف أعيد تنظيم جبهات الدفاع الجوي الأربع التي كانت قد أُنشئت في سنوات الحرب لتصبح منطقة الدفاع الجوي.

سار التطور الأول لقوات الدفاع الجوي على قاعدة قطعات المدفعية م/ط، ثم بدىء بتشكيل قوات الصواريخ م/ط التي أصبحت صنف قوات في منتصف سنوات الخمسينيات. كما تم تشكيل قطعات القوات الفنية اللاسلكية وتشكيلاتها. وأصبحت قوات الدفاع الجوي الاقليمي تتألف من قوات المدفعية م/ط، قوات الصواريخ م/ط، طيران الدفاع الجوي، والقوات الفنية اللاسلكية. إن قوات الدفاع الجوي الاقليمي السوفييتية هي قوات ذات جاهزية قتالية دائمة، وهي قادرة على البدء فوراً بتنفيذ المهام القتالية لتغطية البلاد ضد الهجوم الجوي المعادي. في بداية سنوات الخمسينيات عندما وقعت حوادث انتهاك المجال الجوي السوفييتي، قامت قوات الدفاع الجوي الاقليمي بقطع الطريق على جميع محاولات الغزو في المجال الجوي للاتحاد السوفييتي بنجاح.

في شروط الموقف الحربي ـــ السياسي الجديد الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، أعطت الحكومة السوفييتية الانتباه لتقوية الأسطول البحري الحربي. وجرى بناء الأسطول بسرعة أكبر مما كان عليه في فترة ما قبل الحرب. ويكفي أن نقول بأن الحمولة العامة للسفن القتالية التي بنيت وسلمت إلى الأسطول كانت على سبيل المثال في العام ١٩٥٣ أكثر من ٣٠٪ من جميع السفن القتالية للأسطول البحري الحربي من بناء ما بعد الحرب.

وكان تسليحها يتناسب مع مستوى التقدم العلمي ـــ الفني لذلك الزمن. وفي منتصف سنوات الخمسينيات أصبح الأسطول البحري الحربي يتألف من صنوف القوى: سفن السطح، الغواصات، الطيران البحري، قوات المدفعية والصواريخ الساحلية، ومشاة البحرية.

أعطيت الأفضلية في زمن ما بعد الحرب لتطوير سفن السطح الكبيرة. وبعد انشاء الحشوات النووية للصواريخ والطوربيدات، وكذلك بعد البدء بإنشاء الغواصات النووية أعطيت الأفضلية في مجال تطوير الأسطول البحري الحربي إلى الغواصات التي تتمتع بمنظور مستقبلي كبير في خوض الأعمال القتالية في المحيط، بعيدة عن قواعدها الأساسية.

من الناحية التنظيمية يتألف الأسطول البحري الحربي من الأساطيل، والأسيطيلات، والعمارات، والتشكيلات والقواعد البحرية الحربية.

في سنوات ما بعد الحرب جرت متابعة تطوير قوات الإنزال الجوي السوفييتي وتحسينها. فبعد إخراجها عام ١٩٤٦ من قوام القوى الجوية وجعلها بتبعية الوزارة مباشرة، انشىء على قاعدة فرق المشاة بعض تشكيلات الإنزال المظلي وقطعات الإنزال الراكب. وبجانب التغييرات التنظيمية جرى إعادة التسليح. فبدلت النماذج القديمة من السلاح والعتاد القتالي بأخرى جديدة، وازدادت كمية الأسلحة الخفيفة الأتوماتيكية والمدفعية والهاونات والوسائط المضادة للدبابات والمضادة للطائرات في التشكيلات.

وظهر في قوام قوات الإنزال الجوي المدفعية ذاتية الحركة آ س و ــ ٥٧، ومدافع من عيار ٨٥ مم و١٢٢ مم، وقواعد صاروخية وأسلحة أخرى. وبالنتيجة ارتفع وزن صبيب المدفعية والهاونات لدى فرقة الإنزال الجوي عام ١٩٥٣ إلى حد كبير. وعلى العموم قويت قوات الإنزال الجوي إلى حد بعيد، وازدادت إمكاناتها القتالية، وكانت تتمتع باستقلالية تنظيمية كبيرة.

وبهذا الشكل فقد حصل تغيير كبير في تنظيم القوات المسلحة السوفييتية في السنوات الأولى لما بعد الحرب. وذلك بسبب اختصار الجيش والأسطول، وتحويلهما إلى قاعدة مادية ــ فنية أكثر تطوراً. وقد كانت التدابير المنفذة قسطاً هاماً في التنظير والممارسة الخاصة بإنشاء القوات، وهيأت المقدمات الضرورية من أجل التطوير الفني والتنظيمي اللاحق في شروط التقدم العلمي ــ الفني العاصف.

١١ ــ ٤ ــ تطور الفن الحربي السوفييتي في سنوات ما بعد الحرب
ف. د. سوكولوفسكي المنظر الحربي السوفييتي المرموق

أدى تطور الاقتصاد السوفييتي والتقدم العلمي ــ الفني في فترة ما بعد الحرب إلى تغييرات عميقة في وسائط الصراع المسلح. أما تطور السلاح والعتاد القتالي، وتنظيم القوات، فقد جلب معه تغييرات جوهرية في مسائل تنظيم الأعمال القتالية وخوضها، أثرت تأثيراً مباشراً على تطور الفن الحربي السوفييتي، وتناولت جميع مجالاته: الاستراتيجية والفن العملياتي والتكتيك. سار تطور الفن الحربي في اتجاه متابعة معالجة طرق الاستفادة من القوات المسلحة وأشكالها، على أساس التجربة المعممة للحرب العالمية الثانية، مع أخذ إمكانات استخدام السلاح النووي بعين الاعتبار. وقدم المُنَظِّر الحربي السوفييتي المرموق مارشال الاتحاد السوفييتي «ف. د. سوكولوفسكي» في هذه الفترة قسطاً كبيراً في مجال تطور الفن الحربي.

سوكولوفسكي فاسيلي داينلوفيتش:



ولد سوكولوفسكي فاسيلي داينلوفيتش في ١٨٩٧/٧/٢١ وتوفي في ١٩٦٨/٥/١٠، شخصية حربية سوفييتية مرموقة. مارشال الاتحاد السوفييتي، بطل الاتحاد السوفييتي، سليل أسرة فلاحية ــ فقيرة يعمل في الجيش السوفييتي منذ عام ١٩١٨، إبان الحرب الأهلية، شغل وظائف من قائد سرية حتى رئيس أركان فرقة. وبعد انتهاء المجموعة الأولى من أكاديمية الاركان العامة في عام ١٩٢١ عاد ثانية إلى الجبهة، وتقلب في وظائف معاون رئيس إدارة العمليات لجبهة تركستان، وقائد فرقة، قائد مجموعة قوات منطقة. وشارك بشكل فعلي في المعارك ضد البسماتش «عصابة معادية للثورة في آسيا الوسطى إبان الحرب الأهلية». بعد الحرب ــ رئيس أركان فرقة وفيلق، قائد فرقة. اعتباراً من العام ١٩٣٥ ــ رئيس أركان منطقة عسكرية. وفي هذا العمل ظهرت قدرات سوكولوفسكي ف. د. الفائقة، وثقافته العالية في عمل الاركان. واعتباراً من شباط عام ١٩٤١ ــ نائب رئيس الاركان العامة لشؤون التنظيم والتعبئة.

وقدم قسطاً كبيراً في التعبئة العامة واستكمال الجيش الأحمر ، وإيجاد التشكيلات الجديدة قبل الحرب ، وإعادة التجهيز بعتاد جديد .

في سنوات الحرب الوطنية العظمى من تموز عام ١٩٤١ عُيّن الجنرال ف . د . سوكولوفسكي رئيساً لأركان الجبهة الغربية ، التي فتحت قواتها الاتجاه الاستراتيجي الأكثر أهمية وخطورة في الفترة الأولى من الحرب . وشارك مع غ . ك . جوكوف في وضع خطة الهجوم المعاكس بالقرب من موسكو . وفي الموقعة التي جرت قرب موسكو ظهرت بوضوح موهبة سوكولوفسكي ف . د . كرئيس عسكري كبير يستطيع كشف فكرة العدو وتحديد مجموعة التدابير التي تؤمن التنفيذ الأفضل للقرار المتخذ من قبل القائد ، وتوجيه جهود المرؤوسين لتنفيذ المهمة المستلمة .

اعتباراً من شباط (فبراير) عام ١٩٤٣ ، عُيّن قائداً للجبهة الغربية ، التي قامت قواتها بعمليتين هجوميتين بنجاح ، عملية اريول وعملية سمولنسك . واعتباراً من نيسان (ابريل) عام ١٩٤٤ ، غدا رئيساً لأركان جبهة أوكرانيا الأولى . وشارك شخصياً في تخطيط عملية لفوف ــ ساندوميرسكي ، ثم عملية الفيسلا ــ اودر .

واعتباراً من نيسان (ابريل) عام ١٩٤٥ ، عُيّن نائباً لقائد جبهة روسيا البيضاء الأولى . وفي عملية روسيا البيضاء ظهرت موهبة القائد لدى الجنرال سوكولوفسكي ف . د . بقوة جديدة . وكتب المارشال جوكوف غ . ك . عندما وصفه في مجال الخدمة في تموز (يوليو) ١٩٤٥ يقول : « ذو ثقافة عالية واطلاع واسع في المجال العسكري ، وقدرات تنظيمية ، يتمتع الجنرال ... بقوة إرادة كبيرة وطبيعة قاسية ، جريء وحيوي ، حاسم ويتصف بالمبادأة ، يطالب باستمرار لنفسه ولمرؤوسيه . قاد في عملية برلين بصورة مباشرة الأعمال القتالية للاستيلاء على برلين ونفذ المهمة التي اسندها قائد الجبهة بنجاح » . (قادة الحرب الوطنية العظمى ورؤساؤها الحربيون ، إصدار عام ١٩٧١ ، ص ٣٦٠) .

اعتباراً من آذار (مارس) عام ١٩٤٦ عين مارشال الاتحاد السوفييتي سوكولوفسكي ف . د . قائداً لمجموعة القوات السوفييتية في ألمانيا ، وعضواً في مجلس المراقبة لإدارة ألمانيا .

كانت حياة سوكولوفسكي ف . د . تزخر في فترة ما بعد الحرب بالعمل المبدع الجهيد الرامي إلى زيادة القدرة القتالية للقوات المسلحة السوفييتية . واعتباراً من آذار (مارس) عام ١٩٤٩ عُيِّن نائباً أولاً للوزير ، ومن تموز (يوليو) عام ١٩٥٢ ، غدا رئيساً للأركان العامة للقوات المسلحة السوفييتية . وقد وصل المارشال سوكولوفسكي ف . د . إلى هذه المناصب التي تتصف بالمسؤولية وهو يتمتع بالمعارف الحربية العميقة وبالتجربة الهائلة في عمل القيادة والأركان ، وبالحمل السياسي الكبير . عمل ما يزيد عن ١١ عاماً في وزارة الدفاع منها ٨ سنوات في منصب رئيس الأركان العامة ، وقد نفذ عملاً كبيراً في مجال تحسين بناء القوات المسلحة ومتابعة تطوير الفن الحربي .

ظهرت موهبة المارشال سوكولوفسكي ف . د . بشدة في مجال الاستراتيجية الحربية ، وتميزت مقالاته

وخطاباته بالتعمق في المشاكل المعقدة، وبالعمل الإبداعي لحلّها، وبالثقة وبالفطنة. وكان يتمتع بمقدرة ملحوظة على التعليل العلمي والبرهان المقنع لوجهة نظره.

وفي فترة العمل في الأركان العامة ظهرت على وجه الخصوص تلك الصفات البارزة مثل المبدئية العالمية أو التبصر الكثير العمق والمرن لحل المسائل المعقدة، والتطبيق الدؤوب للقرارات المتخذة، والقدرة في الاعتماد على المجموعة، والاستماع إلى النصيحة الحصيفة، وأخذ المسؤولية بالكامل على عاتقه.

أعطى سوكولوفسكي الانتباه الشديد لإعداد كادرات القيادة والأركان. وكان وضع فكرة وخطة تنفيذ المشاريع الكبيرة، ولعبة الحرب يجري تحت إشرافه المباشر. وكان يهتم باستمرار أن تعكس تدابير التدريب العملياتي المستوى المتقدم للعلم الحربي والفن الحربي.

في السنوات الأخيرة من حياته عمل المارشال سوكولوفسكي ف. د. كثيراً لتطوير التنظير الحربي السوفييتي، وكذلك لتعميم الخبرة القتالية للحرب العالمية الثانية. وبمشاركته المباشرة وإشرافه صدرت الكتب «سحق القوات الألمانية الفاشية بالقرب من موسكو» و«الاستراتيجية الحربية» واستمر كتاب «الاستراتيجية الحربية» بالظهور في ثلاث طبعات، كما أنه ترجم وصدر بالكثير من اللغات الأجنبية. وتطلب الاشتراك في عمل مجموعة التحرير الرئيسية لكتاب التنظير الحربي الأساسي «تاريخ الحرب الوطنية العظمى» المؤلف من ٦ مجلدات الجهد الكبير من جانبه.

دفن في موسكو في الساحة الحمراء عند جدار الكرملين.

تطور الاستراتيجية: في مجال الاستراتيجية الحربية في زمن ما بعد الحرب أعطي الانتباه الأساسي لوضع نظرية العمليات الهجومية الاستراتيجية، وتنفيذ الدفاع الاستراتيجي، مع الانتقال لاحقاً إلى الهجوم، وتنظيم تعاون القوات المسلحة وصنوف القوات.

واعتبر الهجوم الاستراتيجي النوع الأساسي للأعمال الاستراتيجية. وانطلاقاً من خبرة الحرب اعتبر بأن عدَّة تشكيلات كبيرة جبهوية، والطيران البعيد المدى، وقوات الإنزال، يمكن أن تشترك في العمليات الاستراتيجية، إضافة إلى الأسطول البحري الحربي على الاتجاهات الساحلية. ويمكن أن ينحصر هدف مثل هذه العمليات بتطويق تجميعات العدو وتدميرها في مسرح الأعمال الحربية.

عند معالجة مسائل الاستراتيجية أعطي الانتباه الكبير إلى الهجوم العام المعاكس كنوع من أكثر أنواع الهجوم تعقيداً. كما اعتبره الفكر العسكري بشكل معلل أنه أحد طرق الأعمال القتالية الفعالة، لكسب المبادأة الاستراتيجية. إن المقدرة على استخدام هذه الطريقة بالقرب من موسكو وستالينغراد وكورسك قد حقق سحق تجميعات العدو الكبيرة، وتطوير الهجوم المعاكس إلى هجوم عام للقوات السوفييتية.

ومع أخذ خبرة الحرب بعين الاعتبار لَحَظَ الفن الحربي تنفيذ الهجوم العام المعاكس بقوى جبهة أو

عدة جبهات بهدف سحق تجميع كبير للعدو المهاجم، وإحباط خططه الهجومية، والاستيلاء على أغراض ونقاط هامة من الناحية الاستراتيجية. ومع سحق التجميع الرئيسي للعدو يجب أن يتحول الهجوم المعاكس إلى هجوم عام استراتيجي.

وعلى العموم حقق التنظير الحربي السوفييتي تطوراً مرموقاً في مسائل تحضير العمليات الهجومية الاستراتيجية وتنفيذها. ويجدر التنويه بالنجاح البارز للفكر التنظيري الحربي في تطور نظرية تنفيذ العمليات الاستراتيجية على التسلسل، أو في وقت واحد من قبل مجموعات الجبهات الموحدة بفكرة واحدة. إلا أنه في تلك السنوات، بقي بعض الملامح المتعلقة بعمليات الحرب الماضية دون تغيير تقريباً، بجانب المدى المتزايد للعمليات الهجومية الاستراتيجية، وحسمية الأهداف الموضوعة، والتوتر العالي للأعمال القتالية، والتغذية السريعة بالقوى والتغير الحاد للموقف. وبرز بشكل نموذجي التحشدات الكبيرة للقوات والكثافات العالية للقوى، والوسائط على الاتجاهات الرئيسية، وخصوصاً في المناطق الملاصقة لقطاع الخرق، حيث لم تؤخذ إمكانية استخدام السلاح النووي من قبل العدو بعين الاعتبار.

إلى جانب تطور تنظير الهجوم الاستراتيجي، أدخل الفكر العلمي الحربي السوفييتي الكثير من النواحي الجديدة في معالجة الدفاع الاستراتيجي، حيث تم عندئذ الاعتراف بأن الدفاع في الشروط الجديدة يمكن أن لا ينفَّذ على المقاييس العملياتية التكتيكية فحسب بل وعلى المقاييس الاستراتيجية أيضاً. إلا أن الدفاع الاستراتيجي قد نظر إليه كنوع مؤقت من الأعمال الاستراتيجية. حيث يمكن أن يكون اضطرارياً أو مخططاً. واعتبر بأن الدفاع الاستراتيجي يجب أن ينفذ بقوى عدة جبهات، بالتعاون مع الطيران البعيد المدى، وقوات مناطق الدفاع الجوية الجبهوية، وقوات الأسطول.

جرى في السنوات الأولى بعد الحرب وضع الطرق والأساليب لخوض الدفاع الاستراتيجي التي أخذت لاحقاً بعين الاعتبار عند التجهيز الفني للقوات. وتجلت الناحية الإيجابية باختيار السبل الصحيحة لزيادة استقراره، مما لاقى انعاكساً بزيادة عمق بنية التجميع الدفاعي، مع وجود أنساق ثانية قوية، وبإنشاء خطوط استراتيجية للدفاع، والاستفادة النشيطة من الاحتياطات الاستراتيجية، واستخدام الطرق الحاسمة لتنفيذ الدفاع الاستراتيجي.

أعطي الانتباه الكبير أيضاً إلى معالجة مسائل استخدام أنواع القوات المسلحة في العمليات الهجومية والدفاعية الاستراتيجية. وخصصت المكانة الرئيسية في جميع أنواع الأعمال الاستراتيجية للقوات البرية.

إلا أنه وبفضل الإمكانات المتزايدة للطيران والأسطول، وقوات الدفاع الجوي، وقوات الإنزال الجوي، اعتبر بأنه ليس من الممكن خوض الأعمال المشتركة ضد القوات البرية فحسب، بل وتنفيذ المهام العملياتية الاستراتيجية المستقلة، وتوجيه الضربات في المؤخرة العميقة، ضد تجميعات القوات والأغراض الاقتصادية الحربية، والتعرض للنقل البحري والمحيطي، والقيام بالعمليات الجوية والبحرية والمضادة للجو.

ونظراً لتزايد دور القوى الجوية ووزنها النوعي، تم في مجال العمليات الاستراتيجية وضع مسائل تتعلق بتحضير العملية الجوية وخوضها لكسب السيطرة الجوية.

وبقي هدفها الرئيسي ينحصر بسحق التجميع الجوي المعادي على اتجاه استراتيجي معين، أو على كامل مسرح الأعمال الحربية عن طريق تدمير الطيران المعادي على الأرض، وفي الجو. وبذلك أُخذ بعين الاعتبار إنشاء تناسب ملائم في القوى، وتأمين السيطرة الجوية في أثناء الهجوم. ومن أجل تنفيذ مثل هذه العملية يخطط لاستدعاء بضعة جيوش من الطيران الجبهوي والبعيد المدى. بالإضافة إلى إمكانية استدعاء طيران الأساطيل والدفاع الجوي الاقليمي.

وبهذا الشكل حظي البحث المتعلق بمسائل الاستراتيجية في الاتحاد السوفييتي في سنوات ما بعد الحرب بالانتباه الكبير. وبنتيجة ذلك حاز تنظيرها على استمرار التطور والتحسين.

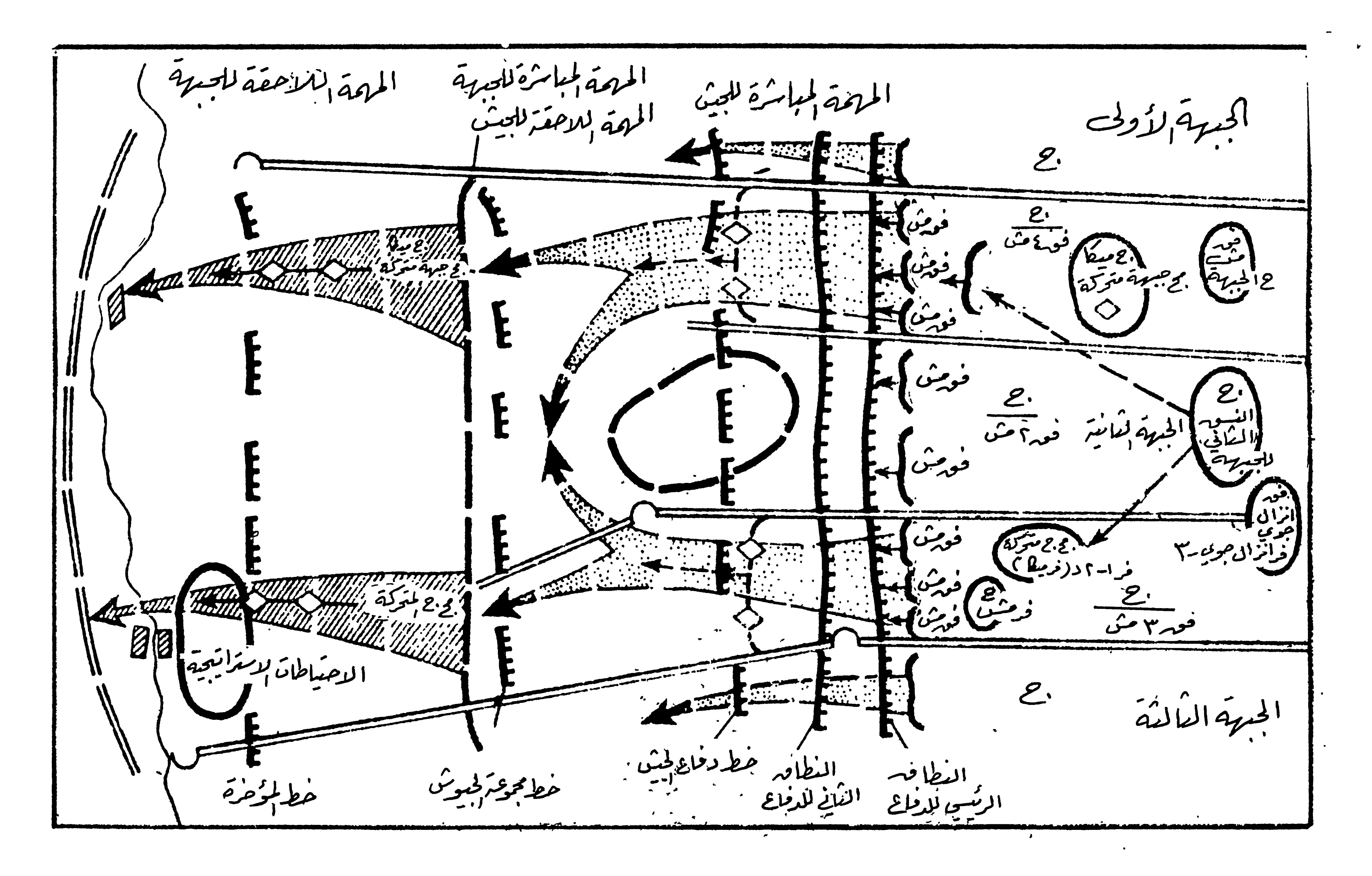
تطور الفن العملياتي: في سنوات ما بعد الحرب تطور الفن العملياتي السوفييتي على أساس دراسة خبرة الحرب العالمية الثانية وتعميمها قبل كل شيء. إلا أنه كان يجب إعادة النظر بعدد من المبادىء التي كانت قد وضعت في سنوات الحرب، بسبب تغير تسليح القوات وتنظيمها، وكذلك بأخذ إمكاناتها القتالية المتزايدة في الهجوم والدفاع على حد سواء بعين الاعتبار.

انطلاقاً من تطور وسائط الصراع المسلح، وتعزُّز إمكانات القتال والمناورة لدى القوات، اعتبر بأن العمليات ستتميز بالمدى الكبير، وحسمية الأهداف، وتوتر الأعمال القتالية، والتطور السريع، وتغييرات الموقف الحادة، ناهيك عن النشاط والمناورة العالية للقوى والوسائط. وفي الوقت نفسه ارتُئي تركيز القوى والوسائط على الاتجاهات الحاسمة، كما كان الحال في فترة الحرب.

تطور تنظير العملية الهجومية العميقة واستندت على خبرة الحرب. بالاضافة إلى وضع مهام جديدة أمام التنظير. لذلك توجب إعادة النظر في أهمية عدد من الأوضاع التي تقادم عليها الزمن.

في معالجة تنظير العمليات الهجومية احتل تحديد مهام الجبهة والجيش مكاناً هاماً (الشكل ٥٩). كان من المهم دائماً تحديد عمق بنية دفاع العدو عند تحديد عمق المهام ومحتواها، وذلك إلى جانب أخذ الهدف وقوى ووسائط ومكان التشكيل الكبير في العملية بعين الاعتبار. وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت جيوش الدول الامبريالية الهامة تخطط بنية دفاع أكثر عمقاً. فالجبهة لا يمكن أن تحقق هدف العملية إلا في تلك الحالة التي تحقق فيها اجتياز دفاع العدو على كامل عمقه، وتطويق تجميعه الرئيسي، وتدميره، وسحق الاحتياطات المتقربة، واحتلال الأغراض والخطوط الهامة التي تؤمن تنفيذ العمليات التالية. ويشترط ذلك أن يسند إلى القوات مهام أكثر عمقاً مما كان عليه الحال في سنوات الحرب.

انحصرت المهمة المباشرة للجبهة كقاعدة بخرق دفاع مجموعة الجيوش المعادية على كامل عمقها، وتطويق تجميعها الأساسي وتدميره، والاستيلاء على الخطوط أو المناطق الهامة على عمق ١٥٠ — ٢٠٠ كم. وانحصرت المهمة اللاحقة بتطوير الهجوم، وسحق احتياطات العدو العملياتية العميقة، أو الاستراتيجية القريبة الواصلة، ومطاردة قواته المنسحبة، والاستيلاء على خط أو منطقة على عمق ٣٠٠ — ٤٠٠ كم.



(الشكل رقم ٥٩) ـ البنية العملياتية ومهام قوات الجبهة والجيش في العملية الهجومية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٤م.

انحصرت المهمة المباشرة للجيش المشترك عادة باختراق الدفاع التكتيكي للعدو ، وسحق قطعات تجميعه العملياتي ، والاستيلاء على نطاق الجيش ، أو على خط يؤمن تطوير النجاح . وانحصرت المهمة اللاحقة للجيش بـ : القيام بالخرق ، سحق الاحتياطات العملياتية ، تطويق التجميع الأساسي المعادي وتدميره بالتعاون مع جيوش الجبهة الأخرى . تطوير الهجوم في العمق بهدف الاستيلاء على خط أو غرض يؤمن تنفيذ العملية التالية . وتطلب تنفيذ المهمة اللاحقة زجَّ النسق الثاني أو احتياط الجيش في الموقعة .

وبهذا الشكل ازداد في سنوات ما بعد الحرب عمق المهام القتالية لتشكيلات الجبهة والجيش إلى حد كبير بسبب ازدياد إمكانات القوات ، وتعاظم تجهيزها الفني ، وتزويدها بالآليات والوسائط الميكانيكية ، إضافة إلى تزايد عمق بنية الدفاع العملياتي لجيوش الأعداء المُحْتَمَلين .

وتطلب ازدياد عمق مهام التشكيلات الكبيرة رفد الضربات في أثناء الهجوم ، وبالتالي بنية عملياتية عميقة لقوات الجبهة والجيش .

وتميز تطور بنيتها العملياتية بتعزيز الأنساق العملياتية وكذلك بظهور عناصر جديدة فيها ، مثل قوات الإنزال الجوي ، واحتياطات صنوف القوات والقوات الاختصاصية . وازداد العمق العام للبنية العملياتية لقوات الجبهة إلى حد كبير ، بالمقارنة مع فترة الحرب ، ووصل إلى ١٥٠ ــ ٢٠٠ كم . كما ارتُئي أن تكون البنية العملياتية أكثر عمقاً للجيش المشترك أيضاً .

أدى كل ذلك إلى تعاظم الإمكانات الهجومية لتشكيلات الجيش والجبهة . وازدادت أبعاد عمليات الجبهة والجيش قليلاً ، من حيث عرض نطاقات الهجوم في فترة ما بعد الحرب ، بالمقارنة مع الحرب . كما أن عرض قطاعات الاختراق ازداد إلى حد كبير بسبب ازدياد قوة ضربة التشكيلات . فمثلاً إذا كان الجيش المشترك في سنوات الحرب يخرق الدفاع على قطاع بعرض من ١٦ حتى ٢٠ كم بمعدل ٤ كم لفرقة المشاة (الميكانيكية) في النسق الأول ، قلت مدة عمليتي الجبهة والجيش بعض الشيء بالعلاقة مع تعاظم حركية القوات وقوتها الضاربة ، ومما ساعد على ذلك ازدياد إيقاعات الهجوم التي تعاظمت ووصلت بالنسبة للتشكيلات المشتركة إلى ٢٥ ــ ٣٠ كم ، وبالنسبة للقوات المدرعة إلى ٤٠ ــ ٥٠ كم في اليوم .

تطور تخطيط العمليات الهجومية أيضاً ، واختصرت مهلها ، وتحسنت نوعية الوثائق الموضوعة . واستخدمت الوثائق البيانية على الخرائط أو المخططات مع الحاشية على نطاق واسع . كما تحسن تنظيم التعاون ، وكذلك التأمين العملياتي .

في سنوات الحرب كانت العملية الهجومية للجبهة والجيش تبدأ باختراق الدفاع المحضَّر للعدو . وفي أغلب الحالات ، كما هو معلوم ، كان نجاح العملية يتعلق بنجاح الاختراق . وبالعلاقة مع هذه المسائل أعطي الانتباه الخاص لتطوير التنظير الخاص بالاختراق في السنوات الأولى لما بعد الحرب . وارتئي بأن خرق الدفاع المعادي يجب أن يكون مسبوقاً بأعمال الطيران لكسب السيطرة الجوية ، وخلق الشروط التي تؤمن نجاح العملية . كما اعتبر بأن اختراق الدفاع ينبغي أن يبدأ بتمهيد مدفعي وجوّي قوي . كما يجب أن تؤدي

ضربات المدفعية والطيران إلى تدمير القوى الحية والوسائط النارية للعدو في العمق التكتيكي، وتخريب منشآته الدفاعية، وحواجزه، والإخلال بسيطرته على القوات، وإبطال احتياطاته القريبة.

بعد التمهيد المدفعي والجوي القوي كان يفترض الانتقال إلى الهجوم بتشكيلات النسق الأول للجيوش المشتركة المدعومة بالمدفعية والطيران. وكان يجب تطوير الاختراق البادىء بصورة حديثة، حتى يتم اجتياز كامل العمق التكتيكي للدفاع في اليوم الأول نفسه. كما خطط تطوير النجاح في العمق العملياتي بزج المجموعات المتحركة، أو الأنساق الثانية، أو احتياطات الجيوش والجبهة، وبضربات الطيران، وبأعمال الإنزال الجوي.

أعطي الانتباه لتأمين زجِّ المجموعة المتحركة في الخرق وتغطيتها ضد ضربات الطيران، وتنظيم التعاون مع تشكيلات الجيوش المشتركة، وقوات الإنزال الجوي في العمق العملياتي. وأخذ بعين الاعتبار زج المجموعات المتحركة على اتجاه الضربة الرئيسية، وكقاعدة بعد اختراق المنطقة التكتيكية للدفاع. ومن أجل الزج في الخرق عين نطاق بعرض ٨ ــ ١٢ كم بمعدل ٤ ــ ٦ كم للفرقة.

أعطي الانتباه الكبير لتطوير تنظير خوض الأعمال القتالية لتطويق التجميعات الكبيرة المعادية وتدميرها. وتم تناول عمليات التطويق والتدمير كنوع أساسي للعملية الهجومية. وعلى هذا الأساس تم تحسين المسائل المتعلقة بتخطيطها وتنفيذها، وتوزيع القوى والوسائط بين الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية للتطويق، وبعناية أكبر جرى التفكير بأساليب تدمير التجميعات المطوقة، واستخدام صنوف القوات وقيادة القوات.

ولتنفيذ هذه المهام في الممارسة تطلب الأمر تركيز القوى على اتجاهات الضربات، وإيقاعات عالية للأعمال القتالية عند التطويق، وتجزئة العدو المطوق إلى أقسام، وسحق هذه الأقسام خلال مهل قصيرة.

وبهذا الشكل حققت أهم مسائل التنظير المتعلقة بتنظيم العمليات الهجومية وتنفيذها لتشكيلات الجبهات والجيوش تطوراً لاحقاً في سنوات ما بعد الحرب. ومهما يكن من أمر فقد بقيت الأسس والأشكال التي استخدمت في سنوات الحرب كامنة في صلب هذا التنظير في الفترة المتناولة، وبغض النظر عن التزايد الكبير في إمكانات النار والضربة والمناورة للقوات، وكذلك إنشاء الكثافات الكبيرة من القوى والوسائط على قطاعات الخرق. وافترض القيام بسحق العدو في التسلسل نفسه مع الاحتفاظ بالأجزاء المركبة. ولم تؤخذ بعين الاعتبار إمكانية استخدام السلاح النووي من قبل العدو على تجميعات القوات، وكان التنظير المتعلق بخوض الأعمال القتالية في شروط استخدام السلاح النووي قد ابتدأ لتوِّه.

طبقاً لتنظير الفن الحربي السوفييتي، اعتبر أن الدفاع يحتل المكان الثاني بعد الهجوم الذي هو النوع الأساسي للأعمال القتالية. وقد افترض تنفيذ العمليات الدفاعية في الشروط التي لا يفضل فيها إجراء الهجوم، أو التي لا يكون فيها ممكناً، وكذلك عند ضرورة تأمين الهجوم على قطاعات أخرى أكثر أهمية، أو عند الحاجة لكسب الوقت.

كان على هذه التجميعات في جميع الشروط أن تخلق الشروط للانتقال إلى الهجوم العام المعاكس.

وكان يطلب من القوات التي تحتل الدفاع أن تستفيد من شروط الأرض وتجهيزها الهندسي والنيران المنظمة، وكذلك المناورة بالقوى والوسائط، وأن تتمسك أيضاً بالنطاقات التي تحتلها، وأن تعمل بعد صد هجوم القوى المعادية المتفوقة على خلق الشروط الملائمة للانتقال إلى الهجوم الحاسم.

حققت مسألة تركيز القوى والوسائط في الدفاع على اتجاه الهجوم المحتمل للعدو تطوراً لاحقاً في سنوات ما بعد الحرب. ان انتقاء المناطق التي يتعلق استقرار الدفاع بالاحتفاظ بها اعتبر أساساً في قرار القادة في جميع المستويات. ومن هنا اكتسب تركيز القوى والوسائط المسبق على الاتجاهات الهامة قيمة كبيرة وبالاضافة إلى ذلك لحظ بأن كثافة القوى والوسائط أثناء العملية الدفاعية يجب أن تزداد عن طريق المناورة من الاتجاهات الثانوية وعلى حساب الاحتياطات.

استمر تقسيم الدفاع إلى منطقة تكتيكية ومنطقة عملياتية. حيث يشمل العمق (المنطقة العملياتي عندئذ: نطاقات جيش وجبهة، مواضع مائلة، مناطق مضادة للدبابات وجهاز حواجز. ويمكن إنشاء نطاق حيطة عند تنظيم الدفاع دون التماس المباشر مع العدو.

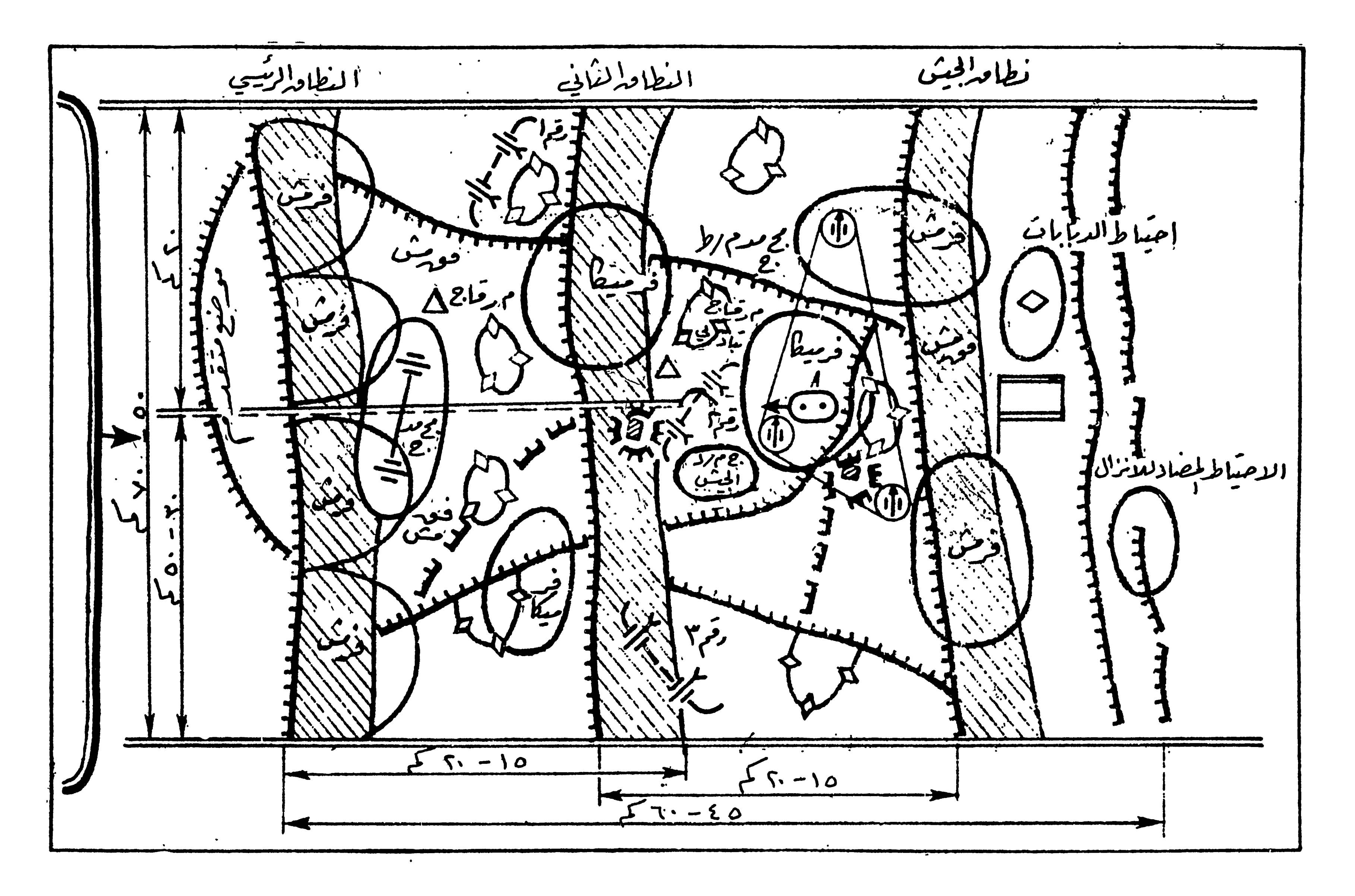
ازداد عمق بنية دفاع الجبهة والجيش على وجه العموم، تحددت أيضاً نزعة لزيادة عرض نطاقات الدفاع للجبهات والجيوش. وقد فسرت هذه الظاهرة الأخيرة بامكاناتها المتزايدة في تنظيم الدفاع، وبضرورة توزيع القوى والوسائط بالعلاقة، مع ازدياد القدرة النارية للعدو المهاجم (الشكل ٦٠).

في البنية العملياتية لقوات الجبهة والجيش، جرى التعزيز الكمي والنوعي لعناصر هذه البنية إلى جانب ازدياد عمقها. وهكذا أصبح يخصص في قوام النسق الثاني للجبهة (الجيش) تشكيل كبير (تشكيل) من قوات الدبابات، قادر على القيام بالمناورة بسرعة، بهدف توجيه الضربة المعاكسة، وكذلك تجديد جبهة الدفاع المتواصلة بقوى قوام الاحتياطات، كما تعاظم دورها في العمليات الدفاعية.

وضعت منظومة الخنادق المجربة في أثناء الحرب في أساس التجهيز الهندسي لنطاقات الدفاع. وبالعلاقة مع ازدياد أمدية وسائط التدمير وقوة النار والصدمة لدى العدو المهاجم تعاظم بشكل كبير بالمقارنة مع الحرب المنصرمة، وعلى حد سواء العمق ودرجة التجهيز الهندسي الذي أصبح يتم مع الاستخدام الواسع لوسائط المكننة.

احتل صمود نشاط القوات أهمية كبيرة في خوض العملية الدفاعية كما كان الحال في سنوات الحرب، وحشدت الجهود الأساسية للقطعات والتشكيلات المدافعة للتمسك بالمنطقة التكتيكية، كما أعطي الانتباه الكبير للمسائل المتعلقة بتنظيم ضربات الطيران والمدفعية على قوات العدو المتحشدة أمام جبهة الدفاع، وخصوصاً على تجميعاته المدرعة ومدفعيته. وتسبق هذه الضربات معاكس التمهيد المدفعي والجوّي الذي كان يجب أن ينفذ على العدو الذي احتل قاعدة الانطلاق من أجل الهجوم.

اعتبر معاكس التمهيد المدفعي أنه أكثر فعالية والجزء الأساسي من معاكس التمهيد. وقد استدعيت للاشتراك فيه الدبابات والقوانص. وفي الوقت نفسه مع معاكس التمهيد المدفعي خطط معاكس التمهيد المدفعي بكثافة ٥٠ ــ ١٠٠ طن من القنابل على ١ كم^{٢}.



(الشكل رقم ٦٠) ـ البنية العملياتية للجيش المشترك في الدفاع ١٩٤٥ ـ ١٩٥٤

واعتبرت الضربة المعاكسة المرحلة الأهم من الأعمال القتالية للدفاع، كما كان عليه الحال في الأيام الأخيرة من سنوات الحرب. وكانت التشكيلات الكبرى العملياتية تقوم بتنفيذها بهدف سحق تجميعات العدو المتوغلة، وإعادة الدفاع إلى ما كان عليه. وكان يفضل تنفيذ الضربة المعاكسة بصورة مفاجئة على الذي تكبد الخسائر الكبيرة، وخصوصاً على جنب أو جانبي تجميعه المتوغل بهدف التطويق والسحق التام. يجب أن تكون الضربة المعاكسة مسبوقة بضربات الطيران، وكذلك بتمهيد مدفعي قصير إلا أنه شديد.

تعتبر الضربة المعاكسة التي تُنفَّذ بقوى الجبهة طريقة هامة لسحق قوى العدو المهاجمة والصراع من أجل المبادأة. وينظر إليها كمرحلة أولية للهجوم العام المعاكس وكشكل انتقالي من الدفاع إلى الهجوم العام.

عند انتظام القوات من أجل الضربة المعاكسة تُلْحَظ ضرورة توجيه ضربة أولية قوية، حيث يجب أن تشترك القوى الرئيسية والتشكيلات الكبرى (التشكيلات) الميكانيكية والمدرعة، مع تغطيتها بشكل مضمون ضد تأثير طيران العدو والتقيد باجراءات التمويه.

يجب أن يبدأ الصراع ضد الانزالات الجوية المعادية بتوجيه الضربات إلى طيران النقل في المطارات، وعلى قوات الانزال الجوي في مناطق الانطلاق، وأن ينتهي بالتدمير التام لإنزالات العدو المنفذة. وقد وقعت هذه المهمة على الأنساق الثانية للتشكيلات الكبرى واحتياطاتها، وتحسنت مسائل خوض العمليات الدفاعية من قبل الأنواع الأخرى من القوات المسلحة السوفييتية. وهكذا تمت دراسة مسائل أعمال الطيران في العمليات الدفاعية لكسب السيطرة في الجو وإحباط نقل القوات المعادية وتحشدها. وفي الفن العملياتي للأسطول البحري الحربي درست مسائل خوض العمليات البحرية المستقلة، وعولجت أيضاً مسائل تنفيذ العمليات المستقلة من قبل قوات الدفاع الجوي الاقليمي.

وبهذا الشكل سار التطور اللاحق للدفاع على خط زيادة استقراره ونشاطه. ازداد عمق البنية العملياتية للقوات، مع التعزيز النوعي لعناصر هذه البنية. وازداد عمق التجهيز الهندسي للأرض ودرجته. وتحسن الدفاع المضاد للدبابات والمضاد للمشاة أيضاً. كما حققت التطور الكبير على وجه الخصوص المسائل المرتبطة بتنظيم معاكس التمهيد وتنفيذه، والضربات المعاكسة، والصراع ضد الانزالات الجوية المعادية. وقد تمت صياغة كل ذلك في منظومة مرتبة من المبادىء النظرية، ورسخت في الأنظمة الصادرة بعد الحرب.

تطور على وجه العموم الفن العملياتي السوفييتي خلال السنوات المستعرضة طبقاً لمتطلبات الزمن وعلى أساس خبرة الحرب العالمية الثانية. وقد حلت جميع المشاكل التي اعترضته بنجاح تام.

تطور التكتيك: أعطي الانتباه الكبير إلى تكتيك القوات البرية عند معالجة التنظير، وكذلك عند ممارسة تدريب القوات المسلحة السوفييتية في سنوات ما بعد الحرب. وبالاضافة إلى ذلك تحسن تكتيك صنوف الطيران والسفن، وقطعات وتشكيلات الأسطول وقوات الدفاع الجوي الاقليمي.

حققت التطور الكبير المسائل المرتبطة بتنظيم المعركة الهجومية وخوضها.

إن هذا النوع من الأعمال القتالية ــ كما جاء في نظام الميدان عام ١٩٤٨ ــ يعتبر أساسياً بالنسبة للقوات السوفييتية ، لأن الهجوم الحاسم الذي ينتهي بالتطويق يؤدي إلى تدمير العدو وأسره بالكامل . وعند وضع مسائل التكتيك أخذ الفكر العلمي الحربي بعين الاعتبار خبرة الحرب ، وتعاظم التجهيز الفني للقوات ، والتغيرات الحاصلة في بنيتها التنظيمية ، وكذلك التغييرات في بنية الدفاع المعادي . فإذا كانت تشكيلات المشاة تحتاج في سنوات الحرب إلى تعزيز كبير ، وخصوصاً في الدبابات والمدفعية من أجل خرق الدفاع المحضر . فإن إدخال فوج الدبابات والقوانص في قوام فرقة المشاة أعطاها إمكانية امتلاك دبابات الدعم المباشر .

حسب وجهات نظر ما بعد الحرب اعتبر أنه من الضروري إنشاء كثافات عالية من القوى والوسائط من أجل خرق الدفاع المعادي . كانت الكثافات بالنسبة للدبابات والمدفعية قريبة من الكثافات القصوى في فترة الحرب العالمية الثانية . أما بالنسبة للمشاة ــ فقد كانت أقل بعض الشيء بسبب تعاظم قوام الكتيبة وتجهيزها في تنظيم ما بعد الحرب .

كبرت نطاقات الهجوم في أثناء هذه الفترة ، وقد فسر ذلك بالامكانات المتزايدة لفيلق المشاة والفرقة . كما أُخذ بعين الاعتبار أيضاً أنه في سنوات الحرب كان هناك حالات لاكتظاظ ميدان المعركة بالقوات والعتاد القتالي . فمثل هذه الظاهرة يمكن أن تؤدي إلى خسائر فادحة لوجود الامكانات المتعاظمة للطيران والمدفعية المعادية .

لذلك كان عرض نطاق الهجوم حسب وجهات نظر ما بعد الحرب : للفيلق ــ حتى ٨ كم ، للفرقة ــ حتى ٤ كم ، أي كانت هنالك زيادة بمعدل ٥ر١ ــ ٢ مرة بالمقارنة مع عرض النطاقات في عمليات الحرب الختامية .

تغير عمق المهام القتالية لتشكيلات المشاة أيضاً نحو الزيادة (الشكل ٦١) . وقد أصبح ذلك ممكناً بفضل إدخال الفرقة الميكانيكية في قوام الفيلق ، وفوج الدبابات والقوانص في قوام فرقة المشاة ، وكذلك نتيجة للتطور النوعي للمدفعية . فإذا كان الفيلق يتلقى في زمن الحرب مهمة بعمق ١٥ ــ ١٦ كم ، فقد أصبح الفيلق حسب وجهات نظر ما بعد الحرب يتلقى مهمة على عمق ٢٥ ــ ٣٠ كم . وبالوصول إلى هذا العمق كان الفيلق ينجز خرق المنطقة التكتيكية للدفاع ، مما يخلق الشروط الملائمة لتطوير الهجوم .

بغية التنظيم الأفضل للدفاع ، والمحافظة على التعاون باستمرار عند خرق المنطقة التكتيكية ، ولسهولة القيادة ... قسمت المهمة القتالية للفيلق والفرقة ــ كما كان عليه الحال أيضاً في العمليات الختامية للحرب ــ إلى مهمة مباشرة ، ومهمة يومية ، وعند الهجوم على الدفاع المعادي . ولما كان هذا النطاق هو الأكثر تطوراً من الناحية الهندسية ، وكان يحتل من قبل قوات النسق التكتيكي ، فقد تطلب اختراقه الجهود الموحدة من قبل جميع فرق الفيلق .

كانت تنحصر المهمة المباشرة لفرقة المشاة باختراق الدفاع المعادي ، بهدف الاستيلاء على موضع احتياطات الفوج ، والوصول إلى منطقة المرابض الأساسية للمدفعية ، أي على عمق ٣ ــ ٥ كم وفي الوقت

نفسه تأمين زج النسق الثاني للفيلق ـــ الفرقة الميكانيكية. كانت تزج هذه الفرقة لإكمال خرق النطاق الرئيسي للدفاع بالتعاون مع فرقة النسق الأول، مما يشكل مهمتها المباشرة.

وبهذا الشكل لحظ تنفيذ المهمة المباشرة لفيلق المشاة في سنوات ما بعد الحرب بالجهود الموحدة لفرق المشاة، والفرقة الميكانيكية، على اعتبار أنها المهمة الأصلب والأعقد.

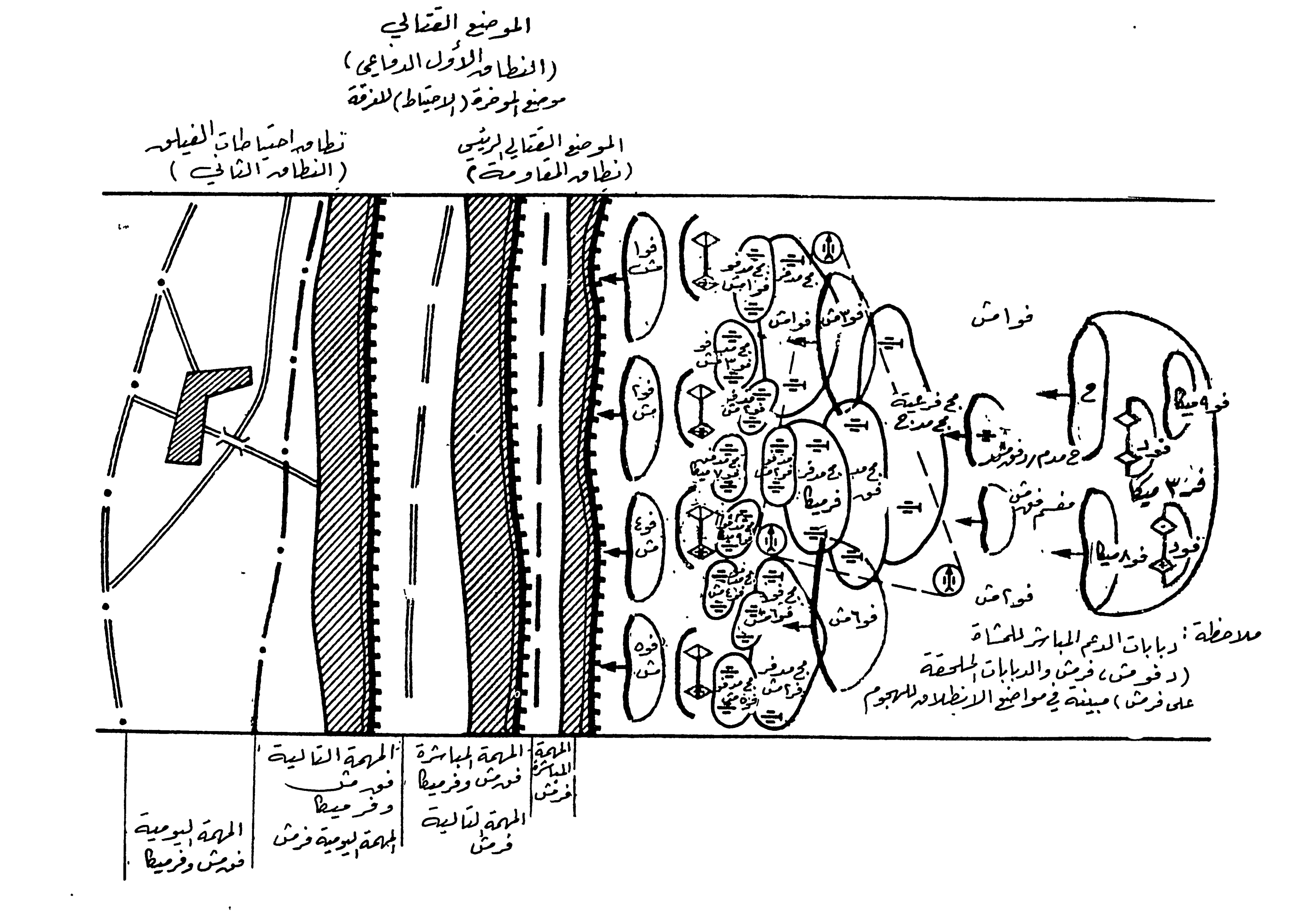
بعد فقدان النطاق الرئيسي للدفاع كان العدو يحشد الجهود الأساسية للتمسك بالنطاق الثاني مستفيداً من احتياطات الفيلق لهذا الهدف، إضافة إلى القطعات المنسحبة من النطاق الرئيسي. وكما دلت خبرة الحرب المنصرمة كان العدو ينظم مقاومة شديدة على النطاق الثاني، وكان غالباً ما يوقف الهجوم. وبالعلاقة مع ذلك كانت تنحصر المهمة التالية لفيلق المشاة بالاستيلاء على النطاق الثاني بقوى الفرقة الميكانيكية ـــ كقاعدة ـــ من الحركة أو بعد التحضير القصير. وبهذا الشكل كانت مهمتها التالية تنطبق من حيث العمق على المهمة التالية للفيلق. وانحصرت المهمة اليومية للفيلق بسحق احتياطات العدو، والاستيلاء على الخطوط والأغراض الهامة على عمق ٢٥ ـــ ٣٠ كم، أو بخوض الأعمال القتالية باتجاه الجوانب. وقد كانت تنفذ بالجهود المشتركة للفرقة الميكانيكية وفرق المشاة. دلت خبرة الحرب أنه لاختراق الدفاع المعادي المحضر والمنسق في العمق ينبغي وجود تراتيب قتال عميقة. وقد ترسخ مبدأ بنيتها العميقة في سنوات ما بعد الحرب في النظام الميداني عام ١٩٤٨.

فطبقاً لهذا النظام كان الفيلق ينشىء ترتيب القتال على نسقين كقاعدة. حيث ينبغي عندئذ أن يوجد في النسق الأول ـــ فرق المشاة، وفي النسق الثاني ـــ الفرقة الميكانيكية. ولم تجد بنية ترتيب قتال الفيلق على نسق واحد مكاناً لها إلا عند الهجوم على الاتجاه الثاني، أو على العدو الذي انتقل إلى الدفاع على عجل. ومهما يكن من أمر فقد كان يجب إنشاء تراتيب القتال في الفرق والأفواج عندئذ بعمق أكبر، بينما كان ينشأ احتياط مشترك في الفيلق.

كانت فرق المشاة تبني تراتيب قتالها على نسق، أو نسقين، أو حتى على ثلاثة أنساق، حسب الموقف ومكانها في بنية الفيلق. وعند اختراق الدفاع المحضر كان ترتيب قتالها ينشأ عادة على نسقين. وعلى المشاكلة نفسها بني ترتيب قتال الفرقة الميكانيكية أيضاً.

وعلى أساس خبرة الحرب، وطبقاً لوجهات نظر ما بعد الحرب أنشئت مجموعات مدفعية ومدفعية م / ط، واحتياطات مختلفة من حيث الوظيفة في الفيلق والفرق.

يُعتبر تركيز القوى والوسائط على اتجاه الضربة الرئيسية المبدأ الأهم في الفن الحربي السوفييتي في أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي ممارسة الإعداد العملياتي التكتيكي للقوات بعد الحرب كانت تخطط كثافات القوى والوسائط بصورة لا تقل عما كان عليه الحال في سنوات الحرب. لذلك كان المهاجم يتلقى التعزيز الضروري. وأعطي الانتباه الكبير لتنظيم زج الفرقة الميكانيكية في المعركة. فقد كان ذلك في سنوات الحرب كما هو معروف مرحلة معقدة جداً في خوض الأعمال القتالية. لذلك وضع التنظير المناسب الذي انحصر جوهره في العام ١٩٥٣ بما يلي:



(الشكل رقم ٦١) ــ عمق المهام وبنية ترتيب القتال لفيلق المشاة في المعركة الهجومية أعوام ١٩٤٥ ــ ١٩٥٤.

قبل بداية الهجوم كانت الفرقة الميكانيكية توجد في منطقة الانتظار . وكان تحركها يبدأ بموافقة قائد الفيلق في فترة التمهيد المدفعي ، أو مع بداية الهجوم على أساس الوصول إلى خط الانطلاق بالقوى الرئيسية ، خلال ساعة على الأكثر من بداية الهجوم . كان على فرق المشاة آنئذ طبقاً لحساب الوقت التقدم في عمق دفاع العدو بمقدار ٢ ـــ ٣ كم . كان تحرك الفرقة الميكانيكية يجري بالأرتال على محاور حركة محضرة مسبقاً . وعند الوصول إلى خط الانطلاق كانت الفرقة تأخذ تلك البنية من القوى والوسائط التي تؤمن الانتشار السريع للقطعات من أجل المعركة بأقل تعرض لنيران المدفعية وضربات الطيران المعادي .

هذه الأوضاع الأساسية التي تعكس الآراء النظرية لتلك السنوات بالنسبة لتنظيم المعركة الهجومية وخوضها . واستند التنظير الحربي السوفييتي على المبادىء التي كانت قد وضعت في زمن الحرب . كانت المعركة الهجومية تبدأ اعتباراً من خرق الدفاع بالوسائط الفنية للصراع نفسها التي كانت في سنوات الحرب الماضية . وعندئذ فقوة الضربة النارية كانت تتزايد باستمرار نتيجة ازدياد كمية المدفعية والهاونات ذات العيار الفيلقي ، للاشتراك بتمهيد المدفعية . وقد اتضحت ضرورة التغيير الجذري في أساليب تنفيذ الاختراق بواسطة تعزيز جهود التأثير الناري على دفاع العدو . وقد سار حلُّ هذه المهمة في بداية سنوات الخمسينيات قبل كل شيء على طريق زيادة المدفعية الصاروخية ، واستخدام الطيران القاذف بفعالية أكثر ، ناهيك عن أن الفكر العلمي عمل في الوقت نفسه على تحسين أساليب الاستخدام النووي أيضاً .

حقق تنظير المعركة الدفاعية تطوراً لاحقاً أيضاً في سنوات ما بعد الحرب . واتفقت المتطلبات الأساسية التي كان يجب توفرها في تنظيم المعركة الدفاعية وخوضها من قبل التشكيلات المشتركة مع مبادىء العمليات الدفاعية كلية . ففي نظام الميدان لعام ١٩٤٨ اعتبر الدفاع كنوع من المعركة يستخدم من قبل القوّات بهدف المحافظة على المواضع المحتلة ، وصدِّ هجوم القوى المتفوقة المعادية ، وبتكبيدها الخسائر الجسيمة ، مما يخلق الشروط المواتية للانتقال إلى الهجوم الحاسم .

أكدت أنظمة ما بعد الحرب لدى الجيش السوفييتي على أن استقرار الدفاع يتحقق بتنسيقه في العمق ، وبصمود القوات في القتال ، وبإعدادها لخوض معركة طويلة . وبالإضافة إلى ذلك فإن استقرار الدفاع يتم بالقدرة على تنظيم جهاز نيران أنواع الأسلحة جميعها ، وفي الدور الأول نيران المدفعية والهاونات ، بالاقتران مع جهاز الحواجز المضادة للدبابات والمضادة للمشاة ، وبالانتقاء الصحيح للخطوط وبالتجهيز الهندسي للأرض ، والتمويه الجيد للمنشآت الهندسية وللقوات ، وكذلك بالقيادة الحازمة والمستمرة للقوات ، وبالمناورة المحضرة جداً على طول الجبهة ومن العمق .

يتحقق التنسيق العميق للدفاع بالبنية عديدة النطاقات وبالتوزيع العميق للمواضع في كل نطاق ، وكذلك بالبنية العميقة لترتيب قتال القوات في نطاق دفاع الفيلق « الفرقة » وعلى مواضعها المستقلة .

كان لا ينظر إلى الدفاع كمحافظة سلبية على المواضع ، بل كأعمال نشيطة للقوات ، مع استخدام المناورة الواسعة التي تساعد على الحركية العالية ، ناهيك عن تجهيز القوات بالعتاد القتالي الجديد ، وقبل كل شيء بالدبابات والقوانص .

ان المتطلبات التي كان يجب توفرها في الدفاع لم تقم على خبرة الحرب فقط ، فقد أخذت بعين الاعتبار أيضاً التغيرات التي طرأت بعد الحرب على تنظيم القوات وتجهيزها فنياً .

بالمقارنة مع فترة الحرب ازداد في سنوات ما بعد الحرب عمق المنطقة التكتيكية للدفاع ، والقوام الكمي والنوعي للقوى والوسائط المخصصة للاحتفاظ بها (الشكل ٦٢) .

بلغت المنطقة التكتيكية للدفاع من حيث العمق ١٥ ـــ ٢٠ كم حسب وجهات النظر الرسمية . فقد نظم دفاع فيالق المشاة ضمن حدودها . وتحدد عرض نطاق دفاع الفيلق وعمقه بأهمية الاتجاه ، وبالمهمة ، والقوام ، وطبيعة الأرض . كان باستطاعة القوات أن تحتل الدفاع على جبهة عادية أو عريضة . كان عرض نطاق دفاع الفيلق عادة يساوي ١٦ ـــ ٢٤ كم والفرقة ٨ ـــ ١٢ كم . وضمن الشروط التي تمكن الفيلق من أن يدافع عن نطاق حتى ٦٠ كم بالجبهة ، وللفرقة حتى ٣٠ كم .

نظم الفيلق الدفاع على النطاق الدفاعي الأول (الرئيسي) ، والنطاق الدفاعي الثاني واحتلّهما بقواه , كان كل نطاق يشمل ٢ ـــ ٣ مواضع دفاعية ، ومواضع مائلة ، ومناطق مرابض الرمي الأساسية ، ومواضع المناطق المضادة للدبابات ، بالاضافة إلى ذلك أُنشىء جهاز حواجز في نطاق دفاع الفيلق . وكان يمكن إنشاء مواضع متوسطة بين النطاقين الرئيسي والثاني للدفاع .

انشأت فيالق المشاة وفرقها تراتيب القتال كقاعدة على نسقين .

كانت تتوضع فرق المشاة في النسق الأول على الأغلب ، بينما كانت تشكل الفرقة الميكانيكية النسق الثاني للفيلق عادة ، حيث كانت تتوضع جاهزة للقيام بالهجمات المعاكسة على الاتجاهات الهامة .

كانت قطاعات الأفواج تشكل أساس النطاق الرئيسي للدفاع ، وكانت تتألف بدورها من مناطق دفاع الكتائب ، والمناطق المضادة للدبابات المرتبطة فيما بينها بجهاز واحد من النيران ، والحواجز الهندسية بالجبهة والعمق . كانت مناطق دفاع الكتائب تعتبر أساساً لكل موضع ، وكانت هذه المناطق يُلاصق بعضُها بعضَها الآخر . وجرى التجهيز الهندسي للنطاقات مع الاستخدام الواسع لوسائط المكننة . كان النطاق الرئيسي للدفاع الأكثر تطوراً من الناحية الهندسية حيث تركزت هنا الجهود الأساسية للقوات المدافعة .

وقد أظهرت الحرب العالمية الثانية الأهمية الكبيرة للصراع ضد دبابات العدو . لذلك أُعطي في سنوات ما بعد الحرب الانتباه الخاص للدفاع المضاد للدبابات .

وكان ينشأ على كامل عمق الدفاع وفي الدور الأول من أجل تدمير الدبابات أمام الحد الأمامي للنطاق الرئيسي ، واستخدم القسم الأكبر من الوسائط المضادة للدبابات للصراع من أجل النطاق الرئيسي للدفاع . وشمل جهاز « منظومة » الدفاع المضاد للدبابات لدى الفيلق (الفرقة) طبقاً للنظام الميداني للعام ١٩٤٨ نقاط استناد م / د للسرايا ، منظمة ضمن عقد م / د للكتائب ، ومناطق م / د منشأة على الاتجاهات المهددة بالدبابات على كامل العمق التكتيكي ، والمدفعية والدبابات والقوانص المتوضعة على

الاتجاهات المهددة بالدبابات، والحواجز م/د، واحتياطات المدفعية المضادة للدبابات، واحتياطات الدبابات ومفارز السدود المتحركة. وبهذا الشكل أخذت خبرة الحرب بالكامل في جميع المسائل المتعلقة بتنظيم الدفاع.

ينحصر أساس خوض المعركة الدفاعية بالتمسك العنيد بالنطاق الرئيسي للدفاع وبمواضعه من قبل تشكيلات النسق الأول، وكذلك بالهجمات المعاكسة ضد القوى المعادية المتفوقة. يجب أن ينفذ الهجوم المعاكس للنسق الثاني للفيلق بشكل حثيث، وكقاعدة ضد القوى الرئيسية للعدو المخترق، مع توجيه الضربة نحو الجانب والمؤخرة، بالتعاون مع فرق النسق الأول، وتحت دعم المدفعية والطيران. لحظ تنفيذ الهجمات المعاكسة ليس في التشكيلات فحسب بل في القطعات والوحدات. حيث كان عليها أن تقوم بالهجوم المعاكس عند المعركة من أجل الموضع الأول. فإذا تم خرق هذا الموضع فتنفذ الهجمات المعاكسة بالأنساق الثانية لفرقة المشاة. وتقوم الفرقة الميكانيكية بالهجوم المعاكس عادة في الصراع من أجل النطاق الرئيسي.

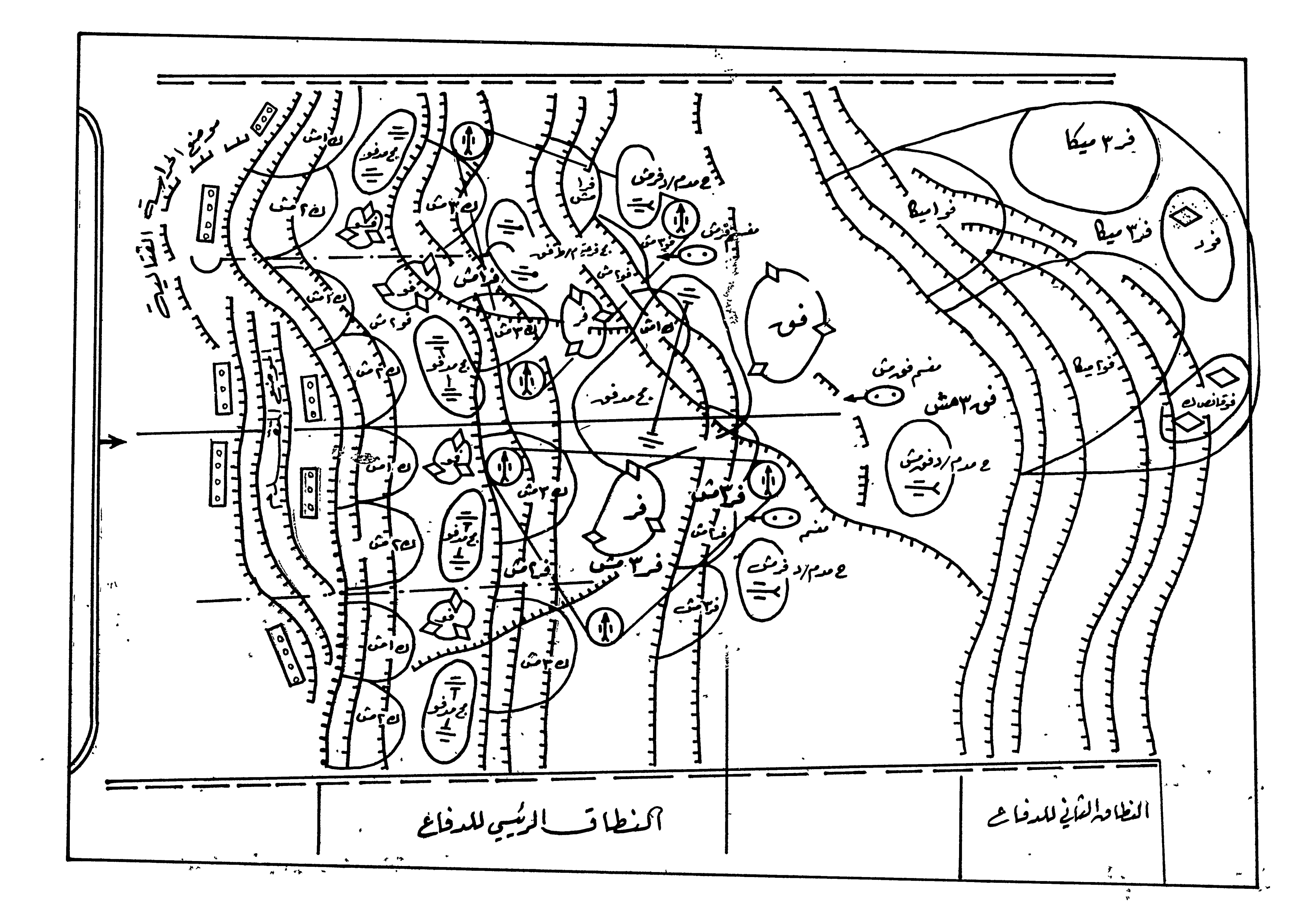
مما ذكر أعلاه يمكن أن نستنتج بأن تطور وسائط التدمير اشترط تغيير طبيعة الدفاع على المستوى التكتيكي أيضاً. وازداد العمق، وتحسنت نوعية الوسائط المخصصة لخوض المعركة في المنطقة التكتيكية. وحدد الدفاع المضاد للدبابات أساليب خوض الدفاع باعتباره أساساً للدفاع بأكمله. أدى تطور الطيران وازدياد دوره في المعركة المشتركة إلى التطور اللاحق للدفاع الجوي. كما تظهر عناصر خاصة لترتيب القتال تخصص للصراع ضد الطيران والانزالات الجوية للعدو المهاجم «مجموعات المدفعية م/ط الفيلقية والاحتياطات م/د».

أدَّت أتمتة السلاح إلى الازدياد اللاحق لكثافة النيران. لذلك أصبحت كتيبة المشاة وسريتها المستويات التكتيكية الأساسية المنظمة لجهاز نيران الأسلحة الخفيفة في الدفاع.

تميز تطور جهاز نيران المدفعية والهاونات بالتحسنّ اللاحق لتركيز المدفعية ونيرانها، على الاتجاهات الهامة، وبازدياد المدى وتعاظم إمكانات المناورة. وعلى العموم فقد اكتسب الدفاع النشاط والاستقرار الكبيرين.

وبهذا الشكل حاز تكتيك القوات البرية في الجيش السوفييتي على تطور كبير خلال السنوات التي مرت بعد الحرب. وبالاضافة إلى ذلك حاز تكتيك الأنواع الأخرى من القوات المسلحة على التطور اللاحق. وعلى وجه الخصوص حقق تكتيك الطيران إلى جانب المسائل الأخرى المخصصة لصالح القوات البرية التعليل النظري والتطبيقي للطرق المتعلقة بتوجيه الضربات القاذفة بتجميعات كبيرة من الطائرات النفاثة.

أما في تكتيك القوى البحرية الحربية فقد أعطي الانتباه الكبير إلى وضع طرق الهجمات المشتركة الطوربيدية ــ المدفعية لسفن السطح والهجمات المستورة للغواصات وطرق أعمال الطيران البحري ضد سفن العدو وقواعده، وكذلك إلى تحسين تنظيم تعاون القوى البحرية مع القوات البرية والطيران.



(الشكل رقم ٦٢) ـ بنية دفاع فوج المشاة أعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٤

وبهذا الشكل اعتبرت فترة ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٤ مرحلة هامة في بناء القوات المسلحة السوفييتية، وتطور الفن الحربي اللذين تماشيا مع مستوى تطور الوسائط التقليدية للصراع المسلح.

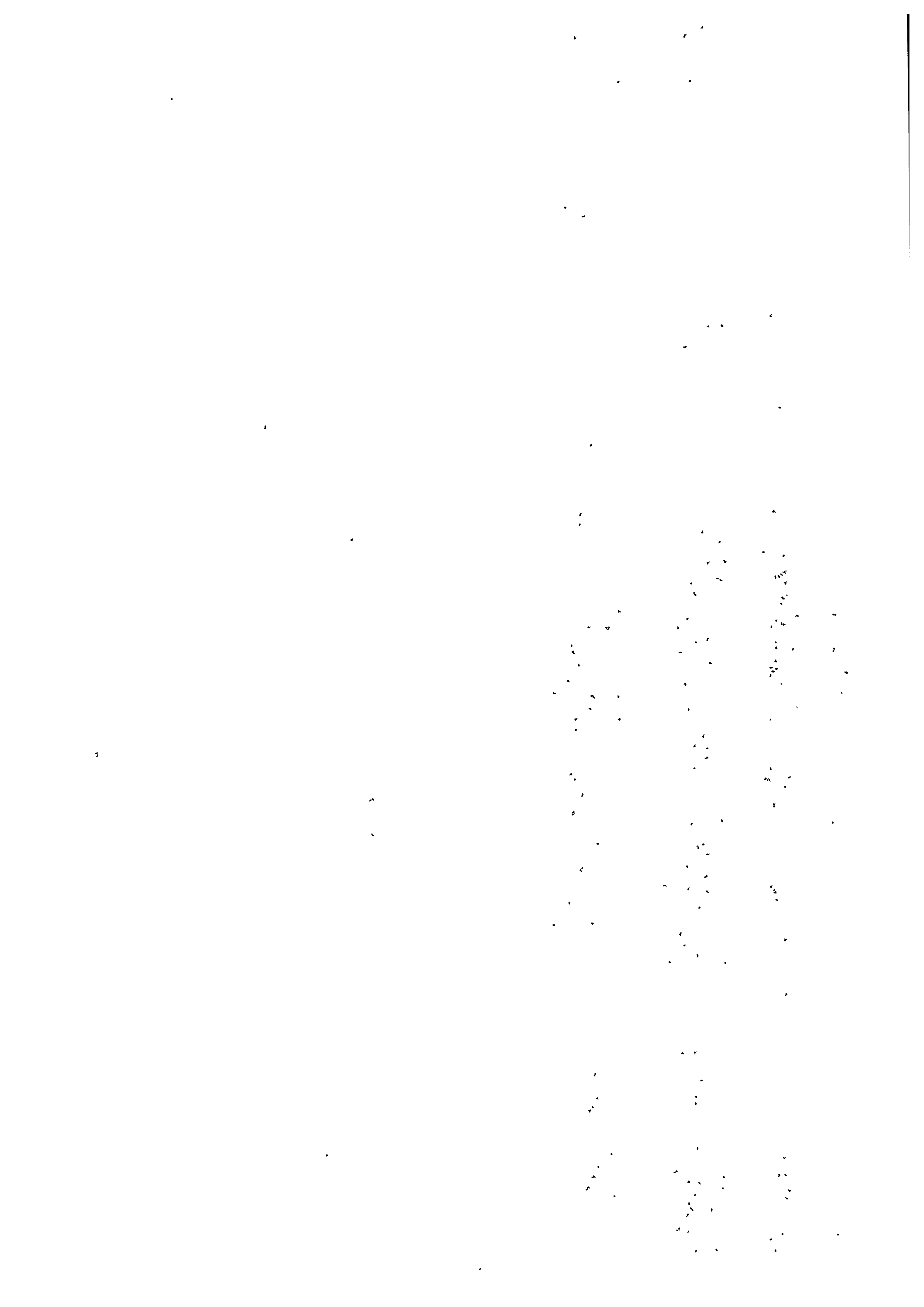
جاءت جميع المسائل الأساسية المتعلقة بتنظيم العملية والمعركة وخوضهما في منظومة متوافقة، وانعكست في أنظمة تلك السنوات.

طرح سلاح التدمير الشامل في الجيش السوفييتي، وجيوش الدول الامبريالية متطلبات جديدة في تنظير الفن الحربي وممارسة تدريب القوات.

أدى الانتشار الواسع للسلاح النووي والصواريخ والعتاد اللاسلكي الالكتروني في القوات المسلحة السوفييتية، في النصف الثاني من سنوات الخمسينيات إلى إعادة النظر بشكل قانوني بدور وسائط الصراع المسلح، وإلى تغيير الوزن النوعي لجميع أنواع القوات المسلحة وصنوف القوات وأهميتها. كما أصبحت الأشكال التنظيمية وطرق الأعمال القتالية وخوضها التي اشتهرت في مطلع المرحلة الجديدة من بناء القوات المسلحة السوفييتية وتطوير الفن الحربي السوفييتي تتطلب إعادة النظر جذرياً.

فهرس الجداول

فهرس الخرائط والأشكال



فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

○

الفن العسكري السوفييتي ومراحل تطوره الرئيسية من كوتوزوف حتى جوكوف / مصطفى طلاس. ـــ
ط. ١ . ـــ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧ . ـــ ٤٢١ ص. : خرائط؛ ٢٨ سم.

١ ـــ ٣٥٥٫٤٧٤٧ ط ل ا ف ٢ ـــ ٩٤٧ ط ل ا ف ٣ ـــ العنوان ٤ ـــ طلاس

مكتبة الأسد

رقم الايداع ـــ ٧٧٧ / ٩ / ١٩٨٧

رقم الاصدار ٢٩٧

